تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار

في

وقائع قزان وبلغار وملوك التتار

تأليف

م. م. الرمزي

قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه

إبراهيم شمس الدين

المجلد الثاني

توزيع مكتبة

عباس أحمد الباز

مكة المكرمة

تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار
في
وقائع قازان وبلغار
وملوك التتار

تأليف

م. م. الرمزي

قدّم له وعلّق عليه ووضع فهارسه

إبراهيم شمس الدين

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لـدار الكتب العلميـة بـيروت ـ لبـنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Libanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Étage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3483-3
9 782745 134837 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقصد الثالث

في بيان أحوال قزان وما جرى على خوانينها وأهلها من حوادث الزمان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقصد الثالث
في بيان أحوال قزان وما جرى على خواونينها وأهلها من حوادث الزمان

اعلم أن قزان في الأصل اسم لنهر[1] بني في مصبه من نهر وولغا بلدة قزان فسميت باسمه وأمثالها في ذلك كثيرة في تلك البلاد كبليدة منزلة سميت بها لكونها مبنية في مصب نهر منزلة من نهر آق وأما تسمية النهر بهذا الاسم فإما لكونه محفورًا كالقدر أو لوقوع قدر فيه فإن معنى قزان بالعربية قدرًا ولغير ذلك من الوجوه والله أعلم به وأول من بناها وأنشأها صرتق خان بن باتو خان المار ذكرهما.

[أول مَن بنى قزان]

قال كارامزين في بيان ابتدأ بناء قزان: إن باتو خان أرسل ابنه صرتق مرة مع العساكر لمحاربة الروسية فاستقبلته حكام الروس بالخبز والملح علامة للإطاعة فترك محاربتهم وصالحهم وقبل هداياهم ثم نزل مع عساكره منزلاً فأمرهم أن ينتخبوا موضعًا صالحًا للإقامة بحيث يكون موقعه وماؤه وهواه جيدة تصلح لسكنى الملوك والزراعة ويكون قريبًا من بلاد الروسية ليسهل جمع الخراج منهم وليكونوا نصب عيونهم وتحت أنظارهم ومراقبتهم دائمًا فوقع انتخاب أمرائه ما أمرهم به على موضع بلدة قزان الآن[2] فبنوا فيه بلدة وأنشأوا قصورًا ملوكية وكان فيه أولاً حيات وسائر حشرات وسباع فجيء بساحر فمحاها كلها بسحره وسموها قزانًا بمعنى القدر أو القعر

---

(١) يجري من الشمال إلى الجنوب وبلدة قزان في شمال النهر المذكور ونهر إيدل، منه عفي عنه.

(٢) والمفهوم من العبارة الآتية أن هذه البلدة التي بناها صرتق كانت قريبة من بلدة قزان الحاضرة والظاهر أنها كانت في كولباشي والله سبحانه أعلم، منه عفي عنه.

الذهب فاجتمع فيها خلق عظيم من التتار وسرماتيا (چيرميش) وجواش ووتاك وبرطاس (موردوا) وبلغار وغيرهم وكلهم كانوا مسلمين وأهل قزان الآن من نسل هؤلاء الأجناس المختلفة المختلطة وكانت تلك الأقوام المختلفة هربوا سابقًا من ولاية راصتوف حين دخل ولاديمر في النصرانية يعني وأجبرهم على ذلك فاستوطنوا في تلك النواحي وسميت تلك الديار إلى زمن كثير بديار صاين نسبة إلى صاين خان يعني باتو خان وديار صرتق أيضًا نسبة إلى بانيها صرتق خان وكانت بلدة قزان واقعة في حدود بلغار اهـ، يعني في داخل حدودها.

قلت: الظاهر أن صرتق خان بن باتو خان أقام بها إلى آخر عمره حيث تقدم أنه كان ساكنًا في حدود الروسية عند بيان مجيء بوريس إليه في أواخر عهد باتو خان والله سبحانه أعلم وأما موقعها فهي في الإقليم السابع وفي آخر المنطقة المعتدلة وفي آخر درجة ٥٦ من العرض الشمالي والتفاوت بين طولها وبين طول بلدة بلغار المار ذكرها دقائق يسيرة وقد مر تحقيقه في المقصد الأول وهذا كله تقريبي بالأخذ من خرائط الروسية وهي في الضفة الشمالية من نهر وولغا ونهر قزان بين مصب الثاني في الأول وفي جنوبها الشرقي غدير كبير طولاني يسمى بقبان كولي وما تفوه به بعضهم من أنها إنما سميت قزان لبناء الملك محمود غاز أن المشهور إياها فهي من قبيل التفوه بأن إبليس وإدريس ويعقوب وأمثال ذلك من الأسماء العجمية إنما سمي مسمياتها بها للإبلاس والدرس وأخذ العقب وأمثالها في أن كلًا منها هوس محض[1] وغلط صريح وأما مبدأ تشكل الخانية فيها وكسبها الاستقلال بعد تقلب الأحوال الماضية عليها حين كونها جزءًا من دولة سراي وآلتون أوردو فهو في سنة ٨٤١ وزوال استقلالها باستيلاء الروس عليها بتاتًا في سنة ٩٥٩ فيكون مجموع مدة استقلالها ودوامه سنة ١١٨ وفي حين استقلالها وانفصالها من دولة سراي أو قبيل ذلك بيسير، وهو الصواب لما مر، انفصلت عنها أيضًا قرم وبرية قزاق وسيبيريا كما أن خوارزم انفصلت عنها أيام تيمرلنك فبقيت دولة سراي بعد ضعفها الكلي بانفصال هذه الممالك عنها قريبًا من ٧٠ سنة ولكن انفصلت عنها بعد ذلك حاجي طرخان أيضًا.

---

(١) فإنك قد علمت في المقصد الثاني أحوال سلوك آلتون أوردو وملوك إيران بني هلاكو وما بينهما من العداوة والمضادة دائمًا وأن أولاد باتو كانوا غالبين عليهم دائمًا فأين لهم بناء بلدة قزان هنا، منه عفي عنه.

[ألوغ محمد خان]

وأما تفاصيل أحوالها فأول من تسلطن وصار خانًا بها وضبط أمرها واستقل فيها فهو ألوغ محمد خان بن تيمر خان المار ذكره: وذلك أنه لما ترك سلطنة سراي في سنة ٨٤١ بسبب غلبة أخيه كچك محمد خان بن تيمر خان على ما ذهب إليه الفاضل المرجاني أو أخيه كچيم أو كچيم أحمد خان على ما ذكره كارامزين بسبب الغلط الناشىء عن اشتباه الاسمين في تلفظ الروس كما مر بيانه أو السيد أحمد خان بن جلال الدين خان على ما فاه به الحاج عبد الغفار أفندي أو كچك محمد خان بن ايچكلي حسن على ما اختاره هذا الفقير كما مر كل ذلك التجأ بمن معه من أهله وعياله وخواصه وكافة أتباعه وهم مقدار ثلاثة آلاف نفس إلى الروسية وذهب إلى بلدة بيليف من بلاد ليتوا وأراد أن يسكن فيها إلى أن يدبر أمره ويعيد سلطنته بواسطة بقية أتباعه في سراي وبإمداد كيناز موسكوا واسيلي تومني بن واسيلي وظن ذلك منه لما مر أنه أحسن إليه بنصبه كينازًا إلى موسكوا دون عمه يوري حين تحاكما إليه في هذا الخصوص بسراي قبيل ذلك وخفف الخراج عن الروسية ومنع الإغارة عليها كما مر كل ذلك عند بيان خانيته بسراي ولكن ظهر من واسيلي خلاف ما ظنه وأمله وعكس ما أمله حيث أرسل إليه يأمره بالخروج من الروسية فتحير الخان من وضعه هذا وكان الوقت موسم الشتاء وشدة البرد وتيقن أن الإحسان إلى غير أهله كتعليق الجواهر في أعناق الخنازير وصدق قول الشاعر.

شعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف من غدى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

وتيقن أن تملقهم إنما هو لعدم القدرة ولكنه لم يلتفت إلى سفيره قط لعلو جنابه فأرسل واسيلي عسكرًا كثيرًا قيل أربعين ألفًا تحت قيادة أخيه الكيناز شيماكو وديمتيري الأحمر لإخراجه من الروسية بالقوة الجبرية وقد بنى ألوغ محمد خان حوله استحكامًا من الجليد على ما قيل.

قال كارامزين: ولكن لم يكن هذان الرجلان كسائر القواد بل كانا كرؤساء الأشقياء حيث نهبوا الروسية نهبًا كليًا ولم يتركوا قرية من قرى الروس الواقعة في

ممرهم من غير نهب إلى أن وصلوا إلى بيليف وجمعا أموالاً عظيمًا ولما وصلوا إلى بيليف عرض عليهم الخان أيضًا المصالحة ولكنهم لم يقبلوا ذلك بل هجموا عليهم بلا مهلة فدخلت التتار في استحكامهم وقد قتل في هجومهم هذا ختن[١] الخان ثم أرسل إليهم حضرة الخان في اليوم الثاني أولاده الثلاثة يطلب منهم المهادنة والإمهال إلى أن يدبر أمره ويعيد سلطنته ويعرض عليهم أن يرهن لهم ابنه محمود ويعدهم بترك أخذ الخراج والجزية منهم إن عاد إلى سلطنته وخانيته فلم يصغوا إليه ولم يلتفتوا قط بل أصروا على عنادهم ولجاجهم فلما رأى أولاد الخان الثلاثة ذلك التمرد تحرك عرق غيرتهم وصاحوا بصوت عال بأننا نحكم لكم السيف إذًا. ولما سمع عسكر الروس منهم ذلك هاجوا وماجوا وأخذتهم الرعشة فطفقوا يهربون بلا سبب لا يلوي أحد منهم على أحد بل يهرب كل منهم طرف توجهه فتعجب عسكر الخان من هربهم هذا بلا سبب وقد تقدم أن مجموع أتباعه ثلاثة آلاف وأكثرهم عزل لا سلاح معهم وأن عسكر الروس أكثر من عشرة أمثالهم فتعقبوهم من ورائهم وقتلوهم كلهم شر قتلة بحيث لم ينج منهم أحد سالمًا ثم عادوا إلى حضرة الخان واعلموه بما جرى ولكنه من حيث كونه في غاية من العقل ونهاية من التدبير والدراية لم يغتر بتلك الغلبة الاتفاقية بل استعد للخروج من الروسية حالاً خوفًا من وخامة العاقبة فتوجه من فوق بلاد موردوا (برطاس) إلى جهة بلغار لكونها من بلاد المسلمين وأبعد نقطة من سراي حتى كان لا ينفذ فيها حكمهم مذ اختلال تيمرلنك وكانت على نوع استقلال من ذاك الوقت ولذلك وقعت الإغارة عليها من جهة الروسية مرارًا كما مر في محله، ولذلك اختار تلك الجهة ليحميها من شر الأعداء ويعيد مجده وسلطنته الزائلة فيها. فأتى بلدة قزان وهي خربة فإن الروس كانت خربتها سنة ١٣٩٩ م وسنة ٨٠٢ هـ كما مر وبقيت خرابة هكذا مذ أربعين ٤٠ سنة ولم يبق بها إلا بعض المساكين فحط رحل إقامته بها وبنى بها قلعة حسنة حصينة بقرب القلعة القديمة[٢] وجمع الأقوام الذين كانوا في أطرافها من المغل والتتار وبلغار وسرماتيا (چرميش) وچواش وأسكنهم في قزان وكانت الأقوام المذكورون في محن عظيم ومشقة شديدة من إغارة الروسية عليهم ونهبهم وقتلهم وأسرهم إياهم ففرحوا بقدوم محمد خان فرحًا عظيمًا كأنهم كانوا في حالة الاحتضار فقاموا وتعافوا وانتعشت أرواحهم ولم يمض من ذلك أشهر قليلة إلا وقد شرع الناس في الهجرة إليها من جميع الأقطار

(١) الخَتَن: كل من كان من قبل المرأة كأبيها، وأخيها، وكذلك زوج البنت أو الأخت.

(٢) وهذه العبارة هي التي أردناه بقولنا سابقًا المفهوم من العبارة الآتية، منه عفي عنه.

من حاجي طرخان ومن أوردو (سراي) ومن أزاق ومن قرم ومن جميع الأطراف لما أن الفتن قد سادت في تلك البلاد وانتشرت المحن وانعدم الأمن والأمان في أرجائها مذ أربعين سنة بل أكثر، فاستوطنوا بقزان ونواحيها فامتلأت تلك الأراضي بالإنسان في أقرب مدة وجعلوا ألوغ محمد خان خانًا لأنفسهم وأطاعوه وتشبثوا بذيل عدالته واستأمنوا في ظل حميته وشهامته فكان محمد خان المذكور ثاني بانييه وأول خوانينه العظام فاختلط الأقوام المذكورون ثانيًا بعضهم ببعض وصار الكل قومًا واحدًا وسموا كلهم باسم تتار قزان وزلزلوا الروسية أكثر من مائة سنة زلزالاً شديدًا وأبقوا في ألسنة الناس لأنفسهم شهرة عظيمة لما أبدوا في تلك المدة من البسالة والشجاعة والحماسة ما لم يسمع مثله من غيرهم قط مع قلتهم وحدوث تجمعهم واستقلالهم.

ذكر هجوم محمد خان على موسكوا ورجوعه عنها بغنائم كثيرة

ولما تمكن ألوغ محمد خان في مسند الخانية بقزان واطمئن خاطره وترسخ قدمه لم يكن له هم إلا الانتقام من واسيلي تومني الذي أغاظه غيظًا لا يمكن تسكينه إلا بتأديبه وإرجاعه إلى حده بسل سيف باتو خان جده فجمع عسكرًا يسيرًا وسار إلى موسكوا.

قال كارامزين: وفي السنة الثانية من تشكل خانية قزان ظهر ألوغ محمد خان تحت بلدة موسكوا بعسكر خفيف فهرب واسيلي منها إلى وولغا خوفًا من سطوة الخان لشبابته وفوض حراسة موسكوا للكيناز بوري ولد بطريق ليتوا ولكن لم ترد التتار أن تدخلوا موسكوا بل نهبوا أطرافها وجمعوا منها أموالاً جسيمة وأحرقوا قولومنا ورجعوا إلى قزان بغنائم كثيرة.

قلت: كيف يمكن لهم الدخول بموسكوا بتلك العساكر القليلة بل كان قصد حضرة الخان إظهار السطوة وإبراز الشجاعة وجمع الغنائم لاحتياجهم إليها وقد حصل وهذا هو غاية الشجاعة وما وراءها فتهور.

قصد محمد خان الكبير بلاد الروس مرة ثانية

قال كارامزين في خلال بيان حوادث سنة ١٤٤٥ م وسنة ٨٤٩ هـ بعد ذكر وقعة الأمير مصطفى المار ذكرها: وفي الوقت المذكور ظهر عدو كبير مخوف للروسية وذلك أن ألوغ محمد خان القزاني سار إلى الروسية وقصد نيژني نووغورد القديم واستولى عليها وعلى أطرافها ثم توجه منها إلى بلدة مورم ولكن جمع واسيلي

تومني بن واسيلي عسكرًا عظيمًا وكان في عسكره كثير من أمراء الروس مثل شيماكو وإيوان بن آندري الموژايئي وأخيه ميخايل ويريسكي وواسيلي بن يارسلاو فلما علم ألوغ محمد خان ذلك وكان الموسم شتاء والهواء باردة غاية البرودة رأى أن المصلحة في الرجوع فرجع إلى قزان ووقع الحرب اليسير بين ساقة عسكر محمد خان ومقدمة عسكر واسيلي اهـ.

ذكر ثالث سفر ألوغ محمد خان إلى بلاد الروسية وأسره كينازها واسيلي تومنه

قال كارامزين: وفي أول ربيع من السنة الثانية يعني أول سنة ٨٥٠ هـ جاء الخبر إلى موسكوا بأن ألوغ محمد خان استولى إلى نيژني نووغورد وأرسل شبليه الأمير محمود والأمير يعقوب إلى سوزدل[١] فاستولى الخوف العظيم على الكيناز واسيلي لأنه كان فرق عساكره في الشتاء فأمر بجمع العساكر وسار بنفسه بعسكر موسكوا لملاقاة الشبلين الأمير محمود والأمير يعقوب وأقام ببلدة يوريف ولحق به هناك عسكر كثير وأمراء كثيرة فسار الكل قاصدين عسكر التتار فالتقى الفريقان في ميدان بقرب مناستير يفيمف ولما انتشب بينهما القتال انكسرت التتار وولوا الأدبار وتعقبهم الروس قليلًا ثم شرعوا في جمع الغنائم وكان قصد الأميرين المذكورين هو هذا فكروا إليهم راجعين وأخذوا من ورائهم وأحاطوا بهم من كل جانب وحكموا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤوا فلم يسلم منهم إلا من نجى بنفسه هربًا وسقط الكيناز واسيلي مجروحًا فأسروه مع جمع كثير من مقربيه وأمرائه وقواده واغتنموا من الأموال ما لا يعلم حسابه إلا الله ونهبوا مدنًا كثيرة من مدنهم وخربوها وأحرقوها بالنار فأخذ الأميران المذكوران الصليب الذهب الذي كان في عنق الكيناز واسيلي وأرسلاه إلى أمه وأولاده في موسكوا ليكون علامة صادقة على ظفرهم وغلبتهم وتذكرة لها وكانت الوقعة المذكورة في أوائل يونيه (حزيران) من التاريخ المذكور فلما سمع أهل موسكوا الخبر المذكور غابوا عن حسهم ولبسوا ملابس الحزن وشرعوا في البكاء والأنين معانقين بعضهم بعضًا وصاروا يضربون في الكنائس نواقيس المأتم وكان لا يعرف بعضهم بعضًا كالسكارى وطفق أهل القرى التي بقرب موسكوا يلتجئون إلى كريمله (القلعة الداخلية) تاركين بيوتهم وأموالهم وكانوا منتظرين لورود التتار ساعة فساعة ثم ظهر الحريق فيها

(١) وهذه الوقعة هي التي عناها الجنابي ومنجم باشي حيث قالوا: إن ألوغ محمد أخذ بلاد ولاديمر من الروس، منه عفي عنه.

في نصف الليل وانتشر في البلد كلها واحترق فيه زهاء ثلاثة آلاف نسمة وأما الأموال فلم يعلم حسابه إلا الله فهربت أم واسيلي وأولاده مع أمرائه إلى راصتوف فلم يبق في موسكوا في مدة يوم وليلة حاكم ولا كرسي سلطنة فطفق الأهالي يهربون من موسكوا ولا يدرون أين يذهبون بل كان كل منهم يتوجه إلى جهة يميل إليها قلبه فلم يبق بها أمير ولا واحد من رؤساء روحانييهم وإنما بقي العوام والأوباش فصاروا يقتلون الهاربين لئلا يخلو البلد عن المستحفظين وشرعوا في أحكام البلد وقرروا الأمر على المدافعة وقد أرسل من جهة أخرى حاكم تويربوريس بن أليكساندر عسكرًا لنهب تورژيك وأطراف موسكوا فصارت حالة موسكوا نموذجًا من أحوال يوم القيامة وأهوالها بحيث لو صارت التتار إليها لاستولوا عليها في ساعة واحدة بلا ممانعة أحد من غير شبهة ولكن لما كان نظرهم مقصورًا على المال وقد استغرقوا فيه لم يسيروا إلى موسكوا بل ساروا إلى ولاديمير بعد أن استراحوا في مناستير يفيمف يومين ثم رجعوا منها من طريق مورم إلى نيژني نوغورد إلى حضور أبيهم محمد خان بما معهم من الغنائم والأسارى فسار ألوغ محمد خان بالأسارى في ٢٥ أغسطوس إلى بلدة قورميش ثم أرسل الميرزا بيكيچ إلى شيماكو الذي هو رقيب واسيلي يعرض عليه كينازية الروسية بشرط أن تكون الروسية خراجية وتابعة لمحمد خان فقبل شيماكو سفير الخان بغاية البشاشة وأكرمه وأضافه بضيافة عظيمة وفرح لأسر واسيلي فرحًا زائدًا وقبل جميع ما شرط عليه الخان بشرطان يبقى واسيلي أسيرًا إلى آخر عمره ثم ضم إلى سفير الخان سفيرًا من طرفه يسمى فيودر الدوبيني ليتم المعاهدة مع حضرة الخان.

وأما حضرة الخان فإنه لما رأى تأخر سفيره الميرزا بيكيچ وقد شاع بين الناس أن شيماكو قد صار حاكمًا على الروسية وأنه قتل الميرزا بيكيچ وشرع في جمع العساكر لمحاربة محمد خان وشاع من جهة أخرى أن واحدًا من خوانين بلغار يسمى لبي خان استولى على قزان وأن الموقع الذي هو فيه لا يساعد إطالة الإقامة فيه مع وجود هذه المخاطرة رأى أن المصلحة في الرجوع وأن الإقامة فيه لا يخلو عن المخاطرة وهذا هو سبب عدم تقدمهم إلى موسكوا مع قلتهم فبعد المشاورة مع أركان دولته قرّ آراؤهم على أنهم يفدون الكيناز واسيلي بمقابلة مال يأخذونه منه ثم يردونه إلى مكانه بالشروط التي شرطوها على شيماكو ولما عرضوا ذلك على واسيلي كاد أن يطير من الفرح وقبل جميع ما شرطوا عليه بالعين والرأس فأطلقوه في أول يوم من التشرين الأول (أوكتوبر) مع جميع من كانوا أسروا معه من أمرائه. قال المؤرخ: وفي

عين يوم إطلاقه حصلت زلزلة عظيمة في موسكوا انهدمت بسببها أبنية كثيرة وخاف الناس خوفًا شديدًا وظنوا أنه قد قامت القيامة فتوجه واسيلي إلى موسكوا مع أمرائه ومع جمع عظيم من أمراء التتار وعساكرهم ليجلسوه إلى صندالیته وكان الميرزا بيكيچ في الوقت المذكور في الطريق مع سفير شيماكو وقد عبروا نهر أوقه من مورم متوجهين إلى نيژني نوغورد ووصلوا إلى مناستير دودين فلما سمعوا هناك إطلاق واسيلي وتوجهه إلى موسكوا رجع سفير شيماكو إلى مورم وأوقف الكيناز آبولينسكي قائم مقام دودين الميرزا بيكيچ فيه اهـ.

نعم إذا أراد الله شيئًا هيأ له الأسباب خيرًا كان أو شرًا ألا ترى أن دولة الروسية لما لم يجيء وقت انقراضها وأن شرورًا كثيرة منوطة ببقائها انتعشت بتلك الأسباب الموهومة بعد أن ظنت أنها سقطت بالكلية وخرجت من يد التتار بعد أن دخلت فيها ولعل هناك أسباب آخر لإطلاق واسيلي غير مذكورة في التواريخ وإلا لما استعجل مثل ألوغ محمد خان المتصف بكمال العقل والدراية ونهاية التدبير والشجاعة في إطلاق واسيلي وإخراج الدولة العظيمة بالسهولة من يده بعد أن وقعت فيها كما يدل عليه الوقعة الآتية الفجيعة.

وأما لبي خان البلغاري فقتله محمود بن محمد خان قاله كارامزين وقد جعله الفاضل المرجاني علي بك وعلى كل حال فقد دلت تلك الوقعة أعني استيلاءه على قزان وجود حاكم البلغار في الوقت المذكور فتكون بلغار أيضًا موجودة فيه وقد قال كارامزين أن محمد خان لما سمع دخوله في قزان واستيلاءه عليه استعجل أن يعود إلى بلغار وقال الحاج عبد الغفار أفندي أن ألوغ محمد خان أخذ قزان من يد آلتون آي سلطان الشيباني بالحيلة وضبطه اهـ، فهذا أيضًا يشعر بوجود حاكم هناك في الوقت المذكورة والظاهر أن حكام تلك الناحية كانوا وقتئذٍ حكامًا صورة عارين عن الحقيقة والحمية بل كانوا من قبيل الزنبور الأحمر أكله أموال الرعايا ظلمًا كحكام ما وراء النهر وغيرها في عصرنا هذا وقد ذكر الفاضل المرجاني انتقال ألوغ محمد خان من قزان إلى قورميش بعد تقرره بقزان أولاً وأجرى هنا احتمالات خيالية لا فائدة في ذكرها لكونها خالية عن التحقيق وإن كانت ممكنة في حد ذاتها ولم يذكر شيء من أحوال ألوغ محمد خان في المدة التي بين سفره الأول والثاني إلى الروسية وهي مدة سنة ولا يبعد أن ينشيء في قورميش في تلك المدة بعض القلاع والحصون لكونه أقرب إلى الروسية من قزان كثيرًا والله سبحانه أعلم.

ذكر موت ألوغ محمد خان عليه الرحمة والغفران وجلوس ولده محمود خان

قال كارامزين: في سنة ١٤٤٦ م وسنة ٨٥٠ هـ في عين الوقت الذي أسر التتار واسيلي ظهر في قزان اختلال عظيم لأجل أمور موسكوا وذلك أن محمود بن ألوغ محمد خان أراد أن يكون خانًا فقتل أباه محمد خان وأخاه[١] وجلس مكانه وأعلن نفسه خانًا فانعدم بظلمه أحسن الخوانين وأعقلهم وأشجعهم اهـ.

قلت: يفهم من ذلك أن حصول هذه الوقعة إنما هو سبب الاختلاف في أمور الروسية فيحتمل أن محمودًا لم يرض بإطلاق واسيلي[٢] فحصل ما حصل ويحتمل أن يحصل الاختلاف بينهما في أمر آخر فصار هذا الاختلاف سببًا لإطلاق واسيلي كما أشرنا إليه سابقًا والله سبحانه أعلم. وعلى كل حال فوقوع هذه الحادثة وضياع مثل هذا الخان العظيم الشأن في مثل ذلك الزمان إنما هو من أكبر المصائب على قومنا وأعظم الإقبال للروسية إنا لله وإنا الله راجعون فيكون مجموع مدة خانيته ٢٨ سنة ١٨ سنة منها في سراي و١٠ سنوات في قزان ووقائعه المذكورة هي التي نسبها كثير مؤرخي الإسلام كالجنابي[٣] ومنجم باشا[٤] إلى كچي محمد خان والحال أنه ليس له

---

(١) قال الفاضل المرجاني اسمه يوسف. منه عفي عنه.

(٢) وقد قال الفاضل المرجاني عند بيان خوانين خان كرمان أن الأمير زاده قاسم بن ألوغ محمد خان أراد أن يتملك قزان ففاوض واسيلي المذكور في هذا الخصوص فوعده بالإمداد والإعانة لذلك إن سعى هو في تخليصه من الإسارة فحصل بينهما العهد والميثاق على ذلك فسعى في تخليصه ونجح فلعل محمود خان اضطر إلى ارتكاب جناية والده لدفع هذا الشر والفساد اهـ والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

(٣) الجنابي: لعله السيد مصطفى ابن السيد حسين ابن السيد علي البرسوي الرومي الحنفي المؤرخ، المعروف بالجنابي، القاضي بحلب، المتوفى سنة ٩٩٩ هـ، له من التصانيف: «البحر الزخار والعلم التيار» في التاريخ «جواهر الغرائب»، «الحضيرة الخضرة والحديقة النضرة» في التاريخ، «رسالة في بناء جامع آياصوفيا وقلعة قسطنطينية»، «السبع السيار»، «العلم الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر» في التاريخ، «فرست نامه» تركي، «نهاية المرام وبحر جواهر الكلام» في التاريخ عربي ثم ترجمه بالتركية وسماه «كلشن تواريخ». (كشف الظنون ٦/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٤) منجم باشي: هو أحمد بن لطف الله المتخلص بعاشقي السلانيكي الصديقي المولوي، كان رئيس المنجمين ومصاحبًا للسلطان محمد الرابع العثماني، تولى مشيخة زاوية المولوي الكائنة بمكة المكرمة، توفي بمكة سنة ١١١٣ هـ. من تصانيفه: «جامع الدول» في التاريخ، «ديوان شعره» تركي، «شرح كتاب الأخلاق للقاضي عضد»، «صحائف الأخبار» في التاريخ عربي، «وسيلة الوصول إلى معرفة الحمل والمحمول»، «فيض الحرم» في آداب المطالعة. (كشف=

شيء سوى الاسم المجرد كما قدمنا والاشتباه من الاشتراك في الاسم واتحاد عصريهما وبعد هذه البلاد عن بلاد الإسلام وعدم التواريخ من قومنا والله يهدي من يشاء إلى صوب الصواب رحم الله ألوغ محمد خان المذكور رحمة واسعة.

ذكر إغارة عسكر قزان على الشمالي الغربي من بلاد الروسية

وقال كارامزين: بعد ذكر الوقعة المذكورة وفي العام المذكور أغار سبعمائة نفر من عسكر محمود على بلدة أوستوغ[١] واستولوا عليها وعلى غيرها من البلاد ثم باعوها من أهلها ولكنهم ماتوا غريقين في نهر ويتلوغ اهـ.

وقال في خلال بيان وقائع سنة ١٤٥٥ م وسنة ٨٦٠ هـ: بعد بيان وقعة مازوفشاه ابن السيد أحمد خان المار ذكرها ومن جهة كان أهل قزان أيضًا أعداء للروسية وكانوا يغيرون عليها دائمًا فأراد واسيلي أن يحاربهم فخرج قاصدًا قزان فلقيه في ولاديمر سفير خان قزان فتصالحا ثم رجعا اهـ.

قلت: ولم يذكر في تاريخ كارامزين حوادث له غير ما ذكرنا ولم يعلم تاريخ وفاته إلا أن الفاضل المرجاني قال: إن وفاته كانت سنة في ٨٦٨ ثم جلس مكانه بعده ابنه خنيل خان ولكن لما أخذ عنه الخانية أخوه إبراهيم بالغلبة عليه في سنة ٨٧٢ وكانت مدة خانيته قليلة لم يصل إلينا ما يعتمد عليه من أحواله اهـ.

قلت: قد ذكر الحاج عبد الغفار أفندي أيضًا كون صاحب الترجمة ابنًا لمحمود وخانًا بعده من غير ذكر التاريخ ولم يقع له ذكر في تاريخ كارامزين بل لم يقع منه شيء من أحوال قزان بعد الذي مر ذكره عنه إلى سنة ٨٧٢ أعني مدة ١٤ سنة.

ذكر خانية إبراهيم خان بن محمود خان القزاني

تسلطن في قزان سنة ٨٧٢ بعد الغلبة على أخيه خليل خان على ما ذكره الفاضل المرجاني وكانت أمه تحت نكاح قاسم خان بن ألوغ محمد خان الذي هرب[٢] من أخيه محمود خان مع أخيه يعقوب بعد قتل أبيها إلى الروسية فأعطاهما واسيلي قلعة ميشچر التي كانت على نهر أوقه من ولاية رزان فسموها بخان كرمان

= الظنون ٥/١٦٧).

(١) في ولاية ولوغدا.

(٢) وهذا بناء على ما ذكره الفاضل المرجاني ولم أره لغيره فالعهدة في ذلك عليه، منه عفي عنه.

وسماها الروس كاسيمسكي[١] وهي مشهورة إلى الآن بهذين الاسمين فإنما كان تزوجها بعد موت أخيه محمود.

ذكر قصد قاسم خان مملكة قزان ومحاربته ربيبه إبراهيم خان القزاني لأجل الخانية بإمداد الروسية إياه بعساكر كثيرة

قال كارامزين في أثناء بيان وقائع سنة ١٤٦٧ م وسنة ٨٧٢ هـ: إن أهالي قزان أرسلوا إلى قاسم خان الذي كان يقيم بخان كرمان تحت حماية الروس وكان صديقًا للكيناز إيوان الثالث ابن الواسيلي خانًا لأنفسهم بعد عزل إبراهيم خان فأخبر قاسم خان الكيناز إيوان بذلك وطلب منه الإمداد بعسكر الروس ففرح إيوان بذلك غاية الفرح فإن إضرام النار على مزرعة العدو بيد الغير هو غاية مطلوب العقلاء المدبرين وأيضًا أنه كان بينه وبين رعاياه برودة بسبب تبديله مطران موسكوا بآخر فأراد إشغالهم واستمالة خواطرهم لمحاربة أعدائهم أهل قزان فأرسل إليه عسكرًا كثيفًا من موسكوا تحت قيادة ثلاثة من قواد الروس فانضموا إلى قاسم خان وهو القائد الأكبر على الكل وكان ذلك أيام الخريف وإن إقبال الشتاء من العام المذكور أعلاه وكان قصد قاسم خان أن يهجم على قزان فجأة من غير أن يشعر أحد بمجيئه ولكن كان لإبراهيم خان خبر منه وقد جمع عسكرًا عظيمًا وأرسل قطعة منهم إلى ساحل نهر وولغا لاستقبال عسكر الروس وقد كان هذا السفر في غاية الصعوبة للروسية فإن الأمطار كانت تنزل بلا انقطاع بالليل والنهار بمقتضى الموسم وانقلبت الطرق غير قابلة للمشي من الوحل وكانت خيولهم تموت من التعب وكان عسكر الروس يأكلون تلك الخيول الميتة من الجوع فلما زادت هذه الأحوال بلة في الطين انقلبوا مدبرين راجعين إلى الروسية من غير أن يصغوا إلى أوامر أحد ولكن إبراهيم خان لم يتجاسر أن يتعقب عسكر الروس إلا أنه أرسل فصيلة من عسكره إلى غاليچ حدود الروسية ولكنهم لم يقدروا أن يفعلوا شيئًا كبيرًا فإن الكيناز إيوان كان قد دبر أمر الحدود من إقامة المستحفظين فيها.

وكانت طائفة من عسكر الروس توجهت في ٦ الكانون الأول تحت قيادة واحد من قواد الروس نحو ولاية واتكا للإغارة فيها على السرماتيا (الچرامشة) فمروا بالغابات الكثيرة في تلك الثلوج والبرد الشديد في مدة شهر فقتلوا وأسروا وأفسدوا وغنموا ثم رجعوا إلى موسكوا سالمين.

---

(١) نسبة إلى القاسم المذكور، منه عفي عنه.

وفي تلك الأثناء أخرج واحد من قواد الروس مغيري أهل قزان من كوستراما وكذلك أخرج قائد آخر من الروس طائفة من مغيري عسكر قزان من ولاية مورم وأضر كثيرًا على أهل قزان في ساحل نهر وولغا.

قلت: فهذه الأحوال تدل على أن أهل القزان أيضًا أضروا إضرارًا كثيرًا بالروسية.

قال: ثم أراد إيوان أن يضعف إبراهيم خان ويسقط قوته وأن يستميل قلوب الروسية بذلك فجمع كافة عساكره وجميع قواده وأعيان الروسية وسار نحو قزان بهذا العسكر الكثيف وخلف مكانه في موسكوا أخاه الأصغر أندري وأخذ ولده الذي كان عمره عشر سنين ليعلمه العسكرية ولما وصل إلى الحد الفاصل بين مملكتي الروسية وقزان جاءه الخبر بوصول سفير كيناز ليتوانيا كازيمير فرجع إلى موسكوا وأرسل من ولاديمر فصيلة من العسكر تحت قيادة واحد من قواده إلى ولاية واتكا وإلى سواحل نهر قاما حيث كان يغير فيها طائفة من عسكر قزان فقتلوا وأسروا ونهبوا وأحرقوا وأفسدوا حتى وصلوا إلى سواحل نهر قاما بل إلى سواحل النهر الأبيض (آق إيدل) وصادفوا هناك سفن التجار فضبطوها حيث كانت تلك الثغور خالية من المستحفظين ولم يصادفوا أدنى مقاومة إلا أنهم لقوا مائتين من عسكر قزان فقتلوهم عن آخرهم وأسروا اثنين من أمرائهم ثم رجعوا من پيرمي الكبير من طريق أوستيوغ وكوستراما إلى ولاديمر وموسكوا إلا أن إبراهيم خان أرسل إلى ولاية واتكا طائفة من العسكر فأدخلوهم في طاعة إبراهيم خان بالسهولة.

قال: وأرسل الكيناز إيوان قطعة من عسكر موسكوا تحت قيادة فيودر خريپون راپولفسكي من نهر وولغا إلى قزان فصادفوا فصيلة من عسكر إبراهيم خان الخاص به فاقتتلوا حتى فنيت تلك العساكر وأسروا بواقيهم وفي جملة الأسارى الأمير خواجه م بيردي المشهور وهنا يتبجج كارامزين ويقول والعجب أن عسكر التتار الذين كانوا لا يزالون يغيرون على الممالك الأجنبية صاروا لا يقدرون على المدافعة من أنفسهم ولا يدري أنه لا يكفي للإغارة والمدافعة الشجاعة فقط بل لا بد معها من الكثرة وعلى الأقل الكفاءة.

ذكر قصد الكيناز إيوان بلدة قزان مرة ثالثة

قال: وفي سنة ١٤٦٩ م مصادفة سنة ٨٧٣ هـ أمر الكيناز إيوان في أوائل الربيع بجمع العساكر الكثيفة لضرب قزان ضربة قوية وأمرهم بالاجتماع في نيژني نووغورد

فخرج عسكر الروس من موسكوا وقولومنا وولاديمر وسوزدال ومورم وديميتروف وموژاي وأوغليچ وراصتوف ويارصلاو وكوستراما وغير ذلك من بلاد الروس وساروا على السفن من نهر وولغا وأوقه وغيرهما من الأنهر الصالحة لسير السفن وكان المنظر هائلاً جدًا لكون هذا السفر أول سفر سار فيه عسكر الروس من الأنهر[1] على السفن وبينما كان القائد الروسي الكيناز قونستانتين على عزم السفر من نيژني نووغورد إذ ورد عليه الأمر من الكيناز إيوان بالتوقف في نيژني نووغورد منتظرين إياه وإرسال عسكر خفيف للإغارة على ممالك قزان قال: ولم يبين المؤرخون سبب انقلاب فكر الكيناز إيوان إلا أن قاسم خان الذي كان محرك هذه الفتن مات في تلك الأثناء فأرسلت زوجته نور سلطان بكه والدة إبراهيم خان إلى الكيناز إيوان تثنيه عن فكره في محاربة ولدها إبراهيم خان وتعده أن تصالح بينهما فظن الكيناز إيوان أنه يستولي على مملكة قزان بهذا الطريق بالسهولة من غير محاربة ولكنه ظهر خلاف ظنه فإن القائد المذكور لما قرأ فرمان الكيناز إيوان على العسكر قالوا من فم واحد إنا لا نرجع من هنا من غير أن ننتقم من أعدائنا التتار.

قال كارامزين: وكانت تستعمل إذ ذاك القوة الجبرية مكان العقل والتدبير فركبوا سفنهم وجاؤوا نيژني نووغورد القديمة وأجروا فيها المعاملة الروحانية على عاداتهم ونصبوا شخصًا يسمى إيوان رون قائدًا ورئيسًا لأنفسهم وساروا نحو قزان ولما وصلوا إلى قريب منها خرجوا من سفنهم وهجموا على أطراف قزان وقت الصبح وحيث كان الأهالي إذ ذاك الوقت في ألذ النوم وأعزه غافلين عن مسيرهم فضلاً عن وصولهم استولت عليهم الدهشة والحيرة ولم يقدر أحد على مقاومتهم وممانعتهم فدخلوا الأزقة الكائنة هناك وساروا نحو القلعة وأخرجوا منها أسارى الروس وقتلوا كل من صادفوه من كبير وصغير وذكر وأنثى وأفسدوا إفسادًا كبيرًا وأحرقوا أطراف قزان واحترق كثير من الأهالي في تلك الحريقة ثم رجع عسكر الروس إلى سفنهم المنخوسة بعدما ارتكبوا فظائع شنيعة بغنائم كثيرة وساروا بسفنهم إلى جزيرة هناك تسمى جزيرة البقر وخرجوا إليها واستراحوا فيها مقدار أسبوع واحد.

ثم اتهمت عسكر الروس قائدهم إيوان رون بأخذ الرشوة من أهل قزان وقالوا: إنه كان يمكننا أن ندخل قزان حين احترق أطرافها فلم يفعل وإن لم يمكن الدخول

(١) يعني في الأعصر الأخيرة وبعد خروج التتار أو من سائر الأنهر وإلا فقد ساروا أولاً على نهر دنيپر ودنيستر ودون وولغا بل على البحر الأسود أيضًا، منه عفي عنه.

فلأي شيء لا يرجع إلى موسكوا بهذه الغنائم والأسارى ولأي شيء يختار القعود هنا فلا بد أن له خطأ وأمرًا مخفيًا ولا نأمن أن يجمع إبراهيم خان العسكر ويهجم علينا وقد كثر القيل والقال من هذا القبيل وقد صدق ظنهم فإنهم بينما كانوا في هذا القيل والقال إذ جاء أحد من أسارى الروس الكائنين بقزان وأخبرهم بأن إبراهيم خان جمع جمعًا عظيمًا من التتار وأطراف نهر قاما والنهر الأبيض وواتكا وباشقورد[١] ومن أجناس شتى وقصده أن يهجم على معسكر الروس صباحًا فوقع عسكر الروس بسماع هذا الخبر في الهرج والمرج واستعدوا للمقابلة وأعطى قائدهم المذكور الأوامر اللازمة وبينما هم في الانتظار إذ ظهر عسكر قزان في الصباح وجرى بين العسكرين مناوشة ما لا أهمية فيها وفي تلك الأثناء جاءت طائفة أخرى من عسكر الروس من نيژني نووغورد تحت قائدهم الأكبر كونستانتين بيزوبصف وأرسلوا إلى الكيناز إيوان يخبرونه بوقعة الحال فشرع في جمع العساكر مجددًا من أطراف بلاد الروس بإرسال الأوامر وتشويق الأهالي إلى الحرب وأرسل الكيناز دانيل اليارصلاوي وأمره بضم عساكر واتكا إلى نفسه فأجابه أهل ولاية واتكا أنا حلفنا لإبراهيم خان على أن لا نحاربه فنحن على الحيادة لا نعين الروس ولا أهل قزان إلا أنه إذا جاء الكيناز الأعظم أو أحد إخوانه نذهب معه بناء على وعدنا إياه فبقي عسكر الروس هكذا منتظرين مجيء الإمداد فلما لم يجيء عسكر واتكا رجع كونستانتين إلى نيژني نووغورد.

ففي تلك الأثناء جاءت نور سلطان بكه وقالت: إنما جئت من عند الكيناز إيوان لقطع الحرب وعقد الصلح بينه وبين ولدي إبراهيم خان على مراد إيوان فنزل عسكر الروس بساحل وولغا وجلسوا على موائد الأكل لأن اليوم المذكور كان يوم الأحد وبينما هم على ذلك إذ ظهر عسكر قزان بغتة فرسانًا وراكبين السفن وهجموا عليهم فاصطف عسكر الروس بغاية التعب والمشقة فنشب بينهما القتال فانحاز عسكر التتار إلى جهة أخرى من وولغا وصاروا يرمون الروس بالنبال والرصاص ودام هذا الحال طول الليل ولما أصبح الصبح لم يتجاسر واحد من الطرفين على الهجوم فسار كونستانتين بيزوبصف إلى نيژني نووغورد وفي هذا

(١) وهذا هو المراد بما ذكره بعض مؤرخي الروس في منتخباته التاريخية عند ذكره طائفة باشقرد وحين حارب الروس إبراهيم خان القزاني وجد مع إبراهيم خان آلايات الباشقرد. منه عفي عنه.

الحال جاء الأمر لكيناز دانيل اليارصلاوي بالمسير إلى قزان لينضم إلى عسكر الروس الذين هناك وإن لم ينضم إليه عسكر واتكا فاستخبر إبراهيم خان عن مسيره فقطع طريقه من النهر بسفنه ووقف الفرسان في الساحل فنشب القتال بين الفريقين في الحال واختلط بعضهم ببعض فلا تسأل عن رؤوس طارت وأيد طاحت وأعضاء انكسرت فالذي لم يقتل من عسكر الروس صار مجروحًا أو وقع أسيرًا ولم ينج منهم إلا القليل.

قال: وقد أظهر الكيناز واسيلي الأوختومي الغيرة حيث رد عسكر القزان إلى ساحل النهر وخرج عسكر أوستيوغ بخرق صفوف عسكر قزان وهربوا إلى نيژني نووغورد فاشتهر الكيناز دانيل اليارصلاوي بالكيناز عديم البخت والإقبال فأرسل إيوان إليهم دينارين وألبسة ومدحية فأعطوا الدينارين للقسيس وطلبوا منه الدعاء... قال: ولما أيقن الكيناز إيوان إنه انخدع من والدة إبراهيم خان جمع فيلقًا آخر من جميع أجناس العساكر وأمر عليهم أخويه يوري وأندري وضم إليهم أولاد الأعيان (بويار) وكافة الأمراء والقواد وفيهم من المشاهير إيوان اليوري الباتريكي وإيوان الخولمي فساروا من البر والنهر فاضطروا إبراهيم خان إلى الصلح على مراد الكيناز إيوان ورد الأسارى من الطرفين قال: وهذا أول غلبة نالها الكيناز إيوان في خصوص قزان وبعد ذلك شرع أمر حكومة قزان في التنزل والانحطاط والضعف.

ذكر قصد إبراهيم خان بلاد الروسية ومحاربته إياهم

قال كارامزين: وفي سنة ١٤٧٨ م مصادفة سنة ٨٨٣ هـ نقض إبراهيم خان القزاني الصلح الذي بينه وبين الروسية وهجم على ولاية واتكا فاستولى عليها وكان سبب نقضه الصلح أنه بلغه أن إيوان الثالث ابن واسيلي صار مغلوبًا في محاربة نووغورد وتخلص من المعركة مع أربعة أنفار فقط عن أتباعه وهرب ثم إنه لما تيقن كذب الخبر المذكور ندم على فعله ولم ينفعه الندم فإن أهالي أستوغ وواتكا والقائد الموسكوفي خربوا جميع البلدان والقرى التي بين نيژني نووغورد وبين قزان بل خربوا القرى التي بشاطىء نهر قاما وأحرقوها بالنار وأفسدوا فيها إفسادًا كبيرًا فبذلك انتقم إيوان من إبراهيم خان ولكن لما كانت الريح شديدة رجعوا من نهر قاما ثم طلب إبراهيم خان الصلح فتصالحا اهـ ولم اطلع على شيء من أحواله فيما بين الواقعتين المذكورتين الذي هو مدة سنة ١١ وهي مدة خانية إبراهيم خان.

ذكر وفاة إبراهيم خان وجلوس أكبر أولاده إلهام خان مكانه

قال كارامزين: لم يبق إبراهيم خان بعد الصلح المذكور إلا قليلاً ثم توفي وخلف أولادًا كثيرة من نساء شتى فوقع بين أولاده بعد وفاته نزاع وجدال في الخانية وظهر بين وكلائه ووزرائه ما يغاير الآداب وينافي المدنية فإن بعضهم كان يريد أن يجلس مكانه ولده الأكبر إلهام خان وكان ظهره ومعينه خان نوغاي وبضعهم يريد أن يسلطن ولده الأصغر محمد أمين وكان أكبر أنصاره منكلي خان القرمي فإنه كان تزوج بأمة نور سلطان[1] بكه بنت الميرزا تيمور بعد وفاة أبيه إبراهيم خان وكان إيوان كيناز موسكوا أيضًا يريد ذلك لكونه ربيب صديقه منكلي كراي خان ولكن لما كان لإلهام خان نفوذًا بين الوكلاء سلطنوه ونصبوه خانًا فكان إيوان متأثرًا من ذلك غاية التأثر فأخذ محمد أمين إلى موسكوا وأعطاه بلدة كاشير للتصرف فيها كتصرف إلهام خان في قزان وكان يترقب أحوال إلهام خان دائمًا ويترصد الفرصة لأجل نزع الخانية عنه إن أمكن ولهذا أقام في حدود مملكة قزان واحد من أمرائه ليكون مطلعًا على حركاته وسكناته وكان أهل قزان لا يحبونه لسوء إدارته ولذلك اضطر إلى المصالحة والمسالمة مع إيوان ولكنه لكونه ذي خدعة وحيلة كان يغر إيوان ويغشه ويغير على القرى التابعة للإيوان ويخربها دائمًا اهـ قلت:

شعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وحيث لم يكن إيوان راضيًا بتسلطنه لعلمه بعدم مطاوعته إياه فلا بد أن يطلب ما يشينه وما يسقطه من علو مكانته ولا شك في أنه أغرى أهالي قزان عليه لينال مرامه ولكنه نسب قبحه إلى إلهام خان شأن من يحاول براءة ذمته من قبحه ونسبته إلى خصمه.

ذكر هجوم الروسية إلى قزان وأسر إلهام خان

قال كارامزين: ولما طالت مدة خدعة إلهام خان للكيناز إيوان وعيل صبره أراد أن ينتقم منه فأرسل في نيسان (أبريل) سنة ١٤٨٧ م وسنة ٨٩٣ هـ محمد أمين خان

(١) قلت: تقدم آنفًا أن والدة إبراهيم خان هي نور سلطان بكه تزوجت بعد موت أبيه محمود خان بقاسم خان وهنا يقول إن والدة محمد أمين خان بن إبراهيم خان أيضًا نور سلطان بكه والظاهر بل الصواب أنهما اثنتان سميتا باسم واحد، منه عفي عنه.

مع دانيل الخولومي بجيش كثيف إلى قزان فوصلوا إليه في ١٨ مارس وحاصروه واستولوا عليه في ٩ يوليه بالهجوم وأسروا إلهام خان فبلغ هذا الخبر فيودر زاپولوفسكي الكيناز إيوان بموسكوا فعملوا أفراحًا وزينة لم يسبق لها مثل قط لكون سببها عديم المثل قط وهو الاستيلاء على قزان الذي هو كرسي مملكة محمود خان الذي أسر الكيناز واسيلي والد إيوان قبل هذا بسنين عديدة وحبسه في سرب وأمر بحمل إلهام خان إلى موسكوا فجاؤوا به هناك مع أمه وزوجتيه وإخوته فلم يبق في موسكوا أحد من الكبير والصغير والغني والفقير والحر والعبيد والصحيح والسقيم والشريف والوضيع والذكر والأنثى لم يخرج للتفرج وتعجبوا من أسر ملك التتار غاية التعجب فإن أسر ملك التتار ولو كان ملكًا في ولاية صغيرة متشكلة من جزء من أنقاض دولتهم الكبيرة كان في ذلك الوقت بالنسبة إلى الروس من أكبر خوارق العادات ومن جملة المستحيلات التي لا تصدق إن لم تشاهد بالإبصار وبعد أن اطمئن خواطرهم برؤيته بعيونهم أرسل إيوان إلهام خان إلى بلدة وولوا غدا مع زوجتيه وأرسل أمه مع إخوته وأخواته إلى بيلي أوزير بولاية قارغولوم.

ذكر كتابة إيواق الخائن الشقي إلى إيوان برجاء تخليص إلهام خان من الأسر والهوان

قال كارامزين: في خلال بيان وقائع سنة ١٤٨٩ م وسنة ٨٩٥ إن إلهام خان كان يقاسي أنواع الشدائد والمحن في محبسه وكان أسارته ومقاساته الشدائد تثقل على إيواق الخائن الشيباني أو النوغائي فكتب إلى إيوان باتفاق جمع من المرازي[١] يطلب تخليصه من الأسر وهذا صورة ما كتبه إيواق أنا خان المسلمين وأنت حميمي وصديقي فإن أردت صداقتي ومودتي أطلق أخي إلهام خان من الأسارة وأية فائدة لك في حبس ذاك المسكين أنسيت عهدك الذي عاهدت به إلهام خان وصالحته وواعدته بالمودة والمصافاة.

وأما الأمراء والمرازي وهم الميرزا آلاچ والميرزا موسى[٢] والميرزا يمغورچي وزوجته فكتبوا هكذا أنت الكيناز الأعظم ملك عاقل ومدبر ولا يخفى عليك أن آباءنا كانوا أحباء لك ولأبائك دائمًا وأنت تعلم أن إلهام خان أخونا ونحن نهدي لك السلام

(١) جمع مرزا، منه عفي عنه.

(٢) وهذان الشقيان كانا متفقين مع إيواق في قتل السيد أحمد خان عليه الرحمة والغفران، منه عفي عنه.

مع التعظيم والإكرام وترجو من مرحمتك أن تطلق أخانا إلهام خان المذكور من الأسارة وأن تقبل هدايانا القليلة وقد كان بيننا وبينك عدو قوي وبسببه كنا مبعدين من دولة الروسية والآن قد اندفع ذلك العدو (يعنون قاتلهم الله خوانين سراي وأوردوا الذهب عمومًا والسيد أحمد خان خصوصًا) فتجدد قربنا ونريد مودتكم ومصافاتكم ونطلب منكم أن يتردد تجارنا في ممالككم بالتجارة أحرارًا ومعافين من رسوم الأعشار اهـ.

قال: إن إيواق خان وإن ادعى كونه في مرتبة خوانين سراي إلا أن إيوان كان يعده في الدرجة الثانية والمرتبة السفلى وكان لسان حاله ينشد شعر:

يا بارقًا بأعالي الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ولهذا لم يجبه بنفسه بل أجابه بواسطة وكلائه الذين هم في الدرجة الثانية بالنسبة إليه وأمرهم أن يكتبوا إليه أن إلهام خان كاذب ناقض لعهده وحانث في يمينه وخادع وغادر وقاطع طريق ولهذا أنزلته عن تخته وسرير سلطنته فهو مملوكي وأسيري لا أطلقه من الأسارة أبدًا ولا استنكف من موادتكم ومصافاتكم قط ولكن بشرط أن تمنعوا أشقياء طوائف نوغاي من الإغارة على ممالك قزان التي هي مملكة ولدي محمد أمين خان وهم من تبعة إيوان خان والحال أنه لا يمنعهم من ذلك فلا يتركنهم يفسدون فيها من بعد ذلك وقد أرسلت واحدًا من سفرائه وأمسكت البواقي رهنًا عندي حتى يراعي إيواق خان الشروط المذكورة ومتى أتم الشروط أطلقهم في الحال اهـ.

قلت: هذا جزاء سوء صنيعه فإن ذلك الشقي ظن بزعمه الفاسد أنه يتقرب إلى إيوان بسوء الصنيع والفعل الشنيع ولكنه ظهر خلافه فإن الكفرة أيضًا يميزون الصادق عن الخائن الغادر العاجز بل لم يمض إلا زمن يسير حتى وقع على وطنه ما وقع على وطن السيد أحمد خان عليه الرحمة والغفران وظهر مصداق قول الشاعر حيث قال شعر:

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت أشجار نجد ولم يعبأن بالرتم

والظاهر من اجتهاد إيواق الخائن هذا القدر في حق إلهام خان أن له تعلقًا وقرابة به وسيجيء إن إحدى زوجتيه كانت من بنات نوغاي وهل تعلقه بهم هو هذا القدر أوله تعلق وارتباط[1] بهم سوى ذلك والله سبحانه أعلم. وقد توفي إلهام خان

(١) وسيجيء ما يدل على ذلك عند بيان خوانين سيبريا في المقصد الرابع فراجع هناك، منه=

المذكور رحمه الله تعالى في محبسه ذلك ولم أطلع على تاريخ وفاته وذكر الفاضل المرجاني أن أمه صوفية أيضًا توفيت في محبسها وأعيد إخوته وأخواته وزوجتاه إلى قزان وكان مدة سلطنته ٩ سنوات. وقال الفاضل المرجاني أنه حارب الروسية في ساحل نهر زوه فانكسر ورجع منهزمًا ولم يستطيعوا أن يفتحوا باب القلعة ويدخلوه فيها فأسرته الروس هناك واستولوا على قزان وهو ثاني استيلائهم اهـ.

قلت: الظاهر أن أمراءه وأنصاره قد خذلوه لما مر أنهم كانوا في انتخابه خانًا فرقتين وأنهم كانوا يبغضونه بعد كونه خانًا لسوء إدارته ولا سيما لما جاءت الروسية بمحمد أمين خان الذي كانت الفرقة الأخرى في طرفه سابقًا وإلا فقد كانت عندهم وقتئذٍ قوة كافية لصد الروسية ودفعها وحماية ممالكهم منها مع أن الروسية لم تستول على تلك البلاد إلا بهذه الكيفية. وأما قول المرجاني أن هذا ثاني استيلائهم يعني بالنظر إلى استيلائهم قبل تشكل خانية قزان في سنة ٨٠٢ كما مر وإلا فهذا أول استيلائهم بعده كما عرفت من الوقائع السابقة.

ذكر سلطنة محمد أمين خان الملقّب بأيجم بن إبراهيم خان

قال كارامزين: ولما استولت عساكر الروس على قزان وأسروا إلهام خان فبقيت شاغرة بلا صاحب وصارت في قبضة الروس تفكر إيوان فيما يصنع فيها فظهر له بعد التفكر إن جعل مملكة قزان وخانية بلغار تابعة للروسية واستدامتها كذلك متعسر بل متعذر فإن التتار كانت حية وقوية في الوقت المذكور وعندهم من الحمية والأنفة والنخوة والشجاعة ما لا يقادر قدره خصوصًا بالنسبة إلى الروس ولا يتصور منهم والحالة هذه مع كونهم مسلمين أن يطيعوا الروسية التي طالما كانت تحت إدارتهم مع كونهم نصارى لأنهم كانوا يعلمون أنهم من ذريات تلك الأسود الضارية الذين طالما استعبدوا الروسية وأجروا فيها أحكامهم كما شاؤوا ويعتقدون ذلك ويفتخرون بما هناك لا أنهم كانوا ينكرونه كما يفعله الآن أهل القزان وأنهم لا يبالون بالمغلوبية المؤقتة التي هي أيضًا جاءت من جهتهم يعني لإرادتهم استبدال محمد أمين خان بإلهام خان وتيقن أنه يحتاج لضبطهم والحالة هذه إلى عساكر كثيرة ومصارف وفيرة ووسائل غير متناهية فرضي بتلقبه بملك بلغار ونصب محمد أمين الشاب بواسطة قائده دانيل الخولومي خانًا في قزان وأجلسه على سرير سلطنة آبائه بالاستحقاق فصارت مملكة

= عفي عنه.

قزان مرتبطة بالروسية بهذه الكيفية وتابعة لها بنوع تبعية وقد تقدم أن ذلك كان في سنة ١٣٨٧ م وسنة ٨٩٣ هـ[١].

قال كارامزين لتأييد تبعيته قزان الروسية بعد ذكره ما مر عنه من أمر إيوان صديقه إيواق بمنع طوائف نوغاي من إغارتهم إلى ممالك قزان وكان قزان وقتئذٍ في حماية الكيناز إيوان وكان إيوان يأخذ منه الخراج ويؤيده ما كتبه محمد أمين خان إلى إيوان فإنه كتب إلى إيوان مأموركم فيودر كيسيلف قد جمع من ولاية سيويل عسلاً وسمورًا وأفراسًا كثيرة زائدة باسم الخراج فعليكم تنبيهه على أنه لا يرتكب أمثال هذا الأمر المغاير للنظام اهـ.

ذكر طرد محمد أمين خان من قزان وجلب مأموق خان من نسل شيبان

قال كارامزين: في خلال بيان حوادث أواخر سنة ١٤٩٦ وأوائل سنة ١٤٩٧ وسنة ٩٠٢ هـ: إن محمد أمين خان كان يجري في جميع أموره موافقًا لنوايا إيوان ومرامه ولكن أهالي قزان كانوا لا يرضون عنه بسبب ظلمه وإطاعته للروسية ولهذا اتفق بعض أمرائه سرًا على أن يجلبوا مأموق خان الشيبان من برية قفچق وينصبوه خانًا لأنفسهم وأرسلوا إليه يخبرونه بما اتفقوا عليه فاطلع محمد أمين خان على ذلك فأرسل إلى إيوان بموسكوا يستخدمه فأرسل إيوان إلى قزان الكيناز الراپولوفسكي بعسكر كثير فهرب مأموق خان من قزان وسكنت الفتنة وانتظمت الأمور فأذن محمد أمين خان للكيناز المذكور فرجع إلى موسكوا بعسكره ولما مضى لذلك شهر إذ أتى محمد أمين بلدة موسكوا مع أهله وعياله وأخبر الكيناز إيوان أن مأموق خان استولى ثانيًا إلى قزان وطرده منها ولكن كان مأموق خان دني الطبع خسيس الهمة غشومًا ظلومًا ولهذا طفق ينهب أموال التجار ويؤذي الأهالي قبل أن يترسخ قدمه ثم خرج مع متفقيه إلى جهة بليدة آرچه للاستيلاء عليه ويجري عادته فيها من النهب والسلب ولكن عصت البليدة المذكورة عليه وقاومه أهلها أشد المقاومة لما سمعوا من ظلمه فأيس من فتحها فكر راجعًا إلى قزان وقد أغلق أهالي قزان أبواب البلد عليه واتفقوا على طرده ومحاربته إن أصر وأقاموا على سور البلد مسلحين وأرسلوا إلى إيوان يخبرونه بأنهم لا يقبلون مأموق خان ولا محمد أمين خان بل يريدون أن يملكوا على أنفسهم

(١) يعني بعد مرور سنة (٥٢) من تشكلها، منه عفي عنه.

عبد اللطيف خان أخا محمد أمين خان بن إبراهيم خان فكان الأمر وفق ما طلبوا وكانت مدة خانية محمد أمين خان في هذه النوبة تسع سنين.

ذكر تملك عبد اللطيف خان بن إبراهيم خان

قال كارامزين: ولما بلغ إيوان ما أرسله أمراء قزان بطلب عبد اللطيف خان فرح وأرسل عبد اللطيف خان إلى قزان مع الكيناز دانيل الخولومي وفيودر پاليتسكي وقطعة من العسكر فأجلسوه على سرير سلطنة آبائه بالاستحقاق ثم رجعوا إلى موسكوا وكان ذلك في التاريخ المار ذكره أعني سنة ٩٠٢ هـ. وأما محمد أمين خان فأعطاه إيوان بلدة كاشير وسيرپوخ وخوطون من بلاد الروسية ولكن كان أهالي تلك البلاد يكثرون منه الشكاية للكيناز إيوان لظلمه وأذيته إياهم ولما بلغت هذه الحوادث نور سلطان بكه بنت الميرزا تيمور زوجة منكلي گراي خان القرمي أم محمد أمين خان وعبد اللطيف خان حصلت لها غاية الاضطراب والهموم فكتب إليها إيوان يسليها ويقول لها ليطيب خاطرك ولا يحصلن لك أدنى تشويش فكما أن محمد أمين خان ولدك كذلك عبد اللطيف أيضًا ولدك وليطمئن خاطرك بأن خانية قزان لا ينالها سوى ذرياتك فسكنت روع نور سلطان بكه بهذا واطمئن خاطرها فكتبت إلى قزان تخبره بأنها رجعت من مكة المكرمة بإيفاء فريضة الحج بالسلامة وأنها في عزم السفر على الروسية لرؤية أولادها وأرسلت إلى إيوان خاتمًا ذا قيمة ثمينة على سبيل الهدية.

قال كارامزين: وفي سنة ١٥٠٠ م وسنة ٩٠٦ هـ أرسل إيوان إلى قزان عسكرًا تحت قيادة الكيناز فيودر پاليتسكي لأنه بلغه أن ولد الخان الشيباني المسمى بآغالاق تعرض على مملكة قزان وهدد عبد اللطيف خان فلما سمع آغا لاق توجه عسكر الروس ورجع إلى بلاده ورجع اليكيناز پاليتسكي إلى موسكوا ولكن بقي في قزان الكيناز ميخايل الكوروبي ولوبان الراپولوفي لأجل صيانة الخان ومملكته من تعرض الأجانب ولوبان المذكور هو الذي طرد الميرزا يغمورجي والميرزا موسى بعد أشهر حين أرادا طرد عبد اللطيف خان من قزان فمن هذا التاريخ ابتدأ إقامة مأمور الروسية بقزان.

ذكر عزل عبد اللطيف خان وإخراجه من قزان ونصب محمد أمين خان مرة ثانية

قال كارامزين: في خلال بيان وقائع سنة ١٥٠٢ م وسنة ٩٠٨ هـ: لما كثرت شكاية أهل القزان من سوء إدارة عبد اللطيف خان وتظلمهم منه أرسل الكيناز إيوان

الكيناز واسيلي إلى قزان للقبض على عبد اللطيف خان فقبض عليه وجاء به إلى موسكوا ثم حبسه الكيناز إيوان في بيلي أوزير الذي حبس فيه أم إلهام خان وأخواته ونصب محمد أمين خان مرة ثانية خانًا في قزان وزوجه زوجة أخيه إلهام خان السابق ذكره لأنه كان توفي في محبسه وبقيت زوجته ثم أرسله إلى قزان ولما بلغ منكلي گراي القرمي حبس عبد اللطيف غضب غضبًا شديدًا وقد كان ذلك عقيب محاربة الروس الليتوا وإنجاد منكلي گراي إياه وعقيب تخريبه بلدة سراي وتفريق أهلها بالكلية وتبشيره أخاه الكيناز إيوان وتهنئته بذلك فلما ظهر له منه هذا الصنيع السوء بدل المكافأة حصلت له غاية الغضب وكادت مواددتهم تنقلب إلى المعادات فكتب منكلي گراي إلى إيوان يوبخه على ما صدر عنه ويهدده إن لم يتدارك بالتي هي أحسن ومما كتبه أنه يقول: إن عبد اللطيف ولد شاب قد غلب عليه هواه وكان اللازم عليك أن تغمض عن تقصيراته وتداريه فعل عقلاء الملوك فالآن لا بد من أن تطلقه من المحبس وتعامله معاملة الخوانين أو ترسله إلى هنا وإلا فلا يبقى للعهد واليمين والصلح التي بيننا حكم البتة أما تدري أنت أن بواسطة مصالحتنا ومعاهدتنا قهر أعداؤك وحصلت قوة كثيرة وها أنا أرسلك خاتمًا ثمينًا معمولاً من قرن حيوان من حيوانات الهند يقاوم السموم حتى لو شربت السم لا يكون له تأثير فيك اهـ، ولما قرأ إيوان مكتوب أخيه منكلي گراي تأثر منه غاية التأثر ولكن خاف أن يخرج عبد اللطيف خان من الروسية فأطلقه من محبسه وخصص له معاشًا كثيرًا يليق بالخوانين وأمره أن يقيم بموسكوا ليطيب خواطر منكلي گراي ونور سلطان بكه.

ذكر مسير محمد أمين على الروسية ومحاربته إياهم بعد مضي سنتين من جلوسه الأخير

قال كارامزين: كان محمد أمين مفتونًا بزوجته التي بقيت من أخيه إلهام خان وزوجها إيوان إياه ومبتلاً بمحبتها وعشقها وكان لا يصبر عنها قط وكان كلما تكلفه بشيء يفعله وكانت هي صاحبة حمية قوية وغيرة عظيمة فقالت ذات يوم لمحمد أمين خان في أثناء الصحبة والعشرة تحريضًا له على عصيان الروس وتهييجًا لحميته الراكدة: ايش أنت فهل أنت خان لا والله بل أنت واحد من مأموري كفرة الروس ومطيع لكيف ظالم كافر وهو يعزلك متى شاء ويحبسك مثل أخيك إلهام خان وتموت مثله في الحبس أليس عندك ناموس وحمية إسلامية وغيرة دينية أما تعار من تبعية عبيد آبائك ألست أنت خانًا مستقلاً ولد إبراهيم خان ماذا حصل لك فعليك بالاجتهاد والغيرة وبذل الهمة في تخليص رقبتك من رقبة الروس وإعادة استقلالك

ومجد آبائك وأجدادك إلى غير ذلك من مهيجات حميته وغيرته فأثر كلامها هذا في محمد أمين خان واستولى على باطنه فحلف لها بالله على أنه يخلص نفسه من زنجير تبعية الروس أو يذهب روحه في هذا السبيل ثم صار بعد ذلك يلتمس سببًا يتوسل به إلى ما نواه فأرسل في سنة ١٥٠٥ م وأوائل سنة ٩١١ هـ لكيناز أوفيمسكي[١] إلى إيوان يقترح عليه بعض الأشياء فغضب إيوان على محمد أمين خان لبعض الأمور فأرسل إليه أحد كتبته يسمى ميخايل ليبلغ أوامره إليه شفاهًا وليس عنده خبر مما حصل وحيث كان الانقطاع من الروس مترسخًا ومجزومًا في قلب محمد أمين خان أظهر لسفير إيوان المذكور ما أضمره في قلبه وأغلظ عليه في القول وقتله وكان وقتئذٍ أيام سوق كبير[٢] في قزان في أواخر يونيه (حزيران) من العام المذكور وقد اجتمع فيه كثير من كبار تجار الروس لمبادلة أموال آسيا بأموال الروسية على عادتهم في كل عام آمنين مطمئنين ليس في قلبهم أدنى خوف فإن قزان كان يعد جزءًا من أجزاء مملكة الروسية من ١٧ سنة أعني ابتداء تسلطن محمد أمين خان في النوبة الأولى فأمر بقتل هؤلاء التجار وكافة مأموري الروسية هناك فقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم أحد واستولوا على أموالهم فامتلأ قصر محمد أمين خان من الفضة والذهب ومخازن أهل قزان من أنواع المال والنشب ثم سار محمد أمين خان بأربعين ألفًا من عسكر قزان وعشرين ألفًا من فرسان نوغاي على الروسية من غير تفويت فرصة ووصل إلى نيژني نووغورد بعد أن قاتل في الطريق من قاتله وأخذ كثيرًا من بلاد الروسية وحاصر نيژني نووغورد وكان ثلاثة آلاف من عسكر ليتوا محبوسين في محبس نيژني فأطلقهم والي نيژني وفرق لهم السلاح ووعدهم بإعتاقهم من الأسر وإعادتهم إلى أوطانهم باسم الكيناز إيوان إن خدموا خدمة جيدة وحاربوا التتار وكان لهم مهارة تامة في الرمي مثل التتار فقتلوا أخا زوجة محمد أمين خان رئيس الطائفة النوغائية[٣] رميًا بالسهم وكان أمام العسكر يحرضهم على القتال ولما رأت طائفة النوغاي قتل رئيسهم فشلوا وأرادوا الرجوع فلم يتركهم عسكر قزان أن يرجعوا فنشب بينهم القتال فأصلحهم محمد أمين خان بعد جهد جهيد ثم رأى المصلحة في الرجوع فرجع إلى قزان بالعجلة فأحسنت الروسية إلى عسكر ليتوا وأعادوهم إلى بلادهم وقد أرسل الكيناز إيوان مائة ألف عسكر لمحاربة

(١) هكذا في الأصل المنقول عنه والظاهر أنه من التتار، منه عفي عنه.

(٢) وهي التي تبودلت بها مكاريا بعد ذلك، منه عفي عنه.

(٣) وهذا هو الذي قلنا سابقًا من تعلق الهام خان بالطائفة النوغائية، منه عفي عنه.

محمد أمين خان ولكن القواد لم يريدوا أن يحاربوه فلم يتجاوزوا بلدة مورم التي هي حدود الروسية من جهة قزان فرجع محمد أمين خان بغنائم وافرة إلى قزان من غير أن يمسه سوء فمرض الكيناز إيوان من كدره وحرصه على الانتقام من محمد أمين خان وسلم روحه إلى قابضيها في ٢٧ أوكتوبر (التشرين الثاني) من العام المذكور وقد بلغ من العمر ٦٦ سنة و٩ أشهرًا وكانت مدة تملكه ٤٣ سنة و٧ أشهرًا.

قال كارامزين نقلاً عن مؤرخي الروسية: إن الإيوان الثالث هذا ابن واسيلي كان عاقلاً مدبرًا وقد ترقيت الروسية في عصره ترقيًا زائدًا وصارت غنية وعظيمة جدًا وتخلصت من أسر التتار واستقلت فانتشر صيته في أوروبا فضلاً عن الروسية.

قلت: كان أصل سعادته ونجاح أمره في تسخير منكلي گراي القرمي واستخدامه في نواياه وقد بلغ تسخيره إياه مبلغًا أنه كان لا يكتب إلى ربيبه محمد أمين خان مكتوبًا إلا بواسطة إيوان قاله كارامزين: فبه قهر أعداءه وتخلص من أسر التتار وبه صار تراسل الدولة العثمانية ولم يعد منه أدنى منفعة لمنكلي گراي إلا أنه كان يغره ويريه أنه يمنع أعداءه من التعرض عليه كما اطلعت على تفاصيله نعم إذا أراد الله شيئًا هيأ له الأسباب وإليه المرجع والمآب.

ذكر قصد الروسية الانتقام من محمد أمين خان بعد جلوس واسيلي الرابع مكان أبيه إيوان الثالث وتجديده المعاهدة بمنكلي گراي

قال كارامزين: ولما جلس واسيلي على صندلية الحكومة مكان أبيه إيوان رأى في الاتفاق والمصالحة مع منكلي گراي خان فوائد لا تحصى وأن سعادة الروسية وترقيتها منوطة بها فأراد أن يتبع خطة أبيه إيوان في استخدامه في نواياه فكتب إليه يعلمه بموت أبيه إيوان وجلوسه على صندلية الحكومة مكانه وأنه يريد أن يجدد المعاهدة والمصالحة التي كانت في عهد أبيه وطلب ورقة المعاهدة ليطلع عليها وأرسل إليه هدايا ثمينة فقبل منكلي گراي هداياه وجميع ما قاله وأرسل من طرفه اثنين من كبراء أمرائه مع ورقة المعاهدة السابقة فلما طالع فيها وكلاء واسيلي وجدوها مغايرة لما حررت في عهد إيوان فطلبوا من السفرين أن يحرروها على صورة أخرى فساعدهم على ذلك فكتبوها على ما أرادوا وختموها بختمها.

قلت: (هذا من خيانة ذينك اليزيدين) وحلفوا من الطرفين عليها.

ذكر قصد واسيلي مملكة قزان للانتقام ورجوع عساكره منها لا بخفي حنين كما يقال بل بأقبح انهزام

قال كارامزين: كان واحد من إخوة إلهام خان[١] يقيم أسيرًا في الروسية ببلدة راستوف ببيت آرخاري (رئيس القسسين الأسقف) يسمى بخدايقلي فتنصر في تلك الأثناء فزوجه الكيناز واسيلي أخته الشقيقة بوداكيو بعد أن سماه بيطرو وصار شيطانقلي فطمحت نفسه الخبيثة في ملك قزان فأبدى ذلك لواسيلي بن إيوان وقد كان في خاطر واسيلي أخذ الثأر والانتقام فطلب وقته من مطابقته لما نواه فأحضر الجيش الكثير وأمر عليها أخاه الكيناز ديميتري بن إيوان وكان فيها من كبراء أمراء الروس مثل فيودربيلسكي وشيبن والكيناز ألكساندر الراستوفي وپاليتسكي وكورسكي وغيرهم من مشاهير الروس فسارت تلك الجيش الكثيف قاصدين مملكة قزان في أوائل سنة ١٥٠٦ م ومفتتح سنة ٩١٢ هـ وعبروا نهر وولغا ووصلوا بلدة قزان في ٢٢ مارس وكانت الهواء حارة جدًا فالتقى الجمعان بقرب قزان وانتشب بينهما القتال وكاد يقع الانهزام على عسكر التتار لقلتهم لولا أن سترهم الستار فداروا من وراء عسكر الروس وحالوا بينهم وبين سفنهم وقطعوا خط رجعتهم وركبوا عليهم وصاروا يقتلونهم كيف شاؤوا ومات كثير منهم مغروقًا في الغدير النجس وأسر قسم منهم ونجى قليل منهم راكبين سفنهم وخرجوا إلى طرف آخر من وولغا وانتظروا مجيء خيالتهم (فرسانهم) فوصل إليه فرسانهم ولما سمع الكيناز واسيلي هذا الخبر كاد يموت من الغيظ فأرسل عسكرًا آخر إلى قزان تحت رياسة الكيناز واسيلي الخولومي وأرسل إلى أخيه ديميتري مسرعًا يأمره بالصبر وعدم الهجوم إلى أن تصل إليه النجدة فلم يصغ إليه ديميتري بل هجم على قزان زاعمًا أنه يحوز الغلبة فوقع عليه انهزام أقبح من الأول وطردوه من قزان إلى مسافة بعيدة وقد اقترب وقت السوق الكبير الذي تقدم ذكره في الوقعة السابقة وقد اجتمع التجار من الأطراف والجوانب وفتحوا حوانيتهم ونشروا بضائعهم وعرضوها للبيع والاستبدال وقد نصب لمحمد أمين خان وأمرائه ووكلائه وسائر الأعيان أزيد من ألف خيمة في ميدان آرچه فهم في التنزه والمسرة وأنواع العشرة وإبداء الزينة لغلبتهم على الروس وقد عمت المسرة للكل هؤلاء في العشرة والتجار في التجارة والنسوة تحت الستائر والصبيان في اللهو

(١) قلت: والظاهر بل اليقين أنه أسر مع أخيه الهام خان وهذا هو الغرض من أسرهم والتشديد عليهم بحبسه في بيت وكلاء الشيطان بل غرضهم من إكرامهم أيضًا هو هذا، منه عفي عنه.

واللعب يظنون أنهم شردوا الروس بالكلية وتمت الغلبة عليهم وليس عندهم خبر من مجيء العسكر الجديد من موسكوا واقترابهم منهم جدًا وبينما هم على هذه الحالة إذ ظهرت عسكر الروس في ٢٢ يونيه (حزيران) بغتة كبارقة البلاء وهجموا عليهم بلا مهلة فجأة وطفقوا يقتلونهم قتلاً ذريعًا فشرع المسلمون في الدخول إلى البلدة والتحصن فيها بغاية السرعة تاركين خيامهم وأمتعتهم وأموالهم كما هي وكان يمكن الروسية أن يأخذوا البلد في مدة خمسة أو ستة أيام ولكن لما رأوا أنواع الأطعمة والأشربة وأسباب الراحة وقد بلغ التعب منهم غاية وظنوا أنهم ظفروا بهم وصارت البلدة في قبضتهم يدخلونها متى شاؤوا أقبلوا على الأكل والشرب والنهب والسلب حتى نسوا الحرب فاستغرقوا في الاستراحة والتنعم في الخيام المنصوبة للخان والأمراء وكان قوادهم يتبججون ويفتخرون بأنهم أخذوا بثأر تجارهم وانتقموا من أعدائهم قبل مضي سنة وأما محمد أمين خان فكان ينظر إليهم من برج القلعة ويشاهد حركاتهم وسكناتهم بكمال التيقظ والدقة ويلتمس طرق الهجوم عليهم وينتهز الفرصة ويهيىء عساكره لذلك لا يغفل عنهم لحظة. فلما رآهم مستغرقين في السفاهة كالمتنزهين أخرج من البلدة وقت السحر من الليلة الخامسة والعشرين من يونيه (حزيران) عشرين ألفًا من الفرسان وثلاثين ألفًا من المشاة وأمرهم بالهجوم على عسكر الروس وهم في ألذ النوم حتى حراسهم مطمئنوا البال فهجموا عليهم كالأسود الضواري وانقضوا كالنسور الكاسرة من كل جانب وركبوا عليهم وصاروا يقتلونهم كيف شاؤوا ولم يكن لعسكر الروس هم إلا في الفرار لا يلوي أحد على أحد وتفرقوا شذر مذر كالغنم الهاربة من الأسد تاركين أموالهم وذخائرهم ومهماتهم وأسلحتهم وعساكر التتار يقتلونهم من ورائهم ويأسرونهم مع أنهم لا يبلغون عشر عشيرهم من حيث العدد فامتلأ ميدان آرچه بقتلى الروس وابتل بدمائهم وقتل من قوادهم الكيناز قوربسكي وپاليتسكي وأسر القائد شيبن وكان يمكن بقاياهم أن يتداركوا ما فات من مساهلتهم وعدم تيقظهم إلا أنه لم يكن أحد منهم في هذا الفكر بل صاروا يهربون بغاية الاستعجال راكبين سفنهم بعد أن قطعوا السلاسل والحبال التي ربطوا بها سفنهم لعدم الفرصة لفكها لانخلاع قلوبهم من صولة التتار حتى أن كل من رأى منهم خيالاً ظنه تتاريًا يروم قتله إلا أن القائد فيودر بن ميخايل الكيسيي وزادين[1] بن نوردولت القرمي رئيسي الفرسان وفقا للذهاب بعسكرهما من جهة البر إلى مورم بإبداء جرأة ما حتى

(١) لعله جاناي الذي عده الفاضل المرجاني من جملة الخوانين خان كرمان. منه عفي عنه.

أنهما مرا على مفرزة من عسكر قزان بعد جهد بليغ على مسافة ٤٠ ويرسته من نهر صور وقد كان في عسكر الروس كثير من الممالك الأجنبية مسلحين بأسلحة جديدة نارية كالبندق والمدفع وقد تركوا كل ذلك غنيمة لأهل قزان إلا أن واحدًا منهم لم يترك سلاحه بل حمله إلى موسكوا فلما رآه الكيناز واسيلي قال له على وجه اللطيفة: إنك حفظت سلاحك ولم تحفظ نفسك ألم تدر أن صاحب الصنعة أغلى عندي من الأسلحة ولم يؤاخذ الكيناز واسيلي أحدًا من قواده بقصورهم في التدبير لكون رئيسهم أخاه ديميتري إلا أنه لم يستعمله قط بعد ذلك في القيادة.

قال كارامزين: وبهذا الانكسار والانهزام ابتدأ أول أعمال واسيلي كأبيه إيوان وكان يجري في خاطره دائمًا أن ينتقم من محمد أمين خان وكان لا يستريح لذلك قط وكان قواده أيضًا لا يقصرون في تحريضه على ذلك حتى هم أن يرسل جيشًا إلى طرف آخر من نهر وولغا تحت قيادة القائد المشهور دانيل شينه إلا أن محمد أمين خان كتب إليه كتابًا دقيقًا يريد أن يصالحه وذلك إما لاستشعار قلة قوته أو بمشورة من منكلي گراي القرمي فقبل واسيلي منه ذلك بشرط أن يطلق أسارى الروس فأطلق محمد أمين خان جميع أسارى الروسية من التجار والعسكر مع سفير الروس سابقًا ميخايل ياروپكين[1] وتم الصلح على أن يكون الأمر على ما كان عليه في عهد إيوان يعني على نوع تبعية للروسية وصدر اليمين على ذلك إلا أنها كانت اسمًا بلا مسمى فإن محمد أمين خان كان لا يعطيه شيئًا سوى بعض الهدايا وصارت حكومة قزان مستقلة في الحقيقة ومضت هذه الحادثة أيضًا على هذا الوجه.

ذكر مراسلة منكلي گراي خان مع الكيناز واسيلي وطلبه منه إرسال عبد اللطيف خان إليه وإباؤه عنه

قال كارامزين في أثناء بيان وقائع سنة ١٥٠٨ م وسنة ٩١٤ هـ: إن منكلي گراي خان أرسل سفراء إلى موسكوا مع مكتوب مشتمل على بنود من جملتها إرسال العساكر إلى حاجي طرخان لإمداده كما مر في بيان أحوال حاجي طرخان وطلب عبد اللطيف خان إلى قرم لزيارة والدته نور سلطان بكه وإرسال الجزية المقررة فقبل الكيناز واسيلي جميع مطالبه إلا إرسال عبد اللطيف خان فإنه لم يرد أن يخرجه من يده وكان يخافه إن خرج من الروسية فشاور وكلاءه في ذلك فأشاروا إليه بعدم إرساله

(١) ولعله الذي صار سفيرًا هناك أيام عبد اللطيف خان كما مر. منه عفي عنه.

فدعى عبد اللطيف خان لديه وعدد عليه ما صدر عنه من الجنايات وحبس أبيه إيوان إياه ثم قال: إنه عفى عنه لأجل منكلي گراي خان وإنه أعطاه بلدة كاشير للتصرف فيها بشرط أن لا يؤذي أهلها وأن لا يستحقر دينهم وأن لا يخرج من الروسية بلا إذن منه ورخصة وأن لا يخابر الدول المعادية للروسية وأن يخدم الروسية بالصداقة مثل وطنه وأن يحلف على إيفاء هذه الشروط والوفاء بها وأن واسيلي أيضًا يحلف على أن لا يؤذيه ويضيق عليه فحلفا على ذلك وصدقا يمينهما عند سفراء منكلي گراي خان وأرسل إليه مع سفرائه سفيرًا من عنده يسمى ماروزف للتشكر عليه وتأكيد المودة بينهما ووصاه بأن يلاقي محمد گراي أكبر أولاده منكلي گراي ويعاهد معه فإن منكلي گراي كان قد شاخ جدًا وتخرف وكان أكثر الأمور بيد ولده محمد گراي المذكور ووصاه أيضًا بأن لا يقبل الحقارة من التتار لكونه سفير كيناز أعظم فكتب السفير المذكور إليه من قرم بأنه حين دخل من باب قصر الخان استقبله جميع أمرائه بالتعظيم إلا الميرزا خدايار فإنه لم يعظمه ولم يقم له بل قال له خولوب أوقولوم يعني عبد: وأن الخان التفت إليه حين امتثل لديه وسقاه من كؤوس الفضة وأنه سقى أيضًا جميع الأمراء إلا الميرزا خدايار مقابلًا لفعله السابق بل اشتكاه إلى الخان وأن الخان وإن لم يقل له شيئًا عنده إلا أنه غضب عليه بعد خروجه وطرده من عنده وأن أولاد الخان طلبوا منه الهدايا فلم يعطهم شيئًا لأجل صنيع الميرزا خدايار ولم يرهم الدفتر ولم يسلمهم المكاتيب فأرادوا حبسه فأجابهم بأنه لا يخاف أحدًا سوى الكيناز واسيلي ومنكلي گراي خان إلى آخر ما ذكر قال وعلى كل حال فقد بقي الأمر على الموادة والمصافاة واستخدام الخان المذكور في أغراض الروسية إلى مدة.

ذكر ورود نور سلطان بكه زوجة منكلي گراي خان بنت الميرزا تيمر لرؤية ولديها محمد أمين خان وعبد اللطيف خان إلى موسكوا وقزان

قال كارامزين: وفي سنة ١٥١٠ م وسنة ٩١٦ هـ أتت إلى موسكوا نور سلطان بكه زوجة منكلي گراي خان لرؤية ولديها عبد اللطيف خان ومحمد أمين خان ومعها ولدها من منكلي گراي خان صاحب كراي وثلاثة سفراء من طرف الخان فاستقبلها الكيناز واسيلي بغاية التعظيم وأكرم نزلها وأضافها بضيافات ملوكية مدة شهر كامل ثم توجهت إلى قزان لرؤية ولدها محمد أمين خان وبقيت هناك مدة سنة وأصلح في تلك المدة بين ولده محمد أمين خان وبين الكيناز واسيلي بن إيوان فعادت مياه المصافاة

بينهما إلى مجاريها السابقة ثم عادت نور سلطان بكه ثانيًا إلى موسكوا فبقيت فيها في تلك النوبة في قصر الكيناز واسيلي ستة أشهر فقدم إليها غاية التعظيم والإجلال ثم توجهت بعد تلك المدة إلى قرم ومعها سفير من طرف الكيناز واسيلي إلى منكلي گراي خان يسمى طوچقف وكان الكيناز واسيلي يعتمد على صداقة منكلي گراي ولكنه لغاية شيخوخته كان لا يسمع كلامه ولا ينفذ أمره وكان أولاده قلبوا البولاتيكا (السياسة) إلى جهة أخرى فاغتر الكيناز واسيلي فيما اعتمد عليه حيث عقد حاكم ليتوا سيگزموند معاهدة مع قرم على أن يؤديهم كل سنة ١٥٠٠٠ ذهبًا وقد عجز عن ذلك[1] أسلافه أليكساندر وكازيمير فأعلن الحرب على الروسية بلا سبب وهجم على الروسية الأمير أحمد والأمير بورناش كراي ابنا منكلي گراي خان مع عساكر التتار في مارس من سنة ١٥١٢ م وقتلوا كثيرًا من الروسية في ولاية بيليف وأودويف ونهبوا وسلبوا. فكتب واسيلي إلى منكلي گراي خان يذكره المعاهدة والمواددة التي كانت بينهما من مدة مديدة ويحذره من وخامة عاقبة مواددته بالليتوا فكتب إليه منكلي گراي خان بأنه لا يرضى بما فعله أولاده وإنما فعلوا ما فعلوا بغير رضاه تابعين لهواهم بمقتضى الشبابة.

ذكر وفاة منكلي گراي خان وجلوس ولده محمد گراي خان مكانه ومعاملته مع الروسية

وفي ذي الحجة سنة ٩١٩ هـ توفي منكلي گراي خان القرمي عن سبعين ٧٠ سنة وكان مدة حكومته ٤٧ سنة مع وقوع الانفصالات في أثنائها كما عرفت ولم يقع منه شيء يذكر به سوى إمداده وإعانته الروسية وإحيائه إياها كما مر ومحوه خانية سراي وقد قيل إن طبعه كان ميالاً إلى إنشاء الشعر ومن جملة أشعاره هذه الأبيات:

فراقكدين بنم حالم صورار بولسانك اكرجانا
كوكلده نار وكوزده أب ودلده آه اولورپيدا
سننك مرغ خيالنكني ايچنده اصرامق ايچون
بولو بدر كرپكم برله قفس بوديده بينا
منم أول خان منكلش كيم محبت ملكي شاهي من
جهاننك ملك وماليته غرورم يوقدرر أصلا

(١) يعني عقد المعاهدة مع حكومة قرم كما عرفت مما سبق. منه عفي عنه.

سامحه الله سبحانه وغفر له. ولما توفي جلس مكانه أكبر أولاده وولى عهده محمد گراي خان.

قال كارامزين بعد ذكر وفاة منكلي گراي خان وجلوس ولده محمد گراي خان مكانه: إن واسيلي كان يحق له أن يبكي على موت منكلي گراي خان دمًا فضلاً عن الدمع ولكنه لم يكن لواسيلي كما كان لإيوان لشيخوخته وخروج الأمر من يده ولذا كان يؤمل من الخان الجديد المقتدر أكثر ما يؤمل منه من منافع الروسية ولكن لما جلس محمد گراي خان مسند الخانية ظهر خلاف ما أمله واسيلي فإنه لم يكن يشبه أباه قط لا في العقل ولا في الأخلاق ولا في التدبير ولا في الديانة وكان لقب رئيس قطاع الطريق أولى به من لقب الخانية فإنه وإن أعاد سفير الروسية طوچقف إلى موسكوا بوعده المواددة والمصالحة في ابتداء جلوسه إلا أنه أخذ بعد ذلك من حاكم (لبستان) ليتوا سيكزموند مبلغًا كثيرًا من النقود وعقد معه الاتفاق ثم أرسل إلى الكيناز واسيلي واحدًا من خواصه يسمى دووان برسالة فيها رذالته وحقارته حيث كلفه بتكاليف بعيدة عن الوهم والخيال فضلاً عن العقل حيث كتبه أنه يعني واسيلي لما أخذ بلدة اسمولينسكي من ليتوا (لهستان) فقد نقض عهده مع منكلي گراي خان فإنه كان أعطاها سيكزموند وكتب أيضًا كأنه جزاء لنقض العهد بتكليف تخلية بلاد برانسكي وأسطاري دوب ونووغورد وپوتيويل وغيرها وبتخلية سبيل كافة أسراء قرم ويطلب جزية بلدة أودويف ويطلب أيضًا هدايا ثمينة مع نقود كثيرة وكتب أنه إن لم يقبل هذه التكاليف كلها فليس عنده إلا السيف البتار وفرسان التتار وكلما اجتهد الكيناز واسيلي في تحصيل موددته وترك هذه التكاليف لم يؤثر قط حتى أطلق عبد اللطيف خان من الحبس لتطييب خاطره وراجع إلى كبراء أمراء قرم وقالغاي أحمد گراي الأعرج لاستمالته إليه وأرسل إليه الكيناز مامونق سفيرًا من عنده يعرض عليه أنه مستعد لخدمته وإمداده في جميع شؤونه كما في حياة أبيه منكلي گراي خان إن انفصل من سيكزموند حاكم ليتوا فإن هذه التكاليف كانت كلها لأجله ولا خير في مودته وأرسل معه هدايا كثيرة لكن ما العلاج فإن عساكر قرم كانوا يغيرون على البلاد التي بساحل بحر أزاق وبلدة ميشير ثم إنه وفق لتحصيل الاتفاق معه بعد اللتيا والتي إلا أنه كان لا يقيم على عهده ولا يفي بوعده فإن ولده بهادر گراي أغار على بلاد الروسية بعسكر قرم وخرب كثيرًا منها ثم عاد بغنائم وفيرة حتى صارت قرم غنية بها فكتب الكيناز واسيلي يعلمه بذلك فكتب في جوابه يعتذر إليه أن بهادر گراي ولد شاب تابع لهواه فعليه أن يعفو عنه ثم أرسل واسيلي سفيرًا خاصًا إليه يسمى البويارشادرين

فاستمال قلبه إليه بعد جهد بليغ بواسطة أمه التي حجت وبعض إخوته وأمرائه بمواعد كاذبة وحمله على محاربة لهستان ونقض عهده معه مع أنه كان قد أخذ من سيكزموند حاكم ليتوا أربعين ألف ذهب لعداوة الروس وصنيعه هذا ما كان على وجه محاربة جدية بل لعلمه بأنه إن أنجد واسيلي يبرطله سيكزموند وإن أنجد سيكزموند يبرطله واسيلي.

ذكر مرض محمد أمين خان وتعيين أخيه عبد اللطيف خان لولاية العهد

قال كارامزين في خلال وقائع طويلة تتعلق بمحمد گراي خان وتلونه في سنة ١٥١٦ م ٩٢٢ هـ: وفي ذلك الوقت عرض لمحمد أمين خان مرض شديد عجز الأطباء عن دوائه وهو أنه تورم جميع بدنه من رأسه إلى قدمه وسال منه الدم والقيح فأرسل إلى الكيناز واسيلي هدايا ثمينة يسترضيه ويستحل منه لأنه خاف أن يكون مرضه هذا لأجل غدره ونقضه العهد وسفكه دماء كثيرة بغير حق مخالفًا للشرع الشريف ومن جملة ما أرسله ثلاثمائة خيل بسروج مزركشة وسيف ملوكي مرصع بالجواهر وطنافس منسوجة بالذهب ومرصعة بالجواهر وخيمة ملوكية مزخرفة وكانت تلك الهدايا كلها وردت إليه من ملك الفرس فأرسلها إلى واسيلي كما هي فكانت لها أهمية عظيمة عند واسيلي وكان وقتئذٍ في موسكوا كثير من التجار الأجانب فلم يقدر أحد منهم أن يقومها وكان من جملة مطاليب محمد أمين خان أن يعين أخاه عبد اللطيف خان خانًا بعده مكانه فقبله واسيلي مع علمه بأنه لا يجيء منه خير له قط وكتب براتًا بذلك وأرسل ذلك البرات إلى قزان مع طوچقف وحلف عليه محمد أمين خان والأمراء وسائر الناس.

ولما بلغ محمد گراي خان القرمي مرض محمد أمين خان ساءه ذلك وضاق صدره لأنه خاف أن ينصب الكيناز واسيلي خانًا في قزان من بريده لكونه قريبًا من قزان فربما ينصب من مخالفيه فيقطع مناسبته بقزان بالكلية فأرسل إلى الكيناز واسيلي واحدًا من خواصه يدعوه إلى الاتفاق والمواددة معه وأن يعين عبد اللطيف خان ولي عهد لمحمد أمين خان وأن يجعل ولد نور دولت بدل شاه علي ببلد ميشير فيكون هو أيضًا صديقًا إياه على ليتوا ويرد جميع أسارى الروس فقبله الكيناز واسيلي بعد تردد كثير وأعاد سفيره لإعلامه بقبوله وبينما هو منتظر لورود سفير جديد للتصديق على المعاهدة المذكورة إذ بلغه أن عساكر قرم قد دخلوا بلدة تولا وانتشروا بولاية رزان

وذلك بإغراء سيگزموند حاكم لهستان إياه بإعطاء نقود كثيرة وكان ذلك في حدود سنة ١٥١٧ وقد قاست الروسية ولهستان في تلك السنين من القرميين شدائد كثيرة إلى أن أخرجهم الكيناز شماكين بعد مدة من بلدة پوتيوپل.

ذكر وفاة عبد اللطيف خان ولي عهد محمد أمين خان

قال كارامزين: وفي سنة ١٥١٨ م وسنة ٩٢٤ هـ توفي عبد اللطيف خان بموسكوا فساء ذلك الكيناز واسيلي لأنه كان كالآلة والرهن بيده في أمور قرم وقزان وإن كان فكر محمد گراي خان أن يتداخل في أمور قزان بل أن يستولي عليها بواسطة عبد اللطيف خان وعلي حاجي طرخان أيضًا.

قلت: ومن أحاط علمًا بسياسة الكيناز واسيلي أولاً وآخرًا لا يصعب عليه استخراج أسباب موت عبد اللطيف خان رحمه الله تعالى في مثل ذلك الطرف.

قال: ولما سمع محمد گراي خان موت عبد اللطيف خان أرسل إلى واسيلي واحدًا من أعز وكلائه وأحبهم إليه يسمى الميرزا آپياق يطلب منه أن يعين أخاه صاحب گراي خان ولي عهد لمحمد أمين خان الذي هو أخوه لأمه فإن منكلي گراي خان لما تزوج نور سلطان بكه بعد إبراهيم خان ولد له منها صاحب گراي خان وكان الميرزا آپياق وقت ملاقاته الواسيلي متعممًا فلم يخرج عمامته من رأسه فتغير وكلاؤه من وضعه هذا كثير تغير لكونه مخالفًا لعادة النصارى وقالوا له: لست أنت بحاج ولا من العلماء أرباب العمائم فلأي شيء لا تخرج عمامتك من رأسك فقال: إني زرت قبر النبي محمد عليه الصلاة والسلام بأمر الخان ولهذا لا أرفع عمامتي من رأسي فتم هذا الصلح على مراد محمد گراي خان بالتمام وصدر اليمين من طرف خان على محاربة لهستان ومن طرف واسيلي على محاربة حاجي طرخان وحلف الكيناز واسيلي والميرزا آپياق متقابلين ولكن لو كان لهذه اليمين حكم نرى ماذا يظهر بعد ذلك.

ذكر وفاة محمد أمين خان

وفي سنة ١٥١٩ م وسنة ٩٢٥ هـ توفي محمد أمين خان من مرضه المذكور ولم يعقب ولدًا وكذلك أخوه عبد اللطيف خان فانقطع نسب ألوغ محمد خان بموتها في قزان وكان مجموع مدة تملكه وأولاده بقزان ٨٥ سنة وهم سبعة أنفار فبموته بلغت قزان حالة الاحتضار كما عرض له المرض بأسر إلهام خان وتولية محمد أمين خان فإن الخوانين الذين تملكوا بعدهم لم يدافعوا عنها حق المدافعة ولم يبذلوا جهدهم في

تحسين أحوالها وترقية أمرها وتهيئة أسباب محافظتها وتأمين استقبالها كما ينبغي بل كانوا يرون كونهم خانًا بها من قبيل النفي والتغريب لكون مطمح نظرهم في خانية قرم فأهملوا لذلك أمر قزان إهمالاً كليًا وبقيت قزان على احتضارها مدة سنة ٣٤ هـ كما ستقف عليه وكانت مدة خانية محمد أمين خان في النوبة الأخيرة نحوًا من ١٧ سنة[١] رحمه الله تعالى.

ذكر نقض واسيلي عهده مع محمد كراي خان ونصبه شيخ علي خان خانًا في قزان

قال كارامزين: كان موت محمد أمين خان سببًا لحصول اضطراب شديد وتشويش عظيم للكيناز واسيلي فإن أهل قزان من الأمراء والأعيان ومقربي الخان أرسلوا إلى واسيلي يطلبون منه خانًا لهم وقد مر معاهدته مع محمد گراي خان فإن نصب صاحب گراي خان ابن منكلي گراي خان خانًا لهم بموجب عهده مع محمد گراي خان يكون ذلك تقوية له بتسليم قزان وحاجي طرخان إلى يده فيجيء بذلك سلطنة باطو الساقطة ويستعبد الروسية ثانيًا كما في السابق وإن لم ينصبه خانًا يلزم نقض العهد معه وحصول عداوة بينهما فيتفق مع عدوه ليتوا ويفعل بالروسية ما يشاء ولم يكن الوقت مساعدًا للموازنة وطول التردد والتفكر ولم يكن بد من اختيار أحد الأمرين إما البقاء في عبودية التتار إلى الأبد وإما التخلص عنها بالكلية فأرسل إلى قزان أحدًا من خواصه يسمى ميخايل بن يوري التويري يخبر أهل قزان بأنه عين للخانية لهم الشيخ علي ابن الشيخ الله يار حفيد أحمد خان الذي هرب من شرور خوانين قرم من حاجي طرخان أيام أبيه إيوان أعطاه بلدة ميشير وكان يقيم بها رئيسًا وكان متطبعًا بطبيعة الروس ومتخلقًا بأخلاقهم جاريًا على سياستهم فرضي أهل قزان بذلك واستعدوا لمجيئه وأرسلوا طائفة من العسكر لاستقباله فأرسله واسيلي إلى قزان مع ديميتري بيلسكي فأجلسوه على كرسي سلطنة قزان وحلف الأهالي كلهم على الطاعة والصداقة ولم يبال واسيلي بنقض عهده مع محمد گراي خان فإن نقض عهد المسلمين ليس قبيحًا عند النصارى كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [التوبة:

(١) قال الفاضل المرجاني: إن محمد أمين خان أوصى أن يكون أخاه لأمه صاحب گراي خان خانًا بعده وظاهر الحال يقتضي صحة هذا القول وذكر كارامزين خلافه أنه أوصى بأن يطلبوا الخان من إيوان وقال المرجاني أيضًا أن محمد خان الشيباني أول من ملك ما وراء النهر من الأوزبكية أرسل إلى محمد أمين خان من مشاهير مغنيه الغلام شادي العودي. منه عفي عنه.

الآية ١٢] ولو صدر مثله من المسلمين لملؤوا الصحف والآفاق بتقبيحه وتشنيعه وشتمه.

وفي تلك الأثناء كان الميرزا آپياق سفير محمد گراي خان مقيمًا بموسكوا فلام واسيلي على فعله هذا وقال لأي شيء نصبت حفيد أعدائنا أحمد خان خانًا بقزان فهل يليق بك أن تملك شيخ علي خانًا بقزان مع وجود من أولى منه بخانية قزان عندنا من أولاد منكلي گراي خان وقد عاهدتنا بذلك فلم غدرت ونقضت عهدك فقال له واسيلي: سبق السيف العذل وكان ذلك على رغم مني فإني قصدت أن أنصب أخا محمد گراي خان أو ابنه خانًا بقزان واجتهدت في ذلك إلا أن أهل قزان أبوا أن يملكوا على أنفسهم سوى شيخ علي خان وعزموا على جلب أحد من أولاد خوانين نوغاي أو حاجي طرخان على تقدير صدور خلاف ما طلبوه فخفت أن يملك قزان واحد من أعداء محمد گراي خان وأعدائي فنصبته خانًا لدفع ذلك المحذور بالضرورة لا لأجل عداوة محمد گراي خان فسكت الميرزا آپياق وبينما هم في تلك المحاورة إذ بلغ الخبر أن قالغاي بهادر گراي هجم إلى لهستان بثلاثين ألفًا من عسكر التتار ووصل إلى بلدة كراكو بعد أن استولى على البلاد التي قبلها وهزم القائد كتمان قنسطنطين الأستروژي وأسر منهم ستين ألفًا وقتل كثيرًا ورجع إلى قرم بغنائم وافرة وكان محمد گراي مقتدرًا أن يفعل بالروسية مثل ما فعل بالليتوا إلا أنه صبر سنتين إما لمعاهدته وإما لأمر آخر ورجع الميرزا آپياق إلى قرم مستغرقًا بإحسان واسيلي إليه في مقابلة خيانته مع سفير جديد من طرف واسيلي يسمى بويارين فيودر كيليمينتف مكان السفير السابق پرونسكي ومع هدايا كثيرة لمحمد گراي خان ليضيع بصره ويستر بصيرته بها.

قال: وفي تلك الأثناء أرسل واسيلي سفيرًا إلى قسطنطينية للسلطان سليم خان لما اطلع أن محمد گراي خان يخافه بل كان أهل الدنيا كلهم يخافونه يسترحم منه أن يمنع محمد گراي خان من الإغارة على الروسية فعاد السفير المذكور منها مقضي المرام فإن السلطان المشار منع محمد گراي خان من الإغارة على الروسية وأذنه بالتجارة بها والإغارة على ليتوا ولهستان فامتنع محمد گراي خان من الإغارة على الروسية بالضرورة لأجل خوف السلطان ولما توفي السلطان المشار إليه في سنة ٩٢٦ هجم محمد گراي خان على الروسية كالأسد الضاري بلا إمهال فقتل ونهب وأسر وسلب وأحرق وخرب وانتقم منها لأجل نقض عهده ففرح به سيگزموند غاية الفرح وكانت نتيجة ذلك الهجوم مضرة على الروسية جدًا فأرسل واسيلي سفيرًا إلى السلطان

سليمان بسرعة يسمى تريتياق غوبين مع هدايا لأجل التبريك بالجلوس على ما عليه العرف والعادة والشكاية من محمد گراي خان فأرسل إليه السلطان يأمره بترك الإغارة على الروسية فأرسل إليه محمد گراي سفيرًا خصوصيًا يقول له: إن الروسية تراسل ملوك العجم وتمدهم بالسلاح والميرة وتريد أن تستأصل الإسلامية من ممالك الإسلام وتبنى الكنائس في محال الجوامع بها فلم يسمع كلامه ولم يؤثر في السلطان أدنى تأثير لكون ظهير واسيلي ونصاره باشوات كفه وقد ملأ واسيلي جيوبهم بالذهب فأبلغوا السلطان ما يسيء محمد گراي خان ثم قال له محمد گراي خان: من أين نتعيش نحن إن لم نغر على الروسية فقال له السلطان: بالإغارة على لهستان مملكة سيگزموند.

ذكر خانية صاحب گراي خان بن منكلي گراي خان القرمي بقزان وطرده منها شيخ علي خان

قال كارامزين: ولما آيس محمد گراي خان من استحصال رضى السلطان وجه وجهة همته إلى جهة قزان وصار يخابر من بها من الأمراء والأعيان ويغريهم بشيخ علي خان وقد كانت قلوب أهل قزان منحرفة عنه أيضًا لأجل تمايله إلى الروسية في جميع شؤونه فاتفقوا معه على قبول صاحب گراي خان متى جاء إلى قزان وطرد شيخ علي خان منها ففي سنة ١٥٢١ م وسنة ٩٢٨ هـ وصل صاحب گراي بمقدار من عسكر قرم إلى قزان ودخل فيها بغتة وجلس على سرير السلطنة وحبس شيخ علي خان مع قارپوف شحنة الروس بها وواسيلي بن يوري سفير الكيناز واسيلي بها وكذلك تجار الروس أيضًا بعد أن أخذ أموالهم ولكنه لم يقتل منهم أحدًا ثم أذن لشيخ علي خان أن يذهب بعياله أين شاء وهذا لكونه من نسب توقتاميش خان[1] فخرج شيخ علي خان من قزان وذهب إلى موسكوا مع صيادي السمك من نهر وولغا بقرب قزطاغي ولما دخل حدود الروسية استقبلته الروسية كل مكان بالترحيب والتعظيم ولما قرب من موسكوا استقبله كبراء الأمراء من قصر واسيلي بالتعظيم وصافحه الكيناز واسيلي وعانقه وتباكيا وقال له الكيناز واسيلي: الحمد لله تخلصت سالمًا وفي ذلك كفاية وشكره على صداقته وأهدى إليه بهدايا عظيمة ووعده بإعادته إلى خانية قزان ثانيًا وسلاه بأمثال هذا الكلام وكانت مدة خانيته في هذه النوبة ثلاث سنين.

---

(١) وهذا يؤيد ما مر من الحاج عبد الغفار أفندي أن السيد أحمد خان ولد جلال الدين خان ويؤيده أيضًا بعض عبارات السبع السيار أيضًا. منه عفي عنه.

ذكر هجوم الضرغامين محمد گراي خان القرمي وصاحب گراي خان القزاني على الروسية

قال كارامزين: وبينما يحكم الكيناز واسيلي بتلك الرؤيا الخيالية إذ بلغه أن محمد گراي خان اتفق مع طوائف نوغاي ولهستان وهجم على الروسية بالشدة بغتة فأرسل عسكر المقاومة تحت قيادة الكيناز بيلسكي والكيناز آندري أخي الكيناز واسيلي وكانا غير عارفين بفن الحرب ولم يطيعا لمن هو عارف به فلم يلبثا أمام عسكر الخان إلا قليلاً ثم هربا بمن معهما وقتل في تلك المعركة الكيناز ولاديمير الكوروبي وشرميتف وسائر الشجعان وأسر فيودر الآبوليني فتحير الكيناز واسيلي واندهش فإن صاحب گراي خان القزاني كان قصد الروسية من جهته فاتحد عسكر قزان بعسكر قرم في قرب قولومنا فقتلوا وأسروا ونهبوا وخربوا كيف شاؤوا ولم يصدر في عهد باتو وتوقتامش خان أزيد من ذلك ولا يعلم عدد القتلى والأسرى إلا الله وخربوا الكنائس ونهبوا ما فيها من الفضة والذهب واستغرقوا في الغنائم ثم سار العسكر المذكور بهيئتهم الاجتماعية إلى موسكوا فهرب منها واسيلي وسلمها لختنه المرتد پيطر وشيطان قلي وذهب إلى بلدة وولوق فاندهشت أهل موسكوا وزلزلوا زلزالاً شديدًا وطفق من بأطراف موسكوا من الروس يهربون إلى موسكوا مع أحمالهم وأثقالهم ولما كان ٢٩ من تموز (يوليه) من السنة ٩٢٨ المذكورة هـ، إذ ظهر الخان مع عسكره على مسافة عدة أميال من موسكوا وعسكر فيها وقد امتلأت أزقة موسكوا بالعجلات والأحمال والأثقال والأهالي صغيرهم وكبيرهم في الالتجاء إلى كريملە باكين متدافعين ومتزاحمين والمطران والقسيسون في طلب النصرة من آلهتهم حاملين صلبانهم وأصنامهم وبالجملة كانت أحوالهم أنموذجًا من القيامة فالتجؤوا لأجل المدافعة عن موسكوا لواحد من نمسة كان عارفًا باستعمال المدفع وماهرًا فيه ولكن لم يكن له بارود ومن طرف آخر وقع الموت بين الأهالي في كريملە من الكثرة والزحام فساد الهواء يقول هنا واحد من الأجانب إن أهل موسكوا لما آيسوا من المقاومة أرسلوا إلى الخان سفيرًا من طرفهم بهدايا كثيرة وأموال يسترحمون منه الصلح وترك القتال على أنهم يؤدون له الجزية كما في السابق فرضي الخان وكتبوا بذلك عهدًا وأرسلوه إلى واسيلي للتصديق عليه فصدق عليه وختمه بختمه بغاية الفرح والابتهاج فرجع الخان مع عسكره إلى قرم وتعرض في ممره إلى رزان فصده عنه واليها خابار سيمسكي مع واحد من نمسة ماهر في استعمال المدفع فرجع إلى قرم مسرعًا من غير أن ينتقم منها لأنه سمع أن أهل حاجي طرخان تعرضوا على قرم فتخلصت الروسية من هذا البلاء

العظيم ولم يؤده شيئًا من الجزية التي التزمها وأحسن واسيلي بعد رجوعه إلى موسكوا من مهربه إلى ذينك المدفعيين النمسويين لتخليصهما الروسية من ذلك الشر العظيم. وكان هجوم التتار هذا مصيبة كبرى في وقت الكيناز واسيلي فإنهم خربوا فيه جميع البلاد الكائنة بين نيژني تووغوردو وورونژ إلى نهر موسكوا بالتمام وقتلوا كثيرًا وأسروا كثيرًا وباعوا هؤلاء الأسارى في كفه وحاجي طرخان وعد بقاء موسكوا سالمة من أكبر الخوارق فعملوا لذلك عيد الصليب وبنوا مناستر سيريتينيا يعيدون فيه ثلاث مرات في كل سنة للصليب لسلامة موسكوا من هجوم تيمرلنك وهجوم أحمد خان وهجوم محمد گراي خان هذا وبينما أهل موسكوا في هذا الشغل إذ سمعوا أن محمد گراي خان أمر بتحشيد الجيش فاستعد واسيلي أيضًا للقائه ولكنه لم يهجم ففرق واسيلي أيضًا عساكره في آغستوس.

قال: وفي سنة ١٥٢٢ م وسنة ٩٢٩ هـ هجم محمد گراي خان إلى حاجي طرخان فأخذها من يد حسين خان فحصل بذلك مقصد محمد گراي خان الذي هو توحيد قرم وقزان وحاجي طرخان وكان يهتم لذلك كثير اهتمام ومع هذا كان مركوزًا في قلبه أن يضم خانية نوغاي وخيوه ودشت قفچق وسيبريا إلى خانية قرم[1] ثم محو خانية العجم بالكلية ثم تهديد أوروپا بعد ذلك. وكان واسيلي مطلعًا على ذلك باليقين فلو بذل محمد گراي خان أدنى همة وغيرة في ذلك واتفق مع ليتوا وجعله معينًا لنفسه لم تكن أدنى شبهة في تحصيل مرامه ذلك بغاية السهولة حتى في استيلائهما على موسكوا ولكنه كان يضيع ما حازه بشجاعته في أقرب مدة لعدم تدبيره.

قلت: نعم الفكر هذا لو تم فإنه فكر ياوز سليم خان رحمه الله تعالى وكأنه انعكس منه إليه ولكنه ما تم فتم على أهل الإسلام ما تم ولقد صدق من قال في حق أهل قرم أنهم وإن استولوا على ما يهجمون عليه ببسالتهم ولكنهم عاجزون عن ضبط ما يستولون عليه وحفظه لقلة تدبيرهم ومهارتهم في الضبط والحفظ وهذه فراسة صحيحة في حقهم فإنهم كم مرة استولوا على بلاد الروسية ولهستان ولكنهم لم يقدروا أن يضبطوا واحدًا من تلك البلاد حتى أنهم كسروا الروسية بعد استيلائها على قزان مرارًا كثيرة ولم يستردوا قزان ولم يكن أحد منهم قط في هذا الفكر بل كان جل قصدهم من الهجوم عليهم هو جمع الغنائم والتعيش بها والمدافعة عن بلادهم فقط.

---

(١) لو وحد تلك الخانيات وضبطها لرضينا عنه أحسن الرضا وإن لم يضم إليها سواها ولكن لم يحصل ما تمناه. منه عفي عنه.

قال كارامزين: ولذلك أي لأجل كون واسيلي مطلعًا على أغراض محمد گراي خان السابقة التزم أن يفصل قزان عن حكومة محمد گراي خان بأي وجه كان فإن ذلك كسر لأحد جناحيه يعني أنه كان يغري أمراء قزان بصاحب گراي خان ويعدهم بمواعيد كاذبة ويمنيهم بأماني فارغة يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا حتى ظهر سوء نتيجته بعد مدة بطرد صاحب گراي خان كما ستطلع عليه.

قال كارامزين: ولما استولى محمد گراي خان على حاجي طرخان في العام المذكور وسمع ذلك صاحب گراي خان القزاني قام وقتل سفير الروسية وكافة تبعة الروس واستولى على أموالهم ولما بلغ هذا الخبر المر الروسية اندهشت جميع الروسية ولكن لما بلغهم بعيد ذلك قتل محمد گراي خان بحاجي طرخان أنساهم ذلك مرارة ذلك الخبر السيىء.

ذكر قصد الروسية بلاد قزان ورجوعهم عنه بخفي حنين

قال كارامزين: بعد بيان الاختلال الواقع بقرم بعد قتل محمد گراي خان وتملك أخيه سعادت گراي خان فيها بعد اللتيا والتي وعقد واسيلي معه الاتفاق في الظاهر فكتب واسيلي بعد تطمين خاطره من جهة قرم إلى صاحب گراي خان يوبخه على ما صدر عنه من قتل سفيره وتجاره ويهدده بالحرب ويقول: إن الملوك إنما يحاربون في دائرة الناموس والقانون ولا يقتلون السفير والتجار وأنت قتلت السفير والتجار وخرقت القانون والناموس فأنت مسؤول به ومحكوم فليس بيني وبينك إلا الحرب ثم ورد بنفسه إلى نيژني نووغورد في أول ربيع من سنة ١٥٢٣ م وسنة ٩٣٠ هـ فأرسل عسكرًا منها إلى قزان مع شيخ علي خان والكيناز واسيلي شويسكي من نهر وولغا بالسفن وأرسل القائد باريس غارباتي مع الخيالة والفرسان ولما اتحد هؤلاء القواد بقرب قزان فعلوا فيها من الشنائع ما لا يوصف فقتلوا وأسروا ونهبوا وأحرقوا ولم يكتفوا بهذا بل بنوا على مصب نهر صور من نهر وولغا في أرض قزان بلدة سموها واسيلي صورسكي نسبة إلى الكيناز واسيلي وبنوا غير ذلك من القلاع والحصون في مواضع مهمة من أرض قزان والروس وضيقوا على أهل قزان تضييقًا شديدًا ومضى صيفهم ذلك بتلك الأشغال وأمنوا بذلك لهم الاستقبال ولم يشكوا في أنهم ملكوا قزان ولما دخل وقت الخريف وهجم البرد بعساكره وآن وقت دخول الهوام والحشرات إلى مساكنها ومقارها رجعوا إلى موسكوا بجموعهم على نية استئناف السفر والحرب في أول الربيع من العامل المقبل.

ذكر قصد الروسية بلاد قزان بالحرب في سنة ١٥٢٣ م وسنة ٩٣١ هـ ورجوعهم عنها أيضًا خائبين وانفصال صاحب گراي خان من قزان وخانية ابن أخيه صفا گراي خان بن محمود گراي خان بن منكلي گراي

قال كارامزين: لما استشعر صاحب گراي من نفسه العجز عن مقاومته عسكر الروس وتيقن أنهم يجيئون محاربته في أول الربيع أرسل إلى السلطان سليمان[1] سفيرًا يعرض عليه التبعية ويطلب منه الحماية من تعرض الروس لكونهم مسلمين وهو سلطانهم فقبل السلطان تبعيتهم ولكنه لم يرسل العسكر لحمايتهم بل أرسل إلى سفيره في موسكوا إسكندر اليوناني المنكوبي يعلمه بذلك يعني بتبعية مملكة قزان للسلطان ويمنع الروسية من التعرض عليهم فبلغه السفير السفيه الخائن الكيناز واسيلي ثم قال بعد أن ملأ الكيناز جيبه من الأصفر والأبيض أن قزان تابعة للروسية منذ عصر إيوان وليس في يد صاحب گراي خان أن يأخذها من يد أحد ويعطيها آخر يفعل فيها كيناز موسكوا ما يريد فإن صاحب گراي خان لا يحسن الإدارة ولا بد من تربيته وتنبيهه ففرح الكيناز واسيلي بذلك فرحًا زائدًا وأرسل في أول ربيع من سنة ١٥٢٣ م وسنة ٩٣١ هـ إلى قزان جيشًا كثيفًا عازمًا على إلحاق قزان في هذه النوبة بالروسية على كل حال وفيه كثير من كبار قواد الروسية أرباب الاقتدار مثل الإيوان بيلسكي وهو القائد العام للعسكر المذكور وغارباطي وزاخارين وسيمون القوربي وإيوان لياتسكي وخابار سيمسكي وهو رئيس الخيالة (الفرسان) ومع هؤلاء القواد مائة وخمسون ألفًا من العسكر ومعهم أيضًا شيخ علي خان فلما سمع صاحب گراي خان حركة الروس بتلك الكيفية وأيس من وصول إمداد إليه من السلطان ومن قرم خاف أن يقعد في قزان بل خرج عنها قائلاً للأهالي إني أذهب إلى السلطان وأجيء منه بالإمداد وخلف مكانه

---

(١) السلطان سليمان: هو السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني، ولد في شعبان سنة ٩٠٠ هـ الموافقة ٢٧ إبريل سنة ١٤٩٤ م. وهو عاشر ملوك آل عثمان. وقد بلغت السلطنة العثمانية في مدة سلطنته أعلى درجات الكمال، تولى السلطنة يوم ١٦ شوال سنة ٩٢٦ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٥٢٠ م، بعد وفاة والده السلطان سليم الأول الغازي الملقب بياوزاي القاطع. توفي السلطان سليمان القانوني في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ م. عن أربع وسبعين سنة قمرية، وكانت مدة ملكه ٤٦ سنة. (انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية للأستاذ محمد فريد بك المحامي ص ٧٩ ـ ١٠٩، وانظر أيضًا تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا ١/ ٢٦١ ـ ٣٥٧).

صفا گراي خان ابن أخيه محمود گراي خان وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة ١٣ سنة فتولى أهل قزان عن صاحب گراي خان لتركه إياهم في مثل هذا الوقت المهم الخطر ورموه بالجبانة والدناءة وبايعوا صفا گراي خان وشجعوه وحلفوا له على أنهم يقاتلون الروس لحفظه وحفظ الوطن ولإعلاء كلمة الله إلى أن لا يبقى منهم أحد وشرعوا في تحشيد العساكر من سرماتيا (چرمش) وچواش من أطراف قزان واستعدوا للمدافعة وفي سابع مارس من العام المذكور وصل عسكر الروس إلى قرب قزان وعسكروا في جزيرة من نهر إيدل (وولغا) فويق قزان تسمى غاستيني أوستروف وانتظروا وصول خيالتهم فيها عشرين يومًا وقد خرج عسكر القزان أيضًا إلى الميدان وعسكروا في مقابلتهم ولم يقع بينهما شيء سوى المناوشات اليسيرة فكتب شيخ علي إلى صفا گراي خان في تلك الأثناء بأن أترك القزان واذهب ولا تتسبب لسفك الدماء فأجابه صفا گراي خان تعال نحارب يخذل المغلوب ويتملك الغالب ففي عين الوقت المذكور احترق أحد أبراج قزان المبنى من خشب وصار رمادًا وبقي قواد الروسية ناظرين إليه ولم يحصل منهم أدنى حركة ولم يتجاسروا على الهجوم وأمهلوا لأهل قزان أن يطفئوا الحريق ويسدوا الخلل الواقع من الاحتراق.

وفي ٢٨ يوليه (تموز) حوّل الروسية معسكرهم إلى جهة قزان من إيدل وعسكروا بشاطىء نهيرة قزان ولم يقع أيضًا محاربة هناك ولكن أحرق أهل قزان كافة الغلال والحبوب والأرزاق التي في أطراف قزان لئلا تنتفع وتتقوى بها الروسية وقد نفد في الوقت المذكور أرزاقهم ولم يبق معهم إلا النزر اليسير وأخذوا جميع الطرق والمعابر وقطعوا خط رجعتهم وطرق مواصلاتهم ومخابراتهم فانتشر بين عسكر الروس في الوقت المذكور أن عسكر التتار شتتوا شمل خيالة الروس وفرقوا جمعهم فاستولى على قواد الروس من الخوف ما لا يوصف حتى غابوا عن حواسهم ولم يدروا ماذا يصنعون وهموا أن ينزلوا بسفنهم إلى نهر قاما دون أن يذهبوا إلى جهة فوق لأن عسكر التتار وچرمش قد ضبطوا جهة الفوق وأما الجهة السفلى فهي شاغرة خالية من العساكر فيتركون سفنهم في نهر قاما ويذهبون إلى بلادهم من طريق واتكا من البر وبينما هم في هذا الفكر إذ تحققوا بأن القائد خابار سيمسكي مع الخيالة على مسافة عشرين ويرسته (ميلاروسيا) من قزان بساحل نهر سوبياغ وأن أصل الخبر المنتشر أن عسكر چرمش تعرضوا على خيالتهم وشتتوا شمل مفرزة منها ثم إن القائد المذكور طردهم وحرق صفوف عسكر قزان وتعداهم بالقوة ولم يلبث إلا قليلاً حتى لحق بالمعسكر العام فزال بذلك خوفهم واطمئن خاطرهم.

قلت: فلو صدر في الوقت المذكور أدنى حركة من أهل قزان لتم النصر لهم ولكن لم يكن لهم خبر من حال العدو.

قال: وكان إيوان پاليتسكي يجيء من نيژني نووغورد من طريق وولغا بسفن كثيرة مشحونة بذخائر وعساكر وآلات حرب نارية وبارود فلم يفز المذكور مثل فوز القائد خابار سيمسكي بل صادف موانع وعوائق كثيرة حتى تلف جميع ما عنده ولم ينج إلا بروحه مع قليل ممن معه من العساكر وذلك أن چرمش قد ضبطوا مواضع مهمة من جوانب إيدل (وولغا) وسدوها بالأحجار والأخشاب وتركوه غير قابل لمرور السفن فطفقت السفن يضرب بعضها بعضًا فتتكسر وتغرق وكانت الچرامشة يقتلون الروسية بالرمي بالسهام والأحجار والأشجار الكبار من الجانبين فقتل منهم ألوف كثيرة أكثرهم بالغرق فأصابهم بذلك ضرر كثير حتى صار مثلاً يضرب بين الروس (لس آدنا استرونا چيرميه آلس دروغوي بيريكيسيا СЪ ОДНОЙ- СТОРОЙЫ УЙРМЕССЫ, а СЪ ДРУГОЙ ОЙРГССЫ. يعني من جهة چرامشة ومن جهة نهر وولغا وساحله فترك پاليتسكي سفنه مع كافة ما فيها ولحق بنفسه مع قليل ممن معه بمعسكر الروس فغنمت الچرامشة والتتار جميع ما في السفن من الذخائر وآلات الحرب النارية كالمدافع والبنادق والبارود وسائر المهمات والنقود وبدأ القتال بين الفريقين بعد اجتماع عساكر الروس بقرب قلعة قزان ١٥ في آغسطوس فقتل أمهر طوپچية قزان في اليوم الأول فوقع الخوف العظيم على أهل قزان من ذلك حتى لو هجمت الروسية في الوقت المذكور لوقع الانكسار على عسكر قزان ولكن الله سلم حتى طلبت عساكر نمسه وليتوا الذين كانوا في عسكر الروسية بالأجرة الهجوم على قزان ولكن كانت قواد الروس يستشعرون في أنفسهم الضعف وكان قد استولى عليهم الخوف بأنواع الاحتمالات فلم يأذنوا لهم بالهجوم بل قرروا الأمر على الصلح.

قال كارامزين نقلاً عن المؤرخين: ولقد استولى الخوف العظيم على أهل قزان بعد وقعة خابار سيمسكي حتى جمعوا كثيرًا من الذهب والفضة واستعدوا للذهاب إلى موسكوا عند الكيناز واسيلي لطلب الصلح منه ولكن قواد العساكر أبوا الحرب وجنحوا للسلم من غير سبب.

وقال بعضهم: وقع المرض والموت على عسكر الروس ولذلك أبت القواد عن الحرب واغتنموا الرجوع قبل الهزيمة بهجوم التتار فرجعوا بأمراض وموتان في عسكرهم بدل الغنيمة والفتوح وقد مات أكثر من نصف عساكرهم في الطريق فصاروا

مصداق قول العرب: رجع فلان بخفي حنين بل لقولهم: ذهب الحمار يطلب القرنين فرجع بلا أذنين. وقد صار القائد العام إيوان بيلسكي مظهرًا لقهر الكيناز واسيلي إلا أنه عفى عنه بشفاعة مطران موسكوا ثم جاء من طرف قزان سفراء إلى موسكوا بهدايا كثيرة يطلبون منه الصلح وتصديق خانية صفا گراي خان على أن تكون قزان تابعة للروسية صورة وظاهرًا كالأول فقبل الكيناز واسيلي منهم ذلك بعد أخذ الرهائن منهم على عدم القيام على الروسية إما لحقن الدماء أو لجهالة المستقبل ثم منع بعد ذلك تجار الروسية من الذهاب إلى قزان وقت السوق المخصوص الذي كان يجتمع فيه تجار الروسية وآسيا في وسط صيف من كل سنة لمبادلة أموال آسيا بأموال الروسية كما مر ذكره في وقعة محمد أمين إما إضرارًا بأهل قزان وإما خوفًا منهم على تجارهم وعين للمبادلة المذكورة موضعًا من الروسية بنيژني نووغورد فهي جارية فيها إلى الآن تسمى بمكاريا يجتمع فيها تجار الدنيا ولكنه أضر بالروسية في الجملة في ضمن أضرار أهل قزان فإن الأشياء التي كانت ترد من الروسية إلى قزان انقطع ورودها إليها خصوصًا الملح وكان السمك المملح يرد إلى الروسية من قزان فلم يرد إليها منها بعد ذلك سمك واحد لاحتياجهم إلى الملح فتضررت الروسية بذلك ضررًا كثيرًا فدام الصلح بينهما مدة خمس سنين ولم تحدث فيها ما يكدر الصفو.

ذكر حركة أهل قزان وقيامهم على الروسية وسوق الكيناز واسيلي عساكره عليهم ورجوعهم أيضًا بلا نيل المرام

قال كارامزين بعد بيان وقائع قرم وانفصال سعادة گراي خان عن خانية قرم وجلوس صاحب گراي خان الذي كان خانًا بقزان سابقًا على تخت قرم مكانه: إن أهل قزان كانوا في الوقت المذكور على سكونة وقد صلحت أحوالهم وانتظمت أمورهم وإن صفا گراي وإن كان على عداوته للروسية بموجب شبابته إلا أن أهل قزان كانوا يجبرونه على الهدنة والسكونة ورعاية الصلح دائمًا حتى صار مجبورًا لتجديد العهد والصلح مع الكيناز واسيلي فأرسل إليه سفيرًا لذلك في سنة ١٥٢٩ م وسنة ٩٣٦ هـ فأرسل الكيناز واسيلي إلى قزان الكيناز آندري الپيليموي لأخذ اليمين من صفا گراي خان وأمرائه وأهل قزان على الصداقة ففعل ثم أرسل واسيلي بعده الكيناز إيوان پاليتسكي السابق ذكره في الوقعة السابقة إلى قزان يقيم بها دائمًا على سبيل النظارة فلما وصل المذكور إلى نيژني نووغورد سمع فيها أن صفا گراي خان استمال أهل القزان إلى نفسه وجعلهم أعداء للروسية واتفق معهم على محاربتها ورفض العهد

السابق واستعد للقتال والمدافعة ولما وصل إلى قزان وجد الأمر كما بلغه فإن صفا گراي خان لم يلتفت إليه بل استحقره ونال من الكيناز واسيلي فخرج پاليتسكي من قزان في حينه ورجع إلى موسكوا وقص القصة على الكيناز واسيلي.

قلت: هذا قول كارامزين وعلائم التغيير لائحة فيه فإن العاقل كيف يصدق نقض العهد منهم بعيد تجديده وتوكيده من غير سبب مع أنهم كانوا يجتهدون في رعاية الصلح وحفظه مدة خمس سنين بشهادة المؤرخ المذكور نفسه أكان كلهم مجانين حيث يراعون الصلح في المدة المذكورة كلها ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ثم ينقضونه بعيد تجديده وتوكيده بلا سبب كيف يتصور صدور ذلك عمن فيه أدنى إدراك وما الذي منعهم من ذلك في تلك المدة قبل التجديد والتوكيد مع كونه أهون من نقضه بعد التوكيد وأي داع كان إلى إجبار خانهم على حفظ الصلح في المدة المذكورة كلها وكيف انقلبت آراؤهم كلهم دفعة واحدة ومن يصدق ذلك لا لا بل لا بد هنا من صدور شيء عن الروسية اقتضى قيامهم عليهم ورفض عهدهم لم يذكره المؤرخ سترًا لقبائحهم على ما هو عادته وعلى كل حال فقد انجر الأمر إلى الحرب والقتال.

قال: فغضب الكيناز واسيلي غضبًا شديدًا وجمع العساكر وأرسلهم إلى قزان من نيژني نووغورد في سنة ١٥٣٠ م وأواخر سنة ٩٣٦ هـ وفيهم من القواد المشاهير إيوان بن فيودربيلسكي السابق ذكره وهو القائد العام في هذه النوبة أيضًا وميخايل غلينسكي وغورباطي وقوبينسكي وأوباليسكي وغيرهم من ذوي الاقتدار وكان صفا گراي خان يستعد للقتال بغاية الحرص والشره لشدة عداوته للروسية ويبذل وسعه في ذلك حسب الإمكان وقد جمع العساكر من الچرامشة من أطراف قزان وجلب أيضًا من صهره مماي خان النوغائي ٣٠,٠٠٠ من فرسان النوغاي وضرب السور في أطراف قزان من بولاق إلى ميدان آرچه ومنه إلى نهر قزان وبنى في أطرافها أبراجًا وحصونًا وقلاعًا ورتب عساكره ترتيبًا جيدًا ولما وصل عسكر موسكوا هناك قاتلوهم قتالاً جيدًا وكانوا يقاتلونهم كل يوم في الميدان ويقع القتال تارة بين المشاة وتارة بين الخيالة وكان صفا گراي خان يحرض عساكره بالذات ويشجعهم على القتال ويبشرهم بالظفر والجنة فكان عساكره يبرزون من الشجاعة والبسالة والغيرة ما لا مزيد عليه ولكنهم كانوا يشتغلون في الليالي إما بالعشرة وإما بالنوم من غير حذر من الغد وفي ١٦ يوليه (تموز) من العام المذكور رأى الشبان من فرقة أوباليسكي ليلاً تحت ضياء القمر أن الحراس في برج من أبراج قزان قد ناموا فدهنوا الأخشاب اليابسة وسائر الأشياء القابلة

للاحتراق بالقطران والأدهان وجاؤوا بها إلى ذلك البرج وجاؤوا أيضًا بالحشيش اليابس وأشعلوا فيها النار ثم أخبروا به رئيسهم وسائر رفقائهم فدخل عساكر الروس إلى قزان من الفرجة التي حصلت من احتراق البرج المذكور لكونه من الخشب وهجموا على أهل قزان بغتة وصاروا يقتلونهم كيف شاؤوا وهم نيام فقتلوا منهم ٦٠,٠٠٠ سوى ما احترقوا بالنار وكان فيهم مشاهير الشجعان فقتل كلهم نيامًا خصوصًا الشجيع المسمى آتالق فإنه كان من الشجاعة بمكان لا يقاومه ولا يقابله أحد فانحاز صفا گراي خان بعد ذلك الواقعة إلى قلعة آرچه تخلصًا من ورطة الهلاك. وفي تلك الأثناء هجم عساكر الچرامشة على عساكر الروسية وقتلوا القائد فيودر أوبالينسكي وكثيرًا من فرقته وأخذوا ذخائر الروس ومدافعهم ومع ذلك كان يمكنهم أن يستولوا على قزان فإنه لم يبق فيها سوى ١٢٠٠٠ من عسكر قزان إلا أن القائد العام إيوان بن فيودر البيلسكي جنح إلى الصلح أيضًا وقد اتهم بأخذ كثير من النقود من أهل قزان لينصرف عنهم كما اتهم بذلك في النوبة الأولى فأمر العساكر بالرجعة إلى موسكوا رغمًا على إصرار سائر القواد والعساكر على المحاربة وتوجه إلى موسكوا بغاية السرعة لنيل الإحسان والإنعام من الكيناز واسيلي فإنه كان خاله فاستقبله الكيناز واسيلي على صورة الحيوان الوحشي بغاية القهر والغضب وبشره بالقتل لأنه ضيع فتح القزان مرتين بالارتشاء وهم بقتله إلا أنه عفى عنه أيضًا في هذه النوبة بشفاعة المطران ولكنه قيده ورماه في الحبس.

ثم قال كارامزين بعد نقله هذا عن بعض التواريخ وليس هذا في غيره من التواريخ: وليس إيوان بيلسكي ممن يظن فيه ذلك بل كان هو صاحب دراية وصداقة وقد تولى قيادة العسكر أيضًا بعد ذلك بثلاث سنين اهـ.

قلت: وهذا هو الصواب والذي قبله مبني على ستر ضعف الروسية وعوراتهم يعني أن رجوع عساكرهم بلا نيل المرام إنما كان من أجل خيانة قائدهم لا من ضعف عساكرهم وعجزهم.

ذكر انفصال صفا گراي خان عن خانية قزان وجلوس جان علي أو إينال أخي شاه علي خان بن الله يار حفيد أحمد خان مكانه

قال كارامزين: وبعد ذلك ورد إلى موسكوا من مشاهير أمراء قزان مثل الأمير تاغاي وإبراهيم وتيوكيل (توكل)[1] وغيرهم من المشاهير قبل أن يصل إليها عساكر

(١) والظاهر أن هذا أصل التفكيليين وإن قال بعضهم إن أصلهم من أمراء قريم وهذا القول يرى=

الروس يعتذرون إلى الكيناز واسيلي ويطلبون المصالحة والمهادنة وكان الكيناز واسيلي يعرف أنهم لا يوفون بعهدهم ولكن قبل كلامهم رعاية لمصلحة الوقت، وقال: أنا أقبل الصلح بشرط أن تقيموا أنتم هنا رهائن وأنا أرسل إلى قزان بعض أمرائي يأخذ من أهلها العهد واليمين وتردون أسارى الروس والمدافع والآلات التي أخذها الچرامشة فرضوا بذلك فأرسل الكيناز واسيلي إلى قزان سفيرًا لإتمام الأمور المذكورة والمعاهدة فلما امتثل السفير المذكور بين يدي الخان وقال له: ما شرطه الكيناز واسيلي في إتمام الصلح والمعاهدة رفضه وأمسك السفير عنده في مقام الرهن وكتب إلى الكيناز واسيلي بأنه لا يمكن إمضاء المعاهدة إلا بشرط أن ترسلوا الأمراء الذين استرهنهم إلى قزان وبشرط أن تطلقوا جميع أسارى قزان وبشرط أن تردوا المدافع التي أخذها القائد إيوان بيلسكي ثم ترسل إلى واحد من كبراء أمرائك سوى هذا السفير لإتمام المعاهدة معه. ولما قرأ مكتوب صفا گراي خان على الكيناز واسيلي قامت أمراؤه الذين عنده وقعدوا وأبرقوا وأرعدوا وأطالوا ألسنتهم على أمراء قزان الذين عندهم وأظهروا البذاء والفحش فقال لهم الأمير تاغاي: نحن ما كذبنا وما جئنا هنا للحيلة والخدعة بل جئنا بالصداقة فليفعل الكيناز الأعظم ما شاء نحن مستسلمون لقدر الله وقضائه وقد أردنا أن نعيش على المودة والمصافاة كما في السابق وقد قتل كبراؤنا وشجعاننا وبقيت مواضعهم شاغرة خالية فأنى يصدر عنا القيام والعصيان وأما الخان فهو يقول ما يشاء فإنه تابع لرأيه ونحن تابعون لآرائنا ونحن لا نريده ولا نطيعه فليذهب مع من عنده من القريميين أين شاؤوا ونحن نعتمد على قواتنا فليعين الكيناز الأعظم من شاء خانًا لنا فقالت الأمراء: لا فرق عندنا بين هذا وبين ذاك يتملك في قزان من تريدونه ولكن بشرط أن لا يصدر القيام والعصيان وتكدير الصفو.

فقال الأمير تاغاي: إن شيخ علي خان أنسب وأليق بنا وكانت إدارته الأمور حسنة ولكنه غلب عليه أعداؤه بسوء حظنا وحظه فليعين الآن خانًا لنا فنحمله معنا ونذهب إلى قلعة واسيلي صورسكي ونكتب منها إلى أهل قزان والچرامشة وأمراء قلعة آرچه وغيرهم بأنا جئنا مع شيخ علي خان فأخرجوا صفا گراي خان من قزان فليذهب أين شاء لا يخالف أحد منهم في ذلك لأجل تخليص أسراهم من يد الروسية فرضي الكيناز واسيلي بذلك بعد استشارته مع أمرائه فأرسل شيخ علي خان مع هؤلاء الأمراء إلى نيژني نووغورد فكتب الأمير تاغاي منها إلى أمراء قزان وقلعة آرچه وسائر الأعيان

= بعيدًا عن صوب الصواب والله سبحانه أعلم، منه عفي عنه.

يعلمهم بما جرى فرضي الجميع بذلك وخلعوا صفا گراي خان عن الخانية فأراد أن يفتك بجميع من في قزان من الروسية فمنعه الأمراء وطلبوا منه الخروج من قزان فأرسل زوجته إلى مملكة أبيها مماي خان النوغائي فاضطره الأعيان بعد ذلك إلى ترك قزان خصوصًا غورشادنه بكه أخت محمد أمين خان وسيد أوغلان وسائر المرازي ثم اتفق الجميع على أنهم يملكون على أنفسهم جان علي[١] أو إينال أخا شيخ علي خان وكتبوا بذلك إلى واسيلي معتذرين إليه بأنه إذا تملك شيخ علي خان فربما يريد الانتقام ممن له دخل في خلعه سابقًا فيفضي الأمر إلى الفتنة فقبله الكيناز واسيلي وأرسل جان علي خان من قلعة ميشير إلى قزان خانًا بها وعمره إذ ذاك ١٥ سنة ثم أمره واسيلي بتزوج بنت الميرزا يوسف[٢] الذي هو أقوى أمراء نوغاي وأحسنهم ففعل وكان ذلك بعد دخول سنة ٩٣٧ هـ فكان مدة خانية صفا گراي خان في هذه النوبة خمس سنين تقريبًا وإذا تأمل القارىء يعرف في بادىء التتار أنه حصل هنا من الأمراء المذكورين خيانة وإلا فلا يرى هنا شيء يقتضي الإعراض عن صفا گراي خان والله سبحانه أعلم.

ذكر حبس شيخ علي خان

قال كارامزين: ولما جرى ما جرى من خانية جان علي وحرمان شيخ علي من الخانية مع اجتهاده غاية الاجتهاد ومخاطرته بروحه مرارًا في سبيل ذلك حصلت له غاية الحجالة ونهاية اليأس أدت به إلى التشبث بأذيال الحيل فصار يكاتب أمراء حاجي طرخان ونوغاي خفية يطلب منهم النجدة في استرداد الخانية فبلغ ذلك الكيناز واسيلي فحبسه في بيلي أوزير مع زوجته.

ذكر هجوم صفا گراي خان بعساكر قرم على الروسية وإيصاله الإضرار الكلي إليها انتقامًا منها

قال كارامزين: ولما تولى جان علي خانية قزان استراحت الروسية مدة ثلاث سنين وكان أمور قزان ترى في موسكوا وتكتب الفرامانات والأوامر لها فيها ولكنها كانت غير مستريحة من جهة قرم بل كانت منزعجة منها فإن صفا گراي خان لما

---

(١) Əharer هكذا في نسخة كارامزين وهو يحتمل أنيال وجان علي وقال بعضهم عين علي وهو بعيد جدًا. منه عفي عنه.

(٢) وكان حاكمًا بسرايچق وبنته هذه هي سيون بكه الآتي ذكرها مرارًا. منه عفي عنه.

عاد إلى قرم كانت يحرض عمه صاحب گراي للانتقام من الروسية فصار عساكر قرم يغيرون على حدود الروسية دائمًا وفي سنة ١٥٣٣ م وسنة ٩٤٠ هـ لما استعد الكيناز واسيلي للذهاب إلى وولوق لامسكي للصيد والتنزه على عادته بلغه في ١٤ أوغسطس وهو بموسكوا أن عساكر قرم قد هجموا على ولاية رزان تحت قيادة صفا گراي خان وقالغاي إسلام گراي عمه وهو أعني قالغاي المذكور يكتب إلى واسيلي بأنه ما يجيء للمحاربة بل يجيء لنصيحة صفا گراي خان ولما استخبر واسيلي بكثرة عساكر قرم خان وأرسل كافة قواده أرباب الاقتدار مع العسكر لمقابلة عسكر قرم وأمرهم بأخذ سواحل نهر أوقه وضبطها وأن لا يتركوا عساكر قرم يعبروها وسار بنفسه ثاني اليوم أعني ١٠ أوغسطس إلى قولومنا وجمع كافة أمرائه الكبار وقرروا الأمر على المحافظة والمدافعة وأمر بتوديع الأشياء النفيسة بكريمله فبلغه الخبر في ذلك الحين بأن عساكر قرم يحرقون كافة البلدان والقرى بولاية رزان ويقتلون وينهبون ويأسرون ويسلبون وأنهم يطؤون من يقابلهم كالسيل المنهمر فاستولى الخوف والدهشة على واسيلي فأرسل لمقابلتهم القائد ديميتري أوبالينسكي ولما رأى عساكر قرم عساكر الروس تقهقروا يرونهم كأنهم يخافونهم فتبعهم عساكر الروس بزعم أنهم هربوا فكر التتار إليهم راجعين فانهزمت الروس شر هزيمة فقتلهم التتار عن بكرة أبيهم سوى الذين أسروهم وسوى قائدهم أوبالينسكي فإنه نجى بنفسه من مخلب المنية فتمت تلك المحاربة بغلبة التتار في مدة خمسة أيام وكان صاحب گراي خان يقول: إنه قد قتل من الروس في تلك المعركة مائة ألف وكتب إلى واسيلي بأن القباحة فيك فإن في قرم عساكر كثيرة وليس لهم ما يتعيشون به وأنت لا ترسل الهدية فمن أين يتعيش هؤلاء وأنا أرسلتهم إلى ليتوا ولكنهم ساروا إلى الروسية وكان ينبغي لك أن تمنعهم بالهدايا لا بالسيف فإن البط لا يخاف بالماء وهؤلاء الأسارى لا يرجعون بل يباعون إن لم ترسل ما تفديهم به وكتب إليه إسلام گراي بأني ما حاربت وإنما حارب صفا گراي وأنا على مودتي للروسية وكتب إليه صفا گراي خان كنت أنا حين كنت خانًا بقزان بمنزلة ولدك وما هجمت على بلادك قط بل قصدتني أنت بسوء وسقت العساكر علي مرارًا حتى اضطررتني إلى ترك خانيتي والفرار وترك الديار والآن قد أعطاني الله قوة واقتدارًا بحيث انتقمت منك وأورثتك ضررًا كليًا وجعلت كثيرًا من بلادك رمادًا واغتنمت من الغنائم ما لا يحصى ولا أكتفي بذلك بل كل من عاداك وغزاك اتفق معه وأحاربك وأنتقم منك وكان الكيناز واسيلي وقت مجيء هذه المكاتب المشتملة على الشماتة في مرض الموت

فمات في الكانون الأول (ديكابر) مكمودًا مقهورًا مثل أبيه إيوان وكان خاتمة أمره مثل فاتحته.

ثم تملك الروسية بعده ولده إيوان الملقب بغروزني يعني المدهش وعلى يده انقرضت دولة قزان فانفتح سد يأجوج ومأجوج وانتشرت يأجوج الروس ومأجوجها التي لا يأجوج ولا مأجوج إلا هي ولا سد لها إلا التتار إلى الدنيا كلها.

قال كارامزين هنا حين عد السفراء الواردين إلى الروسية بعد تملك إيوان المذكور وبعد بيان غلبة خوانين نوغاي على استرخان أن هؤلاء الخوانين الصغار الصحراويين مثل شيداق ومماي وقوشم[1] وغيرهم كانوا يعيشون على الموادة والمصافاة مع الروسية لما كانت لهم في ذلك فوائد جمة وكانوا يشتكون من قوازق ميشير[2] فإنهم كانوا يسوقون ويسرقون خيولهم وأموالهم وكانوا يطلبون الهدايا من الروسية دائمًا ويعدون أنفسهم بمراتب خوانين قرم فإن لم ترسل الروسية لهم الهدية كانوا يقولون إن أجدادنا قد رأوا موسكوا ونحن أيضًا نذهب إليها ونراها وكانوا يفتخرون بوجود ثلاثمائة ألف عسكر فيهم ويهددون الروسية بها وكانوا يستفيدون من الروسية بالتجارة وكذلك الروسية كانت تستفيد منهم بها وكانوا يجيئون الروسية بخمسين ألفًا من الخيل للبيع فإذا أعطوا الهدايا من الروسية كانوا لا يتركون عساكر قرم يمرون على أراضيهم إلى الروسية وكان شيداق يعد نفسه أكبر خوانين نوغاي وكان مماي يعد نفسه ولي عهده ونائبه وقد كتب مماي المذكور إلى إيوان المدهش يعزيه بأبيه أعزى أخي إيوان وأتأسف على موت أبيك تأسفًا كثيرًا ولكن ما العلاج فإن الموت لا بد منه لكل أحد وقد مات أبونا آدم وأمنا حواء ومن ولد إلى عصرنا هذا وكلما مات الوالد يرثه الولد ويقوم مقامه فأنا أبكي معك وأشتركك في حزنك ولكن لا بد من الاستسلام.

قال كارامزين: إن كتابة هؤلاء على هذا النهج الفيلسوفي تشعر بأن فيهم العلماء والأدباء وإن لهم في الوقت المذكور أدبيات وأنهم عقلاء أصحاب التدبير اهـ.

---

(١) لعله كوچم.

(٢) والظاهر أن هذا غير قلعة مشير التي يقال لها قاسم وخان كرمان وقد مر أن عسكر محمد گراي خان دخلوا عليها وعلى البلاد التي بساحل بحر أزاق فدل هذا والذي هنا أنها في تلك الجهة. منه عفي عنه.

قلت: وهذا الكلام مبني على اعتقاد أنهم جهلاء[١] وحشيون وبرابرة كما أنه أعني المؤرخ كثيرًا ما يطلقها عليهم قلت ويقال لمماي هذا مماي الصغير احترازًا عن مماي الكبير الذي تقدم ذكره وهو صهر صفا گراي خان كما مر وبهذه المناسبة ذكرناهم هنا ومن جملة مشاهير أمراء نوغاي أيضًا الميرزا آلاچ والميرزا موسى وابنه الميرزا يوسف الذي تزوج جان علي خان بنته كما مر وهي سيون بكه التي تزوجها صفا گراي خان بعد قتله كما سيجيء وكان السلطان سليمان[٢] يحبه ويعظمه ويخاطبه في مكاتيبه بأمير الأمراء وطوائف نوغاي بك المكرهين الموجودين في ولاية أورنبورغ وأوفاهم بقية أتباع هؤلاء المذكورين وكان الروس جزاهم بالإكراه مكافأة بمودة هؤلاء وصداقتهم للروسية جزاء سنمار.

ذكر قتل جان علي خان وخانية صفا گراي خان ثانيًا

قال كارامزين: لما بين تملك إيوان المدهش وكان الذي يهم إيوان أمور قرم وليتوا وقزان فكتب إلى قرم وليتوا يطلب منهما الصلح فأجاباه بالإغارة إلى بلاد الروسية وتخريبها فعلاً وأعلن حماية قزان فجدد جان علي وأهل قزان عهدهما مع إيوان.

ثم قال بعد بيان وقائع صاحب گراي خان مع إسلام گراي خان أنه حصر همه على الانتقام من موسكوا وإعادة صفا گراي خان إلى خانية قزان ففي سنة ١٥٣٥ م وسنة ٩٤٢ هـ قام الأمراء الذين كانوا تحت أمر غورشادنه بكه وميرزا بولاط على جان علي خان وخلعوه من الخانية وقتلوه في بلدة آرچه ثم كتبوا إلى صفا گراي خان يخبرونه بما جرى ويدعونه إلى قزان للجلوس إلى الخانية سريعًا فجاء بلا توان وجلس على الخانية ثانيًا فزوجوه أرملة جان علي خان بنت الميرزا يوسف النوغائي يعني سيون بكه فكان مدة خانية جان علي جان خمس سنين تقريبًا ومدة عمره عشرين سنة رحمه الله تعالى.

وقال الفاضل المرجاني[٣] أنه قتلوه في موسكوا صبرًا وما حررناه نقلناه من تاريخ كارامزين والله تعالى أعلم.

---

(١) فإن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عمن يعتقد فيهم الجهل منه عفي عنه.

(٢) السلطان سليمان القانوني: تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٣) الفاضل المرجاني: تقدمت ترجمته في الجزء الأول وفي هذا الجزء.

قال: ولما بلغت ماجريات قزان موسكوا أرسل أمراؤها إلى قزان شخصًا يستعلم أحوالها ويستطلع على أسرارها وكتبوا كتابًا إلى غورشادنه بكه وأوغلان (هكذا ولعله سيد أوغلان كما مر) وكان الكيناز إيوان وقتئذٍ ابن ست سنين وكان الأمر بيد والدته ييلونه وقبل أن يجيء الشخص المذكور من قزان بلغ منافقوا التتار المقيمين في ساحل وولغا المنخرطين في سلك خدام الروسية أخبار قزان إلى الأمراء المذكورين وقالوا: إن أهل قزان فرقتين فرقة في طرف صفا گراي خان وفرقة في طرف الروسية وفيهم غورشاد[1] نه بكه بنت إبراهيم خان وميرزا بولاد فإن أرسل إليهم شيخ علي خان فالظاهر أنهم يقبلونه ويطردون صفا گراي خان ويقبلون تبعية الروس فأرسلوا إلى بيلي أوزير أناسًا مخصوصين وجاؤوا منها بشيخ علي خان بعد إخراجه من الحبس فاعتذر إلى الكيناز إيوان بعد أن اعترف بجرمه وندم عليه وأسف على موت أخيه جان علي خان في خدمة الروسية وتمنى أن يكون هو مكانه فأجابه الكيناز كارپوف من طرف الكيناز إيوان أيها الخان لا تذكر الذي مضى فإن الكيناز قد عفا عنك فعليك بعد هذا بالصداقة والأمانة ثم أضافه الكيناز إيوان في قصره مع جمع من أمرائه الكبار بضيافة عظيمة ومعه زوجته فاطمة سلطان وقد التفت إليها ييلونه أم إيوان التفاتًا فائقًا ثم لما أرسلوا إلى قزان يخبرون بمجيئهم بخبر شيخ علي لم يقدروا أن يصنعوا شيئًا فإن صفا گراي خان قد قبض أزمة كافة الأمور بيد اقتداره ولم يترك للحركة مجالاً.

ذكر مسير عسكر الروس إلى قزان وانكسار الفرقة الأولى منهما وانتصار الثانية انتصارًا ما

قال: فاقتضى الحال سوق العسكر إلى قزان لمحاربتهم فأرسلوا عسكرًا تحت قيادة القائد غوندورف وزاميتسكي من قلعة ميشير ولما قابلوا عسكر قزان هربوا ورجعوا من غير مقابلة فانتشر عسكر قزان بتعقيبهم إلى ولاية نيژني نووغورد فرماهما أمراء الروس إلى الحبس لسفالتهما حيث هربوا برؤية ظل عسكر التتار من بعيد ثم ساقوا عسكرًا آخر تحت قيادة القائدة صابورف وقارپوف فكسر هؤلاء عسكر التتار وأسروا كثيرًا منهم ومن الچرامشة وطردوا البواقي وساقوا الأسارى إلى موسكوا وقتلوهم أمام كافة أركان حكوماتهم وأظهروا بذلك إلى العالم مقدار مدنية الروس.

---

(١) هكذا في الأصل المنقول عنه وقد مر أن قاتل جان علي خان وداعي صفا گراي خان هي وجماعتها والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

ثم ذكر كارامزين بعد ذلك ماجريات قرم من الاختلاف الواقع بين صاحب گراي خان وإسلام گراي خان واستقلالية صاحب گراي بقتل إسلام گراي

ثم قال: إنه لما اطمئن خاطره بقتل رقيبه كتب إلى الكيناز إيوان بعد أن سلب جميع ما في سفيره بقرم يخبره بقتل إسلام گراي الذي كثيرًا ما يميل إلى طرف الروسية (ولعل السفير المذكور هو سفير إليه) ويطلب منه النقود ويعده في مقابلته المواددة لكن بشرط أن لا يصل منه إلى قزان أدنى ضرر فإن أصابها منه أدنى ضرر أو طلب من أهلها الخراج تكون الدنيا ضيقة عليه ويطلب منه أن يرسل إلى قرم واسيلي شويسكي أو تيليپنف أو غيرهما من مشاهير أمرائه يكون سفيرًا بها ورهنًا وهو أيضًا يرسل واحدًا من طرفه سفيرًا إلى موسكوا وكان عسكر الروس في الوقت المذكور متهيأ للمسير إلى قزان فإن عسكر قزان كانوا لا يزالون يغيرون على أطراف موسكوا ويخربونها وينهبونها وكان يقود العسكر المذكور القائد صابورف وزاسيكين وكانوا معهم خيالة تتار ميشير فالتقاهم عسكر قزان بشاطىء وولغا وكسروهم وهزموهم فرجعوا بشر هزيمة.

قال: وفي الكانون الثاني أول سنة ١٥٣٧ م وسنة ٩٤٣ هـ هجم صفا گراي خان بنفسه بغتة إلى أطراف مورم فخرج إليه عسكر من موسكوا فرجع إلى قزان ولم يقدر أن يأخذ البلد وحيث كان الروس مصالحًا مع ليتوا في الوقت المذكور ومطمئن الخاطر من جهتها أرادوا أن يرسلوا إلى قزان جيشًا كثيفًا للاستيلاء عليها فجاءهم رسل صفا گراي خان في تلك الأثناء يطلب الصلح فأبوا عن قبوله في أول وهلة ولكن لما جاءهم كتاب صاحب گراي خان قبلوه ضرورة وكفوا أيديهم عن قزان وكتبوا المعاهدة بها ثم أرسلوا إلى صاحب گراي خان يقولون له: إن قزان قد أخذها أجدادنا بسفك دماء من عساكرهم وهي تابعة إلينا مذ زمن كثير وأنت استوليت عليها بالحيلة فبأي حق وحجة تدعيها لنفسك ونحن الآن قد عفونا عن صفا گراي كافة قبائحه وصالحناه على ما طلبه منا بشرط أن يحلف على الصداقة والأمانة ثم لا يمكننا أن نرسل الكيناز واسيلي شويسكي وتيلبپنف لأنهما في وظيفة مهمة هنا ولكنا نرسل غيرهما فتم هذا الصلح على هذه الكيفية فاستفادت الروس من هذا الصلح فوائد جمة لأنها نظمت أمورها الداخلية وبنت القلاع والحصون في مواضع مهمة والحاصل أنها قد أمنت استقبالها بالتمام.

وقال في أثناء بيان وقائع سنة ١٥٣٩ م وسنة ٩٤٦ هـ: بعد أن بين فساد الأمور في داخلية الروسية بوقوع الرقابة بين أمرائها وبيان تعجيز صاحب گراي خان إياها من خارج وكانت حكومة قزان لا تريح الروسية من جهة أخرى بل كانت لا تزال تغير عليها دائمًا مذ سنتين وقد أغارت على ولاية نيژني نووغورد وبالأخناد مورم وميشير وغوروخف وولاديمير وشوبه ويوريف وكاستراما وكينيشما وغاليچه وأوستوغ وولوغد اوتوتما وواتكا وپيرمه وغيرها فنهبت وسلبت وخربت.

وقال نقلاً عن بعض مؤرخي الروس: إن ضرر حكومة قزان بالروسية كان أعظم وأشد وأكثر من ضرر باتو خان بها فإن باتو خان مر بالروسية كالبرق الخاطف وأما حكومة قزان فما زالت تريق دماء الروسية كالبحر وتخرب بلادها وتنهب أموالها وتحرق كنائسها ومناستيرها (أديرتها) وتأسر أهلها حتى صارت الروسية يعني في البلاد المذكورة تترك البلدان والقرى وسكنت في الغابات كالوحوش وكانت التتار اتخذت كنائسهم وأديرتهم اصطبلاً وآخورًا لخيولهم وكانوا يسيمون من بأيديهم من أسارى الروس أنواع العذاب بقطع آذانهم وآنافهم ويقلعون عيونهم ويكسرون أيديهم وأرجلهم وأكبر وأعظم وأقبح وأشنع من هذه كلها أنهم كانوا يدخلونهم في الإسلام ويخرجونهم من النصرانية وما كانت أمراء الروس يقدرون على شيء مع معاينة هذه الأحوال ومشاهدة تلك الأهوال سوى الكتابة إلى صاحب گراي خان القرمي ببيان صبرهم وثباتهم عليها قال المؤرخ الذي نقل عنه كارامزين أنا كتبت هذه المذكورات كلها مشاهدة ومعاينة لا سماعًا[1] وقد بقيت الروسية وقتًا ما وسط نيران فتنة التتار وإن كانت أمراء الروس يطلبون الصلح من صاحب گراي دائمًا ولكنهم كانوا لا ينالونه وكانت سفراء الخان المذكور كثيرًا ما يتصرفون في المحاكم الكبار بموسكوا كما يتصرفون في بيوتهم وكان أمين گراي ولد الخان يخرب بلدة كاشير وغيرها وينهبها فما كانت الأمراء يعدون صنيعه هذا من القباحة بل كانوا يغمضون عنه ويقولون على سبيل الاعتذار من جانبه أنه شاب لا يعقل ولا يسمع كلام أبيه يفعل ما يفعل ثم يرجع.

---

(١) قلت: وهذه المذكورات كلها افتراء واختلاق محض اختلقوها لتهييج حمية الروسية وإغضابهم وهم كذلك إلى الآن وقد صوروا أثناء الحرب الأخيرة مع الدولة العلية صورة قتل السودان الأطفال الرضع ورفعهم فوق الأسنة وقد قطعوا ألسنة عدة أطفال أثناء حرب الدولة واليونان الأخيرة وطافوا بهم في البلدان وقالوا: إن عساكر الترك قطعوا ألسنتهم فإذا كان صنيعهم هو هذا في هذا الزمان فماذا تقول في ذاك الزمان والحاصل أن جل أمورهم مبنية على الافتراء البهتان للتحريش بالمسلمين. منه عفي عنه.

ذكر مسير عسكر قرم وقزان إلى الروسية ومحاربتها إياها

قال كارامزين: وفي سنة ١٥٤٠ م وسنة ٩٤٧ هـ كان صاحب گراي خان يجمع العساكر للمسير إلى الروسية وأرسل إلى صفا گراي خان بقزان يحرضه على المسير إليها أيضًا ولكن كان من المعلوم أنه لا يسير إلا في أول الربيع وكذلك صفا گراي خان كان لا يفارق ساحل نهر وولغا ففي الكانون الأول من العام المذكور هجم صفا گراي خان بعساكره على أطراف نيژني ومورم فقابلهم أهالي الولاية المذكورة وسار إليهم القائد ديميتري بعسكر موسكوا من جهة وشيخ علي خان القاسمي مع عساكره المنافقين من جهة أخرى وحاربوهم وأجبروهم على الرجوع إلى قزان فكتب منافقوا أمراء قزان الذين كانوا لا يرضون بمسيره هذا بل بجميع أموره إلى كيناز موسكوا إيوان يطلبون منه إرسال العساكر ويعدون إعدام صفا گراي خان أو تسليمه إلى الروسية ومنهم الكيناز بولاط فحشدت الروس العساكر من جميع بلادها في ولاديمير وجعلوها تحت قيادة الكيناز إيوان بن واسيلي شويسكي ولكن لم يرسلوها إلى قزان بل كتبوا إلى رئيس المنافقين بها الكيناز بولاط يستخبرون منه الأحوال ويعدونه بمواعيد كاذبة من حطام الدنيا إن وفى هو بعهده ووعده وبغى وغوى وباع دينه بأقل من نوى وصاروا ينتظرون الخبر وكانوا يستعدون من جهة أخرى لمقابلة عسكر قرم ويجمعون العساكر لأجلها في موسكوا وقولومنا لأنهم استخبروا أن صاحب گراي خان على نية الهجوم على الروسية في أول الربيع مع إقامة سفيري كل منهما في مقر حكومة الآخر بموجب المعاهدة بينهما وبينما هم على هذا الحال إذ بلغهم أن صاحب گراي خان سار على الروسية بجميع عساكر قرم ولم يبق فيها أحد سوى الصبيان والنساء ومعه الطوپچية من العساكر العثمانية وكثير من عساكر نوغاي ثم تحقق أن كافة من معه من العساكر مائة وخمسون ألفًا وأن الكيناز سيمون بيلسكي الروسي قد وعدهم بالدلالة على الطريق والمعابر فخرج القائد ديميتري بيلسكي بعساكر الروس لملاقاة التتار ومدافعتهم وبقي الكيناز إيوان شويسكي مع خادمهم القديم شيخ علي خان مع فرقة من العساكر المحشدة للميسر إلى قزان في ولاديمير وكأنه للاحتياط من هجوم عسكر قزان من تلك الجهة وكان ذلك في ربيع سنة ١٥٤١ م وسنة ٩٤٨ هـ وصارت الروس يأتون من جميع بلادهم أفواجًا أفواجًا ويلحقون بمعسكرهم العام وكان صاحب گراي خان قد عبر نهر تن (دون) ووطأ أرض الروس وحاصر من قلاعها قلعة رازايسكي في تموز (يوليه) من العام المذكور ولكنه لم يتيسر له فتحها وكان الكيناز إيوان ابن عشر سنين في الوقت

المذكور وكان يبكي[١] في الكنيسة مع أخيه يوري وكان الأهالي يبكون لبكائهما وكان الإيوان يقول في عبادته لصورة مريم على زعمهم وسائر الصور والتماثيل (يا إلٰهنا كما أنك أنجيت أجدادنا من قهر تيمرلنك نجنا أيضًا من هذه الفتنة فإن تبعتنا ورعايانا ينتظرون المدد والمعونة منا).

وقد وقع الاختلاف العظيم بين أمراء الروس في موسكوا في كيفية حفظ الكيناز إيوان وأخيه فأراد بعضهم أن يخرجا من موسكوا وأراد بعض آخر بقاءهما فيها فقال المطران إن نووغورد وپصكوف قريبان من ليتوا التي هي أعداؤنا وكاسترما وبارسلاو وغاليج كلها بيد القزانيين الذين هم أشد أعدائنا فالأرجح أن يقيما في موسكوا فإنها بلدة محفوفة ومحفوظة بأرواح الأولياء فلا يصيبهما شيء يحفظهم فقراؤهم على ذلك وقالوا: إن الكيناز شويسكي وشيخ علي يحفظان البلدة ونحن نعتمد عليهما كمال اعتماد ونأتمنهما وصاحوا بصوت عال وقالوا: أيها الملك الأعظم أقم معنا بموسكوا وما كنا أحياء لا يصل إليك يد أحد فشكرهم الكيناز إيوان والدموع تسيل من عينيه وأمر بتحصين موسكوا فطفق الأهالي يعانق بعضهم بعضًا ويستحلون حقوقهم ويستعدون للموت وحرض إيوان أمراءه على الحرب ووعدهم بمواعد حسنة فعاهدوه جميعًا على أنهم لا يتركون الحرب من غير موت أو ظفر وكان صاحب گراي خان قد وصل إلى ساحل نهر أوقه وعساكر الروس مصطفون للحرب في طرف آخر من النهر المذكور مستعدون لمدافعتهم ومنعهم من عبور النهر ولما شرع عساكر التتار في عبور النهر منعتهم الروس وصارت الطوپچية العثمانية يرمونهم بالمدافع ولكنهم لم يبالوا بذلك بل تزاحموا في المدافعة والمنع من العبور وتماوتوا في ذلك فلم يتركوهم يعبرون فلام صاحب گراي خان الكيناز سيمون بيلسكي الدليل على وصفه عساكر الروس بالقلة والضعف وتأخر من ساحل النهر وأراد أن يرجع في حينه[٢] ولكن لم يتركه الأمراء المجربون للأمور وانتظروا إلى عاقبة الحرب فأبدت الروسية سرورًا عظيمًا لمظفريتهم هذه ولم يناموا طول الليل بل أمضوه بالصياح والفرح والسرور وصوبوا مدافعهم نحو عسكر قرم فلما شاهد صاحب گراي خان فرحهم وسرورهم هذا والتحاق الروس بهم من كل جانب أفواجًا

(١) انظر تاريخ كارامزين مجلد ٨ ص ٥٤ وص ٥٣. منه عفي عنه.

(٢) وأمثال هذه الأقوال من أعجب العجاب أكان هؤلاء مجانين يريدون الرجوع بلا سبب بعد بلوغ الأمر إلى هذا الحد فإن صح فلا شك في جنونهم. منه عفي عنه.

أفواجًا انثنى راجعًا إلى بلاده قبل الصباح مع عساكره تاركين مدافعهم فاغتنمتها الروسية وفرحوا بها غاية الفرح وأرسلوا لتعقيب القرميين فرقة من العساكر مع بعض قوادهم فأسروا بعض ضعفائهم العاجزين عن المشي فأراد صاحب گراي خان أن يفتح بلدة پرونسكي فقاومه محافظوه أشد المقاومة وجاءهم الإمداد من موسكوا في أثناء المحاصرة فتركها ورجع إلى بلاده في ٦ أوغسطس ورجع ولده أمين گراي أيضًا من أوديف فلا تسأل حينئذٍ عن مقدار فرح الروس وسرورهم ولما رجع الكيناز شويسكي إلى ولاديمير مع العسكر استعد للمسير إلى قزان ولكنهم شرعوا قبل المسير إليها في زرع بزر الفساد في قلوب المنافقين من أهلها وأعيانها فجاءهم الخبر بأن الكيناز بولاط قد رجع عما نواه من طرد صفا گراي خان أو إعدامه وكتب إلى ديميتيري بيلسكي يخبره بذلك وكتبت غورشادنه سلطان إلى الكيناز إيوان تخبره بأن قزان ستنقرض قريبًا وموسكوا تعظم جدًا فظنتها الروسية بعد ذلك كاهنة وكانت عالمة أديبة ثم أرسل صفا گراي خان إلى موسكوا يطلب الصلح والمهادنة فرفضت الروسية طلبها.

ذكر مسير الروس إلى قزان وإفسادها في أطرافها وإفضاء ذلك إلى انفصال صفا گراي خان وخانية شيخ علي خان ثانيًا ثم انفصاله عنها قريبًا وعود صفا گراي خان إليها ثالثًا

قال كارامزين في أثناء بيان وقائع سنة ١٥٤٦ م وسنة ٩٥٣ هـ: قد سئمت الروسية خداع حكومة قزان وإغارتها على الروسية دائمًا وعيل صبرها عنها وكانت تريد أن تنتقم منها دائمًا ففي العام المذكور سار فرقة من عسكر الروس من موسكوا وفرقة أخرى منهم من واتكا واجتمعتا تحت سور قزان في يوم واحد وساعة واحدة على غفلة من أهل قزان وأحرقوا أطرافها وبعض أبنية الخان وقتلوا كثيرًا منهم بقرب البلد وفي ساحل نهر زوه وأسروا كثيرًا واغتنموا وأفسدوا ثم رجعوا إلى بلادهم بلا مقابلة أحد إياهم فظن صفا گراي خان أن هذا من خيانة بعض الأمراء فقتل بعضهم وطرد البعض فانحرف الأمراء منه فكتبوا إلى كيناز الروسية يطلبون منه العسكر ويعدونه بإخراج صفا گراي خان مع أمراء قرم من قزان فكتب إليهم الكيناز إيوان يأمرهم بالقبض على صفا گراي خان أو بطرده أولاً ووعدهم بإرسال العسكر بعد ذلك وإسعافهم بمرامهم فهموا بالقبض على صفا گراي خان فخرج من قزان مع مخلصيه فحصلت الفتنة حينئذٍ بقزان بين أهلها وأهل قرم بها فقتل منهم خلق كثير ثم كتب الكيناز سيد أوغلان وسائر الأمراء إلى إيوان يطلبون منه شيخ علي خان ويحلفون على الصداقة فأرسله إلى قزان مع

ديميتري بيلسكي وپاليتسكي فأجلسوه على مسند خانية قزان ثانيًا وزينوا البلد بأنواع الزينة لجلوسه ولكنهم لم يفوا بعهدهم فإنه كان مرامهم أن ينصبوا شيخ علي خان خانًا في الظاهر فقط ويكون الأمور كلها في الحقيقة في أيديهم يفعلون فيها ما يشاؤون فحجروا عليه وحبسوه في قصره ولم يتركوه يختلط بالناس وضيقوا عليه تضييقًا شديدًا وحبسوا الذين كانوا يظهرون الإخلاص والوداد لشيخ علي خان وقتلوا منهم البعض.

والحاصل قامت الفتن على قدم وساق وانسدت طرق المعيشة وفقد الأمن قال بعض المؤرخين كان شيخ علي خان يعرف ذلك ولكنه قبل الخانية امتثالاً لأمر مولاه الكيناز إيوان ولكن تهالكه لتحصيل الخانية بعد ذلك يكذب هذا القول وكان الكيناز چوره المنافق يحاول إقناع أهل القزان بالكلمات المزخرفة لطاعة شيخ علي خان ولكنهم لم يغتروا بخديعته بل أرادوا إرجاع صفا گراي خان وكان هو يقيم بساحل نهر قاما بعسكر نوغاي فأخبر الكيناز چوره المذكور شيخ علي خان بذلك وحرضه على الخروج من قزان قبل فوت الفرصة حتى هيأ له السفينة فلما كان يوم عيد هربه ليلاً من قزان وأرسله بالسفينة من نهر وولغا إلى موسكوا فدخل صفا گراي خان قزان وجلس على مسند الخانية بها ثالثًا وقتل المنافق الكيناز چوره وسلخه وملأ جلده بالتبن عبرة لخونة الملة والوطن وقتل كثيرًا من الخونة أمثاله وهرب ستة وسبعون نفرًا من أقربائه إلى موسكوا لتحريض الروسية على حرب قزان وبعد هذه الوقعة كان صفا گراي خان لا يأتمن على أهل قزان لنفسه ولا يعتمد عليهم وجعل حراسه من عسكر نوغاي ففي الوقت المذكور عينه ورد سفراء چرامشة الجبل إلى موسكوا وعرضوا الطاعة على الروسية وقالوا: إنهم مستعدون للسفر معها إن سارت إلى حرب قزان وكان الموسم موسم الشتاء فأخروا السفر إلى قزان إلى موسم الربيع ولكن أرسلوا القائد ألكساندر الغورباطي مع فرقة من العسكر إلى ساحل نهر ضيا من أرض قزان لتجربة صداقة الچرامشة المذكورين فأغارت الچرامشة على أطراف قزان وجاؤوا منها بغنائم كثيرة وأثبتوا بذلك صداقتهم للروسية.

قلت: نرى أن هؤلاء الچرامشة الذين كانوا يحاربون الروسية مع أهل قزان بغاية الصداقة والبسالة كما مر قد انفكت الآن من التتار وانضمت إلى أعدائهم الروسية وما ذلك إلا لسوء إدارة حكومة قزان وإهمالهم الأمور خصوصًا في جلب خواطر أمثال هؤلاء الأقوام المجاورين ودسائس الروسية واجتهادهم في جلب قلوبهم على عكس حكومة قزان إنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر مسير الكيناز إيوان المدهش إلى حرب قزان بنفسه أول مرة وعوده عنه خائبًا

قال كارامزين: في خلال بيان حوادث سنة ١٥٤٧ م وسنة ٩٥٣ هـ: بعد بيان بلوغ الكيناز إيوان ١٧ سنة من العمر وبيان تزوجه وتلقبه بلقب تسار يعني القيصر أن خيانة حكومة قزان وأذيتهم الروسية على وجه امتلأت جهة الجنوب والشمال الشرقي على مسافة مائتي ويرسته من موسكوا بعظام الروس ولم تبق فيها بلدة ولا قرية سالمة ودوام الاختلال فيها قد سلبت الصبر عن إيوان فأمر بجمع العساكر ولما تكامل جمعه خرج بهم من موسكوا قاصدًا القزان في الكانون الأول من العام المذكور ولكنه انعكس الأمر حيث نزل المطر مكان الثلج وفسدت الطرق والمعابر وكانت عربات نقل الذخائر والمهمات والمدافع تقعد في الوحل والطين فوصلوا بألوف من المشقة إلى يبلنه التي هي على مسافة ١٥ ويرسته من نيژني نووغورد في ٢ شباط من سنة ١٥٤٨ ولما كانوا بجزيرة رابوتكي من نهر وولغا استولى الماء على الجلد الذي فوق النهر كله وانخسف الجلد فذهبت المهمات والمدافع كلها وكثير من العساكر تحت الماء وبقي الإيوان بتلك الجزيرة ثلاثة أيام محصورًا بالماء ثم تخلص من المهلكة بألف مشقة فتطير من هذا الصنيع ورجع منها إلى موسكوا مكمودًا مقهورًا بعد أن أرسل ديميتري بيلسكي مع فرقة من العساكر إلى قزان وفيهم مملوكهم شيخ علي خان وكان صفا گراي خان ينتظرهم في ميدان آرچه فانتشب القتل بينه وبين طليعة الروس فوقع الانهزام على عسكر قزان وقتل من مشاهير شجعانهم الشجيع غزيق وأسر البعض فخرب أهل قزان لأخذ ثأره قرى كثيرة في غاليتسه حتى ردهم القائد ياكو وولف بعسكر كاستراما وقتل منهم الشجيع أراق في ميدان غوسيف بساحل نهر يغروقي وكان إيوان قد صمم على أخذ قزان ومحوها بالكلية ولذلك جدد الصلح مع ليتوا وقوى عزمه المذكور وكان صاحب گراي خان القرمي يهدده من جهة أخرى وكان قد استولى على حاجي طرخان وأجبر سكان نهر تن وقوبان وطمان على الإسكان بشبه جزيرة قرم وأرسل إلى إيوان يخبره بذلك ويهدده إن لم يصالحه ويرسل إليه ١٠٠,٠٠٠ ذهب وحيث كان إيوان عازمًا على حرب قزان ومن المعلوم أن حرب قزان هو عين حرب قرم حبس سفير صاحب گراي خان لأنه كان متيقنًا ومطمئنًا بكفاية قوته واقتداره على المقاومة والمصارعة بجميع سلالة باتوخان حيث اضمحلت خانية سراي من مدة مديدة وتفرقت البواقي شذر مذر لا يجتمعون تحت لواء واحد ولا يرضون برياسة أحد منهم بل يحرص كل منهم على اضمحلال غيره بأي وجه كان ولا يتفكر في وخامة عاقبة

التفرق والتشتت والروسية بخلاف ذلك في الوقت المذكور حيث لم تترك الحكومات الصغار منها بل جمعت كافة الروسية تحت راية واحدة وتحت حكم حاكم واحد ولم تبق للاختلاف والاختلال أدنى مجال ونظمت عساكرها على نظام عسكر التتار بمعونة المنافقين الملتجئين إليها من أولاد خوانين التتار وقد حصل منهم معونة عظيمة باتباعهم من نفس التتار وجعلهم آلة لإيقاع الفتنة والاختلاف بين البواقي استقلالهم واتخذهم أعظم وسيلة لخداعهم وإيراث الفشل إياهم واطمئن خاطره أيضًا من جهة ليتوا بتجديد الصلح معها وحيث اجتمعت لديه تلك الأسباب كيف يخاف من حكومة قرم وقزان ومع ذلك كان قد ملأ جيوب باشوات كفه من الحجر الأصفر حتى لا يبلغ مصائب قزان السلطان سليمان إلا مخالفة للواقع بحيث لا يلتفت السلطان المشار إليه إليها ولا يعبأ بها وقد ظفر بمقصده هذا أيضًا كما ستطلع عليه.

ذكر وفاة صفا گراي خان رحمه الله تعالى وبقاء قزان شاغرة بلا رئيس ومسير إيوان إليها مصممًا أخذها واستئصالها ورجوعه عنها أيضًا خائبًا

قال كارامزين: وفي مارت من سنة ١٥٤٩ م وفي صفر من سنة ٩٥٦ هـ توفي صفا گراي خان في قصره حتف أنفه فجأة وخلف ابنًا صغيرًا من زوجته سيون بكه بنت الميرزا يوسف النوغائي المار ذكرها التي كانت أحب زوجاته إليه وكان عمره إذ ذاك سنتان فأجلسه أركان الدولة في مسند الخانية لئلا ينحل عقد اتفاقهم واجتماعهم وأرسلوا إلى صاحب گراي خان بقرم يطلبون منه للخانية لهم ولده على قول كارامزين أو ولد صفا گراي خان الذي كان بقرم يسمى بولك گراي على قول صاحب السبع السيار.

قلت: تملك المرحوم صفا گراي خان في النوبة الأخيرة مدة ١٤ سنة تقريبًا مع وقوع فصل يسير فيها في وقعة شيخ علي خان كما مر وبلغ من العمر على ما مر في أول تملكه ٣٩ سنة رحمه الله تعالى وغفر له.

قال الجنابي[1] في تاريخه تحفة الأديب في حقه: إنه كان من أعظم الخوانين وأشدهم بأسًا ملك سبعًا وعشرين سنة كانت رياض الملك في زمانه نزهة وممالك النصر في أيامه معمورة فلما توفي قام في ملكه ولده أوده ميش گراي خان وكان طفلاً

(١) الجنابي: تقدمت ترجمته قبل قليل.

أقام ثلاث سنوات وفي أيامه طمع الكفار في قزان ولم يزالوا يتقاربون ويشرفون حتى أخذوها في زمان شغله گراي (شيخ علي) خان اهـ.

قلت: قوله ملك سبعًا وعشرين سنة يعني من غير اعتبار انفصاله بخانية جان علي خان وهو أيضًا تقريبي وإلا فقد وقفت على مدة خانيته في النوبتين فتذكر ولما أقام الأمراء ولده الصغير المذكور أوده ميش گراي خان في مقامه في الملك وأرسلوا إلى عم أبيه صاحب گراي خان بقرم يطلبون منه خانًا مقتدرًا على حمايتهم من تعرض الأعداء وهو بولك گراي سلطان ابن صفا گراي المتوفّى أرسلوا إلى إيوان بموسكوا كتابًا يطلبون منه الصلح من لسان الخان الصغير فأجابهم الإيوان بأنه إنما يطلبون الصلح بواسطة السفير لا بواسطة الكتابة ثم أمر بجمع كافة عساكره مغتنمًا تلك الفرصة التي بقيت فيها قزان بلا رئيس يدافع عنها ويصدر عن أمره ويرجع إليه في الأمور للاستيلاء عليها فجمعوا الأوردو الكبير في سوزدل وجعلوا مفرزة الاستكشاف في بلدة شوى ومورم وجمعوا عساكر الحرس والقراغول في يوريف ويحشد الجناح الأيمن في كاستراما والأيسر في يارسلاول فسار إيوان من ٢٣ التشرين الثاني من موسكوا إلى ولاديمير وأبقى مكانه بموسكوا الكيناز ولاديمير بن آندري وأخذ أخاه الصغير يوري معه وأخذ أيضًا شيخ علي خان مع أتباعه وكثير من منافقي التتار الذين كانوا هربوا من قزان وكان الشتاء في غاية البرودة فمات كثير من عساكره من البرد وكان مع ذلك يتحمل أذية البرد ومشقته ويحرض عساكره ويشجعهم على المحاربة فاجتمع عساكره كله من نيژني نووغورد ووصلوا إلى تحت قلعة قزان في ١٤ شباط سنة ١٥٥٠ م وسنة ٩٥٧ هـ فأقام إيوان مع أمرائه وعساكره الخاصة بساحل غدير قزان يعني جهة الشرقية وعسكر معظم عساكره تحت قيادة شيخ علي خان وإيوان بيلسكي بميدان آرچه يعني الجهة الشمالية ووضعوا فرقة من عساكرهم وراء نهر قزان يعني الجهة الغربية ووضعوا مدافعهم بسواحل بولاق والغدير النجس يعني الجهة الجنوبية يعني أحاطوا بها من كل جانب وحاصروها حصارًا رسميًا وأنشأوا المتارس وشرعوا في المحاربة ولا يكتب المؤرخ عدد هذه العساكر ولكنه يقول: إن الروسية لم تتقرب قط بمثل هذه العساكر إلى قزان وإنما الكيناز الشاب سل سيفه نفسه وصارت مثال الشجاعة لعسكره وكان يحرضهم على القتال ويشجعهم ويرتبهم الترتيبات الجيدة وقد مر مرارًا مجيئهم بمائة وخمسين ألف فلا يكون هذا العسكر أقل من مائتي ألف بلا شبهة.

وأما القزانيون فكان ملكهم في المهد وكان كثير من المنافقين من أركان دولته ومدبري أموره يهرب من قزان ويجيء معسكر إيوان وينال منه أنواع الالتفات

والاحترام والإحسان ويحض غيره من أعيان قزان خفية على الانسلاك في سلك النفاق مثله فهجم في تلك الأثناء ٦٠,٠٠٠ عسكرًا من الروس إلى قلعة قزان المبنية من الأخشاب فقابلهم أهل قزان بغاية البسالة والشجاعة ودافعوهم دفاع الأسود عن أشباله واشتد القتال وامتد طول اليوم الكامل فقتل منهم كثير وأسر البعض وممن قتل من الكبراء الميرزا چلپاق من أمراء قرم وواحد من أولاد صفا گراي خان من إحدى زوجاته ولكن لما لم تجىء آخر ساعات قزان لم يقدروا أن يأخذوا القلعة وفي تلك الأثناء تبدلت برودة الهواء حرارة دفعة واحدة وشرع المطر في النزول والثلج والجلد في الذوبان وفسدت الطرق والمعابر وتعطلت المدافع وقلت أقوات عسكر إيوان بل نفدت فاستولى الخوف على إيوان من نفاد القوت فرجح الفرار على الفرار فكر راجعًا إلى بلاده في ٢٥ الشباط المذكور بغاية الهموم لحرمانه من أخذ قزان وليس في قلبه سواه فكانت مدة إقامته بها عشرة أيام فجعل وقت رجوعه الأوردو الكبير مع المدافع أمامه وسار هو بنفسه مع الخيالة والعساكر الخفيفة في الساقة احتياطًا لئلا يهجم عسكر قزان إلى المشاة من عسكره ويستولوا على المدافع وكان يلاحظ الأطراف والجوانب والطرق والمسالك بغاية الدقة مؤملاً عوده إليها ثانيًا.

قلت: لا يخفى على المتأمل أن الله سبحانه قد حفظ قزان في هذين النوبتين من شر إيوان بتسليط المياه والأوحال وإلقاء الرعب في قلبه خصوصًا في هذا السفر حيث رجع بلا سبب بعد أن صارت قزان في قبضته فلو كان رجوع صاحب گراي خان من ساحل نهر أوقه على ما مر عجيبًا فرجوع إيوان في هذه النوبة من غير سبب من قزان أعجب منه بمراتب وفي مثل هذه الأمور يظهر سر القدر ولكن لما لم ينتبه أهل القزان ولم يرجعوا من غيهم ولم يستيقظوا من نومهم ولم يتوبوا إلى الله سلط الله سبحانه عليهم عدوهم الألد قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٦] صدق الله مولانا العظيم فانظر إلى ما فعله المنافقون كيف يرحمهم الله سبحانه بتلك القبائح.

قال: ولما وصل إيوان إلى مصب نهر ضيا من وولغا رأى هناك جبلاً مدورًا فأعجبته منظرته فأخذ بيد شيخ علي وصعد فوق الجبل معه ومع منافقي أمراء قزان وكافة أمراء الروس وكان يرى منه قزان وأطرافه ونيژني وواتكا وولاية سمبر بالتمام فنظر إيوان إلى تلك الجهات وتعجب غاية العجب ثم قال نستولي على قزان ويكون هنا بلدة نصرانية فاستحسن الحضار قوله وبين له شيخ علي ومن معه من المنافقين فوائد المحل المذكور وكثرة وارداته لخزينة الدولة وكونه منبتًا غاية الإنبات وبشروه

بدخوله تحت حكومته وكان إيوان قال: هذا القول بمسمع منهم تجربة لحميتهم الميتة فلما تيقن أن ليس فيهم مثقال ذرة من الحمية اطمئن خاطره وتيقن باستلائه على قزان وأراضيه فرجع إلى موسكوا بغاية الفرح والسرور.

قال: ولما رجع إيوان إلى موسكوا ولم يمض وقت لاستراحته واستراحة عساكره بلغه أن صاحب گراي خان القرمي قد قصد الروسية فأمر بجمع عساكره فاجتمعوا في قولومنا ولكن لما كان الموسم موسم الخريف لم يظهر أثر من صاحب گراي خان فتفرقت عساكر الروس بعد شهر ولكن أغار في الشتاء عسكر نوغاي على قلعة ميشير وأطراف رزان القديم فخرج عليهم عسكر الروس ورودهم وأسروا بعضهم وكان فيما بين الأسارى الميرزا نيلاك (ولعله رئيسهم) ومات الذين هربوا من شدة البرد ولم ينج منهم إلا مقدار خمسين رجلاً.

ذكر إرسال أهل قزان الميرزا يوسف سفيرًا إلى إيوان يطلبون منه المهادنة وعدم تمامية ذلك وإرساله إلى قزان عساكره بقصد الاستيلاء عليها وخروج سيون بكه مع ولدها أوده ميش گراي من قزان وخانية شيخ علي ثالثًا

قال كارامزين: أراد أهل قزان أن يخدعوا إيوان مرة أخرى فأرسلوا إليه الميرزا يوسف يطلبون منه بواسطته الصلح والمهادنة وكان الميرزا المذكور من أكبر أمراء نوغاي وصهر صفا گراي خان المرحوم لأنه والد سيون بكه وكان ذا عقل ورشد ودراية حتى أن السلطان سليمان كان يكاتبه على وجه الخلوص وكان يلقبه في مكاتيبه بأمير الأمراء وكان قصده أن يخلص قزان من ورطة البلاء وحماية بنته وحفيده اوده ميش كراي وبثّ الأمن والأمان وتزويج بنته المذكورة من شيخ علي خان ونصبه خانًا بقزان ونصح إيوان كثيرًا وأفهمه أن إراقة الدماء محرمة في الإنجيل والقرآن ونسب ختنه المرحوم صفا گراي خان إلى القصور والنقصان وسرد في هذا الباب كثيرًا من البيان فلو تم هذا لتخلص قزان من الحدثان ولو مدة من الزمان ولكنه قد حيل بين العير والنزوان فإن إيوان أجابه بأنه إن أتى موسكوا خمسة أو ستة أنفار من كبراء أمراء قزان يظهرهم شروط الصلح ثم أمر شيخ علي ذلك عقيب ذلك بلا تأخير أن يذهب مع خمسمائة من فراري قزان ومع جيش كثيف من الروسية إلى مصب نهر ضيا من وولغا المحل الذي أعجبه وقت رجوعه من قزان وقال ما قال لبناء بلدة فيه على اسمه وأرسل لبنائها وبناء الكنيسة فيها بيوتًا مصنوعة

من الأخشاب المأخوذة من غابة أوغليج محمولة على السفن من نهر وولغا وكان القائد لعسكر موسكوا يوري بن ميخايل وبولغا كنف وكثير غيرهما ومن قلعة ميشير الكيناز خليقف ومن نيژني نووغورد پيطرس سير براني ومن واتكا بختيار زوزين[1] مع الخيالة والرماة فقطع هؤلاء طرق قزان من جميع الجوانب وضبطوا المعابر والمسالك من نهري وولغا وقاما فلم يتركوا للاستخبار من قزان سبيلاً بل حاصروها من بعيد محاصرة رسمية ففي ١٦ مارس يعني من سنة ١٥٥١ م وسنة ٩٥٨ هـ ركز الكيناز سير براني علم الروس في الجبل الذي تقدم ذكره وفي ١٨ منه هجم على قلعة بأطراف قزان وقت الصبح بغتة فقتل منهم أزيد من ألف رجل ومائة من أمرائهم وهم نائمون وخلص كثيرًا من أسراء الروس ثم رجع إلى مصب نهر ضيا وانتظر هناك ورود الأوردو الكبير منهم.

وفي ٢٤ منه وصل الأورد الكبير ففرحوا فرحًا كثيرًا وعملوا زينة وتيقنوا أن المحل المذكور صار من أملاك الروسية الجديدة وكانت أطراف الجبل المذكور غابات كثيفة ومشاجر ملتفة فطرح العساكر أسلحتهم وأخذوا الفؤوس وشرعوا في قطعها وقلعها وتركوها في مدة ساعات ميدانًا يصلح للبناء ثم شرعوا في تركيب بناء الكنيسة والبيوت المذكورة وأتموا تركيبها وبناء البلدة في مدة أربعة أسابيع وجعلوا الكنيسة المذكورة على اسم بوژماتري يعني أم ربهم ويسمى البلد المذكور الآن بسو ياژسكي (ضيا) فلما رأى من بأطراف المحل المذكور من الچرامشة وچواش وفن ما صنعه الروس وعدم تعرض أهل قزان الذين كانوا يطيعونهم خوفًا من سيوفهم من غير رابطة دينية أو لغوية صاروا يخافون الروسية فجاؤوا شيخ علي خان وترجوه أن يقبلهم لحماية الروسية وعرضوا عليه قبول تبعيتها قائلين بلسان حالهم.

شعر:

دع الأتـــراك والـــعـــربـــا وكـن في حزب من غلبا

ثم أرسلوا كبراهم إلى موسكوا وأكدوا هناك تبعيتهم للروسية بالأيمان ونالوا التفاتًا من إيوان فعفى عنهم التكليفات الميرية والمؤونة المالية إلى ثلاث سنين وأعطاهم لتأكيد ذلك فرمانًا مختومًا بالذهب فقيدوا في الدفتر من جملة أهالي البلد المذكور وجهة هذا البلد وما والاه أعني جهة اليمين من وولغا والجهة القبلية من قزان

(١) قد مر في وقعة محمد أمين خان ذكر زدي جاناي بن نور دولت ولعل بختيار هذا ابنه والظاهر أن خليقف المذكور من التتار أيضًا. منه عفي عنه.

تسمى بجهة الجبل وهي نصف أراضي قزان بل أكثرها قد خلت في الوقت المذكور في حوزة الروس من غير مقاومة أحد ثم أمرهم إيوان لتجربة صداقتهم بمحاربة أهل قزان فلبوا دعوته بكمال النشاط وعبروا إلى طرف قزان من نهر وولغا بسفن الروس فشرعوا في محاربة أهل قزان بميدان آرچه بمرأى من عساكر الروس فردهم أهل قزان بالرمي بالمدافع فولوا الأدبار منهزمين يطاء بعضهم بعضًا إلا أنهم أثبتوا بذلك صداقتهم وإطاعتهم للروسية ثم لم يزل كبراؤهم يفدون إلى موسكوا فوجًا بعد فوج طول الصيف المذكور فيضيفهم إيوان في قصره بضيافات عظيمة ويعطيهم الجوائز من الألبسة والأقمشة والخيل والثمن وغير ذلك مما يناسبهم استمالة لخواطرهم واستجلابًا لقلوبهم فصاروا يفتخرون بوطنهم الجديد ويمدحونه فأرسل إيوان إلى مملوكه شيخ علي وسائر أمراء العساكر نقودًا كثيرة وأموالاً جسيمة في مقابلة سعيهم واجتهادهم وأرسل إلى شيخ علي كثيرًا من النياشين الذهب (الميدالية) ليفرقها على العساكر.

وأما أهل قزان فقد صاروا في حيص بيص وكثرت بينهم الفتن وزادت المحن وعم الشقاق وسادت الخيانة والنفاق والعساكر الموجودة فيها لا تزيد على عشرين ألفًا وقد انقطعت مخابرتهم بالخارج بالكلية وقامت عساكر الروس من مصب نهر صور إلى نهر قاما ومنه إلى واتكا وخربوا كافة ما في أطراف قزان من قرى المسلمين وكان الجالس على تخت مملكة قزان الصبي المعهود وكانت أمه سيون بكه لا يرقأ لها دمع قط شفقة على ولدها تارة وخوفًا على بلدها أخرى وكان الأهالي يستحقر بعضهم بعضًا لا يرجعون إلى قول أحد وكانت الخيانة سائدة فيما بينهم وكان الأمراء والكبراء ينحازون إلى شيخ علي واحدًا بعد واحد لأنهم افترقوا فرقتين فرقة تريد الاستسلام للروسية وفرقة تريد محاربتهم ومدافعتهم وأكثر هذه الفرقة قرميون وكانوا ينتظرون وصول النجدة من قرم أو من حاجي طرخان أو من أمراء نوغاي وكان قوشاق أوغلان يهز سيفه ويرى الشجاعة للحضار ويقول: نفعل بالروس هكذا وهكذا وكان القزانيون يبغضونه ويتهمونه بزلة وبسوء قصد على أوده ميش گراي والتسلط على ملك قزان فانسلبت أمنية أهل قرم فاختاروا الخروج من قزان فرارًا لتخليص أنفسهم من ورطة الهلاك وكانوا زهاء ثلاثمائة نفس ولكنهم هلكوا كلهم بساحل نهر واتكا على يد عساكر الروس وأسر قوشاق مع خمسة وأربعين نفسًا من أصحابه وأتباعه فقتلوا في بلدة موسكوا صبرًا فعقد أهل قزان مع أمراء الروس عقد المتاركة وأرسلوا إلى إيوان يطلبون منه الصلح ويرضون بخانية شيخ علي فتفكر إيوان حينئذٍ تدبير أبيه في ضبط

الممالك ومعاملة الأعداء وهو أن لا يزعج العدو غاية الإزعاج يعني بحيث يحصل له يأس فيقابله مقابلة اليأس ١ ـ والاحتراز عن إهلاك الإنسان حسب الإمكان ٢ ـ والاكتفاء بالأمر الضروري حين عدم حصول الظفر الكلي ٣ ـ وأن لا يضيع ما حصل في اليد ٤ ـ يعني الصلح مع العدو مع تملك ما حصل في اليد من الأراضي ثم قبل الصلح مع مراعاة هذه الأمور يعني بشرط بقاء الأراضي التي دخلت في حوزة الروس في أيديهم وبشرط إطلاق جميع أسارى الروس وبشرط تسليم سيون بكه وابنها أوده ميش گراي وسائر من كانوا في طرف الخانية من بقايا أهل قرم وذراريهم إلى إيوان فرضي أهل قزان بتلك المذلة والعار حيث عجزوا عن استعمال السيف البتار فأرسل إيوان من طرفه سفيرًا آداشف ليخبر أمراء الروس بانعقاد الصلح وخانية شيخ علي بالوجه الذي سبق آنفًا فلما أحاط الأهالي وشيخ علي بما جرى علمًا استولى عليهم من الهموم والغموم ما لا يوصف لانقسام مملكة قزان وبقاء أحسن أراضيها وأكثرها محصولاً بيد الروسية فقال شيخ علي إذا بقيت تلك الأراضي المعمورة بيد الروسية كيف استجلب محبة رعيتي وماذا يكون خانيتي فقال الأمراء هذا هو رأي إيوان فأراد أهل قزان أن لا يقبلوا الشرط المذكور فهددهم أمراء الروس وقالوا إما أن تقبلوه وإما أن يأتي إيوان بعساكره ويهلك المخالفين والممتنعين من قبوله فقبلوه بالضرورة وأعلنوا للشيخ علي أن سيون بكه وابنها أوده ميش گراي يذهبان إلى موسكوا ولما تهيأت سيون بكه للسفر زارت أولاً قبر زوجها صفا گراي خان وتذكرت أوقاتها التي مضت معه بغاية الفرح والسرور وطاحت على قبره وبكت بكاء شديدًا وقالت: أنت سعيد حيث لم تر مثل هذا اليوم انظر إلى حال طفلك أوده ميش گراي وطالعه المنحوس قد سلموه كالأسير إلى عدوك كفرة الروس فبكى الحاضرون لبكائها وصارت أحوالهم أنموذجًا من القيامة وقال لها الأمراء على وجه التسلي: لا تحزني أن إيوان يكرمك ويحترمك وعنده كثير من الخوانين المسلمين ولعله يزوجك من واحد منهم فركبت عربة مزينة لائقة بالملوك معدة لركوبها ونزلت إلى ساحل نهر قزان ونزل كافة أهل قزان لوداعها فركبت السفينة المزينة التي كانت معدة لركوبها مع ولدها أوده ميش گراي ومعها أيضًا عيال أمراء قرم قد اصفر وجهها من شدة أسفها وحزنها وغلب عليها البكاء ولما ركبت السفينة وحان مسيرها ودعت الأهالي بالإشارة وطأطأت رأسها فودعها الأهالي وحيوها جاثين على ركبهم وبكوا بكاء شديدًا مرة ثانية ودعوا لها بالخير وكان الكيناز أوباليسي ينتظرها في ساحل نهر وولغا فلما وصلت هناك استقبلها بالإجلال والتعظيم وحياها نيابة عن

إيوان ثم حملها بجميع من معها إلى موسكوا فعقدت مبادىء الصلح المذكور على الوجه المشروح ولا يدري كيف صار حالها حين وصولها بموسكوا ولم أدر أين كان أبوها الميرزا يوسف[١] في الوقت المذكور وكان كل ذلك في خلال ٩٥٨ سنة فتكون خانية أوده ميش گراي نحوًا من ٢ سنتين.

قال: ثم أراد أمراء الروس تنفيذ سائر الشروط وطلبوا من الأهالي تأكيد الصلح باليمين وإطلاق كافة أسارى الروس وعينوا لذلك يومًا معينًا وأقامت عساكرهم بين قزان وولغا وأرسل شيخ علي إلى أمراء قزان يأمرهم بتهيئة قصر الخوانين لنزوله وبات ليلته تلك في الخيمة فلما أصبح الصبح خرج الأهالي كلهم وقرئت عليهم نسخة اليمين والصلح فقبلوا جميع ما فيها إلا أنهم توقفوا في إبقاء الجهة القبلية الجبلية للروسية فهددهم الأمراء إن لم يقبلوه فقبلوه على رغم منهم فأمضيت النسخة بختم شيخ علي وإمضاء الأكابر وحلف الأهالي أفواجًا أفواجًا إلى ثلاثة أيام ثم دخل شيخ علي البلد ومعه من أمراء الروس بولغاقف وخبارف فأجلساه على كرسي الخانية ثالث مرة فحصل مقصوده لو دام وكان قصر الخان حينئذٍ مملوءًا بأسارى الروس وقد مضى لأكثرهم في الأسر عشرون سنة فأطلقهم شيخ علي كلهم وكذلك سائر الأسارى الذين بيد الناس فبكى الأسارى كلهم من سرورهم وكادوا لا يصدقون إطلاقهم وجاؤوا بهم قلعة ضيا الجديدة ووزعوا لهم الألبسة وسائر ما يحتاجون إليه وقال لهم أمراء الروس: انطلقوا حيث شئتم لا أسر لكم بعد اليوم فذهب بالسفينة إلى أعالي وولغا ستون ألف أسير سوى من ذهبوا إلى طرف واتكا وبيرمي ولم ير في الروسية يوم أشد وأكثر سرورًا من اليوم المذكور.

قال كارامزين: وصار كيوم تخلص فيه بنو إسرائيل من عذاب فرعون وطرد عساكر الروس من لم يطاوعهم من المسلمين من شاطىء وولغا وقاما وقتلوا كثيرًا منهم ثم أرسلوا إلى إيوان لتبشيره بتمام الصلح ونفاذ كافة شرطه على مرامهم القائد بولغاقف ثم رجع القائد دانيل رومودانف وخليقف وبقي القائد خبارف مع خمسمائة نفر من عسكر الروس عند شيخ علي لمحافظته ومراقبة أحواله وبقي الكيناز سيمون الميكولي المشتهر بالدراية والشجاعة في قلعة ضيا الجديدة يعني مع العساكر لمحافظتها.

---

(١) وقد يقال إنه لم يتعرض لفعل الروسية هذا ولم يعترض عليه ولم يمانع عنها لكونه معاهدًا للروسية في ذلك الوقت والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

ذكر مقدمة استيلاء الروس على قزان

قد علمت أن قسمًا من لحاف الخواجة نصر الدين أفندي قد ذهب ولكن بقي قسم آخر منه ورأس الخواجة سالمًا ولله الحمد وكان يمكنه أن يكمله ويتداركه إن تشبث بالأسباب حسب الأصول ولكنه لم يفعل ذلك بل ضيع طريق الحزم والاحتياط وعكس الأمر فصار فعله هذا سببًا لذهاب القسم الباقي منه وذهاب رأسه بالكلية وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

قال كارامزين: لو وفى أهل قزان بعهدهم الذي عاهدوه الروسية وداموا عليه وجانبوا ما يغايره ويخالفه لاستمرت قزان دار إسلام دائمًا ولم تقصده الروسية بسوء قط ولكن جريان أحوال قزان وأفعال أهلها ومعاملتهم المغايرة للعهد المذكور اقتضت انقراضها وإزالتها من عالم الوجود هكذا يقول المؤرخ الروسي فلو كان مكانه مؤرخ مسلم لذكر خلافه ولأسند نقض العهد والعمل بخلافه إلى خصمهم لتعصبهم وشدة حرصهم على الاستيلاء على قزان.

والحاصل أنهم لم يزالوا يتهمون أهل قزان بداء هو ألصق بهم وجراثيمه مترسخة فيهم ولقد صدق من قال القوة تغلب على الحق ثم قال على وجه إسناد قبائحهم إلى خصمهم: إن أهل قزان كانوا قد طغوا طغيانًا زائدًا فلم ينفع الإيوان ما كان يبذله لشيخ علي من أنواع الهدايا النفيسة وتزويجه إحدى نساء الخان السابق منه وكذلك إسداؤه أنواع المعروف وأصناف الجوائز لأكابر قزان يعني لمنافقيهم بل ضاع ذلك كله وصار هباءً منثورًا فإنه قد تبين أنهم لم يطلقوا أسارى الروس كلهم بل بقي في أيديهم كثير منهم بل تحقق أنهم لم يزالوا يأسرونهم ويقيدونهم بالسلاسل والأغلال وكلما كان إيوان يرسل إلى شيخ علي يأمره بإطلاقهم ويخوفه بوخامة العاقبة إن داموا على المخالفة لم ينفعه ذلك فإن شيخ علي طالب من إيوان مرارًا أن يعيد إليه الأراضي التي بقيت بيد الروسية ولو نصفها فلم يقبله إيوان قط فصار الأهالي مغتاظين على الروس لذلك ولا يسمعون كلام شيخ علي وكان شيخ علي أيضًا يختار السكوت ويغض عنهم وكلما ينبهه أمراء الروس الذين كانوا معه على قبح سكوته وغضه وعدم منعه إياهم كان يقول لهم: أخاف من وقوع الفتنة لشدة غيظهم بالروسية لضبطها الأراضي المذكورة.

ولما لم يوجد سبيل لإلقاء الفتنة والمخالفة بين شيخ علي وبين أهل قزان بالوجه المذكور والحال أنه أصل المقصد لكونه وسيلة لتغيير الأمور الجارية والاستيلاء

على قزان تشبثوا بسبب آخر فأخبروا الشيخ عليًا بأن أمراء قزان يخابرون أمراء النوغاي ويراسلونهم خفية ويطلبون منهم خانًا لأنفسهم ويريدون أن يفتكوا بالشيخ علي وأمراء الروس الذين معه في قزان على عادتهم السابقة وحيث كان هذا الأمر قد تكرر منهم صدقه شيخ علي وقد قيل من يسمع يخل فعمل في قصره ضيافة دعا لها أكابر أهل قزان وقد عين من خواصه وعساكر الروس أناسًا لقتل من يأمرهم بقتله فلما اجتمعوا أمر بالقبض على من وقعت عليهم الشبهة وقتلهم المأمورون بقتلهم وهم مقدار سبعين نفرًا فخاف الناس كلهم وصاروا يهربون إلى كل جهة ووقعت الفتنة وسفكت الدماء مدة يومين وتنفرت قلوب الأهالي من شيخ علي ونالت الروسية بغيتهم بهذا الوجه ولما بلغ خبر هذه الفتنة إيوان علم أنه قد حان حين انقراض قزان فأرسل أداشف إلى شيخ علي يخبره بأنه لا بد لتسكين هذه الفتنة من إدخال عساكر الروس بقزان لحماية شيخ علي وسائر الأهالي خصوصًا تبعة الروس فقال له شيخ علي: لمن القباحة في هذا الخصوص إن أعاد إيوان الأراضي التي استولى عليها إلينا أنا متكفل لتسكين الفتنة والوفاء بالعهد وإلا فاترك الخانية باختياري وأذهب إلى إيوان فإنه لا ملجأ لي في الدنيا غيره وأما إدخال عسكر الروس في قزان وإنا خان فيها فهذا لا يصيرا أبدًا فإني وإن كنت صديقًا لإيوان ولكنني مسلم لا تسمح لي الحمية الإسلامية أن أكون لعنة للمسلمين إلى يوم القيامة بتسليم قزان إلى الروسية بيدي ومع ذلك فإني مستعد لخدمة إيوان إن كان هو يبذل لي المرحمة فإني لا أخرج من قزان إلا بعد إهلاك أعدائي وأعداء إيوان وتعطيل الآلات النارية يعني المدافع وإخراجها من صلاحية الانتفاع بها وتمهيد أسباب الاستيلاء عليها بالسهولة من غير حرب يعني أنه يرضى بدخول قزان في حوزة الروس ولكنه لا يرضى أن يكون ذلك وهو خان بها فرارًا من توبيخ الناس وتشنيعهم ورميهم إياه بالجبانة والخيانة لا خوفًا من الله ولا حمية للإسلام والمسلمين وظن الشقي بذلك أن خيانته هذه لا تظهر للعالم فرجع آداشف بهذا الجواب إلى موسكوا وبينه لإيوان وكان في موسكوا حينئذٍ ثلاثة من أمراء قزان وهم الميرزا مير علي وكاسترف وعلي مردان فقالوا لإيوان إما لعلمهم بمرامه أو بمشورة واتفاق من أهل قزان أو من عند أنفسهم فقط: إن شيخ علي ظالم نهاب قتال غدار لا يريده أهل قزان بل يريدون التخلص من ظلمه فمتى جاءهم نائب من موسكوا من عند إيوان فهم متهيئون لإطاعته فلا بد من عزل الظالم المذكور ونصب النائب الروسي في قزان يتصرف فيها من طرف إيوان ونحن نترك البلدة ونسكن في القرى

مطيعين لك وإلا تكن فتنة عظيمة ونحن صادقون في قولنا وإلا تطيح رؤوسنا في موسكوا فحسن قولهم لإيوان وطابق رأيه مطابقة النعل بالنعل فأرسل آداشف إلى قزان ثانيًا لعزل شيخ علي والعمل على مراد أهل قزان وقال لشيخ علي: أنه إن اجتهد في إدخال عسكر الروس من غير محاربة في قزان يكون مقبولاً عند إيوان وموظفًا بوظائف سنية ومظهرًا لإحساناته العلية فقال له شيخ علي تكرارًا لقوله السابق: أنا لا أطالب التخت فإنه لا إقبال لي فيه ولا بخت فقد صرت في قزان خانًا ثلاث مرات فلم أتهنأ بالخانية في واحدة منها إما من سوء حظي وإما من سوء تدبيري وحياتي الآن على خطر هنا وإني عاجز عن حماية نفسي فضلاً عن حماية المملكة ولا أريد أن أرى فيها خانًا غيري وأنا مطيع لإيوان في جميع ما يأمره به بشرط أن لا يتعرض لديني.

(يعني على عادة الروسية إلى الآن) فلتأخذوا قزان سواء بالمحاربة وسواء بالصلح والشرط ولكن لا يكون ذلك من يدي وكلما اجتهد آداشف في إقناعه وإرضائه لتسليم قزان بيده إلى الروسية تارة باللطف وتارة بالعنف لم يقبله قطّ فتمّ اتفاقهما على انسحاب شيخ علي من قزان على الوجه المشروح فسد أفواه المدافع خفية وختم صناديق البارود بختمه وأرسلها إلى قلعة ضيا الجديدة ثم خرج مع كثير من غلمانه وأمراء قزان ومفرزة من عساكر الروس كأنه يريد اصطياد السمك من الغدير فلما خرج من البلد أشار إلى عسكر الروس بالإحاطة بأمراء قزان فأحاطوا بهم فاندهش الأمراء من هذا الصنيع واضطربوا ولم يدروا ما يفعل بهم فقال لهم شيخ علي على ما تتحيرون وتضطربون: إنكم لم ترضوا بي وأردتم قتلي وشكوتم مني إلى إيوان وطلبتم منه نائبًا روسيًا بدلي فقد حصل مرادكم وصار قزان من ممالك الروس فالآن يحكم فيكم نائب إيوان وكلنا نتحاكم عنده ثم ذهب معهم إلى قلعة ضيا وكان الكيناز سيمون الميكولي والي قلعة ضيا قد عين للنيابة في قزان من طرف إيوان فأتى قزان وقال للأهالي إن الأمر قد صار على مرامكم وقد عزل عنكم شيخ علي خان فهلموا احلفوا على طاعة إيوان فقبله الأهالي ولكن طلبوا من الكيناز الميكولي أن يرسل إليهم الميرزا چاپقون والميرزا بورناش من قلعة ضيا ليتكفلا بمرحمة إيوان ورفقه بأهل قزان لكونهما من رعية الروس فجاء المذكور أن قزان بأمر الروس فسكن الاضطراب وساد الأمن فحلفوا على طاعة إيوان ثم هيأوا قصر الخان للنائب الروسي ومن معه من الكتاب والحراس وغير ذلك ثم أرسلوا عيال شيخ علي إلى قلعة ضيا ودعوا الكيناز الميكولي النائب إلى قزان فأتاها مع عساكر الروس واستقبله الأهالي من ساحل وولغا بالترحيب وحملوا الأسباب والأحمال إلى البلدة.

وبينما تهيأ عساكر الروس لدخول قزان وظنوا أنهم ملكوها من غير سفك الدماء إذا تقلبت الأمور وانعكست الأحوال دفعة ووقع الاضطراب الشديد بين الأهالي في طرفة عين وذلك أن الأمراء الثلاثة الذين أرسلهم الكيناز الميكوليني إلى قزان عند عيالهم لنصيحة أهل قزان (يعني الميرزا چاپقون والميرزا بورناش وواحد غيرهما) قالوا لأهل قزان: إن الروسية إنما يجيئون لقتلكم وإهلاككم واستئصالكم بالكلية فأثر كلامهم في الأهالي واستولى عليهم الخوف العظيم فإنهم كانوا أولاً متوهمين ذلك فقوي توهمهم هذا فغلقوا أبواب سور البلد على وجه الروسية وعزموا على منعهم من دخول البلد وتسلحوا وتهيأوا للمحاربة وكلما نصحهم بعض الأمراء بالسكون وترك الاضطراب والمخالفة وقالوا لهم: إن أمراء الروس قد حلفوا على أن لا يمسوا أحدًا بسوء وأن لا يظلموا أحدًا وأن يحكموا بين الناس بالنظام واجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد ولكنهم لم يقبلوا ذلك قط ونادوا بأعلى صوتهم أن أيمان أمراء الروس كاذبة صرفة لا اعتماد عليها وقد قال ذلك يعني بطلان أيمان أمراء الروس شيخ علي خان أيضًا لبعض أقربائه.

ولما وقع بين الأهالي ما وقع جاء الكيناز الميكوليني وأوباليني وآداشف قرب سور قزان بعسكر قليل تاركين العساكر الكلية بساحل بولاق فوجدوا باب الخان مغلقًا وقد امتلأ فوق السور بأناس مسلحين وكلما اجتهد بعض الأمراء في تسكين الأهالي لم يمكنه ذلك ولم يرض الأهالي بإدخال الروس في البلد قط وقد أخذوا كثيرًا من أحمال الروسية وأسروا كثيرًا من أولاد الأمراء والأعيان وأسمعوا حاكم موسكوا يعني أحد الثلاثة المذكورين كلامًا شديدًا فعلمت أمراء الروس حينئذٍ أن چابقون بك الذي أرسلوه إلى قزان لنصيحة الأهالي وفائدة الروس قد قلب رداءه بعد دخوله قزان وتنمر وعكس الأمر وصار رئيسًا لأهل قزان في مخالفة الروس ورفع لواء العصيان وندموا على ذلك حين لا ينفع الندم.

قلت: لا يخفى على القارىء اللبيب أن الأمراء المذكورين ليسوا مجانين حتى يحركوا فتنة تنجر إلى استئصالهم لو لم يعلموا نية الروسية في أهل قزان يقينًا مع علمهم بعدم الظفر بالنظر إلى الظاهر ولكنهم علموا ذلك بسبب اختلاطهم بهم وكونهم في الظاهر كأحد منهم فاختاروا الموت كرامًا بالمدافعة عن حقوقهم ومقاتلة أعدائهم واستيفاء أنفاسهم في هذا السبيل.

قال: فبات أمراء الروس وعساكرهم بقرب قزان ورأوا أنه لا يفيدهم النصائح وقد كان لديهم من القوة والعساكر ما يحولون به بلدة قزان إلى الرماد ولكنهم لم

يتجاسروا للمحاربة من غير إذن إيوان فرجعوا إلى قلعة ضيا وحبسوا جميع أمراء قزان وكبراءهم الذين كانوا معهم وأرسلوا شيرميتف إلى إيوان يخبرونه بماجريات الأحوال فبلغه الخبر المذكور في ٢٤ مارس من سنة ١٥٥٢ م وفي ١٠ ربيع الآخر من سنة ٩٥٩ هـ فأرسل شيخ علي إلى بلدة قاسم.

قلت: وكان انفصال شيخ علي من خانية قزان ووقوع الأمور المذكورة في خلال ١٥٥١ سنة م وسنة ٩٥٨ هـ والظاهر أن ذلك كان في أواخر فصل الخريف وصميم الشتاء فتكون مدة خانية شيخ علي في هذه النوبة ١ سنة وأشهر.

فإن قيل: ماذا فعل صاحب گراي خان وبماذا أجاب أهل قزان في طلبهم الخان قلت: وقد حيل بين العير والنزوان وغدر به الزمان وخان لطلوع شمس إقبال إيوان وذلك أنه لم يرض بإرسال بولاك گراي سلطان إلى قزان لكونه غاضبًا عليه لبعض الشأن وحابسًا إياه في بعض القلاع بل أرسل عريضة أهل قزان إلى السلطان سليمان ويطلب منه دولت گراي سلطان ابن مبارك گراي بن منكلي گراي خان الذي كان وقتئذٍ في الأستانة فحرف مخالفوه مقاله وعكسوا ما قاله وفي مقدمتهم أمير الأمراء بكفه وقالوا للسلطان المشار إليه: إن مرامه تبعيد دولت گراي من مركز السلطنة بل إعدامه وفصل مملكة قريم من الممالك العلية وفي دخول ولاية قزان في حوزته مساعدة تامة لمرامه ذلك واستيلاء الروس عليها مناف لمرامه ذلك ونافع للدولة العلية جدًا وما الفائدة لها من كون قزان من جملة مملكتها فليستولي الروس عليها حيث كان فيه منفعة للدولة العلية فصدق السلطان المشار إليه مقال هؤلاء المنافقين أعداء الدين وأرسل دولت گراي سلطان إلى قريم خانًا بها وأمره بإعدام صاحب گراي خان وأهمل أمر قزان بتوهمه الإهمال المذكور نافعًا للدولة العلية إلى يوم القيامة فتم ما تم والأمر كله لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر تدارك إيوان لقصد استئصال قزان ونيله بغيته المذكورة بمساعدة الزمان ودخول قزان تحت خبر كان

قال كارامزين: لما بلغ الخبر المذكور إيوان المدهش في التاريخ المذكور أرسل شيخ علي خان إلى بلدة قاسم وأرسل صهره دانيل بن رومان مع العساكر إلى قلعة ضيا الجديدة وأعلن لكافة بلاد الروسية أنه قد حان الآن وقت دق رأس قزان وقال كنت أريد أن لا أسفك الدماء يعلم الله ذلك مني ولكني أريد راحة

طائفة النصارى ثم جمع امراءه وشاورهم في ذلك فقالوا له: أنت أبونا كل ما تفعله فهو حسن ولكن الأحسن أن تقعد أنت في موسكوا وترسل العساكر إلى قزان تحت قيادة الأمراء ذوي الاقتدار فإن أعداء الروسية كثيرة فمتى علموا خلو موسكوا منك يقصدونها فقال: أنا أدري بأمري وكيف أدبر في حفظ موسكوا من قصد الأعداء ثم أمر بجمع العساكر من جميع بلاد الروسية فاجتمعوا في كاشير وموروم وسار الكيناز ألكساندر الغرباطي وپيطر الشوي بعساكر موسكوا إلى نيژني نووغورد وسار ميخايل الغليني إلى ساحل نهر قاما وأنشأ هناك قلاعًا وحصونًا وكانت الروسية على الصلح والمسالمة مع الدول الغربية وكان يغمورچي خان الحاج طرخاني أيضًا واقعًا في شبكة خدعته يعني صديقًا له والحاصل لم يكن للروسية وقتئذٍ عدو يخاف سوء قصده سوى حكومة قرم وقد قتل صاحب گراي خان بها كما ذكر آنفًا وجلس مكانه دولت گراي خان وكان الخان المذكور يهدد الروسية ويمنعها من التعرض لقزان وكان السلطان سليمان قد كتب إلى أمراء نوغاي الميرزا يوسف وغيره يأمرهم بالاتفاق والاجتماع تحت راية الإسلام وتخليص قزان من مخلب الروسية فينصب فيها خانًا من نسل چنگز إلا أنهم لعدم اختلاطهم ومناسبتهم بالدولة العثمانية واستفادتهم من الروسية بالتجارة معها لم يؤثر فيهم كلامه بل كان يغمورچي خان يعين الروسية بعساكره وكان الكيناز قايبولا بن آقفو بك الحاج طرخاني مقيمًا بموسكوا متزوجًا ببنت جان علي أخي شيخ علي فلم تبال الروسية بتهديد حكومة قرم فإنها كانت حينئذٍ قادرة على مقاومة حكومتي قرم وقزان ومستعدة لمصارعتهما.

وفي الوقت المذكور ظهرت الأمراض بين عساكر الروسية في قلعة ضيا وهلك كثير منهم بتلك الأمراض ولم يبق في البواقي منهم مجال الحركة فأمر إيوان الكيناز الغرباطي والشوي أن يذهبا بمن معهما من عساكر الروس إلى قلعة ضيا وأما أهل قزان فكانوا في بذل الاجتهاد والاستعداد للمدافعة والمحاربة بكمال النشاط وقد أرسلوا إلى أمراء نوغاي يطلبون منهم خانًا لأنفسهم وقد انقلبت آراء أقوام الجهة القبلية التي كانوا قبلوا تبعية الروسية خوفًا منهم حين رأوا قوتها أولاً فلما شاهدوا ضعفهم ونشاط أهل قزان بل لما ذاقوا طعم حنظل ظلم الروسية ولو يسيرًا من الزمان نقضوا عهدهم بالروسية وصاروا أعداء لهم كالأول وانضموا إلى أهل قزان وصاروا يسوقون خيول خيالة الروسية ويسرقون أرزاقهم ويورثونهم أنواع الخسار من القتل والأسر ويضيق عليهم أهل قزان من جهة أخرى فاستولى على عساكر الروسية خوف عظيم وقد كان

بلغهم مسير يادكار محمد خان[١] من بلاد نوغاي إلى قزان فأمسكوا الطرق والمعابر للقبض عليه ولكنهم لم يقدروا على ذلك بل دخل المذكور إلى قزان بخمسمائة فارس من فرسان نوغاي فنصبوه خانًا لأنفسهم وحلفوا له على الصداقة والأمانة وحلف هو لهم على عداوة الروس ومحاربتها إلى آخر أنفاسه ثم تبين لإيوان أن استيلاء الضعف على عسكر الروس في القلعة الجديدة ضيا ليس هو من الأمراض الجسمانية فقط بل هناك أمراض روحانية بسبب استيلاء الخوف عليهم من أعدائهم ومن اعتقادهم أنهم في خارج بلادهم وأرض خصومهم فليسوا هم محقين ومتمسكين بالنظام بل هم معتدون وظالمون ولهذا سلط الله عليهم تلك الأمراض وقوي أعداءهم فكتب لهم إيوان ومطران يوبخاهم وينصحانهم ويشجعانهم ويقولان لهم: إنكم كنتم أولاً صحيحي الاعتقاد كالأسود على أعدائكم والآن قد فسد اعتقادكم واستولت عليكم الأوهام الباطلة فلذا ابتلاكم الله بهذه الأمراض إلى غير ذلك مما ينفث فيهم روح الشجاعة ويزيل عنهم الأوهام والجبانة.

ثم عقد إيوان ثانيًا مجلس المشاورة مع أمرائه ودعى شيخ علي من قاسم وأذن له بتزوج سيون بكه بنت الميرزا يوسف أرملة صفا گراي خان المار ذكرها وأعطاها هدايا كثيرة وأقطعه قرى كثيرة من مضافة قلعة ميشير (قاسم) وأراد أن يستصحبه معه لا للمحاربة فإنه كان بادنًا وجبانًا وكبير السن بل لدهائه وتدبيره فقال له شيخ علي كسائر أمرائه: إن أطراف قزان محاطة بالمشاجر ومواصل يصعب الدنو منها وكلما يكثر فيها اجتماع الإنسان تكثر فيها الأمراض والأوجاع والصواب أن تسير هناك شتاء وقت انجماد المياه فاستصوبه إيوان ثم قال العساكر مجتمعة والأسباب مهيأة لا حاجة إلى انتظار الشتاء فاستحل أهله وعياله وخرج من موسكوا في ١٦ يونيه (حزيران) من العام المذكور قاصدًا معسكره العام بقولومنا وكانت زوجته حبلى فاغتمت لمفارقته

(١) ولم أر بيان نسبه في موضع من المواضع سوى ما ذكره الفاضل المرجاني من أنه يادكار خان بن قاسم خان ابن السيد أحمد خان بن أحمد خان بن كچي محمد خان الاسترخاني طلبوه أهل قزان من بلد حاجي طرخان اهـ ولم يبين مأخذه وقد مر عن كارامزين عند بيان أحوال حاچي طرخان ما معربه وفي سنة ١٥٤٢ م أتى بلدة موسكوا ولد خان حاچي طرخان يادكار للخدمة في الروسية وقلنا هناك لعله يادكار الذي صار خانًا في قزان بعد ذلك ولعل مراد كارامزين بخان حاچي طرخان هو قاسم خان وإن لم يسمه وكان قتله قبل ذلك بعشر سنين فيمكن أن يرجع بعد ذلك إلى وطنه ثم يجيء إلى قزان وقول إيوان له بعد أسره أما عرفت قوة الروسية يدل على ذلك كما لا يخفى والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

وبكت كثيرًا فلم يمنعه بكاها من قصده بل توجه إلى قولومنا فلما وصل هناك رتب عسكره ترتيبًا جيدًا ونصحهم بالصبر والثبات وشجعهم وبينما هو في الشغل المذكور إذ جاءه الخبر أن عسكر قرم قد هجموا على الروسية وتعدوا الحدود من جهة نهر تن (دون) وتوجهوا نحو رزان فتوقف هناك لمدافعته وأرسل شيخ علي إلى بلدة قاسم مع الكيناز ولاديمير بن آندري وبعد التي واللتيا جاءه الخبر بقولومنا في أواخر يونيه برجوع[1] عسكر قرم من أمام بلدة طولا بترك مدافعهم وأحمالهم وأثقالهم وقتلى كثيرة من القرميين والعثمانيين فسر بذلك سرورًا عظيمًا ثم صمم أن يسير إلى قزان وكانت عساكره تعبوا تعبًا شديدًا لحملهم السلاح مذ أشهر كثيرة فأظهروا الشكاية من التعب وطول السفر فقال إيوان لقواده: كل من يذهب معي يعد من أولادي اكتبوا أساميهم في الدفتر ليعلموا وكل من يريد القعود والرجوع فليقعد وليرجع فإني لا أحب الجبان الخواف فنادى كلهم من فم واحد نذهب كلنا لا يرجع منا أحد وننسى تعبنا ثم توجه في ٣ يوليه (تموز) إلى قزان بعساكره التي لا تسعها الأرض بعد أن عبدوا واستنصروا بأم ربهم التي كان الكيناز ديميتري الدوني أخذها معه حين محاربة مماي على نهر دون ثم وضعها في كنيسة قولومنا وزار في طريقه قبر ألكساندر النيفي المتقدم ذكره في المقصد الثاني واستمد من روحه ومن جملة من كان معه بعض أمراء التتار بعساكر التتار المقيمين ببلدة قاسم وعساكر برطاس (موردوا) وأرسل مملوكه شيخ علي بالسفن من طريق وولغا وقد أرسل بعض قواده بفرقة من العساكر لإرجاع أقوام الجهة القبلية إلى طاعة الروس ثانيًا ففعلوا فارتفعت الموانع والعوائق كلها وصار الأمر بحيث يتم أمر قزان بنفخة واحدة فوصل إيوان إلى قزان بمائة وخمسين ألف عسكر سوى الموجودين هناك سابقًا في ١٩ أوغسطس المصادف ١٠ رمضان من العام المذكور فنزل في الجهة الشمالية من وولغا أعني جهة القزان وأرسل مملوكه شيخ علي إلى جزيرة هناك تسمى غاستيني أوستروف فجاءه الأقوام المذكورة الجبلية أفواجًا أفواجًا وخلفوا له على الطاعة ثانيًا فأرسل القائد ميخايل موروزف بالمدافع لهدم القلعة الحجرية ثم تلقى إيوان في ٢٠ أوغسطس وهم مقيم بساحل نهر قزان مكتوبًا من

(١) المذكور في السبع السيار أن هزيمتهم إنما كانت من هجوم الكيناز شيرميتف عليهم من وراءهم بتسعين ألفًا من عساكر الروس بغتة وقطعه خط رجعتهم وأما المذكور في تاريخ كارامزين أن الذي هجم عليهم هو الكيناز شيناتيف بخمسة عشر ألف روسي والله أعلم وقد قتل فيه قالغاي أحمد گراي وحاجي گراي وعلى قول كارامزين الميرزا قام بيردي أيضًا وعلى كل حال أنهم لم يفعلوا شيئًا. منه عفي عنه.

يادكار خان وأمرائه كتبوا فيه ما يسد باب الصلح من ذم إيوان والنصرانية وذم شيخ علي ونسبته إلى الخيانة والشر وقالوا نحن مستعدون لضيافتكم ومنتظرون إليكم والأسباب مهيأة.

وكان عسكر إيوان على ستة ويرسته من قزان ينظرون إلى بلدة قزان وإلى مساجده ومنائره والقلعة المبنية من الحجر وسور البلدة المبني من خشب البلوط المملوء بين طبقيته بالتراب كأنها كف اليد وفي تلك الأيام قد شرع الأمطار في النزول واستمر إلى أيام فطغت المياه وفسدت الطرق وزادت الأوحال التي في أطراف قزان فأخرجت الروس مدافعهم وسائر أسلحتهم ومهماتهم من سفنهم مدة يومين من غير أن يتعرض لهم أحد فأتى في تلك الأثناء من قزان منافق يسمى الميرزا قاماي معسكر إيوان فأخبره بأنا كنا مائتي نفر فقبضوا على رفقائي وأنا خلصت نفسي بركوب متن الفرار وأخبره أيضًا بأن يادكار خان والملا قل شريف رئيس العلماء والميرزا إيزينيش النوغاي والميرزا چاپقون وآتاليق وإسلام وعلكاي وناريقف والميرزا كيبك التومني ودرويش قد نصحوا الأهالي وحرضوهم وشجعوهم على مقاومة الروس ومحاربتهم فاتفقوا على ذلك واجتمعوا فلم يبق في أحد منهم فكر الصلح قط وأن القلعة الحجرية مملوءة بالذخائر والأسلحة وفيها ثلاثون ألفًا من عساكر قزان وألفان وسبعمائة من عساكر نوغاي وقد أرسل الميرزا بپانچي بفرقة من العساكر إلى جهة قلعة آرچه ليجمع هناك عسكرًا من الأهالي ويسلحهم ويهجم بهم على عساكر الروسية من ورائهم ويضيق عليهم دائمًا فأكرمه إيوان في مقابلة خيانته تلك ثم أمر عساكره أن يحضر كل واحد منهم خشبة كبيرة ليستعملها وقت الحاجة لإصلاح الطرق وبناء الأبراج والمتارس ثم شرع في تبعية عساكره وترتيبهم فأمر المقدمة بأن يقيموا في ميدان آرچه بساحل نهر قزان أعني الجهة الشمالية ووضع الطليعة بساحل بولاق أعني الجهة الجنوبية وأمر مملوكه شيخ علي بأن يقيم على جهة اليسار من الطليعة وراء المقبرة القديمة أعني جهة الجنوب الغربي واستقر هو مع عسكره الخاص الذي كان يقوده ولاديمير بن آندري في محل يسمى معيشة الخان بساحل وولغا وأمر أمراءه وقواده أمرًا مؤكدًا أن لا يباشروا الحرب قبل أن يشير إليهم ويأمرهم به.

وحين شرع الصبح من يوم الجمعة الثالث والعشرون من أوغسطس المطابق لليوم الرابع عشر من رمضان من العامين المذكورين في الظهور شرع عسكر إيوان في الحركة فسار في مقدمته الكيناز يوري الشيماكي البروني وفيودر الترويقوري ومن

ورائهما الخيالة والمشاة والرماة والأمراء والضباط فمشوا على هيئتهم ولما طلعت الشمس وألقت شعاعها فوق بلدة قزان ووقع بصر إيوان عليها في تلك الحالة أعجبه حسن منظرتها وبهجتها فصار ينظر إليها نظر الجائع إلى الطعام اللذيذ والظمآن إلى الماء البارد فأوقف هناك عساكره وأمر بدق الطبول وتصويت المزامير والمواسيق ورفع الأعلام ورفع صورة عيسى التي فوقها الصليب وقد كانت مع ديميتري الدوني حين محاربته مماي وكانوا يرون النصرة منها ومن صورة أمه حاشا ونزل إيوان وسائر الأمراء من خيولهم وشرعوا في العبادة والدعاء وطلب النصرة من آلهتهم على عادتهم تحت العلم الأزرق ثم قال إيوان خطابًا لعسكره أنكم تشرعون الآن في أمر عظيم فكل من يقتل فهو مأجور وأهله وعياله لا تضيع ولا تحتاج وحلف على ذلك من اسم الروسية وعاهد أيضًا أن يقتل هو وقال لو كانت غلبة الروسية وراحة النصارى موقوفة على قتلي فإني أبذل روحي لأجل ذلك فبكت أمراؤه وعساكره كلهم وقالوا: أنت أبونا ونحن كلنا مستعدون لبذل أرواحنا في سبيلك وسبيل كافة الروسية التي هي أمنا فركب إيوان فرسه ورتب عسكره ثانيًا وشجعهم فجاء بهم قرب قزان وكانت قزان وقتئذٍ ساكنة وهادئة لا يحس فيها صوت قط ولا يرى على سورها وأبراجها أحد ففرحت الروس وقالوا: إن التتار قد هربوا إلى الغابات مع خانهم وعساكرهم وظنوا أنهم قد ملكوا البلد بلا حرب ولكن قالت أمراؤهم المجربون للأمور أنه لا بد من الاحتياط والحزم في هذا الخصوص ثم بنوا جسرًا على البولاق ومشى عليه سبعة آلاف روسية قاصدين ميدان آرچه.

وبينما هم يمشون بهذا القصد ولم يبق بينهم وبين القلعة الحجرية إلا مقدار مائتي باع إذ فتح باب السور بغتة وخرج منه خمسة عشر ألفًا من عسكر التتار ما بين خيالة ومشاة وهجموا عليهم دفعة واحدة ولهم زعقات وزمجرة ففرقوا جمعهم وشتتوا شملهم وشرع بواقيهم من القتل في الفرار لا يلوي على أحد فجاء الكيناز الشيماكي والترويقوري بعساكرهما ووقفوا أمامهم وأوقفوهم وجمعوهم فأتاهم في ذلك الوقت العساكر المؤلفة من أولاد الأعيان فاشتدت المحاربة جدًا فلما تكاثرت الأعداء رجع الموحدون ودخلوا القلعة وتحصنوا وقد أسر كثير منهم فأخذت الروس الأسارى ورجعوا إلى مراكزهم فاجتمعت الأعداء كلهم ونظروا إلى الأسارى وفرحوا فرحًا كثيرًا تفاؤلاً بغلبتهم في أول المحاربة.

ثم أحاطت الروسية ببلدة قزان من جميع جهاتها ونصبوا خيامهم وقطعوا طرق مواصلتهم مع الخارج بالكلية ولم يبق لهم رجاء وصول الإمداد من خارج سوى الأمير

بيانچي ومن معه من المتطوعة وسوى من كانوا بقلعتي أوستروغ وآرچه الآتي ذكرهما فلما غربت الشمس أعطاهم إيوان كلهم الأوامر والتعاليم اللازمة وباتوا ليلتهم تلك بلا تشويش فلما أصبح الصبح من الغد قامت الرياح العاصفة الشديدة وضربت بخيمة إيوان وسائر الخيام على الأرض وغرقت سفنهم المشحونة بأرزاقهم وذخائرهم وغيرها من سفنهم فاستولى الخوف العظيم على الأعداء واندهشوا وظنوا أنهم قد هلكوا وتم أمرهم وزال عن مخيلاتهم الاستيلاء على قزان وأيقنوا بالانهزام والرجوع أمام أعدائهم بكمال الذلة والهوان لانعدام أرزاقهم وأرزاق حيواناتهم فأرسل إيوان إلى قلعة ضيا وموسكوا أشخاصًا لإحضار الأرزاق والأسباب اللازمة وألبسة الشتاء بنية أن يشتو فيها إن امتدت المحاصرة والمحاربة.

وفي ٢٠ أوغسطس ذهبت مفرزة من فرقة شيماكين وتريقوري لتأخذ موقعًا فيما بين ميدان آرچه ونهر قزان ليقطعوا طرق المواصلة بين قزان وبين الچرامشة الذين في الجهة الشمالية من نهر وولغا وليتصلوا بالجناح الأيمن من عسكر الأعداء وأقاموا حذاء القلعة الحجرية فهجم عليهم الموحدون من القلعة المذكورة وأزالوهم عن مكانهم وجرحوا الكيناز شيماكي المتهور فوصل ديميتري خليقف في الحال بجميع العساكر المقدمة وفرقة الأعيان فرجع الموحدون لما تكاثرت الكفرة ودخلوا الحصن وباتت ميسرة الأعداء ليلتئذ على كمال اليقظة والاحتياط وأعدوا مدافعهم ومتاريسهم وحفرت رماتهم حفائر لأنفسهم وكمنوا فيها وكمنت الخيالة في بناء مبنية هناك من حجر يسمى بالروسية داوروووي باني يعني حمام داورو أو ظاهر بقرب القلعة الحجرية ولم ينزل إيوان في هذين اليومين من فرسه بل دار في أطراف قزان ينظر محلاً مناسبًا للهجوم منه إلى البلد.

وفي ٢٦ أوغسطس تحركت الفرقة الكبيرة ليلاً من مركزها وكان ميخايل الووروتيني على المشاة وعين الكيناز المسيتصلاوي مع الخيالة لنجدته وعين أيضًا من العساكر الخاصة بإيوان فرقة الأعيان للإمداد وقت الحاجة فهجموا بتلك الهيئة إلى قزان فخرج عليهم أهل قزان أيضًا بكمال البسالة والشجاعة ولهم صيحات وزعقات وأطلقوا عليهم المدافع والبنادق من الأبراج وفوق السور فبقي عسكر الأعداء تحت الدخان واختلط الفريقان بعضهم ببعض واقتتلوا بالرماح والسيوف ولما تكاثرت الأعداء التجأ الموحدون إلى القلعة ولكن لم تنقطع المحاربة بل استمر إطلاق المدافع والبنادق من الطرفين إلى الصباح هؤلاء من داخل القلعة وهؤلاء من خارجها بل كان الموحدون يهجمون على الأعداء خارجين من القلعة ساعة فساعة ثم يرجعون

ويدخلون القلعة واستمر هذا الحال إلى الصباح ولم يكتحل عين أحد من الطرفين بالنوم حتى بات إيوان يعبد في كنيسته صورة عيسى وأمه وسائر التماثيل ويحرض عساكره على الحرب وينفث فيهم روح الشجاعة ساعة فساعة وقد أضاع أهل قزان في هذه المحاربة كثيرًا من أبطالهم مثل البطل الكبير إسلام بك والبطل سونچالي والميرزا ناريقف وغيرهم وهلك من مشاهير الروسية ليونتي شوشيرين.

وفي ٢٧ أوغسطس وضع ميخايل ماروزف آلات هدم السور فوق تلال مصنوعة وطفقوا يرمون بها إلى سور البلد وقد كمن الكيناز ووروتيني عساكر الرماة ليلاً في محافر على مسافة قريبة من البلد بين البولاق وميدان آرچه يعني الجهة الشرقية من قزان فشرع هؤلاء أيضًا في الرمي إلى البلد من مكمنهم فتستر أهل قزان بالسور ولكنهم هجموا من طرف آخر إلى عسكر الأعداء المتفرقين في الميدان واجتهدوا في أسر بعض منهم ليقفوا على أحوال عدوهم بأخبارهم وكان قائد الروس في تلك الجهة الكيناز المسيتصلاوي فضبط عسكره وهجم بهم على المسلمين والجأهم إلى البلد وأسر من مشاهيرهم قرامش أوغلان فلما استنطقه إيوان قال: إن أهل قزان مستعدون للموت لا يجنحون للصلح قط.

وفي اليوم الثاني يعني في ٢٨ أوغسطس بينما كان الروس منتظرين خروج التتار من القلعة الحجرية ومستعدون لحربهم إذ ظهر أهل قزان من جهة أخرى خارجين من بين المشاجر والغابات هناك وكان هؤلاء تحت رياسة الأمير پيانچي المار ذكره فهجموا على الفرقة المتحيزين بميدان آرچه بغتة وأحاطوا بهم وهجموا أيضًا على فرقتهم الكبرى وكان عليها الكيناز خليقف فاضطرب اضطرابًا شديدًا وتمكن من ضبط فرقته وحفظهم من الانهزام بغاية الجهد فلحق بهم في الحين الكيناز المسيتصلاوي ويوري الآبوليني وإيوان البروني وصدوا هجوم المسلمين ثم أرسل إيوان فصيلة من عسكره الخاص وركب بنفسه فتكاثرت الروس ودخل المسلمون إلى الغابات التي خرجوا منها وقد هلك في هذه الوقعة كثير من كبراء الروس وجرح كثيرون وتحققت الروس من الأسارى أن هذه الفرقة الخيالة جاؤوا من المواضع المضبوطة المستحكمة في طرف قلعة آرچه تحت رياسة الأمير پيانچي وهم مأمورون بالهجوم على عسكر الروس وإزعاجهم دائمًا.

وفي ٢٩ أوغسطس تقرب أمراء ميمنة الروس شيناتيف وقوروبي من البلد وأنشأوا المتارس بساحل نهر قزان وأخذ شيماكين وترويقوري موقعًا بميدان آرچه ففي

تلك الأثناء ظهرت فرقة الأمير يپانچي من بين الغابات المذكورة وكان المسيتصلاوي وخليقف وآبوليني متيقظين ومستعدين وقد أنشأ سائر عساكر إيوان المتارس من ميدان آرچه إلى نهر قزان فشرع الفريقان في إطلاق المدافع والرمي بالسهام ولكن لم يخرج أهل قزان من القلعة فإن انتظام عسكر الأعداء واستعدادهم للمحاربة وانتظارهم إليهم كانت فوق الغاية ولهذا لم تخرج فرقة الأمير يپانچي أيضًا من بين الغابات وفي اليوم المذكور تم حصار قزان حسب الأصول بحيث لا يمكن الخروج منها والدخول فيها قط وأنشأوا المتارس في جميع جهاتها برًّا من الأكياس المملوءة بالتراب وفي الموحل من الأخشاب الكبيرة وقد أفنوا في هذا السبيل كثيرًا من عساكرهم فأخبروا إيوان ليلاً بتمام الحصار.

ذكر تشتيت الروس فرقة الأمير يپانچي وكسرهم جناح المسلمين بذلك

قال: كان عسكر الروس قد تعبوا تعبًا شديدًا إلى آخر الدرجة لكونهم تحت السلاح أسبوعًا كاملاً من غير استراحة لحظة وكان أكلهم الخبز اليابس (بكسماد) فقط فإن أرزاقهم قد غرقت وكان الأمير يپانچي يهجم عليهم دائمًا بغتة ويقتلهم ولا يتركهم يستريحون وكان الذين في داخل البلد يخبرونه بالإشارات من فوق المنابر بما يلزمه أن يفعله من الهجوم والرجوع والمواضع المناسبة للهجوم فيعمل بموجب إشاراتهم فينجح فصار بذلك بلاءً مبرمًا على الروس ترتعد فرائصهم إذا سمعوا اسم يپانچي فدبر إيبان طريق ضد هجماته بأن قسم عسكره قسمين وجعل قسمًا منهما بحذاء البلد وحماية نفسه وقسمًا آخر جعله تحت قيادة ألكساندر الغارباطي وهو مركب من ٣٠,٠٠٠ خيالة و١٥٠٠٠ مشاة وأمره بأن يكون في مقابلة الأمير يپانچي وأن يخدع في تشتيت شمله فسار المذكور بتلك الفرقة إلى الغابات التي فيها الأمير المذكور وكمن نصف عسكره وراء أكمة في الغابات المذكورة وأظهر نصفه الآخر ولما رأت فرقة الأمير يپانچي هذا النصف الظاهر من فرقة غارباطي هجموا عليهم فتقهقر هؤلاء ليجروهم إلى موضع الكمين فتبعتهم فرقة يپانچي لجهلهم بالكمين حتى دخلوا بين عربات أحمال الروس فخرج إليهم النصف الآخر من عسكر غارباطي من مكمنهم وأخذوا وراءهم وقطعوا خط رجعتهم وأحاطوا بهم من كل جانب ووضعوا فيهم السيف وقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

ولما فرغوا من أمر هؤلاء شرعوا في تعقيب الهاربين منهم والذين بقوا في مركزهم وبعد وقائع كثيرة تمكنوا من تشتيت شملهم وتمزيق جمعهم بحيث لم يقم

لهم قائمة بعد ذلك فانكسر جناح المسلمين واطمئن قلوب الكافرين من هذه الجهة وتخلصوا من البلاء العظيم وحصلت لهم غاية القوة وفرحوا بذلك فرحًا عظيمًا حتى أن إيوان عانق الكيناز الغارباطي المذكور من شدة فرحه وقبله وقد أسروا كثيرًا من المذكورين فأمر إيوان بنصب خشبات بحذاء البلد وربط كل واحد من هؤلاء الأسارى بواحد من تلك الخشبات جزاء لهم في مقابلة مدافعتهم عن وطنهم العزيز وإظهار المدنية الروسية التي لا تزال هي عليها إلى الآن للعالم وإرهابًا لبقية المدافعين عن وطنهم العزيز ثم أمرهم أن يتملقوا لأبناء جنسهم وأهل بلدهم في تسليم قزان إلى إيوان فيعفو عن الكل باللسان فصار أهل قزان يرمونهم بالنبال ويقولون إن موتكم بنبالنا خير لكم من أن تتعذبوا بعذاب الكفار وأن تكونوا آلة في أيديهم لمثل هذه الرذالة يعني تسليم قزان فتعجب إيوان ومن معه من صلابة أهل قزان وشدة عداوتهم للروس واندهشوا من صنيعهم المذكور.

ذكر سد طريق ماء قزان وتعجيزهم بتلك الحيلة

قال كارامزين: كان إيوان يريد على أن يستولي على قزان من غير أن يتلف عسكره ومن غير أن يرتكب ضررًا كبيرًا فأمر المهندس النمسوي الذي كان في عسكره أن يحفر من ساحل البولاق إلى باب آتاليق وتومن ليضع فيهما لغمًا فقال الميرزا قاباي المنافق الشقي إن أهل قزان يستقون من عين بجانب باب مير علي يجيء من نهر قزان فالأنسب أن تقطع طريق الماء عليهم فناسبه ذلك فأمر بالحفر من داوروووي باني المار ذكره فلما حفروا مقدار عشرة أيام سمعوا فوقهم خفق النعال وصوت مشي الأقدام فتيقنوا أنه طريق الماء المذكور فوضعوا تحته أحد عشر برميلاً من البارود وأخبروا به إيوان فخرج في ٥ سبتمبر[1] (أيلول روم) صباحًا فوق حصن هناك فأضرموا النار على البارود المذكور أمام عينه فطار طرف من سور البلد مع الأخشاب والأحجار وكثير من الأهالي إلى الهواء وامتلأ الجو بالتراب والغبار فاستولى الرعب العظيم على المسلمين وغابوا عن حسهم وبينما هم في الدهشة والحيرة إذ هجم العدو على البلد من المحل المذكور كالسيل المنهمر فقاومهم المسلمون وقاتلوهم أشد القتال حتى طردوهم وأخرجوهم من البلد وقد قتل من الطرفين خلق كثير وأسر بعض المسلمين فظن الأهالي أن قد تم أمرهم وأنه لا بد أن يستولي الروس على قزان وقد استولى عليهم الضعف من فقدان الماء وشربهم

(١) يوم الخميس المصادف ٢٧ رمضان. منه عفي عنه.

المياه المتعفنة المجتمعة في بعض الأخاديد ولكنهم كانوا مع ذلك يبذلون أقصى جهدهم في مدافعة عدوهم ويهجمون عليهم كالأسود الضواري ولا يتركونهم يدخلون في البلد ويرممون ما انهدم من السور والحصون ويعمرونه ويعيدونه كالأول بل أحسن منه في أسرع ما يكون ولم يحصل لهم أدنى فتور مع توالي الانكسارات وتتابع وقوع أسباب اليأس في كل يوم وفي كل ساعة.

ذكر استيلاء الروس على قلعتي أوستروغ وآرچه

قال كارامزين: وفي ٦ سبتمبر (أيلول الرومي) أمر الكيناز إيوان الكيناز ألكساندر الغارباطي وشويسكي أن يهجموا على قلعتي أوستروغ وآرچه ويستولوا عليهما وكانت قلعة أوستروغ مبينة في بقعة يصعب الوصول إليها لكونها محاطة بالأراضي الندية والمواحل التي لا تثبت الأقدام عليها وسائر العوارض المانعة من الوصول إليها على خمسة عشر ويرستًا (ميلاً روسيًا) من قزان على جهة الشمال منها يعني على جهة قلعة آرچه وكان قد التجأ إليها بقية عساكر الأمير يپانچي فتقدم الكيناز الميكولي ومعه أولاد الأعيان والأمراء وغير ذلك من مشاهير قواد الروس وتيمينكوف البرطاسي (موردوا) فباغتتهم الروس على الغفلة وانتشب القتال بين الفريقين تحت السور المبنية من نسج أعواد الأشجار الضعيفة المطينة بالأطيان وصاروا يترامون من الطرفين بالنبال فتكاثرت عليهم الروس وملكوا باب السور ودخلوا القلعة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا مائتي نفر وهدموا القلعة بالكلية وباتوا ليلتهم تلك هناك وفي صباح الغد توجهوا نحو قلعة آرچه وكانت قلعة جيدة معدودة في المرتبة الثانية من قزان وكل أمكنة صادفوها في ممرهم من منتزهات أهل قزان ومصيفهم وبساتينهم خربوها ونهبوا ما فيها.

ولما وصولوا إلى قلعة آرچه هجموا عليها فجأة ولما تحقق أهلها عجزهم عن المدافعة بعد أن قاوموهم شيئًا من المقاومة تركوا أهلهم وعيالهم وهربوا إلى مشاجر وغابات هناك فحازت الروس كل ناطق وصامت وأسروا النساء والصبيان وأطلقوا أسارى الروس الذين كانوا هناك من زمن آبائهم وأجدادهم والحاصل أنهم اغتنموا منها أموالاً جسيمة وهدموا القلعة[1] ورجعوا إلى إيوان بعد عشرة أيام بغنائم كثيرة وأسارى وفيرة وزالت بالمواشي والأرزاق التي جاؤوا بها من هناك مضايقة معسكر إيوان

(١) هكذا في المنقول عنه والحال أن فيها الآن حصن والمشهور بين الناس أنه باق من المسلمين والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

وحصلت له غاية الوسعة بمساعدة الدهر الخوان بعد أن كانوا في ضيق شديد وغلاء مفرط وقحط مزعج.

قطع إمداد چرامشة السواحل عن أهل قزان

قد علمت فيما تقدم ما صدر من چرامشة سواحل وولغا من الهجوم على عساكر الروس وإيصال أنواع المضرة إليها ومحوهم بعض فرقة كاملة من عساكرها وإمدادهم القزانيين بذلك وإظهارهم الخلوص والولاء في حقهم وإثباتهم بهذا كونهم أفضل وأصدق من تلك المنافقين الذين قد عرفت أحوالهم من فرارهم إلى معسكر الروس ودلالتهم إياهم على عورات قومهم وإخوانهم. فبعد وقعة أوستروغ وآرچه وإن تخلصت الروس من خوف الهجوم على معسكرهم من غابات آرچه وكونهم معروضين على وقع النبال المتطايرة منها إلا أن الچرامشة المذكورين كانوا يزعجون معسكر إيوان إزعاجًا شديدًا ويوصلون إليهم مضرات كثيرة بالهجوم عليهم بغتة وقطع طريق غاليج التي هي إحدى طريق مواصلة الروس ببلاده الأصلية ومجيء الإمداد إليه وسوق مواشيهم ونهب أرزاقهم ومهماتهم العسكرية وكانوا ينفسون بهذا الطريق عن أهل قزان المحصورين ويعينونهم إعانة كثيرة فأراد إيوان أن يقطع إمداداتهم عنهم فأرسل إليهم قطعة من عساكره فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وخربوا ديارهم ونهبوا أموالهم وأسروا أولادهم فأذعن البواقي منهم بالطاعة للروسية بالضرورة فبذلك التدبير اطمئن قلب إيوان وقص جناحا أهل قزان وانقطع رجاؤهم من الخارج بالكلية ولم يبق غير الله سبحانه وتعالى ومع ذلك كان عسكر الروس الذين كانوا في تلك الجهة يعني آرچه وغاليج (شمالي قزان وغربيه) في غاية التعب والمشقة وخوف الهجوم عليهم والمباغتة دائمًا وكانوا معروضين على مرامي أهل قزان التي كانت ترمى عليهم وعلى الأمطار الهاطلة المتوالية بحسب مقتضى الموسم وكانت الروس تحمل تلك الأمطار على سحر أهل قزان.

قال: وقد كتب أندري قوربسكي الذي كان أعقل أهل زمانه وأعلمهم ما شاهده بعينه تبعًا لاعتقاد أهل زمانه وبين حقيقة الحال حيث قال: إن سحرة أهل قزان كانوا يصعدون إلى جدران القلعة كل يوم عند طلوع الشمس فيصيحون ويشيرون بمناديلهم وألبستهم إلى طرف معسكر الروس فتقوم بعد ذلك ريح شديدة وتثور السحب وتنزل الأمطار في الحال كما ينصب المياه من أفواه القرب فتسيل السيول المنهمرة ويبقى عسكر الروس في ساعة واحدة كأنهم في الغدران والبحار وخيامهم كأنها زوارق

وقوارب فلا يبقى لهم مجال الحركة من مواضعهم قال فأشار القسيسون والأعيان إلى إيوان بطلب الصليب الأكبر من موسكوا فجاؤوا به وغمسوه في الماء ورشوا ذلك الماء حول معسكر الروس فبطل سحر أهل قزان وانقطع المطر واستراحت عسكر الروس من التعب اهـ.

قلت: إن صح هذا الخبر فوجهه أن كثافة ظهور الباطل وشامته تورث في ذهاب الحق وزواله وإن لم يزهق بالكلية كما أن الباطل يزهق عند مجيء الحق وظهوره كما استتر جبريل عليه السلام عند كشف خديجة الكبرى رضي الله عنها رأسها وكما ارتفع علم ليلة القدر عن قلب النبي ﷺ عند منازعة الرجلين والله سبحانه يبتلي من شاء عباده بما شاء ولعل نزول تلك الأمطار كان على سبيل الكرامة لأهل الله وكان على سبيل استعمال حجر المطر الذي مر بيانه في أول الكتاب عند ذكر يافث والترك فبطلت خاصيته بظهور ذلك الباطل الذي لا أبغض منه على الله.

ذكر بناء الروس البرج العظيم بقرب سور قزان ليضرب من فوقه بلدة قزان

قال: أرادت الروس أن يخترعوا شيئًا يزعجون ويعجزون به أهل قزان فبنوا برجًا عظيمًا على مسافة اثنين ويرستا من بلدة قزان طوله يعني ارتفاعه نحو السماء ثمانية عشر ذراعًا وله بكرات مثل بكرات العربة ثم جاؤوا به قريبًا من سور البلد ليلاً قبالة باب الخان ووضعوا فيه عشرة من المدافع الكبار وخمسين من المدافع المتوسطة فلما أصبح الصبح صاروا يرمون إلى مجامع الناس ومحال الزحام والأزقة والدور في البلد فلما رأى أهل قزان ذلك شرعوا في حفر الأرض تحاميًا من إصابة المرامي ومع ذلك كانوا يخرجون من مكانهم ومواضع اختفائهم من غير مبالاة بمراميهم ويهجمون على الأعداء كالليوث ثم يرجعون بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة وأما مدافعهم فقد صارت معطلة بمدافع الروس فلم يقدروا أن يفعلوا شيئًا كبيرًا إلا أنهم كانوا يتلفون من العدو وينقصون منهم كل يوم ألوفًا وكان إيوان يعرض عليهم كل يوم بل كل ساعة التسليم أو الذهاب مع أولادهم وأزواجهم وأموالهم وملكهم أين شاؤوا ويقول لهم أنكم تحاربون لخان غير مشروع وأن بلدة قزان لما كانت مبنية بأرض بلغار وبلغار قد استولى عليها الروس وخربها فهي يعني بلدة قزان غنيمة للروسية فكان القزانيون يجيبونه بالرد.

وقوع معركة شديدة بين الفريقين على باب آرچه

قال: وكان ميخايل الووروينتي يتقرب إلى برج آرچه وبابه مع من تحت قيادته من عسكر الروس شيئًا فشيئًا حتى لم يبق بينهم وبينه إلا خندق عرضه تسعة أذرع وعمقه أحد وعشرون ذراعًا وكان عسكر الروس يحاربون بالتناوب متى تعبت منهم طائفة كانت ترجع إلى معسكرهم وتجيء بدلهم طائفة أخرى منهم فتحارب بخلاف أهل قزان فإنهم لقلتهم كانوا يحاربون جميعًا فتعبت في تلك الأثناء عساكر الطرفين وتركوا القتال للاستراحة وبينما عسكر الروس مشغولون بالأكل تاركين عند مدافعهم شرذمة قليلة للحفظ والحراسة هجم عليهم مقدار عشرة آلاف من القزانيين تحت رياسة الأمير قراچه وشتتوا شملهم واستولوا على مدافعهم فلما رأى ميخايل هذا الحال هجم عليهم بما معه من أوردو الروس جميعه وكان بعضهم يحرض بعضًا قائلين لا نعطي آباءنا ولا نسلمهم للعدو واشتبك الفريقان معًا واختلط بعضهم ببعض ووقع بينهما قتال بالسلاح الأبيض لم ير مثله قط فجرح من أشهر قواد الروس پيطر الماروزي وكيناز يوري قاشين وحملا إلى معسكر الروس حيين ثم ماتوا وجرح ميخايل الووروتيني من وجهه جرحًا بليغًا إلا أنه لم يترك القتال ولم يفارق المعركة وصارت ألبسته التي عليه مثل القطائف من ضرب بالسيف وطعن بالرماح وقتل كثير من أمراء فرسان الروس وكان القزانيون يجرون المدافع التي أخذوها نحو القلعة فأدرك في عين ذلك الوقت والحال عسكر مورم وأولاد أعيان الروس الذين لم يشتركوا الحرب فهجموا على القزانيين وقد تعبوا غاية التعب فأزالوهم عن مواضعهم واضطروهم إلى دخول القلعة.

قال: وكانت هذه الوقعة أشد وأعظم من الوقائع السابقة كلها وقد تلفت من الطرفين نفوس كثيرة لا سيما من طرف الروس فإن طائفتين منهم قتلوا عن آخرهم وقد كانوا أقوى عساكر الروس وأشجعهم ورجال الأمور وفي عين ذلك الوقت هجمت طائفة أخرى من القزانيين على طرف آخر من عسكر الروس إلا أنهم لم يقدروا أن يفعلوا شيئًا كبيرًا لقلتهم قال: وكان الكيناز إيوان يشاهد تلك المعركة بعينه فشكر ميخايل الووروتيني وعسكر مورم على سعيهم وغيرتهم وسأل عن أحوال الجرحى وسلاهم واستمال خواطرهم.

ذكر وقعة إشعال اللغم ووقعة أخرى على باب قزان

قال: بقيت عساكر الروس تحت قلعة قزان خمسة أسابيع وقتلوا من القزانيين من عساكرهم وأولادهم ونسائهم مقدار عشرة آلاف نفس على الأقل ولم يحصل أدنى

فتور لغيرة القزانيين ومدافعتهم عن وطنهم وقد قرب أوان الشتاء وملت عساكر الروس من طول التعب واستولت عليهم الأوهام فأراد إيوان أن يضيق على أهل قزان أشد تضيق فأمر عساكره بترك المرحمة لأي شخص كان من أهل قزان كبيرًا أو صغيرًا ذكرًا أو أنثى وأمر في ٣٠ سبتمبر[١] (أيلول الرومي) أن يحفروا حفرة تحت باب آرچه وأن يضعوا فيه البارود ويشعلوه ويضرموا النار عليه فيطيروا الباب في الهواء ثم يهجموا على البلد بهيئتهم الاجتماعية ففعلوا ذلك فاندهش أهل القزان وظنوا أن هذا هو آخر ساعاتهم واستولى عليهم السكوت والحيرة ولم يدروا ما الذي وقع فاغتنم الروس هذا الحال وهم متهيئون ومستعدون للهجوم فهجموا على البلدة من باب آرچه وآتالق وتومن وراء متارسهم فلما رأى الموحدون جسارتهم هذه انقضوا عليهم انقضاض البزات والنسور على العصافير والخطاطيف وحملوا عليهم حملة اليائس من حياته والناصح لوطنه والدافع الغيور عن حريمه واختلطوا بهم في خارج البلد وأطرافه فوقع بين الفريقين حرب صعب لم ير عين الزمان مثله وكان إيوان حاضرًا هناك بنفسه يحرض عساكره ويقوي قلوبهم فضيقوا على أهل قزان وتكاثروا عليهم فتزاحم القزانيون على الجسور والأبواب حيث اضطرهم العدو بتكاثرهم إلى دخول البلد رغمًا عن مقاومتهم الشديدة ومدافعتهم القوية ووصلوا إلى سور البلد ودخلوا داخل السور مختلطين بالقزانيين فوقع بينهما حرب شديد في الأزقة حتى صعدت قعقعة الأسلحة وتفرقع الآلات البارودية وأصوات المحاربين وزمجرة الأبطال إلى السماء.

وخلاصة القول إن الحالة المذكورة صارت أنموذجة عن أهوال يوم القيامة ولما تعبت عساكر الطرفين وأيقن ميخايل الووروتيني بالغلبة إن جاءه الإمداد أرسل إلى إيوان يطلب منه الإمداد بعسكر جديد مستريح فلم يتجاسر إيوان على إرسال الإمداد والهجوم العمومي خوفًا من انقلاب الأحوال وغلبة القزانيين فإذا لم يبق عنده عسكر الاحتياط يتم أمرهم في ساعة واحدة وأمر عساكره المحاربين بالرجوع فأخرجهم قوادهم وضباطهم بغاية الصعوبة وأحرقوا الجسور والقناطر يعني المبنية على الخنادق ولكن بقي ميخايل الووروتيني بعسكره الذين تحت قيادته في برج آرچه وحفروا حوله خندقًا وأحكموه بالمتاريس وقد اجتهد القزانيون في استرداده منهم غاية الاجتهاد وهجموا عليهم طول الليل ولكن القدر لم يساعدهم على ذلك وقد انهدمت مواضع

(١) المصادف ٢٢ شوال. منه عفي عنه.

كثيرة من سور البلد بمرامي مدافع الروس ومقذوفاتها فرممها أهل القزان في أقرب الأوقات بالأخشاب فتحيرت الروس من شدة اهتمامهم وغيرتهم وسرعة شغلهم مع تعبهم هذا التعب.

آخر وقائع قزان وسقوطه ووقوعه في يد إيوان

قال: وفي أول يوم من أكتوبر[١] (التشرين الأول) أمر إيوان كافة عساكره بالاستعداد لمحاربة شديدة والتوبة بالاعتراف بجميع ذنوبهم من الزنا والسرقة وغيرهم لدى القسيسين والتضرع إلى الأصنام وقال نشرب كلنا دماء القزانيين أو نسفك دمانا جميعًا في هذا السبيل وكانوا قد وضعوا تحت قلعة قزان مقدارًا وافرًا من البارود ومن جهة أخرى كانت طائفة من عسكر الروس مشغولين ببناء الجسور وملء الخنادق بالأخشاب ودفنها وتسويتها بالتراب فأرسل إيوان إلى القزانيين الميرزا قاماي المنافق ومرازي طرف الجبل من أمثاله المنافقين لعرض التسليم ووعد لهم العفو العمومي إن استسلموا فقالوا: إنا لا نطلب العفو من الأحجار ولا ممن هو معلق في الجدار بل نطلبه من العزيز الغفار ولا نخاف من تهديد الكفار ولا نعطي فترًا من الأرض من غير قتال وطعن بالرماح وضرب بالبتار ما دام فينا عين تطرف فإما يقتل أو نقتل كرامًا فلا تلحق بنا عار ولا شنار فأمر إيوان عسكره بالاستعداد للهجوم العمومي ثانيًا وأمر قواده بمراعاة الحزم والاحتياط في الحفظ والحراسة ومراقبة الطرق والمعابر لئلا يدخل أحد من خارج إلى قزان ولئلا يخرج منه أحد إلى الخارج وعين لكل واحد منهم موضعًا مناسبًا للهجوم وأمر بتقديم الخيالة والرماة ومن ورائهم أولاد الأعيان (بويار) ومعظم العساكر تحت قيادة ميخايل الووروتيني وأمر القائد ألكسي باصمانف بتدمير السور الذي بين بولاق وپاغاني أوزير وأمر القائد خليقوف بالهجوم من باب قبان وأمر تريغورف بالهجوم من باب أزبويلي وعين لآندري قوربسكي باب يلبوغا وليوري شيرميتف باب مورالي ولديمتري پليچشف باب تومن وعين لكل واحد من هؤلاء عسكر الاحتياط تحت قيادة قائد آخر على حدة أولهم إيوان نفسه مع عساكره الخاصة وأمر كل واحد من هؤلاء القواد أن يحضروا على الصباح في المواقع التي عينت لهم مع عساكرهم.

فبات عسكر الطرفين ليلتهم تلك بالتيقظ والاحتراس من غير أن يكتحل عين أحد منهم بكحل المنام وبات إيوان أيضًا ساهرًا ليلته تلك في بيت أصنامه مشتغلاً

(١) الثالث والعشرين من شوال. منه عفي عنه.

بعبادتها والتضرع إليها ولما أصبح الصباح المشؤوم[١] المنحوس جدد إيوان أوامره بالاستعداد للهجوم متى شاهدوا اشتعال البارود الذي تحت القلعة وبقي الطرفان كل منهما يراقب صاحبه وينتظر ماذا يبدو منه وأي حركة تصدر عنه فأرسل ميخايل الووروتيني إلى إيوان يخبره بأن أمر وضع اللغم قد تم وأنه يخاف من شعور القزانيين بذلك فيبطلونه فلا ينبغي التأخر في إشعاله ولا دقيقة واحدة قال فلما بلغ القسيس الذي كان يقرأ الإنجيل إلى هذا القول منه وتكون رعية واحدة وراع واحد أمر[٢] إيوان بإشعاله فأشعلوه في الحال فطارت قطعة من بلدة قزان بما فيها من الناس والأبنية والبهائم إلى الهواء وحصل منها صوت هائل وصار الحال أنموذجًا من أهوال يوم القيامة ثم أشعلوا بعد ذلك لغمًا آخر أشد من الأول قال كان في أحدهما ثمانية وأربعين برميلاً من البارود وسجد إيوان لصنمه وقال: إن الصنم معنا ولذا صار قزان لنا ولما قعد الغبار هجم عسكر الروس على بلدة قزان من كل الجوانب حسب ترتيباتهم المتقدمة واستقبلهم عسكر قزان بكمال البسالة والشجاعة وقوة الجأش كالأسود الضواري قائلين الله الله ومستمدين من روحانيته ﷺ ولم يطرأ عليهم أدنى فشل وأقل فتور على همتهم مع تلك الأهوال الشديدة وكانوا يدحرجون الأخشاب الكبار من فوق السور على عساكر العدو ويصبون من فوق رؤوسهم الحميم والقطران الحار. وأصرت الروس على الهجوم والموحدون على المدافعة ولم يخطر الهرب والتقهقر في قلب واحد من عساكر الطرفين فتكاثرت الروس ودخلوا داخل البلد فلا تسل عن كيفية المحاربة الواقعة في البلد بعد اختلاط عساكر الطرفين واشتباك بعضهم ببعض فمن رام بالنبل ومن رام بالرصاص ومن رام بالحجر ومن رام بالآجر وقطعة الخشب وكل ما وجده ومن طاعن بالسنان والخنجر والسكين ومن ضارب بالسيف والعصا واليد ومن عاض بالأسنان ومن جارح بالظفر ومن كاب على الأرض ومن طارح من السطح إلى الأسفل والحاصل أن الناظر إلى قتالهم كان في غاية الحيرة ونهاية الدهشة.

---

(١) وهو صباح الأربعاء الرابع والعشرين من شوال المصادف ٢ أكتوبر التشرين الأول بحساب الشرق. منه عفي عنه.

(٢) قلت: وكان هذا ما في إنجيل يوحنا من قوله ولي خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضًا فتسمع صوتي وتكون راية واحدة وراع واحد اهـ من الباب العاشر والآية ١٦ وكلهم فعلوا ذلك قصدًا أو وقع اتفاقًا من قبيل إن كان الإنسان ناطقًا فالحمار ناهق والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

وأما المحاربون فلم يكن لهم خبر عن شيء لا عن غيرهم ولا عن أنفسهم بل كانوا يحاربون كالذئاب الجياع الداخلة في قطع الغنم وامتلأت الأزقة بالقتلى وسال فيها الدماء وكادت الروسية تفشل وتنهزم فأرسل ميخايل الووروتيني إلى إيوان يستمد منه بعساكر جديدة يقول لو تأخر الإمداد لهلكنا عن آخرنا فأمده إيوان بعساكر جديدة مستريحة لم تشترك في حرب ذلك اليوم ولما تكاثرت الروس وتقووا بإمداد العساكر المذكورة تقهقر عساكر القزان الذين كانوا تعبوا غاية التعب وصاروا يلتجئون إلى القلعة الداخلية وقصر الخان ولاحت إمارة الغلبة في طرف الروس وقد استولوا على مقدار النصف من البلدة.

وفي تلك الأثناء جاء يادكار خان إلى وسط البلد مع جم غفير من مقربيه وأركان دولته فرأى عساكر الروس يتركون صفوف الحرب ويتسللون منها شيئًا فشيئًا فتيقن أن ذلك لاشتغالهم بالغنائم والسلب والنهب بكسر الدكاكين والمخازن والبيوت ونقل النقود وسائر الأموال منها إلى معسكرهم فإنهم لما رأوا تلك الأموال التي لم يروها قبل ذلك ولا في رؤياهم لم يصبروا عنها بل تركوا القتال وانكبوا عليها حتى الجرحى منهم رغمًا على منع إيوان إياهم عن النهب وترك القتال لئلا تتقلب الأحوال فلما رأى القزانيون ذلك اغتنموه وحملوا عليهم حملة رجل واحد ونسوا تعبهم حتى أن الذين كانوا خرجوا منهم من القلعة هاربين صاروا يرجعون ويرمون أنفسهم من فوق السور وشرعوا في قتل الناهبين وطردهم من البلد فلما اطلع إيوان على ذلك تحير واندهش وظن أن الموحدين طردوا عساكره وأخرجوهم بالكلية من البلد فأخذ علمهم المقدس عندهم وأصنامهم وسار مع جمع عظيم من مقربيه وأعيان الروس وقسيسهم نحو الهاربين والمنهزمين من عسكرهم وأمرهم بالرجوع إلى القتال وخوفهم بغضب أصنامهم عليهم وحذرهم من وخامة العاقبة بانقلاب الأحوال وحرضهم على المحاربة وشجعهم والقسيسون كذلك يخوفونهم بالخروج من دينهم إن لم يرجعوا ووقف إيوان قبالة باب الخان من أبواب البلد وأمر عشرين ألفًا من الخيالة بالهجوم على البلد فلم يقدر عسكر الموحدين أن يقاوموهم ويدافعوهم غير مدة يسيرة من الزمن لأنهم كانوا تعبوا غاية التعب مع قلتهم والأعداء كانوا مستريحون مع كثرتهم فلم يثبتوا أمامهم وتقهقروا حتى وصلوا إلى المسجد الكبير المبني من الحجر وكان فيه العلماء والمشايخ وطلبة العلوم مع رئيسهم شيخ الإسلام الملا قل شريف أفندي فحمل هؤلاء الذوات الكرام على الأعداء حملة واحدة وحاربوهم محاربة لا يرجى صدور مثلها عن شجعان العساكر لا بالدعاء فقط كما هو ديدن السفهاء الجاهلين بعادات الله تعالى وحكمته من

إظهار قدرته من تحت أستار الأسباب ولا بالاستسلام كما هو عادة الجبان الذين لا حمية لهم ولا غيرة بل بالبنادق والسيوف والسلاح الأبيض حتى استشهدوا عن آخرهم.

قيل: إن شيخ الإسلام المذكور صعد إلى سطح المدرسة مع طلبته وسائر العلماء وصاروا يرمون الروس بالأحجار والأخشاب والآجر حتى استشهدوا عن آخرهم رحمهم الله تعالى فالتجأ الباقون مع يادكار خان إلى القلعة الداخلية التي فيها قصر الخان حيث لم يبق في البلد موضع يلتجأ إليه ويلاذ به سواه وأغلقوا عليهم الباب ودافعوا الأعداء على الباب مقدار ساعة. ثم كثرت الروس الباب ودخلوا القلعة الداخلية وكانت قد اجتمعت في ناحية منها نساء أهل القزان وبناتهم لابسات ألبسة الزينة التي تلبس في الأعياد (هكذا قال كارامزين) وفي ناحية أخرى منها آباؤهن وإخوانهن وأزواجهن واقفين حول الخان فوقعت هناك أيضًا بين الفريقين محاربة شديدة ولكن لما تكاثرت الروس وضيقوا على الموحدين توجهوا نحو الباب الصغير من جادة ضيقة وكانوا مقدار عشرة آلاف نسمة وكأنهم قصدوا الخروج والهرب فجاء هناك واحد من قواد الروس يسمى آندري قوربسكي مع مائتي نفر من عسكر الروس لمنعهم من الهرب ثم تتابع إليه المدد والنجدة فلم ينجح الموحدون في تشبثهم هذا بل صاروا معروضين لتلف عظيم بسبب ضيق الجادة فلما تحققوا العجز عن المدافعة وأيقنوا الاضمحلال والهلاك بالكلية التزموا ذلك وآثروه على الاستسلام ولكنهم أرادوا تسليم يادكار خان إلى الروس ولعل ذلك لجزعه وطلبه ذلك فصعدوا إلى السور من فوق القتلى ونادوا الروس بإيقاف الحرب فأوقفوا وسألهم القائد كيناز ديميتري پاليتسكي عن مقصدهم فقالوا: إنا كنا نحارب مدافعة عن وطننا وخاننا والآن قد صارت البلدة في حوزتكم فخذوا خاننا أيضًا سالمًا وسلموه إلى إيوان يفعل به ما يراه فيه ونحن نخرج إلى ميدان واسع ونحاربكم لله وللدين ونريق آخر قطرة من دمائنا في هذا السبيل ونشاربكموها فسلموا يادكار خان مع والدتيه من الرضاعة ومع واحد من كبراء أمرائه المقربين يسمى الميرزا زانيت (أو زين الدين) إلى القائد پاليتسكي ثم شرعوا في الرمي بالبنادق ونزلوا من فوق السور إلى أسفل وحملوا على ميمنة الروس وحيث صب عليهم العدو الرصاص من الاستحكام ووراء المتارس والطوابي فتيقنوا أن الاستيلاء عليه غير ممكن طرحوا أسلحتهم الثقيلة وانعطفوا نحو الميسرة ونزعوا ألبستهم بمرأى من عساكر الروس الذين دخلوا القلعة وضبطوا قصر الخان وطلعوا على أعالي السور ثم خاضوا نهر قزان وعبروه إلى طرف آخر منه فأخذ القائد

قوربسكي ورومان عليهم الطريق من ورائهم مع طائفة عن خيالة العدو وأحاطوا بهم من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم وأخذوهم في الوسط فهناك حمي الوطيس واشتدت المحاربة اشتدادًا زائدًا لا يمكن وصفه وقتل من الطرفين نفوس كثيرة وقد بقي في الوقت المذكور من عسكر الموحدين مقدار خمسة آلاف نسمة إلا أن كلهم كانوا من الشجاعة والبسالة والحمية والغيرة بمكان بل كانوا تماثيل الشجاعة والبسالة والحمية والغيرة كانوا لا يخافون الموت ولا يخطرونه ببالهم بل كانوا يخوضون عبابه بكمال النشاط وكانوا فوق من قال فيه القائل:

يـرى غـمـرات الـمـوت ثـم يـزوره

كيف لا وقد التزموه وهو أعني الموت شهداء كرامًا مدافعين عن الوطن والدين غاية مرامهم ونهاية بغيتهم فحملوا على صفوف العدو من غير أن ينظروا إلى تعبهم وجراحتهم حملة الذئاب الجياع والأسود الضواري على قطيع الغنم وضربوا بعضهما ببعض وأخرجوا منهم الدمار وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأغرقوهم في الدماء وكادوا يبيدونهم عن آخرهم لولا لحوق الإمداد بهم وخرقوا صفوفهم ورفعوا عن أنفسهم الحصار وفتحوا لهم الطريق وساروا من المواحل والأراضي الندية اللينة التي لا يقدر خيالة العدو أن يدخلوها لعدم ثبات أقدام خيولهم فيها حتى وصلوا إلى الغابات والمشاجر الكثيفة وكادوا ينجون من غائلة العدو وضررهم فلما رأى العدو ذلك انزعجوا انزعاجًا شديدًا فإنهم وإن كانوا قليلين إلا أنهم لما كانوا على الوصف الذي بيناه كانوا يخافونهم أشد الخوف بحيث كان حصول الأمن واطمئنان الخاطر لهم محالاً ما بقي واحد منهم في قيد الحياة لتوهمهم أنهم يجمعون الشاردين من قومهم ويحشدون التابعين لهم من غيرهم فيهجمون عليهم بغتة فربما تنقلب الأحوال وكان الأمر في الواقع كذلك فإنهم لم يهربوا بترك عيالهم معروضين للأسارة لإنجاء أنفسهم من القتل فقط بل بنية الانتقام من الأعداء وتخليص عيالهم الأسارة بجمع الشاردين وحشد التابعين إن ساعدهم القدر ولكن خانهم الدهر الخؤون وعاكسهم القدر المقدور الغالب وذلك أن إيوان أرسل من خيالته مقدارًا كافيًا لإبادتهم واستئصالهم بالكلية تحت قيادة القائد كيناز سيمون الميقولي وميخايل بن واسيلي وشيريميتف لقطع طريقهم وإبادتهم بالكلية فقامت هناك محاربة أخرى وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ولم يبق منهم متنفس بعد أن قتلوا من العدو مثليهم وزيادة ولم يستسلم منهم أحد اللهم إلا من كان به جراحة شديدة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وروح أرواحهم ونور ضريحهم وأدخلهم الجنة عرفها لهم.

أحوال بلدة قزان حين دخلها الروس

هذا الذي بينا أحوال هؤلاء الشهداء الكرام وأما أحوال البلدة بعد خروج هؤلاء الغزاة الحماة ودخول العدو الألد العطشان لدماء أهلها فلا تسل عنها فإنه لا يمكن وصفها ولا يطيق السامع سماعها وخلاصة القول فيها أن الروس دخلوها من جميع أقطارها ووضعوا السيف على أهلها وانكبوا على قتلهم انكباب الظمآن على الماء البارد بحيث كل من صادفوه من الشيوخ والشبان والكبير والصغير والذكر والأنثى قتلوه شر قتلة من غير أمان سواء كانوا في المسجد أو البيوت أو منازل آخر وأضرموا فيها نارًا وصاروا يهدمون المساجد والمدارس والمعابد وسائر الأماكن الخيرية حتى لم يبق فيها متنفس ولا بناء واحد من المساجد والمدارس حتى لم يبق منها أدنى أثر بل صارت كلها خرابًا ودمارًا ورمادًا وأسروا من بقي في قيد الحياة من الأمراء والنساء والصبيان والحاصل أنهم لم يدعوا شيئًا من الوحشية والفضيحة والقباحة والشناعة اللائقة بقوم الروس خصوصًا في العصر المذكور إلا ارتكبوها وأجروها.

ووحشة الروس وفضاحتها وقباحتها وشناعتها في حروبه مع المسلمين من العثمانيين والتركستانيين والخوارزميين والتراكمة والتاشكنديين والخوقنديين في عصرنا هذا الذي يحق أن يقال: إن الروس قد تحولت فيه من الحالة البهيمية بل السباعية إلى الحالة الإنسانية معروفة مشهورة بين الأوروبيين والأمريكانيين وفي كتبهم مسطورة وفي لوح خيال من كان حاضرًا فيها منقوشة فضلاً عن كونها معروفة بين المسلمين ومذكورة في ألسنتهم فإذا كانت معاملتهم المسلمين حين تحولهم إلى الإنسانية هي هذه التي يعرفونها كل أحد فما ظنك بمعاملتهم القزانيين حين تلبسهم بكمال البهيمية ونهاية السباعية مع غاية غيظهم بهم فهل يمكن وصفها وتحريرها وتصويرها ولو كان الكاتب أمهر الماهرين في فن التحرير وأحذق الحاذقين في صنعة التوصيف والتصوير هيهات فلنحل تصوير تلك الشنائع والفظائع على أذهان القارئين واستعدادات المطالعين قائلاً:

شعر:

فكان ما كان مما لست أذكره فافهم مداه ولا تسأل عن الخبر

فصفا الجو للروس وصارت قزان في حوزتهم بعد أن لم يبق بها أحد إلا اليعافير ولا العيس وأمست مصداق قول القائل:

شعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان ذلك في اليوم الثاني من تشرين الأول (أكتوبر) بالحساب الشرقي من سنة ١٥٥٢ م المصادف يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شوال سنة ٩٥٩ هـ[١] تقريبًا بناء على التطبيق المدقق فيه المطابق للواقع بين التاريخين الميلادي والهجري ولذلك متى استفسرت عن تاريخ تلك المصيبة العظمى تسمع من كل جانب من الهاتف نداء[٢]:

(يا ويح قازان دمرته حيل إيوان) و (تعس الزمان كيف أعان إيوان)

١١ ٢٤ ١٥٩ ٦٤٩ ٤٨ ٦٨ ٥٣٠ ١٢٩ ١١٠ ١٢٢ ٦٨

٩٥٩ ٩٥٩

ولله در القائل شعر:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها وكأنها وكأنهم أحلام

إنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر ما جرى بعد ذلك من الأحوال بل الأهوال

ولما فرغت الروس من القتل والأسر والنهب وقضوا وطرهم من التخريب والإحراق وبردوا قلوبهم بارتكاب الوحشة والفظائع وإجراء القبائح والشنائع ولم يبق من الموحدين من يقاومهم ويمانعهم وارتفع الدخان الحاصل من الإحراق وقعد الغبار القائم من التخريب وحصل الهدوء وسكنت الأصوات والعجيج فلا يسمع فيها شيء سوى أنين الأسرى والجرحى وبكاء الأطفال والأولاد وما طرأ عليهم من الصياح والضجيج، أرسل ميخايل الووروتيني إلى إيوان يبشره بهذا الفتح العظيم الذي هو مقدمة فتح جميع الدنيا للروس ويهنئه بحصول مفتاح سائر الفتوح ويستشيره في معاملة الأسارى والغنائم ويقول: إن هنا أموالاً وخزائن لم تخطر ببال أحد قط فاستبشر إيوان بتلك البشارة العظمى غاية الاستبشار وأمر القسيسين أن يقدموا العبادة والتشكر للأصنام

(١) وذلك أن ابتداء دخول السنة ٩٥٩ الهجرية في ٢٩ من الكانون الأول (ديكابر) بالحساب الغربي من سنة ١٥٥١ م وفي ١١ الكانون الثاني من سنة ١٥٥٢ بالحساب الشرقي يوم الثلاثاء فإذا جعلنا شهرًا ٢٩ يومًا وشهرًا ٣٠ يومًا يكون الأمر كما قلنا وأما بحساب الرؤية فيمكن أن يختلف عنه ولذا قلنا تقريبًا وأما كونه في العامين المذكورين وفي يوم الأربعاء فلا شبهة فيه قط. منه عفي عنه.

(٢) الأرقام التي تحت الكلمات تشير إلى مقابلها بحساب الجمل.

والصلبان التي منحتهم تلك المنحة العظمى على زعمهم وأول شيء صدر عنه في ذلك الوقت إن أمر ببناء كنيسة للنصارى ثم قدمه الكيناز ديميتري پاليتسكي في تلك الأثناء يادكار خان فوبخه إيوان وقال: يا قليل الحظ والإقبال أما عرفت قوة الروسية وخيانة القزانيين فجئا يادكار خان على ركبتيه وأظهر الندامة على ما صدر عنه وطلب المرحمة فعفى عنه ثم شرع في معانقة مقربيه وقواده وأمرائه وشيخ علي الذي هو أكبر مماليكه والسبب الوحيد لحصول مثل هذا الفتح العظيم للروس إظهارًا للفرح والسرور والاستبشار والممنونية منهم لأجل سعيهم وغيرتهم وحميتهم وأرسل إلى سائر عساكره يشكرهم في مقابلة خدمتهم وما أبدوه من الصبر والتحمل والسعي والاجتهاد.

ذكر دخول إيوان بلدة قزان

ثم أمر إيوان بتطهير بلدة قزان وأزقتها وشوارعها من القتلى والتراب فطهروا من باب مورالي إلى قصر الخان فركب إيوان وسار نحو بلدة قزان وأمامه العساكر والقسيسون والأعيان ومعهم معابيدهم من الأصنام والصلبان ووراءه الكيناز ولاديمير ومملوكه شيخ علي وكان عند الباب جمع من أسارى الروس فلما وصل إيوان إلى الباب سقطوا على رجليه باكين قائلين خلصتنا من جهنم ولم يخطرنا أحد بباله سواك فأمر بحملهم إلى معسكره وإطعامهم من طعامه الخاص به ثم سار فرأى شهداء أهل قزان مكومين في محل فقال هكذا كان ينبغي لهم أو قال هؤلاء لا حاجة لنا بهم لأنهم ليسوا نصارى أو نحو ذلك ثم رأى قتلى الروس وجيفهم فدعا لهم وترحم ولما دخل القصر هنأه الأعيان والأمراء والعساكر ثانيًا وقالوا: إن الأرض التي كان يحكم فيها سلطان أرباب الدين الباطل (يعنون دين الإسلام) ويراق فيها دماء النصارى يشاهد فيها الآن ملكنا المعظم والصلبان فأمر إيوان بإطفاء النيران فإن قزان كان ساعتئذٍ تحت سلطنة النيران وأعطى كافة أموال الغنائم والأسارى عساكره وأخذ هو نفسه ما في قصر الخان من النقود وغيرها من الأموال الناطقة والصامتة.

خطاب إيوان عسكره بعد استيلائهم على قزان

ثم رجع إيوان إلى معسكره وجمع كافة عساكره وألقى إليهم هذا الخطاب: أيها العساكر الشجعان ويا أيها الأمراء والأعيان ويا أيها القواد العالية الشأن قد حاربتم اليوم كلكم لأجل ربكم ودينكم ووطنكم وملككم واكتسبتم بذلك شهرة لم ينلها في عصرنا هذا أحد بل لم ير ولم يسمع مثلها شخص قطّ فأنتم الآن الماكيدونيون الجدد (يعني عساكر إسكندر المقدوني) أنتم أولاد آبائكم حقًا حيث إن آباءكم انتصروا على ماماي

مع الكيناز ديميتري دونسكي فالآن لا أدري بماذا أرضيكم وبأي شيء أطيب خواطركم يا أولاد الروسية المحبوبين وأنتم أيها المقتولون بنواميسهم صرتم من الأبرار ومن المقربين عند ربكم وصدقتم كونكم من النصارى ومكافاتكم اللائقة موكولة إلى ربكم والذي أستطيعه هو أن أقدسكم وأحرر أساميكم في الدفاتر وآمر بالدعاء لكم في الكنائس الكبار إلى يوم القيامة وأنتم الذين بقيتم أحياء فكلكم عندي أبطال محترمون وأعدكم أن تكون محبتي ومرحمتي والتفاتي لكم لا ينقص عنها مقدار ذرة ما دمت حيًا فليسكن روعكم وليطمئن قلوبكم وخواطركم اهـ.

ثم عاد الجرحى وسلاهم وجبر خواطرهم وأرسل أخا زوجته دانيل بن رامان في الحال إلى موسكوا لتبشر زوجته والمطران وأهل موسكوا بهذا الفتح العظيم ثم أضاف جميع عساكره فأظهروا غاية السرور والابتهاج وتذاكروا فيما بينهم ما قاسوا من أيدي التتار عمومًا ومن أيدي أهل القزان خصوصًا من أنواع الحقارة والعذاب والأذية واستبشروا باستراحتهم بعد ذلك من تلك المشقات السابقة وهناء بعضهم بعضًا بهذه الغلبة والنصرة التي لم تخطر ببالهم قط.

إعلان إيوان العفو العام والصلح والأمن والأمان

وفي اليوم المذكور أرسل إيوان الأوامر بإعلان العفو العام والصلح والأمن والأمان ويأمر الهاربين بالعود إلى مساكنهم ومنازلهم من غير خوف ويقول: إن المطلوب منهم أن يؤدوا إليّ ما كانوا يؤدونه إلى خوانين قزان الماضين من المال لا غير يعني أنه لا يتعرض لما سوى ذلك من دينهم وأخلاقهم وعاداتهم وإن لم يصرح بذلك فرجع أولاً أهالي قلعة آرچه وما حواليها وقد مر بيان استيلاء الروس عليها وهرب أهاليها إلى الغابات والمشاجر وهي في شمال قزان الذي يسمى الآن بما وراء قزان ثم رجع چرامشة (سرمانيا) سواحل نهر وولغا فأرسلوا كبراءهم ورؤساءهم إلى إيوان فحلفوا له على الصداقة والطاعة وعدم الخيانة والعصيان ولم يذكر كارامزين عودة أهل قزان والحق أنه لم يبق منهم متنفس بل استشهدوا عن آخرهم والذي بقي منهم حيًا من النساء والصبيان والأمراء أخذوهم كلهم أسراء كما مر.

قال الفاضل المرجاني: إن أهل قزان أيضًا رجعوا إلى منازلهم بعد إعلان العفو والأمان ثم قال وقيل: إن الأهالي مضوا على هجرتهم وساروا إلى أماكن لا يجري فيها حكم الروس يعني الجهة الشرقية من نهر قاما المشهورة الآن بأرض باشقرد

والأقوام المسماة هناك الآن باسم تيبتر من ذرية هؤلاء المهاجرين وقيل: إن ذرية المهاجرين المذكورين هم طائفة ميشر الكائنين هناك وأما التيبتر[١] فهم المهتدون من چواش وچرمش وآر والظاهر أن طائفة ميشر إنما هاجروا هناك من طرف الجنوب بعد انقراض دولة سراي وآلتون أوردو أو قبله والصحيح أن قوم تيبتر من أهالي أطراف قزان مطلقًا من نفس قزان فإن أهل قزان لم يبق منهم أحد حيًا كما قدمنا قال[٢] وإنما رجع إلى قزان مماليكهم فاستولوا على منازل ساداتهم وأملاكهم وادعوا أنهم الملاك الحقيقيون فأقرهم الروس على ذلك قال: والأفنديات الذين يفتخرون الآن بأنهم من الأهالي الأصلية هم من ذريات هؤلاء المماليك الأراذل الأخساء.

قلت: هذه أيضًا ليس ببعيد ويقال لهم الآن بسته چوخورلري.

أمر إيوان بدفن الموتى ودخوله البلد ثانيًا وتعيينه موضعًا لبناء الكنيسة

وفي اليوم الثالث من التشرين الأول أمر إيوان بدفن الموتى وتطهير البلد وفي غد دخل البلد ثانيًا مع الأعيان والعساكر والقسيسين وعين موضعًا لبناء الكنيسة التي بداخل السور القديم وبجنب قصر الخان الذي يسكن فيه والي القزان والمشهور أنها كانت أولاً مسجدًا مخصوصًا للخان ويؤيد هذا القول وجود منارة بقربها في جهتها القبلية إلى الآن مشهورة بمنارة الخان ومنارة سيون بكه وهي الباقية من الآثار القديمة مع سورها وأما سائر الأبنية فبعضها تهدمت وبعضها تغيرت لم يبق على حالها الأصلية شيء منها أما السور فقد أمر إيوان بترميم ما انهدم منه وإعادة الأبراج كما كانت سابقًا إلا أنها لم تبق إلى الآن والباقي من السور ما كان في جهة الجنوب والبولاق فقط لا غير.

وأما عدد المساجد والمدارس في قزان وقت استيلاء الروس عليها فليس ذلك بمعلوم.

قال الفاضل المرجاني: يروى أنه كان داخل القلعة يعني الداخلية فيها قصر الخان مسجد جامع ذو ثماني منارات ومسجد جامع مع مدرسة في موضع كان معروفًا

---

(١) قال بعض مؤرخي الروس أن تبتر هم الذين أسلموا من چواش وچرمش وآر وليس بصحيح بل هو اسم عام لمن هاجر من أرض قزان سواء كان مسلمًا أصليًا أو مهتديًا جديدًا. منه عفي عنه.

(٢) يعني الفاضل المرجاني. منه عفي عنه.

بتاجيك ايرماغي وفي موضعه الآن بناء ميري يسمى دوم وكانت أيضًا خزانة كتب مكملة أحرقتها الروس بعد استيلائهم على قزان بما فيها من الكتب القيمة قصدًا وأن الجادة الواسعة المنتظمة التي مبدؤها من باب القلعة إلى المدرسة الكلية يعني دار الفنون المسماة عندهم أونيويريستيت والشارع الذي ينزل إلى الجانبين بعد الخروج من باب القلعة كانا على هيئتهما الحاضرة الآن وقت حكومة الإسلام أيضًا وكان بلد قزان محاطًا من جوانبه بسور طرفاه الداخلي والخارجي من خشب وبينهما مملوء بالتراب وكان له أربعة عشر بابًا فهدمها الروس وبنى بموضع كل باب من الأبواب المذكورة كنيسة اهـ.

قلت: وقد تقدم ذكر أسامي بعض تلك الأبواب عند بيان الحوادث المفجعة ولم أر بيان مقدار الشهداء ومقدار قتلى الروس في تلك المحاربات وكذلك بيان الأسارى الذين أسروهم بعد الاستيلاء على قزان وقد مر عند بيان خروج قاماي المنافق من قزان عند إيوان في بلدة قزان ثلاثون ألفًا من عسكر قزان وألفان وسبعمائة من عسكر نوغاي وأن طائفة من العسكر مع الأمير پيانچي وطائفة منهم كانت في قلعة أوستروغ وآرچه فليكن المجموع أربعون ألفًا ولا يخفى أن الأصول العسكرية في ذلك العصر ما كانت كالأصول العسكرية في عصرنا هذا بل كل من كان قادرًا على حمل السلاح كان عسكريًا ولو كان هرمًا خصوصًا في مثل مملكة قزان التي أهلها قليلة ولا شك أنهم لم يستشهدوا إلا بعد أن قتلوا من أعدائهم ثلاثة أمثالهم على الأقل هذا هو حال قزان ومآل أمره وما جرى على أهله من حلو الدهر ومره فأف لدنيا هذه عاقبتها لأهلها وتبًا لدار هذه معاملتها بساكنها بالأمس كانوا ملوكًا واليوم صارت فرقة منهم مصروعين وطائفة مأسورين ولله در القائل:

شعر:

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ننتصف

وقد استنسبت أن أثبت هنا أبياتًا من قصيدة العلامة الأديب أبو البقاء صالح بن شريف الرندي التي يندب بها بلاد أندلس بأدنى تغيير في بعض أبياتها لمناسبة بين وقائع أندلس وقزان من حيث الزمان والكيفية وهي هذه أشعار:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتمًا كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في ارم ... وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا وكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك ... كما حكي عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارًا وقاتله ... وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب[1] لم يسهل له سبب ... يومًا وما ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالقازان سلوان
أصابها العين في الإسلام فامتحنت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان
كانت أساسًا لأركان البلاد فهل ... تبقى إذا هدّ أسّ الدار أركان
يا غافلًا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيًا مرحًا يلهيه موطنه ... أبعد قازان يلهي المرأ أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الألف هميان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان
آهًا لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم ... واليوم هم في أياد العلج عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند أسرهم ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان

(١) هو ذو القرنين على أصح الأقوال خلافًا للجمهور الجهال بالتواريخ من قولهم إنه إسكندر المقدوني الوثني. منه عفي عنه.

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذا وكان من سلاطين المسلمين حين استيلاء الروس على قزان غير خوانين قريم الذين كانوا في الحقيقة أصحاب قزان كما عرفت السلطان سليمان القانوني[1] عليه الرحمة والغفران الذي كان في عصره أكبر سلاطين الدنيا وفي ما وراء النهر محمد يار خان بن سيونج محمد خان الشيباني الذي هو من إخوان أهل قزان لكونه من ذرية جوجي خان ومنسوبًا إلى أوزبك خان فأما السلطان سليمان فقد عرفت ما غالطه به الوكلاء وإلا فقد كان يكفي منه أن يرسل واحدًا من عبيده إلى إيوان كيناز الروس بالنهي عن التعرض لقزان وعن تعدي طوره وجدّه وأما محمد يار خان بن سيونج محمد الشيباني فلم يبال بوقوع قزان في أيدي الروس أو لم يكن له خبر من ذلك وكذلك خوانين قريم فإنهم وإن لم ينقطع إغارتهم بلاد الروس إلى سقوط قريم أيضًا في أيديهم إلا أن إغارتهم لم تكن لاسترداد قزان وحاجي طرخان وسيبريا التي وقعت بيد الروس ولا لاستملاك الأراضي والبلاد بل كانت لنهب الأموال وأخذ الأسارى فقط لا غير وهذا الذي يذوقونه الآن من أيدي الروس من أنواع العذاب والهوان نتيجة ذلك الإهمال وترك الواجب المتقرر في ذمتهم من تخليص إخوانهم المسلمين وبلاد الإسلام من يد أعداء الدين مع اقتدارهم عليه فلو أن واحدًا من أرباب الهمة والشهامة وجه وجهة همته وغيرته وسعيه وحميته نحو جمع شمل طوائف التتار المتفرقة وإدخال قبائل الأتراك المتشتتة تحت راية واحدة وقوي بهم دعائم سلطنته ونشر بهم إلى الأطراف والآفاق آثار شوكته وسطوته لكان أعظم سلطان في العالم ولأجرى أحكامه على كافة بني آدم ولما وصل المسلمون إلى هذا الحد من التشتت والتفرق والضعف والتدني والانحطاط والذلة والمسكنة والرذالة ولكن لم يفتكر في العصر المذكور أحد في نتيجة اتحاد القومية وفوائد اجتماع الجنسية بل صوروا المسألة بالعكس ووجهوا وجه همتهم نحو ما لم ينتج غير سوء النتيجة وبذلوا غاية سعيهم ونهاية جهدهم لما لا ينفعهم سوى الشهرة الكاذبة ولذلك لا أرى بدًا من التسليم لقول من يقولو إن تدبير الأقوام التركية ونظرهم إلى عواقب الأمور ليس على نسبة

(١) السلطان سليمان القانوني: تقدمت ترجمته.

شجاعتهم ولا أقدر أن أكابره في ذلك بعد أن أثبت صدقه شواهد جريان الأحوال الماضية والحاضرة وليس المدار على الشجاعة فقط بل لا بد معها من التدبير والنظر إلى العواقب بل المدار كل المدار على التدبير وحسن الرأي فمن أوتيه فقد أوتي السعادة والله والمتنبي حيث يقول شعر:

الرأي فوق شجاعة الشجعان هو أول ولها المحل الثاني

ألا ترى في عصرنا إلى الدول الأوروبية وإلى الإنكليز وهولاندا خصوصًا بأي شيء يضبطون مائتي مليون من بهائم الهنود وألوفًا من أنعام مصر وسائر أقوام إفريقيا وأستراليا وعشرين مليونًا أو أزيد من أغنام جاوه سوى التدبير ولكن الأمر كله لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا يقع في الوجود شيء إلا بإذنه.

قال جودت باشا[1] رحمه الله في تاريخه: بعد بيان استيلاء الروس على قزان وحاجي طرخان وعدم اقتدار خوانين قريم على استردادها إجمالاً أن استرداد هاتين المملكتين كان أمرًا هينًا بهمة الدولة العلية في الوقت المذكور وإن لم يقدر عليه خوانين القريم ومع ذلك لم يتشبث لهذا الأمر إما خوفًا من حصول القوة لخوانين قريم بانضمام مملكتي قزان وحاجي طرخان إلى قريم لظهور الميل إلى الفتنة والمفسدة في أمزجتهم فلم يستصوب الرأي المذكور وبنيت الإدارة على مصالح الوقت وإما لاقتضاء أسباب أخر إياه وعدم الاعتبار والاعتداد بالروسية فلم يهتم بهم وبتقدمهم وتقويهم بل انحصرت أفكار الدولة في الفتوحات الجديدة في طرف النمسة والحال أن الاهتمام باسترداد هاتين المملكتين كان أنفع وألزم للدولة العلية فإن كون تزايد مكنة دولة وشوكتها ووسعة مملكتها وجسامتها على قدر مكنة عناصرها الأصلية وجسامتها أمر طبيعي وخميرة مادة الدولة العلية وإن كانت في الأصل وابتداء تشكلها عبارة عن قبيلة واحدة ولكن لما انقلبت قبائل الأتراك الكائنة في قطعة أناطولي كافة إلى تلك المادة بانقراض دولة السلاجقة وصارت كلهم عنصرًا عثمانيًا بمناسبة الجنسية والقومية حصلت لها بذلك قوة كثيرة وصارت الدولة العثمانية دولة تركية

(١) جودت باشا: هو أحمد جودت باشا بن إسماعيل بن علي بن أحمد ابن المفتي إسماعيل اللوفجة ولي الرومي، من وزراء الدولة العثمانية، كان عالمًا فاضلاً أديبًا مؤرخًا، ولد سنة ١٢٣٨ هـ، وتوفي سنة ١٣١٢ هـ، من تصانيفه: «التاريخ العثماني» في اثني عشر مجلدًا. (كشف الظنون ٥/ ١٩٤).

معنى. ثم لما فتح السلطان سليم[١] بلاد العرب وانضمت كافة الموحدين إلى الدولة العلية وصاروا من أجزائها العنصرية صارت الدولة العثمانية بعد ذلك دولة إسلامية ولكن لما ظهر شاه إسماعيل الصفوي وألقى التفرقة العظيمة بين الملة الإسلامية بقي قوم إيران خارجين عن ذلك العنصر وحيث كانوا حدًا فاصلاً بين مملكة الدولة العلية ومملكة ما وراء النهر تسببوا لحرمان أهالي ما وراء النهر أيضًا عن شرف الانضمام إلى هذا العنصر وقد كان اللازم على الدولة العلية بمقتضى خلافتها الإسلامية صرف جهدها وبذل قوتها في جمع الأقوام التي تصلح أن تكون من عناصرها الأصلية من الشرق والغرب والهند والسند وأن تدخلهم تحت تصرفها وتضم قواهم إلى قوتها الكلية سيما أهالي قفقاز وتتار حاجي طرخان وقزان فإنه لا شبهة في انقلابهم إلى الملة العثمانية ودخولهم في حوزة الحكومة في أقرب الأوقات بمقتضى قرب المجانسة والاتحاد في المذهب والديانة في أكثرهم فعلى هذا لم تكن شبهة في لحوق مملكة قريم بسائر ولايات الدولة العلية ومعدودة منها فحينئذٍ لا يبقى لذلك الوهم والخوف أدنى مجال وهذا كان أفكار السلطان سليم عليه الرحمة والغفران وكانت نعمت الأفكار ولكن عطلت هذه الدقيقة عقب وفاته وتركت وأخرج رأس المال من اليد وضيع وتشبث بحالات يظهر بها شأن السلطنة السنية في الأنظار ويعلن وفي الواقع وقع كثير من الأمور الداخلية والخارجية مما له شأن عظيم ووسعت حدود مماليك الدولة العلية بفتح كثير من الممالك الجديدة وظهرت في ذلك أمور عظام وجسام ولكن لما لم يكن في العناصر الأصلية قدرة تحمل حفظ تلك الممالك الجديدة خرجت كلها من اليد في وقت يسير ورجعت الممالك إلى دائرتها الأصلية وقوتها وجسامتها التي كانت في عصر السلطان سليم عليه الرحمة بالضرورة فإن ضبطت مملكتا حاجي طرخان وقزان في ذلك الوقت وألحقت بممالك الدولة العلية وبوشرت إدارتهما من طرف الدولة بلا واسطة وضبطت التتارستان الكبيرة أيضًا بتلك الوسيلة لأمكن ضبط كثير من أمثال مملكة ماجار بغاية السهولة.

---

(١) السلطان سليم: هو السلطان سليم الأول الغازي ابن السلطان بايزيد خان الثاني. تولى السلطنة سنة ٩١٨ هـ، الموافق ١٥١٢ م، بعد وفاة والده السلطان بايزيد خان الثاني. وتوفي في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ، الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ هـ. عن عمر يناهز ٥١ سنة، وكانت مدة سلطنته ٨ سنوات (انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية للأستاذ محمد فريد بك المحامي. ص ٧٢ ـ ٧٩، وانظر أيضًا تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا ١/ ٢١٣ ـ ٢٥٨).

والحاصل إذا سير على سير السلطان سليم وفكره وترسيمه لكانت قوة الدولة وجسامتها مغايرة لقوتها وجسامتها الحاضرة بالكلية ولكن كان الأمر بالعكس فاستفادت الروسية من هذا الخطأ الواقع في المطالعة السياسية في عصر السلطان سليمان واكتسبت القوة أولاً بضبط قزان وحاجي طرخان وحصلت الاستعداد والاقتدار بالتدريج للتعرض لحدود الدولة العلية اهـ، كلام نفيس مطابق للواقع ولكن لا وجه لتخصيص الخطأ السياسي بالعصر السليماني بل هو أمر مستمر في جميع الأعصر.

وأما حال يادكار خان وأوتامش گراي وعاقبتهما فقد قال كارامزين: إن إيوان أخذ أوتامش گراي عنده في قصره وفوضه إلى من يعلمه قوانين الروس ونظاماته ولم يجر له ذكر بعد ذلك[١] وأن يادكار خان تنصر في شباط العام الثاني من أسارته وسمي سيمون وتزوج ببنت حاكم من حكام الروسية تسمى ماريه بنت آندري كوتوزف وأقام[٢] في بيت على حدة من قصر موسكوا اهـ. وأنت تطلع على معاملة الروس في حكمهم بالتنصر في المقصد الآتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) نعم ذكره عند ذكره استيلاء الروس على بعض بلاد الچراكسة وبيان أحوالهم الشنيعة وذلك بعد استيلائها على حاچي طرخان. منه عفي عنه.

(٢) وذكر خروجه إلى حرب دولة گراي خان القريمي حين مجيئه بلاد الروس بنية إنقاذ قزان من يدها ولم أر بعد ذلك ذكره. منه عفي عنه.

المقصد الرابع

بيان الأحوال الجارية في تلك البلاد بعد دخولها تحت حكم الروسية ونفوذهم وسلطنتهم.

المقصد الرابع
في بيان الأحوال الجارية في تلك البلاد بعد دخولها تحت حكم الروسية ونفوذهم وسلطنتهم إلى يومنا هذا

وقبل أن نخوض في هذا الباب يجمل بنا أن نلم إلى شيء من أوليات دولة الروسية ليكون كالمدخل إلى تاريخها حسب ما أومأنا إلى ذلك في بيان أحوال الخزر ولنذكر هنا ما ذكر سواح المسلمين المتقدمين نحو ما فعلنا في بيان أحوال سائر الأمم ليكون تاريخنا على وتيرة واحدة ولنوشحه بأقوالهم وبياناتهم ولنجمع كلماتهم المتفرقة في محل واحد.

قال الحموي[1] في كتابه معجم البلدان: روس بضم أوله وسكون ثانيه وسين مهملة ويقال لهم: رس بغير واو أمة من الأمم بلادهم متأخمة للصقالبة والترك ولهم لغة برأسها ودين وشريعة لا يشاركهم فيها أحد.

وقال المقدسي: هم في جزيرة وبئة يحيط بها بحيرة وهي حصن لهم ممن أرادهم وجملتهم على التقدير مائة ألف إنسان وليس لهم زرع ولا ضرع والصقالبة يغيرون عليهم ويأخذون أموالهم وإذا ولد لأحدهم مولود ألقى إليه سيفًا وقال له: ليس لك إلا ما تكسبه بسيفك وإذا حكم ملكهم بين خصمين بشيء ولم يرضيا به قال

---

(١) ياقوت الحموي: هو شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس، الحموي المولد، البغدادي الدار، الأديب المؤرخ، ولد سنة ٥٧٥ هـ، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦ هـ، له من التصانيف: «أخبار المتنبي»، «إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء»، «تحفة الألباء في أخبار الأدباء»، «كتاب الدول»، «المبدأ والمآل» في التاريخ، «مجموع كلام أبي علي الفارسي»، «المشترك وضعًا والمختلف صقعًا»، «معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان»، «المقتطف في النسب». (كشف الظنون ٦/ ٥١٣).

لهما: تحاكما بسيفيكما فأي السيفين كان أحد كانت الغلبة له[١] وهم الذين استولوا على برذعة[٢] سنة ٣٣٢ فانتهكوها حتى ردها الله منهم وأبادهم. وقرأت في رسالة أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد[٣] مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر إلى ملك الصقالبة حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها فحكيت ما ذكره على وجهه استعجابًا به قال: ورأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم فنزلوا على نهر إتل فلم أر أتم أبدانًا منهم كأنهم النخل شقر حمر لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج إحدى يديه منه ومع كل واحد منهم سيف وسكين وفاس لا يفارقه وسيوفهم صفائح مشظة إفرنجية ومن حد ظفر الواحد منهم إلى عنقه محضر شجر وصور وغير ذلك وكل امرأة منهم على ثديها حقة مشدودة إما من حديد وإما من نحاس وإما من فضة وإما من ذهب على قدر مال زوجها ومقداره في كل حقة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضًا وفي أعناقهن أطواق ذهب وفضة لأن الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم صاغ لامرأته طوقًا وإن ملك عشرين ألفًا صاغ طوقين وكلما زاد عشرة آلاف درهم يزيد لها طوقًا فربما كان في عنق الواحدة منهم أطواق كثيرة وأجل الحلي عندهم الخرز الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن يبالغون فيه ويشترون الخرزة منه بدرهم وينظمونه عقدًا لنسائهم وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل وهو نهر كبير ويبنون على شاطئه بيوتًا كبارًا من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر ولكل واحد منهم سرير يجلس عليه ومعه جواريه الروقة للتجار فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر إليه وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحالة بعضهم بحذاء بعض وربما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه ولا بد لهم في كل يوم بالغداة أن تأتي الجارية ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتقدمها إلى مولاها فيغسل فيها وجهه ويديه وشعر رأسه فيغسله

---

(١) وهذه العادة الشنيعة باقية إلى الآن في بعض ملل آوروپا المتمدنة يقال لها دؤوني يعني المبارزة. منه عفي عنه.

(٢) وهي الحادثة التي ذكرها ابن الأثير وهذا يدل على وهم المسعودي فيما ذكره من الحوادث وقد مر ذكرها في المقدمة عند ذكر الخزر فإنه لو لم يكن وهمًا بل كان مغايرًا لحادثة برذعة لذكرها المقدسي هنا.

(٣) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، توفي في حدود سنة ٣٠٩ هـ، له «كتاب الجغرافيا». (كشف الظنون ٥/ ٥٧).

ويسرحه بالمشط في القصعة ثم يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئًا من القذر إلا فعله في ذلك الماء فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي يليه فيفعل مثل ما فعل صاحبه ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت وكل واحد منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها. وساعة موافاة سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم ولبن وبصل ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول يا رب قد جئت من بعد ومعي من الجوار كذا وكذا رأسًا ومن السمور كذا وكذا جلدًا حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول: وقد جئتك بهذه الهدية ثم يترك ما معه بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجرًا معه دنانير ودراهم فيشتري مني كلما أريد ولا يخالفني في جميع ما أقول ثم ينصرف فإن تعسر عليه بيعه وطالت أيامه عاد بهديه أخرى ثانية وثالثة فإن تعذر عليه ما يريد حمل إلى صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة وقال: هؤلاء نساء ربنا وبناته ولا يزال إلى صورة صورة ويسألها ويستشفع بها ويتضرع بين يديها فربما تسهل له البيع فباع فيقول قد قضى ربي حاجتي وأحتاج أن أكافيه فيعمد إلى عدة من البقر والغنم على ذلك ويقتلها ويتصدق ببعض اللحم ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها ويعلق رؤوس البقر والغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض.

فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت ذلك فيقول الذي فعله قد رضي عني ربي وأكل هديتي وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئًا من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيامه لا سيما إن كان ضعيفًا أو مملوكًا فإن برأ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه وإن كان مملوكًا تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير وإذا أصابوا سارقًا أو لصًا جاؤوا به إلى شجرة طويلة عظيمة وشدوا في عنقه حبلًا وثيقًا وعلقوه فيها ويبقى معلقًا حتى يتقطع من المكث إما بالرياح أو بالأمطار.

وكان يقال لي: إنهم كانوا يفعلون برؤسائهم عند الموت أمورًا أقلها الحرق فكنت أحب أن أقف على ذلك حتى بلغني موت رجل منهم جليل فجعلوه في قبره وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ويجعلونه فيها ويحرقونها والغني يجمعون ماله ويجعلونه

ثلاثة أثلاث فثلث لأهله وثلث يقطعون له به ثيابًا وثلث يشترون به نبيذًا يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها وهم مستهترون بالخمر يشربونها ليلًا ونهارًا وربما مات الواحد منهم والقدح في يده. وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم أنا فإذا قال ذلك فقد وجب له ذلك لا يستوي له أن يرجع أبدًا ولو أراد ذلك ما ترك وأكثر ما يفعل هذا الجواري فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه: من يموت معه فقالت إحداهن: أنا فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث ما سلكت حتى أنهما ربما غسلتا رجليها بأيديهما وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له وإصلاح ما يحتاج إليه والجارية في كل يوم تشرب وتغني فارحة مستبشرة فلما كان اليوم الذي يحرق هو والجارية حضرت إلى النهر الذي فيه سفينته فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخلنج وغيره وجعل حولها أيضًا مثل الأناس الكبار من الخشب ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب وأقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا يفهم وهو بعد في قبره لم يخرجوه ثم جاؤوا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضربات الديباج الرومي والمساند الديباج الرومي ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الذي ذكرناه وهي وليت خياطته وإصلاحه وهي تقتل الجواري ورأيتها جوانبيرة[1] ضخمة مكفهرة فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه فرأيته قد اسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذًا وفاكهة وطنبورًا فأخرجوا جميع ذلك وإذا هو لم يتغير منه شيء غير لونه فألبسوه سراويل ورانًا[2] وخفًا وقرطقًا وخفتان ديباج له أزرار من ذهب وجعلوه على رأسه قلنسوة من ديباج سمور وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة وأجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاؤوا بالنبيذ والفواكه والريحان فجعلوه معه وجاؤوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه فجاؤوا بكلب فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة ثم جاؤوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ثم قطعوهما بالسيوف وألقوا لحمهما في السفينة ثم جاؤوا

(١) هكذا في الأصل المنقول وهو لفظ مركب من كلمتين فارسيتين فجوان بمعنى الشاب والشابة وبيرة بالباء الفارسية بمعنى العجوز ولا أدري ما المراد به هنا ولعل المراد أنها متوسطة والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه. في النسخة المطبوعة حواء نيرة مصححة.

(٢) هكذا في الأصل المنقول عنه ولا أدري معناه وأما القرطق فقد تقدم أنه معرب كورته بمعنى القميص وخفتان هو القفتان معلوم. منه عفي عنه.

ببقرتين فقطعوهما وألقوهما في السفينة ثم أحضروا ديكًا ودجاجة فقتلوهما وطرحوهما فيها والجارية التي تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قبابهم فيجاء معها واحد واحد وكل واحد يقول لها: قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك. فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاؤوا بالجارية إلى شيء عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجلها على أكف الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها فأنزلوها ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا لها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به فأخذوا الدجاجة وألقوها في السفينة.

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في المرة الأولى هوذا أرى أبي وأمي وقالت في المرة الثانية هوذا أرى جميع قرابتي الموتى قعودًا وقالت في المرة الثالثة هوذا أرى مولاي قاعدًا في الجنة والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانتا معها ودفعتهما إلى المرأة العجوز التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانتا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المعروفة بملك الموت ثم اصعدوها إلى السفينة ولم يدخلوها إلى القبة وجاؤوا الرجال[1] ومعهم الترس والخشب ودفعوا إليها قدحًا من نبيذ فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان: إنها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع إليها قدح آخر فأخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وأرادت الدخول إلى القبة فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة ودخلت معها العجوز وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري فلا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جنب مولاها الميت وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلًا مخالفًا ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها خنجر عظيم عريض النصل تدخله بين أضلاعها وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة فأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة والخشبة في يده الواحدة ويده الأخرى على استه وهو عريان حتى أحرق ذلك الخشب الذي قد عبوه تحت

(١) كذا في الأصل المنقول عنه. منه عفي عنه.

السفينة من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة وقد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخشب فتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها.

وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي فسألته عما قال له فقال: إنه يقول أنتم معاشر العرب حمقى لأنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب فتأكله الهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته ثم ضحك ضحكًا مفرطًا وقال من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والرجل الميت والجارية رمادًا رمددًا ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا أخرجوها من النهر شبيهًا بالتل المدوَّر ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خذنج وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا.

قال: ومن رسم ملوك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده فهم يموتون بموته ويقتلون دونه ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه وتصنع له ما يأكل ويشرب وجارية أخرى يطأوها وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجواهر ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه وربما وطىء الواحدة منهن بحضرة أصحابه الذين ذكرنا ولا ينزل عن سريره فإذا أراد قضاء حاجة قضاها في طشت وإذا أراد الركوب قدموا دابته إلى السرير فركبها منه وإذا أراد النزول قدم دابته حتى يكون نزوله عليه وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته.

ثم قال الحموي: هذا ما نقلته من رسالة ابن فضلان حرفًا حرفًا وعليه عهدة ما حكاه والله أعلم بصحته وأما الآن فالمشهور من دينهم دين النصرانية اهـ كلام الحموي.

قلت: نعم إنهم تنصروا بعد عصر ابن فضلان وأما في عصره فقد كانوا على ما حكاه وقد ذكر إحراقهم موتاهم غير واحد من المؤرخين كما تقدم عن المسعودي[1]

---

(١) المسعودي: هو علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي، أبو الحسن المسعودي، المؤرخ، نزيل مصر، الأديب، توفي بمصر سنة ٣٤٦ هـ، من مصنفاته: «إثبات الوصية»، «أخبار الأمم من العرب والعجم»، «أخبار الخوارج»، «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان» في التاريخ، =

أثناء بيان أحوال الخزر ولأجل الاشتباه نسب صاحب روضة الصفاء إحراق الموتى إلى الخزر وبين علته والنسبة غير صحيحة وإن كانت العلة صحيحة فرضًا وأما القذارة وعدم الاستنجاء فباقية إلى الآن وأقبح وأغضب شيء عندهم هو الاستنجاء وكذلك[1] عبادة الأوثان والأصنام باقية إلى الآن على حالها.

قال أبو علي أحمد بن داسة:

الفصل السادس في الروسية

فأما الروسية فإنها في جزيرة حواليها بحيرة والجزيرة التي هم فيها نزول مسيرة ثلاثة أيام مشاجر وغياض وهي وبيئة ندية إذا وضع الإنسان رجله على الأرض تزلزلت الأرض من ندوتها ولهم ملك يسمى خاقان الروس وهم يغزون الصقالبة يركبون السفن حتى يخرجوا إليهم ويسبوهم ويخرجوهم إلى خزران وبلكار يبيعونهم منهم وليس لهم مزارع إنما يأكلون مما يحتملون من أرض الصقالبة. وإذا ولد للرجل منهم مولود قدم إلى المولود سيفًا مسلولاً فألقاه بين يديه وقال له: لا أورثك مالاً وليس لك إلا ما تكسبه لنفسك بسيفك هذا وليس لهم عقار ولا قرى ولا مزارع وإنما حرفتهم التجارة في السمور والسنجاب وغير ذلك من الوبير فيبيعونه من مبتاعيهم ويأخذون بالأثمان الصامت من المال فيشدونه في أحقائهم.

ولهم نظافة في ثيابهم ويتسور الرجل منهم بأسورة الذهب ويحسنون إلى رقيقهم يتنوقون (يتأنقون) في ثيابهم لأنهم يتعاطون التجارة ولهم مدائن كثيرة ويوسعون على أنفسهم ويكرمون أضيافهم ويحسنون إلى من يلوذ بهم من الغرباء وكل من ينتابهم ولم يسوغوا أحدًا منهم اهتضامهم ولا الجور عليهم وكل من أقدم عليهم بمكروه أو ظلم أعانوهم ودفعوا عنهم.

ولهم السيوف السليمانية وإن استنفرت طائفة خرجوا جميعهم ولم يتفرقوا وكانوا يدًا واحدة على عدوهم حتى يظفروا بهم وإن ادعى واحد منهم على آخر دعوى حاكمه إلى ملكهم واختصما فإن قطع بينهما كان الذي يريد وإن لم يتفقا

= «الأوسط في التاريخ»، «راحة الأرواح في أخبار الملوك والأمم»، «الرسائل والاستذكار لما مر في سالف الأعصار»، «عجائب الدنيا»، «مروج الذهب ومعادن الجوهر» في التاريخ، «المسالك والممالك»، «الهداية إلى تحقيق الولاية» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٦٧٩، ٦٨٠، الأعلام ٤/ ٢٧٧).

(١) وكذلك وضع الطعام والمأكولات بين أيديها كل ذلك باق إلى الآن. منه عفي عنه.

على قوله أمر أن يتحاكما بسيفهما فأي السيفين كان أحد كانت الغلبة له فخرجت العشيرتان فقامتا بأسلحتهما فتجالدا فأيهما كان أقدر على صاحبه كان المحكم في خصمه بما يريد.

ولهم أطباء منهم يحكمون على ملكهم شبه أرباب لهم يأمرونه أن يتقربوا بما يريدون إلى خالفهم من النساء والرجال والكراع وإذا حكمت الأطباء لم يجدوا[1] بدًا من الانتهاء إلى أمرهم فيأخذ الطبيب الإنسان والبهيمة منهم فيطرح الحبل في عنقه فيعلقه في خشبة حتى تفيض نفسه ويقول: إن هذا قربان لله ولهم رجلة وبسالة فإذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم ويستبيحوا حرمهم ويسترقوهم، ولهم جثث ومنظر وإقدام وليس إقدامهم على الظهر أي البر وإنما غزوهم ومعالجتهم في السفن، ولهم سراويلات قد اتخذوا الواحدة منها من مائة ذراع إذ ألبسها اللابس منهم جمعها على ركبتيه وشدها عندهما.

ولا يبرز أحدهم لقضاء حاجته وحده إنما يصحبه ثلاثة نفر من رفقائه يتحارسونه بينهم مع كل واحد منهم سيفه لقلة أمانتهم والغدر الذي فيهم فإن الرجل إذا كان له قليل مال طمع فيه أخوه والصاحب الذي معه أن يقتله ويسلبه وإذا مات الجليل منهم حفر له قبر مثل بيت واسع وجعلوه فيه وأدخلوا معه ثياب بدنه وسواره الذي كان يلبسه من ذهب وطعامًا كثيرًا وأباريق شراب ومالاً صامتًا أيضًا ويجعلون معه في القبر امرأته التي كان يجيئها وهي بعد حية ويسد عليها باب القبر فتموت هناك اهـ.

هذا ما ذكره بعض سواح الإسلام المتقدمين في بعض أوليات الروس وهم معدودون الآن من طائفة أسلاوان التي كانت سواح الإسلام المتقدمون يعبرون عنها بالصقالبة وقد مرت نبذة من بيان كيفية ظهورهم ثم معاملتهم من جيرانهم من الأمم التركية الذين كانوا يسكنون هناك نقلاً عن كارامزين وأنه وإن ذهب إلى كونهم من أسلاوان تبعًا للجمهور ولكنه لم يجزم بذلك جزءًا قويًا بل جوز كونهم من الأقوام الواردين من آسيا وكونهم من بقايا عساكر الغوت وهون فتذكره وفي عصرنا هذا أيضًا كثير من الأتنوغرافيين يشتبهون في كونهم من أسلاوان والحق أنهم ليسوا

(١) قلت: قد عم هذا الحكم الجاهلي في زماننا هذا الذي يقولون إنه عصر الترقي والتمدن جميع الدنيا حيث إن الأطباء الجهال الآن لا يعرفون شيئًا غير الكرانتينا والبخور وأنواع العذاب لبني البشر قاتلهم الله واستأصلهم فعرفنا مأخذ هذا الأمر القبيح أيضًا والحمد لله على ذلك. منه عفي عنه.

بأسلاوان صرف بل هم مخلوطون ببعض قبائل من أسلاوان وأمم أخرى غيرهم أيضًا كثيرة.

هذا في بداية ظهورهم وأما في أواسط أدوارهم وأواخرها فقد عرفت مما سبق أنهم اختلطوا بكثير من الأقوام التركية والتتارية بسبب انقلابهم إليهم حين غلبتهم عليهم ولذلك ترى أن مشابهتهم بالأقوام الأسيوية في سيماهم ومعاملتهم وطرز معيشتهم أكثر منها بالأقوام الأوروبية خصوصًا أهل القرى الذين ليس لهم اختلاط بسائر أهل آوروپا حتى أن نساءهم لا يرضون غالبًا بكشف رؤوسهن وإبداء شعورهن وكان التستر عامًا فيهن إلى عصر پيطر الأكبر المشهور فأجبرهن إلى الكشف تبعًا لأهل آوروپا ومع ذلك بقي التستر في نساء أهل القرى أعني ستر الرأس ولذلك يعيبهم الأوروبيون بمشابهتهم في العادات وطرز المعيشة بالتتار.

وملوك الروس منقسمة إلى ثلاث طبقات وعوائل:

الأولى: عائلة روريك وقد قدمنا في بيان أحوال الخزر أن القبائل المتفرقة المتشتتة من أسلاوان وغيرهم الذين كانوا يقيمون في الجانب الغربي من مملكة بلغار قزان أعني في سواحل بحر البلطق دعوا الإخوان الثلاثة روريك وسينيوس وترووار. من عائلة روس من قوم واراغ من جنس سكندناوة المشهورة باسم عام نورمان من وراء بحر بلطق أعني من مملكة أسوج ونروج ليملكوهم على أنفسهم.

والحاصل أن هؤلاء الإخوة الثلاثة جاؤوا إلى الروسية مع أتباعهم وعساكرهم في سنة ٨٦٢ م مصادفة سنة ٢٤٨ هـ بموجب طلبهم، فاستقر روريك بمدينة نووغورد التي هي أقدم وأشهر مدن الروس، واستقر سينيوس ببلدة بيلي أوزير حاكمًا على قوم فين وچود، واستقر ترووار ببلدة إيزبورسكي على قوم كريويج من أسلاوان. وبقيت اسمولينسكي وپولوتسكي حال كونهما ملآنتين بقوم كريويچ على استقلالهما فإن أهلهما لم يشتركوا سائر طوائف أسلاوان في دعوة هؤلاء الإخوة فسميت أهالي ولايات پطربورغ الحاضرة وايستلاندية ونووغورد وپسكوف باسم الروس (يعني في ذلك الوقت ثم عم ذلك الاسم جميع طوائف أسلاوان بل جميع من كان داخلاً تحت حكم هذه الإخوة الثلاثة) ثم مات سينيوس وترووار بعد سنتين وبقي ملكهما لروريك فاستقل بالملك وكان يعطي الولايات التي كان يفتحها بنفسه أو بواسطة أقاربه وأمرائه لكبار أقربائه وأمرائه من قوم نورمان على سبيل الإقطاع وكان ذلك عادة قوم نورمان بل جميع أهل آوروپا في العصر المذكور وكان أهالي تلك الولايات بمنزلة عبيد هؤلاء

الأمراء وكان هؤلاء الأمراء يلقبون بلقب بويار وتلك الأهالي التعسة باسم كرستيان يعني العبيد والمماليك واستمر[١] هذا الحكم إلى وقت قريب من هذا العصر ولذلك كثر في الروسية البويار وكرستيان وهؤلاء الكرستيان ما تخلصوا من الرقية والأسارة إلا بعد حرب قريم وسيواستاپول المشهور ولكنهم بقوا بلا أراضٍ وهم الذين يطلبون الأراضي الآن من حكومة الروس وصاروا أعظم ركن ومستند للثوار على ما لا يخفى على أربابه، وأطاعه أعني روريك أمة ميرا ومورم وپولوچان وانقلبوا إلى الروسية وليسوا في الأصل من جنس أسلاوان ولذلك قال كارامزين وأعظم ما فعله روريك وأحقه بالذكر قلبه أمة ميرا ومورم وويص إلى الروسية وكان وفاته في سنة ٨٧٩ م مصادفة سنة ٢٦٦ هـ وكان مدة حكومته مستقلاً بعد موت أخويه ١٥ سنة وخلف ولدًا صغيرًا يسمى إيغور أوليغ من سنة ٨٧٩ إلى سنة ٩١٢ وكالة ولما قرب وفات روريك فوض مملكته وولده الصغير إيغور إلى أخيه أوليغ ولما أخذ أوليغ زمام الحكومة بيده جلب كثيرًا من قوم وأراغ إلى الروسية وأخذ العسكر أيضًا من أهالي الروسية وأدخل كثيرًا من الأقوام والممالك تحت حكومته منها بلدة أسمولينسكي التي كانت باقية على استقلالها وبلدة لوبيچ بأطراف دينيپر واستولى على حكومة كيف بعد أن قتل (أصكولد)[٢] و(دبر) اغتيالاً واتخذ بلدة كيف كرسي سلطنته لكونها أوفق للهجوم منها على سائر الأقوام وسلم مدينة نووغورد والجهة الشمالية من الروسية إلى أعيان واراغ فضربوا عليهم الجزية ودام هذا الحال إلى آخر حكومة يارصلاو واستولى أوليغ على ولايات چيرنيغوف وويتبسكي وأخرجها من حكومة الخزر واستولى أيضًا على ولايات كثيرة في غربي ولاية كيف وقصد القسطنطينية بألفي سفينة من نهر دينيپر والبحر الأسود في كل سفينة أربعون نفرًا وسار بنفسه مع الخيالة من البر من جهة روم إيلي وبلغاريا الحاضرة في عصر القيصر ليون وهو أعني القيصر المذكور وإن وفق لحفظ القسطنطينية بمد السلاسل على فم الخليج إلا أنهم أفسدوا في البر إفسادًا كثيرًا بالقتل والأسر والتخريب والنهب والغارة حتى اضطر القيصر المذكور إلى دفعهم بإعطاء المال والمصالحة توفي أوليغ في سنة ٩١٢ م مصادفة سنة ٣٠٠ هـ أو التي قبلها.

---

(١) بل زادو تأييد في عصر پيطر المشهور ويكاترينا فإنهما قد فعلا ذلك في حق مخلصيهما مع كونهما مجددي دولة الروسية. منه عفي عنه.

(٢) وقدم بيانهما وكيفية استيلائهما على كيف وانتزاعهما إياها من الخزر عند بيان الخزر في المقدمة فتذكر. منه عفي عنه.

إيغور بن روريك من سنة ٩١٢ إلى سنة ٩٤٥: وبعد وفات أوليغ الوصي استقل إيغور بن روريك بالملك وقد قام عليه طائفة دريولان من أمة أسلاوان فأعادهم إلى الطاعة وبعيد ذلك بقليل ظهر أمة بجاناك من جهة الشرق فأزعجوا الروسية إلى أعصر كثيرة كما مر وفي سنة ٩٤٨ م قصد إيغور القسطنطينية بعشرة آلاف سفينة في كل سفينة أربعون نفرًا فأرسل قيصر رومان قائد جيشه فيوفان فهربهم ولكنهم خرجوا إلى قطعة أناطولي وأفسدوا فيها إفسادًا كثيرًا وبعد سنتين من هذا جلب إيغور كثيرًا من عسكر واراغ من بلادهم واستأجر أيضًا قوم بجاناك وقصد القسطنطينية ثانيًا فاضطر القيصر إلى تجديد المصالحة معه وشرط في معاهدته إياه إن لا يرسلوا لبلغار السود (يعني بلغار طونه) إلى طرف خرصون توفي إيغور في سنة ٩٤٥ م مصادفة سنة ٣٣٤ هـ أو التي قبلها قتله طائفة دريولان لأجل حرصه وجشعه وكان خروج الروسية من نهر وولغا وبحر الخزر إلى طرف عراق العجم وأذربيجان على قول المسعودي وإلى بردعة على قول ابن الأثير[1] وغيره في عصره.

اسواتسلاو الأول ابن إيغور من سنة ٩٤٥ إلى سنة ٩٧٢: وحين توفي إيغور كان ولده اسواتسلاو صغيرًا فقامت والدته أولغا بتدبير أمر الملك وسلمت ولده المذكور إلى بويار آصمولد وفوضت تدبير الأمور العسكرية إلى القائد أصوينيلد من قوم واراغ وذهبت إلى قسطنطينية وقبلت النصرانية فيها بسعي القيصر قسطنطين بوغرانورودني وبقي ولده المذكور على الجاهلية وتنصر معها بعض أعيان قوم واراغ وهي تعد عند الروسية من الأعزة وبعد أن كبر اسواتسلاو شرع في غزو الأقوام المجاورين كبلغار وولغة والخزر وقد تقدم في بيان خزر أنه حارب الخزر وانتزع منهم بلدتهم المسماة بسرقل (صاري قلعة) وممالكهم التي كانت في سواحل البحر أوزاق المسماة بتاموتاراقان وفناغوريا وبوسفور وحارب قوم ياصه المسمات الآن بأوصينست وغزا أيضًا بلغار طونه بستين ألفًا من خيالة الروس بتحريض قيصر الروم نيكيفور إياه

(١) ابن الأثير الجزري: هو علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، عز الدين، أبو الحسن الجزري الموصلي، المعروف بابن الأثير الفقيه المؤرخ الشافعي ولد سنة ٥٥٥ هـ، وتوفي بالموصل سنة ٦٣٠ هـ، من تصانيفه: «آداب السياسة»، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، «تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل»، «تحفة العجائب وطرفة الغرائب» في التاريخ، «الجامع الكبير» في علم البيان، «كامل التواريخ»، «كتاب الجهاد»، «اللباب في تهذيب الأنساب»، وهو تلخيص أنساب السمعاني، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/٧٠٦، الأعلام ٤/ ٣٣١).

على ذلك واستولى على كرسي سلطنتهم بلدة پرياصلاول وكانت على شاطىء نهر طونه بقرب سلستره وهي قصبة صغيرة الآن فمات كبيرهم من كدره ولما سمع أسواتسلاو هجوم قوم بجاناك إلى كيف رجع ثم قصد بلغاريا ثانيًا بنية أن يتخذ البلدة المذكور مركز حكومته فحاربه قيصر الروم تصميصخي (المشهور عند المسلمين بالدمستق) وهزمه ثم قتله قوم بجاناك في مصب دينيپر وقت رجوعه واتخذوا من عظم رأسه قدحًا كما مر وكان ذلك في سنة ٩٧٢ م مصادفة سنة ٣٦٢ هـ أو التي قبلها وهو الظاهر.

ياروپولك الأول من سنة ٩٧٢ إلى سنة ٩٨٠: ولما مات استواتسلاو وقع الاختلاف بين أولاده الثلاثة ياروپولك وأوليغ وولاديمير وكان ياروپولك يقيم بكيف وأوليغ بمملكة دريولان وولاديمير بنوغورد فقصد ياروپولك أولاً أخاه أوليغ بتحريض قائد جيشه أصوينيلد المار ذكره فقتله وملك ممالكه فلما سمع ولاديمير ذلك هرب إلى نورماندیا التي هي أصل وطن أسلافه وجمع هناك جيشًا قويًا من قوم واراغ وعاد بعد سنتين وملك نووغورد وتزوج روغيندة ابنة روغولد حاكم پولوتسكي وكريويچ جبرًا بعد قتل أبيها المذكور وكانت مخطوبة أخيه ياروپولك ثم قصد بلاد كيف وقتل أخاه ياروپولك بالحيلة وبإعانة عسكر واراغ وكان ذلك في سنة ٩٨٠ م مصادفة ٣٧٠ سنة هـ أو قبلها.

ولاديمير الأول ابن استواتسلاو من سنة ٩٨٠ إلى سنة ١٠١٤ وهو من مشاهر ملوك الروس كانت أمه جارية ولما قتل أخاه ياروپولك في التاريخ المذكور استقل بالحكومة وطرد عسكر واراغ الذين ملكوه بالحيلة وإنما أبقى عنده الأعيان منهم المسميين ببويار وأقطع لكل منهم مدنًا عظيمة كثيرة وبعد أن ترسخ قدمه في الملك واطمئن باله ظهر فيه الندم على ما صدر عنه من الخيانة في حق أخيه وغيره وزاد فيه هوس عبادة الأوثان فاتخذ صنمًا كبيرًا رأسه من الفضة ووجهه من الذهب وفي إحدى يديه صورة حجر الصاعقة كأنه متهيىء لأن يرمي به من يخالفه يسمى پيرون ونصبه قدام قصره في ميدان يسمى أسواشيني خولمه وأمر قائد جيشه أن يصنع صنمًا آخر مثله في نووغورد ونصبوه بشاطىء نهر وولخوا وكان الرعايا يذبحون لهما البهائم تقربًا إليهما وخوفا من قهرهما وكان ولاديمير يتقرب إليهما بذبح الإنسان حفظًا لعلو شأنه وإظهارًا لزيادة خلوصه.

قال كارامزين: وقد انقلب ما قدامهما من الميدان دمًا صرفًا من قتل لأجلها وكان ولاديمير أسير الشهوة كثير الشبق مثل خوانين آسيا في عصرنا هذا وكان له ثلاث

نسوة وروغيندة المذكورة ولما قتل أخاه يارپولك تزوج امرأته الحامل من يارپولك فولدت اسواتوپولك وتزوج امرأة من بلغار ولدت له پوريس وغليب وهما من الأعزة عند الروس وفضلاً عن ذلك كان له في بلدة ويشيغورد ثلاثمائة جارية وفي بيلي غورد ثلاثمائة جارية وفي قرية بريستو مائة جارية ولهذا يقول له مؤرخو الروس سليمان الثاني. ولما غلب ولاديمير على غاليتسيه وليونه أراد أن يذبح شخصًا لمعبوده المذكور شكرًا له فأقرع بين أهل كيف فخرجت القرعة على ولد واحد من واراغ وكان قد تنصر فأبى أن يسلم ولده وقال ما لكم تعبدون خشبة لا روح لها وتتركون عبادة الله الحي القادر خالق السموات والأرض وما فيها فغضبت الروس عليه وقتلوه وذبحوا ولده واسمهما فيودر وإيوان ويعدان عند الروس من الأعزة وغزا ولاديمير بلغار وولغا مع متفقيه من قوم أتراك وغلبهم فقال له واحد من عقلاء أمرائه إن هؤلاء أقوام مذنبون لا يطيعوننا فالأولى بنا أن نلتمس أقوامًا غير مدنيين ينفذ فيهم أحكامنا فأثر فيه كلامه فصالحهم ورجع كما مر في المقصد الأول.

وأشهر أمور ولاديمير عند المؤرخين وأقدسها عند الروسية قبوله النصرانية وإدخاله إياه إلى الروسية وقد اختلفت الأقوال في سببه الظاهري مع ترسخ قدميه في الوثنية وعلى كل حال ظهر عنده بطلان الوثنية وصار يتساءل الناس عن الأديان الموجودة في عصره ولما اشتهر ذلك بين أرباب الأديان الإسلام واليهودية والنصرانية بأنواعها شرع علماء كل ملة يفدون إليه لبيان حقيقة دينهم ودلالته عليه فوفد إليه علماء الإسلام من بلغار قزان وعلماء اليهود من قطعة قريم وممالك خزر ورؤساء كاثوليك من بلاد نمسه ورؤساء أورثودوكس من الروم وبين كل واحد منهم حقيقة دينه وماهيته ودلوه عليه وقيل: إن ولاديمير هو الذي دعاهم وجلبهم عنده ولما بين علماء الإسلام حقيقة دين الإسلام وأصوله وفروعه لم يقل فيه شيئًا وكأنه استحسنه[1] لكونه دينًا طبيعيًا إلا أنه رأى الاختتان كشيء لا فائدة فيه واستثقل تحريم الخمر وقال: إن تسلي الروس في الخمر لا عيش لنا بدونها، وقال لرؤساء كاثوليك إن أجدادنا لم يأخذوا من پاپا ارجعوا إلى بلادكم، وقال لليهود أين أوطانكم فقالوا: أصل أوطاننا القدس ولكن غضب الله علينا فشتت شملنا وفرق جمعنا إلى أقطار العالم فقال ولاديمير أتدعون الغير إلى دينكم مع غضب الله عليكم لا نريد أن نفارق أوطاننا مثلكم.

---

(١) قال كارامزين ولا سيما لما سمع منهم وصف الجنة والحور اللاتي فيها لكونه مغلوب الشهوة .اهـ. منه عفي عنه.

وجاء فيلسوف[١] من طرف الروم لا يعلم اسمه فجرح سائر الأديان ومدح النصرانية (يعني الأورثوذكسية) وآراه ورقة رسم فيها أحوال القيامة بأن يذهب بالمؤمنين إلى الجنة وبالعصاة إلى النار فلما رآها تنفس الصعداء وقال: ما أحسن حال السعداء وما أسوأ حال العصاة فقال له الفيلسوف: تنصر تدخل الجنة مع السعداء فأعطاه الهدية وصرفه ثم جمع عقلاء ملته وعرض عليهم أقوال هؤلاء الوفود فقالوا: إن كل ملة تمدح دينها فإن أردت أن تختار أحسن الأديان فعليك بإرسال جمع من العقلاء إلى أطراف شتى حتى يروا عبادات كل ملة بأبصارهم ويمتحونها ويختاروا أحسنها ففعل وأرسل عشرة أشخاص إلى بلغار قزان فرأوا أن مساجدهم غير مزينة وعباداتهم غير مطنطنة بل تؤدي بصوت خفي وعلى وجوههم أثر الكآبة والحزن ثم ذهبوا إلى بلاد نمسة لمعاينة عبادات طائفة كاثوليك من النصارى فرأوهم أن عبادتهم لا حسن فيها ولا تعظيم وإن كانت تؤدي بالطنطنة والدبدبة ثم ذهبوا منها إلى القسطنطينية فقال القيصر إن أنظار الجهلاء مقصورة على الظاهر لا تنفذ على الحقائق وأمر أن يظهروا لهم كيفية عباداتهم في الكنيسة العظمى بكمال الطنطنة والدبدبة فرأت الروس أن الكنيسة مزينة بزينة محيرة للعقول وقد أدت المطران عباداتهم بكمال التجمل وقد اجتمع رؤساء الروحانيين كلهم بكمال التزين وأدوا العبادة بأصوات حسنة وألحان موسيقية وقد علقت بجدران الكنيسة رسوم حسنة وصور مستحسنة فلما رأت جهلاء الروس ذلك دهشوا وذهلوا عن أنفسهم وشغفوا بعباداتهم فإن عبادة الأصنام كانت مترسخة في مداركهم وهذه لا تفارقها إلا بالاسم وبعض الكيفيات وخيل إليهم أن الله عز وجل ساكن في تلك الكنيسة حاشا ومختلط ببني البشر بلا واسطة فرجعوا إلى كيف وقالوا: لا نريد غير دين الروم فقر رأي ولاديمير أيضًا على التنصر ولكنه لم يرض أن يتنصر بيد النصارى الكائنين في كيف ولا بيد الروم ولكنه أراد أن يأخذ الدين أيضًا كسائر الأشياء بالمحاربة فتوجه من نهر دنيپر بالسفن إلى بلدة خرصون بأرض قريم وكانت بيد الروم ولكنهم كانوا تابعين لقيصر الروم اسمًا فقط فاستولى عليها بإعانة واحد منهم إياه وخيانته على قومه واسمه آناستاس ثم أرسل إلى واسيلي وقسطنطين قيصري الروم يخطب منهما أختهما آنه ويهددهما بأخذ القسطنطينية إن أبيا وكان وقتئذ يحاربهما خارجيان فاغتنما ذلك بمقتضى الوقت والحال وقالا: إن هذا

(١) قلت: يا ليت علماؤنا الذين قدموا إليه كانوا فلاسفة يقدرون على إزالة ما اشتبه فيه واستثقله بحكمتهم ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا. منه عفي عنه.

الازدواج مربوط بنفس ولاديمير فإن تنصر نزوجها منه فرضي بذلك ولكنه شرط عليهما إرسال أختهما المذكورة أوّلاً إلى خرصون للاعتماد فأرسلا بعد اللتيا والتي مع كثير من الأمراء ورؤساء الروحانيين إلى خرصون فإنها كانت تعد هذا الازدواج أشد من الموت ولكنها رضيت به بمقتضى الوقت فتنصر ولاديمير بتكليف آنه في بلدة خرصون وتنصرت سائر الروس أيضًا تبعًا له وامتثالاً لأمره ثم أرسل عسكرًا إلى القسطنطينية لإعانة القيصر فدفعا بهم الخوارج وأزالوا الفساد ثم رد ولاديمير بلدة خرصون إليهما تشكرًا لهما وكان ذلك في سنة ٩٨٨ م مصادفة سنة ٣٧٨ هـ[١] فرجع ولاديمير من خرصون إلى كيف وحمل معه جميع رؤساء الدين وآناستاس المذكور وأسباب الكنيسة فأحرقوا الأصنام القديمة الموجودة في كيف وطرحوا الصنم المسمى پيرون المار ذكره في نهر دنيپر.

وأمر ولاديمير أهالي كيف بالتنصر والتجمع بشاطىء دنيپر للتعمد فيه فزعم العوام أن هذا الدين الجديد لو لم يكن أحسن من القديم لما اختاره الكيناز ولاديمير والأعيان على دين آبائنا وأجدادنا الأقدمين واجتمع خلق لا يحصى بشاطىء دينيپر ودخلوا في النهر إلى حقوهم وصدورهم حاملين أولادهم الصغار فجاء ولاديمير وكافة رؤساء الدين وأجروا العرف والعادة التي تلزم النصرانية (وهي العادة التي بين غراف ليون نيقولايويچ تولستوي حقيقتها في رسالته رد فيها على قرار جمعية الروحانيين في حقه).

ثم حكموا بكون كافة هؤلاء الجم الغفير نصارى وبنى ولاديمير بموضع صنم بيرون كنيسة من خشب إلى أن يجلب الأساتذة من الروم لبناء الحجر ثم بنوا كنيسة الحجر بعد سنتين على اسم مريم عليها السلام بزعمهم وعين لتعميرها عشر الخزينة ولهذا سميت عندهم بديساتينوي المفيد لهذا المعنى وملأها بصور وأصنام جديدة مجلوبة من الروم واليونان وأما غير أهالي كيف فبعضهم قبل النصرانية تقليدًا محضًا كأهل كيف وبعضهم بقوا على الوثنية الأصلية إلى القرن الثاني عشر من الميلاد وبنى ولاديمير مكتبًا لإقراء أولاد الأعيان وجبرهم أن يعطوا أولادهم فيه فصارت نساء الأعيان يبكين لذلك فإن هذا أعني إقراء الأولاد كان يعد عندهن بمنزلة السحر والفعل الشر مساويًا للموت.

---

(١) وضبط ابن الأثير دخول الروس في النصرانية ٣٧٥ سنة وذكر فيه الخارجيان وطرف من القصة المذكورة بنوع مغايرة فراجعه إن شئت والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

هذا هو مبدأ النصرانية في الروسية وقد أورد كارامزين هنا سؤالاً وهو أن الروس لما تنصروا أي كتاب استعملوا من الكتب المقدسة ومن ترجمه وألفه؟ ولم يجب له جوابًا قطعيًا ولكن قال البعض إن الذي ترجم الإنجيل بلغة أسلاوان أخوان أحدهما ميفادي والآخر كيريل وقد اخترعت حروفات أسلاوان في العصر المذكور.

والحاصل أن ولاديمير أخرج الروسية من الأمية إلى معرفة القراءة والكتابة وأما من جهة الدين فقد انتقل من وثنية إلى وثنية أخرى لا غير ولذلك أنكر بعضهم كون الروس كتابية منهم الفاضل المرجاني حيث قال نظمًا شعر:

سئلنا عن بني روس ... إن أفتونا بعرفان
وأي القوم هم عندك ... كتابيون أو ثاني
وما الحكم لما منهم ... من الذبح ونسوان
ففحصنا عن القوم ... وجدناهم من الثاني
فأفتينا وأملينا ... بهذان حرامان
وكل العلم عند الله ... وهذا رأي مرجاني

وهذا عجيب من هذا الفاضل المحقق فإن شرط كون الكتابي ليس هو عدم تغيير الكتاب ولا عدم عبادة غير الله ولا عدم اعتقاد غير الله إلٰهًا بل الكتابي عندنا معاشر الحنفية من له كتاب سماوي مقر بنبي من الأنبياء وإن بدل وإن غير وأن اعتقد عزير ابن الله والمسيح ابن الله حاشا كيف فإن هذا التبديل والتغيير والاعتقاد والعبادة كلها كانت موجودة وقت إنزاله تعالى خطاب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤] واتخاذ الأصنام وعبادتها كانا موجودين أيضًا في الوقت المذكور عند طوائف النصارى اللهم إلا نادرًا منهم ومع ذلك سماهم الله أهل الكتاب والروس لم يأخذوا تلك الأصنام والأوثان إلا من الروم واليونان وكان الفرق بين الكتابي والوثني على هذا هو وجود كتاب سماوي والإقرار بنبي من الأنبياء وعدمهما لا وجود عبادة الأوثان وعدمها وكان الحق سبحانه اعتبر مجرد الانتساب إلى كتبه وأنبيائه مع مخالفتهما اعتبارًا عظيمًا حيث خص صاحبه بخصائص لا توجد في الوثني الذي ليس له هذا الانتساب والله سبحانه أعلم.

وقد تقدم في بيان بجاناك هجومهم إلى كيف ثلاث مرات في عصر ولاديمير وفي آخر عمره عصاه ولده يارصلاو وكان حاكمًا بنووغورد وادعى الاستقلال لنفسه فجمع ولاديمير عسكرًا لتربيته وإعادته إلى الطاعة فهجمت البجاناك في الوقت المذكور

مرة رابعة فأرسل إلى دفعهم ولده المحبوب بوريس حاكم روصتوف بذلك العسكر الذين جمعهم لتربية ولده يارصلاو وكان نفسه إذ ذاك الوقت مريضًا فمات بعيد ذلك من غير تعيين ولي العهد في ١٠١٤ سنة م مصادفة سنة ٤٠٥ هـ أو التي قبلها وخلف ثمانية أولاد وقسم ممالكه فيما بينهم على أن يكون حاكم كيف هو الحاكم الأكبر ولكنه لم يعينه.

أسواتوپولك الأول من سنة ١٠١٤ إلى سنة ١٠١٩: قد مر أن ولاديمير تزوج زوجة أخيه ياروپولك وهي حامل منه وإنها ولدت ولدًا سموه أسواتوپولك وقد تبناه ولاديمير ولكنه كان لا يحبه ولذلك كان حبسه مع زوجته ابنة حاكم بولونيا بيلاصلاو ولما مات ولاديمير خرج أسواتوپولك من الحبس واستمال أهالي كيف إلى نفسه ببذل خزينة ولاديمير إياهم وأعلن نفسه ملكًا أعظم للروسية وقتل بوريس بن ولاديمير بساحل نهر آلوته حين عودته من محاربة بجاناك كما مر وقتل أخابوريس غليب حاكم مورم بقرب اسمولينسكي حين مجيئه إلى كيف لتعزية أبيه وقتل أسوتصلاو حاكم دريولان بقرب جبال قاربات حين فراره منه وكذلك فعل بسائر أولاد ولاديمير واستقل بالحكم ولما سمع يارصلاو بذلك قصده بأربعين ألفًا من عسكر الروس وألف من عسكر واراك وبعد اللتيا والتي[1] اضطره إلى الفرار ففر إلى بوهميه فمات فيها غريبًا.

يارصلاو من سنة ١٠١٩ إلى سنة ١٠٥٤: ولما طرد يارصلاو أسواتوپولك أخيرًا استقل بالملك ودفع المنازعين مثل كيناز پولوتسكي ووقع بينه وبين أخيه مسيتسلاو حاكم تاماتاراقان يعني أوزاق وقائع شتى كانت الغلبة فيها لمسيتسلاو ثم اتفقا على أن يكون شرقي دينبپر لمسيتسلاو وغربيه ليارصلاو ولما توفي مستيسلاو في سنة ١٠٣٦ استقل يارصلاو بالملك ولم يبق من الكيناز المستقل سوى براچيسلاو كيناز يولوتسكي وهو أيضًا كان تحت طاعته وإن كان له نوع استقلال وكان يارصلاو حسن السيرة محبًا للعلم وأهله عاقلاً مدبرًا وقد ترجمت كتب كثيرة من اليونانية إلى الروسية بأمره وبنى مكاتب وبث الأمن والأمان وعمر الممالك ووضع القوانين وسماها روسكي پراوا يعني قوانين الروس والمشهور أن له قوانين الكنيسة أيضًا ولكن كارامزين يكذبه ويقول: إنها إنما اخترعت في العصر الرابع عشر وقد مر غلبته على بجاناك وبناءه كنيسة من حجر

(١) وقد مر طرف من هذه الوقعة عند بيان أحوال بجاناك في المقدمة. فراجع هناك إن شئت. منه عفي عنه.

في موضع غلبته عليهم وتسميته إياها بصوفيا تشبيهًا لها بآيا صوفيا وتوسيعه بلدة كيف وبناء السور في حواليها من الحجر والحاصل أن يارصلاو كان من مشاهير ملوك الروس وأعاظمهم وكانت وفاته في سنة ١٠٥٤ م مصادفة سنة ٤٤٦ هـ.

إيزاصلاو الأول من سنة ١٠٥٤ إلى سنة ١٠٧٨ مع تقلبات كثيرة فيما بينهما وكان يارصلاو قسم ممالك الروس بين أولاده الخمسة وجعل حاكم كيف حاكمًا أعظم حسب أصول أبيه ولاديمير وهو ولده إيزاصلاو وبقي الاتفاق بينهم مدة عشر سنين ثم وقع بينهم الاختلاف والنزاع في الملك فلم ينقطع المنازعة بينهم بل زادت بمرور الزمان.

وقد مر عند بيان قفچق أن ابتداء ظهورهم في الروسية كان في عصره والحاصل أن الروسية امتلأت بالفتنة من أولها إلى آخرها وقد خلع إيزاصلاو من تحت الحكومة وطرد من طرف المخالفين مرارًا وقتل أخيرًا من طرف واحد من عسكر الكيناز أوليغ بن أسواتصلاو بن يارصلاو حين محاربته إياه وكان ذلك في سنة ١٠٧٨ م مصادفة سنة ٤٧١ هـ أو التي قبلها.

ومن جملة من صعد إلى كرسي الحكومة في مدة كينازية إيزاصلاو وصيصلاو بن إيزاسلاو بن ولاديمير يعني ابن عم إيزاصلاو المار ذكره الآن وإسواتصلاو الثاني أخو إيزاصلاو بن يارصلاو.

وصيوولود الأول بن يارصلاو ومن سنة ١٠٧٨ إلى سنة ١٠٩٣ وقد مرت مدة سلطنته بالاختلال الداخلي ومحاربات قفچق وقد مر استيلاء بلغار قزان على مورم في عصره وليس له شيء يذكر في التواريخ.

إسواتوپولك الثاني بن إيزاسلاو المار ذكره من سنة ١٠٩٣ إلى سنة ١١١٣ عينه عمه وصيوولود ولي عهد لنفسه وقد مرت مدت سلطنته بمحاربة قفچق والاختلال الداخلي وكان سيىء السيرة.

ولاديمير الثاني المشهور بمانوماخ بن وصيوولود المار ذكره من سنة ١١١٣ إلى سنة ١١٢٥ ولما مات اسواتوپولك جلس في كرسي حكومة الروس باتفاق الأهالي وأعاد رونق السلطنة الزائل كالأول وحارب قوم قفچق وغيره كما مر عند بيانهم وأرسل إليه قيصر الروم ألكسي قومنن بيد المطران تاجًا وألبسة مخصوصة بالقياصرة وسماه سار الروسية يعني ملكهم فلبسه ولاديمير في كنيسة صوفيا بكيف.

قال كارامزين: وهذه الأشياء محفوظة في قصر موسكوا يلبسها ملوك الروسية حين تتوجهم.

والحاصل أن ولاديمير مانوماخ من مشاهير ملوك الروس وممن يذكر اسمه بينهم بالتقديس وقد مر بيان بعض وصاياه لأولاده في بيان قوم قفچق وكان وفاته في سنة ١١٢٥ م مصادفة سنة ٥١٩ هـ.

وسيتسلاو الأول ابن ولاديمير مانوماخ من سنة ١١٢٥ إلى سنة ١١٣٢.

ياروپولك الثاني ابن ولاديمير من سنة ١١٣٢ إلى سنة ١١٣٩.

وصيوولود الثاني ابن أوليغ بن استواتصلاو بن يارصلاو المار ذكره من سنة ١١٣٩ إلى سنة ١١٤٦ ولما مات ياروپولك الثاني ملك بعده أخوه ويچيصلاو بن ولاديمير باتفاق الأهالي ولكن لما جاء وصيوولود المذكور إلى كيف بعساكره سلم ويچيصلاو الكينازية باختياره إليه فدخل بلدة كيف في ٥ مارس وجلس كرسي الحكومة ومات في سنة ١١٤٦.

إيغور الثاني ابن أوليغ ولما تيقن وصيوولود بالموت عين مكانه أخاه إيغور فجلس على تخت الحكومة بعد دفن أخيه وصيوولود ولكن لم يرض به الرعايا بل دعوا إيزاصلاو الثاني ابن مسيتسلاو المار ذكره فجاء إلى كيف بعسكره وحارب إيغور وانتصر عليه وأخذه وحبسه.

إيزاصلاو الثاني ابن مسيتسلاو بن ولاديمير مانوماخ من سنة ١١٤٦ إلى سنة ١١٥٤ ولما حبس إيزاصلاو إيغور بن أوليغ جلس على مسند الحكومة وخرج عليه عمه غيورغي المشور بدولغاروكي يعني طويل اليد ابن ولاديمير حاكم سوزدل وخلعه مرتين وجلس مكانه بإعانة قوم قفچق وفي تلك الأثناء بنى غيورغي المذكور بلدة موسكوا وكذلك خرج عليه الكيناز ولاديمير كو حاكم غاليتسيه وغلبه توفي إيزاصلاو في سنة ١١٥٤.

روصيتسلاو بن مسيتسلاو ولما توفي إيزاصلاو دعا أهالي كيف أخاه روصيتسلاو وملكوه على أنفسهم فخرج عليه غيورغي دولغاروكي المذكور وخلعه وكان مدة تملكه مدة ١ سنة.

غيورغي دولغاروكي بن ولاديمير لما خلع غيورغي روصيتسلاو وجلس على مسند الحكومة جاء إلى بلدة كانيف مرتين لمعاهدة قفچق وكان له بعض غزوات وبنى

بعض البلاد ولكنه لم يدم مدته بل مات في سنة ١١٥٧ ولما مات نهب أهل كيف جميع ما في قصره.

إيزاسلاو الثالث ابن داويد جلس في التخت نحوًا من سنتين ثم قام عليه سائر حكام الروس وحاربوه وانتصروا عليه وخلعوه وملكوا روصيتسلاو المار ذكره ثانيًا فذهب إيزاسلاو إلى مقره الأول ثم قام ثانيًا بطلب الملك وجمع العساكر وحارب روصيتسلاو وحاصره في بيلي غورد وفي تلك الأثناء قتله واحد من عسكر روصيتسلاو فحكم روصيتسلاو بعد ذلك مدة ومات في سنة ١١٦٧ م مصادفة سنة ٥٦٢ هـ ولكن لم تكن الروسية في ذلك تحت حكم حاكم واحد بل كانت منقسمة على أقسام شتى بحكم في كل قسم منها حاكم مستقل لا يتبع غيره بوجه من الوجوه ولو اسمًا أشهرها تسعة كيف موسكوا پولوتسكي غاليتسيا والينسكي چيرنيغوف اصمولينسكي سوزدالسكي نووغورد وپسكوفسكي.

مسيتسلاو الثاني الوالياني من سنة ١١٦٧ إلى سنة ١١٦٩ جلس على تخت كيف بجلب الأهالي إياه من والينسكي وكان آندري بوغولوبسكي كيناز سوزدل بن غيورغي طويل اليد يريد أن يحول كرسي الحكومة إلى مقاطعة سوزدل ومع ذلك كان عدوًا لمسيتسلاو الوالياني المذكور فاتفق مع سائر الحكام وأرسل ولده مسيتسلاو معهم لمحاربته فهرب مسيتسلاو الوالياني تاركًا أهله وعياله في كيف فدخل المتفقون في كيف ونهبوا بيوت كافة الأهالي إلى ثلاثة أيام ولم يتركوا فيها شيئًا ولم يكتفوا بذلك بل نهبوا كافة الأديرة والكنائس ديساتينوي وصوفيا وغيرهما وأخذوا جميع ما فيها من الأموال والأصنام والكتب حتى الأجراس ولم يتركوا فيها شيئًا.

قال كارامزين: إن كيف التي هي أم بلاد الروسية لم تر إلى الآن مثل هذه الرزية من الأجانب فضلاً عن الروسية وهؤلاء من كمال شقاوتهم نسوا كونهم من الروس اهـ.

غليب بن غيورغي فنصب مسيتسلاو بن آندري عمه غليب بن غيورغي حاكمًا بكيف وعاد هو نفسه إلى سوزدل سريعًا مبشرًا أباه آندري بهذا الفتح العظيم فحول آندري كرسي الحكومة بعد ذلك من كيف إلى ولاديمير ونفذ حكمه إلى كثير من ممالك الروسية وعمر البلاد وبنى المدن منها بلدة واتكاوبوغولوف التي نسب إليها وغزا بلغار قزان مرتين مرة بين سنة ١١٥٩ وسنة ١١٦٦ ومرة في حدود سنة ١١٧١ كما مر في بيان أحوال بلغار وهو ممدوح السيرة في تواريخ الروس، قال كارامزين:

إنه أدخل كثيرًا من البلغار واليهود في النصرانية وكان موته قتلاً في سنة ١١٧٣ في بلدة بوغولف مع جميع أهله وعياله من طرف الكيناز الأعظم وصودر جميع أمواله وأشيائه.

وأما مسيتسلاو الوالياني فإنه جمع العساكر واتفق مع بعض حكام الروس وقصد كيف ثانيًا ودخلها إلا أن نائب الحاكم بها تحصن في قلعتها فلم يقدر أن يأخذها وفي تلك الأثناء شرع أتراك بيرندي الذين كانوا معه يذهبون إلى طرف خصمه ويتركونه وأشيع أن غليب أصل حاكم كيف الذي كان خارجها استمال القفچق إليه وقصده فهرب من كيف ومات في تلك الأثناء وكان ذلك في حدود سنة ١١٧٠ ومات غليب بن غيورغي أيضًا في تلك الأثناء.

ولاديمبر الثالث ولما مات مستيسلاو وغليب جلس على تخت كيف ولاديمير الثالث كيناز دروغوبور من غير أمر آندري ومات بعد ثلاثة أشهر في سنة ١١٧١.

رومان الأول: وبعد وفات ولاديمير نصب آندري رومان بن ياروپولك كيناز أصمولينسكي كينازًا بكيف ولم تطل مدته.

إسواتصلاو الثاني: وحيث أن هذا الموضع غير مضبوط وغير منتظمة بحيث يتعسر تعدادهم مرتبًا ومنتظمًا بل يتعذر بسبب كثرة التقلبات والتغيرات ولا فائدة معتد بها في تفصيل أحوالهم لفقدان أمر عظيم وغريب سوى محارباتهم فيما بينهم اضطررت إلى ترك التفصيل فيما بعد واكتفيت ببيان أساميهم إجمالاً.

وصيوولود الثالث في حدود سنة ١١٧٧.

روريك الثاني في حدود سنة ١١٩٠.

رومان الثاني غاليتسكي في حدود سنة ١١٩٣.

مسيتسلاو الثالث[1] في حدود سنة ١٢١٢.

ولاديمير الرابع في حدود سنة ١٢٣٠.

ميخايل الأول في حدود سنة ١٢٢٩ ابن وصيوولود وكان كيناز كيف حين هجم عليها باتو خان.

---

(١) وكان ورود التتار المغربة إلى الروسية أول مرة مارين من دربند شروان في سنة ووقوع محاربة شديدة بينهم وبين الروسية في ساحل نهر قالقا بقرب ماريو پول وهزمهم الروسية وطردهم إلى دينيپر في عصر مسيتسلاو بن رومان هذا. منه عفي عنه.

غيورغي بن وصيوولود في حدود سنة ١٢٣٣ إلى سنة ١٢٣٨ وكان كينازًا أعظم في ولاديمير وقت هجوم باتو عليها وفقد تحت سنابك خيول التتار.

يارصلاو الثاني ابن وصيوولود في في حدود سنة ١٢٤٦ وهو الذي نصبه باتو خان كينازًا أعظم على جميع الروسية وسافر إلى قراقورم ليبايع الخاقان الأعظم ومات في الطريق وقت رجوعه.

أسواتسلاو الثالث ابن وصيوولود في حدود سنة ١٢٤٧.

آندري الثاني ابن يارصلاو الثاني في حدود سنة ١٢٤٩.

ألكساندر الأول النيفي في حدود سنة ١٢٤٩ إلى سنة ١٢٦٣ وهو تردد في أول أمره في إطاعة التتار حتى كتبه باتو خان يهدده فسار إلى أوردو الذهب وبايعه ثم ورد إليها مرارًا إلا أنه تفكر في الخروج عن طاعتهم بعد الدخول كما زعم.

يارصلاو الثالث ابن يارصلاو الثاني من سنة ١٢٦٣ إلى سنة ١٢٧٢.

واسيلي الأول ابن يارصلاو الثاني من سنة ١٢٧٢ إلى سنة ١٢٧٦.

ديميتري الأول ابن ألكساندر من سنة ١٢٧٦ إلى سنة ١٢٩٤.

آندري الثالث ابن ألكساندر من سنة ١٢٩٤ إلى سنة ١٣٠٤.

ميخايل الثاني التويري بن يارصلاو من سنة ١٣٠٤ إلى سنة ١٣١٩ وهو الذي قتله أوزبك خان في أوردو بسبب سعاية غيورغي الآتي ذكره كما مر في محله.

غيورغي بن دانيل سنة واحدة.

ديميتري الثاني ابن ميخايل مقدار ٥ سنة تقدم أن أوزبك خان قتل ميخايل بسبب سعاية غيورغي ونصبه كينازًا أعظم مكانه ثم إن ديميتري بن ميخايل المقتول وشى به إلى أوزبك خان فعزله ونصب ديميتري مكانه ثم إن غيورغي ذهب إلى أوردو للشكاية من ديميتري فذهب ديميتري أيضًا إلى أوردو من ورائه فقتله في أوردو على مرأى من أوزبك خان وأركان دولته فقتل أوزبك خان ديميتري المذكور قصاصًا به كما مر.

ألكساندر التويري الثاني ابن ميخايل وأخو ديميتري المقتولين نصب أوزبك خان كينازًا أعظم بعد قتل أخيه ديميتري فملك سنتين ثم وقع وقعة شفقال خان المار ذكره في محله.

إيوان الأول الشهير بقاليته ابن دانيل من سنة ١٣٢٨ إلى سنة ١٣٤٠ وهو الذي أرسله أوزبك خان لتأديب الكيناز ألكساندر السابق ذكره حين قتل شفقال خان ونصبه كينازًا أعظم مكان ألكساندر فمن هذا الوقت شرعت كينازية موسكوا في التقوى وضم سائر الكينازية إليها.

سيمون غوردي بن إيوان من سنة ١٣٤٠ إلى سنة ١٣٥٣ وفي أوائل كينازيته توفي أوزبك خان وجلس جان بك خان مكانه فجاء المذكور مع مطران موسكوا إلى أوردو للبيعة له.

إيوان الثاني ابن إيوان الأول من سنة ١٣٥٣ إلى سنة ١٣٥٩.

ديميتري الثالث ابن قنسطانتين من سنة ١٣٥٩ إلى سنة ١٣٦٢ وفي عصره شرع الاختلال الأول بين خوانين التتار في الظهور.

ديميتري الرابع ابن إيوان الثاني المشهور بدونسكي من سنة ١٣٦٢ إلى سنة ١٣٨٩ وهو أول من أظهر المخالفة لخوانين التتار وحارب ماماي بمناسبة وقوع الاختلال بين خوانين التتار كما مر ولكن الذي هيأ له الأسباب جده إيوان قاليته وسيمون غوردي ولذلك يذكر اسمه في تواريخ الروس بالتعظيم والتقديس فإنه وإن لم ينقذ الروسية من أسر التتار إلا أنه فتح لأخلافه باب المخالفة والعصيان وهيأ لهم أسباب المدافعة أكثر من أسلافه.

واسيلي الثالث ابن ديميتري دونسكي من سنة ١٣٨٩ إلى سنة ١٤٢٥ وقد نسج أقمشة السياسة على منوال أسلافه وقد مر قدومه إلى سراي لبيعة توقتامش خان ودخوله إلى بلغار حربًا وتلقبيه نفسه بفاتح بلغار وقد ساعده طول مدة حكومته ودوام الاختلال في سراي بين خوانين التتار.

واسيلي الثالث ابن واسيلي الثاني المشهور بتيمني بمعنى مكفوف البصر من سنة ١٤٢٥ إلى سنة ١٤٦٢، وقد مضى أكثر مدة حكومته بمنازعة عمه يوري (غيورغي) وأخيه شماكو حتى أن أخاه المذكور سمل عينيه ولذلك لقب بالمكفوف وقد مر قدومه إلى سراي للمحاكمة مع عمه يوري عند ألوغ محمد خان وطرده ألوغ محمد خان المذكور من بلاده عند التجائه إليه بعد خروجه من سراي ووقوعه أسيرًا بيده بعد أن استقر ألوغ محمد خان في قزان.

إيوان الثالث الشهير بإيوان الكبير ابن واسيلي الثالث من سنة ١٤٦٢ إلى سنة ١٥٠٥ وهو الذي خلص الروسية من رقية التتار بعقد الاتفاق مع منكلي گراي خان

القريمي وقد مر بيان ماجرياته مع السيد أحمد خان على نهر أوغر وفي عصره وسعيه وإعانته حارب منكلي گراي خان مدينة سراي فانقرض خوانين سراي واستقلت الروسية وتزوج إيوان هذا بصوفية ابنة آخر قياصرة الروم ولقب بسار يعني الملك وكانوا يلقبون قبل ذلك بكيناز معناه بك وأمير.

واسيلي الرابع ابن إيوان الثالث من سنة ١٥٠٥ إلى سنة ١٥٣٣ وإن لم يكن مثل أبيه إلا أن انقراض دولة سراي وضعف دولة قزان أعاناه.

إيوان الرابع الملقب بمدهش ابن واسيلي المار ذكره من سنة ١٥٣٣ إلى سنة ١٥٨٤ وهو الذي استولى على مملكة قزان وعلى يده انقرض خوانينها وانتهى عمرها إلى آخرها وقد مر تفصيل وقائعها.

وبعد ذلك نذكر بقية ملوك الروس على الترتيب مع بيان ماجريات أحوال أهالي بلاد قزان. فأقول: تنقسم المدة التي مضت من استيلاء الروس على قزان إلى عصرنا هذا بحسب معاملة حكومة الروس مع المسلمين إلى ثلاثة أدوار بل إلى أربعة الدور الأول دور الفتن والمحن العلانية والإكراه والاضطهاد على ترك عوائد الدين الإسلامي وما يناسبها وهي مدة مائتي سنة ٢٠٠ مع طرح الكسور أعني من استيلاء قزان إلى عصر يكاترينا الثانية والدور الثاني دور الراحة والتنفس وذلك مدة مائة ١٠٠ سنة كاملة أعني من عصر يكاترينا الثانية إلى تولية ألكساندر الثاني والدور الثالث دور الفتن والدسائس الخفية والمشقة والتعب والشرور وذلك مدة نصف قرن أعني من سنة ١٨٦٦ إلى أيامنا هذا والدور الرابع هو أيامنا هذا وهو بعد مجهول.

أما الدور الأول فإنه لما دخلت مملكة قزان في حوزة إيوان لم يقم فيها إلا ريثما يدير أمرها فنصب فيها واليًا من طرفه ونائبًا عنه الكيناز ألكساندر الغورباطي شوبسكي وعين الكيناز واسيلي سير برناكي معينًا له وأبقى ألفًا وخمسمائة من أولاد بويار وثلاثة آلاف من العساكر للمحافظة ثم سافر من قزان قاصدًا موسكوا في ١١ التشرين الأول ووصل إلى نيژني نووغورد في ١٤ منه فاستقبله هناك الأهالي على اختلاف طبقاتهم من مسافة بعيدة وهنأوه بهذا الفتح العظيم وشكروه على ما أبداه من الهمة وقالوا: أنقذتنا من عذاب الجحيم الأبدي والعقاب السرمدي فإنهم هم الذين كانوا أول المعروضين لهجوم أهل قزان لكونهم في الحدود ولما وصل إلى موسكوا استقبله كافة أهلها بطنطنة لا توصف وشكروه ومدحوه ودعوا له بطول العمر فقال: إني وإن استوليت على قزان وأزلت عنها دولة التتار وأسرت خانهم ووضعت عليهم

الخراج وأبدتهم وأفنيتهم وتركتهم بحيث لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة إلا أني ما وفقت لتمكين النصرانية وترسيخها فيها بعد.

والحاصل أن الروسية لما فرغوا من أمر قزان وفتحوا لأنفسهم باب الفتوحات نحو الشرق والجنوب والشمال بالاستيلاء على قزان وجهوا وجهة أفكارهم نحو فتوح تلك الجهات وبث النصرانية فيها وحصروا همتهم فيها وصاروا يتشبثون في ذلك بأذيال أنواع الحيل من التلطيف ببذل الأموال والعفو عن الجرائم والتحرير عن التكاليف الميرية وإعطاء المناصب والإكراه على ذلك بأنواع العذاب والاضطهاد حيث لم يبق وراءهم دولة إسلامية يستمد المسلمون بها ويخاف الروسية بطشها وبأسها ولذلك تمكنت من إجراء جميع ما يريدها فيهم مثل إسپانيا في شأن أهل أندلس بل الروسية اقتدت بهم[١] في ذلك وكان ابتلاء المملكتين أعني مملكتي قزان وأندلس بتلك المصيبة العظمى في عصر واحد فشكلت الروسية لتلك العرض الفاسد في بلدة قزان وقصبة ضيا التي بناها إيوان في مصب نهر ضيا من وولغا قبل استيلائه على قزان كما مر في محله دائرة جمعية مخصوصة من رؤساء الروحانيين تسمى عندهم جمعية ميسيونير بمعنى المرسلين والمبشرين والمهديين عندهم[٢] وهم في الحقيقة ضالون بأنفسهم مضلون لغيرهم نواب الشياطين فإنه منذ حدثت هذه الجمعية عند طوائف النصارى استراح إبليس وسائر الشياطين من التعب في سبيل الإضلال حيث فوضوا وظيفة الإضلال إليهم لكونهم أمهر وأحذق منهم فيها فإن لهم مكاتب ومدارس وتعاليم وخزائن مخصوصة بها وليس بيد إبليس وأعوانه شيء من ذلك وكان الشاعر نظم هذين البيتين من لسانهم.

شعر:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي

فإن مات قبلي كنت مهدت بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

---

(١) ولكن اقتداؤها بها لم يكن على وجه البصيرة فإنها لو نظرت إلى نتيجة ما فعلته إسپانيا بالمسلمين وغاية ما عاملتهم به في قطعة أندلس وفي جزائر فيليپين من كونه سببًا للخراب والتنزل والانحطاط وخروج فيليپين من يدها أخيرًا بقيام الأهالي على وجهها لما اقتدت الروسية بها بل اجتنبت عما فعلته غاية الاجتناب. منه عفي عنه.

(٢) ولكني أتحاشى أن أطلق عليهم هذه الألفاظ بل أذكرهم بلقب ميسيونير وإن كان بمعناها. منه عفي عنه.

وفضلاً عن ذلك فإن الحكومة تعينهم وتقوي أمرهم وتؤيد أسباب تشبثاتهم بل هم الحكام الآمرون في الحقيقة وسائر رجال الحكومة من ملكهم إلى أصغر البوليس والضبطية مأمور والأجراء لما يرسمونه بدسائسهم في هذا الباب وليست هي خاصة بالروسية بل هي موجودة في كل طوائف النصارى وهذه المحاربات أعني محاربة الغربيين بالشرقيين كلها من نتائج تلك الجمعية الإبليسية لا سيما حرب إنكليز وفرنسا دولة الصين في سنة ١٨٦٠ م وحرب كافة دول آوروبا دولة الصين في سنة ١٣١٨ هـ، فإنهم أعني دول النصارى يتعصبون لها تعصبًا لا يمكن وصفه وهم يرمون به الشرقيين عمومًا والمسلمين خصوصًا مع أنه لم يصدر عنهم في هذا الباب شيء على سبيل المدافعة فضلاً عن صدوره على سبيل المهاجمة إلا أن تعصب الروس أكثر وأشد من الكل ولهم أعني الدول النصارى في هذه الجمعية غايتان دينية وسياسية.

أما الأولى فظاهرة فإن كل ملة تحب نشر دينها وتسعى من ورائه لا سيما إذا كانت ملة لا يمكن انتشار دينها إلا بهذه الكيفية كهؤلاء فإن البضاعة الخسيسة لا تباع إلا بواسطة السماسرة المهرة.

وأما الثانية فإنهم يتداخلون بواسطة هؤلاء الشياطين على شؤون دولة ضعيفة من دول الشرق فيمضغونها ويبتلعونها بالكلية إن تسعها أفواههم وإلا فيبتلعون منها بقدر ما تسعه أفواههم وهكذا إلى أن تفنى وتبيد وللروس خصوصًا فيها مآرب أخرى موهومة الفائدة ومتحققة المضرة أبرزتها هؤلاء الملاعين لعيون رجال الحكومة في صورة الفائدة الجسيمة وحسنوها لهم بدسائسهم الشيطانية وتمويهاتهم الباطلة وغروهم بها وهي أن نمو قوة دولة ودوام بقائها إنما يكون باتحاد ملة رعاياها[1] ودينهم لا سيما

(١) ولا حاجة في إثبات بطلان هذا الفكر السقيم والتدبير العقيم والتشبث الوخيم إلى إقامة البرهان فإن قلب تلك الأمم المتكاثرة إلى الملة الروسية في أعلى طبقات الاستحالة بل توهم حصوله من التوهم المستحيل مع تحقق سفك دماء غير متناهية وإتلاف ملايين من النفوس من الطرفين فضلاً عن الإضرار بالزراعة والتجارة والصناعة التي هي منبع ثروة الحكومة وفي ذلك ما لا يخفى من خراب الديار وربما يستشهد هؤلاء المخاذيل الملاعين خونة الدولة والملة في إثبات مدعاهم بمثل الماقيدونيين والرومانيين من الدول المنقرضة واستشهادهم هذا باطل كالمستشهد له وإنما كان سبب انقراضهم هو ظلمهم وسوء إدارتهم فلو عدلوا أو بثوا الأمن والأمان لدامت دولتهم والحاصل لا شيء أهون لنمو قوة دولة وازدياد شوكتها ودوام بقائها مثل العدالة وإطلاق الحرية ومنح المساواة بين أفراد الرعايا مع حسن الإدارة والتيقظ لمعاملات الولاة وحكام النواحي مع الرعايا والأهالي. منه عفي عنه.

دولة تشكلت من أجناس شتى وأمم مختلفة ولهذا يلزمنا أن نبذل غاية جهدنا وصرف نهاية مساعينا في هذا السبيل وأن نعده كل منا من أهم الوظائف المقدسة الواجبة في ذمته وزد على ذلك ضغائنهم وعداوتهم القديمة لأهل قزان وقد مر بيان إظهارهم الأسف من اهتداء بعض أسارى الروس في قزان فهل يشك أحد في أنهم يشمرون عن ساق الجد لأخذ الثأر والانتقام منهم ويقلبون عليه بقلوب ملئت حقدًا وأهب حشيت غيظًا فما ظنك بمن وقع في هذا التيار هل يبقى سالمًا كلاّ إلا من أدركته العناية الإلهية.

وليعلم أن مملكة قزان لم تكن مسكونة بالمسلمين فقط وقت استيلاء الروسية عليها بل كان فيها طوائف أخرى وثنية إحداها چواش وهم الذين تقدم منا ترجيح كونهم من قوم بلغار في أوائل المقصد الأول ومساكنهم في الجنوب الغربي من ولاية قزان متأخمة ببلاد الروسية وثانيها چرمش وقد تقدم في المقدمة أنهم بقايا أمة سرماطة الذين كانت لهم شوكة قوية وصولة عظيمة في وقت ما ومساكنهم في الشمال الغربي من ولاية قزان وفي ولاية نيژني نووغورد وولاية واتكا وقليل منهم في ولاية پيرمي وثالثها آر ومساكنهم في شمالي قزان وفي ولاية واتكا وپيرم وقد تقدم في أوائل المقصد الثالث أن دولة قزان قد تشكلت من التتار الواردين من طرف سراي وحاجي طرخان ومن قوم بلغار المسلمين ومن هؤلاء الطوائف الثلاث وكان هؤلاء يدخلون في الإسلام شيئًا فشيئًا باختيارهم من غير أن يدلهم عليه أحد من المسلمين فضلاً عن الإجبار بل بمجرد الوقوف على الحقائق الإسلامية ومحاسنها التي هي عبارة عن الصدق والعفاف والطهارة والأمانة والمساواة والأخوة إلى غير ذلك من الخصال الحميدة الإسلامية. وكان المسلمون في تلك الأقطار في العصر المذكور متصفين بكمال الديانة ومتمسكين بأحكام الشريعة ومتأدبين بآدابها كما أنهم الآن كذلك وإن لم يبلغوا الحد الذي كانوا عليه في العصر المذكور فلذلك كانت الأقوام الثلاثة يحبون المسلمين ويدخلون في الإسلام أفواجًا خصوصًا قوم چواش منهم والذين لم يدخلوا في الإسلام منهم كانوا قد أخذوا بعض عادات المسلمين والآداب الإسلامية كتستر النساء مهما أمكن والصدق والأمانة وتعظيم يوم الجمعة ولأجل ترسخ هذه العادات في قلوبهم ترسخًا قويًا بقيت بعضها إلى الآن فيمن لم يتنصر منهم حقيقة وكان أهل بعض القرى يسلمون بأسرهم وبعض القرى كان يسلم نصف أهلها وبعضها ربعهم وأكثر وأقل وبينما الأمر كذلك إذ فاجئت فاجعة انقراض الدولة الإسلامية من قزان باستيلاء الروس عليها وتشكلت تلك الجمعية في قصبة ضيا التي هي في وسط مساكن چواش

وشرعت أعضاؤها في جلب قلوبهم وترغيبهم وتحريضهم على التنصر وعلى ترك العوائد الإسلامية على الأقل بتحريرهم من التكاليف الميرية وإعفائهم عن المؤاخذة والمعاقبة على الجرائم وبذل الأموال على فقرائهم.

والحال أن كثيرًا منهم لم يترسخ الإسلام في قلوبهم لعدم وقوفهم على حقائقه كما ينبغي لكونهم قريبي العهد به منهم فطفق بعض منهم يقبل النصرانية ولو ظاهرًا فوقعت العداوة والبغضاء بين من تنصر وبين من بقي على الإسلام بل بين من بقي منهم على الوثنية وبين من بقي على الإسلام بتحريش أعضاء تلك الجمعية بين هذا وذاك وآل الأمر إلى المشاجرة والمقاتلة فصار المسلمون يهاجرون من بين المتنصرين والوثنيين إلى أماكن فيها القوة والغلبة للمسلمين بل الحكومة أمرتهم بذلك حتى أنه إذا تنصر ثلاثة بيوت أو أربعة من قرية كبيرة أمرت البواقي منهم بالتنصر أو الهجرة إلى محل آخر ولذلك خلت كثير من القرى من سكانها المسلمين وانقلبت قرى چواشية بعد أن كانت قرى مسلمة منها قرية (اج بابا) وقرية (كاوال) وقرية (أورماري) و(خواجه سان) و(تيكش) و(شغالي) من أعمال قصبة سويل المتعلقة بولاية قزان، وقد مر ذكرها في المقصد الأول، وكذلك قرية باي تيراك وجلشك وغيرهما من قرى چواش في أعمال قصبة تتش من ولاية قزان فإن هذه القرى كانت سابقًا قرى مسلمة ثم انقلبت قرى چواشية على ما هو الشائع الذائع بين أهالي تلك الجهات ويدل على ذلك وجود أحجار مكتوبة بالإسلامية في مقابر بعضها، كما مر طرف منه في أول المقصد الأول، ويدل على كون بعضها ذلك اسمها مثل قرية خواجه سان فإنه لا شبهة في كونه محرفًا من خواجه حسن وهي قرية چواشية الآن في أعالي نهر غوبنه والمشهور بين أهالي تلك الجهات أن مسجدها نقل إلى قرية آيدار بقرب قرية أره باقرچيسي وقد أخبرني ملا أحمد صفا أفندي الإمام بها أعني بقرية أره باقرچيسي أنه رأى عين المسجد المذكور في قرية آيدار في أوائل مجيئه إلى قرية أره باقرچيسي إمامًا ثم عمر ثانيًا بعد أن ضعف ومثل قرية اج بابا وهي قرية چواشية الآن بقرب آق بكت وقد كانت سابقًا قرية إسلامية مسماة بحاجي بابا وذلك أن شخصًا مسمى بمحمد أفندي كان مدرسًا بها وبعد أن اشتغل بالتدريس سنين عديدة توجه إلى الحجاز للحج وحين رجوعه من الحج اشتهر عند السلطان سليمان الأول القانوني بالعلم والفضل فنصبه مدرسًا في مدرسة من مدارس اسطنبول ونال منه عنوان الچلبية فقيل له الحاج چلبي محمد أفندي وبعد أن درس فيها عدة سنين اشتقاق إلى مسقط رأسه فرجع فرأى أن أهل قريته غلب عليهم الجهل وانقلب أكثرهم إلى الچواشية ولما رجع إلى وطنه

اشتهر بحاجي بابا ومنه سري هذا الاسم إلى القرية ثم حرف إلى اج بابا وحين قرب أجله أوصى لأقاربه أن يدفنوه في مقبرة أره باقرچيسي ففعلوه، حكى لي هذه الحكاية ملا محمد صفا أفندي المار ذكره نقلاً عن ملا عبد النصير أفندي الشرداني عن أستاذه ملا دين محمد أفندي الباقرجي وقال: كان له يعني ملا دين محمد مهارة تامة في التواريخ السماعية. وقال: رأيت في هامش كتاب الروضة لملا عبد النصير[١] المذكور مكتوبًا في سنة ١٨٥٥ م إن وفاة ملا محمد أفندي الچلبي المذكور كان في سنة ٩٣٩ هـ وقد زرت الفقير قبره في سنة ١٣١٦ هـ ورأيت عليه حجرًا كبيرًا مكتوبًا ولكني لم أقدر على قراءة ما فيه فإن صح ما قال كان وفاته قبل استيلاء الروس على قزان وقد عرفت أن هذه الجهة أعني الجهة القبلية من قزان المشهورة لديهم بالجهة الجبلية استولى عليها الروس في سنة ٩٥٨ ولكن كان إنفاذ أمرهم فيها بنشر الدسائس وإلقاء التفرقة والبغض والعداوة بين تلك الأمم المختلفة كان قبل ذلك بسنين كثيرة خصوصًا في الأماكن المتاخمة ببلادهم والظاهر أن أهالي ولايات طنبور وپنزا وسراطاو وجنوبي ولاية سنبر قد فرغ من أمرهم بالاستيلاء عليهم بعد انقراض خوانين سراي بل بعد تقلص ظلهم من الجهة الغربية من نهر وولغا ولم يكن استيلاؤهم عليهم بالقوة والغلبة بل بالدسائس والخدعة بأن جلبوا رؤساءهم الملقبين بالمرازي[٢] إلى أنفسهم بإعطاءهم المناصب والأراضي والغابات والممالك ولعل ذلك لقرب مساكنهم من ممالك قريم من جهة ومن بلاد قزاق التي هي أصل بلاد تتار وخوانين سراي من جهة أخرى لكونهم مستقلين بحكم أنفسهم في ذلك الوقت ولذلك لا يوجد في تلك الولايات مكره إلا النادر وهم في غربي ولاية سنبر وشماليه ومع ذلك لا نقول إنه لا يوجد فيها إكراه فإن عدم وجود المكرهين فيها الآن لا يدل على عدم وجود الإكراه فيها بل جاز أن يهاجر أهاليها حين أكرهوا إلى دواخل بلاد قزاق وإلى أراضي باشقرد فإن الظن الغالب أن طائفة ميشر الموجودين في أراضي باشقرد إنما هاجروا إليها من تلك الولايات في ذلك الوقت فإن تلك الولايات لا شبهة في كونها ملآنة بالمسلمين لكونها أعظم مجالات التتار حين ازدياد قوتهم ونمو شوكتهم وبلادًا خاصة بهم لم يشاركهم فيها غيرهم.

---

(١) ملا عبد النصير: لعله عبد النصير بن إبراهيم البلغاري أبو النصر القازاني الحنفي، له «شرح العقائد للنسفي» فرغ منها سنة ١٢٤٤ هـ. (كشف الظنون ٥/ ٦٣٢).

(٢) جميع ميرزا مخفف أمير زاده بمعنى ولد الأمير وأولاد الأمراء والأعيان وأهل قزان وقريم وقزاق يضمون الميم من ميرزا ويسقطون الياء بعدها تحريفًا منهم. منه عفي عنه.

والمسلمون فيها الآن لا يبلغون عشر من سواهم فإن لم يهاجروا هناك في ذلك الوقت فأين ذهبوا وأيضًا حصل فيها إكراه المرازي المذكورين بالتهديد بأخذ أراضيهم ومماليكهم ومناصبهم التي كانوا أعطوهم إياها قبل ذلك حين وجود قوة ونفوذ فيهم لجلب قلوبهم فاختار بعضهم الدنيا على الآخرة فتنصر وأعقابهم باقية إلى الآن كعائلة ماخميتف وآبلوز وغيرهما وهم الآن في غاية الفقر والذلة واختار بعضهم الباقي على الفاني فسلب عنهم أملاكهم كعائلة ديبيرديف وآقچورين وباشيف وغيرهم وأعقابهم الآن في غاية الغنى والثروة والعزة تنتقل إليهم أملاك الطائفة الأولى شيئًا فشيئًا وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

هذا الذي بينا هو أحوال الجهة القبلية أعني الجهة الجنوبية الجبلية.

وأما أهالي الجهة الشمالية التي يقال لها في اصطلاحهم قزان آرتي يعني ما وراء قزان فما أصيبوا به أعظم وأشد لكون مقاومتهم الروس أكثر فأيسر ما أصيبوا به أن أعضاء تلك الجمعية كانوا يأمرونهم بهدم منابر المساجد أو بهدم المساجد نفسها متعللين بأنها على وشك السقوط والانهدام وأنها تضر بسقوطها وانهدامها الإنسان فإن هدموا كانوا يحكمون عليهم بالنصرانية قائلين إن هذا علامة الإعراض عن الإسلام وإن لم يهدموا كانوا يهدمونها أنفسهم أو كان يهدمها بعض مأموري الحكومة فحينئذٍ إن سكتوا كانوا يحكمون عليهم بقبول النصرانية لكون سكوتهم إعراضًا عن الإسلام ورضا بالنصرانية على زعمهم وإن اعترضوا كانوا يقتلونهم أو كانوا يعذبونهم عذابًا شديدًا مثل أن يأمروهم بالجثو فوق حصى أو حمص منشورة فوق الألواح إلى أن يموتوا أو يجروا كلمة الكفر على ألسنتهم وكثيرًا ما كانوا يكلفونهم بالتنصر ويكرهونهم على ذلك صراحة فإما أن يقتلوا وإما أن يجروا كلمة الكفر على ألسنتهم تقاة وإن حضر بعض المسلمين مواضع إجراء عوائدهم النصرانية ومواسمها كانوا يحكمون بنصرانيته خصوصًا إذا أصابه الماء الذي يرشونه أثناء عبادتهم ومن دخل نهرًا أثناء هربهم حين طردوه كانوا يحكمون بنصرانيته إلى غير ذلك من الطرق والأسباب التي يتعسر تعدادها كإعفاء من يتنصر من التكاليف الميرية وحملها على المسلمين ومن حكموا بنصرانيته بوجه من الوجوه المذكورة أو غيرها كان يستحيل عليه الرجوع إلى الإسلام إلا إذا هرب إلى موضع لا يجري فيه أحكامهم لأنهم كانوا يمنعونه من الاختلاط بالمسلمين منعًا باتًا كليًا ولذلك إذا حكموا بنصرانية أناس قليلين من أهالي قرية كبيرة كانوا يأمرون بواقي الأهالي بالتنصر أو بالارتحال منها وإذا كان فيها مسجد كانوا يهدمونه ثم لا يسمحون بالإذن ببناء المسجد في قرب تلك القرية فضلاً عن البناء فيها.

والحاصل أنهم كانوا يجعلونهم تحت أشد المراقبة ويقطعون علاقتهم بالمسلمين خوفًا من رجوعهم إلى الإسلام ومنعًا إياهم منه ولعمري أن الذي لا يعرف عادات الروس يحمل بياني هذا على المبالغة والغلو مع أني عاجز عن بيان عشر معشار ما ارتكبوه في هذا الباب مع أن كثيرًا منها باق وجار إلى الآن خصوصًا في جهة سيبريا وبلاد قلموق وجهات آلماتي وتوقمق التي هي مهد الأتراك ومنبعهم وقد ختموا في هذه السنين عدة مساجد بختم الحكومة في توقمق وپشكند وغيرهما من بلاد تلك الجهة من غير سبب من الأسباب سوى المنع من عبادة الواحد القهار وبقيت كذلك ثلاث سنين ولم تفتح إلا في هذه سنة ١٣٢٤ التي أنا أكتب فيها هذه الأحرف والفضل في ذلك بعد فضل الله لياپونيا ثم لأرباب الاختلال الداخلي أدامه الله فلولا حرب الياپون وغلبته لكنا نسمع الآن في طرف سيبريا أخبارًا تنصدع منها القلوب وتنشق المرائر وتشيب الرؤوس ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٥١] صدق الله مولانا العظيم ونحن على ذلك من الشاهدين.

وأما الحكم على من دخل النهر بالنصرانية فلا تستغربه بعد أن عرفت أن نصرانية الروس أنفسهم كانت بالدخول في نهر دينيپر على ما مر قريبًا فإن كنت في ريب منه مع ذلك فاتل ما كتبه رفاعة بك في ترجمة جغرافيا ملطبرون الفرانساوي حيث قال: وأكثر قبائل تلنغوتة (صوابه تولنكوت أو تنكوت التي اشتهر الآن بتنغوز يعيش في بلاد القلموق بل يسميهم الموسقو القلموق الأبيض فمنهم من يضطر ويجبر على المعمودية والتنصر فيهمل بالكلية واجبات الملة اليونانية وشعارها... وإذا نزلنا نهر تومسك وچوليم وجدنا أمتين تتاريتين مسماتين باسم هذين النهرين وقد نصرهم المطران فيلوفية وذلك أن فرقة من عساكر الروسية ذهبت تحت رياسة هذا القسيس فطردت هذه القبائل إلى نهر چوليم فحكم هذا القسيس بأنهم بمقتضى الأحكام صاروا من أهل المعمودية ونظموا في سلك أبناء النصرانية والآن لما خلوا وأنفسهم وتحرروا تدينوا بديانة على مقتضى عقولهم مختلطة من دين النصارى وعبدة الأوثان اهـ بحروفه وكذلك قال في بعض قبائل تتارية يسكنون في شطوط نهر تارا وكذلك حال جميع المكرهين لا يتدينون بدين النصرانية سوى شرذمة قليلة منهم وأكثرهم متمسكون بالإسلام خفية وبعضهم غلبت عليهم الجاهلية ودام هذا الحال الذي وصفناه من غير ترتيب وانتظام مدة أزيد من قرنين أعني من سنة ١٥٥٢ م إلى سنة ١٧٦٢ م ووقع بسبب هذا الإجبار والاضطهاد في أطراف قزان اختلالات فشرع المسلمون يهاجرون

إلى أراضي باشقرد التي في شرقي ولاية قزان ونهر قاما فإنهم أعني الباشقرد كانوا في ذلك الوقت مستقلين بحكم أنفسهم يحكم فيهم البكوات وبعض الملقبين بعنوان خان ولم يكونوا تحت حكم حاكم واحد بل كانوا متفرقين فقبلهم الباشقرد وأعطوهم الأراضي فسميت هؤلاء المهاجرون باسم تبتر وأما مهاجرو طائفة ميشر فلم يتغير اسمهم بل داموا على الميشرية إلى الآن وهم أعني المهاجرين مطلقًا إن لم يكونوا أكثر من الأهالي الأصلية أعني الباشقرد فليسوا بأقل منهم.

وأول اختلال وقع كان ثاني سنة من استيلاء قزان بعد عدة أشهر منها في نفس ذلك الشتاء حيث قامت چرامشة سواحل وولغا وقوم آر وقتلوا حاكم الروس الذي كانوا نصبوه عليهم وقتلوا أيضًا بعض تجار الروس وقد اجتمع منهم خلق كثير بشاطىء نهر ميتي وخندقوا على أنفسهم وكان رئيسهم يسمى بوريس صالتيقف فساقت الروس عليهم مقدارًا كافيًا من العساكر المشاة والخيالة وبعد وقوع القتال من الطرفين تمكنت الروس من تفريق جمعيتهم وقد قتلوا منهم خمسمائة نفر وأسروا رئيسهم المذكور وقتلوه بأقبح قتل.

وفي تلك السنة ١٥٥٣ ظهر أيضًا اختلال في الشمال الشرقي من ولاية قزان في ولاية واتكا وسواحل نهر قاما وامتد هذا الاختلال إلى ما بعدها فساق إيوان لتسكين هذا الاختلال عساكر تحت رياسة سيمون ميكولينسكي وإيوان شيرميتف وكيناز آندري الكورباتي فجاء هؤلاء في صميم الشتاء إلى شواطىء نهر قاما وميشه التي كانت محل اجتماع أرباب الاختلال وقد أقاموا هناك بعض القلاع والحصون فاقتتلوا هناك مدة شهر وهدموا تلك القلاع والحصون ثم انعطفوا منها إلى ما وراء آشط حاملين أسلحتهم حتى وصلوا إلى ما بين ولاية واتكا وبين أراضي باشقرد وكان أرباب الاختلال اختفوا في غابة كثيفة جدًا فبدىء القتال وقتل من أرباب الاختلال وهم المسلمون والچرامشة وآر مقدار عشرة آلاف من جملتهم الأمير جان چورا بن إسماعيل والبطل آليكو الچرميشي الذين كانوا أشد الناس على الروس وأسر ستة آلاف من التتار وخمسة عشر ألفًا من النساء والأولاد ثم انثنى بعض قواد الروس نحو سواحل وولغا وقبضوا هناك على ألف وستمائة نفر من جملتهم الأمير مورز رئيس التتار فقتلوهم كلهم عن بكرة أبيهم وقتلوا كافة رؤساء التتار ومشاهيرهم.

قال كارامزين: ولم ينطق بعد نيران الاختلال والفتنة فإن فراري أهل قزان كانوا مختفين في المواضع القريبة والبعيدة وكانوا ينهبون تجار الروس وصيادي السمك

ويقتلونهم وقد بنوا بعض القلاع والحصون وكانوا يريدون إعادة سلطنتهم وخانيتهم ويسعون في ذلك حتى أن يوز باشي ماميچ بيردي الساحلي جلب واحدًا من أمراء نوغاي (لم يذكر اسمه) وملكه ثم قتله لعدم صلاحيته وقابليته وقطع رأسه وعلقه في خشبة طويلة وقال له: نحن ملكناك للمحاربة وتنظيم الأمور وأنت لم يكن همك مع مقربيك إلا في إزعاجنا وسلب راحتنا بل استئصالنا والآن يتسلطن رأسك في تخت عال قال: وامتدت الفتن في أطراف قزان بعد الاستيلاء عليها إلى خمسة سنين فما زالت الروسية تجتهد وتصرف مساعيها في إطفاء نيرانها وتواصل في ذلك الليل بالنهار حتى تمكنت من تشتيت جمعية أرباب الاختلال وقتلهم وطردهم وتخريب قلاعهم وحصونهم حتى قراهم فهدأت الأحوال بعد ذلك في الجملة وعمرت قلعتا چابا قسار ولايش وكانت خربتين وأذعن طائفة باشقرد أيضًا بقبول الجزية وذلك في حدود سنة ١٥٥٧ م اهـ، وقد مر في المقصد الثالث أن استيلاء الروس على حاجي طرخان كان بعد سنتين من استيلائهم على قزان وقد مر أيضًا هناك بيان سائر أحوالها وكيفية استيلاء الروس عليها إجمالاً فراجع هناك.

والحاصل أن بعد استيلائهم على قزان لم يبق لهم مانع وعائق من التقدم إلى جهة الشرق والشمال والجنوب الشرقي ولم يبق فيها من يمانعهم إذا أرادوا الاستيلاء عليها ولهذا شرعوا في التقدم إليها بخطا واسعة وفراغ بال بلا ممانع بل طفق بعض البكوات يعرض عليهم الطاعة مثل رئيس الچراكسة وخان سيبريا يادكار خان فإنه أرسل إلى إيوان اثنين من مقربيه في سنة ١٥٥٥ م يعرض عليه الطاعة ويرضى بأداء الجزية فسر إيوان بذلك وأرسل من طرفه سفيرًا إليه لتأكيد العهد بالإيمان وكذلك كتب إليه الميرزا إسماعيل الذي أدخل الروسية إلى حاجي طرخان يقول له: إني قتلت أخي الميرزا يوسف (يعني والد سيون بكه المار ذكره مرارًا) وأولادي وأقاربي وأتباعي قد فوضوا إليّ زمام اختيارهم فلم يبق الآن أحد من أعدائك وممانعيك فليطمئن خاطرك الخ. وكان ذلك على ما يفهم من تاريخ كارامزين في حدود سنة ١٥٥٧ م فبذلك انفتح له باب الجنوب والشمال الشرقيين حتى أن شاه طهماسب الصفوي الإيراني دعاه إلى الاتفاق معه في سنة ١٥٧٠ م على محاربة السلطان سليمان القانوني عليه الرحمة لكنه لم يتجاسر على ذلك.

وفي سنة ١٥٧٣ م مصادفة سنة ٩٨١ هـ قامت چرامشة سواحل وولغا وأهالي الجهة الجبلية على الروسية قيامًا مدهشًا بإيعاز من دولت گراي خان القريمي على قول كارامزين فأرسل إليهم إيوان عسكرًا كثيرًا حتى أسكنوا الفتنة ولم يظهر من دولت

گراي خان أثر إعانة ولم يذكر كارامزين تفاصيل هذه الوقعة مع تهويلها في العنوان ولم يذكر أيضًا حركة المسلمين مع أن إيعاز دولت گراي خان إن صح هذا الإسناد يقتضي أن يكون أولاً وبالذات إلى المسلمين دون الچرامشة ولعل مراده بأهالي الجهة الجبلية هم المسلمون والله سبحانه أعلم.

استيلاء الروس على سيبريا

وقبل الشروع في بيان ذلك لا بد من أن نبين نبذة من أوائل أحوال هذه الخانية على قدر ما وصل إليه علمنا مع نقصان المأخذ التي في أيدينا.

قال الفاضل المرجاني: خوانين سيبريا من أولاد شيبان الذي هو الخامس من أولاد جوجي خان كان دار ملكهم قلعة سيبر وباسم آخر إيسكر على مسافة اثنتي عشرة ويرست من مدينة طوبل أولهم حاجي محمد خان بن علي بن بيك قوندي أوغلان بن منكوتيمر بن باداقل بن جوجي بوقا بن شيبان خان بن جوجي خان ثم ابنه محمودك خان ثم ابنه إبراهيم خان المعروف بآپاق خان ثم ابنه تولق خواجه خان ثم ابنه شماي خان ثم ابنه أوراز خان ثم ابنه بهادر خان ثم ابن عم جده مرتضى خان ابن إبراهيم ثم ابنه كوچم خان وفي عصره استولى على مملكتهم يرمق بن تيمافي في سنة ١٠٠٣ هـ وحيث لم يكن فيه اقتدار على حفظها باعها من الروسية فذهب كوچم خان بعد ذلك إلى بلاد باشقرد وأقام فيما بينهم ومات فيها ثم ابنه علي خان.

وفي سنة ١٠١٧ هـ اجتمع قوم التتار الذين في تلك الأطراف وبايعوا ولده علي خان ولكنهم لم يقدروا على استرداد دار ملكهم ثم أخوه إيشم خان كان موجودًا في سنة ١٠١٧ هـ وهو آخر خوانين تلك المملكة اهـ تعريبه حرفيًا.

هكذا قال هنا في نسبهم وقد قال فيه عند بيان خوانين خان كرمان هكذا: إرسلان علي خان بن علي خان بن كوچم خان بن مرتضى خان بن آپاق خان بن محمود خان بن حاجي محمد خان بن قيورچق خان بن روسخان كان والده علي وأجداده كوچم ومرتضى علي وآپاق ومحمودك وحاجي محمد من خوانين سيبريا والبواقي معدودون من خوانين بلاد بلغار وآلتون أوردو الخ. وروسخان هذا على قول المرجاني أيضًا من ذرية توقايتمير بن جوجي خان لا من أولاد شيبان.

والصواب الصحيح والأول أعني كون خوانين سيبر من نسل شيبان بن جوجي خان صرح بذلك كارامزين وأبو الغازي خان إلا أنه لم يذكر كون اسم آپاق إبراهيم

وأسقط المرجاني بين جوجي بوقا وشيبان واحدًا يسمى بهادر وهو ثاني أولاد شيبان كما ذكره أبو الغازي خان وذكره الفاضل المرجاني أيضًا في موضع آخر.

وقد ذكر كارامزين ما يخالفه فإنه بعد ذكره سلطنة أوائل الأتراك مثل آتيلا وديزابول في تلك الناحية وما يناسبها ذكر أن أول من تسلطن فيها من التتار المسلمين من نسل شيبان إيواق خان أوچينغيس خان وتايبوغا خان وخواجه وحفيد مار وأبو آدير (لعله قادير) وباپولاق خان وقال: إنه تزوج ببنت خان قزان وكانت لها قرابة بآپاق خان وقتل آپاق[1] المار وقتل محمد بن آدير الآپاق وبنى محمد هذا على مسافة ستة عشر ويرست من مدينة طوبل قلعة سماها إيسكر أو سيبر وقال: إن تايبوغا أوچينغيس بنى بساحل نهر تور قلعة سماها چينغي واستملكوا نواحي نهر إيرتيش وأوبي الكبير وأسسوا هناك خانية سيبر وقال: إن آغيش بن باپولاق ومحمد ابن قاضي وغيره من أولاده ويادكار خان الذي صار خراجيًا للروس وبيكبولاط كلهم من أخلاف محمد بن آدير وكذلك كوچم خان ابن مرتضى خان من خوانين قرغيز ثم قال: وفي المحررات الرسمية التي حررت في سنة ١٥٩٧ م إن أول خوانين سيبريا إيواق خان جد كوچم خان ثم محمد خان ثم قاضي خان ثم يادكار خان من ذرية تايبوغا.

وقال: إن في محاربة إيرتيش في سنة ١٤٨٢ كانت عساكر موسكوا في شاطىء نهر إيرتيش وكانت التتار وقتئذٍ لا يتفكرون في سيبريا حتى يظن أنهم كانوا لا يعرفون القلعة التي كانت تحت تصرف الكيناز لاتق (ولعله تولق الذي ذكره المرجاني) وهذا كما ترى ليس فيه الأسامي التي ذكرها المرجاني والحاصل ليس في أيدينا في هذا الباب مأخذ يشفي العليل ويروي الغليل ولا يظهر من بيان كارامزين أيضًا كبير فائدة ولا تاريخ تأسس تلك الخانية ولا بيان أحوال هؤلاء الخوانين الذي سرد أساميهم.

وقال رفاعة بك: وفي سنة ١٢٤١ من الميلاد (مصادفة سنة ٦٤٠ هـ) أسس التتار على شطوط نهري إيرتيش وأوبي خانة تسمى خانة سيبر باسم قاعدتها وتسمى أيضًا خانة تورا باسم نهر قريب منها وقال في موضع آخر: وقد كانت مدينة سيبر قاعدة التتار مدة إقامتهم في إقليم سيبر وهذه المدينة واقعة على ست عشرة ورستة من

(١) يعني قتل آپاق الخان المسمى بمار كما تقدم وليس المار اسم فاعل صفة لآپاق بل اسم شخص مفعول لقتل. منه عفي عنه.

تبولسك على نهر صغير يسمى سيبركا وقل أن يوجد الآن من مدينة سيبر بعض آثار هينة اهـ بحروفه فعلى هذا يكون ابتداء خانية سيبر في وقت واحد بابتداء خانية سراي وهو المطابق لما ذكره أبو الغازي خان من أحوال شيبان من أن أخاه باتو أعطاه شرقي أورال ولكن استقلالها لا يكون إلا وقت وقوع الاختلال والاختلاف بين خوانين التتار وحيث لم نجد مأخذًا صحيحًا نأخذ منه الحوادث في هذا الباب لم نجد بدًا من أن نطويها على غرها ولكني أرى من آكد الواجبات أن أذكر هنا أن أقوام سيبريا كانوا مسلمين منذ انتشرت أنوار الإسلام في تلك الأقطار ولا سيما بعد أن غشيت قوم تتار سوى طائفة قالمق والشاهد العدل لذلك كون أسامي خوانين سيبر قبل كوچم خان أسامي إسلامية كما مر ذكرهم آنفًا فما شاع بين العوام من أن كوچم خان أرسل إلى عبد الله خان ببخارى يلتمس منه إرسال العلماء لنشر الدين الإسلام في تلك الأقطار فأرسل إليه أنفارًا من سادات أوركانج لا أصل له أي داع هناك لإرسالهم من أوركانج دون بخارى القلة العلماء والسادات ببخارى والشجرة التي يذكرونها كذبة محضة لا أصل له كيف تصدق شجرة رتبت بشهادة العمائم الحضر والذوائب الطوال ولعمري أن هذه قرية بلا مرية ولنعم ما قال الشهاب الخفاجي[1] في أمثالهم: غراب خرج من عش بلبل وعلوي صح نسبه من دلدل، مع أن التاريخ الذي يذكرونه في إرسال كوچم خان السفراء إلى بخارى لطلب العلماء كان الخان فيه ببخارى إسكندر خان والد عبد الله خان لا هو ولئن سلمنا على إرسال العلماء بناء على أن إسكندر خان كان خانًا اسمًا فقط وكان الأمر بيد ولده عبد الله خان لا نسلم إن طلب كوچم خان العلماء وإرسال عبد الله خان إياهم كان لنشر الدين الإسلامي بل كان للتعليم ونشر العلوم فإنهم لما كانوا مسلمين غير محتاجين لنشر الإسلام بينهم ولكنهم لما كانوا بعداء من سائر بلاد الإسلام ومراكزها وكانوا سكان البادية في ناحية من العالم كانوا جهلاء محتاجين إلى العلماء للتعليم ونشر العلم فيما بينهم وكثيرًا ما يستعمل نشر

(١) الشهاب الخفاجي: هو أحمد بن محمد بن عمر المصري، القاضي شهاب الدين، المعروف بالخفاجي، الأديب الحنفي، المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ، من تصانيفه: «حديقة السحر»، «خبايا الزوايا من البقايا»، «ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، «رحلة»، «الرسائل الأربعون»، «ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا»، «شرح درة الغواص للحريري»، «شرح الفرائض»، «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، «طراز المجالس»، «مجموع في الأدب والنوادر»، «عتاب الزمان في سبب حجب حرمان بني الأعيان»، «عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير البيضاوي، «كتاب السوانح»، «نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ١٦٠ ـ ١٦١).

الدين معاشر المسلمين بمعنى نشر العلم لكون الدين والعلم عندنا شيئًا واحدًا فيكون معنى لنشر الدين لنشر العلم[١].

هذا وقد ذكرنا كون يادكار خان السيبري خراجيًا للروس ثم ذكر كارامزين بعض معاملته معهم وقتله سفير الروس ثم عزل الأمير إسماعيل من أمراء نوغاي إياه من الخانية.

ثم ذكر وقوع المعاهدة والمكاتبة بين الروس وبين خان سيبريا الجديد كوچم خان المصدق فيها كون أراضي سيبريا خراجية للروس وذلك في سنة ١٥٦٩ م مصادفة سنة ٩٧٧ هـ ثم ذكر إرسال عبد الله خان البخاري سفيرًا إلى إيوان يطلب[٢] منه قبول تجار بخارى في كافة بلاد الروسية فضلاً عن حاجي طرخان وقزان فقط ثم ذكر بعد ذلك مساهلة كوچم خان في رعاية شروط معاهدته مع الروسية وعدم أدائه الخراج الذي التزمه ومحاولته استجلاب أقوام إيستاك وووغول إليه وإرادته تقوية دولته وتأييد استقلاله وأنه زوج ولده على ابنة أمير طائفة نوغاي تين (دين) محمد وأنه كان يحرك الچرامشة ضد الروسية وأنه كان يرسل عصائب من رعاياه وعسكره إلى حدود بلاد الروسية وشواطىء نهر قاما للغارة دائمًا حتى أنه أرسل قريبه محمد قل بفرقة من العساكر إلى شواطىء نهر قاما للغارة فجاؤوها وشنوا فيها الغارة وكان ذلك في سنة ١٥٧٣ م مصادفة سنة ٩٨١ هـ.

[ظهور يرمق بن تيماقي]

ثم ذكر بعد ذلك عصيان قزاق دون وقيامهم على الروسية وظهور يرمق بن تيماقي المشهور بصورة غريبة ووقائعه العجيبة واستيلاءه على سيبريا وتسليمها على الروسية.

وخلاصته أن يرمق هذا ظهر في سنة ١٥٧٧ م مصادفة سنة ٩٨٥ هـ واجتمع لديه كثير من أشقياء قزاق دون فتوجه بهم نحو الجهة الشرقية من نهر وولغا وحارب هناك الأقوام التتارية والنوغايية وفرق جمعهم ونهب أموالهم وأسر أولادهم وخرب بلادهم وكانوا بعد خراب سراي على يد منكلي گراي خان القريمي اتخذوا بلدة

---

(١) فلا عبرة بقول السائح فيشر أو كيشر. منه عفي عنه.

(٢) وهذا يمكن أن يكون مما استدل به السائح فيشر على أن تجار بخارى كان لهم تأثير كثير في انتشار الدين الإسلامي في سيبريا وشواطىء إيرتش وإيشم وأورال. منه عفي عنه.

سرايچق التي بساحل نهر أورال كرسي سلطنتهم فخربها عن آخرها بحيث لم يترك فيها حجرًا فوق حجر ثم انعطف منها مع جمعه نحو الشمال ومر قريبًا من پيرم ووقع له في ممره وقائع كثيرة حتى انتهى به السير إلى حدود بلاد سيبر التي كانت تحت حكومة كوچم خان وتصرفه في أكتوبر من سنة ١٥٨١ م مصادفة سنة ٩٨٩ هـ، وقد انضم إليه كثير من الروس والنمسة وليتوانيا وغيرهم لاستنقاذ أسرائهم الذين كان أسرهم أحد أمراء نوغاي فأول ما بدأ به أمره هناك أن أخذ بليدة بساحل نهر تاري كانت تحت إمرة الأمير يبانچي وشرده منها وخربها ثم أسر أميرًا من أمراء كوچم خان يسمى تاوزاق فلما بلغ هذا الخبر كوچم خان شرع في الاستعداد للمدافعة فجمع العساكر من أقطار مملكته وأقام استحكامًا بساحل إيرتيش تحت جبل يسمى جبل چواش وأقام بنفسه هناك وأرسل قريبه محمد قل لمدافعة يرمق ومعه كثير من العساكر الخيالة فوقع أول القتال بين الفريقين بساحل نهر طوبل ثم على مسافة ١٦ ويرست من نهر إيرتيش بموضع كان تحت تصرف الأمير قراجه مقرب كوچم خان فاستولى عليه يرمق ثم ثالث الوقعة وقعت على نهر إيرتيش واشتد الأمر هناك فخرج كوچم خان من الاستحكام وطلع فوق جبل چواش وفوض الاستحكام لمحمد قل واستولى يرمق على بليدة آتيق ميرزا وقد كثر الجراح في عسكره فاستشار أصحابه ليلاً فيما يفعله بعد ذلك فأشار إليه بعض أصحابه بالعود فأبى وصمم على إدامة القتال إلى أن يحرز الغلبة أو يموتوا عن آخرهم فلما أصبح الصبح وكان ٢٣ أكتوبر على حساب الشرقيين بدىء القتال واشتد الأمر جدًا وكان الهجوم على الاستحكام الذي أقامه كوچم خان فجرح الأمير محمد قل في تلك الأثناء فحملوه إلى الضفة الثانية من نهر إيرتيش وصار من نتيجته أن استولى يرمق على الاستحكام فذهب كوچم خان نحو برية إيشم آخذًا خزائنه.

وفي ٢٦ أكتوبر دخل يرمق بلدة إيسكر التي هي كرسي خانية سيبر وحاز ما فيها من أنواع الأموال وكان ذلك في ١٥ رمضان تقريبًا من سنة ٩٨٩ هـ[1] بعد ٣٠ سنة من أخذ قزان ثم لم يزل يتتبع أثر كوچم خان ويفتح المراكز واحدًا بعد واحد ويجيء رؤساء القبائل يعرضون عليه الطاعة وأداء الخراج حتى فتح معظم بلاد سيبر وأسر

(١) فعلى هذا يكون مراد الفاضل المرجاني من ذكره تاريخ انتزاع الروس السيبيرية من يد كوچم خان تبعًا لأبي الغازي خان إما وهمًا وإما تاريخ وفاة كوچم خان والله سبحانه أعلم. وقال أبو الغازي خان أنه عمر عمرًا طويلاً وملك سنة وعمي في آخر عمره ومات بين قبيلة منغت لأنه جاء إليهم بعد استيلاء الروس على بلاده. منه عفي عنه.

الأمير محمد قل وأرسله إلى موسكوا ثم بعد فراغه من فتح البلاد وهب كلها لإيوان المدهش فأرسل هناك العساكر المستحفظين والولاة وسائر الحكام فاستلموها من يده فدخلت تلك الأقطار كلها في قبضته وتحت تصرفه عفوا من غير تعب ولا نصب ولا وصب وقد قصد كوچم خان بعد ذلك مرارًا كثيرة استرجاع ملكه مدة حياته ثم ولده بعد ذلك ثم حفيده گراي خان كذلك مرارًا ولكنهم لم يقدروا عليه.

قال في بعض تواريخ الروسية: أن واحدة من نساء باشقرد التي وقعت أسيرة بيد قرغز ثم تخلصت أخبرت أن گراي خان حفيد كوچم يريد أن يهجم على بلاد سيبر وكان ذلك في سنة ١٦٥٤ م وقال فيه أيضًا أن واحدًا من طائفة باشقرد أخبر أن كافة طوائف باشقرد يريدون القيام والعصيان على الروسية والإعانة لگراي خان وكان گراي خان قد استقر في الوقت المذكور مع ٢٠٠٠ من عساكره في أعالي نهر إيشم وكان ذلك في سنة ١٦٦٧ م مصادفة سنة ١٠٧٨ هـ فمن يعجب من استئصال چنكزخان بعساكره الجرارة القوية المنتظمة غاية الانتظام المدربة غاية التدريب دولة خوارزمشاه فبالأحرى له أن يعجب من نزع واحد من رؤساء الأشقياء سلطنة واحد من ذريته بعد مرور ثلاثمائة سنة وكسور من ظهوره وأعجب وأغرب من الكل عدم قدرتهم على استردادها بعد موت إيوان المدهش وولده فيودر وضعف دولة الروسية في أثناء الفترة الواقعة بعدهما سبحان من يتحير عقول الفحول في صنعه وسبحان مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء من غير سبب ظاهر في ذلك كله لا يسأل عما يفعل وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

قال الحموي[1] بعد ذكره خراب اسبيجاب وأسفه عليه: وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة والإسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه لم يظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء ولكن الله يفعل ما يشاء.

أشعار:

رمت بهم الأيام عن قوس غدرها ... كان لم يكونوا زينة الدهر مره
وما زال جور الدهر يغشى ديارهم ... يكر عليهم كرة ثم كره
فأجلى بهم عنا جميعًا فأصبحت ... منازلهم للناظر اليوم عبره

(١) ياقوت الحموي: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

اهـ. كذلك نقول في حق بلاد قزان وحاجي طرخان وسيبريا وغيرها من بلاد المسلمين التي أصيبت تلك المصيبة فلا معنى لتبجج كارامزين ووقاحته في هذا الموضع.

شعر:

وقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون ما قد لقينا

وكل آتٍ قريب والدهر لا يدوم على حالة واحدة الأيام دول والحرب سجال.

وفي سنة ١٥٨٢ أثناء فتح يرمق بلاد سيبر وقع اختلال كبير في أرض قزان حيث قامت چرامشة سواحل وولغا ورفعوا ألوية العصيان على الروسية فاضطر إيوان لإرسال العساكر من مورم وغيرها لإطفاء نيران تلك الفتنة حيث عجزت عساكره المستحفظة بقزان عن إطفائها فتمكنوا عن إزالتها بعد اللتيا وقد أسندوا سبب ذلك إلى إغراء محمد گراي خان القريمي إياهم كما اتهموا به دولة گراي خان في الفتن الماضية وليس لها سبب سوى ظلم الولاة والعمال ولا سيما شنائع طائفة ميسيونير لعنهم الله ولكنهم لا يعترفون بذلك قط بل عادتهم أن يمسحوا بنجاستهم مقاعد غيرهم وفي سنة ١٥٨٤ مات إيوان المدهش الظالم الحري لأن يقال فيه ظلمًا مجسمًا[١].

قال بعض المؤرخين: لو أمكن تركيب لويس الحادي عشر قرال فرنسا مع هنري الثامن قرال إنكلترا وإيجاد شخص منهما لكان ذلك الشخص إيوان المدهش ولظلمه المجاوز حده لا تحبه الروسية أيضًا ولذلك لا نرى أنهم يسمون البوابر الحربية باسمه مع تسميتهم إياها بأسامي من لم يصدر عنه عشر ما صدر عن إيوان من الفتوحات الجسيمة النافعة للروسية جدًا مثل ولاديمير ماناماخ وديميتري دونسكي وغيرهما.

فيودر بن إيوان: ولما توفي إيوان بقي له ولدان فيودر وديميتري فجلس فيودر مكان أبيه إيوان وكان لينًا إلا أنه أعانه في تدبير أموره أخو زوجته بوريس غودونف وأغراه المذكور على قتل أخيه ديميتري فقتله وكان عمره إذ ذاك تسع سنين هذا هو المشهور المذكور في أكثر التواريخ وقيل قتله إيوان بنفسه وفي تاريخ كارامزين ٨ ج ص ١٨٩ ما يدل عليه والله سبحانه أعلم.

---

(١) وعين الفاضل المرجاني بناء قصبته منزلة في سنة ٩٩١ هـ، مصادفة سنة ١٥٨٣م والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

بوريس غودونف: ولما مات فيودر بن إيوان في سنة ١٥٩٨ م مصادفة سنة ١٠٠٨ هـ أو التي قبلها انقطع بموته نسب روريك وذريته التي هي السلالة الأولى من ملوك الروس فجلس مكانه أخو زوجته المذكور بوريس غودونف لا يعلم أحد حكمة فعل الله تعالى وسره فإنه لو مات إيوان المدهش في صغره أو تأخر سقوط قزان بيد الروسية إلى موت فيودر هذا لسلم بلاد قزان وغيرها مما أصابها والله سبحانه في كل فعل من أفعاله حكم وإن خفيت علينا.

ديميتري الخامس الكذاب: وفي عصر بوريس المذكور ظهر في ليتوانيا شخص ادعى أنه ديميتري المقتول ابن إيوان المدهش وأنه لم يقتل بل هرب واختفى وظهر الآن وتبعه ناس كثيرون فقصد بهم موسكوا فهزمه بوريس وبينما الأحوال كذلك إذ مات بوريس في سنة ١٦٠٥ م فجأة فصارت هذه الحادثة الفجائية سببًا لتصديق الناس دعوى الكاذب المذكور واتباعهم إياه فأجلسوه على كرسي سلطنة الروس فلم يلبث إلا قليلًا حتى شرع في الظلم وطفق يتعرض لمذهب الروس ولا شك أن التعرض للدين والمذهب مما لا يتحمله أحد من المليين أرباب الأديان أي دين كان فقام الأهالي على ضده ودخل عسكر شويسكي بلدة موسكوا وقتلوا ديميتري المذكور وحبسوا زوجته الليتوانية وإخوتها.

واسيلي الخامس ابن إيوان شويسكي: ولما قتل الكذاب المذكور أجلسوا واسيلي بن إيوان من العائلة المشهورة بشويسكي على تخت الروس بعد اللتيا والتي في سنة ١٦٠٦ ولكن لم يلبث إلا قليلًا حتى ظهر شخص أيضًا ادعى أنه ديميتري المقتول وأنه لم يقتل بل هرب واختفى وتبعه أيضًا ناس كثير من الأوباش فتوجه معهم نحو موسكوا فهزمه واسيلي فهرب إلى كالوغا فقتلوه فيها.

سكزموند وابنه ولاديسلاو: ولم يفرغ واسيلي من أمر ديميتري الكذاب حتى أعلن سكزموند الثالث الليتواني الحرب مع الروسية بل هجم عليها من غير إعلان حرب وكسر عسكر الروس ثم أرسل إلى مخالفي واسيلي ومبغضيه يأمرهم بطرد واسيلي ويعدهم بإجلاس ولده ولاديسلاو على تخت الروس فقبلوا قوله بشرط عدم تعرضه لدين الروسية ومذهبهم وعاداتهم فقبله سكزموند فأرسلوا إلى ولاديسلاو وشرع عسكر ليتوانيا يدخل بلدة موسكوا أفواجًا أفواجًا فهرب منها واسيلي شويسكي وذلك في سنة ١٦١٠ م فلما استقر قدما سكزموند في تخت الروس صار يماطل الروسية في تفويض التخت إلى ولده ولاديسلاو ويؤخر الأمر من يوم إلى غد ومن غد إلى ما بعد

غد فكثر القيل والقال وشاع بين الروسية أنه يريد أن يستبد بالأمر ويبدل مذهب الروسية إلى مذهب ليتوانيا فصاروا يحرض بعضهم بعضًا على القيام والعصيان على سكزموند مدافعين عن مذهبهم حتى قاموا ورفعوا ألوية العصيان عليه وانتشب القتال بين الفريقين ودام الاختلال الداخلي مدة سنين بل أزيد حتى فازت الروسية بالغلبة وطردت سكزموند من موسكوا في سنة ١٦١٣ المطابقة سنة ١٠٢٢ هـ ثم اتفقوا على إجلاس ميخايل الثالث بن فيودر رومانف على كرسي سلطنة الروس وكان المذكور من أولاد رومان أبي زوجة إيوان المدهش آناستاسيا أم فيودر بن إيوان وهو أعني ميخايل أول ملك من السلالة الثانية من ملوك الروسية الشهيرة برومانف والمدة المذكورة بين موت فيودر بن إيوان المدهش وبين تملك ميخايل هذا مشهورة بمدة الفترة وهي مدة ١٥ سنة والملوك الذين تملكوا فيها مشهورون أيضًا بملوك الفترة وقد قربت دولة الروس في خلال تلك المدة أحيانًا من حالة الانقراض ولكن لما لم يوجد من يجمع كلمات التتار والباشقرد وغيرهم في مركز واحد لم يصب لهم نصيب منها قط فإن صح ما لم يزل الروس يتهمون به خوانين قريم من إغرائهم المسلمين والچرامشة ضد الروسية فليت شعري أين كانوا[1] في تلك المدة ولعلهم كانوا نائمين.

استيلاء الروس على شرقي نهر قاما وبلاد باشقرد وما جرى فيها بعد استيلائها من الأحوال والأهوال

الروسية وإن استولت على بعض شواطىء نهر قاما الشرقية بعد استيلائها على قزان وأذعن بعض طوائف باشقرد المقيمين هناك بأداء الجزية الروسية على ما تقدمت الإشارة إليه إلا أن دواخل بلاد باشقرد كانت مستقلة بحكم نفسها وقد تقدم أن أهالي قزان ونواحيها الذين نجوا من الموت وأهالي الجهة الجبلية من طائفة ميشر وغيرهم هاجروا إليها تخلصًا من شرور الروس وفتنتها وأنهم ليسوا بأقل من الأهالي الأصلية أعني الباشقرد فعلى هذا لو اتفق هؤلاء الأقوام كلهم واجتمعوا تحت راية واحدة وعلى رئيس واحد يجمع كلمتهم ويدبر أمرهم وقاموا على قدم المدافعة وحصروا همتهم فيها وبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيلها لأمكنهم حفظ كيانهم واستقلالهم ولقدروا على مدافعة أعدائهم عن أوطانهم وحقوقهم ورد هجماتهم من غير أن يقاسوا

(١) وقد كان فيهم في المدة المذكورة خوانين ذوي اقتدار مثل بورا غازي گراي خان وغيره. منه عفي عنه.

لأجلها كثير تعب وصعوبة بالنظر إلى كثرتهم وشجاعتهم خصوصًا بعد ما عاينوا ما فعلت الروس بأهالي قزان وتيقنوا بنواياها في شأن دينهم العزيز الذي لم يبق في أيديهم غيره وإن لم يقدروا على استرجاع قزان ولكن كان هذا موقوفًا على إدراك درجة الاستقلال وقيمتها ومرتبة الحرية ولذتها وعزتها وما في محكومية الأجانب من القبح والفساد والرذالة والمذلة والشرور وعدم الأمنية ثم الاجتماع على رأي واحد منهم يسوسهم أحسن سياسة ويدير أمورهم أحسن تدبير لا يصدرون إلا عن أمره ولا يفعلون شيئًا إلا برأيه وهذا الأمر المهم الموقوف عليه كان مفقودًا فيهم فإنهم لم يجتمعوا على رئيس واحد بل اتبع أهالي كل ناحية منهم رئيسًا على حدة وهؤلاء الرؤساء لم يوجد في واحد منهم شرائط الرياسة كلها بل ولا بعضها وإنما كانوا مصداق قول الشاعر. شعر:

إذا غاب ربان السفينة وارتمت بها الريح يومًا دبرتها الضفادع

ولم يكن فيهم أحد مثل چنكزخان وياوز سلطان سليم خان يجمعهم تحت راية واحدة جبرًا وقهرًا فهم وإن صدرت منهم الهجوم على الروسية مرارًا ودام إلى مدة مديدة ولكنه لما لم يبن على الأصول المرعية ولم يكن بالهيئة الاجتماعية لم ينتج شيئًا سوى سفك الدماء من الطرفين وما يترتب عليه من الفساد للطرف المغلوب نعم إذا أراد الله شيئًا خيرًا كان أو شرًا هيأ له الأسباب وبذلك تهيأ للروس أسباب الاستيلاء عليها وسهل لها ذلك ونعم ما قيل. شعر:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

والأيام دول والحروب سجال والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا يسأل عما يفعل شيئًا إلا بحكمة بل أفعاله تعالى كلها عين الحكمة وإن خفي على عقولنا القاصرة وجهها.

والحاصل أن الحريق الذي دام في نواحي قزان سنين عديدة سرى بعد ذلك إلى أراضي باشقرد ودام فيها أيضًا أزيد من مائتي ٢٠٠ سنة وحيث أن التاريخ الذي يبين تلك الوقائع مرتبة منتظمة مفقود غير موجود لدينا كسوابقها فنحن معذورون أيضًا في عدم إعطاء المعلومات في هذا الباب أيضًا مرتبة منتظمة على وجهها فلا ملام علينا إن أخطأنا في ذكر بعض الوقائع أو تخطينا بعضها بالكلية فها نحن نسرد ما ظفرنا في تواريخ الروسية كارامزين وغيره.

قال كارامزين: وفي أثناء توجه يرمق إلى سيبريا للاستيلاء عليها في سنة ١٥٨١ كان الكيناز پليمسكي[١] هجم على قلعة چردين الكائنة بأعالي نهر قاما مع جمع كثير من إيستاك وووغل وباشقرد وتتار سيبر فقتلوا ونهبوا وأسروا ولكنهم لما سمعوا خبر يرمق عادوا إلى بلادهم.

قال وفي سنة ١٦١٦ م مصادفة سنة ١٠٢٥ هـ: لما سمع ميخايل[٢] الثالث ابن فيودر مهاجرة أهالي ناحية كركين من نواحي أوفا الشمالية إلى الجهة الشرقية من نهر قاما خوفًا من مهاجمة أقوام پيرمياك أرسل إليهم فرمانًا يمنعهم من الهجوم على قوم باشقرد، قال: وفي سنة ١٦٣٣ م نشر ميخايل المذكور فرمانًا يأمر فيه بإرسال أشخاص ذوي عدالة ومروءة لتحصيل الخراج من قوم باشقرد الكائنين في نواحي أوفا من غير أن يظلموهم وفي سنة ١٦٤٥ م التي هي آخر سنة تملك ميخايل المذكور أرسل الأمر من طرفه إلى الوالي غلاوانيف بمدافعة طوائف قالمق الذين كانوا يهاجمون على قرى قوم باشقرد الذين في سواحل نهر قاما وبحماية هؤلاء الباشقرد من مهاجمتهم بما معهم من عساكر الروس وفي السنة ١٦٤٥ المذكورة مات ميخايل بن فيودر الروماني وملك مكانه ولده ألكسي الأول قال في مجموعة قوانين الروس كتب في دفتر قوانين ألكسي في سنة ١٦٤٩ المنع من شراء أراضي باشقرد والتتار وچواش وچرمش ووتاك (آر) ومن استئجارها إلى سنين كثيرة ومن انتزاعها من أيدي من استوطنوها حديثًا ومن أيدي المتنصرين وإعطائها التتار إذا كانت أراضي هؤلاء الأهالي في الأصل وفي حدود سنة ١٦٥٥ هجمت الباشقرد على جوار قونغور وضبطوها وقتلوا كثيرًا من الچرامشة وفي سنة ١٦٦٣ م مصادفة سنة ١٠٧٤ هـ أمر والي قزان قوراكين بإسكان قوم باشقرد في نواحي قزان لأجل اتفاقهم مع طائفة قالمق على عصيان الروسية.

والظاهر أن الرئيس في هذا العصيان والذي قبله والتي بعده هو شخص يسمى بسيد جعفر الرئيس وقد قيل إنه حارب الروس مع تبعه مدة عشرين ٢٠ سنة منها ما قيل: إنه ثبت وجود قوم باشقرد بين أشقياء سنة ١٦٧٠، وفي سنة ١٦٧٣ م أعلم طائفة الباشقرد وأذنوا بالتماس معادن الذهب وأخبار الحكومة بها إذا وجدوها ووعدوا بإعطاء الامتياز والرتب لمن أخبر بها.

---

(١) ولم أدر من هذا ولا رأيته في موضع آخر. منه عفي عنه.

(٢) وهو أول من تملك من سلالة رومان في سنة ١٠٢٢ هـ كما مر آنفًا. منه عفي عنه.

وفي سنة ١٦٧٥ نشر الأوامر الخفية بمنع بيع البنادق والبارود وسائر الآلات الحربية من قوم باشقرد. وفي سنة ١٦٧٦ مات ألكسي وفي عصره انضم كثير من ليتوانيا إلى الروسية ولم يبق منها إلا الجهة الجنوبية أطراف قريم وأوديسا وملك مكانه ولده فيودر الثالث ابن ألكسي وفي العام المذكور استخبرت الروس باستعداد طائفة باشقرد المقيمين بسواحل نهر كينه لي للإغارة على أطراف نهر قاما فتداركوا الأمر.

وفي سنة ١٦٧٧ طلب القائد پوشكين الأدوات الحربية من حكومته لاستشعار الخوف من باشقرد وقال: إن الباشقرد لا يزالون يجيئون إلى آياتسكي أصلابودا زرافات زرافات ويفهم من أطوارهم وحركاتهم أن لهم في ذلك الاجتماع غرضًا فاسدًا وأمر والي أوفا بأخذ الجباية والإتاوة من قوم باشقرد الكائنين بأطراف نهر طابين من غير توقيف وكانوا قد امتنعوا من أدائها.

وفي سنة ١٦٧٨ أعطى والي جردين الأوامر من طرف حكومته بأخذ الحذر والاحتياط من هجوم باشقرد وفي سنة ١٦٨٢ مات فيودر ولم يخلف ولدًا وكان له أخوان إيوان وپيطر وكان إيوان ضعيفًا غير قادر لإدارة الأمور فأشرك أخاه پيطر لنفسه في الملك وحيث كان پيطر أيضًا صغيرًا صارت أختهما الكبيرة صوفيًا وصية لهما إلى أن يكبر پيطر.

ففي العام المذكور قبل موت فيودر أو بعده قامت طائفة باشقرد على حكومة الروسية واجتمعوا في قرب أوفا فكتب كيناز الروسية إلى القائد باراتنسكي يأمره بجمع عساكره وسوقهم إلى محل العصيان وفي أيون (حزيران) استخبرت الروس باحتشاد باشقرد واتفاقهم مع طائفة قالمق للهجوم على الروسية ويفهم من كلام مؤرخيهم أنهم هجموا على ولاية قزان حيث قالوا: إنه لما هجم قوم باشقرد باتفاق طائفة قالمق على ولاية قزان في سبتمبر من العام المذكور لم يرسل الكيناز خاواتسكي الخائن عسكر استرليچ الذين كانوا تحت قيادته لدفع هجوم الأقوام المذكورة[1].

وفي سنة ١٦٨٣ اجتمع أربعون ألفًا من طائفة قالمق للهجوم على نواحي أوفا وشتوا في سواحل نهر چورطانلي، وفي سنة ١٦٨٩ م مطابقة لسنة ١١٠٠ هـ استقل

(١) ويحتمل أن يكون الرئيس في هذه المهاجمات الشخص المسمى بالدار من طائفة باشقرد. منه عفي عنه.

پطر بالملك وحبس أخته صوفيا في بعض الأديرة وشمر ذيله وحصر أفكاره وأوقاته في تجديد دولة الروسية وارتكب في ذلك أمورًا تحير العقول على ما هو مشهور ومعروف وجددها تجديدًا بلغت بسببه الآن حالته الحاضرة مع كونها معروضة لانقلابات شتى بعده حتى جاز عنوان پيطر بيليكي يعني پيطر الأعظم ومع حذاقته ومهارته في فن السياسة جره عرقه النصرانية وحميته الجاهلية إلى فكر إكراه سائر الأقوام على النصرانية حتى نشر بذلك الأوامر القطعية وعين مدة ستة أشهر لهجرة من لا يقبل التنصر إلى سائر الديار فمن لم يهاجر في تلك المدة من الأقوام الغير النصرانية يعتبر نصرانيًا فنشأ من ذلك بعض الاختلالات في بعض النواحي إلا أن حذاقته في السياسة غلبت حميته الجاهلية فرجعت عن هذا الرأي الفاسد والفكر العقيم واصطلاحاته للروسية وتنظيماته وإشغالاته مشهورة معروفة لدى الكل ليس كتابنا هذا محل بيانها.

وفي سنة ١٧١٤ م مصادفة سنة ١١٢٦ هـ نشر پيطر فرمانات يأمر فيها بقبول طائفة باشقرد للخدمة في بناء المدن التي أراد بناءها في سيبريا وفي سنة ١٧٢٠ أعلن العفو عن جرائم طائفة باشقرد وعصياناتهم القديمة وأمرهم أن يرجعوا إلى مساكنهم ونشر بذلك الأوامر وأكد الأوامر بالمنع من أن يظلمهم أحد بوجه من الوجوه وأن يعان من أراد منهم أن يخدم في معادن الذهب بنواحي پير ماء وفي سنة ١٧٢٢ نشرت الأوامر بمنع الجواسيس المرسلين إلى نواحي أوفا من تجسس قوم باشقرد. قلت: وكأنهم أمنوا من قيامهم وعصيانهم لفناء قوتهم ولم يذكر[1] التتار والباشقرد الذين كانوا يسكنون في ولاية حاجي طرخان وأوفا في قانون پيطر الأول الذي نظم في وضع الغرامات المالية وأخذ العساكر في سنة ١٧٢٤ ولما شرع أهالي قزان في المهاجرة إلى أراضي باشقرد في سنة ١٧٢٥ مجددًا هربًا من دفع الغرامات المالية وإعطاء العسكر نشرت الأوامر بمنعهم من المهاجرة والفرار وقد كان هاجر في تلك الأثناء ٣٨٩٢ نفسًا فأعيد منهم اثنان وتسعون نفسًا وتركت البواقي.

وفيها نشرت الأوامر أيضًا لمنع هجوم باشقرد على معادن الذهب السيبرية ومعامله، وفيها مات پيطر الأول ولم يخلف ولدًا بل خلف حفيده صغيرًا ووصى بأن

(١) يعني أن پطر عد النفوس ووضع للرجال العوائد المالية والخدمة العسكرية عددًا معينًا ولكن أهل ولاية حاجي طرخان وأوفا بما فيهم من تتار وباشقرد لم يشملهم هذا النظام لكونهم قريبين من الحدود. منه عفي عنه.

يجلس زوجته يكاترينا الأولى مكانه فملكت سنتين وملك بعدها پيطر الثاني ابن ألكسي بن پيطر الأول وكان عمره اثنتي عشرة سنة وفي عصره عجز غراف (قونت) أستروغنف عن دفع مهاجمات باشقرد واضطر إلى بناء بعض القلاع والحصون في سنة ١٧٢٨ كذا قيل ولم يبينوا مواضع تلك القلاع والحصون ولا أساميها. وفيها صدرت الأوامر بالمنع عن ظلم قوم باشقرد بموجب عرائضهم بعد أن أخذ منهم الرهائن.

وفي سنة ١٧٢٩ صدرت الأوامر بأن يرسلوا لتحصيل الغرامات المالية والتكاليف الميرية من قوم باشقرد أشخاص ذوو أعراض وإنصاف ومروءة وتدبير ورفق.

قلت: علم من ذلك أن سبب قيامهم وعصيانهم هو ظلم الحكام والمأمورين كما أن الأمر كذلك في كل ملة ومكان وزمان.

وفي سنة ١٧٣٠ مات پيطر الثاني عن ١٥ سنة من العمر وتولت مكانه آنه ابنة إيوان فزادت البلة في الطين بسبب استبداد الولاة وطائفة ميسيونير استفادة من غفلتها وإغفالها، وفي سنة ١٧٣٤ صدر الأمر ببناء قلعة على نهر أور لأجل قوم باشقرد وسائر الأقوام يعني لضبطهم وسميت تلك القلعة أورنبورغ وأن يبنى في بلدة أورنبورغ المذكورة محكمة مخصوصة لباشقرد وأن يقبل من قوم باشقرد للخدمة مجانًا من أراد منهم ذلك. وفيها صدر الإذن في ٣١ مارس من محكمة سينود لطائفة باشقرد باصطياد السمك من نهر قاما والنهر الأبيض، وفيها صدر الأمر أيضًا من المحكمة المذكورة بالقناعة بملح إيلك من غير بيعه وأن يحكم لقوم باشقرد ثلاثة أشخاص اثنان منهم من طرفي الخصمين وواحد لا مناسبة له بأحد الطرفين ويقال لهذا الحكم عند الروس تريتسكي صود وباتخاذ دفتر طرخان لباشقرد وميشر.

وفي سنة ١٧٣٥ صدر الأمر من محكمة سينود أيضًا بمساحة أراضي باشقرد وترتيبها وبناء پوسته خانات في بعض القرى وبنفي التتار وچرمش وچواش وموقشي برطاس[1] إلى آلايات عسكر الروس المسماة باوستزيسكي الكائنة في سواحل بحر البلطق إذا صدرت منهم الجناية. وفي سنة ١٧٣٦ صدر المنع من المحكمة المذكورة أيضًا عن اتخاذ طوائف باشقرد الكائنين في ولاية أوفا حدادًا وعن اقتنائهم البنادق والبارود وسائر الأسلحة وأذن لمن طلب هذه الأشياء بالخروج إلى جهة أورتبورغ وأن يشتغلوا بتلك الصنعة هناك، وفيها صدر الأمر لجنرال رومانسف وكيريلوف بتمييز قوم

(١) هذا كتب في الأصل المنقول عنه تفسير الموقشي. منه عفي عنه.

تيبتر والبابيلي (كذا) عن قوم باشقرد وبمنعهم عن إطاعة قوم باشقرد وفي السنين المذكورة كانت طائفة من باشقرد قاموا على الروسية تحت رياسة كيلمك آبز وقيل قالمق آبز وآقاي يوسف وقابلوا آلايا من عسكر الروس وقاتلوهم فصدر الأمر بإعدامهم ونزع أراضيهم عنهم مؤبدًا وبإعطائها طائفة ميشر الذين كانوا مخلصين للروسية في ذلك الوقت.

وفي سنة ١٧٣٧ صدر الأمر عن الملكة آنه بتشكيل عساكر خيالة من طائفة باشقرد مركبة من ثلاثة آلاف نفر يعني لإفناء قوم باشقرد بتسليط بعضهم على بعض وإلقاء التفرقة بينهم، وفيها أعدم مائة وتسعة وعشرون نفرًا من باشقرد لعصيانهم.

قلت: لا شك أن الرئيس كيلمك آبز وآقا يوسف من جملتهم وأول من شربوا من كأس المنية وقد قيل: إنهم جلبوا في العام المذكور إلى پيطر بورغ، وفيها صدر الأمر بأخذ عشر الزورع من التتار وباشقرد مثلي ما يؤخذ من الروس وفيها صدر الأمر أيضًا باتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة لمنع عصيان قوم باشقرد وبعدم مساعدتهم بالاجتماع في أي محل كان لغير الأمراء العسكرية، وفيها حكم في مجلس الشورى العسكري المنعقد في قصبة منزله تحت رئاسة تاتيشچف وصايميينف بتقسيم قوم باشقرد على أقسام. إدارات شتى وتفريق بعضهم عن بعض آخر توسلًا بذلك إلى منع قيامهم وعصيانهم وتعاضد بعضهم بعضًا في ذلك فعينوا في قصبة أوصى والياوبني في كراسنا أوفيمسكي حصن وكذلك بنى وعين في سائر المواضع أيضًا محاكم وإدارات مخصوصة فهذه الأمور تدل على قوة العصيان وشدة الاختلال وسببه ظلم الولاة وإفساد طائفة ميسيونير لا غير كما هو كذلك إلى الآن ولكنه لا يزال ينسب إلى تعصب المسلمين وكانت المدافعة عن الحقوق يعد تعصبًا عند الغربيين.

وفي سنة ١٧٣٨ صدر الأمر الملكي بتعيين رؤساء من نفس قوم باشقرد لتحصيل الأموال الميرية منهم ومنع الخمارين عن ذلك كما كان الأمر سابقًا كذلك فهذا يؤيد ما قلناه آنفًا وصدر الأمر كذلك بفصل نزاع الأراضي الكائن بين طائفة باشقرد وبين طوائف چواش وچرمش وميشر بالعدالة والتسوية ولا سيما بعدم الظلم لطائفة ميشر لكونهم صادقين مخلصين للروسية (كذا).

وفي سنة ١٧٣٩ أغار خمسمائة وثلاثون نفرًا من باشقرد على مساكن قزاق ونهبوا منهم ثلاثين بيتًا وخربوها فصدر بعد ذلك الأمر الشديد بإعادة الأموال المنهوبة إلى أربابها والمنع القطعي عن ارتكاب مثل ذلك الأمر فيما بعد والتهديد البليغ

لمرتكبه فإن الحال كان مقتضيًا لذلك لجلب قلوب طوائف قزاق إليهم، وفيها قيدت أعداد نفوس باشقرد في السجلات والدفاتر وفيها صدر الأمر بنقل بلدة أورنبورغ المذكورة إلى تل أحمر[١] في شاطىء نهر جايق (أورال) وبتسمية أورنبورغ القديمة بأورسكي قريبوست بمعنى حصن أور وفيها أيضًا صدر الأمر بانتخاب الرؤساء والمأمورين الملقبين بيصاوول وبوزباشي والكتبة من نفس قوم باشقرد وبإلغاء لقب طرخان القديم وبتصديق شراء التتار وميشر وچواش الأراضي التي اشتروها من باشقرد واعتبارها أملاكًا لهم وبتفريق الأقوام المغايرين لباشقرد عنهم وإسكانهم على حدة، وفي سنة ١٧٤٠ صدر الأمر بتقسيم أراضي باشقرد وترتيبها بعد تفريق ما بنى القلاع والحصون فيه عن غيره وذلك بموجب عريضة تايماس طرخان من باشقرد.

وفيها صدر الحكم من محكمة سينود بنفي آطناغل قورنايف المتقاعد من العسكرية إلى ساحل بحر بلطق لأجل إفساده وخيانته في حق رومان إيصايف ورجوعه إلى الإسلام بعد تنصره ثم حكم عليه بالإعدام فقال حين بوشر بإعدامه: أنا أعرف معادن الذهب في أراضي باشقرد وأني قد وجدت فيها حجرًا كان قيمته ألفًا وخمسمائة روبلة وأعطيته رئيس قصبة منزله وكان صافيًا براقًا إلى الغاية بحيث كان يمكن قراءة الخط في بروقه ونوره ولكنه لم يسمع كلامه ولم يثبت، وفيها قامت طائفة من قوم باشقرد على الروسية فدل بعض قرغز الصادقين للروسية على رئيسهم المسمى بقرا صقال فقبضوا عليه وسكنت الفتنة، وفيها صدر الأمر بإعلام إعداد باشقرد المسلمين وإعداد باشقرد المكرهين وإعداد قالمق المتنصرين، وفيها ماتت آنه وملك بعدها بوصية منها ابن أختها إيوان وكان عمره وقتئذٍ ست سنين فلم تطل مدته بل خلع بعد مدة يسيرة لصغره وقيام إيليزابيت ابنة پيطر الأول بدعوى حق الوراثة في الملك فملكت في سنة ١٧٤١ وفي عصرها حررت طائفة باشقرد وتتار وميشر القاطنين بولاية أورنبورغ عن الغرامات الميرية في سنة ١٧٥٤ بسبب عرض والي أورنبورغ وكلفوا في مقابلة ذلك بشراء الملح من الخزينة الميرية فقط.

وفي سنة ١٧٥٥ أعلن العفو عن طائفة باشقرد الذين كانوا قاموا على الروسية ثم هربوا إلى الممالك الأجنبية خوفًا من الجزاء والعقاب وأذن لهم بالرجوع إلى أوطانهم، وفيها اتخذت الاحتياطات اللازمة في سبتمبر خوفًا من قيام باشقرد على الروسية ورتب آلاي مركب من خمسة آلاف من تتار قزان ومرازيهم لمقابلة باشقرد

(١) والظاهر أنها أورنبورغ الحاضرة. منه عفي عنه.

القائمين على الحكومة وكانت الزعماء والرؤساء في هذا القيام ملا عبد الرحمٰن ميز كلدي وباطرشاه بن علي[١] من طائفة ميشر وكان قيامهم في أطراف قصبة أورسكي

(١) هذا ما ذكره بعض الأعزة من فضلاء عصرنا وقال بعضهم أن رئيس القائمين في الاختلال المذكور هو الملا عبد الله بن باطرشاه وقيل عبد الله باطرشاه من طائفة ميشر وقال: يظن كونه من قرية كاريشيووي التابعة لولاية أوفا وذلك أن طائفة باشقرد لما بلغ غضبهم على الحكومة نهايته ونفرتهم عنها غايته لإكراهها إياهم على التنصر وعدم قبول عرائضهم المقدمة عليها بترك الإكراه وإجبارها إياهم على شراء الملح الذي كانوا ينتفعون به مجانًا عزموا على القيام ورفع لواء العصيان على الحكومة واتفقوا على ذلك وجعلوا الملا عبد الله المذكور رئيسًا على أنفسهم لكونه أشهر علماء عصرهم فأرسل المشار إليه رسلاً إلى أهالي قزان وقزاق يدعوهم إلى الاتفاق معهم للمدافعة عن حقوق المسلمين فوعدوه بالإعانة والإمداد عند القيام والمدافعة وقد أخبره واحد من أهالي ولاية قزان يسمى إسماعيل آبوكييف من طريق آلاط قبل هذا بثلاث سنين ميل أهل ولاية قزان إلى الاتفاق مع أهل ولاية أوفا إن هم قاموا للمدافعة عن حقوقهم ولما هيأ الملأ المشار إليه أسباب المدافعة حسب الإمكان دعا كافة قوم باشقرد بواسطة العلماء على القيام وعيّن لهم اليوم العاشر من حزيران (أيون) من سنة ١٧٥٥ م للقيام وأكدهم بعدم الحركة قبله وبعدم التأخّر عنه ولكن قوم باشقرد استعجلوا وقاموا قبل الميعاد حيث قام باشقرد برجان في ٢٥ مايس من السنة المذكورة وقتلوا رجال الحكومة ومهاجري الروس وكذلك قام باشقرد طونغاوور وأوسيركان وتاميان وسوكون قبچق وچاكمين قبچق الذين هم في حدود قزاق وقتلوا الروس ورجال الحكومة وصادف هذا القيام استعداد الروس لمحاربة ألمانيا أيام الفردريق الثاني فأثّر عليها تأثيرًا شديدًا وكان والي أورنبورغ في الوقت المذكور نيپلوف المشهور بالدهاء فتشبث لتسكين هذه الفتنة بذيل لطائف الحيل وذلك أنه لمّا ساق العساكر إلى مواضع المهمة شرع بواسطة المنافقين في إلقاء التفرقة وزرع بزر الشقاق بين قوم باشقرد وبين طائفة ميشر وتيبتر المقيمين بينهم ونال بغيته هذه بسبب اجتهاده ودهائه وجهالة طائفة ميشر وتيبتر وصرف غاية جهده في منع ملاقاة قوم باشقرد وتاتار قزان بعضهم بعضًا وقطع المخابرة بينهم وأقام لأجل هذا العرض عساكر في المعابر والمسالك وعيّن جواسيس من منافقي تتار قزان لإيصال الأخبار إلى الحكومة وكان والي قزان وقتئذ غالووين ومنح بعض المساعدات لأهل قزان من طرف إيمپيراتريتسه إيليزابيت لجلب قلوب أهل قزان وجمع خمسة آلاف خيالة من تاتار قزان وأرسل إلى أورنبورغ لمقابلة باشقرد ولم يكتفِ نيپلويف بهذا القدر بل أرسل رسلاً إلى نور عليّ خان من خوانين طائفة قزاق وأمرائهم بهدايا يلتمس منهم منع اختلاط قوم باشقرد بقزاق وعدم قبولهم في بلادهم وقال إنه لا ينسى خدمتهم هذه إن فعلوها ونشر المناشر من لسان آخوند بلدة لونبورغ بين طائفة قزاق المقيمين بأطراف أورنبورغ ينصحهم فيها بعدم الاتباع على قوم باشقرد وعدم قبول دعوتهم إلى القيام.

وأما باشقرد فقد رفعوا ألوية العصيان في كل ناحية من نواحي أراضيهم بحيث يمكن أن يقال إنهم قاموا كلهم وقتلوا كثيرًا من مهاجري الروس إلى أراضيهم وهدموا كثيرًا من المعامل والمصانع وأحرقوها ولكن لم يكن الأمر كما زعموا بل ظهر خلافه حيث لم يحصل لهم أدنى إعانة وإمداد من أهل ولاية قزان وعدا عن ذلك فإن طائفة تيبتر وميشر المقيمين فيما بينهم قاموا=

فقبض المذكوران مع أنصارهما وأعوانهما وحبسوا في قلعة اشليسيلبورغ ودفنوا تحت جدرانها الحجرية.

وفي سنة ١٧٥٧ رتب آلاي من ألف نفر من باشقرد وميشر وسيقوا إلى طرف سيبريا وعين لهم مع أمرائهم العسكرية معاش مخصوص.

وفي سنة ١٧٦١ أذن للمكرهين من باشقرد ببيع أراضيهم من الروسية، وفيها ماتت إيليزابيت وبموتها انقرضت سلالة رومانف من ملوك الروسية وجلس مكانها پيطر الثالث ابن فيودر وهو أول ملوك من السلالة الثالثة التي هي سلالة هولستين وخلع وقتل بغيرة زوجته يكاترينا الثانية بعد ستة أشهر من تملكه وملك مكانه يكاترينا الثانية

= بضدهم وعاكسوهم في مقاصدهم ولما أحسّ قوم باشقرد انقلاب الأمر وعدم قدرتهم وحدهم على مقاومة الروس حاولوا أن يجاوزوا من نهر جايق إلى أرض قزاق حتى يحاربوا الروس مع القزاق بناء على وعدهم السابق وليس لهم خبر عما جرى من الدسائس وجاؤوا سواحل نهر جايق لهذا الغرض وقد عبى نيپلويف عساكر في معابر نهر جايق ومواضع مهمة لمنعهم من العبور إلى طرف آخر فاستشهد كثير منهم من طرف هؤلاء العساكر ووفق خمسون ألف نفس منهم فقط للعبور ولكنهم هل أفلحوا بعبورهم هيهات فإن اجتهاد تاتار قارغالي وسعيهم بناء على دسائس والي أورنبورغ نيپلويف ألقى عداوة شديدة بين قوم باشقرد وطائفة قزاق فأسر القزاق كافة نساء باشقرد وبناتهم وسبوهن وأجروا عليهن أنواع الفواحش والفظائع وطردوا رجالهن فاضطر قوم باشقرد إلى محاربة قزاق للدفاع عن حريمهم ونوامسهم فحاربوهم فحصلت تلفات عظيمة في الطرفين (فهذه هي نتيجة الجهالة والحماقة فكيف يقال لهؤلاء أنهم إنسان فضلاً عن تسميتهم مسلمين) ثم أعلن العفو العام من طرف الحكومة وأذن لقوم باشقرد بالرجوع إلى أوطانهم فرجعوا وأما الملا عبد الله المذكور فلم يرجع بل اندسّ في غابات كثيفة مع بعض تلامذته فنشرت الحكومة في ١١ أوكتابر سنة ١٧٥٥ م مناشر في الأطراف أو الجوانب بأن مَن قبض عليه حيًا فله ٥٠٠ روبلة ثم أعلنت ثانيًا في أول نيسان من سنة ١٧٥٦ م بأن مَن قبض عليه حيًا وسلّمه إلى الحكومة فله ألف روبلة فقبض عليه رئيس من طائفة ميشر يسمى سليمان عليه من الله أشد ما يستحقه في ٨ آغستوس من العام المذكور بقرية (آزيك) على مسافة ١٥٠ ويرست من بلدة أوفا فأرسله إلى بلدة أوفا وأرسل منها إلى أورنبورغ ومنها إلى پطربورغ فحكم عليه هناك بالحبس مدة عمره في قلعة أشليسلبورغ ولما أقام هناك خمس سنين خرج منها حين رأى الحرّاس مستغرقين في النوم وقتلهم بالضرب على رؤوسهم بالفأس وكانوا خمسة ثم وقع على الأرض بجنب القلعة المذكورة ومات بلا سبب فإنه لم يرَ في بدنه أثر من الجراحة فدفن جسده في حفرة وراء القلعة المذكورة رحمه الله تعالى وأما سليمان الشقي المذكور فمات قبل أخذه المكافأة المذكورة الموعودة في مقابلة خدمته السَّنِيّة المشكورة فجلب ولده الذي كان عمره ١٤سنة إلى بطربورغ ونال التفاتات كثيرة واستلم ألف روبلة وعاد. إن في قصصهم عبرة لأُولي الألباب تم من ترجمة منير أفندي هادي من تاريخ أورنبورغسكي گراي المحرر بلغة الروسية وهذا لتفصيل هذا الإجمال نقلته من تفرقة جريدة يولز عدد ١٣٣.

المذكورة المشهورة عند مسلمي تلك الديار بأبي پادشاه يعني الملكة الجدة وذلك لحذاقتها ومهاراتها في السياسية ورفعها الإكراه والمظالم الجارية الدائمة من لدن إيوان المدهش المستولي على قزان إلى عصرها وهي مدة مائتي سنة وعشر سنين فلا يذكر مسلمو تلك الديار اسمها إلا بالتعظيم والمحبة وإن كان فعلها الذي فعلته مبينًا على السياسة لا لحبهم ولا لحب دينهم وهكذا شأن العدالة واللين والرفق والمرحمة وبولايتها ابتداء الدور الثاني الذي هو دور التنفس والراحة وبعد أن طوي بساط الإكراه والإجبار ورفعت المظالم ونشرت العدالة والمساواة بهمتها طوي سجل المخالفة ورفعت دفاتر المخاصمة والقيام والعصيان من طرف المسلمين أيضًا فلا ترى في التواريخ بعد ذلك أثرًا من القيام والعصيان بل أعطوا المساعدة التامة في أمور الدين وبناء المساجد وبناء محكمة الجمعية الإسلامية المسماة بصبرانيا وكل ذلك يجيء تفصيله في محله إن شاء الله تعالى وإنما نبين هنا ما يتعلق بغير أمر الدين من المعاملات ليكون بيان الحوادث مرتبًا ومنتظمًا.

ففي سنة ١٧٦٣ أعلن العفو عن الفرارين من الباشقرد وصدر الأمر بإرجاعهم إلى أوطانهم فرجع ٩٨٧٩ نفر من برية قزاق.

وفي سنة ١٧٧٦ أعطيت المساعدة لطائفة باشقرد وميشر بتعاطي أنواع التجارة وإنشاء أنواع المعامل والصنائع والفابريقات في مملكة الروسية وكانت أعداد التتار الملقبين بتيبتر وأعداد قوم بوبيل المقيمين في أراضي باشقرد بموجب تحرير النفوس في سنة ١٧٨٩ بلغت ٤١٠٠٠ نفسًا وزاد في التحرير الثالث عشرة آلاف، وفي سنة ١٧٩٠ أذن لمفتي المسلمين بشراء أراضي باشقرد، وفي سنة ١٧٩٣ أذن للمفتي محمد جان الحسيني بشراء أراضي باشقرد وإسكان الأقوام الغير النصرانية فيها.

وفي سنة ١٧٩٦ ماتت يكاترينا ومن الحوادث المشهورة في أيامها خروج شخص من قزاق أورال يسمى پوغاچف بدعوى أنه پيطر الثالث المقتول وأنه لم يقتل بل هرب من أيدي مباشري قتله وهي حادثة مشهورة وعلى ألسنة الناس مذكورة. وفي عصرها أيضًا دخلت قريم في حوزة الروس وجلس بعدها مكانها ولدها من پيطر المار ذكره پاول وسلك في معاملة المسلمين مسلك أمه يكاترينا الثانية.

وفي سنة ١٧٩٧ صدر الأمر بإعطاء النقد بدل الطعام لخمسة آلاف وخمسمائة وتسعة عشر نفرًا من عساكر باشقرد المستخدمين في حدود أورنبور لكل واحد منهم روبلة في الشهر والظاهر أنها بالحساب القديم فتكون ثلث روبلة جارية الآن تقريبًا.

وفي سنة ١٧٩٨ صدر الأمر لأمراء باشقرد وميشر بترتيب ولاية أورنبور ترتيبًا جديدًا وبتحرير نفوس باشقرد الموجودين في ولايتي أورنبورغ وبيرما وتقسيم تلك الأراضي على محاكم تسمى محاكم كانطون[1] (بمعنى محاكم الناحية كما قدمنا في المقدمة).

وفي سنة ١٨٠١ مات پاول وجلس مكانه ألكساندر الأول من هذه السلالة ابن پاول وسلك في معاملته المسلمين مسلك والده پاول وجدته يكاترينا الثانية.

وفي سنة ١٨٠٢ صدر الأمر لطائفة باشقرد الكائنين بولاية أورنبورغ بجمع مصارف إنزال عساكرهم إلى قصبة منزلة وفيها صدر الأمر بمنع أي ظلم وجور كان من طائفة باشقرد بناء على شكاياتهم. وفي سنة ١٨٠٣ وضع ترتيب جديد لقطع المخاصمات والمنازعات الواقعة في أراضي باشقرد.

وفي سنة ١٨٠٦ صدر منع طائفة باشقرد من الإقامة في خارج أراضيهم الخاصة بهم بعد أن حددت أراضيهم المملوكة لهم ووضع الأصول والقوانين لاستخدام باشقرد في الخدمات العسكرية والميرية، وفي سنة ١٨٠٧ صدر الأمر بموجب عرض والي سيبريا بإقامة عساكر باشقرد المأمورين بتشييع أرباب الجناية وتسفيرهم إلى سيبريا وبحفظ الممالك في سيبريا.

وفي سنة ١٨١١ صدر الأمر إلى الكيناز وولخونسكي بتشكيل آلايين من الخيالة من باشقرد وآلايا واحدًا من قالمق كل آلاي منها مركب من خمسمائة نفر بشرط أن يكون الأمراء والقواد والضباط من أنفسهم، وفي سنة ١٨١٢ لما مست حاجة الروسية إلى تزييد قوته العسكرية لمحاربة فرنسا حيث استولت على موسكوا صدر الأمر

---

(١) ودامت تلك المحاكم هناك إلى أوائل النصف الثاني من العصر التاسع عشر وكان الحكام الملقبون بكانطون من طائفة باشقرد وكان لهم نفوذ تام بين الأهالي مع كون رتبتهم رتبة زيمسكي الآن وكان الناس يتظلمون ويشتكون منهم ولما ألغيت الكانطونية وأحدثت مكانها محاكم وولصنوي أوپراولنيا صاروا يتذكرونهم ويذكرونهم بخير ويتمنون عودهم ثانيًا لما رأوا من عدم قابلية وولصنوي وعدم معرفتهم بشيء وكون الحل والعقد والنقض والإبرام بأيدي كتبتهم فقط كما قال الشاعر، شعر:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

والحاصل كان لهم هيبة في قلوب الأهالي وكانت الأمور في عصرهم منتظمة وإن كان يصدر عنهم الحيف والجور والميل إلى أطراف أحد الخصمين أحيانًا وكان نفوذهم لم يرق في عيون طائفة ميسيونير فصاروا سببًا لإلغاء تلك المحكمة والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

بتشكيل آلاي مركب من ألف نفر وثلاثين آلايا مركبًا كل واحد منها من خمسمائة من خيالة باشقرد وميشر وفوض هذا الأمر إلى آطامان أورنبورغ مير آلاي أوغليتسقي وقد استفادت الروسية من خيالة باشقرد في هذه المحاربة استفادة باهرة.

وفي سنة ١٨١٨ أذن لباشقرد ببيع أراضيهم، وفي سنة ١٨٢٤ وضع النظام والقوانين الجديدة في شأن الأراضي التي كان يسكن فيها باشقرد وميشر، وفي سنة ١٨٢٥ مات ألكساندر الأول وملك مكانه أخوه نيقولاي الأول[1]، وفي سنة ١٨٢٦ وضعت قوانين إعطاء البارود والفشنك لعساكر باشقرد. وفي سنة ١٨٢٧ وضع النظام للتحديد بين أراضي باشقرد وبين الأراضي التي تركت للميري، وفي سنة ١٨٢٨ صدر الأمر للأهالي بحمل الحكام الملقبين بكانطون على العربيات والخيل إلى مقصدهم مجانًا إذا قصدوه للخدمة الميرية وكانت تلك العربيات والخيول المترصدة لحملهم تسمى الآغا. وفي سنة ١٨٣٢ عينت حقوق المالكية لأراضي باشقرد في جهة أورنبورغ ووضعت في ذلك نظامات جديدة، وفي سنة ١٨٣٣ عين المعاش لأئمة آلايات باشقرد العسكرية لكل نفر ثلاثمائة روبلة سنوية وهي عبارة عن مائة روبلة جارية الآن وفيها وضعت الأصول الجديدة لبيع أراضي باشقرد وإجارتها وعينت حقوقهم فيها.

وفي سنة ١٨٣٤ صدر الأمر بإجراء الأحكام العرفية على أرباب الجناية من باشقرد وميشر وفي سنة ١٨٣٥ صدر الأمر بإعطاء مصاريف ٤٨ نفرًا من الخزينة في مقابلة تسفيرهم المنفيين إلى سيبريا من طريق زولونا أوست، وفيها قطعت ١٥٨٤٧٢ ديساتينًا من أراضي ولاية سراطاو من حدود ولاية أورنبورغ بمقتضى نظام تحرير النفوس السابع وتركت لباشقرد وتركت للميري ٨٣٧٤٩٧ ديساتينًا من الأراضي في قصبة وولسكي و٥٥٢١٥ ديساتينًا في قصبة خوالين وجل المماليك الميرية الذين ليس لهم أراض كافية وفيها صدر الأمر بترك العساكر الذين أخذوا من أولاد باشقرد وميشر لجنايتهم إلى إدارات كانطون دون أن يضموهم إلى آلايات عساكر كانطون فإن طائفة باشقرد وميشر يعدون من العساكر الخصوصية.

وفي سنة ١٨٣٦ أسست الأركان الحربية الخصوصية لأجل إدارة عساكر باشقرد وفي سنة ١٨٣٧ حكم على اثنين وخمسين نفرًا من باشقرد بتنزيلهم إلى سلك أخس

(١) وهو وإن لم يكن مثل والده وأخيه وجدته في معاملتهم المسلمين إلا أنه لم يظهر في عصره شيء يسيء المسلمين وغاية ما يقال في حقه إنه هيأ طرق المداخلة الآتية. منه عفي عنه.

الأصناف وأعطى لهم من الأراضي ١٥ ديساتينًا فقط من الأرض لامتناعهم من لبس اللباس العسكري المسمى بأونيفورما وصدر الأمر بدوام هذا الحكم لكل من يخالف القواعد العسكرية بعد ذلك، وفيها أذن لباشقرد بأخذ الحجج والوثائق من محاكم الورسية لأجل أراضيهم المشتراة بشرط أن لا يكون قيمتها أزيد من ألف روبلة وفيها صدر الأمر أيضًا ببناء مخازن للذخائر والحبوبات في أراضي باشقرد واقتناء الذخائر والحبوبات فيها للاحتياط وبأخذ روبلة واحدة ممن ليس زراعة، وفيها أيضًا صدر الأمر بتبليغ الأوامر المتعلقة بباشقرد إلى أمرائهم العسكرية بواسطة ولاية والي ولاية أورنبورغ.

وفي سنة ١٨٣٩ أعطى أمراء عساكر باشقرد الذين حازوا ميدالية اصتانصلاو رتبة دواران (يعني الأصالة وكشي زاده وخاندان) من طرف إدارة الميدالية المذكورة، وفيها صدر الأمر لمن أراد أن يسافر للتجارة والصناعة من عساكر باشقرد بأخذ تذاكر السفر من أمرائهم، وفيها أعطي الحكام المسمون بكانطون من النفوذ ما يساوي نفوذ آستانا وآي وريمسكي (يعني حكام النواحي)، وفيها بنيت أيضًا مخازن الذخيرة الاحتياطية في دائرتي الكانطونية السادسة والتاسعة فإن الذخيرة لم تكن مقدار الكفاية لقلة الزراع فيها.

وفي سنة ١٨٤٢ عدت نفوس الأجانب الذين سكنوا في أراضي باشقرد فزادت على مائة ألف نفس فصدر فيها الأمر بأن من أراد أن يسكن فيها يلزمه الاستئذان من الوالي، وفي سنة ١٨٤٣ عينت الأوصياء لأولاد باشقرد الأيتام، وفيها صدر الأمر بأخذ الصنف الأدنى من أهالي أورنبورغ وچيلابي للعساكر الخيالة.

وفي سنة ١٨٤٥ وضعت أصول أخذ البدلات العسكرية من باشقرد وقيدت في الدفاتر، وفيها وضع النظام لجمع البدلات العسكرية من طائفة باشقرد الكائنين في الكانطونية الثانية عشر، وفيها أجريت أصول إلباس اللباس العسكرية المخصوصة بعساكر باشقرد وفيها صدر الأمر بحمل الحكام الملقبين بكانطون وعساكرهم الكائنين في ولايات پيرما وواتكا إلى العربيات والخيول مجانًا حين سيرهم في الخدمة الميرية وهذه الوظيفة تسمى بآلاغ كما مر وتسمى في العربية بريدًا، وفيها عين فدية الخلاص من السوق إلى الخدمة الميرية وهي ثلاث روبلات لمن كان في سن الخدمة وروبلة واحدة للصغار ولمن تخلص من الخدمة.

وفي سنة ١٨٤٧ وضعت على طائفة باشقرد وميشر الغرامة المسماة بغرامة الناحية، وفيها ألغيت الكانطونية الأولى وأحدثت في ولايات أورنبورغ وپيرما وواتكا

ثلاث عشرة كانطونية من باشقرد وأربع كانطونية من ميشر وعينت بدلات الخدمة في الكانطونية الرابعة والثانية، وفيها حرر من حاز رتبة الدورانية من طائفة باشقرد وميشر من كافة المؤونات والغرامات الميرية.

وفي سنة ١٨٤٨ صدر الأمر بإدخال طوائف قرغز وقزاق وسائر الأقوام الآسيوية في سلك العساكر الخيالة المسماة عند الروسية بكزاچي وقزاق، وفيها صدر الأمر بقبول عشرة أولاد من أولاد باشقرد الأذكياء المستعدين لشعبة من شعبات المكتب الحربي في أورنبورغ بمدة خمس سنين لتعليمهم العلوم الهندسية وعين لهم ٥٠٦ روبلة للمصارف السنوية.

وفي سنة ١٨٤٩ صدر المنع عن إدخال أولاد باشقرد في سلك كانتانيست وفيها صدر الأمر بتعليم علم تلقيح الجدري لأولاد باشقرد بشرط معرفتهم لغة الروس.

وفي سنة ١٨٥٠ صدر الأمر بعدم تفريق أولاد باشقرد الذين نالوا الشهادة (ديپلوما) بعد ختمهم قراءة الفنون في واحد من مكاتيب الروسية عن الطائفة العسكرية الباشقردية.

وفي سنة ١٨٥١ صدر الأمر بإعطاء معاشاة الأمراء العسكرية والمأمورين الملكية من باشقرد من المبلغ الحاصل من بدلات الخدمة الباشقردية الميرية.

وفي سنة ١٨٥٢ ألغي جميع ما كان يؤخذ من باشقرد أولاً في مقابلة الخدمة الميرية وغيرها لعدم كونها عامة لجميع الأشخاص وعين مكانها لكل شخص روبلتين وثلث روبلة (ينبغي أن يعلم هذا ليس من كافة النفوس بل من الرجال الذين لهم أراض يزرعونها دون الإناث والأولاد الذين لا أراضي لهم)، وفيها صدر الأمر بكون واحد من أعضاء القوميسيون الذين وظيفتهم إسكان المهاجرين في أراضي باشقرد من عساكر باشقرد وميشر، وفيها عين معاش مخصوص وأجرة المسكن لمن كان من أولاد باشقرد في سلك كانتانيست من آلاي أورنبورغ ولمن دوام في شعبة علم الطب من دار الفنون في قزان، وفيها أحدثت في بلدة أوفا محكمة مخصوصة لنظارة أراضي باشقرد وإسكان المهاجرين فيها.

وفي سنة ١٨٥٣ حررت كافة الأمراء والكتبة والرؤساء والعلماء من جميع المؤونات والغرامة الميرية.

وفي سنة ١٨٥٥ م مصادفة سنة ١٢٧٢ هـ مات نيقولاي أثناء محاربة قريم وسيواستاپول المشهورة وجلس مكانه ولده ألكساندر الثاني من هذه السلالة وكان حليمًا عاقلاً مدبرًا وقورًا ومع ذلك لم يكن للمسلمين كأسلافه القريبة بل غلبته شياطين ميسيونير حتى ابتدأ في عصره الدور الثالث كما سيجيء.

وهذا ما انتهى إليه علم الفقير من أحوال باشقرد ومعاملة الروسية معهم في تلك المدة بيناها على حسب اطلاعنا القاصر لكن ينبغي أن يعلم أن أراضي باشقرد التي سميت وقتًا ما هنغرية كبرى كما مر في المقدمة وقد بينا الآن بعض أحوال أهاليها كانت واسعة غاية الوسعة ومنبتة وجيدة غاية الجودة وفيها من الغابات المشتملة على أنواع الأشجار ما لا يعد ولا يحصى وكذلك فيها من الأنهار الكبار والصغار ما لا يحصى كثرة إلا أنهم لم يقدروا قدر تلك الأراضي حق قدرها بل ضيعوها ضياع شيء لا يعبأ به بأن باعوها لا سيما الغابات والمشاجر الجيدة من أعيان الروس الملقبين بآلپاوت وبايار وغيرهم من الأغنياء بأبخس قيمة وأقل ثمن ولفظ البيع أيضًا إنما هو رعاية لظاهر الصورة وإلا فلا بيع في الحقيقة بل أعطوها مجانًا ولم يبق منها في أيديهم إلا القليل وهذا القليل أيضًا لا ينتفعون به ولا يستعملونه حق الاستعمال بل يعطلونه ويضيعون الأشجار بالاحتطاب والإحراق والبيع بأدنى الثمن وهم عارون عن المعارف والصنائع حتى عن الزراعة ولا أدري أن هذه الكسالة والبطالة والجهالة فيهم من القديم أم هي شيء حادث وقد نقلنا في المقدمة عن علماء اتنوغرافيا كونهم متجانسين لماجار فإن كان هذا صحيحًا فسبحان من لا يتغير ويحكم على غيره بالتغير والتبدل بالطلوع والهبوط والترقي والانحطاط ولعل إنكار من ينكر القول المذكور إنما هو للتفاوت الفاحش بين القبيلتين والله سبحانه أعلم وعلى كل حال فالقباحة في ذلك في الحكومة فإنها لم تستول على أراضيهم بالحرب بل بالمصالحة وبعبارة أخرى أصح وأصدق بالمخادعة ثم استخدمتهم في محافظة حدود ممالكهم الشرقية مدة مديدة أعني إلى أن حصل لها الأمن من مهاجمة الأقوام الشرقية ومن أشعار قوم باشقرد في وصف تلك المحافظة والحراسة.

شعر:

صقمارنك بويي قومایاق قومایاقنگ توبي بر مایاق

شول مایاق تو بن صاقلاي صاقلاي صار غایادر باشقرد خلایاق

ثم لما اطمأنت من جهة الأقوام الشرقية قالت: قضيت حاجتي كس أم جارتي حيث شرعت في تضييع أراضيهم وتقسيمها إلى الأجانب والتعرض على دياناتهم فإن المكرهين الموجودين في أراضي باشقرد عمومًا ونوغايبك خصوصًا من ذريات هؤلاء الباشقرد الذين قاموا بحراسة تلك الحدود فكانت ذرياتهم هدفًا لتعرضاتها بعد زوال الخوف من أعدائها وحصول الأمن لها من مهاجماتهم بدل أن يعاملوهم بالتي هي أحسن فحرموهم من دينهم ودنياهم وقد تبين من هذا البيان معاملة الروس مع طائفة باشقرد وميشر الذين فيما بينهم في الأمور المتعلقة بالخدمة الميرية والعسكرية وتأدية الغرامة الميرية في تلك القرون إجمالاً وأما معاملتهم مع أهل ولاية قزان في هذه الأمور فقد مر إعلان إيوان المدهش لأهالي قزان بأنه يأخذ عنهم ما كان يأخذه خوانينهم السابقون عنهم من المؤونات وليس مبلغه معلومًا لنا وقد قال الفاضل المرجاني أنهم كانوا يأخذون من كل بيت مبلغًا معينًا ولم يذكر المبلغ المذكور ثم قال: وكانوا يكتفون باتفاقهم معهم وإعانتهم إياهم عند ظهور الأعداء أحيانًا وفي عصر پيطر الأول قيدت النفوس في السجلات وصاروا يأخذون الغرامة[1] من كل نفس من الكفار والمسلمين ويأخذون العساكر من نفوس معلومة نفسًا واحدًا باسم صالدات وكلفهم أيضًا بخدمة لاشمان (جر السفاين من الأنهر) وإعداد أخشاب بلوط من الغابات لصنع السفاين علاوة على الخدمة العسكرية ثم ألغيت خدمة لاشمان بعد حدوث السفن البخارية (البواخر) وبقيت الخدمة العسكرية وكان الأخذ لها غير منتظم وجبريًا وربما كان الذي يتوجه إليه القرعة العسكرية يهرب أو يختفي في مكان فيؤخذ مكانه غيره ظلمًا ولهذا كان الذي يتوجه إليه القرعة يقيد ويحبس بعد قرب وقت الأخذ لئلا يهرب وكان مدة العسكرية طويلة جدًا عشرون وخمسة وعشرون سنة ثم في سنة ١٨٧٤ قر النظام بأخذ العساكر من عامة الأهالي من التتار وباشقرد وأهالي حاجي طرخان سواء فيه أولاد العلماء والأغنياء والأعيان وألغي أخذ البدل العسكري الذي كان جاريًا قبلها وذلك الأخذ جبري بحيث لا يمكن التخلص منه بالفرار بل يؤخذ الفار متى رجع إلى وطنه ويقيد في سلك أخس من العسكرية ويدوم ذلك إلى أن يتجاوز الفارّ سنّ العسكرية والمدة قليلة والحاصل أن القواعد العسكرية في الروسية مثل قواعد سائر الدول فيها سواء بسواء يستوي فيها المسلمون وغيرهم سوى أهل

(١) وقد مر قريبًا مهاجرة أهل قزان إلى أراضي باشقرد عند ذلك ورد بعض منهم بفرامان پطر الأول. منه عفي عنه.

تركستان وما وراء النهر وفرغانة والداغستان وقرغز وقزاق فإنه لا يؤخذ منهم العسكر إلى الآن وأما الغرامة أعني الويركو فإنها مختلفة باختلاف الأجناس والمكاسب فأهل ولاية قزان وسمبر ونيژني وواتكا يؤخذ من فلاحيهم ضعف ما يؤخذ من فلاحي باشقرد وكذلك فلاحوا الداغستان وما وراء النهر وفرغانة وأرباب البساتين منهم لهم أصول وقوانين على حدة وأما التجار فيؤخذ منهم على حسب رتبته في التجارة[1] لا على حسب ثروته يستوي فيه المسلم وغيره.

ولنرجع الآن إلى بيان معاملة الروس المسلمين في أمورهم الدينية: قلنا فيما سبق أن من لا يعرف عادة الروس وتعصبهم يحمل كلامي إلى المبالغة والغلو فلدفع هذا التوهم أحببت أن أنقل تلك الماجريات عن بعض الطائفة المذكورة أعني طائفة ميسيونير المثبت في مجلة روسكي ويستنيك بقلم يوزيغويج وإمضائه تحت عنوان النصرانية والإسلام والمجوسية في شرق الروسية وقد ألفت المجلة المذكورة في مارس سنة ١٨٨٣ نمرة ٣ والمترجم للكلام المذكور بعض فضلاء الطلبة بقزان عربته برمته وإن لزمه بعض التكرار لإتمام الفائدة واطمئنان القلوب.

[النصرانية والإسلام والمجوسية]

قال: النصرانية والإسلام والمجوسية في الولاية الشرقية من الروسية يعني ولايات قزان وأوفا وأورنبورغ، الأقوام الغير الروسية في تلك الولايات ينقسمون بحسب الجنسية إلى قسمين جنس تركي وهم التتار وباشقرد وتيبتر وميشر وجنس فني وهم چواش وچرمش وموقشي (برطاس) وآرو ينقسمون من جهة الدين إلى ثلاثة أقسام مسلم ونصراني ومجوس المسلمون من جنس الترك تتار وباشقرد وتيبتر وميشر والمكرهون منهم على التنصر «٢٧,٠٠٠ نفرًا» في ولاية أوفا و«٤٠,٠٠٠» نفرًا في ولاية قزان والجنس الفني منقسم إلى قسمين نصراني ومجوسي والنصراني من الأقوام الغير الروسية في ولاية قزان بموجب العد والتحقيق «٤٧٥,٧٨٣» وفي ولاية أوفا «٥٥,٢٠٠» والمجوس منهم في ولاية قزان «١٠,٥٣١» وفي ولاية أوفا «٨١,١٠٠» ولكن إذا حقق الأمر غاية التحقيق لا تنطبق الأرقام المذكورة الواقع من جميع الوجوه فإن المعدودين من النصارى منهم لم يرفضوا المجوسية بالكلية بل لا يهربون من الإسلام أيضًا (هو في الواقع كذلك بل أكثرهم على ذلك كما سيظهره المستقبل)

(١) فإن التجار عند ثلاث طبقات الأعلى والأوسط والأدنى. منه عفي عنه.

وابتداء أحداث قوانين إدخال الأقوام الساكنين على شواطىء نهر وولغا والتشبث بأسبابه كان في عصر إيوان بن واسيلي الملقب بغروزني (مدهش) بعد إمحاء خانية قزان وضمها إلى الروسية وصرامة حكومة الروسية وشدتها في إجراء وظيفة الميسيونيرية (الإكراه والاضطهاد) لم تزل محفوظة ومنتقشة إلى الآن في قلوب الناس وأذهانهم وانتشر لقب غروزني (مدهش) فيما بين المكرهين وبقي إلى الآن مستعملاً في حكاياتهم وأشعارهم وتلك الحكايات والأشعار تدل على قساوة من كانوا يباشرون أمر الإكراه وشدتهم ووحشتهم لا على رفقهم وحلمهم.

وفضلاً عن ذلك عد هدم مساجد المسلمين وطرد من بقي منهم على الإسلام من بين المنتظرين منهم (ولو كان هذه قليلون وهؤلاء كثيرون) وعدم الإذن والمساعدة لبناء مسجد في موضع قريب من الكنيسة وعدم المساعدة لإقامة من أبى منهم من التنصر في موضع يريده ويحبه ونزع أمثال ذلك من حقوقهم الصريحة لترويج إدخالهم في النصرانية مفيدًا ونافعًا في نظام ذلك العصر وهذه القوانين التي وضعت لإدخال المسلمين في النصرانية على هذا الوجه والطرز لم تتغير قط إلى عصر ونصف عصر ولم يحدث نظام وقانون ينفع المسلمين والمجوس قط وحيث إن الأثر الذي يثبت فائدة تلك التشبثات مفقود من أصله يعسر علينا بيان فائدة تلك القصورات[١]. وإنما ابتدأ تاريخ دعوة الأقوام الشرقية إلى النصرانية مبنية على الأساس المتين في العصر الثامن عشر بعد جلب آرخبپاستير[٢] (٠٠٠) قزان تيخون وسيلويستر انظار الحكومة إلى ذلك الأمر باجتهادهما وسعيهما وبعد تشكيل جمعية الميسيونير في محكمة إپيارخيا[٣] قزان على أصول قوية دائمية.

وقد أحدثت في دير بلدة ضيا وباغار ودسكي في سنة ١٧٣١ جمعية أخرى لترويج أمر جمعية قزان وتقويته ودعوة مسلمي ولايتي قزان ونيژني ومجوسهما إلى النصرانية ونصب يبرا[٤] ماناخ ألكسي رابيفسكي المشهور بالخدمة الكثيرة في الدعوة رئيسًا لهذه الجمعية الأخرى وقد أعطى المذكور رتبة آرخيما ندريت[٥] وجعل وكيلاً

(١) إذا كان بيان فوائد تلك القصورات عسيرًا بينوا لنا فوائد هذه التكاليف الجارية من سنة ١٨٦٦ إلى الآن ماذا حصلتم منها سوى نفرة مسلمي كافة الأقطار. منه عفي عنه.

(٢) لقب رتبة من رتب الروحانيين. منه عفي عنه.

(٣) محكمة مخصوصة للأساقفة في كل ولاية من ممالك الروس. منه عفي عنه.

(٤) لقب كبير الرهبان. منه عفي عنه.

(٥) لقب رتبة من رتب الروحانيين أدون من رتبة أسقف. منه عفي عنه.

حقيقًا من محكمة سينود بلا واسطة وأعطي الأسباب الكاملة الكافية فثابر ألكسي المذكور في الدعوة وزاد ملكته فيها وشوهد بعد ذلك رواجها.

وفضلاً عن ذلك رتب لائحة لترسيخ النصرانية وتقويتها فيما بين الأقوام الغير الروسية على أساس متين وحصل الإذن من محكمة سينود لإعداد عشرين نفرًا من غير الروس لرتبة سومشچينك (الخطابة) ممن يكون صلاحيتهم واستعدادهم للأمر المذكور أزيد من صلاحية وقابلية الروس ولبناء مكتب روسي لهؤلاء مع المعلمين فيه ومصاريفهم وسائر أسباب المكتب المذكور وطلب الامتياز الخاص والعفو عن الغرامات الميرية أيضًا لمن يتنصر أو يجتهد في تحصيل معارف الروس ليكونوا رؤساء الدين والداعين إليه في المستقبل وليرغب فيه غيرهم وكان ألكسي المذكور فعالاً نشيطًا ومثابرًا في عمله ولذلك ولإعانة الحكومة إياه راج أمره وصار يترتب عليه النتيجة ولكن انقلب الأمر دفعة واحدة وذلك أن إيلاريون الذي كان ينظر إلى استقلال دير (مناستير) ضيا وباغار ودسكي بنظر الحسد والحقد نصب أرخيپسقبا[١] على كافيدر[٢] قزان فصار من نتيجته ومقتضى سعيه واجتهاده أن وضع دير ضيا تحت نظارة محكمة إپيارخيا قزان بموجب فرمان محكمة سينود الصادر في ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٧٣٢ فمن هذا الوقت وقع النزاع بين إيلاريون وألكسي المذكورين وكاد أن يتوقف الأمر الذي بدىء به قريبًا بسبب النزاع المذكور ولم يزل ذلك النزاع يزداد يومًا فيومًا حتى آل الأمر إلى شكاية إيلاريون من ألكسي بأنه صرف نقود طائفة ميسيونير في غير موضعها وانتهى بخروج ألكسي من خدمة ميسيونير وجمعيتهم ونصب مكانه شخص يسمى ألكساندر كوزمين ولم تكن له مهارة وحذاقة في أمر الدعوة فانجر الأمر بسبب الخطأ الواقع فيه الناشىء من فقدان المهارة والحذاقة وعدم الدقة والاحتياط إلى درجة عدم الامتياز بين جمعية ميسيونير وبين الحكومة الرسمية وأفضى إلى الشكاية إلى الحكومة والنزاع والجدال فاقتضى الحال لترسيخ أمر الدعوة وتقويته إلى تجديد الجمعية المذكورة وتسميتها بنوو كريشچينسكايا كانتورا (محكمة الاهتداء الجديدة) فصدر لأحداث هذه المحكمة في ١١ سبتمبر سنة ١٧٣٠ فرمان قطعي عال وكان الفرمان المذكور مشتملاً على پروغرام[٣] متضمن لثلاثة وعشرين بندًا مفصلة لبناء أمور

---

(١) لقب رتبة من رتب روحاني النصارى. منه عفي عنه.

(٢) كنيسة مخصوصة يجري فيها الأسقف معاملة الإدخال في النصرانية على من يريده. منه عفي عنه.

(٣) پروغرام: البرنامج، وهو بالفرنسية Programe.

المحكمة المذكورة عليها ولحركتها وسيرها بموجبها وكان خلاصة مضمون بنوده الخمسة الأولى عبارة عن بيان لزوم السعي والاجتهاد في إدخال النصرانية ونشر عاداتها بين الأهالي قبل كل شيء وبذل السعي والمقدرة في تقريب المتنصرين من النصارى في السكنى والإقامة وزرع بزر المحبة والأخوة بينهما حسب الإمكان وخلاصة مضمون البنود الستة بعد الخمسة المذكورة عبارة عن بيان التدابير في إسكان المتنصرين وتخليطهم بالنصارى حتى يحصل لهم ملكة النصرانية وعادات النصارى سريعًا باختلاطهم معهم وكان البند ١٣ والبند ١٥ وما بينهما متضمنة للأمر ببذل النقود والألبسة لمن دخلوا في النصرانية قريبًا وعفوهم عن الغرامات الميرية والخدمة العسكرية وإعطاء النياشين والميدالية وسائر الامتيازات ومن البند ١٦ إلى البند ٢٠ بين أعضاء تلك المحكمة ومواضع تحصيل الأموال اللازمة ومصارفها للأمر المذكور وفي البند ٢١ والبند ٢٢ بين بناء مكتب ديني لتخريج الروحانيين للمتنصرين وصدر الأمر الإمبراطوري لمحكمة سينود بتعيين الخدمة والأسباب اللازمة للمكتب المذكور وفي المادة ٢٣ بين لزوم مراجعة ناظر المحكمة المذكورة ومديرها إلى محكمة السينود لتحصيل الأسباب اللازمة لها وتبديل أعضائها. ونصب ديمتري سيچينف الذي كان أحد دعاة أكاديميا الروحانية في موسكوا مديرًا للمحكمة المذكورة.

[تنصير الأجانب]

وبعد أن شرع سيچينف في إجراء وظيفته بالجد شرع المتنصرون في الازدياد ولكن كلما زاد المتنصرون زاد الاحتياج إلى النقد (فإن تنصرهم إنما كان للنقد) فاحتيج إلى إدخال الناس في النصرانية بالمواعد وقد بلغ عدد المتنصرين في السنتين الأوليين إلى ١٧,٣٦٢ نفرًا فأعطى ٧,٤٨٠ نفرًا منهم النياشين ووعد ٩,٨٨٢ نفرًا منهم بالمواعيد والأماني وفضلاً عن ذلك زاد مصاريف نقل المتنصرين من قرى المسلمين والمجوس إلى مواضع أخر فغيروا نظام ذلك النقل وقلبوه بأن حكموا بنقل المسلمين أو المجوس الباقين على المجوسية إلى محال أخرى إن كان عدد المتنصرين أكثر ممن سواهم (وعندي أن هذا الشرط ظاهري فقط وسواد في البياض وإلا فقد أجروه من غير شرط) وفي سنة ١٧٤٢ نقل ديمتري سيچينف إلى ولاية نيژني نووغورد وعين مكانه سيلويستر وكان مديرًا في مكتب سيمينياريا بقزان فرأى المذكور أن جريان هذا الأمر إنما يكون بتكثير المكاتب فبنى في سنة ١٧٤٥ مكتبًا دينيًا بدير ضيا وقصبة آلابوغا وسار بوكاكشايسكي ففتح بذلك التدبير طريقًا جديدًا لنشر النصرانية ففي ذلك الوقت شرع المسلمون والمجوس في دعوة إخوانهم المتنصرين إلى الرجوع إلى دينهم

السابق يعني الإسلام والمجوس فوقع بذلك السبب نزاع وجدال قوي بين الأهالي وطائفة ميسيونير ولم يرتفع هذا النزاع بالفرمان العالي الامپراطوري الصادر في سنة ١٧٤٧ (ومضمونه عبارة عن إجراء مجازاة شديدة على من يقاوم طائفة ميسيونير) وعلى كل حال بلغ عدد المكرهين على قول طائفة ميسيونير إلى سنة ١٧٤٩ - ٢١٧,٢٥٨ نفرًا من الرجال والنساء من أقوام شتى ولكن شرع المتنصرون من ذلك الوقت في الرجوع من النصرانية إلى أديانهم السابقة وسببه المستقل هو دعوة المسلمين واجتهادهم في ذلك وازدياد عدد مساجدهم وشروعهم في بناء المكاتب والمدارس فجلب رجوع المتنصرين إلى الإسلام هكذا أنظار الحكومة واضطرها إلى منع ذلك الرجوع بطرق شتى كالوعظ والتهديد والترغيب والترهيب والوعد والتشديد بل بالعقاب الشديد ولكن كل هذا الاجتهاد والسعي والتدبير والتشديد لم يجدي شيئًا سوى سعي المتنصرين في الرجوع إلى الإسلام سعيًا بليغًا وصارت مساعي طائفة ميسيونير محبوطة فلم يجدوا للتشفي بالانتقام من الإسلام والمسلمين شيئًا سوى هدم مساجدهم التي هي مواضع عبادة الله الواحد القهار فوضعوا لذلك نظامًا لا يليق بغير الروس من بني البشر على وجه الأرض وهو هدم المساجد القريبة من المحكمة السالفة الذكر وشرعوا في إجرائه بغاية السرعة وهدموا مساجد كثيرة وصارت نتيجة الأمر المذكور تداخل[1] سائر الدول السياسة الروس واعتراضهم عليها فبدل النظام المذكور إلى نظام آخر وهو الإذن ببناء المسجد في موضع يبلغ عدد المسلمين فيه ٣٠٠ أو ٢٠٠ عائلة.

وفي سنة ١٧٤٩ شرع في إجراء وظيفة المحكمة المذكورة بالجد والصرامة والشدة أسقف قزان لوقا الكناشي وطفق يرش الملح في جروح المسلمين وأبدى لهم من العداوة ما لم يبده أحد قبله ولذلك لا يزال يذكر اسمه القبيح بالسوء بين المسلمين وكان أول ما بدأ به تكثير الكنائس ثم جمع أبناء المسلمين في المكاتب الأربعة المذكورة سابقًا وقد أجرى عليهم ما أراد وحكم فيهم بما يشاء فشرع المسلمون في تقديم العرائض إلى محكمة سينود قائلين بأن الكناشي يكره أبناءنا على التنصر ولكن من يسمع شكواهم ومن يقبل عرائضهم وهل يسمع رؤساء السباع شكوى الشياه من الذئاب وهي آمرة بأكلها وراضية به ومع ذلك صدر الأمر في ٤ الكانون الأول (ديكابره) من سنة ١٧٥٠ بأن من أراد التنصر فليقدم العريضة أولاً ثم يقبل

(١) ولم أطلع على كيفية تلك المداخلة. منه عفي عنه.

والتزم كون تلك العرائض بلغة الروس على ما هو الرسم هناك فأنتج هذا الأمر وشبهة إجبار طائفة ميسيونير إلى التنصر نزول عدد المتنصرين إلى درجة الصفر.

يقول راقم هذه الحروف: هكذا نقل عن المقالة المذكورة وليس فيه ما يعد إكراها في الشرع وفي الحقيقة لم ينحصر الأمر في ما ذكر فقط بل صدر للإكراه أفظع أنواع القتل كما ذكرنا والمقالة المذكورة محررة بغاية الاختصار لكتم فظائعهم وشنائعهم وستر عوراتهم وما ارتكبوه من الفظائع مركوزة في الخواطر مذكورة في الألسن على سبيل التواتر لا سبيل للإنكار وقد بنوا لهذا الغرض الفاسد مكتبًا مخصوصًا في قلعة زي أيضًا وجرى فيه من الفظائع ما تقشعر منه جلود السامعين وقد بقي بعض ما كنت أسمعه من والدي وسائر الشيوخ رحمهم الله من ماجريات المكتب المذكور في صغرى وقد شاهدت في قربها شرقها أو غربها حين صباوتي بعض الخنادق وكان والدي رحمه الله يخبرني بأنه أحدث من طرف الأهالي حين قتالهم بالروس دفعًا لشرهم وامتناعًا عن إكراههم وبقرب قصبة منزلة قرية للمكرهين تسمى قدرك وقد سمعت من والدي رحمه الله ومن غيره مرارًا أن الروس جمعوا أهالي تلك النواحي في ساحل نهر منزلة وأحاطوا بهم من كل الجوانب وبنوا على النهر المذكور بيتًا فوق أخشاب كبار طوال معترضة عليه وجعلوا له بابين من جانبي النهر وأدخلوا الناس فرادى من أحد البابين وأكرهوهم على التنصر فمن قبل أخرجوه من الباب الآخر ومن لم يقبله قتلوه ورموه في النهر المذكور فامتلأ النهر من جثتهم وعجز عن الجريان فتشكلت القرية المذكورة من هؤلاء المكرهين وسمعتهم يقولون: إن الروس إنما جاؤوا بالإكراه إلى ذاك الحد والخنادق المار ذكرها ثم إعادتهم طائفة باشقرد على أعقابهم خاسرين ودليل صحة هذا الكلام عدم المكرهين هناك سوى القرية المذكورة وسوى قرية تسمى ناراط آستي وأهالي كلا القريتين من أقبح خلق الله وأما قرية يكاكاشر فقد كانوا ثابتين على الإسلام وقد صدقت إسلاميتهم رسميًا مذ عهد قريب وكذلك ما حرر في المقالة المذكورة من أحوال الأسقف لوقا الكناشي ليس هو عشر عشيرها فقد صدر عن الملعون المذكور في حق الإسلام والمسلمين ما يعجز القلم عن وصفه.

[ظهور لوقا بن قناش]

وقد بين الفاضل المرجاني بعض قبائحه على خوف من حكومة الروس حيث قال: وفي سنة ١١٥٣[1] (يعني هجرية مصادفة سنة ١٧٤٠ م) ظهر لوقا بن قناش

(١) هكذا في نسخة تاريخه القلمية وقد مر نقلًا عن المقالة المذكورة سابقًا أن شروع لوقا في الأمر=

أسقف قزان وجمع جموعًا من الروس وشرع في تضييق المسلمين في باب الدين وتعرض للمساجد والمنائر بالهدم وعلق في بعض المواضع صلبانًا وأكره المسلمين على اتخاذها وقبل بعض أهل القرى تكاليفه في الظاهر على الكره منهم فقام من أهالي ذلك العصر الملا ايشبولاد وجمع جمعًا من المسلمين وحارب معهم الملاعين والمذكورين واشتهر صيته بين الناس وبقي ذكره بين المسلمين إلى الآن وصار يضرب بعصره المثل ويقال أين عصر الملا ايشبولاد وعلى ما اشتهر بين الناس عزل الأسقف المذكور وحبس في دير ضيا ومات فيه والمشهور بين الناس أيضًا أن وجهه انقلب على قفاه واشتهر هذا الأمر أيضًا فيما بين الروس وصورت صورته على الكيفية المذكورة وبيعت من الناس مدة مديدة ثم صدر المنع من طرف الحكومة عن تصويرها وبيعها سترًا لعوراتهم وصارت وقعة الأسقف المذكورة باعثة على بناء يكابسته اهـ كلام المرجاني بتعريبه ولم أدر بأي كيفية بنيت يكابسته في عصره وقد تقدم في أواخر المقصد الأول أن الأسقف المذكور هدم مقدار سبعين أثرًا من الآثار الباقية في بلدة بلغار والظاهر أن الملعون بقي إلى عصر يكاترينا الثانية فختم به أمر الإكراه الظاهري فإن الإكراه بالكيفيات المذكورة سابقًا ارتفع في عصرها.

قال في المقالة المذكورة بعد القول السابق وفي ٦ أبريل سنة ١٧٦٣ صدر الأمر من طرف يكاترينا الثانية بإلغاء محكمة نوو كريشچينسكايا (محكمة الاهتداء الجديدة) وإبطالها فبقيت الوظيفة الميسيونيرية بعد ذلك في سائر الجمعيات فقط فلو لم تلغ المحكمة المذكورة لترقت أمور طائفة ميسيونير.

يقول راقم هذه الأحرف: قد مر في أوائل هذا الكلام أن دور الإكراه والاضطهاد وأنواع الفتن والمحن امتد من زمن إيوان المدهش إلى زمان يكاترينا الثانية وأنها هي التي رفعت تلك الأمور وأعطت التوسعة للأهالي فابتدأ بعد ذلك الدور الثاني الذي هو دور التنفس والراحة الخ، وحيث إنها مشهورة بين أهالي تلك البلاد بالعدالة وحسن السياسة واسمها مذكور في ألسنتهم بالتعظيم والاحترام إلى الآن لا بد

= إنما كان في سنة ١٧٤٩ م وأما النسخ المطبوعة فقد أسقطت هذه الجملة برمتها وكتب بعض أعزة الأفاضل نقلاً عن بعض المجامع وفي سنة ١١٥٥ هدمت المساجد فعند ذلك كتب محمد گراي بن سلامت گراي أخو إسلام گراي الثاني إلى ملك الروس ألكسي بن ميخايل إنك أمرت بتخريب المساجد وأحرقت المصاحف ونصرت أرسلان الكرماني وعندنا كثير من النصارى لا نفعل شيئًا من ذلك ولا السلطان اهـ. منه عفي عنه.

هنا من ذكر بعض معاملاتها الحسنة اللينة مع المسلمين وأن تلك المعاملات على أي شي مبنية[١].

فأقول وبالله التوفيق لا شك أن يكاترينا الثانية رفعت أمر الإكراه في الدين على الطرز المذكور رفعًا تامًا وأعطت المسلمين في إظهار شعائر دينهم في أي محل كان الحرية وأذنت ببناء المساجد بل بنت المساجد في بعض المواضع من الخزينة الميرية ولم تقبل شكاية متعصبي الروس في ذلك بل لم تسمعها قط.

قال الفاضل المرجاني: أهل بلدة قزان عاشوا بلا مسجد مذ عصر إيوان المدهش إلى عصر يكاترينا الثانية وإنما كان لهم مسجدان في يكابسته مبنيان من الخشب وأما أهالي نفس بلدة قزان فلم يكن لهم مسجد إلا بناء مصنوع من الألواح كان يعبر عنه بصلاش وذلك لعدم المساعدة من طرف الحكومة ولما قدمت يكاترينا الثانية إلى بلدة قزان في سنة ١١٨١ هـ طلب المسلمون منها المساعدة في بناء المساجد فأجابتهم إلى ملتمسهم وأعطتهم ما طلبوا وساعدتهم في بناء المساجد وإجراء مراسمهم الدينية بكمال الحرية فشرع في بناء الجامع الأول (وهو الجامع الذي صار الفاضل المرجاني إمامًا فيه في عصره) وتم بناؤه في سنة ١١٨٣ ثم بنى الجامع الثاني (وهو المشهور بجامع كريم حضرة) ثم بنيت البواقي بالتدريج ولما بنى الجامعان المذكوران قدم بنيامين[٢] أسقف قزان في العصر المذكور عريضة للحكومة قال فيها: إن مع وجود مسجدين للتتار (في يكابسته) كيف يساعد لهم في بناء مساجد أخرى وقد بنوا مسجدين آخرين من الحجر وبنوا لهما منارة عالية يصعدون فيها كل يوم مرارًا وينادون الله الله ويزعجون الناس وفضلاً عن ذلك أن أحدهما قريب من كنيسة چيتيري إيوانكيلست والآخر من كنيسة إيليزابيت فلأي شيء يعطون تلك الوسعة مع كونها منافية ومخالفة للفرمانات الصادرة في سنة ١٧٣٩ وسنة ١٧٥١ وسنة ١٧٥٣ المشتملة على منعهم من بناء المسجد واختلاطهم مع المتنصرين وشراء أملاكهم وعقاراتهم وهم يعني المسلمين يخالفون تلك الفرمانات بالكلية ويرجع المكرهون إلى دينهم السابق (الإسلام) فإن كان ولا بد من الإذن ببناء المساجد كان الأنسب أن يؤمروا بنائها في مواضع بعيدة عن البلد وبغير منارة فخالفه والي قزان في العصر المذكور كباشين صمارين وأشار إلى يكاترينا بإمضاء حكمها السابق ومال إلى طرف المسلمين بأي

(١) ثم نعود بعد ذلك إلى إتمام المقالة الميسيونيرية وماجرياتهم بعد زمان يكاترينا. منه عفي عنه.
(٢) كذا في الأصل المنقول عنه. منه عفي عنه.

سبب كان فقالت يكاترينا جوابًا لعريضة الأسقف المذكور أنا لا أقدر على إجبار كافة الخلق الذين خلقهم الله سبحانه على طبائع مختلفة على دين واحد ومنعهم عن غيره وليس هو وظيفتي وحكمي جار على وجه الأرض لا على جو السماء فليس المنع من بناء المنارة في الجو من شأني فليناد كل أحد ربه بأي لغة شاء ومطلوبي أن يعاشر رعاياي من النصارى والمسلمين وأن يعامل بعضهم بعضًا بحسن المعاشرة والمعاملة والمجاملة وأن يطيعوني فيما آمرهم به من المصالح التي يعود نفعها إلى الدولة والملة وأن يعيشوا بتمام الراحة بلا مضايقة وأصدر هذا الأمر إلى محكمة سينود فحكم في المحكمة المذكورة للمسلمين على الأسقف المذكور في سنة ١١٨٧ هـ فصار المسلمون بعد ذلك يبنون المدارس والمساجد كيف شاؤوا وأين شاؤوا بعد أن منعوا عن ذلك أزيد من مائتي سنة ومساعدة يكاترينا بذلك يمكن أن تكون من طرفها ابتداء ويمكن أن تكون بناء على طلب الأهالي واستدعائهم إياها بواسطة العرائض.

[حكاية الشيخ فخر الدين النورلاطي]

وقد سمعت الشيخ الفاضل فخر الدين النورلاطي عليه الرحمة أنه كان يقول: إن المسلمين لما سمعوا عدالة يكاترينا حين كونهم في أشد المضايقة واضطهاد في أمر الدين من طرف مأموري الروسية طفقوا يرسلون الوكلاء بالعرائض من طرفهم إلى پيطر بورغ يشكون فيها ما بهم من المضايقة والتشديد ويسترحمون أن تزيلها وترفعها عنهم ولكن لقي هؤلاء الوكلاء أشد المقابلة والمدافعة وأقبح المعاملة من طرف النظار والوزراء ولم يقدروا أن يصلوا إلى يكاترينا وذلك أنهم أعني الوزراء كانوا يرمونهم في أضيق المحابس وأشدها ظلامًا فكانوا يعذبون فيها بالجوع والعطش وأنواع العذاب إلى أن يموتوا وكانت يكاترينا تفتش المحابس والسجون وتسأل عن أحوال المسجونين دائمًا ولكن الوزراء كانوا يكتمون محبس هؤلاء المساكين عنها ولا يظهرون أمرهم لها فلم يكن لها خبر عنهم وإنما كان محبسهم في زاوية مجهولة من زوايا سائر المحابس ولم يكن له طاقة سوى منور صغير فاتفق أن واحدًا من العساكر المسلمين وقع له نوبة حراسة السجن فاطلع على أمرهم فأمرهم بتعليق جرس صغير بجنب المنور وربط الحبل به وأرخى طرف منه إلى الخارج من المنور المذكور وقال: إذا جاءت الامپراطورة لتفتيش السجون ووصلت إلى هذا الحد أجر الحبل فمتى سمعتم صوت الجرس صيحوا مرة واحدة صيحة عظيمة ففعلوا فسألت يكاترينا عن الصياح وأصحابها فحاول الوزراء كتم الأمر ولكن العسكر المذكور بين حقيقة الأمر وكشف القناع عن

وجه القضية فأمر بفتح باب محبسهم فإذا بعضهم ماتوا وبعضهم في حالة النزع وبعضهم طائح على الأرض والذي هو أحسن حالاً صار وجهه مثل الكهرباء فأمرت بإخراجهم واستنطقتهم فبينوا لها حقيقة الحال فلما اطلعت على فاعل ذلك الأمر الشنيع ومرتكب هذا الحال الفظيع من الوزراء بعد التحقيق أمرت بقتله بأشد القتل وأقبحه ليكون عبرة لغيره وأعادت المسلمين معززين مكرمين نائلين مرامهم ثم نشرت الفرمانات بإلغاء المحكمة المذكورة الملعونة وبمنع الإكراه والاضطهاد وإعطاء الحرية في إجراء أمور الدين كما شاؤوا هكذا سمعت من الشيخ المشار إليه أثبته هنا كما سمعته غير اعتقاد صدقه وكذبه ولا يستعبد في ذلك العصر غير مادة قتل الوزير.

ومما ينبغي أن يعلم هنا أن المكرهين وإن طلبوا الرجوع إلى دين الإسلام بتقديم العرائض إلى يكاترينا إلا أنها لم تساعدهم في ذلك بل أمرتهم بالبقاء على ما هم عليه ولعل هذا لخوفها من ثوران الروس عليها.

[بناء محكمة الجمعية الإسلامية]

ومما يؤثر عنها أيضا بناء محكمة الجمعية الإسلامية وذلك أن المسلمين كانوا في نصب الأئمة والمدرسين والمؤذنين وبناء المكاتب والمدارس والمساجد سوى المواضع المستثناة وهي التي قربت من أماكن المكرهين ومن المحكمة الملعونة المذكورة وغير بلدة قزان مخيرين غير مكلفين بالاستئذان من الحكومة في تلك الأمور وكانوا يبنون المساجد والمكاتب والمدارس في أي موضع شاؤوا غير تلك المواضع المستثناة على أي وضع وهيئة كانت صغيرة أو كبيرة قلّت الأهالي أو كثرت وكانوا ينتخبون الأئمة والمدرسين والمؤذنين بكمال الحرية كيفما شاؤوا ولم يكونوا مكلفين بأخذ الفرامين والمناشير لتلك المناصب الدينية من الحكومة ومتى لم يرضوا من أفعال بعض الأئمة والمدرسين ولم يعجبهم أحواله كانوا يعزلونه وينصبون مكانه غيره وكانت الحكومة لا تتداخل في ذلك قطعًا كأنها لا تعبأ بهم وكانت الأئمة والمدرسون هم الذين يباشرون تقسيم التركات وفق الشريعة من غير مداخلة من جهة الحكومة أصلاً ولما ألغت يكاترينا تلك المحكمة الملعونة ومنعت متعصبي الروس وشياطينهم من إكراه المسلمين واضطهادهم في أمر الدين رأت أن تبني محكمة تنظر أعضاؤها وأفرادها في أمور المسلمين وتضبطها فبنت تلك المحكمة في بلدة أوفا التي هي أكثر الولايات مسلمين وسميت تلك المحكمة بمحكمة دوخاوناي صبرانيا يعني محكمة

الجمعية الإسلامية وحيث كانت بلدة أوفا تابعة لولاية أورنبورغ غير مستقلة سميت تلك المحكمة بمحكمة الجمعية الإسلامية الأورنبورغية ثم لما انفصلت بلدة أوفا من ولاية أورنبورغ وصارت ولاية مستقلة بنفسها لم تتغير النسبة السابقة بل دامت إلى الآن حيث يقال لها محكمة الجمعية الإسلامية والإدارة الشرعية المحمدية الأورنبورغية عادة ورسمًا وكان صدور الأمر والفرامان عن يكاترينا ببناء المحكمة المذكورة في ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٨ وتأسيسها وفتحها أول مرة في بلدة أوفا في ٤ ديكابر سنة ١٧٨٩ المصادف ٤ ربيع الأول من سنة ١٢٠٤ هـ، وكان ذلك بمعرفة وإلى ولاية سنبر وأوفا البارون الجنرال ايغلستروم وتقديمه لائحة في ذلك إلى يكاترينا أولاً حسب استشارتها في ذلك إياه.

وهذه صورة تعريب خلاصة فرامان يكاترينا جنرال ايغلستروم قد قبلت لائحتك التي قدمتها ينبغي أن يعرف استحقاقية الأئمة وسائر رؤساء روحانية الشريعة المحمدية لمناصبهم بواسطة الامتحان وأن يكون نصبهم وتعيينهم لتلك المناصب بفرامان ومناشير مصدقة من طرف مأموري الولايات وولاتها ما داموا في مملكتنا وتحت إدارة حكومتنا فآمرك أن تخرج هذا الأمر إلى الفعل وأن تفتح في بلدة أوفا محكمة جمعية روحانية الشريعة المحمدية بحيث تكون كافة علماء المسلمين[1] تحت إدارتها ونظارتها وتعين العلماء وتنصبهم بالامتحان إلى مواضع أخرى حسب اللزوم والاحتياج ويعطي لهم المناشير من طرف مأموري الولايات ويكون النظارة في أخلاقهم وسائر حركاتهم وسكناتهم لمأموري الولايات أيضًا وقد وجهت رئاسة الجمعية المذكورة من طرفنا لجناب آخوند محمد جان الحسيني بعنوان المفتي إكرامًا منا إياه وينتخب اثنان أو ثلاثة من علماء ولاية قزان ليكونوا أعضاء الجمعية المذكورة مع المفتي ويعين لكل واحد من الأعضاء مائة وعشرون روبلة (ريالاً مسكوفيًا) معاشًا سنويًا وقد فوضنا هذا الأمر إليك فأعلنه إلى الولايات التي فيها المسلمون صدر في بلدة پيطربورغ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٨ م ففتح الجنرال المشار إليه المحكمة المذكورة في العام الثاني من التاريخ المذكور على ما مر ثم عرض على يكاترينا هذه العريضة.

---

(١) وكان المسلمون في ذلك الوقت تحت حكومة الروس منحصرين في التتار والباشقرد والميشر أعني بهم القوم الذين يقال لهم في خارج ممالك الروسية أهل قزان وأما غيرهم فلم يكن تحت حكومة الروسية في ذلك الوقت سوى النزر اليسير من أهل داغستان الساكنين في ساحل بحر الخزر. منه عفي عنه.

إلى صاحبة المرحمة للجميع حضرة امبراطوريته الكائنة في مقام الامبراطورية العالي بناء على فرامانكم العالي الصادر في ٢٢ سبتمبر من العام الماضي في خصوص تأسيس محكمة دينية لتبعتكم المطيعين المحمديين فتحت المحكمة المذكورة وعينت لها أعضاؤهم المفتي الذي عينه حضرتكم وثلاثة أشخاص انتخبوا من علماء ولاية قزان بمعرفة والي ولاية قزان ووالي ولاية واتكا وهم فلان وفلان وفلان فقبلت هؤلاء الأعضاء وصدقت عضويتهم من طرفي ففتحت محكمة الجمعية الشرعية المحمدية في حضوري في هذا اليوم وفوضت إلى المشار إليهم وعينت لها من طرفي سر كاتب وسائر الكتاب وعينت أيضًا مقدار المبلغ اللازم لمصارف المحكمة المذكورة وقد قدمت الجداول المحتوية لبيان أعضاء المحكمة المذكورة وأفرادها وبيان نظامها وأصولها وغير ذلك مع هذه اللائحة ويؤخذ المصاريف العمومية للمحكمة المذكورة من المحكمة العليا ببلدة أوفا حسب الفرامان العالي حرر في بلدة أوفا في ٤ ديكابر سنة ١٧٨٩ م بارون ايغلستروم.

وهذه المحكمة سوى من ذكروا من الأعضاء سر كاتب وسائر الكتبة وترجمان وبواب وهؤلاء الكتاب والترجمان كانوا أولاً من الروس والآن جلهم بل كلهم من المسلمين وقوة هذه المحكمة محدودة في الغاية ليس لها شيء من الامتياز وكان هذا أعني عدم كونها مالكة لشيء من الامتياز شرطًا في أول تأسيسها وكانت في أول تأسيسها تحت نظارة وكالة النظارة الداخلية والآن هي تحت نظارة الداخلية بلا واسطة فهي مساوية للمحاكم الكائنة تحت إدارة النظارة الداخلية كمحاكم ولاة الولايات.

ووظيفة الجمعية المذكورة النظارة لأصول العبادة والتفتيش عنها ورؤية دعاوى النكاح والطلاق وما يقع بين الزوجين مما له تعلق بالشريعة والتفتيش عن أسباب عدم إطاعة الأولاد لوالديهم ورؤية الوصايا والحكم في الأوصياء وتقسيم المواريث والحكم في تلك المواد بشرط أن لا تكون المواد التي يراد الحكم فيها مخصوصة بالمحاكم الملكية وغير متعلقة بالأموال وموجبة للجزاء الشديد وإلا فيحال الحكم على المحاكم الملكية وكذلك الزنا ودواعيه وما يتعلق بالنكاح إذا تجاوز الجزاء فيها عن حد التوبة يحال الحكم فيها على المحاكم الملكية.

ومن أهم وظائفها تعيين الأئمة والخطباء والمدرسين والمؤذنين في المواضع اللازمة ونصبهم بالامتحان والبحث والتفتيش عن أحوالهم وأخلاقهم وسائر حركاتهم وسكناتهم وأنهم كيف يؤدون خدماتهم المختصة بهم وكذلك عزلهم مؤقتًا ومؤبدًا

وتعيين الأجزية عليهم على مقدار عيوبهم وجناياتهم بعد التحقيق والتدقيق ولكنها لا تنفرد في مادة العزل بل تباشرها بواسطة محكمة الوالي إلا أن المحكمة المذكورة ليس لها أن تبطل حكم الجمعية المذكورة بل إذا لم يرض أحد بحكم الجمعية المذكورة فله أن يعرض أمره على الوالي ثم إن الوالي يراجع الجمعية بموجب ما في العريضة من الشكاية فيرفع جوابها مع سائر المعلومات التي جمعها في الخصوص المذكور إلى نظارة الداخلية. وكيفية الامتحان أن أهل محلة إذا احتاجوا إلى إمام أو مؤذن أو خطيب أو مدرس ينتخبون واحدًا من أهل العلم من طلبة المدرسة مثلاً لتلك المناصب ويجمعون مضبطة ممضاة بإمضائهم مصدقة لانتخابه لها فإن لم يتفقوا على شخص فالعبرة حينئذٍ بالثلثين ويشترط في جمع تلك المضبطة كونه في حضور حاكم يلقب بوولصنوي ومختاري القرية إذا كان في القرى ولا يجوز أن يكون فيها إمضاء أحد من سائر المحلة ولا إمضاء شخص يسكن مع أبيه ولو كان كبيرًا ولا إمضاء صغير مع وجود كبير والحاصل شرطها أن يكون من كل بيت إمضاء واحد فقط بشرط أن يكون ذلك الواحد كبير العائلة فإذا جمعت المضبطة مطابقة لهذه الشروط تصدق من طرف حاكم ملقب بوولصنوي أو من طرف محكمة البوليس أو من طرف حاكم البلد ثم ترسل إلى محكمة الوالي فإن وجدت هناك موافقة للنظام ترسل منها إلى الجمعية الشرعية المذكورة فتدعو المرشح لتلك المناصب إلى بلدة أوفا وتمتحنه ثم ترسل الأمر إلى نظارة الداخلية حسب ما يظهر لها استحقاقه من الإمامة أو الخطابة أو التدريس فيجيء له المنشور من النظارة حسب إنهائها بواسطة ولاة الولايات، فإن وقع اختلاف بين أعضاء الجمعية يعتبر طرف الأكثر فإن تساوى الطرفان يرجح الجانب الذي فيه الرئيس أعني المفتي ولا عبرة بطرف المفتي وحده والمفتي يعينه الآن نظارة الداخلية ويصدقه الامبراطور ويعطيه الفرامان.

وقد مر أن المفتي الأول محمد جان عينته الامبراطوريته يكاترينا بنفسها وربما كان غيره أيضًا كذلك وأما انتخابه من طرف الأهالي فلم يسبق له مثيل إلى الآن ولم يندرج ذلك في فرامان يكاترينا وإن اشتهر بذلك بين الناس نعم ذكر بعض الأعزة من فضلاء هذا العصر إن هذا أعني تفويض انتخاب المفتي إلى الأهالي كان مندرجًا في الدستور الذي نظم ورتب في عصر امبراطور ألكساندر الثاني سنة ١٨٥٧[1] في القسم

(١) هكذا قال والحال أن تنظيمه وترتيبه في أيام نيقولاي أول وطبعه في عصر ألكساندر الثاني والعبارة المكتوبة على ظهره هكذا:

=СВОДЪ ЗакоНоВЪ россійсНОЙ ЙМперій поВеДЬНіеМЬ ГосуДаря ЙМпераТора НЙНогая

الأول من الجلد الحادي عشر الذي طبع قبل الطبع الأخير إلا أنه لم يعمل به في عصره أيضًا بل بقي سوادًا فوق بياض إلى أن مسح ورفع مرة واحدة فصار من قبيل شريعة نسخت قبل العمل بها.

وأما القضاة فينتخبون من العلماء بمدة ثلاث سنين وحق الانتخاب قيل كان للوالي وقيل كان للأهالي وقد مر أن تعيين القضاة الأولين كان من طرف والي قزان ووالي واتكا ولا يخفى أن الولاة لا معرفة لهم بمن يستحق العضوية بدون الاستعانة من الأهالي بمراجعتهم فيه والسؤال عن المستحقين وهذا الاختلاف إنما هو في وجود الفرامان في ذلك وعدمه من طرف الامپراطور فقيل بوجوده وقيل بعدمه وإلا فلا شبهة لأحد في كون الانتخاب فعلاً بيد الأهالي وجريانه كذلك مدة مديدة وسنين عديدة في بلدة قزان في محكمة مخصوصة بالمسلمين تسمى راطوشچه في حضور رئيس المحكمة المذكورة وشيخ العلماء الملقب بآخوند وبعد إلغاء المحكمة المذكورة أثناء محاربة قريم جرى أمر الانتخاب في محكمة كوتوال في حضور رئيس المحكمة المذكورة ورئيس الضبطية من الروس وآخوند من المسلمين فبذلك صار هذا الانتخاب شبيهًا بالرسمي ولم أقل إنه رسمي لعدم علمنا بالفرامان[1] ثم في سنة ١٨٨٩ م حول أمر الانتخاب على اختيار المفتي فقط من غير مراجعة أحد من الأهالي وقد قال الفاضل المرجاني إن الأمر كان كذلك في أوائل الأحوال كان المفتي يكتب (لعله إلى الوالي) بأن فلان وفلان وفلانًا يرسلوا أعضاء لمحكمة الجمعية الشرعية المحمدية فكان يرسلون بعد تصديق نظارة الداخلية بعضويتهم وعلى كل حال لا يكون الأعضاء أعضاء إلا بتصديق نظارة الداخلية.

---

nepBaro cocTaBДeHHbIй йЗДauie 1857 roДa. =

ولكنه في انتخاب وكيل المفتي والأعضاء المسمين بالقضاء وهناك عبارته:

1236 KouДйДaTbI ДTя BaйяTiя MBcTa My+ЖTiaя ЙЗйparoTcя MaroMйTaHckйMb oòщecTBoMb й oДййb йЗb ййхb йO IIpeДcTaBДeHiю MйййcTpa Buyяpeййblхb ДЖяb YTBepЖДйaeTcя BbIcoyайщerю BДacTiю. 1817 okt. 21 (29106) 152, 1832, cp. 2 - 5126.

1237 YДeйbI ДyxoBйaГo copauiя Takже, h36 йBoйpaюTcя MaroMeTайckйMb ooщecTBoMb. ДaЖДbIй йa TpЙ roДa й yTBepЖДaюTcя MЖcTHbIMb HayaДbcTBoMb, 1 1792 aBrye. 17 (17146).

(١) ومرادنا بالفرامان الفرامان المخصوص وإلا فقد علمت وجوده في الدستور والقانون. منه عفي عنه.

وجميع الضبط وكتابة الدفاتير والفرامان والإعلانات في تلك المحكمة أعني محكمة الجمعية الشرعية المحمدية جارية بقلم الروس ولغته لكونهما قلمًا ولغة رسميين وربما ينشر بعض الإعلانات بلغة التاتار وقلمه وربما ينشر بكليهما.

[الباعث على إحداث يكاترينا هذه المحكمة]

ثم لا يخفى أن الباعث على إحداث يكاترينا هذه المحكمة مع كونها محبة للمدنية والمعارف ونشرهما وأربابهما ومبغضة للظلم والعدوان ومائلة إلى بث العدل والآمان بين رعاياها الصادقين المطيعين ليس هو مجرد هذه الأمور بل هناك شيء آخر هو الغرض الأصلي لإحداثها وذلك إنها لما عزمت على محاربة الدولة العلية واستخلاص شبه جزيرة قريم من يدها وضمها إلى أملاك الروسية اقتضت هذه الحالة استمالة قلوب رعاياها وجلب محبتهم إلى نفسها ولا سيما المسلمين الذين هم متحدون بالدولة العلية وبأهالي قريم جنسًا ودينًا ومذهبًا ولغة لئلا يحدثوا اختلالاً داخليًا بانضمامهم إليهم وربما توهمت قيام أهل آسيا من القزاق وأهل بخارى وفرغانة وخوارزم وهجومهم إلى الروس بتشويق الدولة العلية إياهم فتكون الروسية محاطة بالمخاطرات الخارجية والمشاكل الداخلية إياهم وهذا الذي توهمه وإن كان بعيدًا بل محالاً من الدولة في ذلك الوقت بكونه من قبيل نهوض المحتضر وحركة الميت إلا أنها لما كانت متلبسة به نفسها في حق النصارى الذين تحت يد الدولة العلية كالصرب واليونان حيث كانت محركة ومشوقة إياهم ضد الدولة قاست الدولة نفسها وإن كان قياسًا مع الفارق وتوهمت التوهم المذكور لكونها عميقة الفكر ومتمسكة بالحزم وعاملة بقول الشاعر، شعر:

ولا تحقرن كيد العدو فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب

ولو فرضنا أنها لم تتوهم لا قيام هذا ولا هجوم ذاك فإحداث المحكمة المذكورة لجلب قلوب مسلمي آسيا ليس بشيء ولم يكن ما ارتكبته لتحصيل هذا الغرض منحصرًا لذلك بل بنيت في بلدة أورنبورغ كاروان سراي ومسجدها وكذلك مسجد بلدة طرويسكي في المحلة الأولى ومسجد ورخنوي أورالسكي ومسجد پيطر پاول ومناوناي (سوق المعاوضة) بأورنبورغ من الخزينة لتحصيل هذا الغرض المذكور حتى قال بعضهم: إنها خصصت واردات مينا وناي (سوق المعاوضة) الكائنة في أورنبورغ وطرويسكي لمصارف المسجدين المذكورين بهما ولم تكتف بذلك بل أصدرت فرامانًا في خصوص إرسال العلماء مع أهل قزان إلى بادية قزاق بإعطاء

المعاشات إياهم من الخزينة لنشر العلوم والمعارف فيما بين أهلها نقل هذا الفاضل المحترم عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي في چولپان عن جريدة ترجمان عن جريدة ولاية أوفا بل لها سوى ذلك من المآثر السياسية فقد قيل إن مدرسة ملا ايرنظر ببخارى بنيت بمالها وأمرها وذلك أن الملا ايرنظر لما ذهب إلى پيطر بورغ سفيرًا من طرف أمير بخارى في ذلك الوقت ووصف ليكاترينا حسن بلدة بخارى وكثرة مدارسها وعلوها وجسامتها أرادت أن تبني فيها مدرسة من مالها فأعطت السفير المذكور لذلك الغرض مبلغًا جسيمًا وأمرت ببناء مدرسة ببخارى تكون أكبر جميع مدارسها وأحسنها فغشها الملا ايرنظر وبنى هذه المدرسة المنسوبة إليه الآن فأرسلت يكاترينا بعد تمامها سفيرًا من طرفها إلى بخارى ليعاين مدرستها فأراه الملا ايرنظر مدرسة كوكلتاش التي بقربها وقال: إنها مدرستها التي بناها مالها سمعت هذا من مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطي عليه الرحمة والغفران والعهدة في ذلك عليه.

على كل حال فإنها تمكنت بمثل هذه السياسة المبنية على الفكر المتين بالعقل الرزين من دفع هجوم أهل آسيا على الروسية وإزالة نفرتهم عنها التي زرعتها أسلافها منذ قرون متطاولة وجلب محبتهم ومحبة رعاياها المسلمين إليها.

والحاصل أنها تمكنت بسياستها الحسنة من استجلاب فوائد للروسية وقيل جميع بغيتها وكافة نواياها من غير إراقة قطرة دم بحيث لولاها لما أمكن تحصيلها باستعمال القوة العمياء ولو ضحيت في سبيله ملايين من العساكر وصرفت خزائن دقيانوس مع كون هذه الأمور سطحية ومحدودة في الغاية إلا أن أهل آسيا لما كانوا في غاية من السذاجة كفت هذه الأمور أن يكون صبغة في عيونهم فحصلت بها كمال المناسبة بينهم وبين الروسية وانتظمت الأمور وفتحت طرق المواصفة واستراحت الطرفان من مضرات العدوان والمهاجمة وانتشرت أنوار العلوم وانفتحت أزهار المعارف والفنون في بادية قزاق وخرجت أهلها من ظلمات الجهالة خصوصًا مملكة بوكاي خان ولا سيما بعد حصول المناسبة الصهرية بين المفتي محمد جان وبين جهانگير خان أولاً ثم بين جهانگير خان والشيخ نعمة الله الاسترلي باشي ثانيًا.

بقي أنه مع كون غرضها من بناء المحكمة المذكورة ما ذكر هل اضمرت في قلبها شرًا ومضرة من هذه الجهة للمسلمين ولو بعد حين أعني بها ما لم تزل ترتكبها الحكومة الروسية إلى الآن على ما سيذكر إن شاء الله أو لا فقد ذهب إلى الطرفين

ذاهب وحيث إن النظر إلى سياسة يكاترينا وديانتها ومحبتها للعلم والمعارف ورغبتها في نشرها وسعيها في ترقيتهم يجوز الطرفان ولا دليل على القطع والحزم بأحدهما فالأولى أن نترك هذا الأمر على إبهامه ونفوض العلم بسرائر عباده إلى الله وعلى كل حال فإن إعطاء يكاترينا هذه الواسعة والحرية المسلمين في ذلك الوقت وجعلها إياهم من أعضاء الحكومة بعد أن قاسوا أنواع الذل والهوان والمهانة والشدائد التي مر ذكر نبذة منها وذابوا تحت أقدام الروس أزيد من مائتي سنة إحسان عظيم لا ينساه مسلموا تلك البلاد إلى يوم القيامة ولذلك تراهم يذكرونها دائمًا بالمحبة والتعظيم والاحترام ويذكرون صنيعها بالمسلمين في مقام الشكر والاستحسان، حتى أن نسائهم يتبركون بدراهم مضروبة في عصرها التي فيها رسمها وصورتها ويعلقونها على رقابهم والحق أن صنيعها بالمسلمين في تلك الديار جدير بالشكر والامتنان فقد بقي أثر توسعها إلى مائة سنة كاملة وكانت تلك المدة بالنسبة إلى المسلمين كمدة خلافة عمر بن عبد العزيز في مدة حكومة بني أمية كما قال بعض أعزة الأفاضل حيث لم يقع فيها تعرض لدينهم من طرف أحد لا صراحة ولا كناية سوى التشبث بأسباب إبقاء المكرهين على ما هم عليه كما سيجيء فضلاً عن التشديد والتضييق كان المسلمون قادرون في تلك المدة على توسعة تلك الدائرة التي رسمها يكاترينا توسعة خارقة للعادة لو اجتهدوا ووسعوا في ذلك بلطائف الحكم ودقائق السياسة والتدبير على الأصول ولكن الأسف كل الأسف على عدم مجيء أحد فيها خطر بباله الفكر المذكور فضلاً عن السعي والاجتهاد والتشبث بلطائف الحكم وحسن السياسة وإصابة التدبير وأنى يكون لهم ذلك وفي أي مدرسة يحصلونه وفي أي كتاب يقرأون ومن أي فم يسمعون وأحوال المسلمين المستقلين بأحكامهم في ذلك الوقت معلومة وتدابيرهم وسياستهم مشهورة فالتماس لطائف الحكم والتدبير الصحيح من مسلمي الروس في ذلك الوقت كالتماس الحوت من رؤوس الجبال فصاروا بغباوتهم هذه مظاهر أتم لمثل الصيف ضيعت اللبن فلا يلومن إلا أنفسهم.

[المفتي الأول محمد جان]

والحاصل أن المفتي الأول محمد جان جلس في مقام الإفتاء والرئاسة ٣٥ سنة وتوفي في سنة ١٨٢٤ م مصادفة سنة ١٢٣٩ هـ ولم يصدر عنه في تلك المدة ما يحق أن يثبت في التواريخ رحمه الله تعالى ثم عين مكانه للإفتاء بمعونة والي أورنبورغ بفرمان امبراطور ألكساندر الأول.

[المفتي الثاني عبد السلام بن عبد الرحيم]

المفتي الثاني عبد السلام بن عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن في سنة ١٨٢٥ م ودام في منصبه المذكور ١٤ سنة وتوفي في سنة ١٨٤٠ على التحقيق ولم يقع عنه ما يستحق أن يذكر في التواريخ في حق الملة وأما في حق الحكومة فقد صدر عنه خدمات كثيرة سنية كسلفه وقد نال الالتفاتات والمكافآت من الامپراطور في مقابلة خدماته المذكورة إلا أنه كان أعلم من سلفه وقد بنى مسجد أوفا الكبير بسعيه واجتهاده وإن كان من مال عبد المؤمن الخواجه السيدي وكان يؤدي الصلوات الخمس والجمعة بنفسه وكان لا يملك نفسه من البكاء وقت الخطبة حتى أن دموعه كان يسيل من لحيته وقد جمع الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي طرفًا من مكاتيبه المشتملة على أنواع المواعظ والنصائح للملة جزاه الله سبحانه لذلك خير جزائه وعفى عن سيئاته وزلاته.

[المفتي الثالث عبد الواحد بن سليمان]

ثم عين مكانه لمقام الإفتاء المفتي الثالث عبد الواحد بن سليمان بمعونة بعض كبراء پيطربورغ لأنه كان إمامًا بها وكان له معارفة واختلاط بهم بتلك المناسبة وكان ذلك في التاريخ الذي توفي فيه المفتي السابق فدام في منصبه المذكور مدة ٢٢ سنة وتوفي في سنة ١٨٦٢ م مصادفة سنة ١٢٧٩ هـ وعلمه وإن كان قليلاً إلا أنه يفهم من بعض أموره كونه صاحب حمية وغيرة. قال الفاضل المرجاني: كان قليل الاختلاط بأمراء الروسية وكبرائها حين كونه مفتيًا وكان له رغبة في إصلاح الأمور وإجراء أحكام الشرعية إلا أنه لم يتمكن من ذلك لقلة علمه وضعف أعوانه وقد منع بعض المتساهلين عن طبع المصحف من غير دقة وتصحيح بواسطة الحكومة وحاول إثبات العيب والقباحة لناظر المعارف في ذلك إلا أنه لم يتمكن من ذلك ولما صدر الأمر من طرف الحكومة بإلغاء الوضع القديم وإحداث الوضع الجديد في بناء المساجد وإلزام المسلمين على ذلك حاول أن يرفع هذا التضييق إلا أنه لم يقدر أيضًا أن يرفعه وهذه الأمور وأمثاله يدل على حميته وغيرته.

وكانت محكمة هذه الجمعية الشرعية من أول إحداثها إلى آخر أيام هذا المفتي الثالث في دار مستأجرة وقد أحدث أخذ مقدار ثمانية كاپيك ونصف من كل نكاح وخمسة عشر كاپيك لكل دفتر من دفاتر المواليد والوفيات في سنة ١٨٢٩ ولما اجتمع من الثمن المذكور ما يكفي لبناء المحكمة شرع لبنائها في أواخر أيامه وتمت في حياته

بجميع جهاتها ودائرتها على ما عليه الآن إلا أنه لم يوفق لدخولها وقد صرفت لبنائها سبعة وخمسون ألف روبل وقيل خمسون ألف روبل قال الفاضل المرجاني: والشائع بين الناس أنه كان يكفي لبنائها ثلاثون ألف روبل والباقي زائد اهـ.

[المفتي الرابع ميرزا سليم گراي التوكيلي]

وبعد مضي سنتين من وفاة المفتي عبد الواحد عين مكانه المفتي الرابع الميرزا سليم گراي ابن الميرزا شاهين گراي التوكيلي في سنة ١٨٦٥ م مصادفة سنة ١٢٨٢هـ وفتح المحكمة الجديدة وشرع في إجراء وظائفه ولم يكن من زمرة العلماء بل كان أبًا عن جد من جملة الأمراء الجهلاء الكائنين في خدمة الحكومة الروسية وكان حائزًا رتبة ملازم خيالة الروسية وهو أول شخص أقدم على قبول مقام الإفتاء والمشيخة الإسلامية من غير استحقاق وهو خيانة عظيمة لا يغتفر والذين قبله من المفتيين وإن لم يكونوا من أعلم علماء تلك البلاد إلا أنهم كانوا من جنس العلماء.

والحاصل أنه بموت المفتي عبد الواحد وبجلوس المفتي سليم گراي في مقام الإفتاء والمشيخة الإسلامية تم الدور الثاني الذي هو دور الراحة والتنفس بعد دوامه مائة سنة كاملة[1] وابتدأ الدور الثالث الذي هو دور الفتن والدسائس الخفية والمشقة والشرور، وتعيين مثل هذا الجاهل لمقام الإفتاء والمشيخة الإسلامية إعلام لكافة المسلمين هناك في الحقيقة بأنهم قد أدبر أيام بختهم وسعادتهم وأقبل أيام شقائهم ونحوسهم وأن أحوالهم السابقة التي كانت قبل تولية يكاترينا الثانية قد عادت إليهم ولكنها ملبسة بملابس أخرى ومصبوغة بصبغ آخر بحيث تكون شاملة للكل دون أن تكون مختصة ببعض دون بعض كما كانت سابقًا لأنه كان أوائل النصف الأخير من القرن التاسع عشر وقد تغير فيه كل شيء حتى أنك ترى أشد الأدوية بشاعة ومرارة كالجوهر البراق الصافي بحيث تميل إليه النفوس حتى أن بعض الأطباء لو أعطاك بعض الحبوب المسهلة المصنوعة من أبشع الأدوية ولم يقل إنها مسهلة لا تنقبض منها الطبيعة قط بل تميل إليه ميلاً شديدًا لكونه على صورة بعض الحلاوة ولا تحس بشيء من تأثيراته إلا بعد حركة بطنك ووقوع الإسهال وعلى هذا القياس جميع الأشياء كما لا يخفى على أربابه فحينئذٍ كيف لا يرمي ميسيونير الروسية فؤوسهم الكبار وعصيهم الطوال عن أيديهم ويظهرون في مظاهر أخرى ويتسلحون بأسلحة أخرى غير ظاهرة

(١) فإن أوله من جلوس يكاترينا الثانية في سنة ١٧٦٢. منه عفي عنه.

وقد انتشر ميسيونير الجزويت على كافة أقطار العالم متخرجين من مكاتب مخصوصة ماهرين في اصطياد سذج القلوب وكذلك جمع من ميسيونير أمريكا[١] وإنكلترا قد وردوا إلى الروسية وخيموا بسواحل نهري وولغا وجايق (أورال) وبلدة أورنبورغ ونصبوا شراك المكائد والاضلال لصيد أرباب القلوب السذج وشرعوا في الاصطياد بكمال المهارة في الخدعة واصطادوا بعض الأقوام المشهورين بنوغايبك فلا جرم بدل ميسيونير الروسية أيضًا مسلكهم السابق بمسلك آخر جديد مطابق للزمان ومقتضى الحال بحيث لا يتنفر منه إلا الأفراد ولا يفطن لكونه مكيدة ودسيسة إلا الحذاق.

وسبب آخر لتغير مسلكهم وشروعهم في إجراء وظيفتهم الإبليسية بالجد والنشاط والاتفاق والاتحاد بعد مرور تلك المدة من تركهم إياها في حق المسلمين أن المكرهين السابقين لما لم يتركوا التمسك بالشريعة المحمدية ولو سرًا وكانوا يطلبون العود إلى المجاهرة بالإسلام رسمًا بتقديم العرائض في جميع الأوقات سيما عند تجدد الامبراطور مع مضي تلك المدة من إكراههم وظهر للكل كذب طائفة ميسيونير في قولهم إنهم تنصروا حقيقة واختيارًا وتحقق لديهم عدم دخول أحد من المسلمين بإغواء طائفة ميسيونير في النصرانية قط مع أنهم ينفقون في كل سنة ألوفًا من الروبل في هذا السبيل ولا شك أن هذه المبالغ تخرج من كيس الأهالي قام الأهالي يؤنبون طائفة ميسيونير ويوبخونهم ويمنعون بعضهم بعضًا من إعانتهم خصوصًا لما حدثت الجرائد وكثرت صار أربابها ينشرون تكذيبهم وعدم الفائدة في إعانتهم حتى سمعت أن واحدًا من عقلائهم كتب في بعض الجرائد في الوقت المذكور أن المبلغ الذي صرفه طائفة ميسيونير من التاريخ الفلاني إلى التاريخ الفلاني بلغ خمسًا وأربعين مليونًا من الروبل ولم يشاهده في مقابلته أدنى فائدة ولم يدخل في النصرانية في مقابلة ذلك سوى أشخاص معدودين وهو أيضًا في دفتر ميسيونير فقط وأما الذين أسلموا من أرباب أديان شتى في تلك المدة من غير صرف خمس ديوان (كابيك) فقد عدوا بالألوف فلو صرف هذا المبلغ في احتياجات الدولة والملة والوطن من بناء المكاتب والمدارس

(١) قال المستر شيللر في رحلته التركستانية أنه وإن أرسل الدعاة إلى مدن أيرقوتسكي واسترخان وأورنبورغ بتشكيل جمعية ميسيونير إنكلتره وأمريكا في عهد ألكساندر الأول إلا أن الذين نصره هؤلاء عبارة عن أشخاص قليلة وقد نصر الميسيو نير جون ميخايل المقيم باسترخان الميرزا كاظم بك... وللذين تنصروا بواسطة الميسيونير فريزر في أورنبورغ محلة على حدة وسموا الكنيسة التي بنوها في خارج بلدة أورنبورغ كنيسة إنكليزية اهـ معربًا. منه عفي عنه.

وشراء الأسلحة وأمثالها لترتب عليه فوائد جسيمة ومنافع كثيرة فاللازم بعد ذلك سد باب إعانة ميسيونير الخ. ولا يستبعد ذلك فإن عيون الروسية كانت قد فتحت في الوقت المذكور فارتاع طائفة ميسيونير من سماع أمثال هذه الكلمات ارتياعًا لا يوصف لأنهم خافوا من خروج تلك الإيرادات الكثيرة التي ليس لهم مورد سواها من أيديهم فيقعون في أسوأ الأحوال لأنهم لا يحسنون شيئًا سوى الشيطنة المذكورة وقد كثروا وترسخت أقدامهم المشؤومة في المراكز المهمة الكبار من الحكومة وتمكنوا من إجراء نفوذهم وشيطنتهم بتلك الواسطة وأحدثوا بدل محكمتهم التي سبق ذكرها وذكر إبطال يكاترينا إياها جمعية لهم سموها (براتستوا سواتوي غوري) يعني جمعية الولي غوري.

والظاهر أن إحداثها كان في حدود سنة ١٨٤٢ أو قبلها وكان أعضاؤها كلها أو جلها من كبار رجال الحكومة وأرباب النفوذ التام فيها فطفقوا يلتمسون أنواع الحيل والدسائس لبلوغ المآرب وشرعوا يفتلون لذلك في الذروة والغارب وقد أعلن ٥٤٠٣ نفسًا من المكرهين في أعمال تتوش من ولاية قزان إسلاميتهم وكذلك نال أهل قرية كبك خواجه في ولاية قزان رخصته لإعلان إسلاميتهم رسمًا من ألكساندر الثالث حين ورد إلى قزان ونزل ضيفًا مكرمًا ببيت إبراهيم اليونسي وهو حينئذٍ ولي العهد على ما سمعت من بعض الثقات وكل ذلك في سنة ١٨٦٦ م وانضم إلى ذلك ازدياد ميل الوثنيين چواش چرمش آر إلى الإسلام والمسلمين واهتداء بعض منهم سرًا فزاد ذلك حمية طائفة ميسيونير الجاهلية فقاموا وقعدوا وأرعدوا وأزبدوا وشرعوا يتفكرون في اختراع حيلة ودسيسة لسد سبل الله لو قدروا.

وقبل الشروع في بيان مشروعاتهم المشؤومة لا بد من بيان ما هو مناسب لهذا المقام من تلك المقالة الميسيونيرية السابقة ليحيط القراء علمًا بما فيها.

قال: فلو لم تلغ المحكمة المذكورة من طرف يكاترينا لأنجح أمر طائفة ميسيونير وترقى كثيرًا ولكن من سوء الحظ انعكس الأمر حيث شرع المكرهون في الرجوع إلى دين الإسلام وطفق يزيد عددهم يومًا فيومًا بتأثيرات أثر دعوة الداعين وسعى الساعين من المسلمين ولا يخلو بيان[1] الأحوال الآتية وعرضها على أنظار القراء عن الفائدة في معرفة درجة أضرار المسلمين بأمور طائفة ميسيونير وإجراء

(١) هذا أيضًا من جملة تلك المقالة الميسيونيرية. منه عفي عنه.

وظائفهم وذلك أن الأقوام الفنية الذين يسكنون في شواطىء نهر وولغا ليس لهم ثبات في التمسك بدينهم ولا تصلب لهم فيه بل هم يعتادون بعادة قوم يختلطون بهم ويتخلقون بأخلاقهم ويتدينون بدينهم وبعض منهم وإن عدوا في الظاهر والرسم من النصارى إلا أنهم لم يتركوا عاداتهم القديمة الوثنية[1] حتى أنهم يعظمون يوم الجمعة تبعًا للمسلمين ويحلقون رؤوسهم ويلبسون الكوفية والطربوش على رؤوسهم ويعظمون نوحًا وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام فهؤلاء المقصرون لم يتباعدوا من الوثنية قط باعتبار الديانة (كذا) وأما المكرهون من التتار فهم على قسمين قدماء وأحداث فالقدماء منهم وهم الذين أكرهوا بعيد الاستيلاء على قزان وهم قد تعودوا بعادات الروس تمامًا بسبب كثرة إقامتهم بين الروس واختلاطهم بهم مذ تلك المدة المديدة وعددهم في ولاية قزان ٢٨,١٧٦ نفسًا وأما الأحداث فهم مغايرون للقدماء من جميع الوجوه وهم الذين أكرهوا بعد تأسيس محكمة الإكراه الجديد السابق ذكرها وعددهم أنقص من عدد القدماء بكثير وهم زهاء ١٧,٦٠٠ نفسًا في ولاية قزان ومع ذلك ينكر أكثرهم النصرانية ويأبون عنها إباء كليًا وأما في ولاية أوفا فكأنهم ليسوا بشيء لغاية قلتهم فإذا نظرنا إلى هذا يدرك صعوبة إدخال النصرانية فيما بين المسلمين وتمييز هؤلاء المكرهين الأحداث عن سائر المسلمين صعب جدًا فإنهم يتمسكون بالإسلام رغمًا عن اجتهاد المجتهدين في إدخال النصرانية وترسيخها فيهم فهم يعظمون يوم الجمعة ويلبسون ملابس التتار ويحلقون رؤوسهم ويذهبون إلى المساجد ولو أحيانًا وتعميدهم أولادهم في بعض الأحيان وإجرائهم عقد النكاح على أسلوب النصارى إنما هو المتستر والتقاة فقط فإنهم لو لم يفعلوا ذلك لزمهم إعطاء التكاليف والغرامات الميرية التي عفيت عنهم وسقطت في مقابلة إظهارهم التنصر وهم وإن أعطوا الأراضي مع سائر النصارى يتركون تلك الأراضي ويتحولون إلى مواضع فيها إخوانهم الدينية ويعطون فيها الأراضي.

والحاصل أنهم يتحملون كافة الشدائد من جهة المعيشة الحيوية ولا يرضون بإطلاق اسم النصارى عليهم قط وهم وإن عدوا رسمًا وظاهرًا من جملة النصارى من جدهم السادس والسابع ولكن الإسلام مترسخ في قلوبهم غاية الرسوخ والدليل القاطع على رفضهم النصرانية واتصافهم بالإسلام تقديمهم العرائض باسم الامبراطور طالبين

(١) قلت: إنهم إن أسلموا يرفضون عاداتهم الوثنية رفضًا باتًا ويبغضونها غاية البغض وهذا شاهد عدل لحقانية دين الإسلام وكونه دينًا طبيعيًا. منه عفي عنه.

الخروج إلى الإسلام رسمًا فلما تبين أحوال هؤلاء المكرهين وتشوقهم إلى الخروج إلى الإسلام رسمًا أجريت من طرف الحكومة أنواع التدابير لإبقائهم في النصرانية وترسيخها فيهم وتشبث في ذلك بأصناف الوسائل كتحويل المكرهين إلى أماكن الروس البعيدة عن المسلمين كما وقع ذلك في سنة ١٨٢٩ وسنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤١ يعني في أيام حكومة الامبراطور نيقولاي الأول ولكن كل هذه الأسباب والوسائل لم تجد شيئًا بل صارت سببًا لترسخ الإسلام وتقويه فيهم وفساد طبائعهم واختلال أمور معايشهم ولما لم يفد التشبث بتلك الأسباب شيئًا ولم يمنعهم من الخروج إلى الإسلام اضطرت الحكومة إلى التشبث بذيل وسيلة آخر لذلك بأن فتحت بموجب الفرامان العالي الامبراطوري قوميتة (جمعية) خفية وذلك في ٢٩ مارس الرومي من سنة ١٨٥٥ م (يعني في آخر أيام حكومة نيقولاي الثاني وخاتمتها) ومن جملة مندرجات ذلك الفرامان العالي أن المكرهين الذين لم يكن تنصرهم بمراجعة كبار القسيسين القريبين منهم يرسلون إلى محكمة روحانية النصارى بقزان ويجتهد في إرجاعهم إلى النصرانية بأي وجه كان وأولادهم الذين لم يعمدوا يؤخذون بواسطة البوليس من أبويهم جبرًا وقهرًا ويعمدون والأنكحة التي لم تجر على قوانين النصارى تجري مطابقة على قوانينهم فمن لم يقبل ذلك ولم يرض به تؤخذ زوجته وكذلك المرأة إن لم ترض تفرق وكان هذا النظام مختصًا أولاً لمكرهي مضافات قصبة مامادش من ولاية قزان ولكن لما لم يرض المكرهون به وردوه ردًا شديدًا بحيث لم يمكن إجراؤه فيهم (يعني من غير سفك الدماء) ألغي في سنة ١٨٦١ (يعني في أيام حكومة ألكساندر الثاني) وفي تلك الأثناء بلغ عدد الذين أعلنوا إسلامهم في مضافات قصبة تتوش فقط من ولاية قزان ٥,٤٠٣ نفسًا من الرجال والنساء فمن ذلك الوقت شرع عرائض المكرهين بطلب الخروج إلى الإسلام ترد إلى الامبراطور متوالية وهذه الحركة بدئت أولاً من متعلقات قصبة ضيا من ولاية قزان ثم عمت ولاية قزان كلها ثم سرت منها إلى سائر الولايات ولكن لم تتجاوز تلك العرائض حدود محاكم ولاة الولايات إلى ما فوقها بل ردت من هناك معللة بأنها مخالفة للقوانين والنظام إلا أن هذا الرد لم يقنع المكرهين ولم يمنعهم عن الإقدام على تقديم العرائض وطلب مطالبهم التي هي الرجوع إلى الإسلام لأنهم كانوا عارفين يقينًا بأن هذا الجواب والرد ليس من الامبراطور بل من الولاة ومن دونهم.

فلما رأت رجال الحكومة ذلك واستيقنوا عجزهم عن إبقائهم على النصرانية ومنعهم عن الرجوع إلى الإسلام اضطروا إلى التشبث لذلك بذيل وسيلة أخرى فصدر

الأمر في سنة ١٨[١] بنفي دعاة المسلمين للاهتداء والإسلام إلى قلعة تورخان بسبيريا فوجدوا منهم ٤٧ نفرًا ولكنهم لم يستنسبوا نفي جميعهم مرة واحدة فبدأت نظارة الداخلية بنفيهم على التدريج بناء على المصلحة المقررة في القسم الثالث من المحكمة الامپراطورية بأن نفوا الثاني بعد انقطاع القيل والقال في حق نفي الأول وهكذا فعلوا في الثالث والرابع إلا أن هذا النفي لم يعم الأشخاص المذكورين كلهم بل بعد نفي بعضهم صاروا يحاكمون المتهمين بتهمة الدعوة في المحاكم العادية ويحسبونهم ومع ذلك صدر الأمر إلى مجمع روحانية النصارى بقزان بدعوة المكرهين إلى النصرانية بالمواعظ والنصائح ولكن لم يترتب عليها أيضًا شيء من الفائدة لعدم مهارتهم وحذاقتهم في أمر الوعظ والنصيحة وقد أمر الأسقف كبار القسيسين بعدم أخذ الصدقة من المكرهين وأن يذهبوا إلى قراهم في جميع الأحيان فكان المكرهون يكرهون القسيسين غاية الكراهة بل كان أهالي بعض القرى لا يقبلونهم قط ولا يلتفتون إليهم قطعًا فطفقت القسيسون يستعينون في إجراء قوانين النصارى بينهم بواسطة رجال البوليس إلا أن هذا الأمر لم يلبث إلا قليلاً حتى ورد الأمر الامپراطوري إلى مجمع النظار بمنع مداخلة رجال البوليس في أمور طائفة ميسيونير وذلك بسبب إنهاء والي قزان بيان وخامة عاقبة المداخلة المذكورة إلا أن مصارعة المكرهين بطائفة ميسيونير لم تنقطع بذلك بل زادت وكثر البحث والتفتيش عن دعاة المكرهين وقبضوا على كثير منهم ولكن الرؤساء منهم لم يقعوا في الشبكة فوقع الاختلاف لأجل ذلك بين نظارة الداخلية وبين ناظر المفتشين (هكذا في أصل المنقول عنه ولعله ناظر الأديان) فصدر الأمر الامپراطوري في ١٦ سبتمبر من سنة ١٨٦٨ م بإصلاح المحاكم والمحاكمة في شأن طالبي الرجوع إلى الإسلام فرفعت نظارة الداخلية الأمر بعد التفتيش إلى مجمع النظار وطلب منهم تخفيف جزاء المحكومين فشرع المكرهون بعد ذلك في تقديم العرائض باسم الامپراطور بطلب العود إلى الإسلام رسمًا كما كان ذلك في سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٧٩ م وهذه العرائض وإن لم تنتج لهم نتيجة حسنة قط إلا أنهم لم يقطعوها بل داموا على تقديمها فظهر من البيانات السابقة أن التدابير المتخذة لإبقاء ألوف من التتار المسلمين في الحقيقة النصارى في الظاهر والاسم على النصرانية وكافة التضييقات والتشديدات والاضطهادات في ذلك لم تنتج شيئًا سوى توليد بغض الروس وعداوتهم في قلوبهم وازديادها بسبب ازديادها بمرور الأيام وكرور الأعوام وسوى إفساد أخلاق أهلهم وعيالهم وإيراث النقص

(١) في سنة ١٨ كذا بالأصل وباقي التاريخ مطموس.

والخلل في معايشهم الحيوية فلم تكن نتيجة تضييقات الحكومة على الوتيرة المذكورة سوى المضرة والخسران وسبب تلك النتيجة السيئة هو عدم مهارة رجال الحكومة وحذاقتهم (يعني في إجراء الشيطنة) وتشبثهم بالوسائل المذكورة بعد شروع المكرهين في الاهتداء والرجوع إلى الإسلام.

ولبغض المسلمين النصرانية أسباب أخر فإن المسلمين وإن كان فيها بينهم أفراد يخدمون السياسة بالطبع إلا أنهم يقدمون النقطة الدينية على النقطة السياسية فإن طلب الأقوام الإسلامية الذين أضعفوا بسبب تفريقهم وقطعهم مسلمي مركز الإسلام الكائن في الآسيا الوسطى والآسيا الصغرى الواقعتين في جهتا الشرقية والجنوبية والتماسهم الطريق بحل مسألة الإسلام والانضمام إلى مركز الإسلام بواسطة الآسيا الوسطى التي استولينا عليها قريبًا واجتهادهم في ذلك بالدقة أمر طبيعي ضروري بالنسبة إليهم وحين كان حدود مملكتنا من جبال أورال فقط استوطن في الآسيا الوسطى أقوام غير منسوبين إلى دين من الأديان قط (يعني القزاق والقرغز وهو كذب محض من جميع الوجوه) فصار الإسلام ينتشر بينهم شيئًا فشيئًا لعدم مهارة رجال حكومتنا في أمور السياسة وحين كان طرق سفر الحج ناقصة في الروسية وسلوك طريق القسطنطينية للحج عسيرًا وصعبًا كان سفر الحج يتيسر لأناس قليلة معدودة ولا شك أن مسألة الإسلام لما يكون منجرًا إلى أمور كبيرة سياسية وإنما كان يكفيهم إلقاء أنظار طائفة ميسيونير إليهم وأن يجروهم إلى النصرانية بعد أن استوطنوا فيما بينهم وقد تغيرت الأمور الآن ولا يجوز الآن حصر الأفكار إلى جهة الديانة فقط كما كان الأمور أولاً كذلك وانتشار الإسلام يحتمل أن يكون سببًا وباعثًا على الأمور السياسية الخطيرة في الآخر وداعيًا على مداخلة الدول الأجنبية ولهذا لا يكفي لمنع مسلمي شواطىء وولغا عن نشر الإسلام قوة طائفة ميسيونير بل لا بد من إعانة الحكومة بالدقة.

روح الإسلام وتعصب المسلمين له

إن السبب في بعض المسلمين النصرانية وبعبارة أخرى أصح سبب نظرهم إليها بنظر الاحتقار وسبب دوام الإسلام وغلبته على النصرانية إنما هو حصول المدد والقوة لهم من جهة الشرق من بلادنا (كذبت يا عدو الله ممن يجيء لهم المدد والقوة من هناك لم لا تقول من الله وتصديق قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٣] وقد زعم أولاً أن المسلمين المنغمسين في التعصب لا يقدرون على مقاومة طائفة ميسيونير الذين تربوا على أصول المدنية فيما بين نصارى الممالك المتمدنة وأن الإسلام مبني على أس الجهالة واعتقاد نصارى آوروپا أنه لا

يحتمل عدم مغلوبية تعصب الإسلام لطائفة ميسيونير القوية المتمدنة أصلاً وإنما نشأ هذا الفكر منهم من عدم دقتهم وعدم معرفتهم هذه المسألة حق المعرفة ونظرهم إليهم بالنظر السطحي فإن الإسلام ليس هو عبارة عن تصديق ما لا أصل له ولا أساس كسائر الأديان سوى النصرانية (كذا هل يمكن أن لا يضحك الإنسان هنا قائلاً ها ها هاي) وإنما وضع هو على الأساس مثل النصرانية (كذا) إدخال من لا يؤمن بالله الأحد إلى النصرانية سهل جدًا لا يحتاج فيه إلى قوة طائفة ميسيونير وسعيه وجهده ولكن المسلم كاليهودي (كذا) مؤمن بوحدانية الله الذي علمه محيط بكل شيء وألوهيته إيمانًا مبينًا على الأساس المتين وليس ترجيحه الإسلام على ما سواه من الأديان التي مبناها على التوحيد إلا لاعتقاده بتقادم دين موسى وعيسى عليهما السلام وبتجدد دين الإسلام ومقبوليته عند الله وكل محمدي يعتقد النصارى أنهم في كمال الجهالة (نعم أنهم يقولون في حق النصارى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩]) ويعرفون دين موسى وعيسى عليهما السلام ويعتقدون أن دينهما قد تقادم (يعني نسخ) بظهور محمد ﷺ وهم يستحيلون فرض كون الحق سبحانه عبارة ومركبة عن ثلاثة أشياء وعدا عن ذلك أنهم يعدون عبادة الصور المرصوصة عن عبادة الأصنام (كيف لا يعدونها كذلك وأي شيء يكون عبادة الأصنام سواها) وأنهم يعتقدون نبيهم أفضل جميع الرسل إلى غير ذلك من الأسباب التي تقاوم النصرانية غاية المقاومة وتضر دعاة النصرانية في شواطىء وولغا مدة مديدة وبعض هذه الأسباب وأقواها معرفة المسلمين القراءة والكتابة وكونهم أصحاب الديانة وأرباب المعارف والأخلاق.

(انظروا إلى ملعنتهم وتناقضهم في رميهم المسلمين بالجهالة والوحشة والتعصب الجاهلي) وسعي علمائهم واجتهادهم إلى غير ذلك من الأسباب ومعارف المسلمين العالية[1] وإن كانت قليلة وجزئية جدًا بالنسبة إلى المعارف اللازمة للإنسان لكونها ذات جهة واحدة فقط أعني بها العلوم الدينية التي هي محدودة جدًا إلا أننا إذا نظرنا إليهم من جهة أخرى أعني من جهة معرفة القراءة والكتابة نجدهم فيها فوق الروسية الذين في تلك الأطراف بمراتب كثيرة وحيث كانت معارف التتار منحصرة في علوم الدين فلها جهة نافعة وجهة مضرة أما مضرتها فإنها تضر معارف النصارى وأما منفعتها فإن المعارف على كل حال محبوبة لدى أنظار الناس ورغبة

(١) يعنون معارف العصر الجديدة. منه عفي عنه.

المسلمين في المكاتب والمدارس والإقامة فيها والدوام عليها أزيد من رغبة الروس فيها ويحتمل أن يكون سبب ذلك كون مكاتبهم ومدارسهم دينية وأخلاقية فقط وعلى كل حال فإن التتار المسلمين لا يفرضون وجود مكتب في الدنيا لا يقرأ فيه علوم الدين ولذلك ترى التتار ينظرون إلى مكاتب الروس بنظر النفرة والعداوة (كذبت أو أخطأت التتار لا يتنفر من المعارف أي معارف كانت وإنما يعادونها لكونها محل كفر وفسوق وفجور وضلال وإضلال وإفساد أخلاق) ويعتقدون أنه لا يقرأ فيها إلا العلوم المتعلقة بدين النصارى (نعم إنها وإن لم تكن منحصرة فيها ولكنها غير خالية عنها وربما يجبرون الصبيان على تعلمها والتتار لا تقبل ذلك وإن قتل) ولذلك يرون التحصيل والقراءة في مكاتب المسلمين فرضًا على كل أحد ولذلك ترى في كل محلة من محلاتهم مكتبًا فضلاً عن وجوده في كل قرية ولا يوجد مسجد إلا في جنبه مكتب على سبيل اللزوم فإن لم يكن مكتب أو كانت القرية صغيرة لا يمكن بناء مسجد فيها حسب نظام الروسية فإنهم ينصبون أحدًا منهم إمامًا وهذا الإمام يقرىء أولاد أهل القرى في بيته والمكاتب المشهورة الظاهرة في ولاية قزان ٤١٨ مكتبًا و٢٠٣٧٩ طالبًا وفي ولاية أوفا ٣٥٨ مكتبًا و١٢٨٦٦ طالبًا ولكن إذا دقق النظر وأظهر الكل يزيد عدد المكاتب في ولاية قزان على ٧٣٠ مكتبًا وفي ولاية أوفا على ١٠٠٠ مكتب ويربو عدد الطلبة فيها على ٤٠٠٠٠ طالبًا فعلى هذا يقع لكل ٧٨٠ نفرًا من ذكرًا أو أنثى من المسلمين في ولاية قزان مكتب واحد و١٣ طالبًا وفي ولاية أوفا يقع لكل ٧٨٤ نفرًا كذلك مكتب واحد و٢٠ طالبًا فنتيجة هذه الأرقام كون القارئين الكاتبين من التتار ٦٠ في ١٠٠٠ وحيث يضطرنا الصدق والحقانية إلى التكلم بالصدق لا بد لنا من التكلم بالصدق وهو أن دواعي التتار إلى كثرة القراءة ليس هو كثرة مكاتبهم فقط بل كون مكاتبهم موضوعة على أصول جيدة بالنسبة إلى مكاتبنا (الروسية) فإن مكاتبهم قديمة جدًا (بمعنى أن بناء المكتب والقراءة فيها عندهم من قديم الزمان) والمكاتب تنتقل فيهم بطريق الإرث (يعني من عالم إلى عالم) وهم يعني المسلمين يفتخرون بعلم علمائهم وكونهم محققين ومكاتبهم إنما بنيت بأموالهم على حسب مرامهم ومقتضى أموالهم ليس فيها ما لا لزوم له قط وعدا عن ذلك فإن وضعها وموضوعها للعلوم الدينية والآدابية فقط وأما مكاتبنا فليس فيها شيء من هذه الأوصاف فإذا أجلنا النظر إلى أمور تحصيل التتار يقع النظر فيها على أمر آخر غير ما ذكرنا من المكاتب وهو الذي يسمونه مدرسة وهي تعد أكبر من المكاتب ويقرأ فيها أزيد مما يقرأ في المكاتب ويقبل الطلبة فيها من

سن ١٦ والمتخرج منها يخرج رئيس متعصبي الشرق وهذه المدارس أيضًا كالمكاتب بنيت بخالص أموال المسلمين واجتهادهم وليست تحت تصرف أحد ونظارة وتحت نظام ما قط وهي وإن كانت في الأوراق تحت نظارة ناظر المعارف رسمًا من سنة ١٨٧٤ إلا أنه لا ناظر لها في الواقع وفي الحقيقة قط. . . .

والمتخرجون من هذه المدارس كانوا يذهبون إلى سمرقند وبخارى لتكميل دروسهم ومعارفهم في المدارس العالية فيها كما أن متخرجي مكاتبنا العالية يذهبون إلى آوروپا لتكميل معارفهم والذين يرجعون منها بتكميل المعارف لم يكونوا يرجعون متعصبين فقط بل كانوا يرجعون منكسري القلوب ومشوشي الخواطر لكون إخوانهم وجنسهم التتار تحت حكومة الروس فكانوا يصيرون أعداء الروس من جهة السياسة وكانت هذه الأمور تقع بالخاصة قبل دخول سمرقند وبخارى تحت تصرف الروس يعني حين كونهم متمتعين بكمال حريتهم ورؤية هؤلاء الطلبة تلك الحالة العالية اللذيذة فيهم ولهذا كان منع من طرف الحكومة إعطاء وظائف الإمامة والتدريس لهؤلاء الطلبة الذين كانوا يرجعون من ما وراء النهر ولكن التتار وجدوا لهذا طريقًا سهلاً جدًا وذلك بأن كانوا يذهبون إلى بخارى في صورة التجارة وبعد التحصيل هناك كانوا يرجعون هنا ويأخذون الوظائف ولما دخل سمرقند وجارته بخارى تحت تصرف الروس سقطت من أعين التتار فصاروا يذهبون بعد ذلك لتكميل المعارف إلى اسطنبول ومصر ويختلطون بمسلمي آسيا الصغرى وإفريقيا (يظن المسكين أن في اختلاطهم معهم فوائد ولكن هيهات ذلك).

والحاصل أن قوة ميسيونيرنا الناقصين لا تفي لإدارة الأمور بين تاتار شواطىء نهر وولغا فإنه لا بد لإدخال المسلمين إلى النصرانية من قوة زائدة لا تكفيهم القوة الكافية لتنصير الوثنيين ولهذا يرى من المصلحة لحصول النتيجة من هذه المساعي والاجتهاد صرف الحكومة اجتهادها لإضعافهم بستر آثار الإسلام وإخفاء علومه عنهم مهما أمكن مع الدقة والاحتياط في عدم إبطال الحرية في الدين من جهة بذل مساعيها في حبسهم في مساكنهم بمنعهم عن السفر إلى ممالك خارجية. لا بد لقلب مسلمي شواطىء وولغا وسبة من أمرين تكميل أمور الميسيونيرية ولوازمها وإضعاف اعتقادات المسلمين بنقص تأثيرات الإسلام فيهم فلا بد أولاً من البحث والتفتيش عن طرق إضعاف اعتقاداتهم ثم عن طرق دعوتهم إلى النصرانية بمراجعة تواريخ طائفة ميسيونير المقتدرين.

قد تغيرت[١] النظامات الموضوعة في شأن المسلمين (يعني في إكراههم) بعد دخول خانية قزان تحت تصرف الروسية بالتمام مرات عديدة ومع ذلك كان بعض تلك التغيرات مناقضًا ومنافيًا لبعض آخر منها في بعض الأوقات بالكلية قد وضعت في عصر إيوان المدهش أصول الظلم والوحشة حيث هدم مساجد قزان وطرد المسلمون منها ومن حواليها ومن الأماكن القريبة من قرى المكرهين بالكلية وكذلك هدم المساجد القريبة من الكنائس. وفي عصر ولده فيودر هدم مساجد المسلمين الذين كانوا بنوها مجددة بعلة أنها مبنية مخالفًا للنظام وهذه الأصول يعني أصول الظلم وهدم المساجد وتضييق المسلمين دامت إلى أواخر العصر الثامن عشر وكانت تلك الأصول تبدل في تلك المدة وتخترع أصول جديدة لهدم المساجد دائمًا فإنه كلما هدم مسجد أو مكتب كانت التتار يبنون بدله مسجدًا أو مكتبًا أحسن من الأول حتى أن المساجد والمكاتب لم تزل تزيد بمرور الزمان رغمًا عن هدمها فصدر في مقابلة هذه الأحوال أمر جديد بهدم المساجد في سنة ١٧٤٢ م.

ثم انفتحت للتتار في سنة ١٧٤٤ م دنيا جديدة بأن وضع فيها نظام جديد لبناء المساجد أوسع من الأول قليلاً وذلك بأن يؤذن لبناء المسجد في مواضع المساجد القديمة المهدومة إذا كان أهل المحلة ٢٠٠ عائلة إلى ٣٠٠ عائلة بشرط كونه بعيدًا عن الكنيسة وبشرط عدم تجديد مسجد ومكتب آخر بزيادة أهل القرية أو المحلة فشرعت المساجد في الزيادة من ذلك الوقت وحيث لم يكن في النظام المذكور منع عن بناء المساجد في قرى الوثنيين طفق المسلمون ينشرون دين الإسلام بين طائفة باشقرد الذين استوطنوا فيما بين وولغا وأورال مهاجرين من سيبريا وكانوا على دين شامانيا ويبنون في قراهم المساجد والمكاتب فصار الإسلام بهذا السبب ينتشر إلى أماكن خارجة من مكانه الأول.

(وهذا كذب محض واختلاق صرف من هذه اللعين فإن إسلام طائفة باشقرد أقدم من إسلام التتار ولم يكن في جهة سيبريا في الوقت المذكور دين غير الإسلام وجلب كوچم خان السيبري بعض العلماء من بخارى وخوارزم لم يكن لنشر الإسلام بل لنشر العلم والتعليم وإلا فقد كانوا مسلمين من مائتين سنة).

---

(١) شروع في بيان تواريخ طائفة ميسيونير ثانيًا وإن سبقت أولاً وكان هذا فذلكة السابق. منه عفي عنه.

وفي عصر يكاترينا الثانية قد وضعت سياسة الحكومة على أصول واسعة للمسلمين حيث أخرج أمر بناء المساجد من تصرف محكمة روحانية النصارى في ١٧ حزيران من سنة ١٧٧٣ فشرعت المساجد بعد ذلك في ازدياد خارق للعادة على أن في مصافاة قصبة ضيا عُدّ في سنة ١٧٧٠، ١١٩ مسجدًا في ١١٦ قرية وقد كان في ١٠٨ قرية منها مكرهين (يعني أن النظامات كانت تقتضي عدم إذن ببناء مسجد فيها) وعدا عن ذلك فإن عدد المسلمين في تلك القرى ١١٦ كان ١٤٠٠٧ نفرًا فقط فإن قسم هذا العدد مائتين مائتين فقط لكل محلة (يعني على مقتضى نظام سنة ١٧٤٤ كان ينبغي أن لا يبنى في تلك القرى أزيد من ٧٠ مسجدًا وعُدّ في مضافات قزان في الوقت المذكور ١١٧ مسجدًا وأما ما سوى ذلك المذكور من المساجد وإن لم يعلم عددها يقينًا ولكن يمكن معرفته بالقياس على المذكور وصاروا يبنون في مدة قريبة مكتبًا في جنب كل مسجد وحيث إن أصول التعليم كانت جيدة ومنتظمة من جهة التربية والأخلاق والعلوم الدينية على قول السواح ليبيخين وريچقوف وغيرهما كانت الأهالي يرغبون فيها ويقبلون عليها وفي ٢٥ فبراير (شباط) من سنة ١٨٨٢ م صدر الإذن ببناء المساجد لقرغز وقزاق في أراضيهم وصدر الأمر في ٤ سبتمبر من سنة ١٨٨٥ ببناء المكاتب في جنب تلك المساجد وأمر ببناء الجدران المحيطة من حوالي مسجد كروان سراي فبعد ذلك ما برحت التتار حتى صارت محبتهم تتعلق بالحكومة وصاروا يحبونها ويمدحونها (هذا أمر طبيعي ومع اعترافهم بذلك لا يعتبرونه ولا يعملون به بل يعاملون بعكسه).

وكان المسلمون يقيمون كل طائفة منهم في محلة وناحية كأنّ كلًا من تلك الطائفة في دنيا على حدة لا خبر لإحديهما عن الأخرى لفقدان الجهة الجامعة بينهم وكانوا يتفكرون الشدائد التي كانوا قاسوها من قبل الحكومة قبل ذلك ويتذاكرونها فيما بينهم ولذلك أسست لهم إدارة الروحانية يعني المحكمة الشرعية الأورنبورغية وفوض رئاستها إلى المفتي وحول عليه إدارة الأمور الدينية ومنحت له وظيفة وكالة كافة المسلمين (يعني في الروسية في الوقت المذكور) في طلب ما يلزمهم (يعني الدينية) من الحكومة وهذه المحكمة التي بنيت لاستحصال الغرض المذكور يعني غرض استحصال ازدياد محبة التتار للروسية صارت سببًا لاجتماع شمل التتار وازدياد قوتهم فقط والحكومة وإن كانت بناها في مبدأ أمرها لاصطياد التتار ولكنها الآن قذى كبير في عيون الحكومة ففي سنة ١٨٥٠ وضعت التدبيرات الآتية بمصلحة نظارة الداخلية بعد أن قدمت الشكاية بأن المسلمين لا يقدرون على إدارة أمورهم كما ينبغي.

أ ـ تركيب الجمعية الشرعية والغاية منها[١].

ب ـ النظر في امتحان العلماء ونصبهم وفي من يمتحنونهم.

ج ـ الدقة في ترتيب المحلات.

فلنفتش كل واحد منها على حدة:

أ ـ تركيب الجمعية الشرعية والغاية منها: فهو أعني تركيب الجمعية الشرعية وغايتها ووظائفها تنقسم بحسب النظام الجارية الآن.

ب ـ انتخاب أعضاء مخصوصين وتعيينهم للبحث والتفتيش عن مقدار علم الشخص الذي انتخبه أهل المحلة للإمام أو التدريس وعن درجة معرفته بالأحكام الشرعية والنظر فيهما يفعله في محلته يعني في إجراء وظيفته وعن قبائحه ومعائبه وما يتعلق ببناء المسجد.

ج ـ والحكم بموجب الأحكام الدينية في مثل النكاح والطلاق.

د ـ والحكم أيضًا بالحكم الشرعي في مثل تقسيم التركة.

هـ ـ إجراء دفاتر المواليد والوفيات وإعطاء شهادتنامه بموجبها.

والآن تجري وظائف الجمعية الشرعية المحمدية على الوجه الآتي:

أ ـ إعطاء المنشور لمن انتخبه الأهالي للإمامة أو التدريس فوض إلى الولات بموجب البند ١٢٤٩ من قانون أمور الأديان الأجنبية.

ب ـ وبناء المساجد وتعميرها صار مربوطًا بإذن محاكم[٢] الولاة أيضًا.

ج ـ لما كان كتابة دفاتر المواليد والوفيات وإعطاء شهادتنامه بموجبها بقلم الروسية سهلاً للحكومة ومناسبًا شرط في سنة ١٨٧٠ من طرف شورى النظارة الداخلية معرفة من يرشح للإمامة أو التدريس كتابة الروس ولغتها وأخذها شهادتنامه مبينة لمعرفته إياها.

ب ـ امتحان العلماء ونصبهم ومن يمتحنهم بناء على فكر المستشار الخفي لناظر الداخلية كاظم بك ينبغي أن ينتخب المفتي[٣] والقضاة يعني أعضاء الجمعية الشرعية

---

(١) يعني وظائفها. منه عفي عنه.

(٢) بل بإذن الأسقف فقط لا غير وكان مراده بمحاكم الولاة محاكم الأساقفة. منه عفي عنه.

(٣) علم من ذلك أن خروج انتخاب القضاة من أيدي الأهالي إنما كانت في عصر كاظم بك=

المحمدية من طرف الحكومة والأئمة والمدرسون من طرف الأهالي. انتهت المقالة الميسيونيرية هنا بتعريبها حرفيًا بالتمام ولكن لما بلغ الكلام محلاً مهمًا ينبغي فيه زيادة التفتيش والتنقير تركوه مستورًا ومخفيًا ومغطى ومروا به سريعًا مخافة انكشاف عوراتهم ولكن هيهات تكتم المخاريز في الكيس وفي أيدي التتار الآن رسائل كثيرة سوى ذلك مبينة فيها دسائس طائفة ميسيونير وشيطنتهم بالتفصيل.

وعلى كل فقد تغيرت أحوال طائفة ميسيونير في ابتداء النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي تغيرًا كليًا من غير وجود سبب مقتض لذلك من طرف المسلمين بل كانت محبة المسلمين تعلقت بالحكومة بعد منحها التوسعة لهم في الدين كما اعترف به هؤلاء المخاذيل وحصل لهم كمال الراحة واطمأنت قلوبهم فشرعوا في تعاطي الزراعة والتجارة وأنواع الصناعة بالجد والنشاط وصاروا ينقلون بضائع الروسية إلى ما وراء النهر وخوارزم وفرغانة وينقلون بضائع تلك الممالك إلى الروسية بواسطة قوافل قزاق وكان يصحبهم في ذلك كثير من تجار الروسية أيضًا ولولاهم لما أمكن لهم ذلك وفي ذلك كله من الفوائد المالية لدولة الروسية ما لا يخفى على أربابه وكانوا يؤدون الغرامات والمؤونة الميرية من غير استثقال بها ولا تأخير وكذلك كانوا يعطون العساكر بالقرعة مثل الروسية نفسها بلا فرق فلم يبق إذًا سبب لإيقاظ الفتن النائمة وتحريك أسباب المحن الماضية وإلقاء التفرقة والشحناء والبغضاء والعداوة بين رعايا دولة واحدة وأبناء وطن واحد والتسبب لأضرار الدولة من وجوه كثيرة سوى بغي وحسد على ترقي المسلمين دينًا ودنيا وتعصب جاهلي وأغراض فاسدة من خوف خروج موارد الثروة والاعتبار من أيديهم وسقوطهم من أعين قومهم على ما مر فلم يبالوا بما يترتب على ذلك من الفساد والإفساد وخراب الوطن وتضرر دولتهم وانحطاط قوتها كما هو مشهور الآن لذي العينين فصاروا يعقدون الجمعيات لترتيب الحيل والخدع لإجراء وظائفهم الإبليسية وصاروا يؤلفون الكتب والرسائل والمجلات في ذلك يحرضون فيها بعضهم بعضًا ولا سيما رجال الحكومة ويعدونها أقدس الوظائف التي بها تمحى الذنوب وبها يحصل الثواب وبها يدخل إلى الجنة وبها ينال فيها الدرجات العلى وبها يحصل الترقي في الدنيا والآخرة ويجعلونها أهم المهمات وأقدم جميع الحاجات.

= وباستصوابه. منه عفي عنه.

[الرسائل التي أُلِّفَت ضد دين الإسلام]

وقد قال الفاضل المحترم عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي في چولپاته: رأيت من الرسائل التي ألفت ضد الإسلام وطبعت ونشرت من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٨٦ خمسين رسالة وذكر فيها منها البعض مع ذكر اسم مؤلفها وعام طبعها تركت ذكرها مخافة التطويل وقد رأيت الفقير في آخر رسالة ملعونة ذكر أسامي مئات من الرسائل المؤلفة في هذا الصدد فلا حاجة إلى ذكرها بعد وضوح المرام إلا أني أذكر هنا ترجمة مجموعة روسية[١] ذكر فيها ماجريات الأحوال مترتبة منتظمة مسلسلة حسب الإمكان وإن كان أهم دسائسهم غير مذكور فيها فقد التزمت ذكرها وشرح مواضع الإبهام منها وإيضاحها حسب ما وصل إليه إدراكي القاصر وتعلق به علمي الفاتر وهي مؤلفة في حدود سنة ١٨٨٦ على ما يظهر من انتهاء بيان الحوادث إليها فأقول وبالله التوفيق.

قال فيها قدم ناظر المعارف السابق الكونت ديمتري طولستوف في سنة ١٨٦٦[٢] لائحة إلى نظر الامپراطور العالي بعد معاينة (قزانسكي آديسكي أچوبني أوكروك) دوائر التعليمات والمعارف وأحوال المعلمين الكبار الكائنين بولاية قزان وآديسا ذكر فيها أن تقريب الأقوام الغير الروس الكائنين بتلك الولايات المركبين من أمم متعصبين المتمسكين بالدين المحمدي تمسكًا شديدًا الكثيري المساجد والمدارس إلى الروس إنما يكون بتعليم لغة الروس وكتابتها فبعد أن صارت اللائحة المذكورة معقولة مناسبة للامپراطور بمعنى أنه لما صدر الإذن والمساعدة في إجراء ذلك من غير إجبار وقسر وبشرط عدم الإفضاء إلى التشويش والفتنة شرع في سنة ١٨٦٧ من طرف ناظر المعارف بكمال النشاط والفرح والسرور إلى جمع المعلومات اللازمة لإعداد أسباب والتماس طرق مفيدة موصله إلى المقصد المذكور بكمال السرعة مثل قطار اكسپرس.

---

(١) وهي تفصيل ما أجمل وأبهم في المقالة الميسيونيرية السابقة من الأحوال والأهوال الجارية في دور الفتن والمحن والمشقة الخفية وكلها رسمية سوى بيان اتفاق الجمعية الغورية. منه عفي عنه.

(٢) والحاصل أن مبدأ هذه الدسائس والفتن والمحن هو هذا العام وقد كتب والي ولاية أورنبورغ إلى الجمعية الشرعية المحمدية الأورنبورغية في ١٢ أوكتوبر من سنة ١٨٢٧ تحت رقم ٩١١ بأنه لا يعطي المنشور لخدمة المحلات والمساجد لمن لا يعرف بالروسية اهـ إلا أن هذا من قبيل نبح الكلاب لكونه غير رسمي ومع ذلك يشعرنا بوجود هذا الفكر في ذلك الوقت وإن كان كمال تخمره في سنة ١٨٦٦. منه عفي عنه.

وفي سنة ١٨٦٨ طرح شخص من المسلمين يسمى ميرسيد بن يعقوب اليونسي مسألة فتح مكتب روسي مخصوص بالمسلمين بمصاريف محاكم الناحية وقد كان المذكور عضوًا في محكمة ناحية ولاية واتكا فوجدت جمعية محكمة الناحية قوله عين الصواب ونفسه محقًا في اختراعه المذكور وأن اختراعه واقع في موقعه وموافق لما كانوا يدبرونه في الوقت المذكور فنشروا إلى محاكم الناحية المتعلقة بالقصبة التي فيها المسلمون أوراقًا مضمونها لزوم كون المواضع التي يقرأ فيها المسلمون بالروسية خاصة بهم ولكن لما امتنع المسلمون المقيمون في أطراف قضاء اصلابود عن القراءة بالروسية كتبت محكمة الناحية في ١٥ مارس من العام المذكور كتابًا إلى الجمعية الشرعية المحمدية الأورنبورغية يطلب منها الإعانة في خصوص حركات الأئمة والمدرسين. فكتبت الجمعية المذكورة إليها في ٢٢ أبريل من العام المذكور هكذا أن الجمعية المحمدية الأورنبورغية مجبورة لحل المسألة المذكورة إلى معرفة المواد الآتية:

١ ـ إن المحكمة المذكورة إذا فتحت مكتبًا روسيًا لأجل المسلمين فهل هي ملتزمة سائر مصاريفه سوى معاش المعلمين؟

٢ ـ فهل يقرأ في تلك المكاتب بالروسية فقط أم يقرأ فيها أشياء أخر أيضًا؟

٣ ـ ممن يكون المعلمون هل من الروحانيين الغير المسلمين أو من غير الروحانيين؟

٤ ـ في أي مواضع تكون تلك المكاتب هل في جميع المحلات عمومًا أو في بعضها فقط؟

٥ ـ هل تجبر الطلبة الكائنون في المكاتب والمدارس الإسلامية على القراءة بالروسية كلهم أو كانوا مختارين في ذلك؟

فما دامت الجمعية المحمدية لم تسمع جوابًا لهذه الأسئلة لا تقدر على تدبير ما من طرفها في هذا الخصوص. فإنه كان للجمعية المحمدية خبر عن إدخال مدارس المسلمين تحت تصرف نظارة المعارف وقد كان المفتي كتب إلى والي ولاية واتكا في هذا الخصوص في ١١ مارس من العام المذكور.

وفي ١٩ يناير من عام ١٨٦٩ كتب من طرف الجمعية التعليمية الكائنة بقضاء صراپول إلى المفتي هكذا إن المدرسين يعاندون في خصوص إقراء المسلمين

وتعليمهم بالروسية ولا سيما الآخوند الإبراهيمي القاريني في قضاء اصلابود حتى أنه جاء قرية اغرجي وقال للمسلمين هناك أن الذين يقرئون أولادكم بالروسية يعينون من القسيسين فإياكم أن تعطوا أولادكم للإقراء بالروسية وخوفهم بذلك وأغراهم والحال أن المقصود من إقرائهم بالروسية هو نفعهم وفائدتهم ولهذا نرجوكم أن تظهروا كونكم حاكمًا ذا دراية واقتدار لأمثال هؤلاء الأئمة والمدرسين.

فأجابها المفتي بأنه قد أجريت التدابير اللازمة في شأن الآخوند الإبراهيمي ولكني لا استصوب دعوة الخلق في هذا الخصوص ولا أراها حقًا اهـ تقدم آنفًا أن نظارة المعارف شرعت في جمع المعلومات اللازمة الخ، وبعد أن جمعت تلك المعلومات فحصت وبحثت عنها أيضًا مرة أخرى في مجلس شورى[1] ناظر المعارف في ٢ فبرايل من سنة ١٨٧٠ ومن التدابير التي رتبت ونظمت في ذلك المجلس في شأن التتار المحمديين وأثبتت في صحيفة ٥٥٦ إلى ٥٦٠ من دفتره المسمى بژورنال شورى نظارة المعارف تحت رقم ٤٢ هي هذه.

١ ـ بناء مكاتب روسية ابتدائية قروية وبلدية في أماكن فيها قرى المسلمين وغيرهم من المصارف الميرية وتعيين معلم روسي عارف بلغة التتار فيها إلى أن يوجد معلم تاتاري عارف بلغة الروس مقدار الكفاية وتأليف التتار مكالمة معلمي الروسية في ساعات معلومة وتعيين جماعة التتار شخصًا معتمدًا من بينهم لنظارة المعلمين.

٢ ـ تسهيل شرائط دخول أي مكتب كان من مكاتب الروسية لأولاد التتار وتسهيل طريق الدخول في المكاتب الابتدائية القروية خصوصًا لتحصيل استعداد الدخول في المكاتب التي فوقها كالمكاتب البلدية والرشدية حتى يتعلموا اللغة الروسية وأما تعليم الدين المحمدي إياهم وكذلك مصاريفهم تكون في ذمة جماعة المسلمين أو في ذمة آبائهم وأولياء أمورهم.

٣ ـ تكليف جماعة المسلمين بفتح درس لغة الروس وكتابتها في مكاتبهم ومدارسهم بمصاريفهم بمعنى أنهم يستأجرون من يعلمها بمصاريفهم ويتعلمونها بشرط

---

(١) والذين وضعوا إمضاءاتهم لهذا التدبير هم هؤلاء ناظر المعارف قونت ديميتري طولستوي آ.ي. پوستيليس م. ماغلينسكي آچ وارونف ن. كورنيلف ن. غارت ن. اشتيمان كينازن. ليوين ن. غالانين وهو مدير مأموري الأجراء الذي أكد هذا الأمر وأعلن هذا التدبير من طرف دائرة محكمة الروحانيين في پيطربورغ إلى محكمة الأساقفة بقزان في ١٥ سبتمبر من العام المذكور تحت رقم ١٨. منه عفي عنه.

أن يعين لهم المعلمون من الروس الذين يتقنون لغة التتار إلى أن يدرك من أنفسهم المعلمون المتقنون لغة الروس ويلزم عليهم أن يعلموا أولادهم قواعد علم الحساب بلسان الروس ومن معلمي الروس بحيث لا يجوز لأحد من الأولاد الذين يقرأون في المكتب الإسلامي عدم الحضور للتعلم المذكور ولا يساعد له في ذلك قط ولا يمنع أحد من الدخول والحضور في مكتب الروس وقت قراءة الأولاد فيه سواء كان ممن يقرأ في المكتب أو بانيه أو المقرىء والمعلم فيه لئلا يبقى في قلب أحد شبهة في أنهم أي شيء يتعلمون وماذا يفعلون فيه.

٤ ـ لا يؤذن لجماعة المسلمين بإنشاء مكتب أو مدرسة في محلة لم يكن فيها مكتب ومدرسة أولاً إلا إذا قبلوا والتزموا فتح درس روسي فيه بمصاريفهم.

٥ ـ كون نظارة الدرس مطلقًا سواء كان من القسم الإسلامي أو الروسي والتصرف فيه مختصتين بناظر المكاتب الابتدائي الملقب (باينسبكتور ناچالني نارودني أوچيلشچه).

٦ ـ فتح دار المعلمين[1] لإعداد المعلمين من التتار في موضعين أحدهما في بلدة أوفا والأخرى في سيمفيروپول (بلدة آق مسجد بقرم).

٧ ـ طلب الإذن والشفاعة والاسترحام من الحكومة بمساعدتها لإجراء الدسائس الآتية:

أ ـ بعد تكميل التدابير والقوانين الموضوعة لتقريب التتار المسلمين من الروس يوضع ويعين مدة معلومة (يعني لتحصيل ما يلزم طلاب الوظائف من الشروط) فإذا مضت المدة المعلومة يطلب ممن ينتخب لوظيفة الإمامة أو التدريس مثلاً شهادتنامه مبينة بأنه عارف من لغة الروس وكتابتها وقراءتها ما يكفيه لوظيفته المذكورة وأنه يعرف القواعد الأربع من علم الحساب وبالجملة يبين فيها أنه قد أكمل الدرجة الأولى من المكاتب الابتدائية فمن لم يبرز الشهادتنامه المذكورة لا ينتخب لوظيفة من الوظائف الدينية ولا يعين لها ولا ينصب.

---

(١) وبعبارة أخرى دار الشياطين ودار المرتدين ودار الفاسقين وقد فتحت فيهما وفي قزان وأورنبورغ ولا يخرج منها أحد إلا بعد تجرده من الإيمان والحياء والدين إنا لله وإنا إليه راجعون. منه عفي عنه.

ب ـ ومن حاز الشهادتنامه المذكورة من أهل قريم[١] يعطي له وظيفة دينية وإن لم يكن من نسل أرباب الوظائف (فإنما أصل الفتى ما قد حصل وهذا قد حصل الشهادتنامه التي هي أصل كبير عند الروس).

ج ـ بعد مضي المدة الموضوعة المعينة غب تكميل القوانين المذكورة وتنظيمها لا ينتخب أحد من التتار المسلمين لخدمة الجماعة ولا يعطى له وظيفة ما مثل خدمة الناحية أو البلدة أو القرية أو محكمة الجمعية الشرعية المحمدية إلا بعد إبرازه شهادتنامه ناطقة بتطبعه ومهارته بلغة الروس وقراءتها وكتابتها وبعلم الحساب.

وإياك أن تظن هذه التدابير والأفكار حصلت لهم سهولة وقامت لهم رخيصة كما يحصل بعض الأفكار وقت قضاء الحاجة أو المشي أو الصلاة كلاّ ثم كلاّ فإنك تتفطن من بيان تواريخها أنه قد مضى من مبدأ دوران هذه التدابير والأفكار إلى استوائها ونضجها بالتمام أربع سنين كوامل ولا تظنن أن أعضاء شورى نظارة المعارف وإن لم يكونوا مثل بسمارك في فن السياسة إلا أن لهم إلمامًا ما بها كلاّ ثم كلاّ بل كل منهم بعداء عن الحقيقة والسياسة والمعارف بمراتب وكلهم تماثيل التعصب المجسم أعضاء الجمعية الغورية المار ذكرها جل قصدهم إضرار المسلمين وإبراز العداوة لهم سواء تضررت دولتهم في ضمنها أو لا والتفكر في ذلك ليس من وظيفتهم ونصيحة دولتهم ليست عندهم من واجبات ذمتهم وإنما يظهرون في كسوة النصيحة إياها سترًا لأغراضهم الفاسدة وأنواع حيلتهم لتمشية دسائسهم وشيطنتهم.

والحاصل أنهم أعني أعضاء الجمعية الغورية ومنهم ناظر المعارف اجتمعوا[٢] أولاً بقزان في سنة ١٨٦٦ زهاء سبعمائة عضو[٣] على ما قيل وتذاكروا في أسباب صد التتار عن الترقي ووسائل انتشار الجهالة فيهم حتى يتمكنوا من بث روح النصرانية فيهم بسبب ذلك على زعمهم الفاسد وأطلقوا عنان تمام الحرية في الكلام ليظهر لهم غش الدسائس وسميتها فكثر فيها القيل والقال والتنازع والجدال حتى كادوا يتضاربون بالنعال.

---

(١) وإنما قال ذلك لأن عندهم الشرط في نيل الوظائف الدينية الكون من نسل أرباب الوظائف كما هو الآن عند الدولة العثمانية كذلك. منه عفي عنه.

(٢) وسبب هذا الاجتماع وإبداء هذه الشيطنة وإيجاد هذه المصاعب والمشاكل بعد أن كان الكل أبناء وطن واحد قد تقدم قريبًا فتذكر. منه عفي عنه.

(٣) وفيهم الأساقفة والقسيسون وكل من فاق الشياطين في الإغواء والدسيسة منه.

فمنهم من قال الرأي عندي في ذلك أن نؤسس عدة فابريقات من صندوق جمعية ميسيونير في أماكن أكثر أهلها التتار ولا نستعمل فيها إلا إياهم ونقتني فيها البط والأوز وسائر الطيور ونستعمل لتربيتها والقيام بشؤونها نساء التتار وأولادهم ونبني لهم فيها المساجد والمكاتب ونعين فيها أئمة ومعلمين يغنون بغنائنا ويرقصون على إيقاعنا ونعين أيضًا معلّمين يعلّمونهم اللغة والكتابة الروسيتين ويكون هؤلاء المعلمون ومديرو الفابريقات في غاية الملائمة والملاينة والأخلاق الحسنة حتى لا يصدر عنهم أدنى شيء ينفر التتار ونقرئهم فيها الأناجيل المترجمة بلغة التتار ونقول لهم إن هذه من جملة كتبهم المعتبرة إلا أن علماءهم أهملوا أمرها لسبب من الأسباب فبهذه الطريقة يمكن لنا أن نملك قيادتهم في مدة خمسين أو ستين سنة وعلى الأكثر في مدة مائة سنة وكل آت قريب ومنهم من قال[1] وحيث منحتم الحرية في الكلام لينكشف الحجاب عن وجه المرام لا يسوغ لي كتم الحقيقة التي تختلج في خلدي على الدوام لئلا أكون خائن ملقي فافتضح بين الأنام وذلك أن كافة الفحش والخبث مثل إدمان شرب الخمر والسكر والزنا والتلطخ بأنواع النجاسات والقاذورات مختصة بنا معاشر الروس وجميع المحاسن مثل الاجتناب عن المذكورات والاتصاف بأضدادها مختصة بالتتار يقعدون في دكانهم يتعاطون البيع والشراء بكمال الصدق والأمانة فمتى دخل وقت الصلاة وأذن المؤذن يتطهرون كمال الطهارة ويلبسون أحسن وأنظف ثيابهم ويذهبون إلى المساجد ويعبدون ربهم أحسن عبادة فيؤدون حقوق الناس وحقوق ربهم أتم الأداء فهم والحالة هذه كيف يتركون ما هم عليه من تلك المحاسن ويأخذون ما عندنا من تلك الفواحش والخبائث باختيارهم من غير إجبار وإكراه كلاّ فإن هذا لا يكون قط إلا إذا هددوا بالسيف وأخذتهم السيوف بالفعل من كل جانب فحينئذٍ يقتل من يقتل ويتنصر البواقي ضرورة وإلا فكل عمل سوى ذلك عقيم يقينًا وقيل غير ذلك من المقالات أيضًا.

ثم قام بعد الكل أبو جهل الجمعية المذكورة وهو شوالف ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر وبسر ثم أدبر واستكبر فقال عندي ما هو أهون وأيسر ولقوم التتار أشد وأعسر ولنجح أغراضنا الفاسدة هذه أعون وأنصر وبه يكون مشروعاتنا الإبليسية

(١) وقد قيل إن هذا القول قول أسقف أورنبورغ والحاصل أنه استقبح تشبثاتهم هذه استقباحًا شديدًا واستنكرها وتبعه أسقف قزان في ذلك وكان أشدهم فيها أسقف أوفا ورئيس الجمعية شوالف. منه عفي عنه.

أخفى واستر بحيث لا يتفطن لكونها دسيسة سوى خريت بوادي السياسة الذي قاس مسافتها ودقق فيها النظر وأمعن وخبر وهو إلجاء التتار واضطرارهم إلى قراءة لغة الروسية وتعلم كتابتها خصوصًا المرشحين منهم للوظائف الدينية كالإمامة والتدريس وجرهم بهذه الوسيلة إلى سمت الاختلاط بالروسية دائمًا المفضي إلى التطبع بطبائعهم وزوال الحجب الكثيفة والموانع القوية من بين الفريقين فلا يبقى بينهما شيء من الإثنينية إلا دعوى هذا الإسلام وهذا النصرانية فمتى بلغ الأمر هذا الحد فالأمر هين نخترع لرفع هذه الاثنينية أيضًا تدبيرًا آخر مناسبًا للوقت والحال فلا يحتاج فيه إلى طول المدة ولا إلى سفك الدماء في عصر المدنية بل نصل إلى المقصد في أقرب الأزمان وذلك أن التتار أحرار في إجراء أمورهم الدينية وفي حق مكاتبهم ومدارسهم وفي شأن التعليم والتحصيل فيها وانتخاب القضاة أعضاء الجمعية الشرعية والأئمة والمدرسين ونصبهم من جميع الوجوه خصوصًا من عصر يكاترينا الثانية وهم يعني التتار أصحاب الغيرة والحمية وأرباب الصبر والعزيمة وذوو الجد والنشاط والهمة لا يطرأ عليهم الإعياء والتعب ولا يتطرق على هممهم الفتور يتحملون من المتاعب والمشقات ما لا يحتمل من سواهم عشره حيث يداومون التحصيل في مكاتبهم في بلادهم ومدارسها سنين عديدة ليس عند أكثرهم من القوت ما يدفع عنه ألم الجوع ولا من اللباس ما يرد عنه مضرة البرد وأكثر تلك المكاتب والمدارس بحيث لا فرق بينها وبين مأوى البهائم في عدم الحسن والزينة وكثرة الزحام فيها ومع ذلك فهم يمضون فيها أوقات تحصيلهم بغاية الجد والنشاط والفرح والسرور كأنهم في أعلى غرف الجنان بل ربما يشبهونها في إشعارهم الملية بالجنة حيث يقولون:

شعر:

بودنيالرنك أو چماعي مدرسه لرنك پوچماغي

ولا يكتفي أكثرهم بما فيها من الدروس بل بعد إكمال الدرس فيها يتوجه إلى بخارى وكثير منهم ماش على رجليه حاملاً كتبه وزاده على ظهره ومع ذلك لا يرى على وجهه أثر السآمة والتضجر والكآبة بل هو فرحان ومسرور كأنه ذاهب إلى مصلى العيد وبعد وصوله إلى البخارى بعد قطع تلك الفيافي والمهامه برجليه في مدة كثيرة لا يجد حجرة يأوي إليها لكون الحجر هناك تباع في مقابلة الثمن وهذا ليس عنده ثمن حتى يشتريها فيضطر إلى سكنى مدرسة فتح آباد التي على مقدار ميل شرعي من بلدة بخارى لكون حجرها مجانة ومشروطة لأهل قزان فيلزمه قطع مسافة ثلاثة أميال

كل يوم لذهابه إلى الدرس وإيابه فيدوم على التحصيل هناك على المنوال المشروح بكمال الجد والنشاط سنين عديدة لا يعرفه الفتور قط ولا يزوره ولكن ربما يصيبه فيها أمراض مهلكة فيقضي نحبه وهو معتقد أنه مسعود لكونه من زمرة الشهداء فإنه مات في طلب العلم وفي أرض الغربة ليس عنده أحد يرجو منه أدنى نفع ومرحمة ويتوجه إليه سوى الله فهو لا يرجو ولا يتوجه إلا إياه فيا له من سعادة ومنهم من ينتظر حصاد ما زرعه أكمل ما يكون وما بدلوا مسلكهم ونيتهم تبديلاً فإذا أتم الدروس المقروءة هناك فمنهم من يضن به كبراء بخارى فلا يرضون بخروجه منها فيعطونه وظيفة التدريس بمعاش كاف لكونهم سالمين من التعصب وحرصاء على العلم والعلماء ومنهم من يختار الرجوع إلى بلاده لتعليم أبناء جنسه ومنهم من يدعوه أغنياء بلاده ويرسلونه مبالغ كافية لشراء الكتب اللازمة ومصروف الطريق فيرجع إلى وطنه قائلاً والعود أحمد وقد ملأ حقائب استعداده وجواليق قابليته بجواهر العلوم ولآلى المعارف ونفائس الفنون وقد زانها بكرائم أحجار الاستقامة والوقار والآداب والسكون ومعه من نفائس الكتب الدينية والفنونية ما يحير العقول فإذا رجع إلى بلده فإن كانت هناك مدرسة محلولة نصبوه مدرسًا فيها وإلا بنى له واحد من الأغنياء أو أهل المحلة أو القرية على حسب درجته في العلم والفضل والإقبال مدرسة وينصبونه فيها مدرسًا ويلتزمون مصاريفه ومصاريف مدرسته من غير مداخلة حكومة في شيء مما ذكر سوى إعطاء المنشور حسب إبلاغ الجمعية الشرعية المحمدية إليها أمره فيدرس المدرس المذكور في تلك المدرسة مجانًا وحسبة لله لا يعرف الضجر ولا السآمة ولا تنزع نفسه الأبية قط إلى شيء من زخارف الدنيا بل يعد نفسه أسعد أهل زمانه حيث نال بغيته ووصل إلى مقصده وهو إيصال النفع إلى ملته وإخراج أولاد جنسه من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعارف وتحسين أحوال أبناء جلدته وقد اجتمع لديه مئات من طلبة العلوم المستعدين المتصفين بالأوصاف السابقة فلا يخرج من الدنيا إلا وقد تخرج عليه مئات من أمثاله وخرجوا من مدرسته فضلاء كملاء مثله وكل واحد منهم سالك مسلكه في التعليم على الأسلوب السابق.

وهكذا تذهب هذه السلسلة إلى أمد بعيد لا يتقرب إليها شيء من برهان تطبيق هذا العمل إلى قوانين الحكومة وبرهان تضايق آراء رجالها إليها فهل والحالة هذه يمكن جر التتار نحو سمت الروسية أو إزالة شيء مما هم عليه من الأمور الدينية كلاّ ألف مرة كلاّ إلا إذا شرطنا ما ذكرناه فإنا إذا شرطنا أهليتهم واستحقاقهم للوظائف والمناصب الدينية بتعلمهم اللغة والكتابة الروسيتين مقدارًا كافيًا وكلفناهم بذلك ولم

نعط الوظائف المذكورة لمن ليس فيه الشروط المذكورة يتركون السفر لتكميل العلوم إلى بخارى ويمتنعون عنه وينحبسون في أماكنهم لعدم إمكان تحصيل الشروط المذكورة فيها بل لا يقدرون على تحصيل ما يلزمهم في أمورهم الدينية لعدم الفراغ وفقدان مساعدة الوقت فإن تحصيل الشروط المذكورة لا تكفيه المدة اليسيرة بل لا بد له من زمان كثير خصوصًا تعلم اللغة على وجه يستأهل متعلمها الشهادتنامه من طرفنا بأنه قد حصل منها ما يكفيه لوظيفته المطلوبة فيبقى الأئمة والمدرسون بهذا الوجه جهلاء والعوام جهلاء في حد ذاتهم وتصلبهم في الدين تابع لتصلب العلماء فإذا غشيت الجهالة أئمتهم ومدرسيهم أيضًا وتطبعوا بطبيعة الروس وتخلقوا بأخلاقهم وتعودوا بعاداتهم ولم يبق بين الفريقين كراهة أحدهما للأخرى بل حصلت الإلفة الكاملة بينهما بسبب طول الصحبة وكثرة الاختلاط بينهما وقت التحصيل كما هو المشهود بين أرباب التحصيل هان لنا بعد ذلك رفع الحجاب الأخير الموجب للإثنينية والمانع عن الاتحاد لزوال تصلبهم السابق فضلاً عن تعصبهم وزد على ذلك تطبع سائر أولاد المكاتب بطبيعة الروس بسبب تعلمهم اللغة والكتابة الروسيتين ومخالطتهم بهم من صغرهم فحينئذٍ لا ينفعهم استنكاف من يستنكف عن تعلمهما ومخالطتهم ولا تحصيل علومهم في الخارج فقط فإنه لا يعطى له وظيفة التعليم ولا يؤذن له بذلك كما هو جار من مدة مديدة ومع ذلك ننزع انتخاب القضاة أعضاء الجمعية الشرعية من أيديهم ونتولاه بأنفسنا ولا نتركهم يقرأون في مكاتبهم ومدارسهم ما شاؤوا وكيف يشاؤوا بل نتولى النظارة فيها بأنفسنا ونحدد الدروس والكتب التي يقرؤونها.

ولا نزال نضيق دائرتها حتى تبقى أضيق من سم الخياطة ولا نزال نتداخل في ساحل شؤوناتهم وحالاتهم فبهذه الوجوه نوقعهم في شراكنا ونصطادهم عن آخرهم في مدة يسيرة من غير وقوع حاجة إلى ضياع الوقت والأموال الكثيرة ببناء عدة فابريقات ولا ارتكاب فظائع القتل العام في عصر التمدن.

فلما أتم أبو جهل الجمعية هذا الكلام بهذا الوجه قام الشيخ النجدي الذي كان حاضرًا هناك وهو ناظر المعارف وقبل بين عينيه وقال: هذا هو الرأي السديد والفكر الصحيح الذي ليس له مزيد لا فض فوك ولا نجح حاسدوك فإنه وإن كثر أرباب الترهات إلا أن أمثالك لا يولدهم إلا قليل من الأمهات فصفق عليه الحاضرون علامة للاستحسان والقبول وهتفوا وصفروا وغطرفوا، والحاصل تلقاه أهل المجلس كلهم بالقبول وسلموا على صحة تلك المقدمات ولم يشكوا في حصول النتيجة بعد ترتيبها

بهذه الكيفيات فإن حصول النتيجة بعد صحة المقدمات ضرورية سواء قلنا إنه عقلي أو عادي أو توليدي أو واجب على اختلاف المذاهب.

ولما تم هذا الاتفاق فيما بينهم اخترعوا حيلة أخرى لخدعة الحكومة بها وجلب أنظارها إليها فإن الحكومة وإن كانت راضية بها بصفة كونها حكومة نصرانية إلا أنه لا بد لها من سبب آخر مناسب ونافع له بصفة كونها حكومة مطلقة مع قطع النظر عن كونها نصرانية وحيلة أخرى أيضًا يسترون بها أغراضهم الفاسدة الكائنة تحت تلك التكليفات من أرباب العقول الضعيفة من المسلمين ومن سائر الأجانب. أما الأولى، أعني حيلتهم لخدعة الحكومة، فإنهم قالوا لها: إن تقوي كل دولة وبقائها إنما يكون باتحاد دين رعاياها ومذهبهم مهما اختلفت أجناسهم وكل دولة فقدت هذه الصفة فلا يمكن تقويها فلو حصلت له قوة في وقت ما إلا أن عاقبتها غير سالمة من الخطر ولا هي آمنة من حدوث حوادث موجبة للكدر بغلبة العناصر المغايرة لعنصر الحكومة ولو بعد حين ومثلوا لذلك بدولة الروم واليونان القديمة وغيرهما من الدول المنقرضة بالكلية أو القريبة من الانقراض ثم قالوا: وإن دولتنا هذه دولة الروسية مجتمعة وملتئمة من أقوام شتى وأجناس مختلفة ولكل واحد منها دين على حدة يدينون به ومذهب مستقل ينتحلونه ولم يدخل واحد منها تحت طاعتنا طوعًا وحبالنا بل بقوة السيف فهم وإن كانوا يطيعوننا في الظاهر لعجزهم عن المخالفة والعصيان إلا أن محبة الاستقلال لم تخرج بعد من سويداء قلوبهم وطعمها لم تزل في لهواتهم وحلوقهم وفي مقدمتهم التتار بل المتصفون بهذه الأوصاف ليسوا الأهم فإنهم كانوا حكام هذه البلاد وسادات من سواهم من سائر الأقوام وغيرهم كانوا تابعين لهم وأثر هذه السيادة والتبعية باق في الطرفين إلى الآن فإن من سواهم مائلون إليهم دائمًا ويحبونهم أكثر من الروس ويتعودون بعاداتهم ويعظمون أيام جمعهم وأعيادهم بل لا يزالون يدخلون في دينهم سرًا ونحن وإن سلبنا من التتار كافة قواهم المادية والصورية مذ استولينا على بلادهم ونزعنا الملك منهم بحيث لم يبق منها فيهم شيء يخاف منه إلا أن قواهم المعنوية يعنون الدين والعلوم والمعارف باق فيهم من غير نقصان لم نقدر أن ننقص منها شيئًا مع بذل جهدنا وصرف قدرتنا فيه فضلاً عن أن نقدر على سلب كلها بل لا تزال تلك القوة تزيد وتنمو شيئًا فشيئًا مع مرور الزمان مذ منحتهم يكاترينا الثانية تمام الحرية وكمال الوسعة في أمر الدين والتحصيل لكون الأمر في ذلك كله في أيديهم يقرأون ما يشاؤون وكيف يشاؤون ولا اطلاع لنا عما يحصلونه في مكاتبهم ومدارسهم وأمر انتخاب القضاة والأئمة والمدرسين أيضًا بأيديهم ينتخبون من يوافق مشاربهم

ويتركون من يخالفها وليس لنا إلا تصديق من انتخبوه وليس هذا إلا إنشاء حكومة في داخل الحكومة فهل نأمن والحالة هذه من سوء عاقبة هذا الإهمال ومن ظهور حوادث في خلال هذه الأحوال؟ فالاحتياط في تدارك الأمر قبل تفاقمه والحزم هو الاجتناب عن الأمر المحتمل قبل وقوعه وتمام التدارك لا يمكن إلا بجر قوم التتار إلى التنصر فإن الدملة لا تريح صاحبها ما بقي القيح الصلب الذي في وسطها وكذلك التتار ما بقوا على ما هم عليه من الإسلام لا رجاء لنا في جر سائر الأقوام إلى ديننا لكونهم تابعين لهم كما قلنا وأما إذا جررنا التتار إلى ديننا فسائر الأقوام يهرعون إليه بأنفسهم من غير جر كالسيل المنهمر وقد وضعنا طريقًا سهلاً يسيرًا لجبر التتار إلى ديننا بحيث لا يشعر به أحد ولا يشعرون هم أنفسهم أيضًا به وهو.

تكليفهم بمعرفة مقدار كاف من لغة الروس وكتابتها لإحراز منصب الإمامة والتدريس والخطابة على وجه لا يعطى لهم المناشير بمنح تلك المناصب إلا لمن بيده شهادتنامه ناطقة بمعرفة ذلك المقدار.

ونزع حق انتخاب القضاة أعضاء الجمعية الشرعية المحمدية من أيديهم وجعله في أيدينا.

وجعل مكاتبهم ومدارسهم تحت نظارتنا ومراقبتنا. وهذه الأمور الثلاثة هي أساس مشروعنا المقدس وهي ضامنة وكافلة بنجاحه على أننا مستعدون لتفريع فروعات مناسبة للوقت والحال عليه فإن أعمالنا هذه ليست محدودة وأبواب الحيل ليست مسدودة فإن خفنا من إصابة ضرر فوت المطلوب من باب واحد ندخل من أبواب متفرقة ولا نطلب من الحكومة سوى الإذن بإجراء هذا المشروع المقدس ومدّ يد المساعدة والإعانة فيه حسب الإمكان وهذه نصيحة قدمناها للحكومة أداء لما وجب في ذمتنا لها.

هذا هو خلاصة حيلتهم التي خدعوا بها الحكومة وهذا هو مراد الميسيونير ياكوبلف المشهور الآن في قزان بقوله: فلولا اجتهاد جمعية الغوري في سنة ١٨٦٧ بقزان لاهتدى المكرهون كلهم وحيث إنه صدر منها السعي والاجتهاد بقي بعض المكرهين على النصرانية اهـ من جريدة يولدز عدد ٥١.

وأما حيلتهم لإيجاد الحجاب والستر في قلوب السطحيين أرباب العقول السذج من المسلمين والأجانب فإنهم أظهروا لهم أن هذا التكليف إنما هو لكونهم (الأئمة والخطباء والمدرسين) من أعضاء الحكومة الروسية وبيدهم دفاتر المواليد والوفيات

المسماة بدفتر متريكه وأنهم مكلفون بترجمتها إلى لغة الروسية في آخر كل سنة وأنه يقع في ترجمتها خطايا كثيرة لعدم دقة مترجميها ومبالاته لعدم توجه المسؤولية بتلك الخطايا إليه وأنه يرد إليهم من طرف الحكومة دائمًا أوراق رسمية فيها أوامر وسؤالات واستفسارات وتلك الأوراق كلها مكتوبة بالكتابة واللغة الروسيتين الرسميتين فإذًا لا مندوحة لهم من معرفتهما والترجمة الصادرة من طرف الغير لا يخلو من وقوع الخلط والخبط والخطأ الموجب للملامة والتكدير بل والتعزير مع ما يترتب على ذلك من مشقة طلب المترجم وإعطاء الأجرة له في كل مرة فلو عرفهما الأئمة والمدرسون لتخلصوا من هذه المحذورات كلها ومع قطع النظر عن ذلك فإن معرفتهما صنعة ومعرفة نافعة لصاحبه خصوصًا لسكان بلاد الروسية ولا مانع في الشريعة المحمدية من تعلم أي علم وصنعة كان وهذا هو خلاصة حيلتهم في بيان عذرهم وإظهار سبب تكليفهم بهما ظنًا منهم أن المسلمين كلهم غافلون عن دسائسهم الجارية فيما بينهم ونواياهم في ذلك.

والحاصل أنهم لما نالوا الإذن من الامپراطور بإجرائه بشرط عدم إفضائه إلى الاختلال اجتمعوا ثانيًا وكرروا النظر فيما دبروه ورتبوه ونظموه ثانيًا على ما مر ثم عرض ناظر المعارف ما رتبوه ثانيًا على الامپراطور فصدر عنه الإذن بإجرائه[1] والتصديق بما فيه بالشرط المذكور مع الأمر بمراجعة النظارة الداخلية ومشاورتها فيما يتعلق بها وذلك في ٢٦ مارس سنة ١٨٧٠ م المصادف أواخر سنة ١٢٨٦ هـ فأبلغ ناظر المعارف البلاغ المشمل على إذن الامپراطور وأمره المذكورين المرقم برقم ٣٦٠٩ مع ترتيبات جمعية شورى المعارف الآتي ذكرها لنظارة الداخلية في أپريل من العام المذكور وهذه صورة ترتيبات جمعية شورى المعارف التي قدمت لنظارة الداخلية.

١ ـ لا يؤذن بعد ذلك للمسلمين ببناء مكتب جديد ما لم يلتزموا باستئجار معلم روسي بمالهم يعلم أولادهم فيه اللغة والكتابة الروسيتين.

٢ ـ يكون نظارة التعليم الروسي في المكاتب والمدارس مختصة بناظر المكاتب الابتدائية الروسية الملقب بانسبكنور ناچالني نارودني أشكول.

---

(١) والإذن الأول إنما كان لأجل التشبث بأذيال تلك الحيل والدسائس وهذا العرض والإذن لإجرائها. منه عفي عنه.

٣ ـ بعد مضي مدة مضروبة لتعلم اللغة والكتابة الروسيتين لا ينتخب للوظائف الدينية والمناصب الرسمية وخدمة محكمة الجمعية الشرعية المحمدية إلا من عنده شهادتنامه ناطقة بمعرفتها.

فبعد ذلك أصدرت نظارة المعارف أمرها المرقم برقم ٨٠ في ٢٣ يناير سنة ١٨٧١ إلى محكمة الجمعية الإسلامية الأورنبورغية والقريمية بإكمال هذه الأمور وإجرائها من غير تبديل ولا تغيير ولكن كان اينسبكتور (مفتش) مكاتب ولاية أوفا الابتدائية طلب من المفتي سليم گراي التوكيلي في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٠ أعني قبل ورود الأمر إليه من النظارة الداخلية إجراء تنظيمات ژورنال جمعية شورى نظارة المعارف المتقدم ذكرها بالفعل ولهذا كتب المفتي المشار إليه إلى النظارة الداخلية أن من الحزم عدم تبديل شيء من أساس أمور المسلمين الدينية إلى أن تنفتح الجمعية المشكلة تحت نظارة ناظر الداخلية الموجهة إلى عهدتها تبديل قوانين المحكمة الدينية لئلا يتطرق سكتة وتأخير على جريان المقاصد الأصلية ورواجها. فكتب إليه نظارة الداخلية أن الحكومة ترجو منك أن تجتهد في تحسين نشر لغة الروس فيما بين التتار بإيراد الأدلة المعقولة وبيان فوائدها وأن تسعى في إزالة الحركات المحتمل وقوعها وصدورها عن بعض أشخاص معارضة للحكومة ومعرض عن أوامرها.

وبعد ورود هذا الأمر وإن أظهر المفتي المشار إليه استحسانه لهذا المشروع ولزوم السعي والإعانة من طرقه لإجرائه ورواجه إلا أنه بين عدم إمكان إجراء تنظيمات الژورنال المذكور على المدارس الموجودة الآن. ولما أبلغ جواب المفتي هذا لناظر المعارف قال: إن التنظيمات المذكورة ليست في حق المدارس الموجودة الآن وطلب من نظارة الداخلية الإعانة في إجراء التنظيمات المذكورة المصدقة من طرف الامپراطور وإكمالها. وفي ذلك الوقت كان الخبر المذكور انتشر بين المسلمين فانزعجوا منه انزعاجًا شديدًا واتفقوا على عدم قبول التكليفات المذكورة بوجه من الوجوه وإن كان فيه حتفهم ولذلك ولطلب ناظر المعارف كتب نظارة الداخلية إلى المفتي يأمره ببذل جهده وسعيه مهما أمكن في منع العلماء من العصيان على الحكومة ومن مخالفة أوامرها في نشر لغة الروس بينهم. فبعد أن رتب المفتي نصيحة للعلماء أرسل نسختها إلى نظارة الداخلية يعرضها عليها ليعلم أنها موافقة أم لا فصدقها الناظر بعد التعديل والتنقيح والتكميل وإعادها إلى المفتي فأرسلها المفتي بعد الطبع بلغة الروس إلى العلماء ونشرها بين المسلمين ومضمونها التحريض على تعلم لغة الروسية وكتابتها

وبيان لزومهما عقلاً ونقلاً وبيان أن قول القائل: إن الذي يجتهد في نشر لغة الروس بين المسلمين مجتهد وساع في الحقيقة في إدخال النصرانية افتراء محض لا محل له من إعراب الصحة وأن في صحيح البخاري ما يدل على صحة تعلم لغة اليهود (كذا) إلى غير ذلك من النصائح المهمة المناسبة للحية المفتي المذكور فكان من نتيجة نشر هذه الورقة سقوط محكمة الجمعية الإسلامية من أعين المسلمين وزوال أمنيتهم عنها وفقدان اعتمادهم عليها وعدم بقاء نفوذها فيهم وكونها معروضة لملامتهم وتهمتهم واعتقادهم بأنه لا خير فيها بعد الآن وأنها مقبضة ماكينة الدسائس الشيطانية فإن المسلمين كانوا مطلعين على الماجريات المذكورة كلها في وقتها وساعتها ودقيقتها ومواضعها وأربابها فكثرت الملامة بعدئذٍ على أعضاء الجمعية الإسلامية ولا سيما المفتي حتى أن الملا شاهين گراي أفندي الچشموي عليه الرحمة والغفران أحد العلماء الكرام في الوقت المذكور كتب إلى المفتي يشنع عليه ويوبخه بما صدر عنه واستعمل فيه لسان الحدة فسكت عنه المفتي ولم يتعرض له بسوء مع قدرته في مثل ذلك الظرف على إجراء ما أراده فيه فعد ذلك من محاسنه سامحه الله. ومن شدة حرص جمعية الميسيونير لم يكتفوا بطلب إجرائه من المفتي فقط بل شرعوا في إجرائه من طرف أنفسهم بالفعل ونشروا الإعلانات بين العلماء في العالم المذكور أعني سنة ١٨٧٠ مضمونها أن حضرة الامپراطور أمر بتعلم أولاد المسلمين الكائنين في المكاتب والمدارس الإسلامية اللغة والكتابة الروسيتين وإدخال معلمي الروس في مدارسهم.

وهاك ما معرب ما نشره اينسبكتور (المفتش) رادلف المفوض إليه نظارة وتفتيش مكاتب المسلمين ومدارسهم بدائرة المعارف بولاية قزان خطابًا للعلماء بتلك الولاية في ١٣ أوغسطس عام ١٨٧٢ تحت رقم ١١٣٥ بالروسية والتركية قال: بناء على القانون الامپراطوري الصادر في ٢ فبراير سنة ١٨٧٠ تحت رقم ٤٢ الناطق بلزوم القراءة بالروسية في مكاتب المسلمين ومدارسهم لتضرر كثير منهم بسبب جهلهم بلغة الروسية وكتابتها (كذا) نبين المواد الآتية.

١ ـ لأجل جهالة المدرسين بالروسية يعين في مكاتبهم ومدارسهم من يعلم الطلبة بالروسية على حدة.

٢ ـ يكون درس هؤلاء المعلمين تعليم لغة الروس وكتابتها وتكلمها والأعمال الأربعة من علم الحساب.

٣ ـ المكاتب والمدارس التي بنيت قبل سنة ١٨٧٠ يتخذ فيها أهل المحلة هؤلاء المعلمين بمصاريفهم. وأما التي بنيت بعد العام المذكور لا يؤذن بفتحها إن لم يقبل ويتخذ فيها معلمو الروسية. وبناء على ذلك يلزم أمام كل قرية فيها مكتب أو مدرسة بنيت قبل العام المذكور أن يجمع أهلها ويعلمهم النظام المذكور فهل يرضون به أو لا والمأمول أن تسعوا في امتثال الأمر الامبراطوري وإجرائه وإتمامه حسب طاقتكم وأما المكاتب والمدارس التي بنيت بعد العام المذكور ولم يرض أهل تلك القرية أو المحلة باتخاذ معلمي الروس بمصاريفهم فتغلق المكاتب والمدارس المذكورة[1] ويلزمكم أن تبلغوني جواب الأهالي في ذلك سواء كان بالرضاء أو بالرد وليضع أمام كل قرية أو محلة وشيخها ومختارها إمضاءهم في الورقة التي كتب فيها الجواب. ويلزمكم أيضًا أن تكتبوا لي الجواب لهذه الأسئلة.

١ ـ ما اسم إمام قريتكم وفي أي موضع قرأ. ومتى أخذ المنشور وهل يعرف اللغة والكتابة الروسيتين.

٢ ـ أي إمام يدرس في المدرسة وأي منهم يعلم أولاد المحلة في بيته.

٣ ـ هل في قريتكم مكتب أو مدرسة ومتى بنيت وبمصاريف من تقوم وتربى.

٤ ـ وهل للمدرسة وقف.

٥ ـ وهل يقرأ فيها بالروسية.

٦ ـ وكم كانوا فيها من أولاد المحلة وكم جاؤوها من الأطراف والجوانب في الشتاء السابق (وهو أوان التحصيل هناك) اهـ، ولم يكتفوا بذلك أيضًا بل جاؤوا بعض المدارس بمعلمي الروس بنية إدخالهم فيها جبرًا فطردهم أهل المدرسة وضربوهم فظهر بعد ذلك علائم الاختلال والاغتشاشات.

وفي سنة ١٨٧٣ أبلغ وكيل ناظر المعارف إلى نظارة الداخلية أن العلماء في ولاية قزان يعارضون على إدخال تعليم اللغة والكتابة الروسيتين في مدارسهم أشد المعارضة ويردونه ردًا باتًا وطلب منهم ترتيب الجزاء على معارضتهم ومقابلتهم فكتب

(١) يعني أن المدرسة التي بنيت قبل العام المذكور يطلب من الأهالي اتخاذ معلمي الروسية فيها بمصاريفهم ولكنهم لا يجبرون به إن لم يرضوا وأما المدارس التي يراد إنشاؤها بعد العام المذكور لا يؤذن به ما لم يرضوا باتخاذ معلمي الروسية فيها بمصاريفهم والذي أنشئت بعده فتغلق إن لم يرض الأهالي بذلك. منه عفي عنه.

نظارة الداخلية إلى والي قزان تستعلم منهما الأخبار والأحوال وترتيب لائحة في خصوص إجراء التدابير المذكورة بالنظر إلى أحوال المحال والمواقع فكتب إليه والي قزان بأن نعم أن العلماء والأغنياء غير راضين بإدخال اللغة والكتابة الروسيتين ومعلم الروس في مدارسهم ولا يقبلون أوامر الحكومة في هذا الباب وسبب ذلك أنهم يظنون أن تعليم لغة الروس وكتابتها هو مقدمة إدخالهم في النصرانية ولهذا يقاومونه أشد المقاومة ولهذا أرى أن لا بد من إجراء الجزاء الذي طلبته نظارة المعارف وعدا ذلك أن مسلمي الناحيتين من نواحي قزان امتنعوا من إرسال أولادهم إلى مكاتب الروس التي كان حكّام تينك الناحيتين فتحها في جنب المدارس التي فيهما من أن جمعية دائرة المعارف ومأموريها كانوا قد اعترفوا بلزوم إرسال مسلمي تينك الناحيتين أولادهم إلى مكاتب الروس المذكورة وكتب أيضًا ببيان فكر مدير دائرة المعارف بولاية قزان وهو أن كل من يترشح لوظائف الإمامة والتدريس كما أنه يطلب منه شهادتنامه مبينة لمعرفته مقدارًا كافيًا من لغة الروس وكتابتها كذلك يطلب منه اعترافه بفوائد تعلم اللغة والكتابة الروسيتين في مدارس المسلمين وبكونه ضروريًا لا بد منه ويطلب منه أيضًا التزامه الإعانة في إدخال التعليم الروسي في المكتب أو المدرسة التي تحت تصرفه ويؤخذ منه الإمضاء على ذلك.

وكذلك أخبر والي ولاية واتكا بوقوع المخالفة والمقاومة على التكاليف المذكورة في الولاية التي تحت تصرفه أيضًا وقال إن أعظم أسباب عناد المسلمين وأقواها خوفهم من تزلزل الدين المحمدي ووقوع الخلل فيه ويزيده تحذير العلماء الكبار الذين لهم نفوذ وتأثير واقتدار ويرى الوالي المذكور لزوم كمال الاحتياط في ترتيب الجزاء على العلماء ولزوم نصب أئمة ومدرسين يرجى منهم الإعانة في حصول مقاصد الحكومة المعهودة حين احتيج إلى نصب الأئمة والمدرسين فاستصوب ناظر المعارف رأي والي ولاية واتكا هذا وفكره وكتب إلى والي قزان أيضًا أن يعمل به.

وفي ١ أيلول من سنة ١٨٧٤ كتب من محكمة ولاية واتكا إلى المفتي هكذا: إن نظارة الداخلية أرسلت هنا صورة العريضة التي قدمت إليها من طرف مفتش مدارس التتار وباشقرد وقرغز بولاية قزان في ١١ أيلول من سنة ١٨٧٣ وقد قال فيها المفتش رادلف: إن القراءة الروسية في مكاتب المسلمين ومدارسهم قد ابتدأت بسعي محكمة ناحية واتكا في سنة ١٧٦٨ ولكن الأئمة المتعصبين في قضاء مالمژ قد خالفوا هذا الأمر وإن صدرت المكاتبة في هذا الخصوص بالمحكمة الشرعية الأورنبورغية

ولكن الأئمة لم يلتفتوا إلى قول المحكمة المذكورة أيضًا فإن كافة المكاتب الروسية المبنية بجنب مكاتب المسلمين أغلقوا في سنة ١٨٧٢ والحال أن التدابير المتخذة لإيجاد المكاتب الروسية بجنب مكاتب المسلمين كانت قد صدقت من طرف الامبراطور في سنة ١٨٧٠ وقد نشر الإعلانات إلى العلماء الكائنين في دائرة معارف ولاية قزان في خصوص الفرامان الامبراطوري الصادر في ٢ فبراير من سنة ١٨٧٠ المرقم برقم ٤٢ والعلماء وإن لم ينكروا فائدة القراءة الروسية ولكنهم يتعللون بفقر الأهالي وكونه مانعًا من إجراء مثل هذا الأمر وإنما ينكرها على القطع والجزم علماء قضاء مالمژ فإن لم يتخذ التدابير الشديدة في مثل هؤلاء العلماء المتعصبين لا يمكن إقراء المسلمين بالروسية ولهذا يرى من المصلحة أن يعزل أمثال هؤلاء العلماء الذين يخالفون الفرامان الامبراطوري عن مناصبهم وأن ينفوا عن أوطانهم ولو عامًا واحدًا. ولما اطلع والي واتكا على ما في هذه العريضة جمع المعلومات في خصوص مخالفة علماء قضاء مالمژ فتبين له أن هؤلاء العلماء لما كانوا من تلامذة مدرس قرية تونتار الذي له حرمة عند المسلمين صاروا معتبرين عند الأهالي وتحقق لديه أيضًا أنهم وإن أمروا الأهالي بقراءة الروسية في الظاهر رسمًا إلا أنهم يقولون لهم في الخلوة أن الذي يقرأ بالروسية يكون شارب الخمر وغمازًا ونمامًا وصاحب أخلاق ذميمة عمومًا فإياكم أن تقرؤوا أولادكم بالروسية وأيضًا يقولون إن المسلمين بولاية واتكا لأي شيء يضايق عليهم في خصوص القراءة بالروسية حال كون مسلمي ولاية قزان غير مكلفين بها.

وبالجملة أن الأئمة التابعين لقضاء مالمژ يجرون في شأن أوامر الحكومة موافقًا لرأي إمام قرية تونتار وشيخه ويعملون به حسب مشورتهما ومتى طولبوا بالجواب يقولون: إن الأهالي فقراء ولهذا لا يستطيعون ذلك ويدفعون عدم الرضاء والقبول إلى الأهالي وكذلك الأهالي يعترفون بذلك ويتعللون به ويقولون: إن الجاهل بأحكام الإسلام يكون فاسدًا وفاجرًا ولهذا نعلم أولادنا أحكام الإسلام وآدابه إلى ١٤ سنة وبعد ذلك نحتاج إلى خدمتهم فإننا فقراء ولهذا لا نستطيع إلى الإقراء بالروسية. فالظاهر من هذا أن مانع المسلمين عن القراءة بالروسية هم العلماء المتعصبون. ولهذا نرجو المفتي أن يمنع أمثال هؤلاء العلماء عن ذلك وأن يخبر الوالي بالتدابير التي اتخذها في هذا الباب.

فأجابتها الجمعية الشرعية المحمدية في ١٧ أكتوبر من العام المذكور هكذا. إن الشيخ علي إيشان التونتاري قد توفي في هذه الأيام ولكن ختنه الإمام ابن رحمة الله وكذلك إمام قرية لوربار محمد بن يونس سيدعيان إلى حضور الجمعية الشرعية

للاستجواب وأما أئمة قرى بورتاق وصلاوز واسكي صلاوز وآرياق صلاوز ويانغل يورا فسيكتب لهم هكذا ادعوا الأهالي للإقراء بالروسية فإن القراءة بالروسية ليست مخالفة للإسلامية فليقرىء الأهالي أولادهم بالإسلامية والروسية والذي يجري على خلاف ذلك وينشره بين الناس ولو خفية يكون مسؤولاً مؤاخذًا.

وهذه صورة ما كتبه مفتي أورنبورغ إلى والي ولاية واتكا في ١٨ أكتوبر من العام المذكور تحت رقم ٣١٧٤: إن محكمة ناحية واتكا وإن اخترعت مسألة قراءة الطلبة في مدارس المسلمين في سنة ١٧٦٨ ولكنها نسيت أهم الأشياء في ذلك ولم تلاحظه فإنها لم تهيىء المال الذي هو الشرط لدوام القراءة بالروسية وهذه هي الجهة المادية وفكر إجبار الطلبة الذين يقرأون ضروریاتهم الدينية في المدارس الصغار التي بنيت بجمع الصدقات من هنا ومن هناك وليس لهم خبر عن شيء ما قطّ بالقراءة بالروسية على سبيل القطع فهو قصور من جهة المعنى (بل هو نهاية عدم الإنصاف وغاية التباعد عن الحقانية) وعروض الحيرة للمسلمين من أمثال هذا الأمر طبيعي ولا شبهة في حصول المخالفة لأمثال هذا التدبير (السقيم) في الأكثر والأغلب وإن لم تكن على سبيل العموم وخلو المسلمين عن العلوم والمعارف وكونهم مع ذلك متصفين بفقر الحال معلوم لنا. وما هو معلوم لنا ينبغي أن يكون معلومًا لمحاكم النواحي بالطريق الأولى. وقد شوهد فيما بين قوم الروس أيضًا من خالف بناء المكاتب والمدارس خوفًا من نقصان من يخدم وقد قاسى مأمورو الحكومة مشقات كثيرة من هذه الجهة فلا يبعد حصول أمثال تلك المشقات في شأن المسلمين أيضًا فإن كان مراد محكمة ناحية واتكا هو تأليف المسلمين بقراءة الروسية ونشر المعارف بينهم بهذه الوسيلة حقيقة كما تدعيه كان اللازم عليها قبل بناء مكاتب الروس وتعيين المعلمين فيها وقبل كل شيء بيان فوائد القراءة بالروسية ونشر هذا الفكر بينهم بواسطة أناس معتمدين ومعتبرين فيما بينهم وكذلك كان اللازم عليها بناء مكاتب الروس في المواضع المناسبة بأن يكون لأهلها ثروة وغنى وقدرة لبنائها والقيام بمصاريفها لا أنها تكلف ببنائها والقيام بمصاريفها على سبيل الجزاف، ويحتمل أن يجيء وقت يطلب المسلمون فيه القراءة بالروسية من عند أنفسهم من غير أمر أحد إياهم بها فضلاً عن الإجبار ولكن هذا الوقت لم يجيء بعد[1] فاللازم إفهامهم لزوم القراءة بالروسية باللين

(١) ومجيء هذا الوقت إنما يكون إذا مات پوبيدانتسف وچيريوانسكي وإيغناتف وأضرابهم وكافة طائفة ميسيونير ولم يخلفهم أحد في إزعاج المسلمين فيخلون وشأنهم. منه عفي عنه.

والرفق وبواسطة المعتمدين لديهم إلى أن يجيء الوقت المذكور وحيث أني عارف بفوائد القراءة بالروسية بذلت جهدي ومقدرتي في هذا الخصوص حسب الإمكان وسأبذل استطاعتي فيه بعد ذلك أيضًا ولكني من جهة إقامتي في موضع واحد لا أقدر صرف جهدي في جميع نقاط الدائرة العظيمة، ولذلك أرى أن دعوة مأموري محاكم النواحي ونصيحتهم الأهالي في هذا الباب تكون في حقهم أولى وأنجع من دعوتي ونصيحتي إياهم اهـ.

وفي ٥ أيون من سنة ١٨٧٦ أرسل ناظر الداخلية تيماشف إلى مفتي أورنبورغ التوكيلي مكتوبًا تحت رقم ٢٢٣٣ وهاك تعريبه: إن محكمة ناحية قضاء مالمژ لما طلبت منك الإعانة والإمداد في شأن إدخال القراءة الروسية في مدارس المسلمين تركت طلبها المذكور بلا اعتبار ولم تصغ إليه وأنا مخلصك فأرجوك بغاية التواضع أن تبين لي حقيقة هذا الأمر.

فأجابه المفتي في ٣٠ أيلول المذكور تحت رقم ٢٧ هكذا. وهاك تعريبه: لم أترك ما طلبته محكمة ناحية قضاء مالمژ بلا اعتبار بل صرفت جهدي في هذا الخصوص حسب الإمكان ونصحت الأهالي ولكن لا يحصل من نصائحي الأثر اللازم من الأثر ولا حق للجمعية الشرعية في إجبار المسلمين إلى القراءة بالروسية بموجب البند ١٢٣٨ من القسم الأول من المجلد ١١ من الدستور وعدا عن ذلك لا حق لأحد في تشنيع العلماء وإسناد المخالفة إليهم في شأن القراءة بالروسية فإنهم مجبورون إلى الاتباع لأفكار العوام الجهلاء والجري بموجبها وقد كتبت في هذا الخصوص إلى والي ولاية واتكا أيضًا وها أنا أرسل مسودته إليكم مع عريضتي هذه فإن كان طريق ما لدعوة العلماء إلى القراءة بالروسية فأرجوكم أن تبينوه لي اهـ.

وفي ٢٠ يناير من سنة ١٨٧٤ صدر الأمر من جمعية شورى الدولة ممضي بإمضاء الامپراطور بأن كافة المكاتب التي ليست تحت نظارة ناظر المعارف وكذلك سائر مكاتب الأقوام الغير الروسية التي أسست حديثًا ومكاتب باشقرد وقرغز وتاتار ومدارسهم وكافة مواضع تعاليمهم تحت أي اسم كانت تكون بعد هذا التاريخ تحت نظارة ناظر المعارف وتكون كافتها تحت تصرف مأموري المعارف ونظارتهم وخاضعة لهم وكل مبالغ عينت لبعض طلبة باشقرد وقزاق من طرف نظارة الداخلية تنتقل بعد ذلك إلى تصرف نظارة المعارف وحسابها اعتبارًا من أول يناير الآتي وفوض ترتيب القوانين اللازمة لهيئة مديري المعارف وأعضائها إلى نظارة المعارف واختياره وبين لها

لزوم كمال الاحتياط وكونه ضروريًا جدًا في إجراء النظار والمديرين نظارتهم للدروس المستعملة في مدارس المسلمين ومكاتبهم ولذلك كتبت نظارة المعارف إلى هيئة مديري المعارف في ولاية قزان يأمرهم بالكف عن نظارة دروس مدارس الأقوام الغير الروسية التي فوضت إليهم ومداخلتهم فيها بالفعل إلى أن يتم ترتيب القوانين اللازمة في هذا الباب وبالاكتفاء بالاستخبار عن جميع مدارس الأجانب في كل ولاية وناحية وبأخذ حساب الطلبة وترتيب أستاتيسقه. فقط.

ثم وقعت بين نظارة المعارف ونظارة الأمور الداخلية مراجعات ومكاتبات في هذا الخصوص يعني في ترتيب القوانين المذكورة ولما تمت القوانين قدم نظارة المعارف في ٢٤ أبريل من سنة ١٨٧٦ م عريضة واستدعاء للامپراطور يستأذن فيها تقديم صورة القوانين المذكورة إلى مجلس شورى الدولة والقوانين المذكورة عبارة عما تقدم مرارًا من اشتراط استحقاق الوظائف الدينية والمناصب الدنيوية بمعرفة مقدار معين من لغة الروس وكتابتها وإبراز شهادتنامه فيها وضرب مدة معينة لتعلمها ولزوم اختلاف تلك المدة بالنظر إلى مواضع المسلمين ثم تعيينها لمحكمة الجمعية الإسلامية الأورنبورغية والقريمية وما في تصرفهما بابتداء سنة ١٨٨٠ م بحيث لا يجوز إعطاء الوظائف الدينية والمناصب الدنيوية إلا لمن أبرز شهادة لكونه حائز الشروط اللازمة لها على وجه الكمال والتمام وأما قبل حلول المدة المذكورة وبعد صدور هذا الأمر وهي مدة ٣ سنوات فيكتفى فيها بطلب شهادتنامه مبينة لمعرفة لغة الروس وكتابتها معرفة صحيحة جيدة فقط وأن هذه الشهادتنامه إنما تعطى من طرف (پبداغوغيچسكي ساويت) جمعية شورى أصول التدريس أو من طرف (پراويتلستويننى أو چويني زاويدينيه) مجامع التعليم ومواضعه الملكية الكائنة تحت تصرف نظارة المعارف.

وأما التفصيلات اللازمة في خصوص شهادتنامه فتبين من طرف النظار وأنه لا يؤذن ببناء مكتب أو مدرسة بعد ذلك إلا إذا التزم بانيه كائنًا من كان فتح درس وتعليم روسي فيه بمصاريفه.

وأما مبلغ المصاريف المذكورة فيعين بمشاورة نظار دوائر المعارف بحكام تلك الناحية الملكية ولا بأس بوقف الباني المذكور أو هبته نقدًا أو أموالاً غير منقولة لمصاريف التعليم الروسي السنوية في المدرسة التي بناها إذا كان إيرادها كافيًا للمصاريف المذكورة ولكن يكون المال المذكور كملك التعليم الروسي يصرف إيراده في مصارف التعليم السنوية التي يراها نظار دوائر المعارف وأن هذه القوانين لا تجري

في ولاية سيبريا ولا في تركستان ولا في كافكازيا ووراءها وإنما يرتب لها نظارة المعارف القوانين مخصوصة وتقدمها إلى مجلس شورى الدولة وتستأذن منها لإجراء التدابير اللازمة.

فلما طالعها جمعية شورى الدولة لم تستصوبها ولم تجدها موافقة للحال والوقت وحكمت بردها إلى نظارة المعارف في أول سنة ١٨٧٨ م وكان الحرب بين الروس وبين الدولة العلية قد بدأت وشرعت في دور مهم منها فأوقفها نظارة المعارف موقتًا ولم يسقها إلى الإمام ولكن كانت طائفة ميسيونير ينتظرون صدور الأمر القطعي من طرف الحكومة بإجراء جميع ما يريدونه في حق المسلمين غاية الانتظار ولا شغل لهم بمساعدة الوقت وعدم مساعدته بل لا يتفكرون فيه قط وكانوا قد رتبوا فيما بينهم دسائس كثيرة ونسبوها إلى الحكومة منها أن والي قزان في الوقت المذكور السكاراتين نشر فرامانًا مدسوسًا مشتملاً على بنود كثيرة نشرها إلى حكام النواحي الملقبة بوولصنوي وأسطارشينه وإلى مختارات القرى ومن مندرجاتها أن أولاد المسلمين يؤخذون إلى مكاتب الروس إذا بلغ عمرهم ٧ سنوات وتكون مصاريفهم على أوليائهم فمن خالف هذا الحكم يكون محكومًا. ويكون مصاريف بناء الكنائس وسائر مؤوناته على جميع أهل القرى من غير أن يبين فيها أن المراد بأهل القرى هل هم النصارى فقط أو الجميع مع أنها أعني المنشور المذكور أعطي للمسلمين أيضًا وأنه يبنى في كل قرية شاخص عال يعلق عليه الناقوس ويضرب في كل حين وكان الوالي قد أمرهم بتأخير إعلانها وإجراء ما فيها إلى سنة ١٨٨٠ ولكن هل يكتم المخارز في الكيس بل شاع بين الناس أجمع في وقته فزاد هذا الفرامان بلة في الطين فإن القلق والاضطراب كان قد أخذ من المسلمين مأخذه بتلك التكليفات التي ظهر بعضها أثر بعض في مدة عشر سنين فزاد فيهم القلق والاضطراب وساد فيهم غليان الأفكار بل أظلمت الدنيا بأسرها فإنهم تيقنوا أن هذا للمسلمين فأرسل أهالي الجهة الشمالية من بلدة قزان ثلاثة أشخاص من بينهم إلى والي قزان يستفهمونه أن هذه الأمور الثلاثة المذكورة هل هي في حق النصارى فقط أو هي عامة للكل فقال إنها خاصة بالنصارى فطلبوا منه شرح ذلك وإيضاحه لئلا يغلط حكام النواحي بتعميمها للكل فأمرهم بالانصراف ووعدهم بإرسال الشرح والإيضاح من ورائهم فلما انصرفوا أخذ الوالي دائرة البوليس وژاندارمه كلها ومقدارًا كافيًا من العساكر البيادة (الرجالة) والخيالة مسلحين وخرج معهم إلى تلك الناحية لتأديب الأهالي لأنهم خالفوا أوامر الحكومة وعصوها على زعمه استحقوا التأديب والتعذيب فسار بموكبه هذا حتى بلغ قرية منگر على مسافة ٦٠ ويرست من

قزان فألقى فيها رحله ثم جمع المسلمين من جميع القرى في تلك الناحية وكان الهواء بارد غاية البرودة لأن هذا الأمر كان في صميم الشتاء فلما اجتمعوا أمرهم بالجثو فوق الثلج ففعلوا فأمر الخيالة القزاق الذين هم أقسى خلق الله قلبًا وأبعدهم عن الرقة والمرحمة فضربوهم إلى أن تعبوا فلم يبد المسلمون أدنى مقاومة ثم أمر الوالي بعد ذلك النصارى الذين كانوا اجتمعوا هناك للنظارة والتفرج بضربهم فأجابوه بأي ذنب وجناية نضربهم وهم وطنينا وجيراننا نعيش معهم مائتين سنة لم نر منهم أدنى سوء يا ظالم وكان الملعون كلما يضربهم القزاق يصيح لهم هذا لكم دين وهذا لكم إسلام هذا لكم شريعة هذا لكم قرآن وهذا لكم إيضاح وهذا لمخالفتكم الفرامان المذكور وكان هناك رجل مسن جدًا من أعيان تلك القرية يدعى بالحاج شاكر فأمر بتجريده عن ثيابه وضربه بالسياط ولم يكتف بذلك ولم يشتف صدره الخبيث به بل قام وضرب على رأسه برجله وقال: أنا ما أضربك إنما أضرب رأس نبيك كذا محمد الذي تتعصب له فلما قضى وطره من الضرب والتأديب وإجراء مثل هذه المعاملة الوحشية في أواخر العصر التاسع عشر من الميلاد انثنى راجعًا إلى قزان معقود اللواء بالظفر والنصر كأنه فتح پيكين أو طوكيو فشاع هذا الخبر في جميع الأقطار وذاع فانخلعت قلوب المؤمنين من الوجل وأيقنوا بحلول وقت الشر والأجل فلما انعكس هذا الخبر إلى پيطر بورغ أرسلت الحكومة هيئة تفتيش مركبة من ٢٤ شخصًا نصفه من طرف المسلمين ونصفه من طرف الوالي ففتشوا الأمر بغاية التحقيق والتدقيق فظهر الحق والصدق في طرف المسلمين وكل القباحة والشناعة في طرف الوالي إسكاراتين حيث شهد العساكر ودائرة البوليس وژاندارمة كلهم ببراءة المسلمين عن أثر العصيان والمخالفة التي رماهم بها الوالي وأقامها سببًا لخروجه بهؤلاء العساكر ودائرة البوليس وإلقائهم في التعب والمشقة في صميم الشتاء وقالوا كلهم من فم واحد لم نر أثرًا في المسلمين مما رماهم به الوالي من العصيان والمخالفة وأخرجنا في صميم الشتاء وأتعبنا به لأجلها فعزلوه وجردوه عن رتبه حيث أتى بما لا يأتي بمثله أحد من آحاد الناس في مثل ذلك الظرف من إظهار ما يجب كتمه واستعجاله بما يجب تأخيره وتركه الحزم والاحتياط الذين أمر بهما من دونه من نظار المكاتب كما مر.

وعلى كل حال فنكبته هذه أعظم معجزة للنبي ﷺ لإساءته الأدب في حقه الشريف ﷺ فأمضى عمره في حقله كآحاد الناس ولم يكفه ذلك بل تمسخر به طلبة المكاتب العالية الذين يقال لهم: استودنت برواية أحواله وتمثيلها في تياترو مرارًا

عديدة ولم تقدر الحكومة منعهم وهم محبو العدل والإنصاف والحرية والمساواة ومبغضو الحكومة الظالمة المستبدة وعليهم مدار الأحوال الحاضرة نصرهم الله وفي سنة ١٨٨٠ م مصادفة سنة ١٢٩٩ هـ قتل الامپراطور ألكساندر الثاني بكيفية يعرفها العارفون وكان عاقلاً منصفًا حليمًا ذا سياسة صحيحة وفي عصره اتسعت حدود الروسية جدًا من الجنوب والشرق حيث استولى على ممالك الشيخ الشامل الداغستاني رحمه الله تعالى وأسره مع أهله وعياله وكان ذلك في سنة ١٨٥٩ م عقب انقضاء حرب قريم وقد امتدت محاربة الروسية ٥٠ سنة ودخل ولاية تركستان وطاشكند وسمرقند وما وراء النهر وخوارزم ومرو وفرغانة كلها في حوزة الروس في أيامه وكانت الحرب الأخيرة بين الدولة العلية والروسية أيضًا في عصره ومع كونه عاقلاً منصفًا حليمًا سياسيًا كان أسير تعصب النصرانية ومغلوب دسائس طائفة ميسيونير كما قدمنا ولهذا جرت هذه الأمور الوحشية التي لا يليق لشأن من هو أدنى منه بمراتب في عصره وسودت صحائف تاريخه بها ولا يبعد كون قتله انتقامًا من طرف الله تعالى لحزبه المسلمين وهو الظن الغالب.

وجلس بعده مكانه ولده وولي عهده ألكساندر الثالث كان مدمنًا للشراب ومبتلاً بشربه بحيث كان لا يفيق قط ومع ذلك كان أسير تعصب النصرانية أكثر من أبيه حتى شاع بين الناس أنه لما عبر نهر طونه بعسكر الروس أثناء حرب الروس والدولة أخذ قبعته عن رأسه وسجد متوجهًا نحو المشرق وقال: (أصلاوابوغ روسيه وسي أودنا ويربيل) يعني الحمد لله صارت الروسية كلها ملة واحدة يعني قد زال الخوف الموهوم من طرف الدولة لكونها مغلوبة فيجرون على المسلمين ما يريدون إجراؤه وكان مطيعًا لطائفة ميسيونير جدًا ولا سيما پوبيدانتسف الذي هو تمثال تعصب النصرانية وألد عدو الإسلام والإنسانية فإنه كان مطيعًا له إطاعة الظل لصاحبه ولذلك اشتد الأمر في عصره جدًا على المسلمين كما سيذكر.

والحاصل أنه كما استسلم زمام الأمر ولم يجلس بعد على التخت رسمًا كان جل اجتهاده في إجراء الأمور المذكورة وإنفاذها بأسرع ما يكون بسبب تشويق الروحانيين وتحريضهم إياه على ذلك ففي سنة ١٨٨١ خرج السيناتور كاوالوفسكي (لعله بأمر امپراطور) إلى ولايات قزان وأوفا وأورنبورغ لمعاينة أحوال المسلمين ومعرفة مقدار مقاومتهم الحكومة وصلابتهم فلما عاد قدم لائحة إلى امپراطور قال فيه: إن في إجراء تشبثات نظارة المعارف فوائد جمة بل هو ضروري لا يتوقع له موانع وعوائق ولا سيما إذا شرط في أول الأمر لإحراز الوظائف الدينية معرفة لغة الروس

في الجملة ثم يزاد بعد ذلك شيئًا فشيئًا بالتدريج فيكون له تأثير عظيم في توحيد رعايا الدولة الروسية ويكون هذا التدبير تدبيرًا حقيقيًا مفيدًا جدًا فلو شرعت الحكومة في إجرائها لشوهد لها نتائج عظيمة في مدة يسيرة أقلها كتابة دفاتير المواليد والوفيات وسائر الأوراق الرسمية بقلم الحكومة الروسية. وفيها أيضًا قدم ناظر المعارف القوانين المرتبة المنتظمة باتفاق من نظارة الأمور الداخلية ونظارة المعارف المتعلقة بنظارة مدارس المسلمين ومكاتبهم المكملة لقرار مجلس شورى الدولة الممضي والمصدق من طرف امپراطور الصادر في ٢٠ نويابره من سنة ١٨٧٤ حسبما مر كله إلى مجمع النظار للتصديق والإمضاء.

وحيث كانت القوانين المذكورة مرتبة ومنتظمة بالنظر والقياس إلى قوانين مفتش عموم المكاتب وبالنظر إلى أصل المرام من النظارة المذكورة كان بين فيها كيفية اتخاذ المكاتب والمدارس والتصرف فيها بالتفصيل ففوض مجمع النظار الأمر المذكور بموجب حكمهم وإمضائهم باتفاق الآراء في ٢٨ مارس من سنة ١٨٧٦ إلى نظارة الداخلية وأمروه بالاستفسار عن آراء ولاة الولايات التي فيها مدارس المسلمين ومكاتبهم من غير أن يقدموه إلى الامپراطور للإمضاء فاستفسر نظارة الداخلية عن آراء ولاة ولايات أورنبورغ وقزان وواتكا ونيژني وسمبر وصمار وسراطاو وحاجي طرخان فيه فلما أبدى كل منهم رأيه فيه تبين احتياج كثير من مواده إلى التبديل من أساسه بالكلية فانجر الأمر إلى اعتراض ناظر الداخلية على ناظر المعارف في تلك القوانين وخلاصته أن تلك القوانين تورث القلق والاضطراب وغليان الأفكار بين المسلمين فإنهم يعتقدونها شيئًا مخترعًا لتضييقهم وإضعاف الإسلام فقط لأنه كان من مقتضياتها أن من أراد فتح مكتب جديد أو مدرسة جديدة يلزمه أيًا من كان تقديم العريضة المبينة فيها شروط فتح المكتب الجديد إلى مفتش المكاتب فقط فيقدمها المفتش المذكور بعد ترتيبها إلى مدير المعارف ثم إن هذا المدير يكون مختارًا في الإذن بفتحه وعدمه وإن وجدت الشروط وقد تقدم بيان الشروط مرارًا إلا أنه زيدت عليها هنا قرون وأذناب وهي أنه يقدم مع العريضة المذكورة مضبطة من أهل المحلة مؤذنة برضاهم بفتحه وبتكامل الأسباب اللازمة له وبمقدار قوتهم المالية المعدة لمصارفه وأن معاش معلم الروس وراتبه السنوي لا يكون أنقص من ٣٥٠ روبلة وأنه يلزم بناء منزل للتعليم الروسي بقرب المكتب المذكور أو المدرسة بناء على القوانين المصدقة من طرف الامپراطور في ٢٦ مارس من سنة ١٨٧٠ وأنه إن صدرت المخالفة والممانعة من طرف متصرف المكتب أو المدرسة الموجودة الآن أو من

طرف الأهالي في فتح التعليم الروسي وقبوله أدنى مخالفة يخبر به المفتش إلى مدير المعارف ويكون المدير المذكور مختارًا[١] في إلغاء المكتب المذكور وإغلاقه ثم لا يمكن فتح ذلك المكتب المذكور أو المدرسة المذكورة الملغاة المغلقة من طرف المدير إلا بالتزام المتصرف فيه أو بالتزام الأهالي التعليم الروسي وقبوله وأمثال هذه المذكورات من التكاليف الباردة. فلما اعترض نظارة الداخلية على هذه التكاليف بما ذكر عدل نظارة المعارف عن نشرها إلا أنه كتب إلى مديري المعارف يأمرهم بالعمل بهذه الكيفية.

١ ـ إلزام النظار والمفتشين النظارة في المكاتب والمدارس التي تحت تصرفهم وأن يشرعوا في النظارة بالاحتياطات اللازمة وأن يدخلوا المدارس بالاحتياط وأن يعاينوا كيفيات تعاليمهم وأن يقفوا على المعلومات الاستاتيسقية وأن ينصحوا المدرسين والطلبة قولاً مهما أمكن، ولكن لا يكلفونهم بشيء على سبيل الوجوب[٢] والبت ثم يرتبون من خلاصة معاينتهم لائحة ويقدمونه على المدير وهو يقدم نسخة منها إلى نظارة المعارف.

٢ ـ ينبغي أن يبتدأ اختلاط النظار بمدارس المسلمين من مواضع يسكن فيها المسلمون مختلطين بالروس أو المكرهين ثم يعمم ذلك شيئًا فشيئًا بالتدريج من المواضع التي يكون أكثر أهاليها مسلمين.

وفي مثل هذا الاختلاط والمعاينة على رأي ناظر المعارف وزعمه فائدتان: ١ ـ حصول التسلي والاطمئنان[٣] في قلوب المسلمين بسبب اختلاط هؤلاء النظار بالمدارس ومعاينتهم إياها بالكيفية المذكورة بأن مكاتبنا ومدارسنا ليست مهملة بحيث لا حاكم لها ولا ناظر بل لها حاكم وناظر وأنها تابعة لنظار سائر المكاتب وحصول هذا الاطمئنان يفيد المقصد الأصلي فوائد جمة.

---

(١) وقد مر في جواب ناظر المعارف لاعتراض المفتي أن هذا الحكم غير شامل للمكاتب الموجودة الآن بل هو مختص بالمكاتب الجديدة التي تفتح بعد ذلك وهذا دأب حكام الروس دائمًا يذكرون الشيء إجمالاً ثم إذا اعترض عليه بشيء يقولون إن هذا خاص بكذا ثم يدعون بعد ذلك عمومه وله نظائر ومصاديق كثيرة. منه عفي عنه.

(٢) أباز أتيلوني تريبوات منه عفي عنه.

(٣) ما أبعده عن العقل والحقيقة فهل يطمئن خواطر الشياه بتصاحب الذئاب ونظاراتهم إياهم هيهات منه عفي عنه.

٢ ـ حصول الاطلاع والوقوف على أحوال المدارس وترتيباتها وعلى طرق معايش المتعلمين وطبائعهم وسائر خصوصياتهم فيحصل بذلك العلم والمعرفة بطرق التصرف فيها وترتيب القوانين لأجلها. ثم قدم ناظر المعارف هذه الترتيبات والتدابير إلى أنظار مجمع النظار فلما لم يرَ المجمع المذكور مانعًا عن إجراء هذه التدابير مع كونها مفيدة وموجبة لتمرن المسلمين وتدربهم للقوانين المصمم ترتيبها للنظارة في مدارس المسلمين يعني لكونها كالمقدمة لها أمضوا التدابير المذكورة بناء على الحكم الممضي من طرف امبراطور في ٥ فيورال من سنة ١٨٨٨ م فبناء عليه أبلغ نظارة المعارف التدابير المذكورة إلى رؤساء نظار دوائر المعارف وأمر بتفويض نظارة مدارس ولاية قزان خصوصًا لشخص مناسب من نظار دوائر التعاليم ففوّض رئيس النظار نظارة مدارس المسلمين بولاية قزان لمفتش دوائر المعارف ومستشار استات واسيلي بن واسيلي رادلف، فنشر رادلف المذكور في ١٥ أبريل من العام المذكور إعلانًا من طرفه لعلماء قزان أعلن فيه بأنه يشرع من التاريخ المذكور في نظارة المكاتب والمدارس في ولاية قزان ومعاينتها بأمر الحكومة وطلب منهم (أسويدينية) حساب الطلبة ببيان مقدار البالغين ومقدار الصبيان منهم وأنه كم منهم يداوم المكتب والمدرسة ليلاً ونهارًا وكم منهم يحضرها نهارًا فقط. ومع كون مضمون هذا الإعلان معتدلاً ومعقولاً[1] ليس فيه ما يخاف منه صار سببًا لغليان أفكار التتار وكثرة القيل والقال بينهم فقاموا وقعدوا وارتجوا وارتعدوا ثم اجتمع العلماء مع الأغنياء والأعيان وعقلاء الملة وتشاوروا فيما بينهم بأنهم كيف يردون الجواب لرادلف فاستقر رأيهم على طلب النسخة من الأمر الصادر من امبراطور في ٥ فيورال سنة ١٨٨٢ الذي هو سنده في هذا الطلب فلم يتجاسر على إعطائه لكون طلبه مخالفًا لمضمونه الذي هو عدم طلب شيء منهم على سبيل الوجوب وبعد ذلك ذهب والي قزان في ذلك الوقت جركاسف مع رادلف المذكور في الكانون الأول (ديكابر) من العام المذكور إلى مدارس قزان وأعلن الطلبة وسائر المسلمين المجتمعين بأن مدارس المسلمين صارت تحت نظارة ناظر المعارف بناء على الأمر الصادر من الحكومة في ٥ فيورال ١٨٨٢ سنة ونصب رادلف ناظرًا ومأمورًا لمدارس تتار فلم يصغ المسلمون إلى قوله سوى واحد من المدرسين بل ردوه ردًا عنيفًا باتًا مستندين على (پريداستاويتل) المحاضر التي بأيديهم وعدم سبق

(١) كيف يكون معقولاً بعد تقدم الإنذار والتخويف منذ سنين ومع وقوفهم على مقاصدهم الأصلية وأغراضهم الفاسدة في ذلك مع أن جوابهم أيضًا معقول ومطابق للنظام فلأي شيء امتنع من تقديم نسخة الأمر إن كان طلبه معقولاً موافقًا للنظام منه عفي عنه.

مثل هذا الأمر قط وكون مدارسهم دينية فقط فترك رادلف بعد ذلك مخابرته مع العلماء وذهابه إلى المدارس ولم يصدر عنه بعده تكليف ما إلى أن استعفى من منصب النظارة في سنة ١٨٨٤ فإنه كثر غليان أفكار المسلمين وكان يحرضون بعضهم بعضًا على الثبات على الإنكار وعدم القبول وصاروا يقدمون العرائض إلى الحكومة ومضمون هذه العرائض مع كثرتها واختلاف عباراتها يرجع إلى شيء واحد وهو عدم الرضا ببقاء مدارس المسلمين تحت نظارة ناظر المعارف وطلب إخراجها منه ووضعها تحت نظارة الجمعية الشرعية المحمدية لكونها دينية محضة فكما أن مدارس الروس الدينية محررة من نظارة ناظر المعارف بل تحت نظارة رؤساء الروحانيين لكونها دينية محضة فكذلك تقتضي قانون العدالة والمساواة أن تكون مدارسنا كذلك لكونها دينية محضة لا يقرأ فيها شيء سوى علوم الدين.

إلا أن نظارة الداخلية لم تعر سمع الاعتبار إلى مطالبهم المعقولة هذه ولم تصغ إليها بل رماها في زاوية الإهمال ولم يكتف بذلك بل كتب إلى المفتي الميرزا سليم كراي في آغسطوس من سنة ١٨٨٣ يطلب منه الإعانة في إجراء التكاليف المذكورة المعقولة المطابقة للنظام (كذا) ونصيحته العلماء بقبولها والإذعان لها. فأجابه المفتي بأن حمل العلماء على قبولها والإذعان لها بالسهولة غير ممكن في مثل هذا الظرف الذي ساد فيهم الخوف والنفرة مذ سنين عديدة بحيث صاروا يتنفرون ويتوحشون من ظلالهم والتداخل في هذا الأمر يكون باعثًا على فتنة عظيمة وموجبًا لاختلال كبير وإني بصفتي ناصحًا للحكومة وعضوًا من أعضائها لا أريد حدوث فتنة بين رعاياها فضلاً أن أكون متسببًا لها فأرجو من مراحمكم أن تسامحوني وتعفوني عن هذه الخدمة التي تكون نتيجتها شرًا محضًا ومضرة بحتة فخلص نفسه بهذا الجواب المنطقي المناسب الذي هو أحلى من العسل من تلك الورطة وهذا ما جرى في ولاية قزان.

وأما ولاية أوفا فقد أدخل في كثير من مدارسها التعليم الروسي وإن لم ينتج كبير نتيجة ولم يعترف الأهالي بدخول مدارسهم تحت نظارة ناظر المعارف بل ينظرون إلى نظارتها بعين السخط وكونها مخالفة للنظام مع أن والي أوفا بيّن في حسابه الذي رفعه إلى امبراطور سنة ١٨٨٥ بلزوم كون النظارة فيها بكمال الدقة والتيقظ واعتبار جهة الأخلاق وعد جواز التأخير والبطاءة فيها.

وأما ولاية پنزا فقد كان رأي واليها السابق تاتيشچف المستشار الخفي إلزام التعليم الروسي وبذلك السعي والغيرة فيه بمنع إعطاء الوظائف الدينية لمن لا يقبله إلا

أن الوالي الذي بعده كتب إلى الإمبراطور لائحة في سنة ١٨٨٣ م ذكر فيه عدم خلوص التتار ونشاطهم في إقراء أولادهم بالروسية وأنه لم يحصل أدنى ثمرة من بناء نظار دوائر المعارف المكاتب الروسية من أموال أهالي الناحية لإقراء أولاد التتار واجتهادهم فيه وقد كان أولاد التتار قد شرعوا في القراءة الروسية في المكتب الذي بني بمصاريف أهالي الناحية في قرية شادلانسه من مضافاة كرينسكي إلا أنه لما مات الإمام الذي كان يسعى في هذا الخصوص في سنة ١٨٨٢ تركوا القراءة والقرى التي فيها الروس والتتار يرسل فيها بعض أولادهم إلى مكاتب الروس والسبب في الاحتراز عن القراءة الروسية هو قوة تأثير العلماء ورؤساء الدين في الأهالي وشدة تمسكهم بالدين والفكر فيه وترجيح القراءة الإسلامية وتعلم كتابتها على القراءة الروسية وتعلم كتابتها بمراتب ولهذا تراهم إذا عرفوا كتابتهم لا يبالون بكتابة الروس ولا يلتفتون إليه.

وأما ولاية صمار فقد شرع فيها في امتحان طلاب الوظيفة من القراءة الروسية بواسطة قوميسر القضاة من سنة ١٨٨٢ بأمر محكمة والي الولاية فاعترض المفتي على هذا الأمر محتجًا بأن حق الامتحان بموجب النظام إنما هو وظيفة الجمعية الشرعية المحمدية فأجابته المحكمة المذكورة بأن حق الامتحان من الأمور الدينية وما يتعلق بالأحكام الشرعية هو وظيفة الجمعية الشرعية وأما الامتحان من القراءة الروسية فلا دخل لها فيه وليس هو وظيفتها فلم يغيره بسبب اعتراضه.

[وفاة المفتي سليم كراي التوكيلي]

ثم توفي المفتي الميرزا سليم كراي التوكيلي في غنوار (الكانون الثاني) من سنة ١٨٨٥ م المصادف ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٠٣ هـ ودفن في مقبرة أوفا ومن خيراته أنه بنى مسجدًا بأحداث محلة ثانية ببلدة أوفا ومكتبًا بجوار المسجد القديم لأيتام المسلمين وأولاد الفقراء وهو وإن لم يبذل تمام جهده وغاية وسعه في المدافعة عن حقوق المسلمين وشرف الإسلام على ما يقتضيه إسلاميته إلا أنه لم يقبل تكاليف الحكومة قبولاً أعمى ولم يذعن لها وإنما دفع الأمر عن نفسه مفوضًا أمر الإسلام والمسلمين إلى الله كقول القائل ع:

نجوت وأرهنهم مالكًا

سامح الله سبحانه عن زلاّته وهفواته ومساهلاته والطامة الكبرى إنما قامت بعد وفاته.

وبعد أن توفي امتدت أعناق كثير من العلماء نحو المنصب المحلول منهم الملا محمدي الذي كان في مقام النيابة عن المفتي السابق مؤقتًا والفاضل الشهير الشيخ شهاب الدين المرجاني والملا عبد الباري الياوشي القزلياري والملا سمرقند آخون الصوكولي وغيرهم وقد قدّموا العرائض إلى الحكومة بطلبه ولكن الحكومة كانت أعقل من أن يمنح المنصب المذكور العلماء بعد إخراجه من أيديهم فسكتت عن إجابتهم وطفقت تجيل أنظارها في الأطراف والجوانب لعلها تصادف من يغني بأشعارها ويرقص على إيقاعها ويكون لينًا لأسنانها فتمتضغه أولاً وتمتضغ المسلمين بواسطته كيف شاء فيختاره وينتخبه للمنصب المذكور وقد كان في الوقت المذكور كثير من التتار مستخدمين في دوائر الحكومة على مراتبهم منهم من حاز رتبة الجنرالية مثل الميرزا مير صالح البكچوري وكان مقيمًا بأورنبورغ ومنهم شاهمردان الإبراهيمي وكان ترجمانًا عند الجنرال كاوفمان بطاشكند ثم صار ويس قونصل من طرف حكومة الروسية في جدة سنة ١٣٠٩ هـ ومات في عامه حين رجوعه من مكة بعد إيفاء فريضته الحج بجدة ومنهم محمد يار سلطانف المفتي الحالي وكثير غيرهم وكان وظيفة انتخاب المفتي في مثل الظرف المذكور بيد أكبر حكام الروسية وأشدهم نفوذًا وهم طائفة ميسيونير على أنه قلما يوجد في الروسية حاكم مجرد عن وظيفة الميسيونيرية ولهذا صارت طائفة ميسيونير يكاتب بعضهم بعضًا يتشاورون فيمن ينتخبون ومن يكون في يدهم آلة صماء ومقبضة محضة لتدوير ماكنة دسائسهم ولا سيما منهم نيقولاي بن ايوان ايلمينسكي[1] وقنسطنطين پطراويچ پوبيدانتسف اللذين أحدهما فرعون هذه الأمة والآخر أبو جهلها في هذا الزمان ولا بد أن أكتب هنا بعض ما جرى بينهما من المحاورات في هذا الخصوص على سبيل الانتخاب من مكاتب ايلمينسكي ليعلم منه مرتبة عداوتهم للإسلام واجتهادهم في شيطنتهم.

[مكاتبة إيلمينسكي مع پابيدانوسف]

منها ما كتبه ايلمينسكي إلى پوبيدانتسف في ١٨ فيورال سنة ١٨٨٥ م عقب وفاة المفتي السابق وهو هذا: أتجاسر أن أخبرك بشيء سرًا بشرط أن تكتمه جدًا أن أرباب الجرائد طفقوا يذكرون أشخاصًا مترشحين لمنصب الإفتاء ورئاسة الجمعية الإسلامية

(١) مات إيلمينسكي في سنة ١٨٩١ وأما پوبيدانيسف فهو حي إلى الآن وكأنه ثاني المنظرين ويقع ذكرهما بعد ذلك مرارًا منه عفي عنه.

بدلاً عن المفتي المتوفى منهم عالم من علماء قزان ومنهم چنكز الجنكزي[١] الميرآلاي المتقاعد ومنهم شخص آخر لا أستحضره.

أما العالم القزاني فلا أستحسن انتخابه قطّ فإن علماء قزان كلهم متعصبون.

وأما چنكز فإنه وإن كان تعيينه أولى من تعيين العالم ولكن فيه ضرر آخر لنا فإنه رجل متمدن ذو نسب وحسب شهير وصاحب منصب وثروة فهو من تلك الجهات يورث الشرف والزينة للإسلام والمسلمين وأيضًا يخاف من تأثيره في قرغز وقزاق وسراية نفوذه فيهم وتقوية إسلاميتهم ولعل الحكومة تلغي محكمة الجمعية الإسلامية بالكلية فإن فعلت هذا لكان أولى وأما الذي انتخب في سنة ١٨٨٣[٢] من طرف أهل قزان فيقال إنه متعصب ولكن عندي أن الذي لا يعرف لسان الروس ومدنيته وإن كان متعصبًا أولى ليكون مفتيًا من الذي يعرفهما خصوصًا إذا كان ذا نسب وحسب وصاحب الجاه والذي حصل في دار الفنون فهو أضر وأشد منه.

ومنها ما كتبه إليه في ٢١ أبريل سنة ١٨٨٥ م أيضًا: وصلني مكتوبكم المحرر في ١٢ أبريل ولكن أخاف أن إرسال الجواب وقع في التأخير إن العائلة السلطانية عدة إخوان وقريتهم المچتي على مسافة ١٠٠ أو ١٢٠ ويرست من قصبة منزلة في شرقيها ولهم فيها أملاك وعقار وهم متوسطون في الرتبة والمعيشة ليسوا بآحاد الناس وليسوا بأرباب المناصب العالية وليسوا فقراء وليسوا من الأغنياء الكبار وليسوا أصحاب التأثير والاعتبار والمرشح لمنصب الإفتاء منهم ليس من متخرجي دار الفنون إلا أنه يعرف لغة الروس وكتابتها معرفة جيدة وعدم دخوله في دار الفنون لعله بسبب من الأسباب التي لا أعرفها أقول هذا الكلام بناء على سماعي من الناس مذ مدة مديدة وبالقياس والتخمين لا باختلاطي ومعرفتي إياهم مشافهة وأرجو أن يكون كلامي هذا مقرونًا بالصحة من جهة الحمية الملية لا يسمع تعصبهم فهو مناسب لمنصب الإفتاء والرئاسة للجمعية الإسلامية لكونه مأمون الغائلة والضرر ولا يوجد أولى منه وأعلى وأظن أن ليس بينه وبين أهالي بلدة قزان قرابة ولا اختلاط وليس له عندهم اعتبار.

وأما مير صالح بكچورين فليس كذلك فإبعاده من هذا المنصب مفيد عندي ونافع ينبغي أن يعرفه الغراف طولستوي (ناظر المعارف) برؤيته في سنة ١٨٧٦ وأن

---

(١) واحد من ذرية چنكزخان كان مقيمًا بقزان وغيرهما.

(٢) يعني قاضيًا وعضوًا للجمعية وهو الملا محمد أفندي منه عفي عنه.

يسمع في حقه وأحواله أقوالاً كثيرة وقد نال اعتبارًا عظيمًا عند الوالي الجنرال كرژانا واسكي وكان في عصره يدبر الأمور العظام وحيث إنه واقف على لغات أقوام آسيا وعارف بأنسابهم وعالم بسياسة آسيا وصاحب تجربة فيها فله معرفة على نسبة درجته واعتباره.

والحاصل يظن أنه مائل إلى طرف الخير ويكون شره أقل من شر غيره لا ينبغي لنا أن نمدح من ليس في ديننا (كأنه يريد أنه مستحق للمدح لولا هذا) وعلى كل حال ينبغي للمفتي أن يعرف بنفسه من غير تعليم أحد إياه أنه أدون من الأسقف وينبغي لنا أن نتباعد من أهل قاسم وقريم فإنهم محبو العلم وأصحاب الحمية الملية.

ومنها ما كتبه إليه في ٢٩ أبريل من العام المذكور يعني بعد ثمانية أيام من مكتوبه السابق وهو هذا: كنت كتبت في ٢١ أبريل جواب مكتوبك الذي استفسرت فيه عن بكچورين وسلطانف المحرر في ١٢ منه غب وصوله إلي في ٢٠ منه وقد تأخر في الطريق بسبب عدم انتظام الطرق ولا شك أنه وصل لأنه مسوكر وقد كنت رجحت فيه السلطانف وقد رأيت شاهمردان الإبراهيمي العام الماضي في قزان حين عودته من پطربورغ إلى طاشكندر رأيته طويل القامة حسن الصورة ذا هيبة يظهر فيه آثار التمدن وقد سمعت أنه كان في أيام كاوفمان صاحب اختيار وتصرف تام بسبب معرفته أنواع اللغات الآسيوية وصاحب السياسة والمهارة التامة في ممارسة الأمور. والحاصل يمكننا أن نقول إنه في أعلى درجة من المدنية والمعرفة مع كونه حائزًا رتبة (ديستويتلني استاتسكي ساويتنيك) مستشار وله اقتدار تام على إفادة مرامه بكلام فصيح وقوة قلب فهو يحرز الغلبة على رؤساء الروحانيين الروسيين حالاً بلا شبهة ومنشأ آخر للخوف منه أنه كان في خدمة مركز إدارة ولاية تركستان مدة مديدة فهو مع كمال عقله ودرايته مطلع على كافة أحوال مسلمي تلك الولاية وأحوال الإدارة هناك ومقاصدهم بل هو واقف على أموال كافة المسلمين على وجه الأرض ووزنها بميزان عقله وله معرفة تامة مع كثير من الناس من أقوام آسيا من قرغز وآفغان وهند وغيرهم بسبب اختلاطه معهم فإن حصل له مع ذلك فكر الاتحاد الإسلامي فهو يعرف طرقه وفضلاً عن ذلك فإنه مقتدر على إيفاء المحاورات الروسية وأدائها تحريرًا وتكلمًا بكمال الفصاحة وله وقوف تام على العلوم والفنون العصرية واشتغال بها علمًا وعملاً فله اقتدار تام على إفادة مرامه وقت الحاجة بوجه موافق حسب علمه ودرايته بناء على طريق الحرية الكلية وله أيضًا اقتدار على تمشية ما يريد عند أي حاكم كان وفتح

أبواب كبيرة وستر أعين حكامنا بتعظيم مقامه ودرجته وكان المفتي السابق التوكيلي ليس بشيء في جنبه.

وخلاصة الكلام أن استمالة مثله إلينا غير ممكن لنا وإنما المناسب لنا من نقدر على تدويره باليد وباللسان ومن إذا تكلم بالروسية يخطىء فيخجل ويحمر وجهه وإذا كتب بها يكتب مخلوطًا بالخطأ الكثير وإذا رأى أصغر الحكام يرتعد فرائصه هيبة منه فضلاً عن الولاة وإني وإن أكتب هذا بموجب المقدمات العقلية من غير تجربة إلا أنه يبعد عن صوب الصواب ولا يترتب عليه ضرر اهـ.

هكذا يقول هنا في حق المفتي السابق وقد كتب في حقه في مكتوب آخر ما معناه هذا أن الوالي الجنرال بيزاق أخطأ في انتخابه المفتي من أغنياء الأعيان النافذ الكلمة عند الكل من نسل ذوي الرتب التوكيليين ولا شك أن الحكام اعتبروا معرفة التتار التمدن الروسي وأدبياته والتمدن الروسي إنما يضر أخلاق الروس واعتقادهم وعاداتهم فقط الخ يعني أن التمدن والآداب والمعارف عند أي قوم كانت إنما تنافي النصرانية دون الإسلام فالتتار إذا حصل هذه الأشياء بأي لغة كانت لا تضر إسلاميته واعتقاده بل تقويه وترسخه هذا هو رأي ايلمينسكي فإنه اعترض إلى تكليف الحكومة التتار بالقراءة الروسية إلى أن مات ولعلي أذكر بعض كلماته المتعلقة بهذا المطلب بعد ذلك فلينظر القراء الكرام إلى تعصبهم واعتنائهم بأمور التتار كلياتها وجزئياتها غاية الاعتناء بحيث لا يهملون شيئًا منها ولا يبعدونه عن أنظارهم ومراقبتهم ولا أقول إنه أصاب في وصف شاهمردان الإبراهيمي فإني وإن لم أسىء ظني فيه بموجب اذكروا موتاكم بخير لا أقول إنه كان خيرًا للملة من المفتي الحالي واعتقادي في هذا المفتي أنه ليس كما زعم ايلمينسكي بل هو دين محب لملته ولكن ليس الأمر بيده ولا معونة له من الملة.

[المفتي محمد يارسلطانوف]

والحاصل أن قرعة انتخاب المفتي بعد هذه المراجعات والنقض والإبرام خرج باسم المفتي الحالي سعادتلو محمديار بن محمد شريف السلطاني سلّمه الله سبحانه وأدام مجده أصلهم من طائفة باشقرد قرية مچتي التابعة لقصبة منزلة من ولاية اوفا وكان آباؤه وأجداده حائزين رتبة الكانطونية ومستخدمين من طرف الحكومة في هذه الخدمة من مدة مديدة وهذا اللفظ أعني كانطون بمعنى الناحية بلغة فرنسا أو أسويچرة فمعناه حاكم الناحية ثم ألغيت الكانطونية وأحدث بدلها زيمستوا المفيد لهذا المعنى

وكان المذكور قبل كونه مفتيًا من منصب ميراواي سودية وهو يساوي منصب المستنطق أو هو هو فإذا قسناه إلى سلفه يصدق فيه قول القائل ع:

إن هذا الكعك من ذاك العجين.

ولم يشرع في إجراء وظيفته إلا في مارس وجمادى الآخرى من سنة ١٨٨٦ م مصادفة سنة ١٣٠٣ هـ بعد مضي ١٣ شهرًا من موت سلفه.

والذي حدث بعده أن نظارة مدارس المسلمين كانت فوضت إلى أحمرف في ١٩ أبريل من سنة ١٨٨٥ بعد استعفاء رادلف عنها كما مر ولكنه لم يقع له اختلاط بالعلماء والمدرسين ولا مكاتبة رسمية معهم قط. وكان من رأيه أن إدخال مدارس المسلمين تحت نظارة المعارف إنما يمكن بالتدريج بأن يخالط واحد من نظار مكاتب الروسية العلماء وأغنياء التتار بطريق غير رسمي ويحصل معهم بهذه الكيفية المعارفة والإلفة والإنسية ويستجلب إليه اعتمادهم ومحبتهم فإذا عمل بهذه الوتيرة لفتح بالتدريج طريق لمداخلة أمورهم ومدارسهم وأخذ حساب طلبتهم وإصلاح أصول تدريساتهم فحينئذ لما يحتاج إلى النظارة الرسمية وأما التكاليف الرسمية فقد أوقعت العلماء وسائر المسلمين في شبهة سلب اختيارهم في تعليم علوم الدين الإسلامي وقصد إبطال دينهم وإخراج مدارسهم من كونها دينية محضة إلى غيرها.

قلت وكان هذا غير واقف على مقاصد الروسية ونواياها في حق المسلمين أو على اطلاع المسلمين على دسائسها.

ولما شرع المفتي الحالي في إجراء وظيفته طلب من الحكومة تغيير امتحان المرشحين للوظائف الدينية بواسطة محكمة البوليس فخاف والي صمار من مراجعة المفتي في رفع الامتحان المذكور فطلب من نظارة الداخلية تصديق الحكومة الامتحان المذكور وإمضاءها فيه في أبريل من سنة ١٨٨٦ وفيها أيضًا طلب زيمسكي صيرانيا في أعمال قصبة بوگلمه امتحان المرشحين للوظائف الدينية في مجلس شورى المعلمين ولهذا كتب نظارة الداخلية إلى والي صمار في مايس من العام المذكور يقول إن نشر لسان الروس بين المسلمين وإن كان ذا أهمية كبرى وفوائد جليلة ومطلوبًا جدًا إلا أن الوصول إلى المقصد ينبغي أن يكون بغاية الاحتياط وعلى طريق التدريج وموافقًا لرأي شورى الدولة وقرارهم المصدق في ٢٠ نويابره من سنة ١٨٧٤ ومطابقًا لنظام مجمع النظار الصادر في ٥ فيورال من سنة ١٨٧٢ وغاية ما ساعد به نظارة الداخلية أنه إذا اجتمع شخصان في طلب وظيفة يرجح الذي يعرف اللغة الروسية عملاً بمادة ١٢٠٧

من القوانين التي رتبت لمحكمة قريم الشرعية من الجلد ١١ من كتاب الدستور فبعد ذلك فسخ الامتحان المذكور في ولاية صمار أيضًا وكانت الأئمة يأخذون المناشير بغير امتحان من الروسية إلى أن عم نظام الامتحان الجميع وبعد ذلك جرت المخابرة والمكاتبة ووقعت المشاورة بين نظارة المعارف ونظارة الداخلية في تقديم قوانين سنة ١٨٧٦ بعد المحاكمة إلى مجلس شورى الدولة إلا أنهم قدموا قبل تنظيم تلك القوانين وتعيينها كلا الاستئذان من الإمبراطور في إدخال المواد الآتية لتكون كالتوطئة والمقدمة (يعني للتنصر).

١ ـ إلزام المرشحين لوظيفة ما من الوظائف الدينية معرفة لسان الروس وتعلمها في مكتب من مكاتب الروسية الأوروبية ذي درجة واحدة.

٢ ـ وإدخال قراءة لغة الروس في مدارس المسلمين الكبار لزومًا بشرط إغلاق المدرسة التي لا تقرأ فيها اللغة الروسية.

٣ ـ تجري هذه القوانين فعلاً بعد مضي سنة من إمضائها في الأمصار وبعد مضي سنتين منه في القرى. انتهى تعريب، ما في المجمع المذكور مع تخلل بعض ما يتعلق به في خلاله.

وفي العام المذكور دعي المفتي سلطانف إلى بطربورغ بعيد شروعه في إجراء وظائفه فمر على قزان في ٢ ذي القعدة من سنة ١٣٠٣ هـ المصادف أوائل آغسطوس من العام المذكور وطلب من الفاضل المرجاني رفاقته على ما ذكره الفاضل المرجاني في مستفاده وطلب رفاقة غيره أيضًا من العلماء والأعيان على ما سمعته من بعض الثقة فأبوا فلما امتثل بين يدي ناظر الداخلية طلب منه إمضاءه على قبوله ورضاه بإدخال التعليم الروسي في المدارس الإسلامية ففعل على ما شاع بين الناس ولا أدري حقيقته ولا أصدق هذا الخبر بل أعتقد أنه خبر صادر عن بعض أعدائه وحساده فشاع بين الناس وليس حضرة المفتي ممن لا ديانة له ولا حمية وقد نبذته الملة وراء ظهورهم بناء على هذا الخبر الكاذب فتضررنا بذلك ضررًا لا يجبره شيء إنا لله وإنا إليه راجعون ولو فرضنا صدقه على سبيل فرض المحال فالملام لا يتوجه إليه فقط بل إلى أعيان قزان أيضًا حيث أبوا مرافقته في هذا السفر مع توقعهم وقوع مثل هذا الأمر فلو كانوا معه لما أقدم عليه وحده من غير مشاورتهم لكونهم معه وحصول قوة القلب بمرافقتهم وحصول قوة القلب في مثل هذه المواضع بسبب رفاقه أضعف خلق الله مع اليقين بعدم حصول أدنى نفع ومدد منه معلوم بالذوق لكل صاحب وجدان وعلى كل

حال فقد سبق السيف العذل ووقع ما قدره الله سبحانه في الأزل لا رادّ لقضائه ولا معارض لحكمه ولله درّ القائل لا فضّ فوه، شعر:

تبارك من أجرى الأمور بحكمة كما شاء لا ظلمًا أراد ولا هضما
فما لك شيء غير ما الله شاءه فإن شئت طب نفسًا وإن شئت مت كظما

فلنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر الحوادث من غير عتاب أحد في هذا الخصوص وملامته قائلين، شعر:

فلو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادي ولكن للعتاب مواضع

[فرمان النظارة الداخلية إلى الجمعية الأورنبورغية]

فنقول وعلى كل حال شرعت الحكومة بعد ذلك في زيادة تكاليفها لتكون النتيجة على مقدار المقدمة فقر آراؤهم على المواد الآتية وختم عملهم بتصديق الإمبراطور إياها وإمضائه فيها في ١٦ أيلول من سنة ١٨٨٨ م مصادفة سنة ١٣٠٩ هـ يعني بعد مضي سنتين من إمضاء المفتي ثم أرسلها ناظر الداخلية إلى محكمة الجمعية الإسلامية وأمرها بإبلاغها المسلمين وإجرائها بينهم فترجمت من طرف المحكمة المذكورة وطبعت منها نسخ في مطبعتها الحجرية ونشرت بين العلماء وهذه صورة نسخة منها بعبارتها حرفيًا أونوترنيخ ديل مينستري باشقه ملتلرنكْ دوخاني اشلارون قاري تورغان ديپارتاميتندن ٧ نچي سبتمبر ١٨٨٨ نچي يلده نومر ٤٧٧٧ شاه اعظمنكْ أمري ايله.

اورنبورغسكي دوخاوناي صبرانياغه امر پادشا إمبراطور أعظم حضرتلري مينستر اونوترينيخ ديلنكْ صونوي بوينچه اورنبورغسكي دوخاوناي صبرانيانكْ اوكر وغنده بولغان دوخاني كشيلرني آبرازويتلني صينزي أوچون (يعني إبرازاوت ايتونكْ مقداري اوچون) اوشبويل ١٦ نچي ايولده بوتوبانده ذكر ايدلاچك پراويله يعني تنظيماتني وضع قيلورغه بيوردي انچي دوخاوني صبرانياده زاسيد اتيل بولورلر فقط شول كشيلر گنه قايسيلر كم غمنازيه نكْ اولگي دورت كلاسنده ياكه اويازني يا غرادسكي اوچيلشچه لرده يا ايسه تاتارسكي اوچيتلسكي اشكو المردة أوقله تورغان فنلردن امتحان توتقان بولورلر يا ايسه اقل مرتبة مينستر نار ودني پراسو شچينيه ننك ايكي كلاسلي نار ودني اوچيلشچه سنده امتحان توتقان بولورلر ٢ نچي الوغراق درجه ده بولغان دوخا وينلرني يعني قالالرده آخون وخطيب لرني تعيين قيلغانده آنلردن بركلاسلي نارودني

اوچيلشچه ننك پروغراممه سي ايله امتحان قيلنغانلقدان سويديتلسوا يعني شهادتنامة طلب قيلنور. . .

اورنبورغ اورال هم سبير طرفنداغي قزاق عسكر لرنك ملا لرينه هم باشقه عسكرية اما ملرينه اوشبو پراويله ني أعلام قيلمق خصوصنده واينوى مينستردن خبر النور ٣ نچي قرية لرگه أمام اوله چق كيمسه لردن أما ملقغه تعيين قيلنغان وقتده أورصچه سويلاشه هم اوقي بيلما كندن اويازني أوچيلشچه ننك جمهورندن بيرلگان شهادتنامة طلب قيلنور ٤ نچي يوقاريده مذكور بولغان تنظيمات ايله ١٨٩١ نچي يل ننك برنچي غنوارنده عمل قيلنه باشلاب شول وقتدن مقدم لوازمكه تعيين قيلنه تورغان آدملركه بو تنظيمات تكليف قيلنماسون. . بن (يعني مينستر) پادشاه أعظمننك بونداين الوغ أمري خصوصنده وايوننى مينستر ايله نارودني پراسويشچينيه مينسترينه معلوم ايتوب دوخاوني صبرانياغه بيوره من اوزينه تيوشلي راصپر يژينيه لرني تدبيرلارني قلما قغه.

أورنبورغيه جمعية إسلامية ده ترجمان صوفي أحمد قدرغولف. محكمة إسلامية ننك ليتوغر افيدسنده طبع ايدلدي ١٨٨٩ نچي يلده اهـ معناه بالعربية:

من شعبة نظارة الداخلية التي تبحث عن وظائف علماء الأديان السائرة في ٧ سبتمبر ١٨٨٨ سنة بأمر الملك الأعظم.

فرمان إلى الجمعية الإسلامية الأورنبورغية. إن الإمبراطور الأعظم أمر في ١٦ أيلول هذا العام يعني سنة ١٨٨٨ م بوضع التنظيمات الآتية أدناه في تعيين مقدار تمدين العلماء أرباب الوظائف تحت نظارة الجمعية الإسلامية الأورنبورغية بموجب رفع نظارة الداخلية إياه.

١ ـ لا يكون عضوًا في الجمعية الإسلامية إلا من كان له امتحان من الدرجات الأربع الأولى من المكاتب الإعدادية أو مكاتب القصبات أو الولايات أو من الفنون التي تقرأ في دار معلمي التتار أو من دار التعليم التي تحت تصرف نظارة المعارف ذات درجتين.

٢ ـ يطلب من المرشحين للوظائف الكبيرة كآخون وخطباء في الأمصار شهادتنامة مبينة امتحانه بموجب[1] پروغرام دار التعليم العمومية ذات درجة واحدة

(١) تنبيه واعتذار الشائع بين الناس إلى الآن أن الخطباء في البلد والمدرسين بها يكلفون بقراءة أربع=

يخابر في خصوص أعلام هذه التنظيمات أئمة العساكر القزاق (الخيالة) الكائنين في جهة أورنبورغ وأورال وسيبر وسائر أئمة العساكر مع ناظر الحربية.

٣ ـ والمرشحون للإمامة في القرى يطلب منهم شهادتنامة كائنة من طرف جمعية المعلمين في مكاتب القصبات مبينة أنه عارف بلغة الروس وكتابتها.

٤ ـ يشرع في العمل بموجب التنظيمات المذكورة في أول غنوار (الكانون الثاني) من سنة ١٨٩١ ولا يكلف بها من يرشح للوظائف قبل حلول الوقت المذكور أنا (ناظر المعارف) آمر الجمعية الإسلامية بموجب الأمر العالي الصادر من الملك الأعظم بعد إعلامي إياه ناظر الحربية وناظر المعارف باتخاذ التدابير اللازمة إياها اهـ. الإمضاء صوفي أحمد قدرغولف الترجمان في الجمعية الإسلامية الأورنبورغية طبع في المطبعة الحجرية للمحكمة الإسلامية في ١٨٨٩ م يعني مصادفة سنة ١٣٠٦ هـ.

هذا بيان مقدار تعلم اللغة والكتابة والفنون الروسية لتحصيل استحقاق حيازة الوظائف الدينية وأما كيفية الامتحان وحيازة الشهادتنامة فيها فهاك بيانها أنقلها عن جريدة الترجمان العدد ٤ الصادر في ٥ فيورال من سنة ١٨٩١ م وفي ٨ رجب من سنة ١٣٠٨ هـ بالتقريب وهو نقلها عن العدد ٤١ من جريدة الحكومة الرسمية قالت هذه ترجمة نظامنامة مصدقة من طرف ناظر المعارف في ٣٠ ديكابره (الكانون الثاني) من سنة ١٨٩٠ في خصوص كيفية امتحان المرشحين للوظائف الدينية من التعاليم الروسية.

١ ـ إن كيفية امتحان أعضاء الجمعية الإسلامية الأورنبورغية والآخون والخطباء في الأمصار وأئمة عساكر قزاق ما عدا قزاق أورنبورغ وأئمة القرى وعساكر قزاق أورنبورغ إنما تبين وتعين على الطريق الآتي بموجب فرمان الإمبراطور الصادر في ١١ أوكتوبر من سنة ١٨٩٠.

٢ ـ يعمل بموجب هذا النظام في ولايات: أورنبورغ، وأوفا، وقزان، وحاجي طرخان، وصمار، وسراطاو. وسمبر، وپنزا، واتكا، ونيژني، وپيرمي، وطمبوف،

= درجات من غمنازيه أو ما يضاهيها حتى ذكروا ذلك في أشعارهم حيث قيل ع قاضي أخون دورة كلاصني أوقوب أوتسون. دورة كلاصني أوقغان ملا بولسه. إلى غير ذلك ولذلك وقع في المضبطة المكية هكذا لا يتولى القضاء والتدريس والخطابة في البلد إلا من أتم فنونًا أربعة الخ وهذا الإعلان ليس فيه ذكر المدرسين أصلاً والخطباء في الأمصار ليسوا كالقضاة أعضاء الجمعية الإسلامية وإنما أجري في المضبطة نحو ما اشتهر في الألسنة. منه عفي عنه.

ورزان، وطوم، وتابول، وموسكوا، وبطر بورغ، وخرسون، وكاستراما، وينيسي، وايركوت، واورال، وسيمي پولاط، وآق منلا، وتورغاي، وبوكاي ايلي.

٣ ـ يشكل في مكتب كل ولاية وكل قصبة يلزم فيها الامتحان جمعية للامتحان وتكون هذه الجمعية مركبة من ثلاثة أشخاص يكون أحدهم رئيسًا واحدهم معلم اللسان (شاع بين الناس أن أحدهم من القسيسين ولهذا وقع في المضبطة المكية أحدهما البابا).

٤ ـ والجمعية المذكورة إنما ترتب في مكاتب الولايات وأما المواضع التي ليست فيها مكاتب الولايات فترتب في المكتب الذي يعينه ناظر مكاتب الولايات.

٥ ـ ويجري الامتحان من سبتمبر إلى أول مارس في جميع الأيام التي يكون المكتب فيها مفتوحًا ومن كان عمره أقل من ٢١ سنة لا يقبل للامتحان.

٦ ـ الذي يريد الامتحان يقدم لناظر المكتب مع عريضته تذكرة أو شهادتنامة من دائرة البوليس مبين فيها أنه من هو وكم سنه وشهادتنامة أيضًا من المكتب الذي قرأ فيه القراءة الروسية ويلزم أن يكتب طالب الامتحان عريضته بيده، وأما المرشح للإمامة في القرى أو العساكر قزاق الأورنبورغية فيجوز أن يكتب عريضته غيره.

٧ ـ الذي يلزمه تحصيل ما يقرأ في مكاتب الولايات أو أنموذج ما يحصل في مكاتب القرى بالنظر إلى وظيفته المطلوبة لا يسأل عن لسان أسلاوان وإنما يسأل من أصول الإملاء عن قواعد حروف الهجاء الإملائية.

٨ ـ إن المذكورين في المادة ١ والمادة ٢ حين يجري عليهم الامتحان من القراءة والكتابة إذا لم يقدروا على الامتحان من جهة لا يمتحنون من جهة أخرى قطعًا.

٩ ـ الذي يراد امتحانه من پروغرام مكتب الولاية يلزمه أن يكتب الكتابة الروسية من حفظه وأن يقدر على كتابة ما يقرأه من الكتاب وأن يكتب مادة معلومة أو مبحثًا معينًا مثل ما يتلفظه بلسانه وأن يفهم ما يقرأه فهمًا جيدًا وأن يعرف قواعد الصرف الروسي المتعلقة بالإملاء.

١٠ ـ الذي يراد امتحانه من پروغرام مكاتب القرى يلزمه أن يقدر على الكتابة من حفظه وأن يقدر على كتابة مبحث قرأه في الامتحان وأن يفهم ما يقرأه فهمًا جيدًا وأن يعرفه ويقرره.

١١ ـ الذي يراد امتحانه من القراءة والكتابة الروسيتين ينبغي أن يقدر على قراءة مبحث من كتاب لم يقرأه قبل وأن يفهمه في الجملة وأن يقدر على تعريفه وتقريره وأن يقدر على كتابة ما قرأه من حفظه وأن يقدر على قراءة الخط الجلي وأن يعرف قواعد الإشارات والعلائم، والذي يراد امتحانه بموجب المادة ٩ والمادة ١٠ ينبغي أن يقدر على القراءة بالاستخراج من الكتابة والخطوط.

١٢ ـ الذي يراد امتحانه من القراءة الروسية فقط تفتش جمعية الامتحان وتبحث عن معرفة اللغة الروسية بعد امتحانه بموجب المادة ١١.

١٣ ـ إن درجات الامتحان تتعين بالأصول الخمسية بمعنى أن (٥) إشارة إلى كمال المعرفة الجيدة (٤) إشارة إلى المعرفة الجيدة فقط (٣) إشارة إلى اللياقة (٢) إلى عدم اللياقة (١) إلى أنه لم يعرف شيئًا.

١٤ ـ الذي حاز الدرجة الثالثة في الامتحان يعطى شهادتنامة بموجب الصورة المعلومة الآتية وحيث إن صورة العريضة لطلب الامتحان وصورة الشهادتنامة التي تعطى بعد أداء الامتحان اندرجتا في الصحيفة التي حررت بالروسية لم ير اللزوم في ترجمتهما وثبتهما هنا اهـ من الجريدة المذكورة بتعريفها حرفيًا.

وهذه هي النتيجة القطعية للمذاكرات والمحاورات بالنقض والإبرام والتعديل والتبديل المار ذكرها تفصيلاً مسلسلة معنعة الصادرة في مدة ٢٤ سنة كاملة فعلى هذه النتيجة استقر الأمر وجف القلم واستراحت رجال الحكومة من المحاورات الطويلة والمراجعات الغير المنقطعة في هذا الخصوص وألقوا الأقلام من أيديهم ولم يبق إلا إجراؤها وتطبيقها على العمل فوقع الأمر على مأموري الإجراء وجاءت نوبة المصارعة بينهم وبين المسلمين وجاءت أربع نسخ من الإعلان الذي نشرت من محكمة الجمعية الإسلامية إلى بعض علماء أورنبورغ في أواخر أبريل من العام المذكور وكذلك إلى سائر العلماء العظام فلا تساءل عن مقدار المساءة التي حصلت للمسلمين بعد ذلك فإنهم غابوا عن حواسهم وصاروا مسلوبي الحواس والشعور ولم يدروا ماذا يفعلون وإلى أي باب يذهبون وإلى من يشتكون وطفق بعضهم يذهب إلى الجمعية الإسلامية يراجعهم فيما يفعلون وشرعوا يقدمون العرائض إلى الجمعية الإسلامية وإلى الولاة وإلى النظار وإلى الإمبراطور يتظلمون من تلك التكاليف الجائرة المائلة عن قانون العدالة ونقطة المدنية المجحفة للحقوق ويلتمسون منهم سحبها وتحريرهم عن تبعتها حتى زادت العرائض المقدمة في هذا الخصوص على ثلاثة آلاف عريضة على ما

اشتهر حتى صاروا أعني رجال الحكومة يمتنعون عن قبول عرائضهم أعني استلامها أصلاً فلم يقابلوهم إلا بالرد والتعنيف والتوبيخ والتهديد كأنهم جنوا على الحكومة جناية عظيمة لا تغفر والذي قابلهم بالسكوت كالجمعية الإسلامية فهو أحسنهم مقابلة ومع ذلك لم يحصل للمسلمين اليأس الكلي لعدم مجيء وقت الاحتضار بعد بل أتى الإخبار بمجيئه فقط وربما يخبر بمجيء شيء ولا يجيء فإن التخلف في أخبار غير الله جائز وواقع وكل يوم هو في شأن ولله در القائل شعر:

ولرب حادثة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت خلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

إلا أنهم شرعوا في تعيين الأئمة في المواضع الخالية في الجملة وفي تقديم الامتحان لدى الجمعية الإسلامية وأخذ شهادتنامة منهم ليصيروا إمامًا أو خطيبًا متى وجدوا محلاً خاليًا لئلا يضطروا إلى الامتحان بالقراءة الروسية بعد حلول الأجل الموعود وانقضاء المدة المضروبة بناء على البند الرابع ولما حلت السنة ١٨٩١ م المصادفة السنة ١٣٠٨ هـ في إحدى جماديها التي ضربت آجلاً لإجراء التكاليف المذكورة فعلاً حصل اليقين بجدية ذلك التعيين ووقع الوباء العام والطاعون المبيد للأنام حيث منعت منح الوظائف الدينية لمن لم يستوف تلك الشروط على ذلك النمط المبسوط وصار التصميم باتًا عليها من قبل الحكومة المشار إليها فضاق الخناق وبلغت الروح التراق وعز الخلاص ولات حين مناص وترى المسلمين سكارى وما هم بسكارى ولكن الخطب الذي وقع عليهم شديد فحينئذ وقع اليأس الكلي واشتد الناموس الملي فاجتمعت عظماء الأمة وأعيان الملة من جميع الولايات وكتبوا عريضة طويلة الذيل والأردان للإمبراطور ألكساندر الثالث بأرق العبارات وألطف الإشارات مشتملة على أنواع الاسترحام والاسترقاق بحيث يلين أقسى الحجر ويذيب الفولاذ يسترحمون منه أن يكشف عنهم البلاء المذكور ويطلبون منه أن يزيل الوباء المسطور حيث أن دواءه بيده وأرسلوها إليه على يد عصابة من أعيان الملة ومشاهير الأمة فأكرم وفادتهم وأضافهم ضيافة ملوكية وأركبهم مركباته الخصوصية وأباح لهم السير والتفرج في بساتينه الإمبراطورية إلا أنه لم يقبل عريضتهم ولم يسمع إفادتهم وإنما قال لهم إنه لا ضرر فيها لكم وليس فيها ما تخافون وليس الأمر كما تظنون بل مقصودنا بالتكليف بها حصول الفوائد والمدنية لكم حتى تنتظموا في سلك أمم متمدنة وتجنوا ثمراتها في المستقبل وهو حكم لا أبطله وطلبكم شيء لا أجيبه ولا أفعله ارجعوا إلى أوطانكم فارغي البال واشتغلوا بأشغالكم من غير إصغاء القيل والقال فرجعوا بخفي حنين ولهم

تأوه وأنين ولم يعاملوا بتخيب رجاهم فقط بل صار بعضهم محكومًا عليه بالجزاء لذهابه إلى پطربورغ بلا تذكرة المرور فإن حكام قزان لم يسمحوا له بإعطاء تذكرة المرور پاسپورط حين سمعوا أنهم يذهبون هناك لتقديم العريضة وصار كاتب العريضة المذكورة محكومًا عليه بالحبس مدة ثلاث سنين فامتنعوا فلما رأوا هذه المعاملة انقطع رجاؤهم عن غير الله تعالى وأقرب الأشياء لتصوير أحوالهم في الوقت المذكور وقوع الكسوف الكلي دفعة من غير أن يكون به علم لأحد.

وفي ٤ نويابره من سنة ١٨٨٧ كتب ناظر الداخلية إلى المفتي الحالي سلطانف كتابًا تحت رقم ٢٩٦٥ يقول فيه[1] إن أكثر المدرسين لا يكتبون جوابًا لسوأل مدير دائرة المعارف بولاية أورنبورغ واستفساره عن أحوال المكاتب والمدارس والطلبة مع أنه يلزمهم أن يكتبوا المواد الآتية ويسلموها إلى النظار والمفتشين في ٢٠ ينوار كل عام.

١ ـ مواضع المكاتب والمدارس ومواقعها.

٢ ـ مقدار نفوس تلك المواضع وإنهم من أي جنس وفي أي دين.

٣ ـ أسامي المدرسين وما به شهرتهم.

٤ ـ المواضع والمدارس التي قرأوا فيها.

٥ ـ مقدار الذكور والإناث من الطلبة وأعدادهم.

٦ ـ العام الذي فتح فيه المكاتب والمدارس ومبدأ الدروس ومنتهاها.

٧ ـ كون المكتب مكتبًا في أصل بنائه أو مستأجرًا.

٨ ـ وجود وقف المكتب وعدمه وأنه قائم بخراجة من ومصروفه، فعليكم أن تبذلوا همتكم في هذا الخصوص وتعينوا فيه وتأمروا المدرسين بإيفاء خدماتهم وأداء وظائفهم وأن تخبرونا بتدابيركم فيه.

فكتب إليه المفتي المشار إليه في ٢٥ نويابر المذكور كتابًا تحت رقم ٦١٧ أنه بناء على القوانين المسطورة في الجزء الأول من المجلد الحادي عشر من الدستور لا

(١) وإنما أخرنا هذه عن سابقها مع كونها متقدمة عليها لتكون الحوادث بعضها متصلاً ببعض منه عفي عنه.

دخل للجمعية الشرعية المحمدية في أمور المكاتب والمدارس فلهذا لا يمكنني نشر الفرامين والأوامر بين المدرسين فلو تشبثت فرضًا بالتدابير الرسمية لكنت خارجًا عن وظيفتي وحيث إن عدد المدرسين الذين تحت نظارة الجمعية المذكورة كثير جدًا وملاقاتي بكلهم متعذر بل محصورة على أشخاص معدودة منهم لا يمكنني أيضًا أن أنصحهم وأعظهم في صورة خصوصية.

نعم الجواب الشافي والعجب منهم غاية العجب أنهم ينتزعون المكاتب والمدارس والمدرسين من أيدي الجمعية المذكورة ثم يحاولون جعلها آلة لإجراء دسائسهم قاتلهم الله.

وفي سنة ١٨٩٠ كتب رئيس جمعية الشورى الموقتة الكائنة بخان أوردوس إلى الجمعية الشرعية المحمدية كتابًا مرقمًا برقم ٤٦٩ مضمونه أن الرجال الكبار من قزاق بوكاي ايلي لا يعرفون اسم الإمبراطور وولي عهده فضلًا عن صغارهم وليس لهم خبر عن كون بوكاي ايلي تحت تصرف الروسية وقد أمر واحد من مفتشي المكاتب المؤذن أثناء تفتيشه أن يعلم الأولاد اسم الإمبراطور فلم يصغ المؤذن إلى قوله ولم يعتبره ولهذا عليكم أن تأمروا المدرسين بتعليم الأولاد اسم الإمبراطور وولي عهده وأن يخبروهم ويعلموهم بكون بوكاي ايلي تحت حكومة الروسية وتصرفها وليصغ المؤذن أيضًا إلى قول المفتش ويعتبره.

فكتب إليه من طرف الجمعية الشرعية في ١٣ مارت من العام المذكور تحت رقم ٤٦٩ بأن الأئمة المدرسين وإن كان امتحانهم في حضور الجمعية الشرعية المحمدية إلا أن أمور التدريس والتعاليم ليست بيد الجمعية المذكورة بموجب النظام.

قلت: السؤال والجواب كلاهما من الطرز الأول إلا أن هذا الأمر أقبح فإن الجمعية الشرعية ليست تحت نظارة جمعية الشورى المذكورة وتصرفها حتى تأمرها بشيء ما. وأن تعليم الأولاد ليس من وظائف المؤذنين وهكذا حال مأموري الروسية لا يعرفون وظائفهم فلو صدر مثل هذا بل أدون منه عن واحد من المسلمين لأقاموا عليه قيامة وجعلوا حبته قبة وصاحوا بأعلى صوتهم بأنهم برابرة لا يعرفون النظام وكتبوا إليه بأشد التوبيخ والتشنيع وأوسعوه سبًا وشتمًا.

وأثبت في ژورنال (سجل) الجمعية الشرعية الأورنبورغية في ٨ ينوار سنة ١٨٩٢ هكذا أخبر مفتش القسم الثاني من ولاية قزان في أوراقه المحرر في ١٤ الكانون

الأول (ديكابره) سنة ١٨٩١ إلى الجمعية الشرعية المحمدية بأن قليلاً من الطلبة الكائنين بمدارس قزان يقرأون بالروسية ولا يقرأ أحد من الطلبة الكائنين بمدرسة پورخاواي بالروسية في الغرفة المختصة بتعليم الروسية مع أن الطلبة البالغين ١٦ سنة من العمر مجبورون بتعلم اللغة والكتابة الروسيتين بموجب النظام والقرار الصادر في ٢٦ مارت من سنة ١٨٧٠ ولهذا ليأمر الجمعية الشرعية المحمدية من طرفه بتعلم الطلبة الكائنين في المدارس بالروسية عمومًا. ولكن يكتب جواب المفتش المذكور هكذا أن وظيفة الجمعية الشرعية المحمدية بناء على القانون المسطور في الجزء الأول من المجلد ١١ من الدستور هي امتحان الأئمة والمدرسين والنظارة إلى خدماتهم الدينية وتحقيق النزاع الواقع بين العائلة وليس لها حق بموجب النظام في المداخلة بأمور المكاتب والمدارس فلو فعلتها ونشرت الأوامر والفرامين في هذا الخصوص لكانت متعدية عن حقها اهـ.

قلت وكان اللازم أن يكتب إليه وإلى غيره ممن كان في رتبته أو أعلى منها ولكنها أدون من نظارة الخارجية بأن أمر الجمعية الشرعية بشيء ما ليس من وظيفتك.

وفي سنة ١٨٩٢ كتب ناظر المعارف الكونت ديلانف إلى مديري المعارف بولايات موسكوا وقزان وأورنبورغ البيانات الآتية بناء على المعلومات والحسابات المجتمعة من طرف مديري دوائر المعارف، بأنه بلغني أنه يوجد ويستعمل في مكاتب المسلمين ومدارسهم سوى الكتب المطبوعة والدينية دفاتير قلمية كتب فيها مدائح المسلمين عمومًا والأتراك خصوصًا وذم الروسية نظمًا وكتب فيها أيضًا دخول المسلمين تحت تصرف الروسية وكونهم عسكرًا لها (يعني على طريق الأسف والتحسر) وبين فيها غلبة المسلمين وانتصارهم في وقت من الأوقات بيانًا ظاهرًا وإن تلك الأشعار تنشد من طرف طلبة المكاتب والمدارس في البيوت والمجالس والجمعيات وعدا عن ذلك تستعمل في المكاتب والمدارس الآثار المنافية لسياسة دولة الروسية المطبوعة في إستانبول وقد بين في تلك الآثار كون سلطان إستانبول خليفة كافة المسلمين على وجه الأرض وأنه يوجد بين المعلمين والمدرسين كثير ممن قرأوا في بخارى ومصر وإستانبول وإيران، وحيث إن هذه الأمور كلها ليست مما ينبغي يلزم أن تنحصر الدروس في المكاتب الإسلامية ومدارسها في الكتب المصدق عليها من طرف ناظر المطبوعات بالروسية وليكن المعلمون والمدرسون من تبعة الروسية وممن قرأوا في الروسية اهـ يروى أن هذا الأمر مع انتشاره في ٢٦ أغسطوس سنة ١٨٩٩ آخر إعلانه إلى سنة ١٨٩٢.

قلت: وسيجيء تفصيل ذلك وسببه عن قريب إن شاء الله.

وفي العام المذكور نشر والي طمبوف أوامر إلى محاكم الضبطية بإعطاء الحسابات اللازمة في شأن مكاتب المسلمين ومدارسهم الكائنة في تلك الولاية، وفي ١١ مايس عام ١٨٩٢ كان ژورنال (سجل) الجمعية الشرعية الأورنبورغية هكذا كتب محكمة والي ولاية واتكا بان قوميسر قصبة يلابوغابين في عريضته أن المدرسين في هذه الناحية يعاندون النظار والمفتشين ولا يرضون بتسليم الكتب القلمية الكائنة في المدارس، فبناء عليه يلزم المحكمة الشرعية المحمدية إعانة النظار والمفتشين وإمدادهم بنشر الأوامر والفرامين بين العلماء، ولكن لا يمكن المحكمة الشرعية موافقة محكمة الولاية المذكورة في هذا الكلام فإن المكاتب والمدارس تحت تصرف نظارة المعارف بموجب القانون والنظام والمدرسون من جهة كونهم معلمي الدين ليسوا بتابعين للمحكمة الشرعية من تلك الجهة يعني أن العلماء تابعون للمحكمة الشرعية من جهة الدين فقط لا من جهة تحصيل العلوم والمعارف فإن الحكومة فصلتهم عنها من تلك الجهة وسلبتها عنها.

وفي ٩ سبتمبر من سنة ١٨٩٢ نشر والي ولاية أورنبورغ الذي هو قوماندان العساكر الخيالة ورئيسهم في تلك الولاية فرامانًا مضمونه بلغني أن أولاد العساكر الخيالة المسلمين يذهبون بعد قراءتهم بالروسية نهارًا إلى المدارس التي بنيت في قديم الزمان ليلاً ويقرأون فيها علوم المسلمين وحيث إن القراءة بالإسلامية مخلوطة بالروسية مضرة آمر الضباط والرؤساء في القسم الأول والثاني أمرًا قطعيًا بإغلاق المدارس الموجودة فيهما فإن أراد العساكر الخيالة تعلم دينهم فعليهم أن يتعلموه في المكاتب الروسية (الاشقولا) فقط لا غير، ولكن يعطى المعاش والشهرية للمعلم بالإسلامية، ولا يؤذن لأزيد من ثلاثة دروس في الأسبوع، ويعين أوقات هذه الدروس أيضًا الضباط والرؤساء.

فأثر هذا الفرامان في العساكر الخيالة تأثيرًا سيئًا جدًا[1] فقدم بعضهم عرائض إلى حضرة المفتي الحالي وطلبوا منه الإعانة في رفع هذا الظلم الصريح والتكليف القبيح فقدم حضرة المفتي عرائضهم المذكورة إلى نظارة الداخلية وكتب مكاتيب خصوصية غير رسمية إلى بعض المأمورين، فكتب نظارة الداخلية إليه في ٤ ديكابر

(١) وهذا إحدى علل الهجرة وترك الأوطان.

من سنة ١٨٩٣ جوابًا تحت رقم ٦٤٥٣ هكذا: إن العساكر الخيالة يلزمهم المعرفة بالروسية فإن ترددوا إلى مدارس المسلمين يضر ذلك معرفتهم بالروسية هذا في حق الأولاد وأما الكبار فلهم أن يترددوا إلى المدارس ويقيموا فيها كيف شاؤوا لا مانع لهم من ذلك ولهذا صارت عريضتكم في هذا الخصوص ساقطة الاعتبار اهـ أقول: أظن أن هذا لا يحتاج إلى المحاكمة وبيان إنصاف الوالي وناظر الداخلية لكونه مكشوفًا ظاهرًا وكان هؤلاء المساكين خلقوا لأجل خدمة الروسية فقط لا غير.

وفي سنة ١٨٩٩ نشر الإعلان من طرف مدير دائرة المعارف بولاية قزان أنه بناء على إعلان نظارة المعارف الصادر في ٢٦ أغسطوس من سنة ١٨٩٩ تحت رقم ٢٠١٨٨ يقرأ في مدارس المسلمين بالروسية ٢ والمدرسون يأخذون حساب الطلبة ويسلمونه إلى المفتشين في كل مايس ٣ ومن ليس بيده شهادتنامة من طرف المفتشين لا يكون معلمًا في المكاتب والمدارس ٤ والكتب المطبوعة في الممالك الأجنبية لا تدخل في المكاتب والمدارس فصاح المدرسون في تلك الأقطار والدائرة من فم واحد إنهم لا يقبلونه قط ولا يسمعون مثل هذا الإعلان أبدًا وردوه ردًا بليغًا لم يختلف فيه اثنان إلا أن واحدًا من المدرسين والمتشيخين في قصبة....[1] ومن تبعه في جميع شؤونه على العمى قبلوه وأمضوا فيه من غير اكتراث مع أنه أفنى جميع عمره برؤية عيوب العلماء الكبار وغيبتهم وتفسيقهم وتضليلهم وتكفيرهم ولا يزال على هذا الحال إلى الآن ولما خاف قيام أهل محلته عليه وعزلهم إياه عن منصبه بإيجاد سبب ما التجأ إلى حضرة المفتي وكتب إليه أنه ما أمضى فيه لقبوله إياه ورضاه به بل لوصوله وسماعه بما فيه مع أن الإعلان المذكور لم يكن من طرف حضرة المفتي بل من طرف مدير المعارف كما مر مع أن الإمضاء لا يؤخذ لرضاه بل لسماعه والعمل بموجبه رضي أم لا وهذه ما قاساها مسلموا تلك الديار من الأهوال والسدائد من طرف الحكومة الجائرة الظالمة في حق دينهم والحاصل أنه لما صدر الأمر القطعي من طرف الإمبراطور بلزوم قراءة اللغة والكتابة الروسيتين على من هو مرشح للإمامة والخطابة تحير المسلمون في أمرهم ووقعوا في حيص بيص وامتنعوا من طلب الوظائف بعد ذلك بعضهم لعدم استيفائه الشروط المذكورة وبعضهم لاستنكافه من طلب شهادتنامة من مكاتب الروس ومعلميهم وإن استوفى الشروط والجدول الآتي كاف لإزالة التفاوت الفاحش بين امتحان السنة المذكورة وما بعدها وبين امتحان ما قبلها وهو هذا.

---

(١) بياض بالأصل.

السنين الميلادية	الأئمة والمعلمون فقط	الجامع بين الخطابة والتعليم	الجامع بين الخطابة والتدريس	الذين عجزوا عن الامتحان
١٨٨٩	١١٣	٣٠٧	٢٨	٣٠
١٨٩٠	١٤٦	٣٤٥	٥٤	٣١
١٨٩١	٠٣٠	٠٣٨	٠٤	٤١
١٨٩٢	٠٢٩	٠٤٤	٠٨	٠٤
١٨٩٣	٠٤٢	٠٨٩	١٦	٠٩
١٨٩٤	٠٣٨	١٢٢	٢٦	٠١

[العريضة إلى علماء مكة المكرّمة]

فإذا نظرنا إلى الأرقام المذكورة نجد عدد الممتحنين شرع في الزيادة من كل صنف بعد السنة ١٨٩١ المذكورة تدريجًا وسببه حصول المساهلة في الامتحان من الروسية للأسباب الآتية:

١ ـ غليان أفكار العامة وحصول الهيجان فيهم.

٢ ـ إن المسلمين أرسلوا إلى علماء مكة المكرمة عريضة طويلة الأردان يشكون إليهم فيها ما لقوه من طرف حكومة الروسية من هذه التكاليف المغايرة لقانون العدالة ويسترحمون منهم إرسال مضبطة إلى باب المشيخة ليبلغ أحوالهم وأهوالهم إلى شوكة مولانا السلطان فيخابر الحكومة المشار إليها في رفعها وسحبها وديباجة عريضتهم هكذا أشعار:

أسادتنا لكم شأن كبير ... بكم مما نحاذر نستجير
خذوا ثأر الديانة وانصروها ... لقد عامت حواليها النسور
ونحن بخطة فيها صغار ... يشيب لكربها الطفل الصغير
تجاذبنا الأعادي باصطناع ... فينخدع المخول والفقير
فباق في الديانة تحت خزي ... تشبطه الشويهة والبعير
ويمضعنا[1] النصارى أي قلب ... على هذا يقر ولا يطير

(١) ويمضعنا: كذا بالأصل.

مضى الإسلام فابك دمًا عليه ... وهل يطفى الجوى الدمع الغزير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنًا ... يكرر ما تكررت الدهور
نخور إذا دهينا بالرزايا ... وهل مضغ إلى بقر يخور
أليس لنا أبي النفس شهم ... يدور مع الدوائر إذ تدور

بسم الله الرحمٰن الرحيم إلى جناب حضرات كعبة الآمال، شموس سماء السعادة والإقبال، قبلات توجه أماني الرجال، عرى الشريعة النبوية، أنصار الملة المصطفوية، ساداتنا شيخ الإسلام، مفتي بلد الله الحرام، (الشيخ صالح كمال) إلى كافة الأنام، وفاتح بيت الله الحرام، (الشيخ عبد الرحمٰن الشيبي رحمه الله) بنص من النبي عليه الصلاة والسلام، ومولانا خلاصة سلالة السادات، رفيع الدرجات، ما من شرف إلا هو له حاوي، مولانا السيد عبد الله نجل سيدنا ومولانا ومرشدنا السيد محمد صالح الزواوي، وكافة العلماء العظام، والمشايخ الكرام، لا زلتم محفوظين من جميع الحوادث والآفات، وملحوظين من طرف الله سبحانه بلحاظ الإجلال والإكرام وأنواع العنايات، ولا زلتم ظهور الضعفاء ومعينهم من صرصر البليات، وسائر النكبات، بالنبي وآله الأمجاد الكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، المعروض على أعتابكم العلية. والمرفوع إلى سدتكم السنية. بعد حمد من منه البداية وإليه النهاية. وصلاة من هو شمس الهداية. القائل: «بدأ الدين غريبًا وسيعود كما بدأ»[1] طوبى للذين يصلحون ما أفسده الناس بالدراية. وآله الذين هم سفن السلامة من بحر الغواية. وأصحابه نجوم الاهتداء في ظلمات الضلالة والعماية. إنه لا يخفى على حضراتكم العلية. إن الحكومة الروسية قصدت إبطال الشريعة النبوية. وإزالتها بالكلية. من هذه الديار التي رميت بسهام البلية. الخ وختامها بهذه الأبيات، أشعار:

قد استجرنا بكم من كل حادثة ... إن لم تجيروا فقد ضاقت بنا الحيل
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان
أما نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

(١) لفظ الحديث: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء». أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٢٣٢، والترمذي في الإيمان باب ١٣، وابن ماجه في الفتن باب ١٥، والدارمي في الرقاق باب ٤٢، في الترجمة، وأحمد في المسند ١/ ١٨٤، ٣٩٨، ٢/ ١٧٧، ٢٢٢، ٣٨٩، ٤/ ٧٣.

[مضبطة علماء مكة المرسلة إلى إستانبول]

ثم بعد ذلك الإمضاءات فجمعت المضبطة من علماء بلد الله الحرام ومشايخها العظام بعد أن أخذ مولانا السيد عبد الله الزواوي دام مجده وعلاه الإذن في ذلك من الشريف بطريقة عجيبة فإن العلماء ممنوعون هناك عن جمع أي مضبطة كانت من غير إذن الشريف فجمع ٤٩ إمضاء وامتدا تمامها إلى أزيد من شهر وكان ذلك مهمة مولانا السيد عبد الله الزواوي زيد قدره وعلاه ولولاها لما تمت. وديباجة المضبطة بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهم يا مجيب السائلين. وسامع دعاء الداعين. ومفرج كرب المكروبين. وملجأ اللاجين. وجار المستجرين. نتوسل إليك بأوجه الوسائل. والواسطة العظمى لكل راج وسائل. عبدك ونبيك. وكليمك ونجيك. وخليلك وصفيك. وأمينك على وصيك. معلم الخير. والمنقذ بهديه من كل همّ وضير. أبي القاسم سيدنا محمد ﷺ. وشرف وكرم. ومجد أن تنظر بعين عنايتك. . . . وبعد فننهى إلى سدة مقام المشيخة الإسلامية. مع الأمل الأكيد في تحقيق إجابة الأمنية. إن إخواننا أهل الإيمان. من سكان بلاد قزان. التابعة للدولة الروسية الآن. قد بعثوا إلينا عريضة طويلة الأردان. يشكون فيها ما هم عليه من المضايقة في الأمور الدينية. والتكاليف المغايرة للشريعة الإسلامية. وللطريقة المحمدية. من قبل الدولة الروسية. أقلها يصم الآذان. ويجلب لكل مسلم الأحزان. الخ وكان المرتب لها الأديب الفاضل الشيخ عوض رحمه الله تعالى كاتب المحكمة الشرعية[1] وكان ورود العريضة المذكورة في رجب سنة ١٣٠٨ بواسطة البوستة ولكن لم يتيسر جمعها لبعض الأسباب إلا في أول سنة ١٣٠٩ هـ فلما تم جمعها طبعت منها مقدار ٥٠٠ نسخة ووزع بعضها في الحرمين وبعضها في مصر وبعضها في الآستانة للنظار والحكام والباشوات والسفراء والأعيان وأرسل قليل منها إلى بلاد قزان فقدمت أصلها أولاً إلى مولانا السيد أسعد المدني المقيم والمدفون بالآستانة العلية رحمه الله تعالى فقراءها من أولها إلى آخرها وكلما قرأ شرع وجهه في التغير وظهر فيه أثر التأثر التام وزاد تغيره وتآثره إلى تمامها زيادة بينة ثم أمر برفع الأصل إلى باب المشيخة وأمر مؤذن جامع يلدز الشيخ عثمان براءة حامليها شيخ الإسلام في سلاملق وأمره أن يقول إن مولانا السيد أمر بذلك وذلك لئلا يقع التساهل من شيخ الإسلام في هذا الباب بل يهتم أشد الاهتمام وأخذ نسخًا من المطبوعات وقال إني أترجم خلاصتها بالتركي وأقدمها

(١) توفي في آخر سنة ١٣٢٤ بعد نزوله من منى رحمه الله تعالى. منه عفي عنه.

لمولانا السلطان أعز الله أنصاره بيدي فقدمها مولانا شيخ الإسلام ومولانا السيد أيضًا ترجمتها بالتركية ملخصة فأرسل مولانا السلطان أعز الله أنصاره إلى دولة الروسية نوطة في هذا الخصوص بواسطة سفيره في پطربورغ ولا يخفى على أحد مقدار تأثيرها.

٣ ـ مهاجرة المسلمين ومغادرتهم الديار المذكورة فإنهم لما رأوا إصرار الحكومة على إجرائها مع ظهور الحوادث والمفاسد الآتي بيانها على التوالي لم يبق شيء غير الهجرة من الديار المذكورة وترك الأوطان العزيزة هو أكبر من القتل فطلبوا من الحكومة الإذن في الهجرة حيث لم يرفع عنهم التكاليف المذكورة فأذنت لهم الحكومة بالهجرة في أول وهلة ظنًا منها أنهم لا يقدرون عليها ولا يقدمون إليها فلما رأتهم أنهم شرعوا فيها بالجد وطفقوا يهاجرون تباعًا خصوصًا الفقراء الذين لا يظن بهم أنهم يهاجرون صدر الأمر الإمبراطوري بالتشبث بأسباب منعهم عنها مهما أمكن ولا شك أن أصل سبب هجرتهم هو التكاليف المذكورة فشرعوا في التساهل فيها قليلاً بأن يعطوا شهادتنامة لمن لم يستوفِ الشروط المذكورة بالتمام إذا كان عارفًا بالتكلم والكتابة الروسيتين ولو قليلاً فاستمر الأمر على ذلك إلى الآن ولولا هذا لساء الأحوال وزاد الأهوال ولو دام الأهالي في هجرتهم لألغت الحكومة التكاليف المذكورة بالكلية من غير ريب ولكن ولكن ولكن... يضيق صدري ولا ينطلق لساني فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى شرع بعضهم في الرجوع إلى أوطانهم وإبطال هجرتهم ولم يكتفوا بالرجوع بل أخذوا يحرضون الأهالي إلى عدم الهجرة والثبات في أوطانهم فتركوا الهجرة ودامت تلك الأحوال ولكن من غير تشديد.

٤ ـ موت الإمبراطور ألكساندر الثالث وتملك الإمبراطور الحالي فإن لتبدل الملوك تأثيرًا في تبدل الأمور والأحوال خصوصًا إذا كان الثاني معتدلاً بالنسبة إلى الأول مع كون زوجة الثاني خالية عن التعصب الديني ومائلة إلى الحرية والمساواة مثل يكاترينا الثانية لكونها ألمانية الجنس مثلها بخلاف زوجة السابق فإنها في غاية التعصب رئيسة طائفة ميسيونير وحاميتهم ومقويتهم ومؤيدتهم.

٥ ـ إن ايلمينسكي كان منكرًا لتشبثات الحكومة لجر المسلمين إلى النصرانية بهذا الطريق أعني بطريق تكليفهم بتعلم اللغة والكتابة الروسيتين إياهم أشد الإنكار ومعترضًا عليهم فيه وكان يقول إن هذا لا ينفعنا بل يضرنا فإنه من قبيل إعطاء السلاح بيد الأعداء وطريقتهم القديمة في التعليم والتعلم كانت كافية في انحطاطهم وتدينهم ومفضية بهم إلى الانقراض والاضمحال بالكلية ولو بعد حين وأيّد ذلك بضرب المثل

بمن تعلم الروسية واستقام ولم يتعلمها قط وضل كما لا يخفى ذلك لمن يطالع مكاتيبه الإبليسية فلما نشأ العلماء الجدد الذين استوفوا الشروط المذكورة بالتمام ظهر صدقه في هذا الكلام فإن العلماء كانوا سابقًا إذا جاءهم واحد من الضبطية بأمر من طرف الحكومة كانوا يخافونه ويهابونه بحيث كانوا يأخذهم الرعشة فلا يستطيعون تأخير إجراء الأمر المذكور أو عدم وضع إمضائهم على الورق الذي بيده وإن لم يعرفوا ما فيه فضلاً على أكبر منه وأما هؤلاء العلماء الجدد فلم يكونوا كذلك بل صاروا ينظرون إلى الأمر في الورق الذي جاء به فإن كان مطابقًا للنظام وأنه وظيفته وأنه يلزمه إجراؤه أو الإمضاء عليه كانوا يأمرونه بالانصراف والمجيء في وقت آخر متعللين بأنهم مشغولون بشغل ضروري أو أن وقته لا يساعده فلا يمكنه الإلحاح فإن ألحّ فرضًا كانوا يوبخونه ويطردونه قائلين إنه لا يعرف النظام وأن الإلحاح عليهم ليس من وظيفته وإن لم يكن مطابقًا للنظام وأنه ليس من وظيفتهم كانوا يطردونه من أول الأمر بالتوبيخ والتشنيع بأنه لا يعرف القانون والنظام والحاصل أنهم صاروا يقاومون رجال الحكومة ويجاوبونهم بطريق القانون والنظام بعد أن كانوا في أيديهم آلة صماء يديرهم أصغر رجالهم كيف شاء فلما شاهدت رجال الحكومة هذا الحال أدركوا أن أستاههم أخطأت الحفرة وأن النتيجة التي كانوا يتوقعونها أعني التطبع بطبيعة الروس لا يرى منها أثر قط وكأنها ممتنعة الحصول وأيقنوا أن ايلمينسكي أدرك ذلك قبل وقوعه بإلقاء الشيطان بموجب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٢١] الآية فعرض الفتور لعزمهم السابق فسلكوا طريق المساهلة لذلك.

وأما الأمور التي حدثت في خلال تلك المدة ولها مناسبة لتلك التكاليف وتعلق بها بنوع ما ولأجلها آثر المسلمون الهجرة فهي كثيرة نذكر فيها هنا ما له وجود في الحافظة.

منها بناء مكتب سيمينياريا بقزان وهو أن طائفة ميسيونير اشتروا عراصًا بين المسجد الأول والثاني ببلدة قزان وبنوا بها مكتبًا كبيرًا جدًا يسمى سيمينياريا بمعنى المكتب الديني وغرضهم من بنائها إقراء أولاد المكرهين قوانينهم الدينية وغرضهم الوحيد من بنائهم في الموضع المذكور الذي هو وسط المسلمين دون أن يبنوها في طرف الروس منها هو إضرام النار وإلقاء الجمر في قلوب المسلمين ورش الملح في جراحاتهم ونثر التراب في عيونهم وتنكيدهم وإظهار عداوتهم لهم لا غير وكان ابتداء بنائها في حدود سنة ١٨٧٢ وكان أكثرهم سعيًا واجتهادًا ومباشرة فيها ايلمينسكي فأثر ذلك في المسلمين تأثيرًا سيئًا جدًا وشاهدًا عدلاً لنواياهم الكاسدة وأغراضهم الفاسدة

فإن لسان حالها ناطقة بأعلى صوتها بأني ما بنيت في هذا الموضع إلا لأجل أولادكم أيها المسلمون وقد فرط المسلمون في إهمالهم شأن تلك العراص حتى آل أمرها إلى ما ذكر وندموا عليه حين لم ينفعهم الندم.

ومنها أن من عادة حكومة الروسية طلب الإمضاء من الأهالي في مثل هذه التكاليف الباطلة على رضائهم بها لئلا يتمكنوا من الرجوع والعدول عنها بعد القبول مثلاً ولها أيضًا في ذلك غرض آخر وهو الأصل فيه فإن الطلب المذكور يكون تارة من أصل الحكومة وتارة من الدوائر الصغار كحكام النواحي والولاة فإن كان الثاني فالغرض منه دفع تبعة المسؤولية والعتاب عن أنفسهم إذا وقعت الشكاية منهم إلى الدوائر الكبار بأنه وقع منهم الإكراه والإجبار بأن ينكروه ويقولوا إنهم رضوا بذلك وهذا إمضاءاتهم الناطقة به وإن كان الأول فالغرض منه دفع العار والشنار وستر العورات إذا بلغ الأمر إلى الدول الأجنبية فشرعوا في تشنيعهم وتوبيخهم وتعييرهم بالظلم وإجحاف الحقوق بأن يبرزوا تلك الإمضاءات إليهم ويقولوا إنهم لم يفعلوه إلا برضائهم بل بطلبهم فيبعدون بذلك عنهم قبح نسبة الظلم إليهم.

وإياك أن تظن هذا مجرد اختراع الوهم وأنه اختلاق محض كلا بل هو أمر واقعي فإن بعض مرخص الدولة العلية لما احتج على ظلم الروسية برعاياها المسلمين ببيان تلك المعاملات المار ذكرها في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ م وأفحم بذلك مرخص الروسية أبرز مرخص الروس بعد أيام مضبطة فيها إمضاء نحو أربعمائة نفر من أئمتهم أنكروا فيها حصول التشديد والتضييق في أمر الدين من حكومة الروسية وقالوا إن كل كلام في هذا الباب فهو كذب وأنهم طلبوا تلك المعاملات برضاهم من الحكومة لاحتياجهم إليها فأسكت بذلك مرخص الدولة العلية وكذبه وأخجله بين زملائه من مندوبي الدول فلم يقل غير لعنهم الله ولم يدر هو ولا غيره من مندوبي الدول أن المضبطة المذكورة إما مزورة وإما مأخوذة بالجبر والتهديد وإما مأخوذة من المنافقين والمتساهلين فإنه كيف لا يكون هذا القدر من المنافقين والمتساهلين فيما بين عشرة آلاف نسمة من العلماء فلو أنهم جلبوا هناك عدة من العلماء المتدينين المتصلبين وأخذوهم تحت ضمانتهم وحمايتهم من إصابة مكروه من طرف الروس لقولهم الحق لتبين حقيقة الأمر والحاصل لا عبرة بالإمضاء في مثل هذا الأمر فإنه مأخوذ جبرًا وتهديدًا أو مأخوذ من المنافقين الذين يغنون بغناء الروس ويرقصون على إيقاعهم فاعرف ذلك واحفظه في حافظتك حتى لا تلوم الأبرياء.

فإن لم تقنع بذلك فدونك ما ذكره موسيو سيلر الأميركاني في رحلته التركستانية حيث قال بعد ذكره مجريات السيد عظيم باي وايشان خواجه التاشكنديين وامتناع الثاني بتزويج ابنته من الأول (أن السيد عظيم أخذ بمعاونة بعض ضباط الروسية من والي تاشكند أمرًا مضمونه أن ايشان خواجه لا يزوج ابنته بعد البلوغ من أحد إلا بعد عرضها على السيد عظيم ورده إياها وكلف ايشان خواجه بوضع إمضائه على هذا الأمر ومثل هذا الأمر الغير المناسب لا أظن أنه موجود فيما بين السود الوحوش الكائنين في الأميريكا الوسطى) اهـ ما ذكره موسيوشيلر.

فإذا عرفت ذلك فقد شرع حكام النواحي بعيد هذه التكاليف بدون أمر من الدوائر الكبار في طلب الإمضاء من العلماء على رضاهم بها وألحوا في ذلك وهددوهم بإقفال مكاتبهم ومدارسهم بل ومساجدهم إن لم يرضوا بهما وبوضع الإمضاء خصوصًا نظار المكاتب الملقبين باينسبكتور (مفتش المكاتب) منهم مأمور ملقب باصطاناواي واوراتنيك فنشأ منه مفاسد كثيرة حيث عزل بعض العلماء وحبس البعض منهم ونفى وسفر بعض آخر وأقفل بعض المكاتب والمدارس حتى كان هؤلاء النظار يستصحبون معهم معلم الروسية إلى قرى المسلمين الذين فيها المكاتب والمدارس ويكلفون العلماء والمدرسين بقبولهم في مكاتبهم ومدارسهم وربما وضع بعض العلماء إمضاءهم على ذلك مضطرًا في الظاهر خوفًا من العزل أو الحبس أو النفي والتسفير ولا يخفى على القراء الكرام أن العلماء ليسوا وكلاء في هذا الأمر من طرف العامة ولا هذا مكتوب في منشورهم حتى يكلفون بذلك ويكون إمضاؤهم معتبرًا وسندًا على إجرائهما غاية ما في الباب أن إمضاء العلماء يكون دليلاً على رضاهم بإقراء أولادهم الصغار الذين لهم ولاية عليهم وأما غيرهم فلا ولاية لهم عليهم وإن كانوا أولادهم إذا كانوا كبارًا فحينئذ فما معنى طلب الإمضاء منهم في أمور تتعلق بالعامة وما معنى جعله حجة على العامة وكيف يمكن تطبيقه على العقل والنظام وهل مثل هذا الأمر المغاير للعقل والنظام جار في ممالك الملل والدول المتمدنة حاشا ثم حاشا فقد تبين صدق قول موسيوشيلر الأميركاني أن مثل هذا النظام لا يكون فيما بين السود في الأميركا الوسطى.

قلت ولعله موجود في القبائل الوحشية في دواخل إفريقيا على أنه لو سعى جماعة كثيرة من العلماء والأعيان لحاجة المسلمين لدى الحكومة تطلب منهم الوكالة فإن عجزوا عن إثباتها رتب عليهم الجزاء.

بقي الكلام في تشخيص هؤلاء النظار ومفتشي المكاتب الذين أحيل عليهم نظارة المدارس الإسلامية وتفتيشها ولكني أعتذر للقراء الكرام في هذا الباب لعجز قلمي عن استقصاء دناءتهم وما فيهم من الأوصاف الرذيلة والأخلاق البهيمية من السكر الدائم وما يتفرع عليه من الرذائل والذمائم واستشعار نقصاني فيه وإن أفرغت ما في جعبتي في هذا الباب وإنما أكتفي فيه بإيراد مادتين وقعتا قريبًا من وقتنا هذا.

[وقعة بول إيلي]

أحدهما: وقعة بول ايلي من أعمال قزان وذلك أن اينسبكتور (ناظر المكاتب) في تلك الناحية جاء قرية بول ايلي في سنة ١٩٠٣ م مصادفة سنة ١٣٢١ هـ ومعه اثنان أو ثلاثة من معلمي الروسية ليعين واحدًا منهم معلمًا في مكتب القرية المذكورة والباقي في قرية أخرى ونزل بيت إمام القرية المذكورة ومعلم مكتبها الملا فضل جان بن الملا مفتاح الدين وهو سكران والإمام المشار إليه في الحمام مع زوجته فدخل اينسبكتور المذكور في غير استئذان إلى غرفة النساء لكونه سكرانًا ولجهله بعادات المسلمين من اتخاذ غرفة مخصوصة بالنساء لكونه مخالفًا لعاداتهم من اشتراك الكل في النساء ففزع أولاده الصغار الذين هناك لكونه روسيًا وسكرانًا خارجًا عن الإنسانية إلى البهيمية فسألهم عن والديهم فأجابوا بأنهما في الحمام فأرسل واحدًا منهم ليخبر أباهم بمجيئه وأمره بالرجوع سريعًا فرجع الإمام بغاية العجلة ودخل الغرفة المذكورة عليه وحاول أن يفهمه بكون صنيعه هذا مغايرًا للإنسانية ومقتضى العقل فضلاً عن المروءة والمدنية وأمره بالقيام والخروج ولكن أنى له الفهم وأنّى له الخروج فأخذ الإمام بيده وجرّه إلى الخارج وأخرجه من الدهليز وهو لا يعرف غير أن يقول أنا جئتك بمعلم فعليك بقبوله فاجلسوه في عربيته وأخرجوه إلى خارج الدار فلما أحس أهل القرية بحقيقة الحال أمسكوا بعنان فرسه المشدود على العربية وأدخلوه في دار رجل منهم وطفقوا يضربونه وحيث لم يبلغ أجله المسمى أدركه حاكم تلك الناحية الملقب بوولصنوي اسطرشينه فأنقذه من أيديهم وأخرجه إلى الجادة فشرع يعدي فرسه ويشتد فخلص نفسه من قبضة قابض الأرواح بهذه الكيفية فقدم عريضة كاذبة إلى العدلية بأن إمام القرية المذكورة ضربه ضربًا مبرحًا لأجل مجيئه إليه بمعلمي الروسية ثم أغرى أهل القريبة بضربه بل بقتله واستشهد بذلك بمن معه من معلمي الروسية فشهدوا وفق دعواه فأنكر الإمام المذكور وبيّن حقيقة الحال وما جرى من المفاسد وإخلاله بالآداب والإنسانية وشهد من طرفه المأمور الملقب باصطاناوي والمأمور الملقب بأوراتنيك وقالا إنه جاءنا حين انصرافه من تلك القرية وهو سكران فافتخر بأنه

ضرب الإمام وطلب منا بنتًا ليفجر بها فلم تقبل عدلية الروسية هذه الشهادة مع أنهما روسيان بل قبلت شهادة المعلمين وحكمت على الإمام بالحبس مدة سنة كاملة فقدم الإمام عريضة إلى محكمة سينات لاستئناف حكمه فأيدت المحكمة المذكورة أيضًا ما قررته العدلية من الحبس مدة سنة فحبسوا فانظروا إلى معاملة الروسية في مثل هذه الأمور.

[وقعة ملا هادي أفندي]

وثانيهما وقعة ملا هادي أفندي الحاجطرخاني التياكي وذلك أن اينسبكتور حاجي طرخان جاء مدرسة ملا هادي أفندي المذكور ليكلفه بقبول معلم روسي في مدرسته أو ليفتشها ومعه المعلم بالروسية إسحٰق أفندي الإسكندري من أهل حاجي طرخان فدقا الباب وكان ملا هادي إذ ذاك الوقت في الصلاة فخرج واحد من الطلبة الصغار وأخبرهما بأنه في الصلاة فقال له اينسبكتور قل له ليتم صلاته سريعًا فقال له الطالب المذكور فلما أتم صلاته ضربه بعود صغير لإساءته الأدب وعدم صبره إلى إتمامه بنفسه وهما أعني اينسبكتور وإسحٰق أفندي يريان ذلك فسبه اينسبكتور وشتمه سبًا وشتمًا لا يصدر عن واحد من آحاد الناس في حق مثله ولم يكتف بذلك بل قدم عريضة إلى الوالي أقام فيها الحجة على زعمه أنه لا يستحق التعليم والتدريس ولا يستأهلهما فعزله الوالي من التعليم والتدريس وحجره عنهما فامتنع عنهما بموجب حكم الوالي الجائر شهورًا إلى أن عزل الوالي المذكور من طرف الله تعالى وجاء بدله وال آخر فأذنه في التعليم والتدريس وكانت هذه الواقعة أيضًا في السنة المذكورة سابقًا.

وهؤلاء الأشخاص الذين عينتهم حكومة الروسية المتمدنة لإخراج المسلمين من ظلمات الجهالة والوحشة إلى نور المعارف والمدنية بزعمهم ونصبوهم نظارًا لمدارسهم الدينية التي لا يقرأ فيها سواها ولا يعرف فيها غير المدنية كما سبق اعترافهم بذلك في المقالة الميسيونيرية وهذه معاملتهم مع العلماء رؤساء أهل الدين فإن كان لأحد صبر أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فليصبر وقس على ذلك سائر معاملاتهم.

ومنها أذيتهم وجفاهم في حق بعض العلماء وابتلاؤهم ببلايا بسبب رميهم بتهمة تعليم أولاد المكرهين والمهتدين من چواش وچرمش وآر وهذا كثير جدًا يقتضي ذكر كلها مجلدًا على حدة فلنكتف منها بذكر بعض المواد أيضًا.

[قضية الملا محمد جان الكاوجياكي]

منها قضية الملا محمد جان الكاوجياكي رحمه الله تعالى وتفصيله أن بين قريتي نور كاي والمت من القرى التوابع لقصبة منزلة من ولاية أوفاقربة چواش تسمى بكمت (تحريف بكمحمد) وليس في تلك الأطراف والجوانب قرية سواها من قرى چراش مع أنهم لا يعرفون لغة مخصوصة بچواش[1] قط فاهتدى عائلتان من أغنياء القرية المذكورة اهتداء غير رسمية لعدم الإذن لهم في الوقت المذكور بالاهتداء وكانوا يتعلمون الضرورية الدينية من علماء الأطراف والجوانب وكانوا يصلون ويصومون ويعطون الزكاة والعشر والفطرة فلما بلغ هذا الأمر الحكومة أرسل إليهم القسيسين ليعظوهم وقريتهم تابعة في نظام الروس لقسيس قرية قرامالي ففعلوا فلم يذعنوا لهم وجاهروا بالإسلام فهددوهم بالحبس والتسفير فلم يؤثر فيهم فسفروهم إلى سيبريا فهدى الله سبحانه بعد تسفيرهم كثيرًا منهم إلى الإسلام حتى لم يبق في قريتهم على المجوسية سوى عائلتين وصاروا يتعلمون الأحكام الدينية ويعلمون أولادهم القرآن من بعض علماء الأطراف والجوانب خفية فلما رأت طائفة ميسيونير ذلك بنوا هناك كنيسة ومكتبًا بجنبها ونصبوا بها قسيسًا وأجبروهم إلى دوام الكنيسة وإرسال أولادهم في المكتب وهددوهم بالتسفير إن لم يفعلوا ذلك ففعل بعضهم هذا الفعل تقاة وأباه الأكثرون ولم يبالوا بتهديدهم وقد رجع المسفرون في ذلك وقد قوي إيمانهم أكثر من الأول وهم يعظونهم بالثبات ويشجعونهم ويهونون لهم أمر التسفير وكان جل قصد القسيس أن يطلع على من يعلمهم الدين والقرآن وكان أكثر ظنه أن الذي يفعل ذلك هو إمام قرية كاوجياك ومعلمها ملا عبد الغني ابن الحاج الملا محمد جان فأمره أن لا يفعل ذلك وحذره من وخامة عاقبته فقال له والده الملا محمد جان المذكور إن وظيفتنا هو تعليم من يحضر مدرستنا كائنًا من كان فإن تكره تعلمهم الديانة الإسلامية فصر لهم أنت قراقولاً وحارسًا فشكا منه إلى الحكومة وحيث كان المشار إليه غيورًا ذا حمية إسلامية وغيره دينية لم ينكر التعليم وقت الاستنطاق فلو أنكره لما جرى عليه شيء بل أجاب بمثل ما أجاب به القسيس بل زاده وقال إن مقتضى ديانتنا الإسلامية أن لا نرد أحدًا جاءنا يتلقن الإسلام أو يتعلم الديانة الإسلامية كائنًا من كان سواءً كان

---

(١) وكانا يدعيان أن القرية المذكورة من قرية التتار وأن أهلها تتار مكرهون وتمسكًا في ذلك يكون اسم قريتهم بكمت تحريف بكمحمد ووجود قرية مسلمة بقربها مسماة بهذا الاسم وعدم معرفتهم بلغة چواش وكلها معقولة منه عفي عنه.

مجوسيًا أو روسيًا فلو جئت أنت أو ولدك أو من هو أعلى منك رتبة لتلقن الإسلام أو لتعلم الأحكام نلقنه ونعلمه فإن لم نفعل نكون آثمين وقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٧] الآية وقال ذم الله إلينا أهل الكتاب في هذه الآية تحذيرًا إيانا عن أن نكون مثلهم فقال له المستنطق إن هذا مخالف لقانون الدولة وفي ذمتكم يمين على أن لا تخالفوه فقال له إن الله سبحانه أعظم وأجلّ منكم وحقه أكبر من حقكم ونحن ما حلفنا لكم اليمين بالإطاعة في كل شيء بل بالإطاعة فيما لا يخالف الشريعة وأما المعصية ومخالفة أمر الخالق فلا طاعة علينا فيها المخلوق قط كائنًا من كان وعليكم لنا أيها الروسية عهد في مقابلة إطاعتنا إياكم أن لا تكلفونا ولا تأمروننا بما يخالف شريعتنا فلما سمعوا منه هذه الكلمة الحقة ورأوا منه هذه الصلابة والمتانة والثبات حبسوه وولده المذكور الملا عبد الغني في محبس بلدة أوفا حتى يحكم عليها بشيء فمات رحمه الله تعالى في محبس أوفا في حدود سنة ١٨٩٢ وسفروا ولده الملا عبد الغني أفندي إلى سيبريا وهو الآن هناك إمام في قرية على بعد سبعين ويرست من بلدة ايركوتسكي بقرب بحيرة بايقال وكان عمر المرحوم جاوز السبعين رحمه الله تعالى.

[قضية الملا حافظ البلبائي]

ومثلها أيضًا قضية المرحوم الملا حافظ وكان إمامًا في قرية قوناق قل التابعة لقصبة بلباي من ولاية أوفا أيضًا فاتهم بدلالة أهل قرية يسقل من قرى قوم چاش هناك إلى الإسلام وتلقينه إياهم وتعليمهم الأحكام الإسلامية فحبس في محبس بلباي ومات هناك بعد أن مضى من حبسه ٦ أشهر بلغني أن عمره كان تسعين سنة رحمه الله تعالى وأمثال ذلك كثيرة جدًا والأئمة في القرى المختلطة بالمكرهين كانوا منبهين من طرف الحكومة بعد قبول أحد من المكرهين في المساجد وإخراجهم منها إن دخلوا فإنهم كانوا يحضرون الجمع والجماعات ومهددين بالعزل والحبس والتسفير إن لم يفعلوا ذلك وكان كثير منهم يفعلون ذلك خوفًا من الحكومة وقل من خالف هذا الأمر وهم أصحاب الحمية الدينية والغيرة الملية الذين كانوا يرحجون جانب الله على جانب الحكومة وعذابه على عذابها.

فليزن العاقل معاملة الحكومة الروسية هذه في آخر العصر التاسع عشر بل أول العصر العشرين الميلادي وليحكم فيها بمقتضى عقله الخالص الصافي عن شائبة الوهم والتعصب وليقسها على معاملة سائر الدول المتمدنة ولا سيما حكومتي أمريكا وإنكلترا

هل يجد موافقة لها أولاً بل مطابقة لمعاملة القبائل الوحشية في دواخل إفريقيا لا شك أنه يجدها كذلك مطابقة النعل بالنعل.

[وقعة قرى چواش]

ويشبه القضيتين أيضًا حادثة ثلاث قرى من قرى چواش التابعة لولاية سراطا وتفصيلها أن أهالي هذه القرية هداهم الله سبحانه للإسلام وقد قرأ بعض منهم في بعض المدارس الإسلامية منهم الملا يعقوب وقد بذل القسيس الذين هم تحت تصرفه بموجب نظام الروسية أقصى جهده في ردهم من الإسلام فأبوا إلا الثبات عليه خصوصًا الملا يعقوب وتلامذته فلما فرغ القسيس المذكور كافة ما في جعبته من الحيل والدسائس ورآهم على غاية من المتانة والصلابة والثبات وأن حيله ودسائسه لم يؤثر فيهم أدنى تأثير سلك مسلك أسلافه من استعمال القوة والشدة فجمع جمعًا عظيمًا من الروس المتعصبين في تلك الأطراف والجوانب وتوجهوا نحو قرية الملا يعقوب حاملين النبابيت والعصى الكبار وضربوا بها أهل القرية عمومًا والملا يعقوب خصوصًا وقصدوا قتله ضربًا فسقط المومى إليه مغمى عليه كأنه ميت وانقطع نفسه فغرزوا إبرة متينة تحت ظفر قدمه فلم يتحرك فظنوا أنه مات فرجعوا زاعمين أنهم نجحوا في تشبثهم هذا واستراحوا فقام الملا المشار إليه وقدموا عريضة للوالي وحيث كانت الحادثة قد عظمت وليست أول مرة بل لها سوابق كثيرة لزم الوالي أن يخرج بنفسه لتحقيق الأمر المذكور حق تحقيقه وحسم مادة النزاع والخصومة فلما كان اليوم الذي يقدم فيه الوالي أعد كل من الطرفين الخبز والملح لاستقبال الوالي بهما على ما هو عادة أهالي تلك البلاد من القديم عمومًا حتى وقت استقبال الملوك أيضًا فلما قرب الوالي وسمع الأهالي صوت الجرس الذي علق على فرسه خرجت قوم الروس ونسوا خبزهم وملحهم وتركوا باب البيت مفتوحًا فجاء بإذن الله تعالى كلب كبير أسود وأخذ الخبز وذهب في سبيله وأما المهتدون فإنهم لما سمعوا صوت الجرس أخذوا الخبز والملح بالتبسي واستقبلوا الوالي بالأدب والسكينة والوقار وقدموا الخبز والملح إليه فأعجبه حسن سمتهم وآدابهم وسكينتهم ووقارهم وأما قوم الروس كانوا على غاية من الطيش والخفة وفي مقدمتهم القسيس فلما رأوا المهتدين قدموا إلى الوالي خبزهم وملحهم تذكروا أنهم نسوهما فزاد طيشهم وخفتهم فشرعوا في الصياح والنياح والرطانة بلغتهم يقولون نوخليب سول زابيل طاشچي سيچاص وأمثال ذلك ومن أين يأتون بهما فقد وقعا في محلهما فلما رأى الوالي هذه الحركة البهيمية منهم استشاط غضبًا وسبهم وشتمهم ورجع إلى مقره حالاً وكتب إلى پطربورغ بأن الأمر قد عظم

جدًا وليس تسكينه وإزالة النزاع والخلاف في وسعه بل لا بد من إرسال الهيئة التفتيشية فأرسلوا هيئة تفتيشية مركبة من أربعة وعشرين نفرًا لكل من الطرفين اثني عشر نفرًا وأظن أنه قد حضر هناك أسقف سراطا والذي هو أصل محرك هذه الفتن فأخرج من فمه وقت التفتيش والتدقيق كلمة مغايرة للنظام بموجب حرارة تعصبه الجاهلية وذلك أنه لما رأى ميل الهيئة إلى طرف إعطاء الحرية للمهتدين وتركهم وما يشتهون من الدين قال الأسقف المذكور إن صدر هذا الحكم من الحكومة لا يبقى أحد من المجوس الوثنيين غير داخل في الإسلام بل كلهم يسلمون فأخذه المحامي بقوله هذا حيث كان عاريًا عن التعصب وقال إن هذا ليس بقبح وعيب مانع من إعطاء الحرية فقد علم أن جل قصدكم هو هذا المنع وهو مخالف للنظام. فإن أصل النظام الآن هو هذا وإنما كان سوادًا في بياض ولم يخرج بعد إلى الخارج ولكنه لا يخفى على المحامي وهو سند قوي معتبر عنده فحكموا بمنع تردد قسيسي الروس إليهم وبتركهم على ما أرادوا وأما اختلاطهم بالمسلمين فهو ممنوع من الأول ولم يكن داخلًا في الدعوى حتى يزيله المحامي أيضًا وإنما كان الدعوى بقاؤهم تحت تصرف القسيس وعدمه ولما نشر فرامان ١٧ أوكتوبر من سنة ١٩٠٥ من طرف الإمبراطور المبين لحرية الدين واللسان والقلم والوجدان كان هؤلاء أول من أعلنوا إسلامهم وأثبتوه رسمًا.

[التضييق والتشديد في طبع الكتب]

ومنها التضييق والتشديد في طبع الكتب وقد سبق عند بيان حقيقة دسائسهم بيان تصورهم التعرض لكتب المسلمين والمداخلة فيها ولما حملوهم تعليم اللغة والكتابة الروسيتين بالكيفية السابقة وسدوا بذلك باب السفر وطرقه إلى بخارى وسائر بلاد الإسلام للتعلم وتحصيل العلوم وتوسلوا بها إلى تقليل تحصيل العلوم الدينية في نفس مملكة الروسية أيضًا لاشتغالهم مدة من الزمان في أوان التحصيل بتعلم القراءة الروسية أرادوا أن يتعرضوا إلى الكتب وأفهموا الحكومة الروسية أن تركهم على ما هم عليه من تحقير الكفار وسبهم وشتمهم كيف شاؤوا مع أنهم يريدون بهم إيانا مناف لكوننا ملة حاكمة وكونهم ملة محكومة ومخلّ بشرفنا ومغاير لعظمتنا بل لا بد لنا من منعهم عنه وإخراج أمثال تلك الكلمات من كتبهم وأن لا نأذن بطبعها حين استئذانهم فقر الأمر على ذلك فلما استأذنوا لطبع القرآن وكتب الفقه مسحوا منها جميع ألفاظ الكفر بجميع صيغها حتى لفظ الكفارة لزعمهم أنها مشتقة من الكفر ودالة عليه ومسحوا سورة الكافرون بتمامها ومسحوا باب الحيض والنفاس وكتاب الجهاد وكافة كلمة الكفر

والكفارة من كتب الفقه لزعمهم الأول عبثًا ومنافيًا للآداب والباقي للعلة الأولى فاشتد الأمر على المسلمين جدًا وشرعوا في تقديم العرائض ببيان قبح ذلك ووخامة عاقبته حتى هبت ريح النصر والغلبة إلى جهتهم ووفقوا لإصدار الأمر من طرف الحكومة بإلغاء ذلك التكليف الجائر الباطل لكن بعد أن بلغت أرواحهم التراقي.

وقد ظهر هنا صدق مضمون المثل المشهور «حبك الشيء يعمي ويصم»[1] فإن الروس كانوا ينكرون تارة كونهم كفارًا وكانوا يقولون إن المراد بالكفار في القرآن وغيره من لا دين له كقوم چواش وچرمش وآر وتارة كانوا يستدلون ويحتجون على المسلمين بزعمهم الباطل على حقيقة النصرانية بسورة الكافرون فإن ظاهر قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٣] مخاطبًا للكفار مطلقًا يدل على حقيّة دينهم بموجب مدلول اللام فهنا خالفوا كلا دعوييهم وناقضوا كلا قوليهم.

ولم يبرد حرارة هذا التكليف البارد ولم يسترح المسلمون منه حتى ظهر تكليف آخر أبرد وأشد وأقبح وأشنع من الأول نظير مصداق قوله تعالى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزّخرُف: الآية ٤٨] وذلك أن شيطنتهم المذكورة لما بطلت من غير أن تنتج نتيجة مطلوبة لهم طفقوا يلتمسون دسيسة أخرى رجاء أن يظفروا ببغيتهم في الخصوص المذكور وبينما هم في هذا الطلب والالتماس إذ ساعدهم الحال وظهر أمر لم يكن في الحسبان وذلك أن بعض السواح البطالين[2] لما أتموا سياحتهم وبطالتهم في إستانبول ومصر والحرمين المحترمين وأضاع وقته بالتفرج والتنزه في ديكلي طاش وچنبرلي طاش وبيكقوز وبوغازايچي وكاغد خانه وفلان خانه وأوزبكية وجيزة وأهرام وغير ذلك ونفد ما عنده من النقد اليسير وجاع بطنه واضطر إلى الرجوع إلى بلاده فرجع وقد تغيرت قيافته وكلماته وحركاته وسكناته وصار كشغال (ابن آوى) وقع في عدة من ظروف الصبغ حين ذهب إلى قرية ليلاً للسرقة وإشباع بطنه فتلون بأنواع اللون فسمى نفسه بالطاوس الإسماني (السماوي) فصار ملكًا للوحوش والسباع أيضًا صار معلمًا لأولاد بعض أغنياء تلك البلاد فشرع في إطالة

---

(١) هو من حديث رسول الله ﷺ، أخرجه أبو داود في الأدب باب ١١٦، حديث ٥١٣٠، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٤، ٦/ ٤٥٠.

(٢) البطّال أو الطرخان: وهو اصطلاح مملوكي يقصد به الذي يعيش من إقطاعه فقط، وكانت الطرخانية تكتب للأمراء تارة وللأجناد أخرى، وأكثر ما تكتب لمن كبرت سنه وضعفت قدرته وعجز عن الخدمة السلطانية. وقد جرت العادة أن يسمى ما يكتب فيها مراسيم يعدد فيها من مزاياهم واستحقاقهم (انظر صبح الأعشى ١٣/ ٤٨، ٥١، ٥٢، ونزهة النفوس/ ٤٩، ١٦٢).

اللسان في شأن بعض كبراء العلماء العظام كتيس شرع في نطح الجبل جاهلاً بقول الشاعر شعر:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وكان يعلم الصبيان بعض الأبيات العربية والتركية ويلقنهم أوزان الجور من غير شعور كان يقول فاعلاتن مفاعلن مستفعلن فإنه لا يعرف العروض ولا إنشاء الشعر فتعصب عليه أتباع العلماء الكرام المذكورين ووشوا به إلى الحكومة قائلين إنه حصل العلم في بلاد الإسلام وأنه من تبعة الدولة العثمانية وأنه يعلم الأولاد أشعارًا مشعرة بقوة الدولة المشار إليها وأنه خليفة المسلمين على وجه الأرض إلى غير ذلك مما سيذكر تفصيله[1] وقد كان هذا غاية بغية نظار المكاتب الملقبين باينسبكتور فاغتنموه ورفعوه حالاً إلى نظار المعارف بضم زيادة كثيرة إليه وقالوا قد تحقق لدينا أنه يستعمل في مدارس المسلمين في ولايات قزان وأورنبورغ وغيرهما كتب مطبوعة في خارج بلاد الروسية وقلمية وفيها أشعار بلغة التتار متضمنة لتقبيح كون التتار تحت حكومة الروسية كالأسارى وذمه وتشنيعه ومدح السلاطين العثمانية وسائر خوانين المسلمين وتجسم قواهم وتأييد كونهم غالبين في الآخر وأمثال ذلك وبعض هذه الأشعار وإن كان مشتملاً على مدح الروس أيضًا (كذا) إلا أن أكثرها في مدح المسلمين وأنهم ينشدون هذه الأشعار في أوقات فراغهم وعند آبائهم وأمهاتهم وسائر الجمعيات وينشرونها حتى أنه يوجد نسخة منها في يد كل من يقرأ ويكتب وفي كل بيت من بيوتهم وفي مدارسهم وأن الصبيان يتلقونها من أفواه آبائهم وأمهاتهم فيكتبونها ويحملونها معهم إلى المكاتب والمدارس وأن الطلبة الكبار هم الذين ينظمونها وينشؤونها آخذين حظًا منها من الكتب الكبار المؤلفة في إستانبول ضد الروسية كما يرى في بعض كتبهم أن سلطان تركيا غالب على جميع وجه الأرض وأن كافة المسلمين تابعون للسلطان في الحقيقة في أي مملكة كانوا في الظاهر وقد ظهر لنظارة المعارف أن هنا شيئًا آخر غير الأمور الدينية (يعني الأمور السياسية) فإن بعض المدرسين قد حصلوا العلوم في تركيا ومصر حتى أن بعضًا منهم ليسوا بتابعين للروسية أصلاً وكان ذلك في أوائل ايون من سنة ١٨٩٢ م فلما تبادلت الأفكار بين نظارة المعارف ونظارة الداخلية في كيفية التدابير اللازمة لرفع هذا المحذور على

(١) وقد مر أيضًا أثناء بيان تكاليف الحكومة ووعدنا بذكر تفصيله وسببه وهذا هو الموعود فتذكر منه عفي عنه.

زعمهم وقر رأيهم على شيء إلى أواسط نويابر كتب نظارة المعارف إلى نظار المكاتب يأمرهم بغاية الصداقة بمنع استعمال غير الكتب التي طبعت في مملكة روسية بإخراجها عن المدارس وبمنع من كان تحصيله في خارج ممالك الروسية عن التعليم والتدريس وبأخذ الإمضاء عنهم على ذلك شاؤوا أو أبوا وبرفع حقيقة الأمر والمجريات وإرسال إمضاءاتهم إليه وكتب نظارة الداخلية إلى الولاة يأمرهم بإعانة النظار المذكورين وإعطاء القوة الكافية لهم فقامت القيامة على رؤوس المسلمين عمومًا وعلى رؤوس العلماء خصوصًا حيث شرع النظار المذكورون في جمع الكتب القلمية والمطبوعة في خارج بلاد الروسية وإخراجها من المدارس وبيوت العلماء ومنع المدرسين الذين كان تحصيلهم في خارج مملكة الروسية ولو زمنًا يسيرًا وقد نشأت منها حادثة قصبة الچيسطاي الواقعة في سنة ١٣١٠ فشرع المسلمون في تقديم العرائض ثانيًا إلى محكمة الجمعية الإسلامية وإلى ناظر المعارف ونظارة الداخلية وحيث لم تنتج تلك العرائض نتيجة مطلوبة أخذوا يهاجرون بلادهم فأخيرًا أرسلوا هيئة مركبة من ١٨ نفرًا من ولايات أورنبورغ وأوفا وقزان إلى پطربورغ لتقديم عريضة مشتملة على استرحام إبقاء الكتب الدينية على حالها وحيث كان الوقت مقتضيًا لتأخير ما أرادته الحكومة من تضييق دائرة الكتب لزيادة هيجان الأهالي وغليان أفكارهم واستمدادهم على الهجرة بالجد قبل ملتمسهم في الظاهر وارجعوا إلى مقارهم مسعفين بمرامهم وكان ذلك في خلال سنة ١٨٩٤ م فانقشعت تلك الغيوم موقتًا لتظهر في وقت آخر مناسب بلون آخر وأغمض في حق المعلمين الذين كان تحصيلهم في خارج بلاد الروسية لمقتضى الوقت والحال.

ومنها تكليفهم المسلمين بإقفال دكاكينهم يوم الأحد الذي هو عيدهم تعظيمًا له وقد طلبوا فسخ هذا الحكم الجائر أيضًا من الحكومة بتقديم العرائض فلم يجابوا له.

ومنها ما هو أطم من ذلك كله وهو أنه اشتهر بين المسلمين أن جمعية ميسيونير نظموا دفترًا قسموا فيه قرى المسلمين إلى نظارة القسيسين بمعنى أنه إن ساعد الوقت ورفع الإسلام عن تلك البلاد بالكلية وحكم بنصرانيتهم رسمًا تكون القرية الفلانية تحت إدارة القسيس الفلاني والقرية الفلانية تحت تصرف القسيس الفلاني فاضطربوا لذلك اضطرابًا شديدًا إلا أنهم لم يستيقنوا به إلى أن دخل واحد من تجار المسلمين[1]

(١) اسمه أحمد جان وكذلك أخذه واحد آخر يسمى ولدان من قسيس قرية نيقولين التابعة لقضاء بوگلمه وكذلك القاضي جلال الدين المقصودي من واحد من قسيسي بلدة أوفا كلاهما بواسطة=

بيت قسيس قرية چكن من القرى التابعة لقصبة بوگلمه من ولاية صمار الكائنة بشاطىء نهر آق وقدم إليه هدية وناوله خمرًا فلما لعبت به وبعقله فاتحه بالكلام في هذا الباب وسأله عن صدق الخبر المذكور وكذبه فقال القسيس إنه صادق لا شبهة فيه وأن القرية الفلانية وقعت في حصتي وهذا هو الدفتر المبين فيه ذلك وأعطاه الدفتر فسقاه التاجر أيضًا من الخمر إلى أن صار لا يعقل شيئًا فأخذ الدفتر وخرج من بيته فاطلع المسلمين على حقيقة الحال فأيقنوا بوقوع الشر وعود الزمان الذي مضى قبل يكاترينا الثانية ووقعوا في حيص بيص وصاروا ينتظرون وقوع الفتن ليلاً ونهارًا بحيث إذا رأوا واحدًا من المأمورين كانوا يظنون أنه جاء لإجراء الأمر المذكور وإخراجه إلى الفعل.

حادثة سولاي

وبينما هم كذلك إذ وقع الوباء البقري وصدر الأمر من الحكومة بسوكرة البقر وقتل المصاب منها بالوباء على أن يعطى قيمته من طرف شركة السوكرة وذلك في حدود سنة ١٨٨٤ م فجاء المأمور الملقب باصطاناواي قرية سولاي التابعة لقصبة بوگلمه من ولاية صمار لإبلاغ الأمر المذكور أهاليها وأخذ الإمضاء منهم على رضاهم به وقد كتب في ورقة سند السوكرة أسامي الروس للتصوير والتمثيل فقط ولما شاهد الأهالي ذلك لم يشكوا في كونه دسيسة من طرفهم وإن مادة السوكرة فهي حجاب وستر لمرامهم وزاد توهمهم كون الأسامي مكتوبة بالروسية ولم يشكوا في كون المراد بها هم أنفسهم فصاحوا من فم واحد أنهم لا يقبلونه قط ولا يضعون إمضاءهم على الورقة المذكورة أبدًا فحاول المأمور المذكور أن يأخذ منهم الإمضاء بالتهديد والإكراه فأمسكوه وضربوه ضربًا جيدًا حتى أنه أنقذ نفسه من أيديهم بغاية الصعوبة فرفع الأمر إلى الوالي فحمل غضبه وجاءهم بنفسه وهو يرعد ويبرق فعاملوه معاملة المأمور ورموه بالفأس إلا أنه لم يصبه بل أصاب عربيته فشرد ثم جاءهم بالعساكر وقبض على عدة أئمة وأعيان وزجهم في السجن[1] وحكم على بعضهم بحبسه مدة أربع سنين وعلى بعضهم أقل بعد أن حكموا بعزلهم منهم الملا آخون جان من قرية أولجايدي فلما أتم المشار إليه حبسه وهي مدة أربع سنين وأطلق سراحه خرج إلى إستانبول مع

= سقي الخمر أم الخبائث. منه عفي عنه.

(١) وذلك بعد التفتيش والتحقيق وشهادة واحد من أفراد ژاندارمه وواحد من الأئمة يسمى من قرية... عليه من الله أشد ما يستحقه وحلفهما على أن المسلمين قد عاندوا وعصوا وإلا لأثبتت القباحة للوالي ولكان مثل إسكاراتين. منه عفي عنه.

بعض رفقائه وكيلاً من طرف أهالي بعض القرى التي هناك وأعطى عريضة لمولانا السلطان أيده الله تعالى وأعز أنصاره ببيان أحوالهم وما لقوه من طرف الحكومة الروسية وطلب الهجرة إلى ممالك الدولة العلية حرسها الله تعالى رسمًا وطلب مخابرة الدولة في ذلك حكومة الروسية وتوسط في ذلك ببعض الكبراء في إستانبول فنجح في تشبثه ذلك فبعد أن تبادلت المخابرة بين الدولتين وسأل حكومة الروس الأهالي عن توكيلهم الملا آخون جان المذكور في طلب الهجرة من الدولة العلية اعترف به البعض وأنكره البعض الآخر خوفًا من بطش الحكومة بهم فأذنت لمن اعترف بالهجرة فهاجر عدة عائلات من عدة قرى وقد عين لهم من طرف الدولة العلية أراض ميرية جيدة جدًا في طرف ملاطية لو أجري الأمر على مرسوم أولي الأمر في ذلك لدامت الهجرة إلى الآن ولرأينا هناك الآن عدة من قرى التتار معمورة ولكن لعن الله الخونة الذين باعوا دينهم وناموس الدولة من سفارة الروسية وكسر رقابهم وهذا هو مبدأ الهجرة ثم تلاهم عدة عائلات من طرف أورنبورغ ومن طرف أوفا ومن ولاية قزان.

[تكليف المسلمين بأخذ الرسوم عند الامتحان]

ومنها تكليفهم المسلمين بأخذ رسم من يطلب شهادتنامة من القراءة الروسية وذلك أنهم لا يفوتون دقيقة في أذية المسلمين وهم يعرفون حرمة اتخاذ الصور والتماثيل عند كافة المسلمين بالإجماع ويعرفون أيضًا توبيخ المسلمين إياهم بعبادة الصور واستهزائهم بها فأرادوا أن يصبغوهم بصبغهم مهما أمكن وهو اتخاذ الصور ولا يمكن تكليفهم به من غير سبب فلذلك اخترعوا له أولاً سببًا من الأسباب بأن ادعوا كذبًا ومينًا أن بعض المهرة في قراءة الروسية يأخذ شهادتنامة بإجراء الامتحان المطلوب ثم يعطيها لشخص آخر مرشح للوظيفة التدريسية وما يماثلها لعدم أهليته بها فلا بد إذًا من أخذ رسم من يطلب الشهادتنامة حتى لا يتأتى له الحيلة المذكورة وإلا فلا يعطى له الشهادتنامة فامتنع الأهالي عن ذلك في أول وهلة ثم لما رأوا إصرار الحكومة إليه قبلوه بالضرورة ولم يقع منهم في هذا الخصوص كبير مقاومة وتقديم العرائض وكأنهم استصغروه وقالوا ع:

أنا الغريق فما خوفي من البلل

مع أنه شيء كبير حرام بإجماع الأمة ومع ذلك تحته دسيسة كبيرة وهي أنهم كانوا جعلوه مقدمة لتكليفهم بوضع تلك الصور في المحاريب ليستيقنوا أن الإمام الذي

يؤمهم هو صاحب الصورة الذي استوفى شروط الإمامة بأخذ شهادتنامة من جمعية الامتحان الروسية بلا شبهة لا غيره فلا شك في صحة إمامته ولا شبهة في ذلك وإلا فسببهم الذي أيدوه وليس سببًا قط فإنك قد عرفت في شروط الامتحان الصادرة من نظارة المعارف أن من شروطه وجود تذكرة المرور (پاسپورط) أو شهادتنامة من دائرة البوليس وشهادتنامة من المكتب الذي قرأ فيه القراءة الروسية ولا يخفى على أربابه أن الأشكال يكتب في التذكرة والپاسپورط وهي قائمة مقام الرسم فليكتبوها في شهادتنامة أيضًا ولا شك في امتناع الاتفاق في جميع الأشكال فلا يتأتى فيها الحيلة وإن أمكنت في تبديل الاسم وأيضًا أكثر الامتحانات لا تجرى إلا بالصعوبة وبالارتشاء فالحيلة المذكورة في مثل هذه الامتحانات لا تتصور والحاصل لا شبهة في كون وراء هذا التكليف لحكومة الروسية غرضًا فاسدًا إلا أنها لم تتمكن إلى الآن من إظهاره وإجرائه فهي تتوقع وقتًا مساعدًا له ونحن معاشر المسلمين ننتظر الفرج.

الحوادث التي حدثت أثناء تحرير النفوس الأخير

لا يخفى على المطلعين على أحوال العالم ما وقع للروسية من تحرير النفوس سنة ١٨٩٧ م ولا يخفى الغرض منه أيضًا ولكنه لما صادف وقت غليان أفكار المسلمين وانسلاب اعتمادهم على الحكومة واتهامهم أعضائها ورجالها بالخيانة والخدعة اتهامًا صحيحًا مطابقًا للواقع لا وهميًا محضًا لتكررها ووقوعها منهم في حقهم مرارًا صار باعثًا على حدوث حوادث كثيرة ومفاسد عديدة لعدم قبول المسلمين ذلك وامتناعهم عن بيان أعدادهم وأسمائهم وأصنافهم لزعمهم أن لذلك الأمر مدخلاً في تكليفهم بالتنصر بل هو مقدمته وقولنا زعمهم إنما هو بالنظر إلى الواقع وإلا فهم كانوا جازمين بذلك ومعتقدين إياه اعتقادًا قويًا لا يتزلزل والحكومة وإن نشرت عليهم أولاً إعلانًا مبينًا لغرضها منه لشعورها بما سيقع منهم بمقتضى الوقت إلا أن الذين كتبوا الإعلان المذكور لما كانوا قطع خشب ذات روح لم يزد الإعلان المذكور إلا بلة في الطين وسار سببًا لازدياد تهمتهم وغليان أفكارهم لكونه مجملاً ومبهمًا جدًا مع أنه كان مطبوعًا في قطع نصف ورقة وكان اللازم عليهم أن يكتبوه مفصلاً بحيث يزيل جميع الشبهة ويفهم كل أحد فإذًا ليست القباحة في ذلك في المسلمين فقط بل أكثرها في الحكومة وفيمن كتب الإعلان فإن المسلمين انخلعت قلوبهم بمطاريق الحيل والدسائس منذ سنين عديدة فهم مدفوعون إلى هذه التهمة من طرف أرباب الحيل بالضرورة وبلا اختيار كما قال الشاعر، شعر:

من جلب الناس إلى ذمه ذموه بالحق والباطل

من أوقف نفسه في مقام التهمة فلا يلومن إلا نفسه فالمسؤول بموجب تلك المفاسد والمظالم أعضاء الحكومة ومرتبوا الإعلان لا غير والامتناع منها صدر في بعض المواضع من جميع أصناف الأهالي بأن اتفق العلماء والعوام على ذلك في بعض المواضع من طرف الأهالي فقط دون العلماء والعلماء في مثل هذه المواضع كانوا يعظون العوام وينصحونهم ويبينون لهم الغرض من هذا التحرير ويقولون إن العناد في مثل هذا الأمر وخيم العاقبة ولكن العوام كانوا لا يرجعون عن عنادهم وامتناعهم لقوة اعتقادهم السابق واتهامهم العلماء أيضًا وانسلاب اعتمادهم عليهم حيث وقع من كثير منهم الإمضاء على قبول القراءة الروسية رغمًا عن مقاومة العوام فصار العلماء لذلك مصاديق صحيحة لمضمون البيت السابق وكان العوام يصيحون لهم بأعلى أصواتهم: يكفي يا أيها الفجار يا حطب النار بيعكم إيانا بأبخس ثمن وهو حفظ وظائفكم وكانوا يقولون لمن لم يقع منهم الإمضاء ولم ينسلب اعتمادهم عليهم إذا أنصحهم ها يا فلان كنا نعتقدك أمينًا صادقًا متصلبًا فبعت أيضًا نفسك ودينك من الروس وتريد أن تبيعنا الآن وقد صدر منهم الضرب كثيرًا من العلماء والمأمورين فاضطرت الحكومة إلى استعمال قوة الجبر فأخرجت العساكر إلى كثير من المواضع فضربوا بعض الأهالي وحبسوا البعض ونفوا البعض إلى سيبيريا وعزلوا كثيرًا من العلماء عن وظائفهم وتفصيله يفضي إلى الطول وفي ذلك كفاية وهذه الحوادث هي من متفرعات تلك التكاليف الجائرة ولولاها لما وقعت شيء منها.

[حادثة خان أورداسي]

ومنها حادثة خان أورداسي وهو محل إقامة خوانين التتار وكرسي سلطنتهم بعد خراب سراي وسرايچق وواقع بينهما وقد دخل تحت تصرف حكومة الروس في حدود سنة ١٢٦٢ صلحًا من غير إراقة قطرة دم فيه فلم يمض على ذلك إلا سنين يسيرة حتى شرعت الحكومة المذكورة في بث النصرانية ونشرها فيه والتشديد والتضييق على أهاليه في الأمور الدينية وتكليفهم بقراءة الروسية لزومًا بحيث لو لم يقبلوها لأقفل مدرستهم مكافأة منهم إياهم بذلك في مقابلة تسليمهم أوطانهم ومملكتهم صلحًا ففعلوا ولما تعين الملأ صفي الله أفندي مدرسًا به واجتمع لديه كثير من الطلبة خصوصًا من طائفة قزاق أقفلوا مدرسته في سنة ١٨٩١ بلا سبب وطردوا الطلبة منها في صميم الشتاء فاضطر المشار إليه أيضًا إلى مغادرته فرجع إلى قزان وعين مدرسًا في المدرسة المرجانية التي كان تحصيله فيها ولما بنوا فيها أعني في خان أورداسي مسجدًا آخر في حدود سنة ١٩٠٣ م مصادفة سنة ١٣٢٠ هـ شرطت الحكومة أن يكون

الإمام والمدرس فيه من أهالي الموضع المذكور[١] ومنعوا أخذه من الخارج كما يفعلون ذلك في حق المكرهين مع أن أكثرهم من أهالي أطراف قزان فانظروا بنظر الإنصاف والاعتبار إلى معاملته هذه في شأن أهالي بلدة كانت قاعدة سلطنة المسلمين من لدن عصر باتوخان إلى يومنا هذا أعني مدة سنة ٦٦٠ مع أنهم أخذوها صلحًا ولو كانوا أخذوها عنوة وقهرًا بإتلاف الأموال والنفوس مثل مملكة قزان لكان لهم نوع عذر أعني عذر الأقوام الوحشية المتبربرة وهو أخذ الثأر والانتقام.

[منع التتار من استملاك أراضي التركستان]

ومنها منع التتار مطلقًا سواء كانوا تجارًا أو ضباطًا أو مأموري الملكية من استملاك الأراضي والعقار في بلاد تركستان وفرغانة وما وراء النهر وخوارزم بل من الاستئجار بمدة أزيد من سنة وفي ذلك لها أعني لحكومة الروسية مقصدان (أحدهما) أنها جازم في زعمها بإتمام نواياها وأغراضها السابقة الذكر في حق التتار ولو بعد حين فلا تريد أن يتخلص منها أحد منهم بالمهاجرة إلى تلك البلاد (وثانيهما) وهو أقواهما الخوف من اطلاع التتار أقوام تلك الديار على دسائس الروسية المنوي إجراؤها في شأنهم فإنهم سُذّج غفل لا علم لهم بأمثال تلك الدسائس فوقوعهم في شبكتهم قريبة سهلة جدًا فهم يخافون غاية الخوف من فوت هذا الغرض بتنبيه التتار إياهم على دسائسهم وليس هذا وهمًا صرفًا بل هو مطابق للواقع فمن ادعى أنه وهم صرف فليبيّن السبب الصحيح في تخصيصهم بالمنع عن ذلك من بيان كافة الأقوام التابعة للروسية وقد وقع له شاهد وهو أن الشياطين قالوا لأهالي تلك البلاد إن في القرآن تكرارًا كثيرًا ولا فائدة فيه ولا حاجة إليه فالأولى أن تخرجوه من القرآن وتطبعوه مجردًا عنه فيسهل حفظه فاغتروا بذلك ورضوا به وأقروا الأمر عليه فلما اطلع التتار على ذلك نبهوهم على وخامة عاقبته جدًا وقالوا لو فعلتم ذلك مع مخالفته للشريعة والإسلامية لحكمت الحكومة بانسلاخكم من الإسلام وانسلاككم في السلك الكفر محتجة بتغيير القرآن الذي هو عين الكفر فانتبه الأهالي على قبح ما هموا به ورجعوا عنه حالاً فلما بلغ هذا الأمر الحكومة صمموا على منع التتار عن تملك الأرض والعقار في تلك الديار حذرًا عن خطرهم وقالوا كل موضع فيه التتار ففيه الخطر وشرعوا في التشديد على من استثنى منهم من هذا الحكم وهم الذين كانوا مستوطنين بها قبل استيلاء الروس

(١) وسببه جهالة أهالي الموضع المذكور كما هي حالة أهل البدو وهي أقصى بغية رجال الحكومة كما عرفته. منه عفي عنه.

عليها أو قبل صدور هذا المنع فإن التتار لهم مسجد واحد في البلد الجديد بتاشكند الذي أنشىء بعد استيلاء الروس عليها لسكنى الروس والتتار وهو لا يسعهم الآن وهم محتاجون إلى إحداث محلتين سوى المحلة الأولى على الأقل وهم يستأذنون الحكومة لبناء مسجد ثان منذ عشر سنين فلا ينالون منها إلا جواب الرد حتى إن واحدًا ممن صاروا واليًا بها استأذن أسقف ألماني الذي فوض إليه نظارة أديان أقوام تلك الديار قاطبة بواسطة التلغراف في هذا الخصوص لكونه ليبراليًا فجاءه من اللعين المذكور تكدير وتوبيخ مضمونه أن في طاشكند يعني قديمها وجديدها كذا مائة من المسجد وللروس ثلاث كنائس فقط ومع ذلك لا تجتهدون أنتم في زيادة الكنائس بل تسعون في زيادة المساجد وهذا يدل على قلة ديانتكم وعدم حميتكم النصرانية وأمثال ذلك مع أن أهل المحلة المذكورة ليسوا تتارًا فقط بل فيهم كثير من الأهالي الأصلية وهذه معاملتهم في بلاد ومملكة كانت مذ خلقها الله بلادًا ومملكة إسلامية.

[المنع عن سفر الحج]

ومنها منعهم عن سفر الحج وذلك لزعمهم بأنهم يشاهدون هناك شوكة الإسلام وقوته يتعلمون الأفكار المخالفة لسياسة الروسية ويوسعون معلوماتهم وقد ألفوا في ذلك رسالة مخصوصة ودام منعهم هذا عن أداء فريضة من فرائض الإسلام وأركانه الخمسة مدة سنين كما يعرفه كل أحد وكان بعض السياسيين يعارضونه على هذا الحكم الجائر ومع ذلك لم يمتنع التتار عن المجيء إلى الحج بل كانوا يأخذون الپاسپورط للذهاب إلى آوروپا للتجارة أو لشيء آخر ثم كان يجيئون إلى الحج وقد استتبعوا لأنفسهم بعض طائفة قزاق أيضًا أليس هذا غاية العار ونهاية الشنار لدولة عظيمة مثل دولة الروسية ولما كثر اعتراض فرقة المعترضين وتحذيرهم عن وخامة عاقبة هذا المنع ولو بعد حين أرسلت الحكومة إلى الحج بعضًا من طرفها لتحقيق المعاملة هناك فكتب المجريات وكافة المعاملات هناك كما هي وعرضها عليهم فوجدوها على عكس ما ظنوا وخلاف ما توهموا بل وجدوها مفيدة لهم جدًا فرفعوا المنع بعد ذلك وتشبثوا بتسهيل أسبابه في السكة الحديدة وفي البحر فلله الحمد ع.

مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد بلغ اجتهاد حكومة الروس في إنساء المسلمين الدولة العلية بل اسمها مبلغًا أن بعض الكتبيين قدم القسم الثاني من مستفاد الأخبار للفاضل المرجاني للصنزور (انجمن معارف) للاستئذان بطبعه فضرب على جميع لفظ سلطان وعثمان وما أشبه

ذلك مما له نوع تعلق ومناسبة للدولة العلية ومسحها وكان فيه ترجمة أحوال الشيخ المنصور والشيخ شامل (رحمها الله تعالى الداغستانيين) فضرب عليها بالتمام.

ولنكتف بهذا القدر من بيان تلك المعاملات السيئة خوف الإطالة وإيراث السآمة محيلاً بواقيها على علم القراء بالمقايسة على ما ذكر وهذا معاملاتهم في أمر الدين وأما معاملتهم في أمور الدنيا فلا يحسبونها شيئًا ولا يعدونها من المصائب كأخذ الغرامات والنوائب الميرية منهم من غير تمييز بين فقير وغني وبيع حوائجهم البيتية الضرورية إن عجزوا عن أدائها وأخذ أولادهم عسكرًا أسوة للروسية في ذلك وإلباسهم ألبستهم وإطعامهم ذبائحهم ولحوم الخنزير وسوقهم لمحاربة إخوانهم المسلمين فضلاً عن محاربة من سواهم مع أن محاربة الكفار تحت حكم الكفار ورايتهم غير جائز للمسلمين وربما تحاول الروسية إقناع بعض المغفلين بل إغفالهم بكون منافع الوطن مشتركة بين الكل وأن منافع تلك الغرامات والنوائب وخدمة العساكر راجعة إلى الكل لاشتراكهم في الوطن وهذا وإن أغفل به المغفل إلا أن حديد البصر لا يغفل به ولا يصدقه فإن الوطن إنما يكون مشتركًا إذا كان الكل مشتركين في منافعه ومطلقي العنان في الانتفاع بها كيف شاؤوا ومتى شاؤوا على السوية بين أفراد وأصناف أهله من غير فرق بين جنس وجنس وبين صنف وصنف وبين فرد وفرد وأنت قد عرفت حرمان المسلمين عن الانتفاع بأعز حقوقهم وامتناعهم عن إجرائها كيف شاؤوا ومقاساتهم في ذلك أنواع الشدائد فهل يصدق بعد ذلك القول السابق وهل يقال إن المسلمين مشتركون في الوطن حاشا وكلا ثم حاشا وكلا لا يصدقه ولا يغفل به إلا البهائم بل الأمة التي تبينت أحوالهم بل أهوالهم لا وطن لهم في الحقيقة إذ لا نعني بالوطن ما عرفه الفقهاء في باب المسافر ولا ما يعتقده أكثر الناس من أنه يولد فيه الإنسان ودفن فيه أجداده العظام وسيدفن هو أيضًا بعد عدة أيام فإن هذا يشترك فيه البهائم أيضًا وإنما نعني بالوطن الوطن الحقيقي الذي تكون كافة حقوق أبنائه على اختلاف أجناسهم وأصنافهم أصلاً وديناً محفوظة مرعية وأعراضهم مضمونة وافرة لا يستشعر بعضهم عن بعض أدنى سوء ولا يتوقعه ولا يتوهمه بل يكون بعضهم معاضد أو معاونًا للبعض وآخذًا بيده وقت الحاجة ومجتمعون على موائد فائدته ومغتذون بغذائه بالسوية كما يتقاسمون نوائبه ومؤناته بالسوية ويجمعهم اسم الوطني أو همشري أو همولايات أوزيملاك على اختلاف اللغات وإن اختلفت أجناسهم وأديانهم وهذه المزايا لا يمكن وجودها مجتمعة على سبيل الحقيقة في مثل ممالك الروس التي كثرت فيها العناصر المختلفة والأديان المتضادة إلا برعاية قوانين الحرية والعدالة والمساواة والإنصاف لا

بالجبر والقهر والتشديد والتضييق والاضطهاد وهضم الحقوق والاعتساف كما زعمت الخونة المخاذيل بل هذه كلها سعى في خرابها ودمارها وتزلزل دعائها وأركانها كما وقعت الآن مقدمتها.

وقد يمثل للوطن الحقيقي الذي وصفناه بمائدة قوم من أجناس شتى جمعوا بينهم نقدًا على قدر ثروة كل منهم وطبخوا بها أطعمة شتى وأعدوا أشربة نافعة متعددة تلتذ بها النفوس وتنتفع ثم قعدوا حوالي المائدة وصاروا يأكلون منها ما يشتهون وكيف يريدون من غير حجر ومنع من أحد لأحد ما لم يصدر عنه تعد وإخلال بالراحة العمومية بعضهم يأكل بيده وبعضهم بالشوك وبعضهم بالملعقة لا أحد يعيب أحدًا ومثل هذا الوطن يمكن أن يكون ممالك أمريكا وآوروپا الأصلية وباپونيا.

وللوطن المجازي بمائدة قوم مركبة من أجناس شتى أحضروا كذلك أطعمة وأشربة متعددة وقعدوا حوالي المائدة إلا أن أطرافهم أناس سود الوجوه قباح المنظر في أيديهم مطاريق إذا مد بعض القوم يده إلى بعض الطعام ضربوه بالمطرقة من غير سبب قط وقالوا له لا تأكل من هذا بل كل من هذا ولا تأكل هكذا بل كل هكذا وربما جروه من يده وأقاموه من مكانه وطردوه وبعضهم أكل ما يشتهي كما ينبغي من غير أن يحجر عليه أحد بل كان هو الآمر بضرب ذاك وطرده وربما كان الثمن الذي أعطاه المطرود أكثر من الثمن الذي أعطاه الآخر وكذلك الخدمة وهذه لا يقال لها شركة حقيقية عادلة بل يقال لها جمعية الأشقياء وهذا مثال ممالك الروسية بعينها حيث أنها تستوفي حقوقها من غيرها بالتمام ولكنها لا تفي بها لغيرهم فإنها تأخذ أئمة المسلمين للعسكرية مع هضم حقوقهم ولا تأخذ أحدًا من قسيسيها مع أنهم متساوون في الرتبة أمام القانون لكون كل منهم أرباب الوظائف الدينية واجتماعهم فيها وشمول هذا اللقب كلًا منهم لدى القانون.

ومن أغرب الأقوال هنا أن القسيسين لهم جهة أخرى فمن تلك الجهة حرروا عن العسكرية وليست هي في أئمة المسلمين وهي كونهم ذوي معارف سوى ما يتعلق بالدين وغرابته من وجهين أحدهما أنا لا نسلم أن التحرير والعفو عن العسكرية لأجل المعارف التي حازوها[1] بل هو لكونهم أرباب الوظائف الدينية كما مر آنفًا وثانيهما أنا إذا سلمنا فرضًا أنه لأجل حيازة المعارف لا نسلم أن أئمة

(١) فلو كان العفو لأجل المعارف لعفي عنها من هم أكثر لها جمعًا وإن لم يكن قسيسًا وليس كذلك منه عفي عنه.

المسلمين كلهم عارون عنها وأن القسيسين كلهم حائزون إياها بل في كلا الفريقين من حازها ومن خلا عنها ولكن إذا وجد من حازها في القسيسين عشرة في مائة يوجد في أئمة المسلمين خمسون في مائة وهذا مما لا مجال لإنكاره لمن يعرف حال الفريقين فإذا كان أئمة المسلمين أولى بالتحرير والعفو عن العسكرية فانعكس الأمر والحاصل كون العفو عن العسكرية للوظيفة لا لغيرها بديهي[١] وظلم الحكومة في عدم عفوها الأئمة ثابت لا محالة وما سوى ذلك من الكلام باطل وقد أخذ في هذه الحرب الأخيرة أعني حرب ياپونيا مئات من الأئمة وبقي وظائفهم ومواضعهم شاغرة خالية وكان نصف المقتولين فيها من المسلمين فدماء هؤلاء المساكين المظلومين المغدورين لأي شيء أريقت وعن أي حقوقهم دافعوا وأي مجدهم وعزهم حفظوه وأي فائدة كانت تحصل لهم إن كانت الغلبة في طرف الروسية هل كانت ترد لهم جميع حقوقهم المسلوبة وتعاملهم بالعدالة والمساواة والإنصاف وتمنحهم الحرية هيهات لو كان الأمر كذلك لقامت قيامة كبرى على رؤوس المسلمين الآن[٢] وأي ضرر لهم إذ كان الأمر بالعكس.

والحاصل أن المصدق لقول من قال إنهم يدافعون عن أوطانهم ومنافعهم ومصالحهم غبي بليد مغفل غاية الإغفال فإنه قد تبين من البيان السابق أن لا وطن لهم في الحقيقة بل هم كبني إسرائيل بيد القبط فإن كان لبني إسرائيل وطن حين كونهم بيد القبط يكون للتتار وطن حين كونهم بيد الروس على هذا الحال.

وحيث ظهرت من البيانات السابقة حقيقة الحال وكنهه بحيث لم يبق أقل شبهة وأدنى ريبة لأحد وتبينت الأسباب والعلل الغائية لهذه التكاليف الغير المشروعة والامتناع عنها تحقق بطلان تمويه الروسية وستر أغراضها الفاسدة ونواياها الجائرة تحت أستار نشر المعارف بين قوم التتار وإدخال المدنية فيهم بهذا الطريق وانكشف أيضًا كون نسبة قوم التتار بسبب هذا التمويه والستر إلى التعصب والهرب من التمدن والمعارف والصناعة التي من جملتها تعلم اللغة والكتابة الروسيتين الذي لهم فهم فوائد جسيمة كما ورد من عرف لسان قوم أمن شرهم فإن كلا الأمرين باطلان لا محل لهما من إعراب الصحة قط.

---

(١) فإن هذا العفو إنما هو لكونهم مشغولين بخدمة الحكومة بسبب هذا الوظيفة منه عفي عنه.

(٢) فإنا سمعنا كثيرًا من كبراء الروس المنصفين يقولون ادعوا لياپونيا فلولا حربها وغلبتها الروسية لكان الأمر في حقكم فظيعًا جدًا. منه عفي عنه.

أما الأول فإنك قد عرفت المقصود والغرض من التكاليف المذكورة بعنعنتها فمن يصدق بعد ذلك دعوى نشر المعارف وإدخال التمدن فيهم بهذا الطريق فلو فرضنا أن الأمر كذلك على سبيل فرض المحال فلتبتدىء أولاً من الروسية بتعليمها أعني المعارف والمدنية القسيسين ونشرهما بينهم حيث إن كثيرًا منهم لا يعرف قاعدة الضرب وطريقه من الحساب الابتدائي بل العامي حيث يقولون دويژي دوا تري دويژي تري چيتيري يعني الاثنان في الاثنين ثلاثة والثلاثة في الثلاثة في الاثنين أربعة وقس على هذا سائر معارفهم ثم تنتقل بعد ذلك إلى حكام الناحية الملقبين بوولصنوي وأسطارشينه ثم ينتقل بعد ذلك إلى سائر عوامهم المشهورين عندهم بكراستيان الذين لا يقل عددهم عن أربعين مليونًا ثم إذا بلغت النوبة المسلمين يبتدأ من حكام الناحية الملقبين بوولصنوي وأسطارشينه منهم فإنه لا فرق بينهم وبين البقر في الخلو عن المعارف ومعرفة اللغة والكتابة مع أنهم من أعضاء الحكومة حقيقة وقد تقدم في أصل تصويراتهم عدم تعيين أحد من المسلمين لمثل هذه الخدمة والوظيفة إن لم يعرف من اللغة والكتابة الروسيتين مقدارًا كافيًا لوظيفته وخدمته ثم سكتوا عنه بعد ذلك بالكلية ولم يكلفوا أحدًا منهم بذلك حين أقاموا القيامة على رؤوس العلماء بتكليفهم بهما وكأنهم رقوا للمسلمين ولم يرقوا لجنسهم.

وكذلك تعللهم واحتجاجهم بلزوم كتابة دفتر المواليد والوفيات المسمى عندهم بمتريكه بالروسية باطل فإنه مع كونه منافيًا للتعليل السابق غير مستقيم بوجه من الوجوه فإن منافعها أعني منافع كتابته بالروسية راجعة إلى الحكومة والأئمة ليس لهم معاش من طرف الحكومة حتى تكلفهم بها فليس لها حق في أصل تكليفهم بها فضلاً عن تكليفهم بهذا القدر الذي مر بيانه فكيف يرتكب لهذه الأمور لهذه العلة الضعيفة التي تستحق أن يقال في حقها أنها لا شيء محض مع أنه يمكن تداركها بكتابة كتاب وولصنوي أو باستئجار كاتب خصوصي مؤقتًا وكيف يصدق منها هذه التمويهات والترهات مع منعها أهل قرية فقيرة جدًا مركبة من خمسين عائلة مثلاً عن بناء مكتب حين أرادوا بناءها لتعليم أولادهم ضروراتهم الدينية بإخراج نفقة بنائه عن نفقات عيالهم وعدم إذنها به إياهم إلا بشرط بناء مكتب روسي بجنبه على ما يراه اينسبكتور وتعيين معاش لمعلم روسي أقله ٣٥٠ روبلة في كل سنة وأي مدخل لهذا في نشر المعارف وكتابة دفتر المواليد وأي عدالة وإنصاف هذا ومن الذي لا يلعنها حين يفكر في مثل ظلمها هذا ومن الذي يصدق بتمويهاته تلك.

والحاصل لا حق لحكومة الروسية في تكليفها المسلمين بهذه التكاليف الغير المشروعة وإزعاجهم بها لهذه العلة الجزئية ولا لعلة نشر المعارف وتعميمها وتعللها بذلك تجهيل لهم وتغرير ولا يغتر به إلا الغفل البله السذج العقول كما لا يخفى على أولي الألباب وأرباب العقول من الفحول.

وأما الثاني أعني نسبة المسلمين إلى التعصب الخ فباطلة باطلة أيضًا بلا شبهة ناشئة عن عدم معرفة معنى التعصب أو عن عدم اطلاعه على أحوال المسلمين فإن التعصب معناه الاستنكاف عن قبول الحق بعد ثبوته بدليله ثبوتًا بينًا لا شبهة فيه كاستنكاف الكفرة عن قبول الإسلام بعد ظهور حقيقته وصنيع المسلمين ليس كذلك بل هو ثبات على الحق بعد ظهور حقيقته ويقال له تصلب فإنهم قد استيقنوا غرض الحكومة بتلك التكاليف وهو إضلالهم عن الحق والثبات على الشيء إنما يكون بالامتناع عن ضده وجميع ما ينافيه ويؤدي إلى محوه واستئصاله وأما المعارف والمدنية فهما مآلهم وضالتهم يأخذونها أين وجدوا ومتى ظفروا به وحاشاهم أن يهربوا عنها ولا يلزم من هربهم من تكاليف الحكومة الظالمة المستبدة للغرض الفاسد هربهم من المعارف والمدنية فإنهما غير متوقفان على اللغة والكتابة الروسيتين بل لهما أبواب كبيرة أصلية وهما من أبوابهما الصغار العارضة المصنوعتين بثقب جدار جهالة الروسية الأصلية من جهة آوروبا فطفقوا يقتبسون منهما على مقدارهما ومقدار حوصلتهم وأهل الآوروبا أخذوهما من معدنهما أعني العرب والمسلمون كافة على اختلاف أجناسهم قادرون على تحصيلهما من معدنهما بل لا يزالون يسعون ويجتهدون في تحصيلهما ليلًا ونهارًا ولكن الروسية ومن والاهم ينسبون التتار إلى الهرب منهما افتراء وبهتانًا وماذا يقولون غير هذا؟ هل يقولون هربوا عن دسائسنا؟ حاشا ولهم فيها مآرب أخرى فإنهم يريدون أن يسدوا عليهم على زعمهم أبواب المعارف والمدنية كلها سوى باب الروسية فيحصلونهما منه فيضطرون إلى اعتقاد تفرد الروسية بهما فيفضي هذا إلى تعظيم الروسية وخضوعهم لها كما أن هذا ديدن من حصلهما في مكاتبهم ولكن هيهات التتار عن اعتقاد ذلك فإنهم صاروا أرباب المعارف وأصحاب المدنية في بداية ظهورهم.

قال كارامزين: إن التتار لم يلبثوا بعد ظهورهم وتأسيسهم سلطنة متعددة إلا قليلًا حتى شرعوا في تحصيل المعارف وطفقوا يترجمون كتب الهيئة والحساب وسائر الرياضيات إلى لغاتهم الخ المجلد الرابع فلو كانت نية الروسية نشر المعارف وإدخال المدنية فيهم كما يدعون لسهلوا لهم طريقهما بأن يبيحوا لهم تحصيلهما بأي لغة كانت

وأين كانتا وممن كانتا بل كانوا يأمرونهم بذلك ولكن أنى لهم هذا بل هم يجتهدون بغاية جهدهم في سد طريقهما وأبوابهما غير طريق الروسية وبابها كما قلنا فمن حمل كلامنا هذا على التحامل على الروسية أو المبالغة فعليه بما حرره أو محرري مسلمي الروسية صاحب الترجمان الأعز إسماعيل ميرزا زيد قدره وعلاه ١٢٣ في العدد من جريدته المذكورة الصادرة في ٢٠ رمضان سنة ١٣٢٤ هـ وهذا تعريب عبارتها: كنا نوينا قبل ذلك بعشرين سنة بنشر كتاب يسمى قاموس[١] الأعلام[٢] بالتركية ولما جمعنا الجزء الأول منه بدلنا اسمه بدرياي بيلوك (بحر العلوم) ليكون علامة ظاهرة على اشتماله على كثير من المعلومات وأرسلناه (يعني الجزء الأول منه) إلى ديوان أنجمن المعارف بپطربورغ استئذانًا بطبعه بموجب النظام وكنت مطمئنًا وأمينًا في صدور الإذن به من جهة الفن والأدب ولم تكن الأزمنة السابقة مثل هذا الزمان فلزم عليَّ أن أتخذ لي ظهيرًا في پطربورغ حذرًا عن إصابة ضرر من هذا الوجه لجريدتنا الترجمان ففعلناه فبلغني خبر مصادرة الكتاب وعدم إمكان الإذن بطبعه قط في الأسبوع الذي وصل الكتاب فيه إلى پطربورغ ولسنا ممن لا يعرف سياسة غراف تولستوي وپوبيدا نتسوف ولكنا كنا غافلين عن بلوغ الأمر هذا الحد وكنت أعلنت بنشري كتاب درياي بيلوك في جريدة قرغزدالا أيضًا غير الترجمان فوقع الإعلان المذكور بيد ايلمينسكي الذي كان حيًا في ذلك الوقت بقزان فلما اطلع المذكور على نشر التتار القاموس العلمي والفني طار عقله من رأسه فكتب حالاً إلى رئيس الوزراء بپيطربورغ پوبيدانتسف مكتوبًا مفصلاً بين فيه تضرر الروسية حالاً واستقبالاً من نشر المعارف بين التتار بهذا الأسلوب فنشر پوبيدانتسف أوامره على مقتضى الوقت والحال فمن أراد تفصيله فليراجع المجموعة المشهورة بمكاتيب ايلمينسكي بلغة الروسية المنتشرة في قزان فأثر على مصادرة كتاب قاموس الأعلام تأثيرًا عظيمًا وأدركنا كنه الأمر وحقيقته ولكنا كنا أعلنا بنشره فبدلت اسم الكتاب ثانيًا إلى خزينة الأخبار وأرسلت نسخة أخرى منه إلى أنجمن المعارف بتفليس للاستئذان بطبعه باسم المرحوم صفر علي بن وليبكوف الكافكازي ملتزمًا كافة المسؤولية على نفسي في ذلك وأخبرته بالمجريات السابقة بالتفصيل فأذن أنجمن المعارف المذكور بطبعه ونشره حيث لم يجد فيه شيئًا من الضرر لسياسة دولة الروس لكونه من كتب الفنون والعلوم وسلمه إلى صفر علي

---

(١) دائرة المعارف منه عفي عنه.

(٢) قاموس الأعلام: هو كتاب تركي في التاريخ والجغرافيا والأسماء الخاصة، للأديب الكاتب مير شمس الدين محمد سامي الأرنبودي الرومي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ، (كشف الظنون ٤/٢١٨).

أفندي المذكور فشرعت في طبعه بلا مبالاة وبينا أنا على هذا إذ جاءني خبر رسمي من أنجمن معارف پطربورغ بمصادرة درياي بيلوك وأخذ عني الإمضاء بالفرمان الذي جاء من والي قريم على عدم إقدامي على طبعه وأنا مستمر على طبعه فلما تم طبعه أرسلت نسخًا منه إلى تفليس ثانيًا بمقتضى النظام وفرقت ١٢٣ نسخة منه إلى المشتركين فلما أرسلوا النسخ المذكورة من تفليس إلى پطربورغ استشاطوا غضبًا وأرادوا أن يحاكموني ويقفلوا مطبعتي ولكن لما كان طبع الكتاب على اسم شخص آخر بإذن من أنجمن معارف تفليس لم يجدوا طريقًا إلى ذلك ولم يروه موافقًا لحكمة الحكومة بل أخبروا أنجمن معارف تفليس بالمجريات وأمروه بإرسال كل ما يجيئه من بغچه سراي إلى پطربورغ فمنعوا بهذا الطريق عن نشر بقية قاموس الأعلام اهـ.

قلت وهاكم تعريب نص مكتوب ايلمينسكي المذكور في هذا الخصوص المكتوب ٥٢ في ٦ ديكابر سنة ١٨٨٩: قد شرع في نشر جريدة بلسان قزاق وقرغز علاوة على جريدة ولاية آقمولا بأمر والي برية قزاق قالپاقف من أول سنة ١٨٨٩ وقد وردتني نسخة منها العدد ٤٨ الصادر في ١ ديكابر وقد رأيت في آخر صحيفة منها إعلانًا مضمونه أن جريدتنا الترجمان تدخل في أول سنة ١٨٩٠ إلى سنة ٨ من ابتداء تأسسها وقد التزمت أن أدرج فيها الأدبيات والسياسات وسائر المعلومات المفيدة المنشطة وأخبار الدول والملل والمقالات والبنود المفيدة للمسلمين بالترتيب وأبذل فيه غاية جهدي لئلا يغفل إخواننا المسلمون عن أحوال الزمان والتزمت أن أدرج في قسم التفرقة والأدبيات منها حكاية ملا عباس عن أحواله التي طرأت عليه في آوروپا وإفريقيا ونشرع في أول السنة الآتية في طبع أوقيانوس اللغات بلسان الترك ولا شك أن تمام طبعه يمتد إلى سنين كثيرة وهو كتاب مفصل جامع للفنون والعلوم وأخبار كافة الملل والدول والممالك والأقوام والعلماء والأمراء والعظماء والأبطال والمشاهير ويخمن كون هذا الكتاب من الآن عبارة عن ٤٠٠٠ صحيفة اهـ وقد أظهر صاحب جريدة التتار الترجمان على كلام الباب المعارف مهارته في مدة ٨ سنوات وقد فهم مقصوده ومرامه منها وهو جمع المسلمين الكائنين تحت تصرف الروسية الذين تفرقوا واختلفوا بسبب مرور الأيام الكثيرة والأعوام العديدة واختلاف أجناسهم وقبائلهم وإحداث الاتحاد بينهم بسرد الأدلة الفلسفية الإسلامية ونشر المدنية الأوروبية المنخولة بمناخل إستانبول المخلوطة بآداب آسيا أنا ما قرأتها بنفسي إلا بعض أعدادها في الجملة ولكن الذين يطالعونها بالتدقيق يجدون فيها أقوالاً مضرة على سياسة الروسية وجمعيتها الدينية ولا يخلو استلفات أنظار أولي الأبصار إلى تناسبها بجريدة قرغز وحدوث الاتصال والمناسبة بينهما من الفائدة ألا ترى إلى امتداد سلسلة المناسبة من

بغچة سراي بخطة قريم إلى بلدة أومسكي من بلاد سبيريا وتتعجب منه كيف يخابر مسلمو هاتين الجهتين المختلفتين بعضهم ببعض مع وجود هذه المسافة البعيدة واختلاف النسب بينهم وقد وعد الترجمان بنشر حكاية ملا عباس وأوقيانوس اللغة ويمكننا أن نقطع ونجزم بأنه يجتهد في إعلاء شأن الإسلام بمهارته في الكلام بالموازنة والمقايسة بين النصارى وأهل الإسلام مستمدًّا بكلام السائح المذكور. . . فإذا اطلع المسلمون على تواريخهم ولا سيما الذين تربوا في غيمنازية والمكاتب الحربية ودار الفنون وقرأوا فيها أحوال جكزخان وتيمرلنك ووقفوا على استعباد خوانينهم الكبراء الروسية مدة مديدة لا يستبعد حصول أفكار فيهم مخوفة للروسية وظهور غيوم مضرة من أفق المسلمين أمثال ذلك يورثنا غمومًا وأوهامًا كثيرة في خصوص تشبثاتنا في نشر مدنية الروس فيهم فإن حصول العلم والمعارف لهم مثل ما ذكر يكون سدًا مانعًا في طرق تشبثات هذا الطرف الخ.

وقال في ٢١ مكتوبه الصادر في ١٥ فيورال سنة ١٨٨٤ بعد أن بث شكواه من القام[1] المسلمين مثل الميرزا عليم وصاحب الترجمان الحجز على فم استرامف في اعتراضه على القرآن أنا استلفت نظرك إلى شيء مهم جدًّا وهو أن محرر جريدة الترجمان وناشرها يبذل جهده في نشر الفنون والمعارف على أسلوب آوروپا بين مسلمي الروسية مبنية على مقاصد إسلامية ومزينة ومصبوغة بها ويسعى أيضًا في جميع ملايين كثيرة من مسلمي الروسية المتكلمين بألسنة مختلفة المقيمين في أماكن متعددة ولم شملهم في مركز واحد وإحداث اتحاد بينهم (كاتحاد نمسة) ويعرف غاية قوته بواسطة جريدته في جعل اللغة العثمانية لغة أصلية لجميع مسلمي الروسية أما يلزم التفكر في نتيجة هذه الأمور وأن أسمع أن جرائد الترك والكتب المدرسية بلسان الترك لا تزال تتزايد سنة فسنة ومندرجات هذه الكتب ومضامينها معارف أوروبية ومرتبة على ترتيبها وأما من جهة اللغة فتركية فكان السبب لنشر تلك المعارف الأوروبية بين التتار هو غصپرنسكي صاحب الترجمان لكن لا بواسطة الروسية بل بواسطة أخرى فماذا تقول في هذا الترتيب؟ أليس مبنيًا على الحكمة والأساس القوي والمكر والحيلة والحاصل أن أرباب الأفكار المستقيمة من التتار يحاولون مد حجاب على أبصار الروسية بما يشبه الدلائل العقلية والمقدمات المبنية على أساس الحرية ويريدون وراء الحجاب المذكور تأسيس أصول مرجع المسلمين في الروسية فالذي يورث القلق

(١) القام: كذا بالأصل.

والاضطراب هو الجمعية الإسلامية بأوفا فإن الجمعية المذكور مركز مسلمي قريم وكافكاز وغيرهما من جهة الدين والمعيشة وطائفة قرغز وإن كانوا منفصلين عنها لا أن قلوبهم منجذبة إليها على عاداتهم القديمة فلا جرم أنهم يرجعون إلى هذا المرجع وينضمون إلى هذا الاتفاق وظني أن هذا الأمر ممكن الحصول جدًا وإنما يتوقف على قابلية أعضاء الجمعية المذكورة واستعدادهم وسعيهم واجتهادهم ولم يوجد في واحد من رجالها إلى الآن من فيه تلك القابلية فهم وإن لم يحصل لهم إلى الآن لأجل ذلك فكرًا واتحادًا ومرجعًا ومركزًا ولكنهم يفعلون ذلك في المستقبل لا محالة فما يكون نتيجته بعد ذلك وماذا نصنع في مقابلته وهذا الفكر يقلقنا ويزعجنا ليلاً ونهارًا فمن أين حصل هذا الفكر وليس له أصل في القرآن ولا في الشريعة وإنما أحدثت يكاترينا الثانية هذه الجمعية بقصد تدبير أمور المملكة ولعلها كانت مفيدة في ذلك الوقت وكأنها أحدثتها في مقابلة أسقفية النصارى ولكن بينهما فرق فإن تدبير الأسقفية لا يتعدى خارج ايپارخيه وأما مفتي أوفا فهو بمثابة المطران بل فوقه وعلاوة على ذلك فإن قوانين الزمان قد تغيرت الآن ووقع بين الأنام والأقوام فكر القومية ووقع كل قوم في فكر إيجاد مركز لأنفسهم أو لحوق مركز موجود أولاً وطفقوا يسعون لذلك فخطر في قلبي أن اللازم إلغاء مركز اوفا يعني الجمعية الإسلامية بها وأن لا ننصب مفتيًا آخر بعد موت هذا المفتي التوكيلي ويكون تعيين الأئمة وسائر الأمور المتعلقة بالشريعة المحمدية وظيفة محكمة الولايات ويكون لبعض العلماء مدخل فيها تحت نظارة شعبة الأديان الغير الروسية ويرتب لذلك بعض قوانين مختصرة وغير مفيدة للإسلام[1] اهـ.

وله أمثال ذلك كثيرة ولعل بعض أرباب الحمية يترجمها ترجمة لائقة وينشرها بين المسلمين ليعرفوا مقدار سعيهم وجهدهم في إطفاء نور الله الذي أبى الله إلا أن يتمه ولو كره الكافرون فمن أحاط علمًا بهذه المجريات فكيف يصدق تمويههم وأكاذيبهم في قولهم إن قصد الحكومة بهذه التكاليف نشر المعارف بين التتار وإدخال المدنية فيهم وأنهم أعني التتار لا يحبون المعارف والمدنية ويهربون عنهما بل يجزم يقينًا أن قصدهم سجود التتار إليهم واعتقادهم فيهم أنهم هم الحائزون المعارف والمدنية لا غير بسد سائر أبواب المعارف والمدنية وطرقها عليهم دون باب الروسية والتتار إنما يهربون من ذلك لكونه مبنيًا على أساس جرهم إلى جهنم وأما نفس المعارف والمدنية فحاشاهم من عدم محبتهما وهربهم عنهما بل هم يسعون ويجتهدون

(١) من ترجمة سقيمة وخط سقيم جدًا لكن بالانتخاب والأخذ من فحوى كلامه غالبًا منه عفي عنه.

ليلهم ونهارهم في تحصيلهما تحت هذه التضييقات والتشديدات وينالون منها بغيتهم على شهادة هؤلاء الأعداء الذين يقصدون استئصالهم وهم يعرفون قوله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أخذها أين وجدها»[١] وقوله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[٢] ولا يستنكفون أيضًا من تعلم اللغة والكتابة الروسيتين ولا يمتنعون عنهما قط بل يعرفونهما ويستزيدون منهما دائمًا بحيث لا يوجد فيهم الآن ينفرد بكتابة الإسلام فقط بل كل من يعرف منهم كتابة الإسلام يعرف كتابة الروس وكثير منهم ممن يسكن بين الروسية ينفرد بمعرفة خط الروس دون الإسلام بل يعرف كثير منهم الآن الكتابة الفرنساوية حتى أن الذي يقيم منهم في بلاد الأجانب وفي الأماكن المقدسة مدة ٣٠ سنة لم ينسَ الكتابة الروسية قط ويستعملها وقت إرسال المكاتب في كتابة العنوان وأما اللغة الروسية فلا أظن وجود شخص منهم لا يعرفها ولو في الجملة فإذًا نسبة الإباء والامتناع عن تعلمهما أيضًا باطل لا أصل لها فهي إما مبنية على الجهل بأحوال التتار أو على التعصب والافتراء والبهتان للغرض الفاسد مع العلم فإن التتار إنما يبغضون تكاليف الحكومة بها لأجل الغرض السابق ويمتنعون عنها أشد الامتناع ويجهرون بعدم رضاهم بها إلى أن يموتوا ولا يقبلونها أبدًا وأما نفس التعلم والتمدن وتحصيل المعارف مع المحافظة على الاعتقاد الصحيح والديانة الإسلامية والآداب الشرعية والاحتراس والاحتراز عن طرو أدنى تغيير فيها فحاشاهم أن يستنكفوا عنه ثم حاشاهم ونسبته إليهم اختلاق محض وافتراء وبهتان صرف نعم إنهم يهربون عن كل شيء أي شيء كان إذا كان مفضيًا بهم إلى الخلو عن الاعتقاد الصحيح وانسلاخهم عن الديانة الإسلامية وعروهم عن الآداب الشرعية أشد الهرب ويجتنبون عنه أشد الاجتناب

---

(١) لفظ الحديث بتمامه: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»، أخرجه ابن كثير في تفسيره ٦/ ٣٥، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ٢٨٤، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٤٣٥.

(٢) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٢١، وابن حجر في لسان الميزان ١/ ٢٦١١، ٦/ ١٠٩٠، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٩، والسيوطي في اللالىء المصنوعة ١/ ١٠٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٨٢٧، والشجري في الآمالي ١/ ٥٧، وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٨٢، وابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٢٥٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١/ ٩٨، ١٢٩، ١٤٣، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٨٦٩٧، ٢٨٦٩٨، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ١/ ١٨٢، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٢٣٠، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات ١١٨، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٣٩، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢١٥، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢/ ١٥٦، والربيع بن حبيب في مسنده ١/ ٩.

بحيث لا يقربون منه ولا يرضون به ولا يقبلونه وإن كان فوائده في الظاهر أظهر من الشمس لإفضائه إلى الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي فإنهم ليسوا كمجنون أو شره يقدم على شرب شراب لذيذ رائق مع علمه بكونه مخلوطًا بسم قاتل في ساعته فإن كان هذا تعصبًا فالتتار إذًا متعصبون ولا يبالون به كما قال الإمام الشافعي[1] رضي الله تعالى عنه شعر:

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان إني رافض

هذا هو حقيقة الحال لا تتعداه مقدار شعرة وكثير من الناس خفي عليه الامتناع والهرب عن التعلم والامتناع عن قبول التكاليف المذكورة المبنية على الأغراض الفاسدة المذكورة ولكن أذكياء التتار وعقلاؤهم لا يخفى عليهم ذلك بل يفرقون بينهما فرقًا جيدًا ويعدون الأول تعصبًا باطلًا وعنادًا والثاني تصلبًا في الدين وثباتًا في الحق وكمال الديانة.

ولأجل عدم الفرق المذكور أن واحدًا أمن أهل تلك الديار لما نشرت الأوراق المنقولة مندرجاتها سابقًا من محكمة الجمعية الإسلامية أخذ ورقة منها وخرج إلى إستانبول وواجه أرباب الجرائد فيها لإدراج التكاليف المذكورة في جرائدهم وإعلانها في العالم ومن جملتهم عطوفتلو أحمد مدحت أفندي مدير ترجمان الحقيقة إذ ذاك وأكبر وأشهر المحررين العثمانيين على الإطلاق قال له في أول وهلة: أنا أتعجب من صنيع قوم التتار واستنكافهم من تعلم اللغة والكتابة الروسيتين مع أنهما سلاح لازم اقتناؤه في تلك الديار وهم أذكياء أرباب القابلية والاستعداد وأصحاب الحمية والفتوة والغيرة الملية فلأي شيء لا يبنون مدرسة أو مدارس متعددة في مراكز وجهات مختلفة وجعلوها دار الفنون يقرأ فيها جميع الفنون ويتعلم فيها كافة اللغات فيصيرون أرباب المعارف والفنون وعارفين بجميع اللغات من غير أن يفسد اعتقادهم وينطمس أنوار دياناتهم فتكون هذه أسلحة في أيديهم يردون بها كيد الكائدين ومكر الماكرين كما أننا بنينا دار الشفقة هنا لأجل الغرض المذكور بعينه والمتخرجون منها

---

(١) الإمام الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمي القرشي المكي، توفي بمصر عام ٢٠٤ هـ. ويتلخص مذهبه في إيثار العودة إلى نصوص القرآن والسنة، إلى جانب أخذه بفتاوى الصحابة لإثبات بعض الأحكام. انظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣ ـ ١٦٩، الفهرست ص ٢٦٣، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦ ـ ٧٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥.

يتخرجون كما وصفنا من كونهم أرباب الفنون والمعارف وأصحاب العرفان بجميع اللغات من الفرنساوية والإنكليزية واللاطينية والشيطانية من غير أن يتغير اعتقادهم أدنى تغير. فقال له الشخص المذكور: فهل يصلح أعني من تخرج من دار الشفقة بهذه الكيفية أن يكون شيخ الإسلام؟ فقال بغاية الاستبعاد لا فقال هل يصلح أن يكون قاضيًا أو مفتيًا؟ فقال كذلك لا فقال فهل يصلح أن يكون مدرسًا أو إمامًا؟ فقال كذلك مستبعدًا لا فقال لم؟ فقال لأن هذه الوظائف لما كانت من الوظائف المقدسة الدينية لا يصلح لها إلا من تحصيله في إحدى المدارس الدينية ودار الشفقة لم تبن لذلك بل للمصالح الدنيوية فقال إذا كان متخرج دار الشفقة لا يصلح لواحدة من هذه الوظائف المقدسة مع كونها تحت نظارة أرباب ديانة وحمية من المسلمين كيف يصلح متخرجوا تلك المدارس مع كونها تحت نظارة الأجانب الذين غرضهم هذا الذي ذكرنا لتلك الوظائف المقدسة فإن حكومة الروس ضنت بمنح نظارة المدارس الدينية للمسلمين وتركها لهم كيف تمنح لهم نظارة أمثال تلك المدارس لهم؟ وأنت لا تظن أئمة تلك الديار كأئمة أناطولي تقعدون مع قومهم في القهاوي ويشربون الدخان ويلعبون الطاولة وفي رؤوسهم عمائم كبار فإذا صار مغلوبًا يقول له اخس قومه بوخ يبدك إمام كلا فإن الإمام هناك أي إمام كان يكون حائزًا وظيفة الإفتاء والقضاء والتعليم لعدم تحمل قدرة الأهالي المالية اتخاذ أشخاص متعددة لتلك الوظائف المختلفة فأطرق مليًا وتفكر ثم رفع رأسه وقال ها آناسن صاتديغم بونك فكري بونلري كاور ياپمق فقال الشخص المذكور نعم لا شك في ذلك وامتناع التتار عنها لأجل ذلك لا لشيء آخر وإلا فهم لا يهربون عن المعارف والمدنية وليسوا ممن لا يعرفون أهمية اللغة والكتابة الروسيتين في تلك الديار وهكذا الحكم بين صاحب النظر السطحي وصاحب النظر العميق المطلع على الحقائق فلو دام الأفندي المشار إليه على هذا الرأي لأصاب ولكنه لما اجتمع في جمعية العلم المنعقد في استوكهلم من بلاد أسوج بعد ذلك مع رادلف الروسي المار ذكره وسمع منه اسناد التعصب إلى التتار رجع عن رأيه هذا وكان نسبه وصدق كلام رادلف المذكور كأنه سمعه من فم الملك وسلك في شأن التتار مسلك التفريط وكتب في حقهم ما هو مسطور في رسالته الجولان كما أنه سلك في ذمهم بالجهالة أيضًا مسلك الإفراط في المجلد الرابع من القسم الأول من تاريخه المسمى بكائنات أثناء بيانه معاملة الروسية مع المسلمين خلاصته أن مسلمي التتار بلغوا من الجهالة بسبب تشديد الروسية وتضييقه عليهم في أمر الدين وباب التعليم

مرتبة البهائم[١] حيث إنهم لا يعرفون من أحكام الإسلام سوى كلمتي التوحيد والشهادة ومعرفتهم إياهما أيضًا عن تغيير وتحريف معناهما ثم أظهر كمال أسفه على ضمهم أداة النسبة بالروسية أوف إلى أواخر الأسماء المقدسة كقولهم محدف وحسينف الخ أليس بين إسناد التعصب إليهم وبين هذا التحسر والتأسف مباينة ومنافاة كثيرة وليت شعري لم لا يتنبه الفضلاء الأدباء على التناقض الواقع في كلامهم مع أن كلا الأمرين باطل لا أصل له والصحيح الصواب ما قاله للشخص المذكور نعم أن لكلامه في تاريخه مصداقًا لا أبوح بذكره هنا ولعله لا يخفى على الذكي الفطن.

والحاصل أن التتار لا يهربون عن تعلم اللغة والكتابة الروسيتين قط إذا خلوا في تعليمهما وأنفسهم أعني لو كان تعلمهما باختيارهم وبأيديهم من غير إزعاج أحد وإكراهه بل العقلاء منهم يستقلون المرتبة التي عينتها الحكومة ويودون أن أعضاء الجمعية الإسلامية لا يعرفونهما أقل من معرفة النظار أو من معرفة المحررين والمحاميين الكبار على الأقل وراقم هذه الحروف أيضًا في هذا الرأي لكن بشرط سلامة الاعتقاد والدين وبقاء الاستقامة والديانة والآداب الإسلامية كلها على حالها وبشرط جعل هذه الأشياء أصلاً وأساسًا عليها وجعل ما سوى هذه كائنًا ما كان فروعًا على هذه واعتقاد هذه الأشياء كالغذاء الذي لا بد منه لكل أحد في كل حال وهذه المعارف والفنون الدنيوية كالدواء المر البشع الذي يعافه الطبع ولكن يحتاج إليه لإلجاء الضرورة واضطرارها إيانا إلى استعمالها أحيانًا لدفع ضرر المرض العارض لنا أو كالثياب الغليظة الثقيلة التي يتعب الإنسان حملها وتضيق نفسه ولكن لا يجد بدًا منها لدفع ضرر البرد عن نفسه أو كبيت الخلاء الذي يكرهه الإنسان بالطبع ولا يشتهي الدخول فيه قط ولكن متى ألجأته الضرورة لا يجد بدًا من الدخول.

وهذه الاعتقادات ليست تخيل محض بل هي واقعية ومطابقة للواقع ولكن لا يعرفها كل أحد بل من نور الله تعالى بصيرته بكحل منطوق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: الآية ٥٦] وقوله ﷺ: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»[٢] ولهذا أعني لعدم معرفة كل أحد ذلك

---

(١) فلو قال إن مراد الروسية إنزالهم إلى مرتبة البهائم في الجهالة بالتضييق والتشديد لو استطاعت لكان صوابًا مطابقًا للواقع منه عفي عنه.

(٢) لفظ الحديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا». رواه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢/ ٢٢٦.

عكس كثير من الناس القضية في هذا الزمان في كل ممالك وبلدان وفي أي دين كانوا من الأديان فإنك ترى أحدهم إذا حاز شيئًا من تلك الفنون العصرية والمعارف الجديدة أو اللغة والكتابة الأجنبية يرى نفسه أفضل الناس ويحسبه أنه حاز جميع الكمالات واستوفى جميع ما خلقه الله سبحانه لأجله وطفق يزدري بغيره ممن لا معرفة له بها ويستهزىء به ويتمسخر منه ويقول إنه عريض القفا وقديمه وإن كان ذلك الغير أعلم الناس بما خلق لأجله وعاملاً به وأفضل الناس عند الله فقد قلب الأمر وجعل الأصل فرعًا والفرع أصلاً بل ترك الأصل بالكلية وأخذ الفرع واكتفى به وكأن الله سبحانه خلقه لأجله وأرسل رسله وأنزل جميع كتبه الإلهية لتعليمه وليس عنده خبر أنه متى خرج روحه يظهر إفلاسه وإن معارفه لم يبق لها لزوم وأهمية قط فإن الطب إنما يحتاج إليه في عالم الكون والفساد وكذلك الهندسة والمساحة والجغرافية والأنتوغرافية وغيرها من العلوم الدنيوية إنما يحتاج إليها في هذه الحياة الدنيا وأما في الآخرة التي يكون الناس فريقين فقط فريق في الجنة وفريق في السعير فلا يحتاج إليها قط فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فإذًا فما معنى الافتخار والتبجج والاستكبار بها أليس هو من غاية الجهالة ونهاية الشقاوة ولا يكتفون بهذا القدر بل يبذلون غاية جهدهم في التشبه بأربابها من الكفرة الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الرُّوم: الآية ٧] وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الزخرف: الآية ٣٠] ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[1] [غافر: الآية ٨٣] ويسعون غاية السعي في تقليدهم في جميع شؤونهم من الملبس والماء كل وسائر الحركات والسكنات حتى في هز الكتف وترقيص الحواجب وتعويج الشفاه وقت التكلم وحلق اللحى وتوفير الشارب حتى في ترك حجب النساء[2] وهذه علة أخرى لامتناع التتار عن أخذها عنهم فإن أفعال الشركاء والمعلمين وعاداتهم لا شك في سرايتها إلى الشركاء والمتعلمين.

وليس قصدنا بذلك تنفير الناس عن تلك المعارف بل عن هذه الفعائل والتنبيه على قبحها والتحذير عنها لا عن تلك المعارف فإن تلك المعارف لا بد لنا منها

---

(١) لفظ الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: الآية ٨٣].

(٢) وأين لهم الصلاة والصيام وسائر الأعمال الشرعية ولا يحصل منهم أدنى فائدة للإسلام والمسلمين لسانًا وكتابة حين يسعى أفقر المسلمين وأضعفهم في حفظ بيضة الإسلام مع أنهم يعدون أنفسهم من أرباب الترقي نعم ترقوا في الجهالة والضلالة منه عفي عنه.

بمقتضى جريان الأحوال لمعايشنا وأمورنا واحتياجاتنا الحيوية في أي مملكة وتحت تصرف أية دولة كنا خصوصًا الرؤساء الذين يكونون أعضاء في مثل تلك الجمعية وقادات وأدلاء للملة وحماة للدين والأمة فإن أعضاء الجمعية المذكورة لو كانوا في الفقه مثل الإمام محمد[١] وفي الزهد مثل إبراهيم بن أدهم[٢] وفي الكلام كالباقلاني[٣] وفي الفلسفة كابن سينا[٤] وفي الفصاحة كسحبان[٥] لا يقدرون على إدارة الأمور وإجراء وظيفتهم كما ينبغي وحماية الملة والمدافعة عن حقوقهم في عصرنا هذا إلا إذا

---

(١) لعله يقصد الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، أبو إسحٰق، زاهد مشهور عالم، له أخبار كثيرة، توفي سنة ١٦١ هـ (الأعلام ١/ ٣١، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧).

(٣) الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري القاضي، أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ، من تصانيفه: «إعجاز القرآن»، «الانتصار»، «كشف أسرار الباطنية»، «الملل والنحل»، «مناقب الأئمة»، «نهاية الإيجاز في رواية الإعجاز»، «هداية المسترشدين» في الكلام. (كشف الظنون ٦/ ٥٩).

(٤) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، أبو علي الشهير بالرئيس ابن سينا ولد سنة ٣٧٠ هـ، في إحدى قرى بخارى، نشأ وتعلم بها وطاف البلاد وناظر العلماء، وتقلد الوزارة في همدان، وتوفي بهمدان سنة ٤٢٨ هـ، له من الكتب: «الأدوية القلبية»، «الإشارات»، «الإشارات والتنبيهات»، «الأرصاد الكلية»، «الإنصاف»، «بيان ذوات الجهة»، «تأويل الرؤيا»، «تدبير الجند والممالك»، «تفسير آية النور»، «تفسير سورة سبح اسم»، «تفسير سورتي المعوذتين»، «جواب الاعتذار فيما نسب إليه من الخطب»، «جواب ست عشرة سؤالات لأبي الريحان»، «الحاصل والمحصول»، «الحواشي على القانون»، «الحكمة العرشية»، «رسالة البر والإثم»، «رسالة الحدود»، «رسالة الطير»، «رسالة العشق»، «كتاب الأوسط الجرجاني»، «كتاب البر والإثم»، «كتاب بعض الحكمة المشرقية»، «كتاب الحدود»، «كتاب الحكمة المشرقية»، «كتاب الخطب التوحيدية» في الإلٰهيات، «كتاب الشبكة والطير»، «كتاب الشفاء» في الحكمة، «كتاب العلائي»، «كتاب عيون الحكمة»، «كتاب القانون»، «كتاب القولنج»، «كتاب قيام الأرض وسط السماء»، «كتاب لسان العرب»، «كتاب المباحثات»، «كتاب المبدأ والمعاد»، «كتاب المجموع»، «كتاب الملح» في النحو، «كتاب المعاد»، «كتاب الموجز الصغير»، «كتاب الموجز الكبير»، «كتاب النجاة»، «كتاب الهداية»، «شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس»، «مختصر إقليدس»، «مفاتيح الخزائن» في المنطق، «مناظرات مع أبي علي النيسابوري»، «منار النظر» في المنطق وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٥) سحبان: هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي: من باهلة، خطيب مفوّه، يضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: «أخطب من سحبان» و «أفصح من سحبان». اشتهر في الجاهلية، أدرك الإسلام وأسلم في زمن النبي ﷺ من دون أن يجتمع به، أقام في دمشق أيام معاوية، له شعر قليل وله أخبار. كان سحبان إذا وقف خطيبًا، لا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ وهو يسيل عرقًا (معجم الشعراء المخضرمين والجاهليين ص ١٨١ ـ ١٨٢).

انضم إلى المذكورات حيازتهم معارف العصر وفنونها ولا سيما معرفتهم بلغة وكتابة الدولة التي هم تابعون لها وقوانينها مثل ما يعرفها أكابر رجالها مع الحمية الدينية والغير الملية وتقديم خوف الله على خوف المخلوق كائنًا من كان وما أحوجنا إلى أمثال هذه الرجال العظام أشد الاحتياج لحفظ كيانها ليس احتياجنا إليهم أنقص من احتياجنا إلى الغذاء لحفظ حياتنا وبقائنا بلا شبهة ولا بقاء ولا دوام لملتنا إلا بهم ووجود أمثال هؤلاء الرجال العظام الحائزين لجميع تلك الأوصاف وإن كان محالاً بالنظر إلى الظاهر ولكن ظهور الأمور العظام وحدوث الانقلابات الجسام في أقطار العالم وكثرة ذلك ذلك مع مرور الأيام والأعوام خصوصًا في هذا الزمان يمنعنا عن اليأس من وجودهم وحدوثهم بإذن الله تعالى وإذا أراد الله شيئًا هيأ له الأسباب عسى يكون من الطاف الله ما لم يخطر في البال ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا ولله در القائل شعر:

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

آخر:

لله في الخلق ألطاف لقد خفيت تحار فيها العقول الجوهريات

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: الآية ٧] الآية فلا ينبغي لنا أن نيأس من رحمة الله بل علينا أن ندأب في العمل بالتشمير عن ساعد الجد في الليل والنهار لبلوغ تلك المراتب الكبار وليس ذلك على الله بعزيز إن الله لا يضيع أجر المحسنين وأن ليس للإنسان إلا ما سعى لا ينبغي لأحد أن يورث الفتور لهمته باستبعاد الأمور واستصعابها بل ينبغي أن يكون عالي الهمم فإن الله سبحانه يحب معالي الهمم ويكره سفاف الأمور وأما بلوغ مرتبة الاجتهاد وجوازه وإمكانه فلا دخل له هنا قط ولا ينبغي التفكر والتكلم فيه أصلاً بل لنا أن نجتهد ونسعى هذا هو وظيفتنا ع.

كل من يمشي على الدرب وصل

آخر على المرء أن يسعى بما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده القدر. فإن ذاك شأن الربوبية فإن لم تبلغ مرتبة المجتهد المطلق تبلغ رتبة المجتهد في المذهب أو مرتبة قريبة منها حتى نقدر أن نستعمل بعض القواعد الفقهية المطابقة لهذا العصر كقاعدة المشقة تجلب التيسير. وقاعدة الضرر يزال وأمثال ذلك ولا حاجر لواسع رحمة الله ولكن الدعوى هي التي تفسد الأمر والله الموفق.

بقي شيء لا بد لنا أن نذكره هنا وهو أن بعض المخاذيل لقن الحكومة أن تحتج على المسلمين في جواز تكاليفهم المذكورة بأمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم كتابة اليهود وليس فيهم لهم حجة بل هو حجة عليهم للمسلمين فإن النبي ﷺ لم يكلف اليهود بتعلمهم كتابة العرب مع كونه ﷺ حاكمًا بل أمر كاتبه بتعلم كتابتهم حيث قال: «تعلم كتابة يهود فإني ما آمنهم على كتابي» فتعلمت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له[1] اهـ فهذا يدل دلالة صريحة على لزوم تعلم الروسية كتابة المسلمين لا على تكليفهم بتعلم كتابة الروسية كما زعموا نعم إنه يدل على جواز تعلمها وليس الكلام فيه وكأنهم احتجوا بذلك على من قال بحرمتها وجعلها دليلًا على الامتناع من تعلمها ولكن هذا من قبل الغريق يتشبث بكل حشيش أو مقصوده التعلم المذكور أعني التعلم لمساعدة الحكومة على تحصيل غرضها المذكور ولا شك حينئذ في حرمته.

دفع توهم: وربما يتوهم هنا أن لكل دولة أي دولة كان حق المراقبة والنظارة لأحوال رعاياها على العموم سواء كانت من الأحوال المتعلقة بالمكاتب والمدارس أو غيرها ولا يسوغ لها الإهمال قط وإلا فربما يصدر عنهم ما ينافي سياستها وما تتضرر هي به فكيف يتظلم المسلمون من جعل الحكومة مدارسهم تحت نظارتها ويأبونه ولا يرضون به وهو ليس بظلم ولا مختص بالروسية.

قلت هذا التوهم إنما نشأ من عدم معرفة معنى النظارة التي يأباها المسلمون وهي المداخلة في شؤون مدارسهم كلها من كيفية بنائها وإسكان الطلبة فيها وترتيبات الدروس وتعيينها وتعيين أوقاتها ومقدارها وتعيين الكتب المدرسية والمعلمين والمدرسين إلى غير ذلك من الشؤون التعليمية وهذا كما ترى كيف يرضى بكونها في أيدي النظار الذين تقدم ذكر أوصافهم وكيف يقبلون كونها تحت تصرفاتهم وكيف لا يأبونها وكيف يكون حالهم إذا رضوا بها وإلى أين يكون مآل ديانتهم وأما المراقبة والانتباه على أحوال المسلمين عمومًا وأحوالهم التعليمية خصوصًا والتفتيش والبحث عنها بواسطة المأمورين المتمدنين الخالين عن التعصب فحاشاهم أن يأبوه فإنه عناد واستكبار ومخالفة لأمر الحكومة العادل وهم يعرفون ذلك كمال المعرفة. وقد تبين من البيانات السابقة أن قصدهم هو سد طرق الفنون والمعارف وأبوابها كلها على المسلمين غير طريق الروسية وبابها للغرض المعهود

(١) أخرجه أبو داود في العلم باب ٢، وأحمد في المسند ٥/١٨٦.

وقد طلب أهل القزان الإذن من الحكومة في إنشاء جريدة بلغتهم مدة عشرين سنة فلم تساعدهم في ذلك وكيف تساعدهم في نشر الأخبار والمعارف بلسان أهل قزان حتى أنهم لو قدروا على إقناعهم بأن الشمس لا تطلع ولا تجري وأن المطر لا تنزل إلا بالروسية ومعارفها وإن جريان الفصول الأربعة على هذا الترتيب والنظام ليس إلا بأمر الروسية ومعارفها لفعلوا ولكن ليس هناك من ليس عنده خبر عن حقيقة الحال.

فمن أحاط بتلك المجريات علمًا فقد تحقق عليه مقدار ديانة التتار وتصلبهم فيها وانفرادهم بالابتلاء بتلك البليات دون غيرهم وصبرهم عليها تلك المدة المديدة ومتانتهم وثباتهم على الحق وإنه قد تحقق فيهم مضمون قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: الآية ٢] الآيات وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمّد: الآية ٣١] الآية فإنهم جاهدوا في تلك المدة كلها ولا يزالون يجاهدون إلى الآن ولا يأخذهم في الله لومة لائم فإن المجاهدة ليست مختصة بالضرب بالسيوف وقوله تعالى: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: الآية ٣٨] فإن أهل الأندلس انمحوا في أقرب مدة بأدنى إكراه وهؤلاء لا يزالون يحفظون دينهم ومليتهم وقوميتهم مع تلك المعاملات الشديدة طول مدة مديدة من دولة قوية من غير أن يصل إليهم أدنى مدد من الخارج أليس من أعجب الأشياء وأغربها مقاومة ملة قليلة ضعيفة لا يبلغ عددهم في أول أمرهم ثلاثة ملايين هذه المقاومة العجيبة في تلك المدة الطويلة دولة قوية تخافها سائر الدول تبلغ عدد نفوسها ١٣٠ مليونًا على الأقل بحيث لا تقدر أن تنال شيئًا من بغيتها منهم سوى الأذية كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: الآية ١١١] الآية، بل يكون الأمر بالعكس.

وأغرب من ذلك كله إصرار تلك الدولة على مقاصدها المذكورة وتحصيل أغراضها الفاسدة منهم بلا سآمة ولا ضجر ولا فتور باختراع أنواع الحيل فيها مع إراءة الزمان لهم خلاف ما راموه دائمًا وحصول التجارب الكثيرة لهم في تلك المدة الطويلة واعترافهم بذلك وإعلانهم به بواسطة جرائدهم.

منها ما نقلته جريدة يولدز عن حياة الكنيسة الروسية من مقالة كبير طائفة ميسيونير بقزان الشهير بياكوبلوف خلاصتها التأسف وإظهار التحسر على مساهلة

الميسيونيرين في وظائفهم وتفويتهم الفرصة الصالحة لها وعلى منع يكاترينا الثانية أمر الإكراه والاضطهاد وإلغائها المحكمة المؤسسة لذلك الأمر على ما مر بيانه وعلى عود ٣٠,٠٠٠ نفس من المكرهين إلى دين الإسلام بموجب فرامان امبراطور الصادر في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٥ م وعلى ازدياد قوة دين الإسلام في الروسية وسرايته إلى طوائف چواش وچرمش وآر واستيعابه إياهم تمامًا واجتهاد التتار في نشره بينهم. الخ.

ومثله في جريدة ترجمان نقلاً عن جريدة تلغراف قزان وفيها التحسر على عدم معاونة من الحكومة لطائفة ميسيونير الخ وليت شعري ما معنى عدم معاونة الحكومة بعد تلك التكاليف المار ذكرها وكأنه أراد بالمعاونة ضرب رقاب المسلمين حتى يتنصروا وإلا فغير ذلك قد فعل كما مر.

ومنها ما كتبه الفاضل المحترم عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي في جريدته ألفت من مقالة مادموزل چيچيرنه التي نطقت بها في ١٧ أبريل سنة ١٩٠٦ وهي أيضًا عبارة عن إظهار التحسر على عدم ترتب النتيجة المطلوبة على تشبثات الحكومة في خصوص تنصر التتار مع بيان كيفية تشبثاتها في العصر السادس عشر والسابع عشر على نحو ما تقدم من المقالة الميسيونيرية وعلى ميل طوائف چواش وچرمش وآر إلى الإسلام والمسلمين وعلى اجتهاد المسلمين في نشر الإسلام بينهم أكثر من اجتهاد الروس في نشر دينهم وعلى أن أساس الدعوة إلى الدين في الإسلام أحسن من أساس دعوة النصارى وعلى أن الديانة والمعارف والمدنية أكثر في المسلمين من الروس وعلى أن نفوس المسلمين في ولاية أوفا أكثر من نفوس الروسية فيها بكثير حتى أن فيها ١٦٠٠ مسجد بينا كان فيها للروسية ٣٠٠ كنيسة وبجنب كل مسجد مكتب أو مدرسة مع أن الحكومة لا تعطيهم شيئًا لبنائها بل هم يبنونها من أموالهم وأن الذين يعرفون القراءة من المسلمين أكثر من الروسية بحيث يوجد القراء منهم ٤٠ في مائة على الأقل وعلى أن الكتب عندهم من جميع الفنون كثيرة جدًا وأنهم يطالعون جرائد الروس ويردون المقالات الميسيونيرية فيها بحيث لا يتركون مقالة منها بغير رد وإن الجمعية الغورية في أكاديميا قزان وإن تشكلت في خصوص جلب التتار نحو الروسية ولكن لم يكن لها فيهم أدنى تأثير بل صارت سببًا لتحرك عصبية التتار[1] وتقدمهم

(١) وهذا هو محل الاستشهاد من كلامها فإن التكاليف الأخيرة إنما هي من مخترعاتها الإبليسية كما مر بيانها مفصلاً منه عفي عنه.

بحيث حصل لهم في مدة سنة ٢٠ من الترقي بسبب سوء تدبير طائفة ميسيونير ما لا يتوقع حصوله لهم مائة سنة ١٠٠ لولاه والتشبث بعد ذلك في تدبير جلب التتار نحو الروس والفكر فيه إعداد عدو جديد للحكومة.

والتتار يفرحون بمغلوبية الروسية من ياپونيا جدًا ويقولون إنه انتقام إلهي من الروس في مقابلة ظلمهم لدين الإسلام (لا شك فيه يقوله كل أحد بل اختلاله الداخلي أيضًا كذلك بل هو أكبر من ذاك) ثم انتقلت إلى تدابير شيستاكف وإياميسكي وبناء مكتب لإقراء أولاد المكرهين فيه ومدحتها وذكرت نجاحها وأومأت في غضون كلامها إلى لزوم اتحاد التدابير المذكورة فيها بعد الخ.

والحاصل أنهم مع تيقنهم بعجزهم عن تحصيل أغراضهم الفاسدة المذكورة واعترافهم بذلك وبمضرتها عليهم لا أرى في كلام أحد من عقلائهم وأدبائهم بيان وخامة عاقبتها وتسببها لخراب المملكة بالكلية[1] وكونها سوادًا لا يزول في صحائف تاريخ الروسية في القرن العشرين وسببًا لكونهم مسخرة ظاهرة أمام كافة الدول والملل المتمدنة وغير المتمدنة وفوات أوقات أمثال هذه الأمور الوحشية حتى في أواسط قارة إفريقيا ولكن إذا تأمل المتأمل فيما فعلته الروسية ولا تزال تفعله إلى الآن في حق الإسرائيليين[2] بل في حق من يطلب منها من قومها حريته وسائر حقوقه لا يستغرب

---

(١) أعني رسمًا وممن كانوا في الطبقة العليا منهم وفي الدوائر الكبار من حكومة الروسية وإلا فكثير منهم يلعنون الحكومة لتلك التشبثات الجائرة ولا سيما من يقيم منهم بين المسلمين مجاورين إياهم ومختلطين بهم كتب بعض أعزة الأفاضل في بعض آثاره أن واحدًا من مأموري محاكم القضاء جاء بلدة أوفا وقال قد عجزنا عن إجراء تدابير الحكومة العمياء في حق مكاتب المسلمين ومدارسهم فإنها تنشر أوامر وفرمانات مخالفة للمعيشة والعادة ليست نتائجها سوى الضرر المحض في حق المسلمين وفي حق الحكومة أيضًا حتى أننا نستحيي أن نظهر أنفسنا لعيون وطنينا المسلمين الذين نعيش معهم ونعاملهم بكمال المحبة ومتى اجتمعنا بالمسلمين يحمر وجوهنا خوفًا من مذاكرتهم إيانا في شأن تلك الأوامر الجائرة اهـ وقد سمعت الفقير بأُذني كثيرًا منهم يلعن الحكومة في هذا الخصوص عمومًا وعلى طائفة ميسيونير خصوصًا لكونهم محركي هذه الفتن وقد مر مرارًا توصية كثير منهم إيانا بالدعاء لياپونيا لقبح نية الحكومة في شأن المسلمين لولا حربها وغلبتها إياها. ولكن في هذه الأيام صار كثير من أرباب طرف الحرية منهم يكتبون في جرائدهم بتقبيح تدابير الحكومة الجائرة وكون المسلمين مظلومين ومغدورين عسى الله سبحانه أن يخلق لنطقهم هذا تأثيرًا. منه عفي عنه.

(٢) يقصد المؤلف هنا بالإسرائيليين، اليهود الروس. وليس الإسرائيليين الصهاينة المحتلين فلسطين وبيت المقدس، إذ لم يكن واردًا (بالنسبة للمؤلف على الأقل) في ذلك الوقت (أي وقت وضع المؤلف كتابه سنة ١٩٠٧ م). موضوع إنشاء دولة قومية لليهود على أرض فلسطين. ومن=

ذلك منها بل يخاف صدور مثل ذلك عنها في شأن التتار وليس هو ببعيد إن لم يكن عناية ووقاية من الله والحاصل أن بخار تعصب النصرانية استولى على أدمغتهم استيلاء لا يرجى زواله بالسهولة وهذه الأحوال كلها من تأثيره وستره عقولهم ومداركهم بالكلية.

وأعجب وأغرب وأبدع من ذلك كله تمنيهم حب التتار إياهم مع معاملاتهم هذه ونقمهم منهم ببعض الروس حتى أن والي أورنبورغ لما جاء قارغالي سنة ١٣١٩ لتفتيش مدارسهم وتضييقهم والتشديد عليهم ورأى فرار صبيان المكتب عنه وبخهم وعابهم وقال أنتم تلقنون أولادكم عداوة الروس تنفرونهم منهم ولا يدر أن الأولاد والصبيان لا يخفى عليهم شيء من معاملاتهم لرؤيتهم إياها بعيونهم أو سماعهم بأذانهم لكثرة ذكر الناس إياها وكثرة سؤال بعضهم بعضًا ماذا صدر عن الحكومة في حق المسلمين وبأي شيء كلفوه وأي شيء حدث في شأنهم حتى أنهم إذا رأوا مأمورًا من مأموري الروس يخافون أن يكون مجيئه لتعليق الصلبان عليهم وهذا ليس فيه أدنى مبالغة فإذًا كيف يحبون الروسية وكيف لا يبغضونها وكيف لا يفرحون بمصيبتها ومغلوبيتها[١] وما ذنبهم في ذلك وكيف ينقمون ويعابون به ولأي شيء لا يوبخون ولا يلومون ولا يذمون أنفسهم حيث صاروا هم السبب في ذلك كله وكأنهم يريدون أن يكون التتار كالكلاب يضربها أصحابها وهي لا تترك نصحهم ولا تبغضهم ولكن التتار لا يقبلون ذلك ويبغضونهم جدًا لمعاملاتهم المذكورة حتى بلغ بغضهم إياهم مبلغًا صار لفظ الروس أقبح ألفاظ السب والشتم بحيث لا يبقى بعد إطلاقه إلا المضاربة بخلاف سائر الألفاظ القبيحة كيا كلب ويا خنزير ويا كافر فإن كل ذلك دونه فعلى هذا صار تشديدات الروس وتضييقاتهم عليهم لطفًا ورحمة من الله شأنهم من جهة أخرى حيث إن بغضهم إياهم ونفرتهم عنهم صار سببًا لتباعدهم وتنفرهم عن أخلاقهم وعاداتهم فإن عاملوهم بالرفق واللين والإنسانية والمدنية لكان يخاف من ميلهم إليهم وركونهم شيئًا فشيئًا والآن حيث يتوقع الدخول في دور جديد يخاف من ذلك والله المدبر بل صار يقع شيئًا فشيئًا[٢].

= الواضح من سياق المؤلف أنه كان متعاطفًا مع اليهود الروس من جهة أنهم أقلية دينية في مواجهة الظلم الروسي آنذاك.

(١) مع أن كثيرًا من عقلائهم ومنصفيهم يستوصوننا بالدعاء لياپونيا ويصرحون بنوايا الحكومة في حق المسلمين لولا حربهم إياها كما مر آنفًا منه عفي عنه.

(٢) كتب في بعض أعداد المؤيد الغراء ما نصه «التعصب ابن الاضطهاد» «نابوليون الأول» كنت أقرأ=

وبعد الإحاطة بجميع ما مر لا يستغرب مغلوبية الروسية في هذا الحرب الأخير من اليابان فإن الحكومة لما كانت مهتمة ومعتنية ومشغولة بما مر من التكاليف المذكورة والقسم الأعظم من رعاياها الشاغل قسمًا أعظم من أراضيها الحائز موقعًا أهم في ممالكها مشغولاً بمقاومتها عديم النشاط في الكسب حائر القوى مترددًا بين البقاء فيها والهجرة منها كيف تفرغ لنشر المعارف بين أفراد رعاياها وتنسيق عساكرها وتحسين شؤوناتها وكيف تزيد قوتها المالية ولم يكن تضييقها مختصًا بالمسلمين فقط بل كان عامًا لكل طائفة من رعاياها حتى لجنس الروس أما تضييقها وتشديدها في حق الإسرائيليين وأهل بولونيا (لهستان پالاق) فمعروف ومشهور في حق الروس نفسها فإنه كان يشدد على طائفة ملكان المسماة لديهم باستاري ويره يعني الدين القديم جدًا ومن جهة أخرى كان دائرة معارفها ضيقة جدًا لم تزل تضيق على أربابها وتجعلهم تحت

= بالأمس كتاب الدكتور أومارا طبيب نابوليون الخاص في جزيرة القديسة هيلانة وفيه آراء ذلك الرجل الكبير في مواضيع مختلفة. فوصلت إلى محادثة ٢٧ يناير سنة ١٨١٦ ورأيته يحادث طبيبه الإنكليزي في أحوال إنكلترا لذلك العهد قال «لو أنني ولي الأمر في إنكلترا لبدأت أولاً باتخاذ الوسائل العاجلة لوفاء الدين العمومي فاحتكر لهذه الغاية أموال الكنائس. وأنتم لو حررتم الكاثوليك في إنكلترا من عبودية القوانين الصارمة والتقاليد القديمة فإنكم تستفيدون كثيرًا. ولست أعلم ما الذي يمنع حكومتكم عن إطلاق الحرية للكاثوليك فبينما نرى الأمم جميعها تتخلص هذه الأيام من ربقة التعصب وتحطم قيوده الذميمة أراكم أنتم تحرصون على قوانينكم القديمة التي لا تليق لهذا العصر وهي جديرة بالقرون الماضية المظلمة. لما عرضت مسألة تحرير الكاثوليك في إنكلترا لأول مرة كنت مستعدًا أن أدفع ٥٠ مليونًا من الجنيهات في سبيل حبوط تلك المساعي حتى لا يتم المشروع لأنه لو تم لأضر بمصلحتي في إرلندا وأفسد علي مشروعياتي السياسية. ذلك لأنكم يوم تحررون الكاثوليك وتساوونهم بالبروتستانت في بلادكم يتحولون في الحال إلى رعية صادقة أمينة مخلصة الولاء. لو تخلص الكاثوليك من بعض قيود العبودية الحاضرة وجاز لهم إرسال نواب منهم إلى البرلمان وغير ذلك تجدون للحال أنهم يعدلون عن تعصبهم الذي تشكون منه وينقطعون عن تمسكهم الشديد بمبادئهم الخاصة لأن التعصب ابن الاضطهاد ـ وتعصب الكاثوليك في بلادكم ناتج عن قسوة شرائعكم في معاملتهم فإذا ألغيتم تلك القوانين وغيرتم هاتيك الشرائع وحللتم القوم من قيودهم وعاملتموهم كما تعاملون البروتستانت لا تفوت سنوات معدودة حتى يتلاشى بغضهم وتزول أحقادهم ويقوم مقام ذلك شيء كثير من التساهل والإخاء. والأولى بكم أن تقتدوا بي وأن تعاملوا كاثوليك إنكلترا كما عاملت أنا بروتستانت فرنسا». هذه آراء نابوليون منذ مائة سنة. خلاصتها (أن الضغط يوجب الانفجار) وهو ما عبر عنه بقوله إن (التعصب ابن الاضطهاد) وقد علمت إنكلترا من ذاك الحين أن الرجل كان صادقًا في كلامه وأن رأيه هو الصواب فلما أبيح للكاثوليك حق المدنية في إنكلترا إذا بهم صاروا أصدقاءها فتلاشى بغضهم الديني والجنسي واتفقوا مع سائر أفراد الأمة على السعي وراء إعلاء مجد الدولة الإنكليزية. اهـ بعبارته.

مراقبة المتعصبين الملقبين بلقب سانسور (صينزور) ولم يكن تضييق هؤلاء المتعصبين أعداء المعارف والإنسانية بسبب انصباغهم بصبغ المسيونيرية عليهم أقل من تضييقهم على المسلمين حيث كانوا لا يساعدونهم في تحصيل أي فن شاؤوا ولا أي مقدار شاؤوا ولا قراءة أي كتب شاؤوا بل كان كل ذلك معينًا محدودًا بتحديدهم وتعيينهم وما كانوا يساعدونهم في إخراج كتب مفيدة من أوروبا وهذا مع قلة أرباب المكاتب والتحصيل ولهذا كانت المعارف عندهم بالنظر إلى ذاتها وبالنظر إلى أربابها قليلة محدودة جدًا لأن المعارف عند هؤلاء المتعصبين عبارة عن مسائلهم الدينية من اعتقاد التثليث في ذات الله تعالى وتقدست وما يتفرع عليه مما يستهجن ذكره وعبادة الألواح المصبوغة ولذلك طلب قوراباتكين من الحكومة إرسال قطار كامل من تلك الألواح المصبوغة ليستعين بها على اليابان فوقع القطار المذكور[1] من سوء حظهم بيد المارشال أوياما فلم ينتفع به سوى أساراهم بيد ياپونيا فإن ياپونيا فرقها إليهم وقال استأنسوا بآلهتكم التي كنتم تتوقعون منها العون والنصرة فخذلتكم وليس هذا ببدع منهم فإنهم كانوا يستنصرون بصورة مريم عليها السلام على زعمهم ويستغيثون بها في محاربة ديمتري دونسكي مع مماي وحين توجه تيمرلنك نحو بلادهم وحين توجه الأمير ايدكو نحو موسكو على ما تقدم ونسبوا بقاء الروسية سالمة منهم وانتصار ديمتري دونسكي على مماي إليها وعظموها أشد تعظيم واجتمعوا لديها وعبدوها وكذلك فعل ايوان المدهش حين حارب أهل القزان كما صرح به كارامزين.

وقال في مطالع شموس السير[2] المؤلف لبيان وقائع قارلوس الثاني عشر ملك أسوج المسمى في تواريخ العثمانيين تيمرباش مع البطر الأكبر ملك الروس: وصارت مدينة موسكوا في الخوف والحزن عندما بلغها خبر هذه الهزيمة ومن كبر هؤلاء الأهالي وجهلهم ظنوا أن غلبتهم (الأسوج) تجل أن تكون بشرية وإنما اعتقدوا أن الآسوجيين سحرة وصار هذا الرأي عندهم عامًا حتى أنهم استغاثوا بالمقدس نيقولاس (أوغوتنيك نيقولاي) وهو أستاذ مسقوبي وصورة هذه الاستغاثة غريبة فلا بأس بذكرها هنا وهي يامار نيقولاس يا مفرج كروبنا وصارف همومنا أنت ذو القدرة الغير المتناهية هل أذنبنا في قربانا وركوعنا وسجودنا أو في خضوعنا وخشوعنا أو في أفعال الشكر

---

(١) وقد شاع بين المسلمين أن الروس يقولون إن الماري نيقولاي غضب عليهم لإرسالهم مع صوره صور صاريفيم الذي وجده قريبًا في ولاية نيژني منه عفي عنه.

(٢) وهو معرب من الفرانساوية. منه عفي عنه.

لك حتى استحقنا أن تتركنا هكذا فقد تضرعنا إليك لتغيثنا من هؤلاء الخلق المهولين أرباب الأسرة والفجور والإرعاب المتلفين الذين لا ينقادون فقد هاجموا عليها كاسرين كالسباع والذئاب الثاكلة لأولادها وأزعجونا وجرحوا وقتلوا منا الجم الغفير نحن قومك ولما كان من المستحيل أن يحصل هذا من غير سحر فنترجاك يامار نيقولاس أن تكون ناصرنا وحامل لوائنا وأن تنقذنا من هؤلاء السحرة وتطردهم بعيدًا عن حدودنا مع ما يستحقونه من الجزاء انتهت وفي أثناء شكوى المسقوبيين لماري نيقولاس ما حصل لهم من الهزيمة كان كرلوس الثاني عشر يشكر الله عز وجل ويستعد لنصرة جديدة اهـ.

قلت ولما حصل الانتصار للروس على الآسوجيين في الآخر لا شك أنهم اعتقدوه من ماري نيقولاي على عاداتهم القديمة وبقي هذا الاعتقاد فيهم مع نمو وازدياد بما حصل لهم من الانتصارات المتعددة على الأمم المتجاورة إلى زماننا هذا وزعموا أنهم استحقوها بسبب اعتقاداتهم المذكورة لتلك الصور وتعظيمهم وعبادتهم إياها واستغاثتهم بها ولم يدروا أن هذا استدراج من الله تعالى في حقهم بموجب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ١٨٢، ١٨٣] وغير ذلك من الآيات ولذلك طلب قوراپاتكين تلك الصور ليستغيثوا ويستنصروا بهم على اعتقادهم والحاصل أن انتصارات الروس بعد محوها دولة التتار لم تكن بالمهارة والحذاقة والمعارف بل لأسباب أخر ليس هذا محل بيانها ولا تخفى على أربابها ولم يكن انتفاخ الروس بالعظمة والكبر إلا كانتفاخ ذكر الدجاج الرومي وعلى الخصوص لم يكن قوراپاتكين من أرباب المعارف كفوًا لقواد ياپونيا وإنما كان مبدأ أمره أن انتصر على تركمان تكه في موضع كوك توبه تحت قيادة الجنرال اسكوبلف سنة ١٨٧٣ ثم أمضى أكثر أوقاته في تلك الأقطار ونظم بلدة عشق آباد (اصحاباد) ثم ترقى إلى رتبة نظارة الحربية دفعة على سبيل الطفرة لسبب لا أذكره هنا ولم ير المدارس الكبار ولم يجرب الأمور فزعموا أن الذي انتصر على تركمان تكه ينتصر على ياپونيا كما زعموا أن چيرنايف لما انتصر على أهل تركستان وطاشكند ينتصر على العثمانيين فتبين خطأوهم في كلا الزعمين حيث كانت النتيجة بخلاف ما زعموا في كلا الوقعتين ولم يدروا أن ياپونيا ليس عنده تعصب ديني ولا يشتغل رجال حكومة ميقادو بمحاربة رعاياه وإزعاجهم وربط أيديهم عن الشغل والكسب وتحصيل المعارف والمدنية

والترقي فيها بل كل فرد منهم يواصل ليله بنهاره في تحصيل المعارف والمدنية والصناعة والتنسيقات العسكرية وجمع الثروة وتسهيل طرق الكسب والمعاش من جميع وجوهه وإعداد الآلات والبواخر الحربية بكمال الحرية والنشاط وقد تيقن ذلك أعني الفرق الكثير بين استعداد الدولتين للحرب وقوتهما أفراد من كبار رجال الروسية وقد نقل عن ألكسي أنه كان غير راغب للحرب وكارهًا له ونقل عن الأدميرال ماكارف الذي مات غريقًا أمام پورت آرتور أنه قال إني متيقن بمغلوبيتنا فإنا لم نشتغل في مدة خمسين سنة بسوى أمور طائفة ميسيونير ولم نهتم ولم نعتن في تلك المدة بسواها فليجيئوا هنا وليقاتلوا ياپونيا وكذلك طلبة المكاتب الكبار كانوا غير راضين بمسلك الحكومة وكانوا يعترضون عليها دائمًا ويكونون معروضين لسخطها وغضبها وعقابها إياهم بالحبس والنفي لغلبة بخار تعصب النصرانية وكان لسان حال كل منهم يقول ع:

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا.

ولكن كانوا لا يقولون ع.

فما دمت لا أنصح وإن مت فانع لي.

بل لم يزالوا يعترضون عليها منتظرين الفرصة لإحداث الاختلال ومستعدين له دائمًا فلما تمت مغلوبية الروس بأفظع ما يكون وانكشفت حقيقة الحكومة وتبين سوء مسكلها عيانًا لذي العينين ولم يبق أحد لم يفهم سوء تدبيرها وصرف عنايتها إلى ما لا ينبغي الاعتناء به وعدم اهتمامها بما يهتم به ووجدوا لهم أنصارًا قاموا قومة رجل واحد لإصلاح شؤون الحكومة وتقويم مسلكها الأعوج ولم يبالوا ببذل أرواحهم في ذلك فضلاً عن الأموال ورأوا ذلك أهون شيء في سبيل إنقاذ الوطن وتخليص الملة عن الهلاك والبوار والدمار والانقراض.

وسر سرعة إجابة العوام والعملة وتلبيتهم دعوتهم في أول وهلة هو أنه كانت إصابتهم أيضًا حصة عظيمة من ظلم الحكومة من جهة الدنيا والمال وإن لم يكن من جهة الدين فإنها كانت تحمل عليهم من الأموال للميري (ويركو) ما لا يطيقونه وهم في غاية الفقر عاجزون عن إعاشة أنفسهم وإعاشة عيالهم ليس لهم تجارة وليست لهم أراض يتعيشون بالزراعة وليس لهم صناعة فإن الحكومة لم تعلمهم ذلك ولم تبن لهم مكاتب لأجل تعليمهم إياها وقد تخلصوا عن رقية الأعيان الملقبين ببويار بعد حرب قريم وسواستاپول وهؤلاء الأعيان عندهم من الأراضي والغابات والعقارات والمزارع

وسائر الأملاك ما لا يعد ولا يحصى وهذه الثروة لم تحصل لهم إلا بواسطة هؤلاء التعساء وآبائهم وأجدادهم وهم يضيعونها في أنواع السفاهة من الأكل والشرب والقمار وفي سبيل الفواحش في الروسية وبلاد أوروبا.

وفضلاً عن ذلك إن كثيرًا من رجال الحكومة يعطون الرتب العالية والمعاشات الوافرة والنياشين والمداليات الفضية والذهبية من غير صدور أدنى خدمة منهم للوطن والملة وهم يفتخرون بها ويتعاظمون ويتكبرون ويحتقرونهم ويزدرونهم بهم وعلى ظهورهم أعلى ما يكون من الثياب وصدورهم ملآنة من النياشين والمداليات ويضيعون النقود التي يعطونها باسم المعاش والرواتب من الخزينة التي جمعت من أموال هؤلاء التعساء في سبل الفساد والإسراف والتبذير والفاحشة والتنزه في بلاد أوروبا وهؤلاء التعساء يكادون يموتون هم وعيالهم من الجوع والبرد فلما أفهمهم الطلبة قبح هذه الأحوال وكونها مما لا يطيقه بنو البشر وعدم استحقاقهم لذلك أدنى استحقاق تيقنوا أنهم هم العدو وتمكنت عداوتهم في قلوبهم بحيث لا يبالون بما يفعلون بهم ما شاؤوا فصار من نتيجتها إعلان الإمبراطور حرية الأديان والوجدان والقلم واللسان ورضاه بفتح مجلس النواب والمبعوثين وذلك في ١٧ أكتوبر من عام ١٩٠٥ وفتح مجلس النواب والمبعوثين في ١٧ أبريل من عام ١٩٠٦ إلا أنهم طردوا بعد دوامه مدة شهرين وبضع أيام من غير حصول المطاليب وقد مضى إلى الآن من وقوع هذا الاختلال سنة ونصف سنة تقريبًا[1] والفريقان في التجاذب والتضارب على ما يعرفه كل أحد وأكثر الأوروباويين يفرحون بذلك لأنهم يشتهون انقراض الروسية وعلى الأقل ضعفها ولذلك لا يزالون يحرضون الطرفين على الثبات على ما هم عليه وربما يعاونون الأهالي بإعطاء النقود والآلات وميعاد فوز أحد الطرفين هو اجتماع المبعوثان اجتماعهم الثاني وقد حان الآن وقته فإن فازوا فيه بمطالبهم فقد تخلصت الروسية من الويل وتحصل لها حينئذ قوة زائدة وشوكة فائقة وتتحسن أحوالها وتصلح وتصير الدول كلها تخالفها حقيقة في أقرب الأوقات فإن موقعها متين منيع فإن خوفها إنما هو من جهة أوروبا وأما سائر جهاتها فلا خوف لها منها قط ومملكتها واسعة وأراضيها صالحة للزراعة منبتة ومحصولاتها كثيرة والأسباب موجودة وإنما كان النقصان في فقدان حسن الإدارة فإن انضم هو أيضًا إلى ما ذكر فلا شبهة في كون الروسية أكبر دول العالم وإن يكن الثاني أعني غلبة الحكومة الظالمة المستبدة على مريدي الإصلاح

(١) بل مضى لها إلى الآن أكثر من سنتين وهم على هذا الحال منه عفي عنه.

فالله يعلم حينئذ ما يؤول إليه أمرها والزمان حبلى بالحوادث وقد دخل في شهره التاسع فننظر ماذا يلد ذكرًا أم أنثى وكل آت قريب[١].

تنبيه: ربما يظن من البيانات السابقة أن الحكومة الروسية لا تزال تستحقر دين الإسلام وشعائره ويعامل المسلمين بالظلم والضيم في سائر المعاملات وليس الأمر كذلك إنما هي أعني معاملتها بالظلم مخصوصة بأمر الدين ولكنها لا تظهرها في صورة الظلم بل في قالب النصيحة وإرادة الخير وتريد بذلك ستر مرامها كما تقدم إلا أنها لشدة حرصها وشرهها في نشر النصرانية وتعميمها يجاوز الحد من حيث لا تشعر وهي تظن أن مرامها يخفى على المسلمين وأنهم لا يفطنون لذلك وأما أصل قانونها ونظامها الآن فجميع الأديان وشعائرها متساوية في الاحترام من غير فرق بين دين ودين وإن كان الدين الرسمي لديها الآن هو دين الروس حتى أن الجزاء الذي يرتب على من احتقر دين الروس وشعائره يرتب عين ذلك الجزاء على من احتقر دين المسلمين من غير فرق كائنًا من كان فكما أن كنيسة الروس محترمة كذلك مساجد المسلمين محترمة معدودة من مواضع عبادة الله حتى أن صاحب أعظم جناية لو دخل أصغر المساجد لا يجوز لأفراد البوليس وژاندارمه والعساكر وسائر رجال الحكومة الدخول فيه وإخراجه منه في النظام فإن فعلوا ذلك كانوا قد ارتكبوا جناية أعظم من جناية الجاني المذكور حيث هتك حرمة حرم الله وأخرج من التجأ إلى حرمه منه بل يحيطون بالمسجد من الخارج من جميع جوانبه إلى أن يخرج الجاني بنفسه وكذلك من احتقر القرآن أو النبي ﷺ أو دين الإسلام يرتب عليهم أشد الجزاء وليس هذا سوادًا في بياض بل هو مرعي الإجراء وجار بالفعل وكذلك المسلمون مساوون لسائر الملل والروس أمام الحاكم في جميع الحقوق لا يظلمون ولا يضامون قطّ بل كثيرًا ما يراعى جوانبهم وهم مطلقوا العنان في إجراء عباداتهم من الصلاة وغيرها في أي موضع كانوا في بيوت الروس وفي البواخر وفي واغون السكة الحديدة من غير اعتراض ولا كراهة من أحد حتى أنهم أعني الروس يعدون المياه إذا أرادوا التوضي ويعدون لهم مواضع الصلاة ويؤدي المسلمون الصلاة بالجماعة في البواخر في محل مختص بقبودان مع أن الدخول فيه ممنوع ولا يظهر لهم القبودان أدنى كراهة وإذا

---

(١) قلت وقد حصل هذا الاجتماع الثاني أيضًا في فورال عام ١٩٠٧ وطردوا في أوائل ايون ثم اخترعوا قانونًا جديدًا لانتخاب الأعضاء احتالوا بذلك لتقوية نفوذ الحكومة وإضعاف نفوذ مخالفيها وقد انتخبت الأعضاء الآن للمجلس الثالث وسيفتتح في أول نوبابر من العام المذكور فنرى ماذا يكون منه وكل آت قريب.

طلب المسلم من جاره الروسي التفسح لأجل أداء الصلاة يفسح له من غير إظهار أدنى كراهة فكما أن النظام أن يؤخذ من طلبة الروس نصف النولون في بواخر وولغا كذلك النظام بعينه لطلبة المسلمين إذا كان بيده شهادتنامة من محكمة البوليس أو حكام الناحية بكونه من الطلبة وكما أنه لا يؤخذ الأجرة من الروس إذا لم تكن الحوائج زائدة على واحد پود (١٣ اوقه وثلث اوقه) إذا سلمها لواغون البضاعة كذلك المسلم لا تؤخذ منه الأجرة لذلك القدر وكما أن الكتب والأوراق وسائر ما يتعلق بالمعارف الروسية يؤخذ منها أجرة قليلة بالنسبة إلى سائر الأشياء إذا سلمها لواغون البضاعة كذلك النظام فيما يتعلق بمعارف المسلمين من غير فرق.

وخلاصة الكلام أن المسلمين أسوة للروسية في سائر المعاملات والانتخابات[١] لا فرق بينهم وبينهم قط في معاملة من المعاملات سوى ما مر بيانه وقد عرفت أنهم يطبقونه على النظام في الظاهر وكثير منهم مائلون إلى الإسلام والمسلمين وكثير منهم يسلمون ويتعلمون الضروريات الدينية ويتمسكون بالأحكام الشرعية خفية ولا سيما الأعيان المقيمون بين المسلمين ويوصون ورثتهم وأولياءهم بدفنهم في مقابر على حدة وعلى رسم المسلمين وعاداتهم بعد أن يرضوا القسيسين ببذل حجر پطربورغ لهم للسكوت وكثير منهم من الرجال والنساء يهاجرون إلى بلاد الإسلام وهم كثيرون الآن فيها[٢].

والحاصل أنهم يدركون قبح ما هم فيه من سوء الاعتقاد وحسن ما عليه المسلمون من حسن الاعتقاد وكثيرًا ما يصرحون بذلك ولا سيما أرباب المعارف منهم إلا أن ترك دين آبائهم وتخطئة عادات جدودهم يصعب على كثير منهم جدًا والتكلم في أمر الدين وتخطئة مسلك الروحانيين كان ممنوعًا لدى الحكومة أشد المنع بحيث كان يجري على من صدر عنه ذلك جزاء قتل النفس إلى أن ظهر الكونت ليون بن

---

(١) ويستثنى منها عدم أخذ الروحانيين للخدمة العسكرية فإن هذا لا يجري في علماء المسلمين كما مر وكذلك أمر انتخاب أعضاء الدوما فإن العلماء لا حق لهم فيه الآن وأما قبل ذلك فقد انتخبوا وانتخبوا. منه عفي عنه.

(٢) والآن لا حاجة إلى الهجرة بل يتمسك بالديانة الإسلامية في نفس بلاد الروسية فإن كان الذي أسلم امرأة تتزوج من المسلم لا مانع منه إلا أنه المهتدي لا ينقل من دفتر الروس ولا يثبت في دفتر المسلمين بل يعد في قانون الروس من النصارى ويكون الأولاد كذلك وإذا مات يدفن في مقابرهم وعلى عاداتهم وقد أسلم هذا العام واحدًا من قسيسهم الكبار شهرته غرومق وسمي بيحيىٰ بن إسكندر وهو مقيم الآن ببلدة قزان وأسلمت معه حفيدته الصغيرة. منه عفي عنه.

نيقولاي التولستوي وشرع في تخطئتهم في اعتقادهم وسائر مسلكهم وألف في ذلك رسائل فكفرته جمعية الروحانيين ونشروا الإعلان بذلك في ٢ فيورال سنة ١٩٠١ نمرة ٥٥٧ فرد عليهم أشد الرد وهذه المعاملة مشهورة وترجمة أحواله بالعربية مؤلفة مطبوعة منتشرة فبعد ذلك فتح باب المكالمة في الدين وصار أتباع الكونت تولستوي يعترضون عليهم أشد الاعتراض وينشرونه في الجرائد وبواسطة الرسائل المخصوصة وهم كثيرون ولا يزالون يزيدون يومًا فيومًا والمسلمون لا يخفى عليهم أدنى شيء من ذلك وهم يتهافتون على مطالعة تلك الجرائد والرسائل حتى قيل إن نسخة من نسخ جريدة نووي وريميا التي أدرجت فيها مقالة واحد من أتباع تولستوي لم توجد بخمس روبلة وبهذا يستدل على شدة سخافة عقول طائفة ميسيونير حيث إنهم يحاولون جذب المسلمين نحو دينهم الذي يثبت بطلانه أصحاب العقول وأرباب المعارف والفحول من الرجال المنسوبين إليه وينادون بذلك بأعلى أصواتهم ويجتنب عنه الوثنيون من چواش وچرمش وآر فكيف ينجذب إليه المسلمون خصوصًا ولكنهم من شدة سكرهم من شراب التعصب لا يدركون استحالة ذلك مع كونها أظهر من الشمس نعم حبك الشيء يعمي ويصم.

بيان أحوال هؤلاء التتار في التحصيل والتعليم والتعلم قديمًا وحديثًا على وجه الإجمال

لا يخفى أن فقدان التاريخ في هذا الباب أيضًا يضيق علينا دائرة الكلام فيه كغيره ونحن نتكلم هنا أيضًا حسب ما بلغه علمنا بقرائن الأحوال فيما غاب عنا وعلى اليقين فيما شاهدناه وذقناه.

واعلم أن بناء المكاتب والمدارس هناك بيد الأهالي فهم يبنونها من أموالهم على مقدار قدرتهم فيها وليست هيئة كهيئة المدارس في دار الإسلام من كونها مؤلفة من عدة حجرات يسكن في كل حجرة منها واحدة من الطلبة بل كل من المدرسة والمكتب على هيئة البيوت العادية مختلف في الكبر والصغر ولم يكن بينهما فرق إلى قريب من هذا الوقت بل كانا من قبيل اللفظين المترادفين وإنما حصل الفرق بينهما قريبًا من هذا الوقت فصار يطلق على كل ما يقرأ فيه صغار العلوم مكتبًا وعلى ما يحصل فيه كبارها مدرسة والظاهر أن المكاتب والمدارس قبل عصر يكاترينا الثانية كانت قليلة جدًا وبعد توليتها وإطلاقها الإذن ببناء المساجد والمدارس صارت تزيد شيئًا فشيئًا بالتدريج البطيء إلى ظهور التكاليف الأخيرة عن طرف الحكومة وأما بعد

ظهورها فقد شرعت في الزيادة الخارقة للعادة وصارت الأغنياء ينافس بعضهم بعضًا في بناء المساجد والمكاتب والمدارس كل ذلك رغمًا على تكاليف الحكومة وحمية وغيرة عليها وقد وفقهم الله سبحانه لهذا الأمر الخير بتوفيقاته الصمدانية توفيقًا عجيبًا كما أظهر ايلمينسكي وچيچيرنة أسفهما لذلك مع أن الأمر في حياة إيلمينسكي لم يبلغ هذا المبلغ الذي الآن بل كان أول ظهوره ومبدائه ولبعض الأغنياء وحده مساجد ومكاتب متعددة يقوم بتربيتها وحده وكانت تربية المكاتب أولاً في الأمصار بيد الأغنياء وفي القرى بيد الطلبة إلا إذا كانت قرية فيها الأغنياء فكانوا يقومون بتربيتها وأما الآن فتربية كثير منها بيد الأغنياء ومرادنا بالتربية الحطب الذي يوقد فيها للدفء أيام الشتاء والمطبخ والغاز للتسريج والتعمير إذا احتيج وأما معاش المعلم قدر الكفاية فيعطيه الآن الأغنياء وأما أولاً فكانوا يقنعون بما حصل لهم من الصدقة إلا أن تعليمهم كان سطحيًا كما سيجيء.

وأما كيفية التحصيل وما يحصل فيها فكان أولاً أعني في صغرنا وأوان تحصيلنا كان يقرأ لتعلم الحروف والحركة وتعلم النطق بها على طريق التهجي وربما كان يضيع لأجله مدة سنتين وأكثر وكثير من الصبيان كانوا يخرجون من المكتب من غير أن يعرفوا شيئًا ولا حرفًا واحدًا بعد تضييعهم فيه سنين عديدة وبعض من الصبيان يبيتون في المكتب وبعض منهم يبيتون في بيوت أبائهم وأما الطلبة الكبار فمباتهم في المكتب والمدرسة دائمًا وأوقات التحصيل هناك من أول فصل الخريف إلى أول فصل الربيع أعني من أول أكتوبر إلى أول أبريل والمباشر لتعليم الصبيان هو الإمام والمدرس في المدرسة إن لم يكن هناك كبار الطلبة وإلا فيقسمهم المدرس إلى كبار الطلبة وهو يباشر تعليمهم وإقراءهم والتهجي إنما يكون في القرآن والقدر المستعمل منه لذلك هو من سورة الفتح إلى آخر القرآن وهذا القدر يطبع مستقلاً في قزان يقال له هفتبك يعني سبع القرآن ومبدأ طبع القرآن في الروسية قديم جدًا أعني بالنسبة إلى إستانبول والهند فإنه طبع في پطربورغ أول مرة سنة ١٧٨٧ وفي قزان سنة ١٨٠١ وكان ينشر منها إلى الأطراف والجوانب حتى إلى بلاد إيران وما وراء النهر وكاشغر فضلاً عن قريم وداغستان وقزاقستان وتركستان وبعد تمام التهجي كان يعلم القرآن فمتى توسطه يضم إليه قراءة بعض الرسائل التركية المشتملة على الخرافات الكاذبة لغرض اتقان معرفة قراءة الخطوط ثم كان يترقى بعد ذلك قراءة بعض الرسائل العربية والفارسية كشروط الصلاة وقرق حديث (أربعين حديثًا) واللباب وهما مملوءان بالأحاديث الموضوعة فضلاً عن الضعيفة وما لم يكن

موضوعًا منها فسنده ومخرجه غير مذكوران ومثل يك حكاية من الفارسية وهي مشتملة على حكاية كاذبة موضوعة مفتراة على النبي ﷺ وكأنها وضعها بعض الروافض وبعد ذلك يقرأ كتاب تعليم الصلاة وتحفة الملوك وهما كتابان جيدان مفيدان مع ما في الأول منهما من بعض الأقوال الغير الثابتة ويمضي لأجل تحصيل ذلك سنتان وأكثر.

ثم كان يبدأ بعد ذلك بقراءة علم الصرف من كتاب فارسي اسمه بدان لكونه مبدوا به بمباحث طويلة غير لائقة بالصبيان مخلوطة بالفارسية ثم يقرأ بعد ذلك من الصرف كتاب يسمى شرح عبد الله فارسي أيضًا وهما وإن كانا مما لا بأس به إلا أنه أي مناسبة وحكمة في تعليم أولاد التتار الفن الجديد الصعب بلسان أجنبي لم يقرع سمعهم قبله قط ويمضي لذلك كذلك سنتان وأكثر ثم بقراءة عوامل الجرجاني بتقرير إعرابه بالفارسية كذلك ثم يقرأ شرح أنموذج الزمخشري للأردبيلي وهو شرح غير منقح وغير مهذب ثم يقرأ كافية ابن الحاجب ثم بعض المواضع في شرحه لمولانا عبد الرحمٰن الجامي مع حاشيتي عبد الغفور وعصام وربما يضم إليهما اللبيب وغيره وبه يتم تحصيل النحو ثم يبدأ بقراءة شرح ايساغوجي لحسام الكاتي مع حواشي ملا نعمان وملا صادق ومحيي الدين البردعي وربما يضم إليه حاشية السيالكوتي ثم يقرأ شرح الشمسية للقطبي مع حاشية السيد له ومع حاشية السيالكوتي لها وربما يضم لهما مفتي زاده ثم يقرأ بعض المواضع من شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي والسيالكوتي لها وملا أحمد وربما يضم إليها غيرها ولا يميز في إقراء هذه الكتب بين من يستمر على تحصيله إلى تمامه بختم الكتب عرفًا وبين من يخرج من المدرسة قبل تمامه بل حين قراءته كتاب الشمسية أو قبله فيخرج حينئذ متصفًا بالجهل المركب لم يعرف شيئًا يعتد به ما يلزمه في أمر دينه ودنياه والذي حصل يرميه على باب المدرسة لعدم لزومه عليه ولا يعرف الحساب والكتاب اللازمين لمعيشته خصوصًا في التجارة لعدم الاعتناء بهما هناك ثم يقرأ كتاب السلم في المنطق مع حاشيته للقاضي مبارك الكوفاموي الهندي وربما يضم إليها حاشيتا المولوي حمد الله والمولوي حسن ثم يقرأ ديباجة شرح التهذيب لملا جلال الدواني مع حاشية مير زاهد الهروي له وحاشية القاضي المار ذكره الآن لها وغيرهما ثم يقرأ بعض المواضع في قسم الإلهيات من شرح حكمة العين في الفلسفة القديمة وأما قسم الطبيعيات والرياضيات منها فلا يقرأ منهما حرفًا ثم يقرأ بعض المواضع من التوضيح في أصول الفقه لصدر الشريعة مع حاشيته التلويح للتفتازاني ثم يقرأ بعض المباحث لشرح جلال الدين

الدواني للعقائد العضدية مع حاشيته الخانقاهي وتتمته وغيرهما بالاعتناء التام في تحقيق الوجوه الخمسة في الرد على الفلاسفة القدماء الذين ماتوا وانقرضوا قبل هذا التاريخ بأكثر من ألفي عام في قولهم بقدم العالم المستفاد من قولهم بالقدم والحدوث الذاتيين دون الزمانيين وكان وجه تخصيصهم الاعتناء بذلك مع ترك الرد على ملاحدة هذا الزمان كأنهم أنذروا ببعثهم من قبورهم في آخر الزمان ونبهوا على ذلك وأكد عليهم بالاستعداد في ردهم قبل انبعاثهم في قبورهم أو شيء آخر لم ندركه نحن وربما يقرأ في بعض المدارس بعد البلوغ مرتبة قراءة العقائد النسفية شرعة الإسلام والطريقة المحمدية وعين العلم من الأخلاق ويزعمونها كتب الأحاديث لجهلهم بها ومختصر الوقاية من الفقه وربما بلغني قراءة الهداية أيضًا في بعضها وأما التفسير والحديث فهما متروكان بالكلية وقد أخبرني بعض طلبة الملا محمد كريم أفندي أنه كان يقرئهم المشكاة والبيضاوي والله سبحانه أعلم وبهذا القدر يتم التحصيل وبه يكون ختم الكتب عرفًا وكثير منهم يزعم أنه استكمل الفنون والعلوم كلها بهذا القدر بحيث لم يبق وراءه شيء يستحصل بل يستحيل أن يكون وراءه شيء وإن كان قليل منهم يعتقد أن هذا القدر هو تحصيل الملكة والقابلية والاستعداد لاستحصال ما وراءه من الفنون والعلوم والمعارف والكمالات ولكن لا يشتغل هؤلاء أيضًا باستحصالها لعدم فراغهم من الاشتغال بما يلزمهم في معايشهم الحيوية وبتعليم ما تعلموه للطلبة وهذا أحوال عموم المدارس والمدرسين الذين أدركناهم وحصلنا بهذه الكيفية في مدارسهم نعم هناك بعض المدارس لا يحصل فيها إلا العلوم الضرورية وما هو وسيلة إليها إلا أنها لندرتها كالمعدوم وهم في اختيارهم هذه الكيفية في التدريس تابعون لعلماء بخارى لكون تحصيلهم فيها وأخذهم هذه العلوم بهذه الكيفية عنهم فإنه لا فرق بين الفريقين أعني علماء بلاد قزان وعلماء بخارى في اتخاذهم واختيارهم هذه الكيفية في التدريس والتحصيل إلا أن بخارى لا يقرأ فيه الصرف من أصله ولا شرح النموذج من النحو وكثير من المواضع التي تقرأ في قزان من شرح الجامي للكافية والتفتازاني للنسفية وكتاب السلم من المنطق برأسه ويزاد بدل هذه فيها قراءة الحواشي خصوصًا للعقائد والتهذيب ولا يقرأ فيها ما ذكر من كتب الأخلاق ولا غيرها ولا المختصر إلا في بيوت المدرسين أيام التعطيل والمعرفة والكمالة فيها عبارة عن قراءة الكتب المذكورة بالكيفية المسطورة ليس فيها غيرها قط والعلامة المحقق والفهامة المدقق ووحيد الدهر وفريد العصر والعالم النحرير هو من يقرأها ويدرس عنها على هذه الوتيرة لا

يعرفون غيرها ولا يشتغلون به بل يرون الاشتغال بغيرها من الفقه والحديث والتفسير عبثًا وتضييعًا للوقت[١] نعم إنهم يقرأون تفسير آية أو آيتين من البيضاوي وحديثًا أو حديثين من المشكاة ومبحثًا من الهداية وقت قراءة فاتحة الختم ودعاءه ومع ذلك كانت بخارى تعد معدن العلم والمعارف والكمالات ومنبع العلماء العاملين والفضلاء الكاملين المحققين المدققين لا يذكر اسمه إلا مقارنًا للتشريف فيقال بخاراي شريف ويظن أنه على حالته الأولى لم يتغير منها شيء ولا يجوز تغيرها وتجويزه من جملة الكبائر التي خفيت على المحقق ابن حجر ولذا لم يذكره في الزواجر وهذا الظن كان عامًا إلى قريب من هذا الوقت ولذلك كان المستعدون من أرباب التحصيل يعدون السفر إلى بخارى للتحصيل والإقامة فيه سنتين أو ثلاثًا على الأقل فرضًا لازمًا على أنفسهم وكانوا يعتقدونها مفخرة عظيمة ولكن لما اتصل البلاد بعضها ببعض وتقاربت الطرق وسهل السفر إلى البلاد البعيدة والممالك الشاسعة بسبب حدوث البواخر والسكك الحديدية وشرعت المستعدون يرتحلون ويسافرون إلى الآستانة ومصر والحرمين الشريفين بعد إقامتهم ببخارى مدة من الزمان أدركوا خطأ الظن السابق حين رأوا فرقًا كثيرًا وبونًا بعيدًا بين بخارى وبين تلك البلاد في العلوم والمعارف والكمالات وأيقنوا أن الحكم على بخارى بكونه معدن العلم والكمالة ليس هو بالنظر إلى حالته الحاضرة بل بالنظر إلى حالته الغابرة بحكم استصحاب الحال الذي هو دليل عند البعض عند عدم دليل سواه فصاروا يفهمون ذلك سائر المستعدين فترك كثير منهم بعد ذلك الرحلة إلى بخارى لطلب العلم وطفقوا يفدون لأجله إلى البلاد المذكورة[٢].

---

(١) وليس لأكثرهم ما يجوز به الصلاة من القراءة وكذلك علماء قزان مع أنهم أئمة في الصلاة والذين لهم نوع معرفة بالقراءة مبتلون بإسكان أواخر الآيات وقت الوصل وهي عادة عامة مستمرة فيهم لا يستثنى منهم فيها أحد ومن نبه على خطأهم لا يصغون ولا يلتفتون إليه قط ولهم اعتناء تام في تقليد أهل بخارى في جميع شؤونهم حتى في وضع طرف اليسار من الثوب على اليمين على خلاف السنة وليس هذا مخصوصًا بمن أقام منهم ببخارى بل يوجد في غيرهم أيضًا، منه عفي عنه.

(٢) ولكن يا للأسف ألف أسف على أن بعض من رجعوا من مصر صاروا عارين عن الديانة والآداب الإسلامية والاستقامة فبذلك توقف الناس عن إرسال أولادهم إلى تلك الديار وهم محقون فيه فإن مطاليب المسلمين هي هذه الأشياء فإذا فقدت فائدة اكتسبنا بدلها هدانا الله وإياهم إلى سواء الصراط منه عفي عنه.

والحاصل أن الممالك والبلاد والأقوام والدول والملل يتطورون إلى أطوار كثيرة من السعادة والشقاوة كما يتطور إليها الأشخاص كما قال الشاعر، شعر:

وإذا نظرت إلى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى البلاد وتسعد

وهذا وإن كان ظاهرًا اليوم في كافة ممالك المسلمين وبلادهم إلا أنه في بلاد الإيران أعني عراق العجم أظهر فإنه كان أولاً رياض المفسرين وبستان المحدثين وحدائق الفقهاء والصالحين فانظر إليها الآن تجدها مأوى الشياطين ثم بعد ذلك في بخارى وراقم هذه الحروف وجدت لها بعد التفكر الكثير والتأمل الطويل في أحوالها ومجرياتها ثلاثة أدوار كل دور منها أدون من سابقه في العلوم والمعارف.

الدور الأول من ابتداء القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري وظهور چنكزخان أعني مدة ٤٠٠ سنة فإن الإمام أبا حفص الكبير أحمد بن حفص تلميذ الإمام محمد الشيباني رحمهما الله تعالى لما جاءها بفقه الإمام الأعظم أبي حنيفة[١] رضي الله من طرف دار السلام ودار الخلافة بغداد وزرعه في تلك الأراضي المباركة استوعب الزرع المذكور كافة أطراف تلك الأراضي واستغرق جميع أقطارها بل أكناف ممالك توران وبلاد تركستان كفرغانة والشاش وأسبيجاب وطراز وصغناق في مدة يسيرة على سبيل خرق العادة فأدرك فيها في زمن يسير أصحاب التخريج وأرباب الترجيح والفتاوى وشمس الأئمة الحلواني[٢] وشمس الأئمة السرخسي[٣] وأصحاب

---

(١) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز مرزبان بن بهرام الإمام الأعظم المجتهد أبو حنيفة الكوفي البغدادي، ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، توفي سنة ١٥٠ هـ، من تصانيفه: «رسالته إلى عثمان البتي قاضي البصرة»، «الفقه الأكبر» وعليه شروح، «كتاب الرد على القدرية»، «كتاب العالم والمتعلم»، «المسند» في الحديث (كشف الظنون ٦/ ٤٩٥).

(٢) شمس الأئمة الحلواني: هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخاري، شمس الأئمة أبو محمد الحلواني، بالفتح والسكون، الفقيه الحنفي، توفي سنة ٤٥٦ هـ، من تصانيفه: «البسيط في علم الشروط»، «رزين» مجموع في الفقه، «شرح أدب القاضي لأبي يوسف»، «شرح جامع الكبير للشيباني»، «شرح الحيل الشرعية للخصاف»، «شرح السير الكبير للشيباني»، «الفتاوى»، «كتاب الكسب»، «كتاب النفقات»، «كتاب النوادر»، «مبسوط في الفروع»، «واقعات في الفروع». (كشف الظنون ٥/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨).

(٣) شمس الأئمة السرخسي: هو محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، الإمام شمس الأئمة، أبو بكر الفقيه الحنفي، المتوفى سنة ٤٨٣ هـ، صنف من الكتب: «الأصول في الفقه»، «أمالي في الفقه»، «شرح أدب القاضي لأبي يوسف»، «شرح الجامع الصغير للشيباني»، «شرح الجامع=

المحيطات الأربعة[١] وفخر الإسلام[٢] وصدر الإسلام[٣] البزدويين والشيخ أبو منصور الماتريدي[٤] إمام أهل السنة والحاكم الشهيد[٥] وبرهان الدين الكبير والصدر الشهيد[٦]

= الكبير للشيباني»، «شرح الحيل الشرعية للخصاف»، «شرح زيادات الزيادات للشيباني»، «شرح السير الكبير في الفقه»، «شرح كتاب الكسب للشيباني»، «شرح مختصر الطحاوي»، «صفة أشراط الساعة»، «المبسوط في الفروع» وهو شرح الكافي للصدر الشهيد، «المحيط في الفروع»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ٧٦).

(١) أصحاب المحيطات الأربعة: لعله يقصد الكتب التالية:

١ ـ المحيط البرهاني في الفقه النعماني: للشيخ الإمام العلامة برهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد بن الصدر الشهيد برهان الأئمة عبد العزيز بن عمر بن مازه البخاري الحنفي المتوفى سنة ٦١٦ هـ.

٢ ـ المحيط الرضوي: لرضي الدين ابن العلاء الصدر الحميد تاج الدين محمد بن محمد بن محمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

٣ ـ محيط السرخسي: لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ.

٤ ـ المحيط: للشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٣٨ هـ.

(٢) فخر الإسلام البزدوي: هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي، فخر الإسلام، أبو الحسن الفقيه الحنفي، ولد سنة ٤٠٠ هـ، وتوفي بسمرقند سنة ٤٨٢ هـ، من تصانيفه: «كنز الوصول إلى معرفة الأصول»، «أمالي»، «تفسير القرآن»، «الجامع الكبير في الفروع»، «سيرة المذهب في صفة الأدب»، «شرح تقويم الأدلة» في الأصول، «شرح الجامع الصحيح للبخاري»، «شرح الجامع الصغير للشيباني» في الفروع، «شرح زيادة الزيادات للشيباني»، «غناء الفقهاء» في الفروع، «كشف الأستار» في التفسير، «المبسوط» في الفروع. (كشف الظنون ٥/ ٦٩٣).

(٣) صدر الإسلام البزدوي: هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي، صدر الإسلام، أبو اليسر الحنفي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ، صنف: «المبسوط» في الفروع، «واقعات» (كشف الظنون ٦/ ٧٧).

(٤) أبو منصور الماتريدي: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

(٥) الحاكم الشهيد: هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المجيد بن إسماعيل المروزي، أبو الفضل البلخي الشهير بالحاكم الشهيد، من أكابر فقهاء الحنفية، توفي شهيدًا سنة ٣٣٤ هـ، من تصانيفه: «الغرر في الفقه»، «الكافي في الفروع»، «المستخلص من الجامع» في الفروع، «المنتقى» في الفروع. (كشف الظنون ٦/ ٣٧).

(٦) الصدر الشهيد: هو عمر بن برهان الدين الكبير عبد العزيز بن عمر بن مازه، حسام الدين أبو محمد، الفقيه الخراساني الحنفي الشهيد، ولد سنة ٤٨٣ هـ، وتوفي شهيدًا بسمرقند سنة ٥٣٦ هـ، من تصانيفه: «الأجناس» المعروف بالواقعات في الفروع، «أصول الفقه»، «الجامع الصغير في الفروع»، «شرح أدب القاضي لأبي يوسف»، «شرح أدب القضاء للخصاف»، «شرح الجامع الصغير للشيباني» في الفروع، «شرح الجامع الكبير للشيباني»، «عمدة المفتي=

والفقيه أبو الليث السمرقندي[١] وأبو حفص نجم الدين عمر النسفي[٢] والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[٣] صاحب الجامع الصحيح وأبو عيسى[٤] والحكيم محمد بن علي[٥] الترمذيين والإمام الزاهد المفسر وأبو نصر الفارابي[٦] وأبو

= والمستفتي»، «فتاوى الصغرى»، «فتاوى الكبرى»، «كتاب الشيوع» (لعله البيوع، «كتاب التراويح»، «كتاب التزكية»، «كتاب طبيخ العصير»، «كتاب النفقات»، (كشف الظنون ٥/ ٧٨٣).

(١) أبو الليث السمرقندي: هو نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، الفقيه الحنفي السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، توفي سنة ٣٧٣ هـ، له من المصنفات: «بستان العارفين»، «تفسير القرآن»، «تنبيه الغافلين»، «حصر المسائل في الفروع»، «خزانة الفقه»، «دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار»، «شرح الجامع الصغير للشيباني»، «عيون المسائل»، «الفتاوى» «مبسوط في الفروع»، «مختلف الرواية في مسائل الخلاف»، «مقدمة في الفقه»، «نوادر الفقه»، «النوازل» في الفروع. (كشف الظنون ٦/ ٤٩٠).

(٢) أبو حفص نجم الدين عمر النسفي: هو الشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد، صاحب «عقائد النسفي»، المتوفّى سنة ٥٢٧ هـ. (كشف الظنون ٢/ ١١٤٥).

(٣) البخاري: هو الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الإمام الحافظ، أبو عبد الله البخاري، ولد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ. من تصانيفه: «الأدب المفرد»، في الحديث، «أسماء الصحابة»، «الأسماء والكنى»، «التاريخ الصغير»، «التاريخ الكبير»، «تفسير القرآن»، «الجامع الصحيح»، «الجامع الصغير»، «الجامع الكبير»، «خلق أفعال العباد»، «العوالي في الحديث»، «كتاب الأشربة»، «كتاب الرقاق»، «كتاب السنن في الفقه»، «كتاب الضعفاء»، «كتاب الفوائد»، «كتاب القراءة خلف الإمام»، «كتاب الوجدان»، «كتاب الهبة»، «المبسوط في الحديث» وغير ذلك (كشف الظنون ٦/ ١٦).

(٤) أبو عيسى الترمذي: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، الإمام الحافظ، أبو عيسى الضرير البوغي الشهير بالترمذي، المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ، من مصنفاته: «الجامع الصحيح» في الحديث أحد الكتب الستة، «الرباعيات» في الحديث، «شمائل النبي ﷺ»، «كتاب التاريخ»، «كتاب العلل في الحديث». (كشف الظنون ٦٥/ ١٩).

(٥) الحكيم الترمذي: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حسن بن بشير المؤذن، الحكيم الترمذي المتوفّى شهيدًا سنة ٢٥٥ هـ، وله من المصنفات أيضًا: «إثبات العلل للشريعة»، «ختم الأنبياء»، «ختم الأولياء»، «رياضة النفس»، «شرح الصلاة»، «نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ»، «غرر الأمور»، «غرس الموحدين»، «كتاب الاحتياط»، «كتاب الفروق»، «كتاب المناهي في إثبات العلل»، «منهاج العبادة». (كشف الظنون ٦/ ١٥، ١٦).

(٦) الفارابي: هو محمد بن محمود بن أوزلغ بن طرخان الفارابي أبو نصر الحكيم الفيلسوف، ويعرف بالمعلم الثاني من أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل إلى بغداد فنشأ بها وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام وتوفي في دمشق سنة ٣٣٩ هـ، وكان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، صنف من الكتب: «كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة»، «كتاب اتفاق أرسطو وأفلاطون في الجن»، «كتاب الاجتماعات المدنية»، «كتاب إحصاء الإيقاع»، «كتاب إحصاء العلوم»، «كتاب=

علي بن سينا[١] وغيرهم من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة الكبار الذين لا

= إحصاء القضايا»، «كتاب أرسطوطاليس»، «كتاب أسباب السعادة»، «كتاب الأشياء التي تحتاج أن تعلم قبل الفلسفة»، «كتاب أصناف الأشياء البسيطة»، «كتاب في أغراض أرسطوطاليس»، «كتاب اكتساب المقدمات»، «كتاب الألفاظ والحروف»، «كتاب الإيقاعات»، «كتاب الباريمينياس»، «كتاب البرهان»، «كتاب التأثيرات العلوية»، «كتاب تعليق إيساغوجي على فرفوريوس»، «كتاب التوسط بين أرسطوطاليس وجالينوس»، «كتاب التوطئة في المنطق»، «كتاب الجدل»، «كتاب في الجزء»، «كتاب جوامع السياسة»، «كتاب جوامع كتاب النواميس لأرسطوطاليس»، «كتاب جوامع لكتب المنطق»، «كتاب الجوهر»، «كتاب الحيز والمقدار»، «كتاب الحيل والنواميس»، «كتاب الخطابة»، «كتاب الدعاوى المنسوبة إلى أرسطوطاليس في الفلسفة»، «كتاب الرد على ابن الراوندي في الجدل»، «كتاب الرد على جالينوس»، «كتاب الرد على الرازي في العلم الإلهي»، «كتاب الرد على يحيىٰ النحوي»، «كتاب الرؤيا»، «كتاب السبب إلى صناعة المنطق»، «كتاب السعادة الموجودة»، «كتاب السماع الطبيعي»، «كتاب السياسات المدنية»، «كتاب شرائط البرهان»، «كتاب شرائط اليقين»، «كتاب شروط القياس»، «كتاب الشعر والقوافي»، «كتاب صناعة الكتابة»، «كتاب العقل الصغير»، «كتاب العقل الكبير»، «كتاب العلم الإلهي»، «كتاب عيون المسائل على رأي أرسطوطاليس»، «كتاب غرض المقولات»، «كتاب الفحص المدني»، «كتاب الفرد»، «كتاب الفصول المسرعة للاجتماعات»، «كتاب الفصول المنتزعة من الأخبار»، «كتاب فلسفة أفلاطون وأرسطو»، «كتاب الفلسفتين»، «كتاب في أن حركة الفلك سرمدية»، «كتاب القوة المتناهية وغير المتناهية»، «القياسات التي تستعمل الموسيقى»، «كتاب القياس الصغير»، «كتاب الكناية»، «كتاب اللغات»، «كتاب مبادىء آراء المدينة الفاضلة»، «كتاب المبادىء الإنسانية»، «المختصر الأوسط في القياس»، «كتاب مختصر جمع الكتب المنطقية»، «كتاب المختصر الصغير في المنطق»، «كتاب المختصر الكبير»، «كتاب المدخل في المنطق»، «كتاب المدخل إلى الهندسة الوهمية»، «كتاب المدينة الفاضلة»، «كتاب ما ينبىء أن يتقدم الفلسفة»، «كتاب المستغلق من كلامه»، «كتاب المغالطين»، «كتاب المقاييس»، «كتاب المقدمات»، «كتاب المواضع المنتزعة من الجدل»، «كتاب الموجودات المتغيرة»، «كتاب الموسيقى الكبير»، «كتاب النجوم»، «كتاب النواميس»، «كتاب الواحد والوحدة»، «كتاب الوحدة»، «كتاب الهوى»، «رسالة التنبيه على أسباب السعادة»، «رسالة في قود الجيوش»، «رسالة في ماهية النفس»، «شرح الآثار العلوية لأرسطوطاليس»، «شرح إيساغوجي لفرفوريوس»، «شرح باريمنياس لأرسطوطاليس»، «شرح البرهان لأرسطوطاليس»، «شرح الخطابة لأرسطوطاليس»، «شرح السماء والعالم لأرسطوطاليس»، «شرح السماع الطبيعي لأرسطوطاليس»، «شرح صدر كتاب الأخلاق لأرسطوطاليس»، «شرح العبارة لأرسطوطاليس»، «شرح القياس لأرسطوطاليس»، «شرح لباب العبارة». «شرح المجسطي لبطليموس»، «شرح المستغلق في المصادرة»، «شرح المغالطة»، «شرح مقالة النفس لإسكندر»، «شرح المواضع المستغلقة من كتاب قاطيغورياس»، «شرح نيل السعادات». وغير ذلك من كلام ومقالات في فنون شتى، (كشف الظنون ٦/ ٣٩ ـ ٤٠).

(١) أبو علي بن سينا: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

يحصيهم العد ولا يحصرهم الإحصاء والحد وآخرهم الإمام قاضيخان[١] المتوفّى في سنة ٥٩٢ وصاحب الهداية[٢] المتوفّى في سنة ٥٩٣ وفي هذا الدور كان بخارى معدنا لجميع العلوم والكمالات ومجمعًا لكافة المعارف والفنون ومنبعًا للفحول من الرجال الأفاضل وموصوفًا بالشرافة بحق بلا ريب ولا شبهة.

والدور الثاني من أوائل القرن السابع الهجري إلى آخر القرن العاشر الهجري أعني من خروج چنكزخان إلى أواسط عصر الخوانين الأوزبكية مدة ٤٠٠ سنة أيضًا وهذا الدور وإن كان شأنه أنقص من شأن الدور السابق إلا أن بين أوله وبين آخر السابق مشابهة تامة ومناسبة كاملة حيث لم تنطف فيه أنواع العلوم ولم تذبل أزهار المعارف والفنون فيه باستيلاء التتار عليهم لعدم تعرضهم للدين والعلم والعلماء فبقي من تلامذة العلماء الغابرين علماء أعلام وفضلاً ذوو الأفهام والمحققون العظام كشراح الهداية قاطبة وشمس الأئمة الكردري[٣] والإمام مختار الزاهدي[٤] وأبو البركات حافظ الدين النسفي[٥]

---

(١) قاضيخان: هو الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي، الإمام فخر الدين، أبو المحاسن قاضيخان الفرغاني الحنفي، توفي سنة ٥٩٢ هـ، من تصانيفه: «آداب الفضلاء» في اللغة، «الأمالي» في الفقه، «شرح أدب القاضي للخصاف»، «شرح الجامع الصغير للشيباني»، «شرح الجامع الكبير للشيباني»، «الفتاوى»، «كتاب المحاضر»، «الواقعات» في الفروع، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٢٨٠).

(٢) صاحب الهداية: هو كتاب «الهداية» في الفروع لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر الشيباني المرغيناني الحنفي المتوفّى سنة ٥٩٣ هـ، وله أيضًا من المصنفات: «بداية المبتدي» في الفروع «التجنيس والمزيد وهو لأهل الفتوى غير عنيد»، «شرح الجامع الكبير للشيباني»، «فرائض العثماني»، «كفاية المنتهى في شرح بداية المبتدي»، «مختارات مجموع النوازل»، «مناسك الحج»، «منتقى الفروع»، «نشر المذاهب»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٧٠٢).

(٣) الكردري: هو محمد بن محمد بن عبد الستار العمادي، حافظ الدين شمس الأئمة، أبو الوجد الكردري الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥٥٩ هـ، وتوفي ببخارى سنة ٦٤٢ هـ، له من المصنفات: «تأسيس القواعد في عصمة الأنبياء»، «الرد والانتصار لأبي حنيفة إمام فقهاء الأمصار»، «الفوائد المنيفة في الذبّ عن أبي حنيفة»، «كتاب في حل مشكلات القدوري». (كشف الظنون ٦/ ١٢٢).

(٤) الزاهدي: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

(٥) حافظ الدين النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين أبو البركات النسفي الحنفي، توفي سنة ٧١٠ هـ، من تصانيفه: اعتماد الاعتقاد»، «شرح المنتخب في أصول المذهب الأجسيكتي»، «شرح الهداية للمرغيناني»، «عمدة العقائد» في الكلام، «فضائل الأعمال»، «الكافي شرح الوافي»، «كشف الأسرار في شرح المنازلة»، «كنز الدقائق» في الفروع، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» في تفسير القرآن، «اللآلىء الفاخرة في علوم الآخرة»، =

وصاحب الوقاية[١] وصدر الشريعة[٢] وصاحب الكشف[٣] ممن يعسر تعدادهم وقد كان التفتازاني[٣] والسيد الشريف الجرجاني[٤] وغياث الحكماء والقاضي زاده الرومي[٥]

= «المستصفى شرح النافع»، «المستوفى» في الفروع، «المصفى في مختصر المستصفى»، «منار الأنوار» في الأصول، «الوافي» في الفروع. (كشف الظنون ٥/ ٤٦٤).

(١) صاحب الوقاية: هو كتاب «وقاية الرواية في مسائل الهداية» للإمام برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي.. (انظر كشف الظنون ٢/ ٢٠٢٠).

(٢) صدر الشريعة: هناك اثنان يلقبان بصدر الشريعة: الأول: صدر الشريعة الأكبر: وهو شمس الدين أحمد بن جمال الدين عبيد الله بن إبراهيم بن أحمد المحبوبي، صدر الشريعة الأول البخاري الحنفي، أخذ عن والده عبيد الله وعن صاحب شرعة الإسلام، وتوفي في حدود سنة ٦٣٠ هـ، له من الكتب: «تلقيح العقول في فروق النقول والأصول» (كشف الظنون ٥/ ٩٥).
والثاني: صدر الشريعة الثاني، وهو عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة عمر ابن صدر الشريعة الأول أحمد بن جمال الدين عبيد الله المحبوبي البخاري الفقيه الحنفي المعروف بصدر الشريعة الثاني، توفي سنة ٧٤٧ هـ، من تصانيفه: «أربعون حديثًا استنبط منها الأحكام واستشهد عليها بالآيات والأحاديث»، «تعديل العلوم»، «تنقيح الأصول»، «التوضيح في حل غوامض التنقيح»، «شرح فصول الخمسين» في النحو، «شرح وقاية الرواية لبرهان الشريعة»، «شرح تعديل العلوم»، «المقدمات الأربع»، «النقاية في مختصر الوقاية»، «الوشاح في المعاني والبيان» (كشف الظنون ٥/ ٦٤٩، ٦٥٠).

(٣) التفتازاني: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

(٤) السيد الشريف الجرجاني: هو علي ابن السيد محمد بن علي الجرجاني، أبو الحسن الشهير بالسيد الشريف، العلامة المحقق الحنفي، ولد بجرجان سنة ٧٤٠ هـ، وتوفي بشيراز سنة ٨٠٦ هـ، له من التصانيف: «الأجوبة لأسئلة الإسكندر من ملوك تبريز»، «الإشارات والتنبيهات»، «تعريفات السيد»، «تفسير الزهراوين»، «حاشية على أوائل التلويح للتفتازاني»، «حاشية على خلاصة الطيبي»، «حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي»، «حاشية على تشييد القواعد»، «شرح تجريد العقائد للأصبهاني»، «حاشية على شرح القطب لحكمة العين»، «حاشية على شرح الكافية للرضي»، «حاشية على الكشاف»، «حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة»، «حاشية على لوامع الأسرار»، «شرح مطالع الأنوار»، «في المنطق والحكمة»، «حاشية على مشكاة المصابيح»، «حاشية على المطول للتفتازاني»، «رسالة في تقسيم العلوم»، «رسالة القدر»، «رسالة في الوجود»، «رسالة في الوضع»، «شرح الآداب لعضد الدين الإيجي»، «شرح تذكرة النصيرية» في الهيئة، «شرح فرائض السجاوندي»، «شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب»، «شرح المواقف» في الكلام «شرح الهداية للمرغيناني»، «الشريفية في شرح الكافية لابن الحاجب»، «كليات في ماهيات الأشياء»، «المصباح في شرح المفتاح للسكاكي»، «مقدمة في الصرف» فارسي، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٢٨ ـ ٧٢٩).

(٥) القاضي زاده الرومي: هو شمس الدين أحمد بن بدر الدين محمود الأدرنوي المعروف بقاضي زاده شيخ الإسلام الرومي الحنفي المتوفى سنة ٩٨٨ هـ، من تصانيفه: «تعليقة على التلويح في=

وعلي القوشجي[١] ومولينا الجامي[٢] كلهم من رجال هذا الدور وخاتمتهم وأواخرهم أبو المكارم المتوفّى سنة ٩٠٧ وعبد العلي البرجندي[٣] المتوفّى سنة ٩٣٢ والفاضل العصام المتوفّى سنة ٩٤٤ والقهستاني المتوفّى سنة ٩٥٠ أو بعدها رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

والدور الثالث هو من أول القرن الحادي عشر إلى زماننا هذا أعني مدة ٣٢٥ سنة وهو دور انطفاء أنوار العلوم وذبول أزهار المعارف والفنون بالتمام بحيث لا مشابهة بينه وبين سابقه ولا مناسبة بينهما بوجه من الوجوه قط فإنك إذا فتشته بكمال الدقة وإمعان النظر لا تجد فيه أثرًا من الآثار المشابهة لآثار الدور الثاني فضلاً عن الدور الأول وغاية ما يوجد فيه من الآثار حاشية الخانقاني على شرح ملا جلال وتتمته وحاشية آخوند شيخ على أوائل شرح التهذيب وحاشيتا مولوي شريف وحاشية ملا قاسم لشرح العقائد وما أشبه ذلك وهذه كما ترى لا مناسبة بينها وبين آثار الدور

= كشف حقائق التنقيح» في الأصول، «حاشية على بحث الماهية من شرح تجريد العقائد»، «حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة»، «شرح مفتاح العلوم» في المعاني، «فرائد الفوائد في بيان العقائد»، «نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار في تكملة فتح القدير». (كشف الظنون ٥/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(١) علي القوشجي: هو علي بن محمد السمرقندي الأصل ثم الرومي الحنفي، علاء الدين الشهير بالقوشجي، المتوفّى سنة ٨٧٩ هـ، من تصانيفه: «تاريخ» فارسي، «جواهر التفسير للزهراوين»، «رسالة في الجمعة»، «رسالة في حل أشكال القمر»، «رسالة المحمدية» في الحساب، «رسالة في موضوعات العلوم»، «رسالة في الهيئة» فارسي، «شرح تجريد العقائد»، «شرح الشافية» في التصريف، «شرح الكافية لابن الحاجب»، «الفتحية في الهيئة البسطية» وغير ذلك (كشف الظنون٥/ ٧٣٦).

(٢) الجامي: هو عبد الرحمٰن بن نظام الدين أحمد الغلامي، نور الدين الجامي، شيخ الإسلام الهروي، الأديب الصوفي، ولد سنة ٨١٧ هـ، وتوفي سنة ٨٩٨ هـ، له من الكتب «أشعة اللمعات في شرح لمعات العراقي»، «تاريخ هراة»، «تفسير القرآن»، «ديوان شعره»، «رسالة في سلسلة النقشبندية»، «سلسلة الذهب في ذم الروافض»، «شرح فصوص الحكم للشيخ الأكبر»، «مناسك الحج»، «مناقب الشيخ جلال الدين الرومي»، «نفحات الأنس من حضرات القدس» في طبقات المشايخ، وغير ذلك الكثير (كشف الظنون ٥/ ٥٣٤).

(٣) البرجندي: هو عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندي الحنفي المتوفّى سنة ٩٣٢ هـ، له: «حاشية على شرح ملخص الجغميني لقاضي زاده»، «شرح التذكرة النصيرية في علم الهيئة»، «شرح زبدة الأصول»، «شرح الرسالة العضدية في المناظرة»، «شرح الفوائد البهائية في الحساب»، «شرح المجسطي»، «شرح المنار للنسفي» في الأصول، «شرح النقاية مختصر الوقاية». (كشف الظنون ٥/ ٥٨٦).

الثاني ومع ذلك إن هذه الآثار إنما ألفت في حدود سنة ١١٠٠ وقبلها وأما بعدها فلا يرى فيه شيء من ذلك بل الذي ألفينا عليه علماء بخارى ومدرسيها أنهم لا يقدرون قراءة سطر من الكتب الغير المستور بينهم من غير غلط أو يقرأونه بغاية الصعوبة والبطائة فإن كنت في ريب مما كتبناه فاسأل به خبيرًا أو لأنبئك مثل خبير وجربهم أنت بنفسك إذا لقيتهم تعرف صدق لهجة الفقير فإذا أحطت بذلك علمًا فاحكم بكون بخارى الآن معدنًا للعلوم والكمالات والفنون أو لا فإنك مختار ولا بغض فينا على بخارى ولا على أهلها ولا عداوة تقتضي التحامل عليهم وإنما بينا ما بلغه علمنا القاصرين على حقيقة الحال وهذا هو سر ذكر أحوال بخارى هنا مع كونها خارجة عن موضوع بحثنا فإن الشيء بالشيء يُذكَر وإلحاق النظير بالنظير بوجه من المناسبة مما لا يستنكر فلنرجع الآن إلى ما كنا بصدد بيانه.

فأقول إن الزمان لا يدوم على حالة واحدة من جهة الترقي والتنزل بل يترقى فيه قوم ويتنزل الآخرون كما هو المشاهد وربما تتسبب الحالة السيئة للحالة الحسنة والمصائب للفرج ومصداق هذا القول إن تكاليف الحكومة المذكورة سابقًا صارت سببًا لتنبه أفكار الأهالي وحصول الانتباه فيهم عن رقدتهم ولو في الجملة وذلك أنهم رأوا أثناء جولاتهم في البلاد ودورانهم بين الأمم والعباد طلبًا لأسباب التخلص عن تلك التكاليف إن أحوالهم ومسالكهم في التحصيل لا يشبه أحوال الأمم الراقية على قمم المعارف والمدنية ومسالكهم فيه بوجه من الوجوه بل إنهم يضيعون أوقاتهم التي لا عوض لها قط فيما لا ينفعهم أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة حيث إنهم لا يشتغلون بالعلوم الدينية من الفقه والتفسير والحديث والأخلاق وما تتوقف هي عليه كالعلوم العربية مثل السلف الصالحين ولا بالمعارف العصرية التي تنفع وتفيد في الدنيا كالأقوام المترقية المتمدنة الذين ليس تسلطهم علينا إلا بسبب اشتغالهم بها واتقانهم إياها لا بالقوة الجسمانية. على إننا إذا أمعنا النظر على أحوال السلف نجدهم قد جمعوا بين العلوم الدينية والمعارف والفنون المتداولة المستملة في عصرهم كما لا يخفى على من تتبع أحوالهم وإن الترتيب الذي اختاروه في التعليم يشبه في جنب ترتيب الأقوام المتمدنة فيه عربة تجرها الثيران في موحل بالنسبة إلى السكة الحديدية فتنبهت أفكارهم واستيقظوا عن رقدة الغفلة وقالوا ما بالنا نتقهقر فراسخ فراسخ حين يتقدم الملل المتمدنة برائد برائد وما شأننا نقلد أهالي ما وراء النهر في خطئهم بعد تحقق كونه خطأ لذي العينين وإلى متى نظن بهم الظن الغير المطابق للواقع أليس هذا من الحماقة أليس هذا من الغواية أليس انقراضًا وراء آذاننا وتحت أنوفنا إن استمررنا

على هذا المسلك تعالوا! نرفض هذا المسلك المؤدي بنا إلى وادي الانقراض قريبًا ونعدله ونختار في التحصيل مسلكًا يطابق مسلك الأقوام المترقية المتمدنة فيه وقد انتشرت الأصول الصوتية في بلاد أوروبا منذ مدة مديدة ودخلت إستانبول أيضًا فأدخلها الغيور صاحب الحمية إسماعيل ميرزا القريمي إلى تلك البلاد أيضًا وشرع في تعليمها المتعلمين وطفق يؤلف في ذلك الرسائل المفيدة وينشر بيان فوائدها بواسطة جريدتها الترجمان وكان ابتداء تأسس الجريدة المذكورة في سنة ١٨٨٢ م مصادفة سنة ١٢٩٩ هـ فقبلها بعض الأعيان بتلك البلاد وقد عاد بعض الطلبة الذين تعلموا الأصول المذكورة من إستانبول فصارت تنتشر فيها تدريجًا تدريجًا بطيئًا جدًا فترك بذلك طريق التهجي وقصرت المسافة من هذه الجهة ثم ألغيت قراءة الرسائل المشتملة على الخرافات الباطلة واختيرت بدلها الرسائل المبينة للاعتقادات والعبادات والمعاملات فصارت الصبيان يتعلمون بتعليم واحد الحروف والحركات وكيفية النطق بالحرف وكتابته وبتعليم آخر وكيفية النطق بالكلمات أعني كيفية القراءة والاعتقادات والعبادات والمعاملات.

ثم ترجمت كتب الصرف بلغة التتار وكذلك العوامل حتى بعض كتب النحو الابتدائية فقصرت المسافة من هذه الجهة أيضًا جدًا وسهل التعليم والتعلم وعين للتعليم معلمون مخصوصون برواتب شهرية لا يشتغلون بشيء سوى التعليم وعينت أوقات التعليم ومجيء الصبيان إلى المكتب والانصراف عنه وكل ذلك كان أولاً مفقودًا ثم أخرج بعض الكتب عن جداول التحصيل مما ليس له نفع وأدخل فيها ما له لزوم مثل العربية أعني المعاني والبيان والبديع والعروض ومثل العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه وعدل علم الكلام باختيار قراءة عقائد السلف كبيان السنة للإمام الطحاوي[1] وصار القرآن يقرأ من ابتداء الأمر على العموم بقواعد التجويد وأدخل مبادىء بعض المعارف العصرية كالحساب، جغرافيا والهندسة والتاريخ وصار يعتنى بعلم الخط إملاء وإنشاء فأصلحت كيفية التحصيل صلاحًا بيّنًا جدًا بحيث يورث الفرح

(١) الطحاوي: هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، أبو جعفر الطحاوي الفقيه الحنفي، ولد بمصر سنة ٢٢٩ هـ، وتوفي سنة ٣٢١ هـ، له من التصانيف: «أحكام القرآن»، «بيان السنة والجماعة»، «شرح الجامع الصغير والكبير للشيباني»، «عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، «كتاب التاريخ»، «كتاب الشروط الصغير»، «كتاب الشروط الكبير»، «كتاب المحاضرات»، «المشكاة»، «معاني الآثار»، «نوادر الفقه»، «نوادر القرآن»، (كشف الظنون ٥/ ٥٨ ـ ٥٩).

والسرور. يزيد الرجاء في المستقبل والذي اعتنى به اعتناء شديدًا وقاسى الصعوبة والشدائد في إجرائه بالتماع الأذى الكثير من السفهاء وبتأليف الرسائل المفيدة للصبيان هو العالم الفاضل الشيخ عالمجان أفندي القزاني البارودي أطال الله بقاه ونفع به الطالبين الصادقين[1] وكانت الطلبة أولاً يباشرون أمر الطبخ بأنفسهم فصار الآن يعد لهم الأكل والشرب من طرف خادم ومباشر مخصوص لذلك وذلك بجمع مصارف الطلبة كلهم في كيس واحد من كل منهم على قدر حاله واستطاعته وبإعانة الأغنياء في إكمال النواقص وإعداد آلات الطبخ والحطب فانتظم الأمر من هذه الجهة أيضًا وانتظمت سوى ما ذكر كثير من أمور المدارس وشؤونها مما يطول شرحه وسهل التحصيل جدًا واشتهرت هذه الطريقة من التحصيل في تلك البلاد بالأصول الجديدة يعني طريقة التعليم وكيفيته الجديدة كما لا يخفى وحيث شوهدت فوائدها خصوصًا في الصبيان والصغار أقبل عليه الأغنياء ذوو اليسار إقبالاً كليًا وصاروا يصرفون في سبيلها أموالاً طائلة حتى أن الواحد منهم بنى مدارس ومكاتب متعددة من ماله والتزم مصاريفها في ماله جزاهم الله كلهم خير جزائه وأسكنهم في بحبوحة جنانه.

فلما رأى ذلك بعض العلماء الذين لا يعرفونها ولا يعرفون إجراءها تحركت فيهم عروق الحسد فشرعوا في الاعتراض عليها وتشنيع أربابها وقالوا إنها بدعة مخالفة لطريقة السلف وللشريعة ومشابهة للكفار من جميع الوجوه بل إفساد للدين حيث أن معنى الأصول هو الاعتقادات كما يقال للاعتقاد أصول الدين فيكون معنى الأصول الجديدة الاعتقادات الجديدة فيكون هذا إفساد للدين وهدمًا له من أصله إلى غير ذلك من الترهات الباطلة والبهتان والافتراءات وبعض منهم كان يعتقد كونها بدعة حقيقة لا حسدًا فقط وذلك لقصوره في إدراك حقائق الأمور وجهله بأحوال السلف بل بذواتهم فأغروا العوام عليهم وأيقظوا الفتنة النائمة وكتبوا بعض الأوراق في ذمها وبطلانها ورد أربابها على زعمهم وشحنوها بما لا ينبغي ذكره من ألفاظ السب والشتم ولو على سبيل الحكاية ويجتنب المتمدن الأديب عن تلويث لسانه وقلمه بذكره وتحريره خشية أن يتعودا بأمثاله فيخرج من جنس الإنسان إلى جنس البهائم الوحشية والسباع.

---

(١) وكان مسلكه أولاً جيدًا إلا أنه لحرصه على ترقي الملة على ما هو رأيي العاجز أو على الاشتهار كما هو رأي مخالفيه أدخل في مدرسته كثيرًا ممن لا ديانة له ولا استقامة فأفسدوا أفكار طلبته فآل الأمر إلى ما سيذكر بعد. منه عفي عنه.

وبمنطوق كل من يسمع يخل لما سمعت تلك الشكاوى قبل اطلاعي بحقيقة الأمر كدت أن أوافقهم وقد كان لولا أن مولانا الشيخ المرشد الكامل زين الله أفندي النقشبندي الخالدي اختارهما فلما سافرت إلى تلك البلاد في سنة ١٣١٦ ورأيتها بعيني وحققتها ودققتها كدت أطير من فرحي فإني كنت متأسفًا على الأحوال السالفة الذكر في التحصيل جدًا مذ رأيت بخارى والحرمين ومصر وآستانة ومتمنيًا إصلاحها وطالبًا إياه من الله عز وجل فلما رأيت أن متمناي قد بدا وأزهر كيف لا أفرح وكيف لا أطرب وجمعت إذ ذاك فقرأت بالتركية بقصد النصيحة وإصلاح ذات البين الله يعلم نية كل أحد فسموها بالإنصاف وطبعوها ونشروها فخرج لي أيضًا من تلك الألفاظ القبيحة بسببها حظ ونصيب فحمدت الله سبحانه وشكرته على ذلك حيث كنت به ممن أوذوا لأجل النصيحة وكلمة الحق وصرت مظهرًا لمضمون قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٦] الآية ولكن كثيرًا منهم رجعوا عن ذلك ولا يزالون يرجعون بحيث يرجى أن لا يبقى منهم على عنادة إلا الأقلون.

ومما نفع المعاندين نفعًا وضر الملة وأوقع نعم هذه الأصول الجديدة بينهم في عقدة التأخر من سوء حظهم أن بعضًا من لا خلاق لهم من الديانة والدراية وهم ممن يعرفون القراءة والكتابة فقط نسبوا أنفسهم إلى هذه الأصول الجديدة وبدوا كذلك بل هم في الحقيقة أرباب الأصول اليزيدية فنشروا بعض أوراق مضرة مشحونة بما يخالف الشريعة ونسبوها أيضًا إلى الأصول الجديدة كقولهم إن الأصول الجديدة تبيح لنا حلق اللحى وتوفير الشوارب واستماع الملاهي وترك حجب النساء وبروزهن على الرجال مكشوفات الوجوه واستعمال التصاوير والتماثيل ولبس ألبسة الكفرة والتزين بزيهم ونحوها مما يخالف الشرع وساعدهم في نشر هذه الترهات ظهور جريدة شرق الروس في ذلك الوقت وكانت قد أنشئت لمثل هذا الغرض الفاسد فكانت تنتشر في الآفاق وصحائفها مشحونة بأمثال هذه الأباطيل الآتية من لا نصيب له من الديانة والدراية من جميع الجوانب وكان منشئها قد اخترع كتابة على زعمه من الأرقام المعكوسة ليبدل الكتابة الإسلامية بها على زعمه الباطل فكان هؤلاء المخاذيل يكتبون إليه بمدحها واستحسانها وتمني تعميمها ورواجها بين المسلمين وكان الشقي المذكور يدرج المكاتيب المذكورة في جريدتها المزبورة زعمًا منها أنها وردت إليه من زعماء الأمة وعظماء الملة فصار هذا سببًا عظيمًا لتنفر كثير من الناس من الأصول الجديدة فإن المعاندين كانوا يستشهدون بها في إثبات مدعاهم في ذمها على أنه لا يحتاج إلى

استشهادهم بها فإن النفرة عن مثل هذا الشيء من مقتضى ديانة كل مسلم متدين متمسك بالشريعة إلا أن حديدي البصر كانوا يعرفون أن هذه كلها افتراء منهم على الأصول الجديدة بل هي كلها من الأصول اليزيدية وأنهم ليسوا من أربابها بل هم من أرباب الأصول اليزيدية ولكن كثيرًا من الناس لا يعرفون ذلك خصوصًا المترددون في حقيقة الأصول الجديدة وحقيتها ولكن كان اللازم حينئذ على أربابها نشر الإعلانات بتكذيب هؤلاء السفهاء وردهم فيما يدعونه وبيان أن الأصول الجديدة منزهة مطهرة عن أمثال هذه الأمور المخالفة للشريعة وأنهم برءآء منها ومتنفرون عن أربابها ولكنهم لم يفعلوا ذلك واختاروا السكوت عنه وكأنهم تحاشوا من أن يضعوا أنفسهم بين طرفي الكلبتين وكان ذلك خطأ عظيمًا منهم حيث عد سكوتهم هذا علامة الرضاء بها وتأييدًا لأقوالهم ومدعاهم فظن كثير من الناس أن الأمر كما يقولون وأن أرباب الأصول الجديدة كلهم في هذا الاعتقاد فتنفروا عنها وقد زاد نفرتهم هذا عدم استقامة كثير ممن عادوا من طرف الآستانة ومصر والحرمين الشريفين[1] وارتكابهم ما يخالف الشريعة قولاً وفعلاً وهم يدعون الإصلاح وترقية الأمة فصار هذا أيضًا سببًا عظيمًا لنفرة الناس عنها وانضم إلى ذلك انحراف كثير من طلبة الأصول الجديدة عن جادة الاستقامة والآداب الإسلامية في جميع شؤونهم حتى حدثت في بعض المدارس الكبار المعتبرة اغتشاشات أدت إلى طرد بعض الطلبة منها وكل ذلك موجب للأسف مفيد للمعاندين ثم زاد بلة في الطين حدوث الجرائد وكثرتها بلغة التتار بعد إطلاق الحرية في الدين والوجدان واللسان والقلم في ١٧ أوكتوبر سنة ١٩٠٥ م فإنها وإن كانت مفيدة نافعة للملة إلا أن بينها ما هو مضر عليها حيث صار ينشر بواسطتها أمثال تلك الترهات الأباطيل حتى أن بعض منها كأنه أنشيء لذلك وأعظم تلك الأمور منعًا وأكثرها إيجابًا للنزاع وأقواها إلقاء للتفرقة بين الملة هو مسألة حجاب النساء.

وكأني بإخواننا المسلمين الذين ليس في قلوبهم زيغ وشك وريب من أحكام الشريعة وهم يقيمون في وسط ديار الإسلام حقيقة كالحرمين واليمن والعراقين وما وراء النهر والشام وآناطولي وأفغانستان وفاس أو حكمًا كبلاد الهند يستبعدون أن تكون هذه المسألة أن تكون هذه المسألة محلاً للنزاع حيث إنها ليست مختلفًا فيها قديمًا وحديثًا وكافة المسلمين على اختلاف مذاهبهم اعتقادًا وعملاً عاملون بها منقادون

(١) كما قد قدمنا كل ذلك منه عفي عنه.

لحكمها من غير أن يبدوا فيه أدنى سآمة وضجر واستثقال منذ سنة ١٣٢٥ وهم محقون في ذلك ومعذورون فإن الأمر كذلك ولكن ارتفاع العلم وفشو الجهل وكثرة الاختلاط بالكفرة الفجرة وإلقاؤهم الشكوك والرياب في قلوب الضعفاء من المسلمين أو مدعي الإسلام واعتياد هؤلاء الضعفاء والمدعيين استحسانهم[١] في جميع أقوالهم وأفعالهم ذلك جعل الأمر معكوسًا وصار سببًا لوقوع أمر لم يكن يخطر في البال ويستبعد ويستغرب وقت الإخبار ومبدأ ظهوره هو قاسم بك المصري[٢] حيث ألف رسالتين في هذا الباب سماهما المرأة الجديدة وتحرير المرأة فانتشر من قطر مصر إلى سائر الأقطار وطارت شرارة منه لبلاد الروسية فصادفت هناك قلوبًا خالية عن العلم بأحكام الشريعة والديانة والآداب الإسلامية فتمكنت فيها كما قال الشاعر شعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فطفقوا يولعون بها ويريدون عرض حلائلهم وبناتهم وأخواتهم المخدرات العفيفات المصونات على أنظار العامة وأن يبتذلوهن ابتذال الإماء والجواري والفواحش بعد أن كن مكرمات ممتازات مصونات وحيث إنه أشيع في هذا العصر من طرف مريدي هدم بناء الإسلام من أساسه بين المسلمين أن العلماء غيروا تعاليم القرآن وبدلوها بتأويلات بعيدة وحرفوها وأدخلوا بهذا الطريق في الإسلام ما ليس منه ليقابلوا بذلك قول المسلمين أنهم أعني أهل الكتاب بدلوا وغيروا وحرفوا وتلقاه بعض المحررين بالقبول زعمًا منه أن سبب انحطاط المسلمين وتدنيهم هو هذا أو انعكس الأمر أيضًا في تلك البلاد ورد صداه بين جبال منها والوهاد ورفضوا أقوال الفقهاء العظام والعلماء المحققين الكرام فيها رفضًا باتًا وقالوا لسنا نتبع قول قاضيخان ولا صاحب الهداية وإنما نتمسك بالقرآن وهم جاهلون عن قوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] الآية وقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٩] مع أنه رد رسالتا قاسم بك المذكور برسائل كثيرة ألفت من طرف العلماء الكرام بطريقي النقل والعقل أحسنها رسالة الفاضل المحترم فريد وجدي بك أفندي المسماة بالمرأة المسلمة ألفها على طريق العقل ونقل فيها أقوال كثير من

---

(١) والحاصل أن لاستحسان أحوال الكفرة واستقباح أحوال المسلمين دخلًا عظيمًا في الانخلاع عن الاستقامة والديانة ووقوع شبهة قوية في القلوب من حيث لا يشعر به الإنسان نفسه وقد جربته في أشخاص والله ولي الهداية. منه عفي عنه.

(٢) قاسم أمين: رائد حركة الإصلاح في أوائل القرن العشرين، صاحب كتابي: «تحرير المرأة» الذي نشر لأول مرة قبل سنة ١٩٠٠ م. وكتاب «المرأة الجديدة».

كبراء رجال أوروبا في لزوم الحجاب وقد أجاد فيها كل الإجادة وقطع فيها وتين المخالفين وفيها كفاية للعاقلين ورسالة الفاضل المحترم مختار بك ابن أحمد مؤيد باشا العظمى المسماة بفصل الخطاب أو تفليس إبليس وقد أجاد فيها أيضًا كل الإجادة وبين فيها أن قاسم بك باع دينه بتأليف رسالتيه المذكورتين بثمن قليل من طائفة ميسيونير.

قلت إنه ألفهما في مقابلة ثمن قليل أخذه من أعداء الدين وليت شعري ما الباعث على اختيار أشقياء تلك البلاد قوله في ذلك ومخالفة حكم الله وأقوال الفقهاء وإجماع الأمة قاطبة ولعلهم أيضًا أخذوا من پوبيدانتسف ومالف وأضرابهم ثمنًا قليلاً وإلا فلا نجد له باعثًا سوى ذلك.

والحاصل أن المسألة المذكورة مع كونها مجمعًا عليها لم يختلف فيها اثنان من الأمة إلى الآن قد صارت شغلاً شاغلاً لكثير من العلماء أرباب الحمية والدين بسبب ضرطة واحد من الملحدين وأشد ما آلمني وأثر علي تأثيرًا شديدًا رخاوة قول من كنت واثقًا بصلابته في الدين ومعتمدًا على ديانته في كل وقت وحين سبحان من أقام العباد على ما أراد ولله در من قال في شأن المكشوفات الوجوه أشعار:

يمشين في الأسواق مشي التيه ... يتبعن أثر الجاهل السفيه
يخطران في الذهاب والإياب ... كاللحم مكشوفًا إلى الذباب
يدرن في الأسواق بين الناس ... كمثل مرآة لدى الجلاس
يا ويلهن من عذاب الله ... وحسبهن من عقاب الله
تالله ما هذه بسنة السلف ... ولا ارتضاها دين من الخلف اهـ

وهذه هي أوصاف نساء تلك البلاد فإنهم لا يسترن وجوههن وإنما يطرحن فوق رؤوسهن ثوبًا يسمى چاپانا أو شالاً فقط لا غير فليت شعري ما مراد من يريد ترك الحجاب فهل يريد هذا الثوب أو الشال أو سراويلهن الله أعلم بسرائر عباده على أن كثيرًا من نساء الروس يضعن على رؤوسهن الشال المذكور قال بعض العلماء من رضي بخروج زوجته متبرجة فهو شريكها فيما ارتكبته وشبهها فيما انتهكته ديوث مفسق مردود الشهادة في المذاهب الأربعة وقد أنشدوا في مثله، أشعار:

ومن يكن ذا غيرة في أهله ... فالكون طرًا شاهد بفضله
وضره ذاك الغبي النذل ... الجاهل الفظ الغليظ البغل
يرضى الذي يأباه كل عاقل ... يظن أن ما له من مماثل

معرضًا وساده للبيع بيع وفاء لا البتات القطعي
هذا الذي أحواله ذميمه ليس له بين الأنام قيمه
قيمته فلسين أو نصفين بل يستحق الصفع بالنعلين

اهـ.

وقوله كل عاقل صحيح يعني أن صيانة النساء من مقتضى العقل لا أنها مقتضى الديانة فقط شاهد مرارًا كثيرة في محطات السكة الحديدية غضب نساء كبار الروسية على من يجيء إلى باب منزل مخصوص بالنساء يسمى عندهم (دامسكي قومنت) مع أنه لا يجيء هناك إلا لأجل زوجته وقضاء ما يلزمها وكثير من واغون السكة الحديدية يكون . . .[1] بألا يجوز دخول الرجال فيه فبلغنا بخلاف . . .[1] إذا رضين بابتذال أنفسهن يدخلن فيه فاق لمن يدعي الإسلام ثم تكون حميته أنقص من حمية الكفار بصرنا الله سبحانه بعينه بنا ونور أبصار بصائرنا وعيوننا ووقفنا لما يحبه ويرضاه في جميع الحالات وجعل إيماننا إيمانًا منجيًا بعد الممات وظهور هذه الأحوال فقد قلب فرحنا حزنًا ورجاؤنا يأسًا إلا أن تداركه الله سبحانه بلطفه وجميع هذه الأحوال جارية وأعراض العلماء الأعلام متمزقة وأحكام الشريعة المطهرة معروضة للعب السفهاء والجهلاء بها وأعضاء الجمعية الإسلامية ومحكمة الشريعة المحمدية كلهم ساكتون لا يبدون حراكًا ولا يحركون شفاههم أو أقلامهم بكلمة ولو على سبيل النصيحة دون التهديد وكأنها محكمة شرعية فقئت عينها في مثل هذا الحال يظهر صدق ما قاله الشاعر شعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وبظهور هذه الأحوال تبدل فرحي وسروري حزنًا ورجائي يأسًا فإن العلماء السافلين وإن لم يكن فيهم كثير علم ولا إلمام لهم بالفنون الجديدة والمعارف العصرية إلا أنهم كانوا على استقامة تامة على الشريعة الغراء سالمين عن الزيغ والضلال ملازمين السكينة والوقار وكانت لهم هيبة في قلوب العامة ولأقوالهم بينهم نفوذ وقبول تام حتى أن شرب الدخان الخبيث كان يعد في عصرهم من الكبائر بمنزلة شرب الخمر والزنا وهذا الفقير قد أدركت في صغري كثيرًا منهم في أطراف مسقط رأسي وعلمهم ومعرفتهم لا يتعدى من كتابي كلستان وبستان للشيخ سعدي الشيرازي[2]

---

(١) في الأصل كلمات مطموسة غير واضحة.

(٢) سعدي الشيرازي: هو شرف الدين مصلح بن عبد الله الشهير بسعدي الشيرازي، الأديب الفاضل=

رحمه الله تعالى وأمثالهما من الكتب الفارسية الأدبية ولكنهم كانوا جبالاً راسيات في الاستقامة والتمسك بأحكام الشريعة الغراء وأنوار شيبتهم وتأثيرات هيبتهم باقية إلى الآن في حافظتي رحمهم الله تعالى وأما الآن مع أنهم لم يضعوا بعد أقدامهم في أول درجة من درجات الفنون والمعارف بل وصلت رائحتها إلى مشامهم فقط قد صدر منهم أمثال هذه الأمور الغير اللائقة المخالفة للشريعة وأما شرب الدخان فلا يعد الآن من العيوب والقبائح وزاد على ذلك سقوط قيمة العلماء وهيبتهم من قلوب العامة وزوال نفوذ أقوالهم بينهم بسبب التساب والتشاتم الحاصلة بينهم وذم بعضهم بعضًا لسانًا وقلمًا بسبب الاختلاف المذكور في الأصول القديمة والجديدة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسد هذا الخلل بلطفه ومنّه وكرمه.

والحاصل أن أس الأساس والمقصود الأصلي والمقدم على كل شيء عندنا معاشر المسلمين هو الدين والشريعة والاستقامة فيها وتوفر آدابها بحيث لا يقع أدنى خلل فيها فهذه هي عين التمدن والمعارف عندنا كما ورد «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فإن اجتمعت معها الفنون العصرية والمعارف الجديدة من غير إخلال بأدنى آداب منها فهي مباركة فإن عريت تلك الفنون والمعارف عن الشريعة والدين أو لزم لأجلها الإخلال بأدنى آداب منها فلا بارك الله فيها ولا في صاحبها فأف لها وتف لصاحبها، شعر:

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا لا بارك في دنيا بلا دين

وإلا فما معنى مقاومة قومنا مدة أربعين سنة الحكومة أليس كل ذلك السعي والاجتهاد في سبيل المحافظة على الشريعة والدين وهذا هو مسلك هذا الفقير قديمًا وحديثًا فمن شاء فليستحسن ومن شاء فليستقبح ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٦] الآية.

قلت هذا هو الدور الرابع من أدوار أحوال المسلمين بعد استيلاء الروس على قزان. ويعتبر ابتداء هذا الدور من ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٥ م المصادف ١٩ شعبان سنة ١٣٢٣ هـ.

= الصوفي المتوفى سنة ٦٩١ هـ، صنف من الكتب: «بوستاز» منظوم فارسي في الأخلاق، «كلستان» فارسي نثرًا ونظمًا في الأدب، «كليات» في ديوان شعر ورسائله نظمًا ونثرًا فارسي (كشف الظنون ٦/ ٤٦٢).

وذلك أن أرباب الاختلال وأصحاب الاغتشاش وطلاب الحرية وحقوق الملة الضائعة لما أزعجوا الحكومة الظالمة المستبدة بطلب حقوقهم المهضومة لم ير بدًّا من إعطاء مطالبهم فصدر في التاريخ المذكور الآن فرمان إيمپراطوري بإعلان الحرية الدينية والوجدانية واللسانية والقلمية وفتح مجلس النواب والمبعوثين كما مر فلا تسأل عن مقدار الفرح الحاصل لكافة الأهالي على اختلاف أجناسهم في ذلك الوقت والمسلمون وإن لم يشتركوا في أمر الطبخ إلا أنهم كانوا متهيئين للجلوس على السماط متى مُدّ آخذين ملاعقهم في أيديهم فجلسوا عليه قبل الكل وصاروا يأكلون من نعمه مقدار ما تصل إليه أيديهم فشرعوا في تأسيس الجرائد أولاً لتنبيه أفكار الأمة وإيقاظ همم الملة وجعلهم ذوي خبرة عن الواقع وقد مر أن أهل قزان طلبوا من الحكومة إنشاء جريدة واحدة تتارية في بلدة قزان مذ مدة مديدة فلم يؤذن لهم في ذلك متعللة في الظاهر بعدم القابلية والصلاحية فيهم لذلك وسببه الحقيقي قد مر بيانه مرارًا ولم يكن لهم في تلك المدة سوى جريدة الترجمان وهي أيضًا تحت مراقبة شديدة من طرف الصنسور مشروط نشرها بكون أحد طرفيها مطبوعة بالروسية فخدم صاحبها الغيور بها الملة مدة ٢٣ سنة وحده ونبه بها أفكارهم وقد انتفعت الملة بها انتفاعًا كثيرًا[1] واكتفت بها بالضرورة كالأعور وهي أيضًا كانت تنشر في الأسبوع مرة واحدة وقد اطلعت على ما قاساه من طرف الصنسور وما قالوا في حقه شكرًا لله سعيه وختم له ولنا عند انتهاء آجالنا بالحسنى آمين فلما أعلنت الحرية شرعوا في نشرها كالإبل الظمآنة وصارت تزيد شيئًا فشيئًا فلم يكن الأمر كما اعتذرت الحكومة المستبدة وبعبارة أخرى صحيحة كما افترت بل أبدوا غاية الصلاحية ونهاية القابلية حيث لا يحررون إلا ما ينبه أفكار الأمة ويوقظ همم الملة وما ينقح عقولهم ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم بعبارة صحيحة منقحة موجزة مراعين قواعد الآداب وقوانين المدنية غاية المراعاة ليس أحد منهم في إفادة المرام ورعاية الآداب وشروط التحرير في الوقت الحاضر أنقص ممن اشتغلوا مدة عشرين سنة أو أزيد بتحرير الجرائد ونشرها بل كلهم أتم وأكمل من كثير منهم حيث لا يحررون إلا ما فيه صلاح الملة كما مر وإن كان بعض الأوراق منها خارجة عن حد الأدب ومشحونة بما لا يليق لصاحب المدنية والأدب إلا أن وجود أمثال ذلك في

(١) مع ما فيها من بعض الاعوجاج بسبب جهل صاحبها بأحكام الشريعة سامحه الله تعالى. منه عفي عنه.

مثل هذا الظرف من مقتضيات الوقت والحرية ولعلها أيضًا تنصلح وتعتدل إن شاء الله[١] وقد قربت أعداد تلك الجرائد إلى الآن أعني في مدة سنة واحدة وشهور ثلاثين جريدة واحدة منها عربية تسمى التلميذ لمنشئها الغيور الفاضل القاضي عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي سلمه الله تعالى والباقية تركية أكثرها قريبة من اللهجة العثمانية منها جريدة ألفت الغراء للأفندي المومى إليه أيضًا وجريدة الوقت الغراء لفاتح أفندي الكريمي وربما يستعان في تحريرها بالأديب المنفرد والمحرر البليغ القاضي رضاء الدين أفندي أدام الله بقاه وبعضها تتارية صرفة وبعضها أذربيجانية وبعضها چغطائية وصارت تنتشر الرسائل المفيدة وأعلن المكرهون المذكورون إسلاميتهم عقب انتشار الفرمان المذكور وقد يروى بأن عدد الذين أثبتوا إسلاميتهم رسمًا ما بين ثلاثين ألفًا وخمسين ألفًا ولا يزالون يعلنونها إلى الآن ويبنى في قراهم المساجد والمكاتب وفضلاً عن ذلك فإن كثيرًا من طوائف الوثنيين المسميين بچواش وپرمش وآر صاروا يتشرفون بالدخول في دين الإسلام بل أفراد من الروس خصوصًا أصحاب المكاتب المنوري الأفكار منهم على ما مر بيانه فإن حصلت الحرية التامة فحينئذ يكون للإسلام هناك شأنًا عظيمًا ولا شك أن كل ذلك لاتصاف مسلمي تلك الديار بكمال الديانة وغاية الاستقامة وامتيازهم في الأخلاق الحميدة عمن سواهم هناك غاية الامتياز كما لا يخفى.

ومما يلزم أن يذكر هنا مع كمال الافتخار والفرح والسرور ويزين به تاريخنا الحقير هذا حصول الاتفاق والاتحاد بين كافة مسلمي الروسية على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ووقوع انعقاد الاجتماع بينهم مرارًا للمذاكرة في شؤونات الملة ومصالحها دينًا ودنيا وكان أول ذلك الاتفاق والاجتماع في ١٥ أغسطوس سنة ١٩٠٥ م المصادف ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ هـ في سوق مكاريا بهمة الفاضل الغيور المحترم القاضي عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي وأصحابه مع شدة منع الحكومة إذ ذاك عن أمثال هذه الاجتماعات.

ثم انعقد اجتماعهم ثانيًا بپطربورغ في ١٣ غنوار (الكانون الثاني يناير) إلى ٢٣ منه سنة ١٩٠٦ م المصادف ٣٠ ذي القعدة إلى عيد الأضحى سنة ١٣٢٣ هـ رغمًا عن شدة منع الحكومة أيضًا عن أمثال هذه الاجتماعات.

---

(١) وإلا فتضمحل بالكلية لعدم المشتركين فيها. منه عفي عنه.

ثم انعقد ثالثًا بسوق مكاريا أيضًا في ١٧ أغسطوس سنة ١٩٠٦ م المصادف ١٠ رجب سنة ١٣٢٤ بإجازة من الحكومة ودام إلى خمسة أيام[١] أما الأول فلم يحصل فيه كثير مذاكرة في شؤون الملة لضيق الوقت فإنهم لما رأوا منع الحكومة عن الاجتماع استأجروا باخرة مخصوصة لهذا الغرض وساروا بها ثلاثة أيام في نهر وولغا وبعد الخروج منها أعطى أهل الداغستان ضيافة لأهل قزان وفي اليوم الثاني أعطى أهل القزان ضيافة لأهل الداغستان واتفقوا على أن ينسوا السنية والشيعية بينهم وأن لا يذكر إحدى الطائفتين الأخرى بأحد هذين اللقبين وأن يقتصروا نظرهم على الأخوة الدينية وأن يلاحظوا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] الآية، قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٦] الآية وأمثالها وفي الاجتماع الثاني حصلت المذاكرة ورتبوا بروغرامًا (ترتيبات وجداول) فيما ينبغي أن يعمل ويتشبث به وهو مشتمل على أزيد من سبعين مادة وفي الثالث حصلت المذاكرة الجيدة بالنقض والإبرام وحصل الاتفاق على ستة وأربعين مادة ثلاثة وثلاثون منها في إصلاح شؤون المدارس والمعلمين وطرق التعاليم والبواقي في إصلاح شؤون الجمعية الإسلامية ونتيجة هذه الاجتماعات وإن لم تظهر إلى الآن ولم يحصل المباشرة والشروع في شيء من المواد التي حصل عليها الاتفاق إلا أنها لا تخلو من الفائدة والنتائج الحسنة في المستقبل إن شاء الله على أن نفس الاتفاق والاتحاد والإلفة فائدة قد منّ الله سبحانه وتعالى على الأنصار في سورتين من القرآن وغرضهم عرض تلك المواد على مجلس المبعوثان ونواب الملة وتحصيل تصديق الحكومة إياها فإن وفقوا على هذا فلا شك في حصول نتائجها وفوائدها وفقهم الله سبحانه وتعالى لذلك ولكافة منافع الأمة ومصالح الملة بجاه نبيه الكريم.

دناءة عظيمة وشناعة كبيرة وقباحة جسيمة ظهرت في وسط بستان عصر التمدن موضع شجرة التلطيف والإحسان والإكرام وذلك أن مسلمي التتار طلبوا من الجنرال ويتته رئيس الوزراء بعد إعلان الحرية بواسطة وكلائهم إلغاء الحكومة التكاليف المذكورة سابقًا وأن لا يقرر شيء فيما يتعلق بأحوال المسلمين إلا بمعرفة مجلس

(١) ولكن الأسف على أنه لم يحصل في هذا العام ١٩٠٧ لشدة منع الحكومة عن ذلك وغيبوبة الفاضل عبد الرشيد أفندي الذي عليه مداره. منه عفي عنه.

المبعوثان ونواب الملة وقرارهم فقط لا غير زعمًا منهم أن مطلوبهم هذا يكون مقرونًا بالقبول البتة فإن أولادهم قتلوا في حرب يابان مع أولاد الروسية في صف واحد في سبيل المدافعة عن شرف حكومة الروسية وناموسها وعزها لا غير كما مر وأنهم التزموا السكوت والخلوص للحكومة ولم يقوموا عليها مع أرباب الاختلال والاغتشاش كما لم يقع منهم القيام والعصيان على الروسية قط بعد دخولهم تحت حكومتها حين دارت بهم الدوائر وأحاطت بهم البلايا والمصائب من كل جانب من هجوم سائر الدول عليها ولا سيما العثمانيين الذين هم إخوان المسلمين جنسًا ودينًا ولم يطلبوا من الحكومة الاستقلال في إدارة شؤونهم كما تطلبه أهل بولونيا (پولشه) وكل ذلك يقتضي تلطيفًا عظيمًا وإحسانًا كبيرًا فضلاً عن مساعدتهم في هذا المطلب الحقير التي هي واجبة على ذمة دولة متمدنة عادلة من غير سبق مقتض لها فقبله باللسان وأعادهم ممنونين بمواعيد العرقوب بالكلام قائلاً ليطمئن بالكم وليسكن روعكم يكون الأمر كما تشتهون وتكونوا مستريحين على ما هو عاداتهم دائمًا في مثل هذا الاسترحام وكان ذلك في أوائل مارت سنة ١٩٠٦ م وفي ٣١ مارت المذكور أعني بعد مضي بضع وعشرين يومًا من الوعد المذكور نشر من طرف ناظر المعارف نظام جديد مصدق من طرف الإمبراطور في خصوص مكاتب الأقوام الغير الروسية المقيمين في جهة الشرق والجنوب الشرقي من الروسية وبعبارة أصح في حق مكاتب المسلمين فإن الأقوام الغير الروسية إذا أطلق يراد به المسلمون غالبًا ولا سيما بمعونة تعيين جهاتهم وهذا النظام عين النظام الصادر في ٢٦ مارت من عام ١٨٧٠ وقد مر بيانه كما اعترفوا به أنفسهم في المؤتمر المنعقد في پطربورغ الآن في هذا الخصوص كما سيذكر إلا أنه في كسوة أخرى لونها أبو قلمونية وهاك تعريب بعض مواده.

قال: أنا ناظر المعارف غوفميستر الكونت إيوان تولستوي أصدق في ٣١ مارت من عام ١٩٠٦ النظام الذي نظم في شأن المكاتب الابتدائية للأقوام الغير الروسية القاطنين في جهة الشرق والجنوب الشرقي من ممالك الروسية بأمر الامبراطور الصادر في ١٤ ينوار من العام المذكور.

المادة ١ ـ تفتح المكاتب الابتدائية للأقوام المذكورين على هذا النظام.

٢ ـ مكاتب الأقوام المذكورين الابتدائية إنما تبنى لأجل ترقيهم فكرًا وأخلاقًا ولأجل فتح الطريق لإصلاح تعايشهم بتلك الوسيلة من جهة ولأجل نشر لغة الروس فيما بينهم وتقريبهم من الروسية لتحصل محبة الوطن على العموم.

٣ ـ تكون قراءة كل قوم أولاً بلسان ذلك القوم.

٤ ـ يكون المعلمون والمعلمات في تلك المكاتب من نفس الأقوام المذكورين أو من الروس الذين يعرفون لغات الأقوام المذكورين معرفة جيدة ولهم شهادتنامة على ذلك بشرط حيازتهم القدر المعين للمعلمين من التمدن والمعرفة.

٧ ـ يقرأ علوم الدين في أدنى تلك المكاتب بلغة القوم الذي يقرأ فيها أولادهم ويعلم فيها قراءة الروسية وكتابتها وتكلمها وقواعد الحساب والشعر.

٨ ـ تفوض إدارة المكاتب المذكورة بناء على القواعد العمومية إلى المعلمين والمعلمات.

٩ ـ تفتيش المكاتب المذكورة وإجراء أمورها سواء كانت ميرية أو خصوصية وسواء كانت مصاريفها من الخزينة أو من طرف الجمعية أو من أشخاص خصوصية بيد اينسپكتور (مفتش وناظر) مخصوص بها، ونظارتها تفوض إلى مأموري النواحي ومأموري نظارة المعارف بواسطة المفتشين.

١٣ ـ لأجل تسهيل تعليم لغة الروس وكتابتها لأولاد الأقوام الغير الروسية تطبع كتب المكاتب[1] بحروفهم وحروف الروسية معًا.

١٤ ـ ومتى ابتدأت أولاد الأقوام الغير الروسية القراءة بلغاتهم تبتدأ تعليم لغة الروس إياهم بواسطة لغاتهم ولا ينبغي تأخير تعليمهم إياها من أول النصف الأخير من مدة التعليم والقراءة.

١٦ ـ تقرأ البنات بالنظر إلى معيشة كل قوم مختلطات بالأولاد الذكور أو في مكتب مخصوص بهم كمكاتب الذكور.

٣٢ ـ نظارة مكاتب الأقوام الغير الروسية الدينية (كالمسلمين واللاماتيين) وظيفة اينسبكتور (المفتشين) المخصوصين.

٣٣ ـ ينبغي أن يكون مدير أمثال هذه المكاتب حائزًا المعارف التي تحصل في مكتب ذي صنف واحد على الأقل بعد أن كان من تبعة الروس.

---

(١) هكذا هي مطلقة في الترجمة والظاهر أنها كذلك في الأصل وذلك لإمكان التأويل والتقييد وقت الحاجة بأي قيد شاؤوا كما سيجيء. منه عفي عنه.

٣٤ ـ ليس تفتيش معرفة مديري المكاتب الدينية علوم الدين وعدم معرفته إياها بيد مفتشي تلك المكاتب[١].

٣٥ ـ لا يقرأ في المكاتب الدينية سوى الكتب المطبوعة في الروسية إلا بإذن مخصوص من اينسبكتور (المفتش) لا تفتح مكاتب الأقوام الغير الروسية الدينية إلا بعد تعيين مصارفها وتأمينها وقبول قراءة الروسية فيها وأخذ مديريها شهادتنامة على أنهم حائزون القدر اللازم لهم من المعارف المدنية حسبما بين في المادة ٢٥[٢] وبعد إذن اينسبكتور بذلك.

٣٧ ـ يمكن طلب مصاريف مكاتب الأقوام المذكورين الخصوصية من الخزينة أيضًا اهـ ما تعلق به الغرض.

فإذا أحطت بها علمًا أظنك لا تشك في كونها مختصر التكاليف السابقة قاطبة لا أنها عين نظام ٢٦ مارت من سنة ١٨٧٠ كما قيل يعرف ذلك بالمراجعة إلى التكاليف السابقة لكن ظهر بطرز آخر وشكل بديع جدًا مغطاة بستائر وحجب كثيفة بحيث لا يشاهد ما وراءها إلا أحداء الأبصار فكانت هذه مكافأة حكومة الروسية المسلمين بهذه الجميلة في مقابلة تضحية أولادهم في صفوف الروسية لوقاية شرف الروس وعزهم والمدافعة عن أوطانهم وإنجازًا لوعد الجنرال ويته الذي هو رئيس وزارتهم في ذلك الوقت وأنا لا أضيع وقتي ولا أطيل الكلام بالمحاكمة في هذا الخصوص فإن كل من له أدنى عمل وتمييز وله حظ قليل من الإنصاف لا يحتاج في محاكمته إلى بيان أحد من أي جنس كان وقد أزعج هذا الأمر المسلمين عمومًا هناك ومسلمي بلدة أورنبورغ وأطرافها خصوصًا إزعاجًا شديدًا وأقلقهم وسلب راحتهم فطفقوا يقدمون العرائض إلى الولاة والنظار ويضربون التلغرافات يعلنون فيها عدم رضاهم به وعدم قبولهم إياه أبدًا ويطلبون فسخه وأول من رفع صوته بالإنذار بما فيه هو جريدة الوقت الغراء الصادر بأورنبورغ حتى أرسلوه إلى جريدة تايمس بلندن بواسطة موسيو وامبري الماجاري فنشر إلى أطراف العالم في سنونها وعمدها مع أنه كان قد استقر الأمر وقتئذ على أن لا يقرر أمر ما إلا بمعرفة نواب الملة ومجلس مبعوثان وتصديقهم وإمضائهم وبرضاء

---

(١) لأن ذلك ليس مطلوبه وغرضه وإنما غرضه الوحيد معرفة الروسية لا غير وقد صرح به اينسبكتور البلغمبايي القزاقي في بلاد القزاق. منه عفي عنه.

(٢) وهي أن معلمي الروسية في تلك المكاتب يكونون من الروس الذين يعرفون السنة الأقوام المذكورين معرفة جيدة ويحوزون القدر اللازم من أصول التربية. منه عفي عنه.

الملة الذين يكلفون به فصار من نتائج تلك العرائض التي قيل إنها بلغت ٧٠٠ عريضة أن أخر الأمر إلى وقت آخر يجتمع فيه المعلمون والمحررون الكبار ومفتشوا المكاتب والمدارس ووكلاء المسلمين في پطربورغ تحت رئاسة نظارة المعارف ووعدوا لذلك مايس عام ١٩٠٧ وأرسلوا إلى نظار المكاتب ومفتشيها في الولايات بالكف عن التكليف بالنظام المذكور ولكن هيهات أن يكفوا عنه فإن كف من جاع ثلاثة أيام عن الطعام اللذيذ الذي ظفر به يكف هؤلاء أيضًا عنه بل صاروا يزعجون المسلمين بطلب الإمضاء منهم على رضاهم به وقبولهم إياه وقد أخذوه عن بعض المعلمين بالروسية الذين لا ديانة لهم ولا حمية ولا غيرة ولا معرفة لهم بكتابة الإسلام فمثل هذا كيف لا يقبله فأشاعوا بهذا القدر أن أكثر المسلمين قبلوه وإنما لم يقبله بعض العلماء المتعصبين انظروا كيف يفترون الكذب على المسلمين مع أن المعلمين بالروسية عقدوا فيما بينهم اجتماعات عديدة ولا سيما في قرية روسية بقرب أورنبورغ وصرحوا فيها بعدم رضاهم به وعدم قبولهم إياه.

وقد راجع بعض الأفاضل ببلدة پطربورغ نظارة المعارف في هذا الباب فأجابه بأن هذا النظام مخصوص بمكاتب الروس الابتدائية المختصة بالأقوام الغير الروسية غير شامل لمكاتب المسلمين ومدارسهم منشأه طلب المعلمين بالروسية إياه لتسهيل طريق التعليم فكما أننا لا نتداخل في مدارس المسلمين ومكاتبهم كذلك ليس لهم حق المداخلة في مكاتب الروسية وهذا هو خلاصة جوابه فنعم الجواب لو صح ولكن لا محل له من إعراب الصحة قط وهيهات أن يصح فإن المواد الأخيرة منه أعني من المادة ٣٢ إلى آخر المواد تنادي بأعلى صوتها بشموله مكاتب المسلمين ومدارسهم الدينية وتكذب نظارة المعارف في اعتذارها المذكور صراحة فإنها مختصة بها دون المكاتب الابتدائية التي يقرأ فيها بالروسية فإنها ليست بمكاتب دينية فإن لم يكن النظام المذكور غير شامل إياها فما معنى ذكرها هنا فهل يقول الناظر هنا مثل ما قال خواجه نصر الدين أنا أيضًا كنت متفكرًا في هذا الخصوص تعال نتفكر سواء على أن اعتذاره المذكور غير صحيح في أصله وحد ذاته بل هو صبغ لعيون فقط فإن مكاتب الروس سواء كانت ابتدائية أو غيرها لا يقرأ فيها من القديم إلا بحروف الروسية ولغتها وهنا قد صرح بكون القراءة ابتداء بلغة تلك الأقوام فقد تبين وتحقق به أن المراد بتلك المكاتب هي مكاتب المسلمين الابتدائية لا مكاتب الروس المسمى باشقولا.

فإن قيل نعم هو كذلك ولكن المراد بالمكاتب في المادة ١٣ هي مكاتب الروس المسماة باشقولا والمراد بالكتب فيها كتب المسلمين الدينية التي تقرأ

فيها[١] وهذه هي التي طلبها المعلمون ليسهل لهم التعليم لقلة معرفتهم بكتابة الإسلام أو لفقدانها رأسًا وبالذات ولكون إسلامهم ظاهريًا فقط حتى أن كثيرًا منهم لا يحسن التكلم بلغة قومه فضلاً عن معرفة كتابتهم.

نقول هذا أيضًا مما لا يرضاه الملة قط والخيار في ذلك بموجب فرمان ١٧ أكتوبر الإمبراطوري إن كان له قيمة للملة والملة لا يرضى بقراءة كتبهم خصوصًا الدينية منها التي فيها الآيات والأحاديث والأدعية وأذكار الصلاة بغير الحروف الإسلامية خصوصًا بحروف الروس التي ليس فيها نصف الحروف العربية من أمثال هؤلاء المعلمين الذين لا ديانة لهم ولا إسلام إلا بحسب الدعوى فقط وهم يجدون لتعليم أولادهم الأمور الدينية معلمين كاملين متدينين ورعين يقرؤونهم بالحروف الإسلامية العربية ويعلمونهم الآداب الإسلامية وأما المعلمون الذين لا يعرفون الحروف العربية بل ولا لغة قومهم فيوجد لهم أيضًا خدمة مناسبة للحاهم كتنظيف بيوت الخلاء وكنس الأزقة ورعي الأنعام من البقر والأغنام أقلها رعي خنازير ساداتهم.

أقول قد مر ذكر نظير هذا الاعتذار الكاذب من نظارة المعارف حين اعترض المفتي سليم كراي التوكيلي بأن التنظيمات المذكورة لا يمكن تطبيقها على المدارس التي بنيت قبل هذا التاريخ حيث قال إنها غير شاملة للمدارس القديمة بل هي مختصة بالمدارس التي ستحدث بعد التاريخ المذكور.

والحاصل أن الأوامر الصادرة عن بطربورغ كلها في غاية الإغلاق والإبهام وتحت الأستار الكثيفة جدًا وكذلك الأجوبة الصادرة عنها حين ورود الاستفهام والاستيضاح إليها من طرف المسلمين فهي من قبيل إعطاء السكر بيد طفل يبكي لأخذ جوهر ثمين من يده وكلها مبنية على خدعة وغل وغش ليس فيها رائحة من الصدق قط فلا يصدقها إلا الأبله الغافل عن مقاصدها ودسائسها.

قلت قد مر أن نظارة المعارف وعد لعقد الاجتماع للنظر في النظام المذكور مايس هذا العام إلا أنها عدلت عن ذلك وعدله أواخر سبتمبر من هذا العام ولعل

---

(١) فإن أولاد المسلمين الذين يقرأون في مكاتب الروس إلى مكتب كان يعين لهم من طرف الحكومة من يسلمهم دينهم وهذا التعليم إنما هو من كتب الإسلام المطبوعة بحروف الإسلام. منه عفي عنه.

سبب ذلك أن مجلس المبعوثين والنواب كان مفتوحًا في ذلك الوقت فلا تتمكن الشياطين الذين ألفوا إلقاء العداوة والنفرة بين حكومة الروسية ورعاياها الصادقة دائمًا على ما مر بيانه مرارًا وذلك لاعتراض النواب الذين جل قصدهم إصلاح الحكومة وشؤون الأمة والوطن وتأليف قلوب كافة الرعايا على اختلاف أجناسهم وأديانهم بنشر المساواة والعدالة بينهم في جميع الحقوق فيبقى ما زرعوه من بزر الفساد والدسائس عقيمًا بخلاف ما أخروه إلى الدوما (المجلس) الثالث فإنهم قد دبروا في جعل أعضائها ممن يغنون بغناهم ويرقصون على إيقاعهم فلا يتوقع منهم الاعتراض بل التقوية بتصديقهم إياه وقد ورد الأمر من محكمة نظارة المعارف لحضرة المفتي بمجيئه إلى پطربورغ في أواخر سبتمبر مستصحبًا معه واحدًا من أورنبورغ وواحدًا من قزان ولما قرب حلول سبتمبر أرسل حضرة المفتي إلى يوسف آخوند بقزان وكمال آخوند قوطويف بأورنبورغ يأمرها بعقد الجمعية في البلدتين المذكورة وانتخاب الوكيل للذهاب إلى پطربورغ ففعلوا واجتمعوا العلماء من مسافة بعيدة كبلدة طرويسكي ولكن يا للأسف على أنه لم يحصل الاتفاق على الانتخاب وكثر القيل والقال ودام الاختلاف والجدال فتفرقت الجمعية المذكورة من غير حصول نتيجة ما وذلك من سوء الحظ والإقبال ثم إن حضرة المفتي لما استشعر بأهمية المسألة وأنه لو صدر التساهل فيها كانت العاقبة وخيمة جدًا دعا أناسًا مخصوصين من أعيان الملة وعلمائها وعقلائها إلى بلدة أوفا ليتشاوروا في هذا الخصوص فلبى بعضهم دعوته وجاء بلدة أوفا ولم يصغ بعض آخر إلى دعوته ولم يحضروا ببلدة أوفا ولم يكتفوا بعدم الحضور بل أعلنوا في الجرائد عدم رضائهم بوكالة الوكلاء الذين وكلهم بعض الأمة في الجمعيتين المنعقدتين بأورنبورغ وقزان فحصل الفتور بعدئذ بهمة الوكلاء المذكورين وعرضت الرخاوة لعزمهم ونشاطهم فبعد أن انعقد المجلس فيها أعني بلدة أوفا عدة مرات تحت رئاسة حضرة المفتي أعلن الوكلاء المذكورون أنهم لا يذهبون إلى پطربورغ لعدم الفائدة فيه حيث بدا الاعتراض من نفس الملة على وكالتهم من الآن فقر آراؤهم على أن يستأذن حضرة المفتي نظارة المعارف بعقد جمعيات متعددة في ولايات كثيرة تنتخب الملة فيها من شاؤوا وكيلاً من طرفهم ليذهب بهم حضرة المفتي إلى پطربورغ ويبين عدم اعتماد الوكلاء الموجودين على وكالتهم لوجود الاعتراض عليها ففعل وتفرقت الجمعية المذكورة أيضًا من غير حصول أدنى نتيجة فجاء الجواب من نظارة المعارف إلى حضرة المفتي ببيان عدم إمكان تأخير الاجتماع بپطربورغ وبدعوته هناك ممن معه من

الوكلاء فاعتذر حضرة المفتي بكبره وعجز بصره وذهب اثنان من وكلاء قزان واثنان من أعمال قضاء چيلابي وواحد من أوفا وإبراهيم الآقچوري وواحد من تاشكند واثنان من قزان ففتح أول مجلس في ٦ أكتوبر وفيه كثير من معلمي الروس ومحرريهم الكبار وقد رتب وكلاء المسلمين أجوبتهم والأسباب التي لأجلها يمتنع المسلمون عن قبول النظام المذكور ترتيبًا جيدًا وكتبوها فلما فتح المجلس قرأوها وبينوا بلسانهم عدم إمكان قبول المسلمين مثل هذا النظام المجحف بحقوقهم المقدسة بأفصح عبارة وقوة جأش والذي أبدى تمام الغيرة وكمال الحمية ونهاية اللياقة والمعرفة والمدنية والمهارة في أساليب الكلام في ذلك المجلس هو الفاضل الغيور إبراهيم أفندي بن خرمشاه الآقچوري فإنه بين خطايا النظام المذكور وأسباب إباء الملة عن قبوله من كونه مبنيًا على الأساس الميسيونيري والمسلك الايلميني بأفصح بيان وأبلغ تبيان وقرأ مقالة ايلمينسكي المتعلقة بهذا الخصوص من حافظته وألزم من حاول فيه إثبات الخطأ وإسناد التعصب للمسلمين إلزامًا بينًا واضطره إلى الارتعاش والارتجاج في كلامه وخروجه عن الانتظام حتى اضطر ناظر المعارف إلى الالتفات إليه والإصغاء إلى كلامه والاعتذار إليه بأن هذا النظام ليس من مخترعاته بل من مخترعات سلفه وقر الأمر فيه بعد انعقاده مرات على فسخ النظام المذكور وإخراج مكاتب المسلمين ومدارسهم منه بالكلية وتخصيصه بمكاتب الروسية المسماة باشقولا التي يقرأ فيها أولاد المسلمين وهذا أيضًا بعد تعديله وإكسائه كسوة أخرى وقد عينوا عدة أشخاص لترتيب لائحة وتنظيم جداول فيه وقد رتبوها مشتملة على ١٥ بندًا ثم عرضوها على الأعضاء المسلمين هناك وحيث إن الإلحاح لا ينفع هناك سكتوا رضوا وهاكم نصه المقصود من مكاتب الأقوام الغير الروسية الابتدائية فتح الباب والطريق نحو إصلاح معايشهم بتلقيح أفكارهم وعقولهم من جهة ونشر لسان الروس فيما بينهم وتقريبهم من الروس بهذه الوسيلة لتتأكد محبتهم بهذا السبب الوطن المشترك بين الكل. وكما أن مكاتب الأقوام الغير الروسية الابتدائية تفتح في مملكة الروس وفق الأصول الجارية عمومًا في ذلك والأصول المخصوصة بالنظر إلى بعض الأماكن والمواضع كذلك تفتح وفق النظام والأصول الآتية.

١ ـ الآلة التي تستعمل في مكاتب الأقوام الغير الروسية الابتدائية للقراءة ابتدأ إنما هي لسان الأم (الإيضاح) (المراد بلسان الأم اللغة التي يستعملها ذلك في محاوراتهم فيما بينهم).

٢ ـ تكون المكاتب المذكورة ذات صنف واحد وذات صنفين ومع ذلك يمكن جعل مكتب ذي صنف واحد ذا شعبتين بالنظر إلى موضعه.

٣ ـ يقرأ في مكاتب الأقوام الغير الروسية هذه الأشياء. علم الدين، ولسان الأم ولسان الروس (التكلم والقراءة والكتابة) والحساب. والشعر. (التغني) ويزاد على هذا في مكاتب ذات صنفين. تاريخ الروس. وجغرافيا. والطبيعيات. ومقدمات الهندسة.

٤ ـ يقرأ الأقوام الغير الروسية علم الدين إذا كان نصرانيًا بلغة ذلك القوم إلى أن يتم الصنفين ولكن إن كانت الأولاد قد تعلموا من اللغة الروسية مقدار ما يفهمون فهمًا جيدًا ولم تقع الممانعة من طرف آبائهم وأمهاتهم يمكن أن يقرأ هؤلاء علم الدين بلغة الروس أيضًا، وأما الذين ليسوا نصارى أو كان مذهبه مخالفًا لمذهب الروس فهؤلاء يقرأون علوم دينهم حسبما يأمر به دينهم وشريعتهم.

٥ ـ تكون القراءة في تلك المكاتب بلسان تلك الأقوام إلى سنتين وأما بعد ذلك فتكون بلغة الروس ولكن تدوم القراءة بلسان تلك الأقوام لئلا تنسى ولتكون واسطة لفهم سائر الدروس بلغة الروس بالسهولة.

٦ ـ يبتدأ بتعليم لغة الروس بتركيب الجمل وترتيب الكلمات بإعانة لغة تلك الأقوام من غير أن يؤخر من نصف العام الذي بدىء فيه بالقراءة، وأما البداءة بتعليم قراءة الروس وكتابتها فلا ينبغي أن يؤخر من العام الثاني من ابتداء القراءة والتعليم.

٧ ـ . . . . . [1].

٨ ـ تعيين الدروس وساعات الدروس إنما يكون وفق الجدول المخصوص لمكاتب ذات صنف أو صنفين الذي رتب من طرف دائرة نظارة المعارف بناء على النظام الصادر في ٤ أيون من سنة ١٨٧٥ (الإيضاح يثبت نموذج جدول الدروس في آخر هذه البنود).

٩ ـ يرتب الجدول المفصل لكافة الدروس التي تقرأ في مكاتب الأقوام الغير الروسية ولقراءة لغة تلك الأقوام من طرف إدارة دوائر المعارف ثم يقدم لنظارة المعارف للتأكيد.

---

(١) بياض في الأصل.

١٠ ـ . . . . . [1].

١١ ـ يعين للتعليم في مكاتب الأقوام الغير الروسية سواء كان ذكرًا أو أنثى من كان بيده شهادتنامة ناطقة بأهليته للتعليم ويكون من القوم الذين يقرأ أولادهم في ذلك المكتب أو من الروس إذا كان يعرف لسانهم (الإيضاح يمكن أن يساعد الروسي لا يعرف لغة تلك الأقوام للتعليم في الشعبة العالية من مكاتب ذات صنف واحدًا وفي الصنف الثاني من مكاتب ذات صنفين).

١٢ ـ يمكن أن يعين لتعليم علوم الدين من علماء تلك الأقوام أو من غير العلماء إذا كان عارفًا بها.

١٣ ـ يؤذن بفتح المكاتب لتعليم الروسية للكبار والصغار سوى المكاتب التي تفتح وفق هذه الشروط سواء كان فتحها من طرف الحكومة أو جماعة مخصوصة أو شخص مخصوص ويعين مدة القراءة في مثل هذه المكاتب وتشكيل الصنوف على العموم من طرف مأموري المعارف بموافقة من يفتحها إياهم ورضاه فإن طلب مصارف مثل هذه المكاتب من الخزينة تسلم هذه الأمور كلها إلى يد نظارة المعارف.

١٤ ـ الأماكن التي تجري فيها هذه الأصول هي هذه دوائر معارف قزان. وأورنبورغ وآديسا وكافكازيا والسيبريا الغربية والولايات والدوائر التي تحت إدارة ولاة إقليم تركستان وايرقوتسكي وپريامورسكي.

١٥ ـ لنظارة المعارف حق في إجراء هذه الأصول والقوانين في سائر المواضع التي فيها الأقوام الغير الروسية اهـ.

وهذا نموذج جدول الدروس [في الصفحة التالية].

---

(١) بياض في الأصل.

أسامي الدروس والفنون	إعداد الدرس في الأسبوع في السنتين الأوليين في مكتب	إعداد الدرس في السنتين الأخريين ذا صنف واحد	إعداد الدرس في الصنف الثاني من مكتب ذا صنفين
علم الدين وعلم الحال لسان الروس التكلم	٠٤	٠٤	٠٤
والقراءة والكتابة لسان الأم يعني لغة قوم	١٢	١٢	١٠
الأولاد	٠٦	٠٦	٠٤
علم الحساب	٦	٠٦	٠٤
التغني	٣	٠٢	٠١
تاريخ الروس	–	–	٠٣
جغرافيا والطبيعيات	–	–	٠٢
الهندسة والرسوم	–	–	–
مجموع	٣٠	٣٠	٣٠

وهذا هو النظام الذي رتب من طرف جمعية شكلت لتعديل النظام السابق وإزالة شكوى المسلمين وتطمين قلوبهم وتطييب خواطرهم وأظن أنه لا حاجة إلى المحاكمة في هذا الخصوص فإن كل ذي لب يدرك التفاوت بين النظامين وخروج المواد المتعلقة بمكاتب المسلمين ومدارسهم قاطبة وخروج المادة ١٣ التي أزعج قلوب المسلمين وأقلق خواطرهم مدة سنة ونصف سنة ولكن لا ندري هل هذا الخروج رسمي ودائمي بأن تلغى المواد المذكورة إلى يوم القيامة فتطمئن حينئذ خواطرهم أو هو موقت فقط بأن لا تظهر وتذكر إلى وقت مناسب لذكرها كما وقعت لها النظائر وعدم ذكر إلغائها هنا دليل على الشق الثاني فحينئذ كيف تطمئن قلوب المسلمين وتطيب خواطرهم.

وأيضًا المصرح في ديباجة كلا النظامين أن الغرض من فتح تلك المكاتب فتح الطريق نحو إصلاح معائشهم الخ وتقريبهم من الروس بنشر لغة الروس فيما بينهم لحصول المحبة لهم للوطن العمومي ومع ذلك فسر لسان الأم في هذا النظام الجديد باللغة المستعملة بين كل قوم من تلك الأقوام فعلم من هذا التفسير أن الغرض من مساعدة المسلمين باستعمال لسان أمهاتهم في تلك المكاتب ليست هي فائدتهم

والتوسعة لهم في تحصيل المعارف بل تضييق عليهم وتشديد وإلقاء التفرقة بينهم فحينئذ كيف تحصل لهم محبة الوطن ويتقربون من الروس كلا فلو كان الغرض هو ما ذكر لما يشددون عليهم بل يساعدونهم تحصيل المعارف بأي لسان كان وأيضًا لم يذكر هنا أن هذه المكاتب بمصارف من تفتح وأن القراءة فيها تكون اختيارية أو جبرية وذكر في المواد وفي نموذج جدول الدرس التغني ولا شك أن هذا أول ما يتنفر عنه المسلمون لكونه حرامًا في شرعهم ومع قطع النظر عن ذلك أي دخل له للشق الأول من الغرض المذكور أعني إصلاح المعائش.

وأيضًا لم يذكر هنا أن نظارة تلك المكاتب بيد من تكون ولا شك أنها تكون بيد المفتشين الملقبين باينسبكتور كما ذكر في المادة ٩ من النظام السابق فحينئذ لم تخرج هذه المادة إلا من الذكر والكتابة وأيضًا ذكر فيه أن معلم علم الدين يكون من علماء تلك الأقوام أو من غير العلماء إذا كان عارفًا به ولم يذكر فيه أن هذا المعلم من ينصبه ويعينه ولا شك أن الذي ينصبه ويعينه هو ناظر المكاتب ومفتشه (اينسبكتور) وقد بينا أحوالهم فلا حاجة إلى الإعادة وأيضًا الامتحان من غير علم الدين يجري في تلك المكاتب وإن لم يذكر فهل يجري الامتحان من علم الدين أولاً مع أنه ضروري لا بد منه على وجه لا يرقى المتعلم إلى مرتبة أعلى لو لم يقدر على الامتحان فيه كما في سائر الفنون وأيضًا ذكر الأعضاء المسلمون عند جرح النظام السابق من جملة أسباب الجرح تسويتهم أولاد المسلمين بأولاد من سواهم من چواش وچرمش وآر مع أنهم يحصلون في مكاتب المسلمين من المعارف ما لا يحصله هؤلاء.

وأيضًا لم يعتبروا دينهم ولم يلاحظوا أهمية عندهم مع أنه مذكور في أسباب الجرح إلى غير ذلك من الانتقادات التي لو جمعنا كلها لكانت عشرة أمثال النظام المذكور ولهذا لما انتشر هذا النظام بين المسلمين واطلعوا على محتوياته تبدل فرحهم حزنًا ونشاطهم فتورًا واستيقنوا أنه لا يلوح لهم صباح الخير وأظهروا عدم رضاهم به في جميع الأماكن والبلدان لم يختلف فيه اثنان سوى صاحب جريدة سميت بضد وصفه وصاروا يجتمعون ويتشاورون فيما يفعلون فيه حتى بلغني أن حضرة المفتي يريد الذهاب إلى پطربورغ لملاقاة النظار بل الإمبراطور إن أمكن لإفادة أن أمثال هذه الأمور مجحفة بحقوق المسلمين ومزعجة إياهم ومقلقة لخواطرهم وموجبة لنفرتهم وتباعدهم عن الحكومة فضلاً عن تقريبهم منهم فنعم الأمر لو فعل لكان موجبًا لتبييض صحائف أعماله وصفحات تواريخ حياته في أواخر عمره أطال الله بقاءه.

والحاصل ما دام التشديد والتضييق وهضم الحقوق قائمة في ذلك الطرف فالاطمئنان والراحة محال لهذا الطرف وقدم أن الباعث على نفرة المسلمين هم رجال الحكومة وتشديداتهم الغير اللائقة وتقدم أيضًا أن التعصب ابن الاضطهاد ولما انتشر النظام السابق كتب لي بعضهم أنه إن حصل الجد من طرف الحكومة بإجراء هذا التكليف يلزمنا كذا وكذا.

قلت ليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام وكم وكم من أمور أمثال ذلك قد وقعت فلم يحصل كذا ولا مذا إلا لما كنا كذا فلو حصل لحصل حين تحركت الجمهور منضمين إليهم، شعر:

فإن لم تكن لي والزمان شرم برم فلا خير فيك والزمان ترللي

والحكومة إنما تفعل ذلك لكونها أمينة من وقوع كذا وكذا نعم إذ حصل الجد به ينبغي لهم أن يهيؤوا لهم محل الهجرة بناء على قاعدة أحد أسلحة العاجز الهرب ولا يجدون لهم محلاً أحسن للهجرة من جهة الشرق ملتجئين إلى حماية الشمس المشرقة مغنين بقول الشاعر، شعر:

ألا فاعذروا قلب المحب فإنه رأى البرق شرقيًا فحنّ إلى الشرق
رأى البرق شرقيًا فحن إلى الشرق فلو لاح غربيًا لحنّ إلى الغرب

وهذا الطريق أعني طريق إقراء كتب المسلمين بالحروف الروسية كان اخترعه ايلمينسكي كما مرت الإشارة إليه عند نقل كلام چيچيرنه ومدحها إياه وبيان منافعها لهم والحاصل أنهم لما قاسوا الصعوبة في تعليم أولاد المكرهين اخترع ايلمينسكي طريق اقرائهم بألفاظ تتارية وحروف روسية فبذلك أزال عقبة واحدة من طريق تعليمهم وهو تعليم الألفاظ الروسية وبقيت العقبة الواحدة فقط وهي تعليم الحروف الروسية فبذلك ترتبت نتيجة ما على سعيهم واجتهادهم فيهم يريدون الآن استعمال الطريق المذكور في اصطياد المسلمين كما استعمل نصر الدين خواجه في بنته ما قاله الدلال في بقرته ففي أواخر غنوار من سنة ١٩٠٥ أورد پروفسير في جمعية اختبار الشرق في حضور الجنرال شويدف نطقًا في مدح الطريق المذكور وتأثيره ولزوم إدخاله وإجرائه بين المسلمين ولقي مدافعة شديدة وتكذيبًا إياه من طرف المسلمين الحاضرين هناك ثم أوردت چيچرينه عين النطق المذكور في الجمعية المذكورة في أبريل من السنة المذكورة كما مر بيان بعض منها فلقيت ردًا ومدافعة وتكذيبًا من طرف الغيور طنچبايف وسيد آلن وهما من طائفة قزاق ثم أورد النطق فيه بعض الجنرال المتقاعد

العاجز عن إدارة معاشه في ٢٦ مايس من السنة المذكورة ليشبع بذلك بطنه من صندوق الصليب الأحمر والحاصل أن هؤلاء أعداء الإنسانية عمومًا الروسية خصوصًا هم الذين لا يزالون يسعون في تكدير المياه الصافية وإيقاع أمور الحكومة والرعية في الارتباك وإيقاع الشحناء والبغض والعداوة بين رعايا دولة واحدة وأبناء وطن واحد والحكومة دائمًا في طرفهم وفي حمايتهم وإعانتهم وتقوية شيطنتهم كما مر وذلك إما لعدم تنبهها على شيطنتهم ودسائسهم لظهورهم لها في صورة النصاح ومهارتهم وحذاقتهم في شيطنتهم وإخفاء مرامهم ودسائسهم أو لوجود منفعتها ومصالحها في ذلك وإن كان هذا بعيدًا عن العقل والله سبحانه أعلم.

[بيان أحوال التتار من جهة معايشهم وعوائدهم]

وأما سائر أحوال القوم المذكورين من جهة معاشيهم وعوائدهم وطبائعهم فهم منقسمون إلى أهل الأمصار وأهل القرى وأهل الأمصار إما تجار وإما صنّاع ولكن ليس فيهم كبير صناعة وهم مقيمون في الأمصار في محلات على حدة غالبًا وربما يسكنون مختلطين بالروس ولكن مساجدهم ومدارسهم في محلات مختصة بهم وأهل القرى إما تجار وإما زراع وإما صناع وأكثرهم الزراع وفيهم أرباب الفابريكات والمعامل وأصحاب الأراضي والعقارات والغابات ولكن ليس فيهم من يبلغ ثروته ثروة أغنياء الروس ولكن تجارتهم ترقت في هذه السنين الأخيرة ترقيًا ظاهرًا في جميع أنحاء مملكة الروس وهم ينتشرون في جميع الممالك التي تفتحها الروسية حتى في مانجوريا وولاديوستوك وما والاها وجهات البحر المتجمد الشمالي حتى صار لهم الآن جامعان في موسكوا وفي ايرقوتسكي وآخانكيل وچيتا وزيدت جوامع عديدة في كل من بلاد أورنبورغ وأورسكي وطرويسكي وأوفا وغيرها في مدة قريبة وكذلك أنشىء في بلدة پيرمي جامع لطيف جدًا وكذلك أحدثت الجوامع في قصبات كثيرة لم يكن بها جامع قبل مثل منزله وبوكلمه وكوزنيتسكي وكذلك أنشىء في العام الماضي جامع في بلدة توير من أمهات بلاد الروس القديمة بين موسكوا وپطربورغ وسينشأ في نفس پطربورغ أيضًا جامع كبير إن شاء الله ذلك بهمة الأغنياء كثّر الله أمثالهم وزاد غناهم وهم يتنافسون بعضهم بعضًا في ذلك ولا توجد قرية من قراهم ليس بها مسجد إلا إذا كانت صغيرة جدًا فتكون تابعة لأقرب القرى إليها وتحت نظارة إمامها ومثل ذلك نادرة جدًا بل لا تكاد توجد وأكثر قراهم كبيرة مشتملة على محلات كثيرة حتى توجد قرية مشتملة على تسع وعشر محلات مثل قرية قارغالي بقرب بلدة أورنبورغ وقرى المسلمين خالصة لهم ليس فيها روسي إلا نادرًا جدًا بحيث لا تذكر ومساجدهم

ليست مثل مساجد سائر الممالك بأن تكون أوطأ من بيوت الناس بل تكون أرفع من جميع البيوت ومناراتها عالية جدًا وهم إذا دخلوا المساجد لا يتكلمون فيها بكلام الدنيا إلى أن يخرجوا منها ولذلك ترى مساجدهم ذات روح وراحة بحيث إذا دخلتها ترى نفسك كأنك خرجت من الدنيا وترى صدرك منشرحًا غاية الانشراح وقد مر بيان معاملة الروس المساجد رسمًا وأما طبعًا ربما ترى أحدهم يمر بقرب المسجد وفي يده دخان يشربه فإذا سمع الآذان يرميه من يده تعظيمًا للآذان[1] وربما يقف يسمعه وليس هذا بمبالغة ولكنه قليل وفي جنب كل مسجد مكتب أو مدرسة ولو كان في القرى بحيث لا يكاد يوجد مسجد ليس بجنبه مدرسة أو مكتب وهم يعظمون العلماء وأهل الفضل ومشائخ الطريقة جدًا بحيث لو قلنا إن قومًا من الأقوام لا يعظمون علماءهم مثلهم لا يكون مبالغة والحاصل لا قصور لهم في ذلك وإنما القصور في معرفة من يستحق التعظيم ومن لا يستحقه فكل من اعتقدوا فضله يعظمونه وإن كان أجهل الجهلاء ومن لا يدركون فضله لا يلتفتون إليه قط وإن كان أعلم العلماء وأفضل الفضلاء ومع ذلك فهم يرجحون الأجانب بالطبع ويعتقدون أن جنسهم لا يبلغون شأو الأجانب بل لا يجوز ذلك في اعتقادهم فسوق الأجانب هناك حامية بشرط دعوى الفضل وإن كان في الواقع أجهل من الجدار وأسفه من الحمار وهذه سجية كافة الطوائف التركية على العموم وطبيعة التتار على الخصوص لا يستثنى منهم فيها أحد ولذا تسمعهم أنهم عاملوا بالشيخ الفلان كذا وجمعوا له مبلغًا كذا لبناء كذا وتعمير كذا وهو لم يعمر إلا بطنه الخبيث ولم يبن إلا بيتًا لنفسه كبناء شداد وقد عابهم الفاضل المرجاني بذلك ولكنه كان بنفسه متصفًا بهذه الصفة وقد أتى بلدة قزان سنة ١٣٠٠ اثنان من سكنة مكة أحدهما خياط وزمزمي فصدق ولم يدع ما ليس فيه وكان اسمه خليلًا والآخر أصله من فلاحي إسكندرية اسمه إسماعيل فادعى أنه إمام وخطيب في حرم مكة وهو عامي لا يجيد القراءة من جهة الإعراب فضلًا عن جهة التجويد فصدقه الفاضل المرجاني وكان يأخذه معه في الضيافات ويجلسه معه في عربته ولم يعامل هذه المعاملة مع أحمد ضياء الدين أفندي مجاور المدينة فضلًا عن غيره وكان المذكور أيضًا هناك في العام المذكور مع أنه أظهر فضله بإنشاء بعض القصائد في مرثية ولده وتاريخ مدرسته فعلمت من ذلك

(١) وقد خرجنا يوم ٢٣ رمضان هذا العام الذي طبع فيه التاريخ من مسجد توز توبه بعد أداء صلاة الظهر فإذا اثنان من الروس يمران بإمام المسجد وفي فم أحدهما دخان فلما رآنا أخفى دخانه بكمه وأخذ الآخر قبعته تعظيمًا لما هداهما الله للإسلام. منه عفي عنه.

الوقت أن رؤية قصور الغير سهل ولكن الاجتناب عنه مشكل وعسير مع أن اللازم أولاً هو هذا قال الشاعر، شعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدي بالعلم منك وينفع التعليم

وهذا كلام صدق لا شبهة في صحة مضمونه فإن الإنسان إذا ناقض قوله بفعله كيف يؤثر قوله في غيره وكيف يقتدون بقوله دون فعله مع كونه أقوى وقد شاهدت ذلك بعيني فإن ولده دعي لإعطاء بدل بعض أقاربه في سنة ١٣١٦ واحدًا من أهل الحرمين متعللاً بأن أباه كان يحبه فقد سن هذا لمن بعده بفعله.

والحاصل أن هذا الفعل الشنيع جار بينهم وسار فيهم حتى رأيت بعض طلبة التتار في بخارى يستنكف أن يتعلم من مدرسي التتار ويقول ما فائدة مجيئي إلى بخارى إذا أخذت العلم عن مدرسي التتار وهم مبذولون في الروسية أيضًا وهذا كما ترى تعليل فاسد فإن كون غريب الديار مدرسًا ومرجعًا للكل دليل ظاهر على كماله فإنه لو لم يكن مستحقًا للتدريس من جميع الوجوه لما نصبوه مدرسًا ولما أخذ عنه سائر الأجناس كما لا يخفى ومثل هذا يشاهد في سائر المواضع أيضًا وهم أعني قوم التتار أهل الذكاوة والقابلية والصلاحية والاستعداد لكل شيء ولهذا تراهم لا يختلطون بقوم من الأقوام إلا انقلبوا إليهم ويصيرون منهم من جميع الوجوه ألسنة وأخلاقًا وعادات وآدابًا في أقرب الأوقات والغالب فيهم الصلاح والديانة والصداقة والأمانة ولهذا ترى سائر الأمم المتجاورين لهم يميلون إليهم ويحبونهم حتى أمة الروس لولا إفساد طائفة ميسيونير وفيهم إعانة بعضهم بعضًا وإن لم تكن في الدرجة المطلوبة ولعلها تزيد فيهم بزيادة المعارف والتمدن وقد شاهدت الفقير ترقيهم فيها ترقيًا ظاهرًا في مدة سنين قليلة وأسباب معائش الأئمة والمدرسين ولوازمها من أعشارهم وزكواتهم وصدقاتهم[1] وأهل القرى سالكون مسلك الاقتصاد والبساطة في جميع شؤوناتهم إلا من ندر منهم وأهل الأمصار في أغنيائهم الكبار الإسراف والتبذير والكبر والخيلاء غالبًا ولا سيما الشبان منهم ولذلك ترى كثيرًا منهم يضيعون الثروة التي جمعها آباؤهم

(١) هذا لمن كان بينهم من العلماء وأما من اغترب منهم في سائر البلاد فهم لا يتفكرون فيه ولا يتذكرونه قط فهم أعني الغرباء من علمائهم في ضيق وشدة من جهة المعيشة فإن الغريب إذا لم ير الإعانة من قومه فممن يراها. منه عفي عنه.

وأجدادهم بغاية المشقة والتعب ويفلسون في أقرب الأوقات. والخير من جميع الوجوه في المتوسطين.

[مـــذهبهم]

وأما مذهبهم فمن حيث الاعتقاد كلهم سنيون ماتريديون ومن حيث العمل كلهم حنفيون وليس فيهم مبتدع قط إلى الآن وذلك لشدة تصلبهم في الدين فإنهم من شدة تصلبهم قد سفروا ونفوا عن بلادهم إلى سيبريا بمعونة الحكومة بعض من أراد ابتداع بعض الأشياء كمنكلي قل ايشان ومن شدة تصلبهم يعدون ذكر الجهر بدعة وينهرون عنه صاحبه وينكرون عليه أشد الإنكار إلا أن مذهب الوهابيين قد بدأ في الظهور في بعض الأشخاص منهم من بعض الوجوه وحدث أيضًا في مدة قريبة فرقة البهائية وهم أصحاب شخص سمي بهاء الدين كان مريد شيخ من مشائخ النقشبندية فلما توفي شيخه ادعى الخلافة والمشيخة لنفسه من غير إذن وإجازة من شيخه وابتدع بعض الأمور وحصل له مجريات مع الأهالي والحكومة فرمته الحكومة أخيرًا في تيمارخانه (موضع المجانين) تخليصًا له من النفي فمات فيه وبقي له أتباع وأصحاب والآن نسمع أنهم اجتمعوا على ولده وشرعوا في إحياء مذهبه الباطل أبادهم الله وقد علمت أيضًا فيما سبق انحراف بعض الشبان عن جادة الاستقامة وانسلاخهم عن الديانة والحسد سائد بين علمائهم قديمًا وحديثًا ولذلك تراهم لا يجتمعون ولا يتفقون على أمر ما ومتى صار واحد منهم إمامًا في مسجد من المساجد بأخذ المنشور صار ذلك المسجد كالمال الذي ورثه من أبيه لا يترك أحدًا يقرأ فيه القرآن أو يعظ فيه الناس إلا بإذنه ولهم تمسك شديد بعاداتهم ومبادئهم ولا سيما إذا اعتقدوها سنة وإن كانت في الواقع مستهجنة مثل كيفية تسميتهم الأطفال فإنهم يضعونهم على الأرض ويقومون في طرفه اليمين ويؤذنون قائمين جاعلين سبابتيهم في آذانهم مثل أذان الصلاة ثم يدعون بدعاء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة الخ وليت شعري أي صلاة هناك قائمة ثم يقومون في طرفه اليسار كذلك قائمين والحاصل إذا رآهم من لم يرهم أولاً على هذه الكيفية لا يملك نفسه من الضحك ومن ذكرهم بما في الشرعة من قوله ويؤذن في أذنه اليمنى الخ لا يلتفتون إليه قط هدانا الله سبحانه وإياهم سواء السبيل ورزقنا حسن الاستقامة والتمسك بالحبل المتين.

[عدد المسلمين في الروسية]

وأما عدد نفوسهم فاعلم أن تحرير النفوس إنما ابتدىء في عصر بطر الأول وتكرر إلى الآن عشر مرات فلا ندري في السوابق منها كم كان عدد نفوسهم وأما في

العاشر منها الذي كان سنة ١٢٧٣ هـ في أيام ألكساندر الثاني على ما ذكره الفاضل المرجاني كان عددهم ٢,٠٧٤,١٨٢ تقريبًا و ٣,٧٥٠ مسجدًا و ١,٨٦٩ مدرسة ومكتبًا وقد أرسل إلى الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي زيد قدره وعلاه بموجب التماسي منه هذا الجدول قبل هذا باثنتي عشرة سنة أعني قبل التحرير الأخير الحادي عشر وهو هذا.

أسامي الولايات	عدد الأئمة والمدرسين	عدد المساجد	منازل الصلاة الغير الرسمية	عدد الذكور	عدد الإناث	عدد مجموع والإناث الذكور
قزان	٢٣٦٠	١٠٦٩	٠٠	٣١٨٩٩٤	٣٠٢٧٥٣	٠٦٢١٢٤٦
واتكا	٠١٩١	٠١٥٨	٠٠	٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠	٠١٢٨٥٤٦
أورنبورغ	٠٩٧٦	٠٥٢٩	٠٠	١٩٣٣٨٩	١٧٠٣٤٢	٠٣٦٣٧٣١
اوفا	٢٢٨١	١٥٢١	٠١	٥٤١٧٨٥	٥٣٩٩٧٠	١٠٨١٧٥٥
صمار	٠٤٢٠	٠٣٠١	٠٠	١٢٤٠٨٨	١٠٩٤٩٧	٠٢٣٣٥٨٥
سمبر	٠٢٤٣	٠١٧٧	٠٠	٠٦٠٥٨٧	٠٥٩٥٤٣	٠١٢٠١٣٠
سراطاو	١٧٥	٠١٥٢	٠٠	٠٤٠٦١٤	٠٤٠٦١٤	٠٠٨١٨١٨
پينزا..	٠١١٩	٠١٠٥	٠٠	٠٣٣٨٢٨	٠١٩٥٦١	٠٠٥٣٣٨٩
طمبوف..	٠٠٣٨	٠٠٢٨	٠٠	٧٢٧٣٩	٠٧٦٦٥٢	٠١٤٩٣٩١
أورالسكي	٠٠١٨	٠٠١٤	٠٠	٠٠٩٦٠٥	٠٠٨٦٨٨	٠٠١٨٢٩٣
أوبلوص		٠٠				
حاجي طرخان	٠١٤٦	٠١٣٨	٠٠	٠٥٣٤٢٧	٠٥٠٩٤٥	٠١٠٤٣٧٢
پيرمي..	٠٣٠٢	٠٢٠٤	٠٠	٠٧١١٥٢	٠٦٧٦٢٥	٠١٣٨٧٧٧
طوبل	٠١٣٦	٠٠٧٢	٠٠	٠٢٧٣٢٢	٣٢١١٧٣	٠٠٥٨٤٩٥
سيمي پولاط	٠٠١٥	٠٠١٤	٠٠	٢٨٢٧٤٧	٣٣٧٢٠٦	٠٥١٩٩٩٣
نيژني نووغورد	٠٠٨٥	٠٠٦٤	٠٠	٢٢٥١٥	٠٣٣٣٩٥	٠٠٥٥٩١٤
طومسكي	٠٠٢٩	٠٠٢٨	٠٠	٠١٣٤٥٥	٠١٦٧٥٣	٠٠٣٠٢٠٨
رزان...	٠٠١٤	٠٠١٠	٠٠	٠٠٣٣١٧	٠٠٣٤٤٩	٠٠٠٦٧٦٦
موسكوا..	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠٠١٥١٣	٠٠٠٧١٢	٠٠٠٢٣٢٥
پطربورغ	٠٠٠٤	٠٠٠٠	٠٠٣	٢٠٠٠	٢٠٠	٠٠٠٢٢٠٠
ايركوتسكي	٠٠٠٣	٠٠٠٢	٠٠	٠٠١٤٧١	٠٠٠٩٩٦	٠٠٠٢٤٦٧
آقمولا..	٠٠١٤	٠٠١١	٠٠	٠٠٤٢٨٥	٠٠٣٩٨٩	٠٠٠٨٢٧٤
ينسي...	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠١٩٤٨	٠٠٠٨٠٩	٠٠٠٢٧٥٧
كاسترامار	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠٠١٨٩	٠٠٠١٧٦	٠٠٠٠٣٦٥

أسامي الولايات	عدد الأئمة والمدرسين	عدد المساجد	منازل الصلاة الغير الرسمية	عدد الذكور	عدد الإناث	عدد مجموع والإناث الذكور
يكاترينسلاف	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠٠٢٩٦	٠٠٠١٥٥	٠٠٠٠٣٥١
راصتوف	٠٠٠٢	٠٠٠١	٠٠	٠٠٠٠٢٠٥	٠٠٠١٠٥	٠٠٠٠٣١٠
آديسا . . .	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	غير معلوم	غير معلوم	٠٠٠٠٠٠
كرونشتاد	٠٠٠١	٠٠٠١	٠٠	كذا	كذا	٠٠٠٠٠٠
وارشاوا	٠٠٠١	٠٠٠٠	٠١	كذا	كذا	–
خاركف	١		٠١	كذا	كذا	٣,٨٨٦,٦,٢,٥
	٥٧٨٢	٤٦١١				مجموع

وهذه الولايات انتشرت فيها المسلمون بعد دخولهم تحت تصرف الروس من الأول إلى هنا كانت ممالك المسلمين الأصلية كلاً أو بعضًا إلا ولاية آقمولا فإنها كانت في الأصل من ممالك المسلمين.

تنبيهات الأول: أن بعض الولايات التي فيها التتار لم يذكر هنا مثل آرخانكيل وچيتا وخبار وفكاو ويلاديويستوك وبلاغويشينسكي وسخالين وخاربين وقمچاتكا وبعض مواضع فنلانديا فإن في كثير منها مساجد رسمية وفي بعضها منازل مستأجرة للصلاة.

والثاني: أن كثيرًا مما ذكر زاد فيه مساجد رسمية مثل موسكوا وأحدث في بعضها مساجد مثل آديسا.

والثالث: أن مسلمي هذه الولايات هم التابعون للمحكمة الإسلامية في بلدة اوفا وكافة أئمة هذه الولايات ومدرسيها لا يكونون أئمة ولا مدرسين إلا بعد أخذهم المنشور من طرف الحكومة وإجراء الامتحان في المحكمة المذكورة.

والرابع: أن مسلمي تلك الولايات هم المشهورون الآن في خارج مملكة الروسية بأهل قزان[1] مع أن ولاية واحدة منها وكثير منهم لم يدخلوا تحت حكومة قزان وقت استقلالها وذلك الاشتهار لكون مملكة قزان آخر الممالك التتارية التي استولى عليها الروس وهم منقسمون إلى ثلاثة أصناف مشهورة أعني التتار والميشر

(١) وأما أهل القريم والداغستان والتركمان وخوارزم وما وراء النهر وفرغانة والتركستان وقزاق وقرغز فخارجون عنهم غير معدودين منهم إلا من كان يقيم بينهم منهم. منه عفي عنه.

والباشقرد وإن كان فيما بينهم أصناف أخر صغار غير مشهورة مثل نوغاي وهم أهل حاجي طرخان وتيبتر وهم ساكنون في أراضي باشقرد مختلطين معهم وهم أهل القزان المهاجرون إلى هناك بعد استيلاء الروس على قزان وقيل هم الذين أسلموا من چواش وچرمش وآر والأصح أنهم أعم من المسلمين الأصليين ومن هؤلاء المهتدين كما قدمنا.

والخامس: أن المقيمين في قريم وداغستان وما وراء النهر وخوارزم وفرغانة وتركستان من أهل قزان غير داخلين في هذا الحساب وغير تابعين للمحكمة المذكورة ولهم في كثير من تلك الممالك محلات مستقلة ومكاتب ومدارس.

والسادس: أن الفقير كنت قد اطلعت في موضع على أن نفوس مسلمي ولاية قزان كانت في التحرير الذي وقع قبل تحرير هذا الجدول ٣٠ سنة تقريبًا ٤٨٣,٨٤٣ فتكون الزيادة في مدة سنة ٣٠ تقريبًا ١٤٣٠٤٠٤.

والسابع: يظهر من هذا أن نفوس أهل قزان حين استقلالهم الحكومة أنفسهم إما أن تبلغ مليونًا أو لا وذلك مع چواش وچرمش وآر والتابعين لهم فإن الباشقرد والميشر كانوا خارجين عنهم وبهذا القدر من النفوس حاربوا الروسية مدة ١١٥ سنة وقاوموهم مع أن نفوس الروسية لا تنقص في ذلك الوقت عن ٢٥ مليونًا على الأقل سبحانه محول الأحوال.

والثامن: أن المتأمل في حساب الذكور والإناث يرى عدد الذكور أكثر من عدد الإناث دائمًا إلا في ولايات طوبل وطومسكي ورزان ونيژني نووغورد وأظن أن الأرقام في الأصل في أعداد نفوس هذه الولايات وقعت في غير مواضعها بأن وقعت أرقام الذكور موضع أرقام الإناث وبالعكس وأما قلة عدد الإناث عن عدد الذكور في موسكوا وپطربورغ فلكون المسلمون هناك أتوهما من سائر البلاد لأجل الكسب فقط وأكثرهم غير متأهلين، وأما في التحرير الأخير الواقع في سنة ١٨٩٧ الذي قد مر ذكر ما جرى في أثنائه بعض الأمور الغير اللائقة.

[علماء تلك الديار]

وأما علماء تلك الديار في تلك الأدوار فاعلم أني قدمت اعتذاري في هذا الباب مرارًا فلا حاجة إلى الإعادة وخلاصة الكلام أن العلماء فيهم كانوا موجودين كثيرين وقد عرفت خلال بيان أحوالهم إجمالاً صلابتهم في الدين وسعيهم

واجتهادهم في حفظ أحكام الشريعة ونشر الدين والعلم فإنه لولا سعيهم واجتهادهم الخارق للعادة لتلاشى أمر الدين في أقرب مدة أثناء سعي المخالفين في إطفاء نور الله تعالى السعي الذي مر بيانه وما تفوه به بعض المخاذيل من أنه لا مدخل لسعيهم في بقاء الدين الإسلامي فيهم لبقاء أقوام چواش وچرمش وآر على ما هم عليه من الوثنية مع عدم علمائهم فكلام باطل ليس تحته أدنى طائل فإن بقاء هؤلاء أيضًا تابع لبقاء التتار على ما هم عليه من الإسلام وإلا لما بقوا عليها كما اعترف به الضالون على أن قياسه قياس مع الفارق فإنه لولا علماء التتار لبقوا على التتارية المحضة عارين عن الدين والعلم مثل تلك الأقوام والحاصل أن مساعيهم واجتهادهم في هذا الباب لا تنكر بل تذكر دائمًا وتشكر وعلى صحائف التواريخ تسطر رحمهم الله سبحانه جميعًا ورضي عنهم إلا أنه لم يبق منهم شيء من الآثار التذكار ولكن عدم الآثار لا يدل على عدد مهم بل ربما يكون من لا أثر له قط أعلم وأفضل ممن له آثار كثيرة وفوائد لملته غزيرة من جهة قيامه بأمر تعليمهم ونشر الدين والعلم والآداب فيهم كما شاهدنا نحن بعيوننا كثيرًا ممن كانوا كذلك ولقد قلد الفاضل المرجاني قلائد الملة في أعناق النبلاء بجميع تراجم كثير منهم في القسم الثاني من مستفاده جعل الله سعيه مشكورًا وجزاه عنا وعنهم خيرًا ورحمة ورضى عنه ثم اقتفى أثره في ذلك مع زيادة فوائد لا تحصى الفاضل المحترم رضاء الدين أفندي القاضي شكر الله سعيه وأدام بقاه ووفقه لإتمامه ونشر فوائد كثيرة لملته غير ذلك وأنا أذكر هنا بعض المشاهير منهم أخذًا من آثارهما أو التقاطًا من مواضع أخرى على سبيل الإيجاز لإحياء ذكرهم.

[رضي الدين القزاني]

فأول من وقفت على اسمه منهم الشيخ رضى الدين القزاني ذكر في خلاصة الأثر في ترجمة الشيخ أبي بكر بن علي المعروف بالجمال المصري المتوفّى بمكة في سنة ١٠٠٦ عند تعداد مشايخه الذي أخذ عنهم الشيخ رضى الدين القزاني الشافعي ولم يذكر أحواله لا هنا ولا في غير هذا الموضع وقوله الشافعي بعد قوله القزاني عجيب جدًا فإنك قد عرفت مما سبق قريبًا أن أهل قزان كلهم حنفيون ليس فيهم شافعي أصلًا والله سبحانه أعلم وأتحفني صديقي الشيخ محمد صالح الميمني المكي سلم الله أبياتًا وجدها بين أوراق متفرقة كتب فوقها هذه العبارة وقال صاحبنا أحمد بن رضي الدين القزاني المكي فيه اهـ ولم أطلع على اسم كاتبه وحقيقته وجنسه وأظن أن رضي الدين هذا الذي هو أبو أحمد صاحب الترجمة وقوله فيه أي في ذكر الأحبة

وقت الشدائد والأبيات هذه، أشعار:

ولقد ذكرتك والأحبة تذكر ... في يوم مسود[١] الجوانب أغبر
وذكرت بالخطى قامتك التي ... تختال غصن البان لما تهصر
وذكرت بالهندي فعل لواحظ ... لك في قلوب العاشقين تؤثر
وذكرت من برق السيوف مباسمًا ... لك من بريق بالعقيق تخبر
وبسنجق القوم الكرام ذوائبًا ... لك فوق خدك حين تخطر تنشِر
والله لولا أن ذكرك مونسي ... لتوحشت روحي بما أنا أبصر
النفس غنت والصوافن رقص ... والرمح ينظم والصوارم ينشر

اهـ.

وقوله فيه أيضًا وقد أصابه مرض:

ذكرتك والداء قد حل بي ... وجسمي غدا لابسًا أحمرا
وأيقنت أن الذي قد كسا ... جميعي خداك مذ أسفرا[٢]

وله أيضًا فيه وقد أصابه مطر شديد ليلة عرفة:

ذكرتك يا من قده كلما خطر ... أظل به مضني وأمسى على خطر
بليلة نفر والضجيج من الورى ... علا وهم يدعون من صور[٣] الصور
وقد عالهم ريح وذا الريح أسود ... به صمت الآذان وانطمس البصر
وللبرق في جو السماء لوامع ... وللرعد صوت أرعد الجن والبشر
وقد ظهرت من جانبيه صواعق ... وقد صار ليلاً أليلاً ما به قمر
وقد طفت النيران منه خوافق ... وهبت بنا الأرياح وانسكب المطر
وفارقت أصحابي هناك وعشرتي ... وقد كنت طاو والفؤاد قد انفطر
وأهلكني برد شديد تصككت ... سنوني به واعتادني الهم والفكر
وأيقنت أن الموت قد جاءني وقد ... يئست من الدنيا وقلت الفنا حضر

---

(١) وكأن في اليوم المذكور وقعت محاربة. منه عفي عنه.
(٢) والشطر الأخير مكسور وزنًا ركيك معنى وكأنه وقع فيه التغيير من النساخ. منه عفي عنه.
(٣) هكذا في الأصل المنقول عنه ولم أدر معناه. منه عفي عنه.

ففرج منك الذكر همي كله وزال الذي ألقى من الوجد والضرر
وصرت به ألهو وأطرب دائمًا كأني الذي ألقاه حمري والوتر

اهـ.

[مرتضى بن قطلغش السيمتي]

الشيخ مرتضى بن قطلغش السيمتي واشتهاره بالحافظ مرتضى والحاج مرتضى كان تحصيله في طرف الداغستان وتشرف بالحج وزيارة بيت الله الحرام ومن آثاره بعض الفتاوى الموجود في هوامش الكتب وكتاب أحكام الصلاة بالعربية قال في ديباجته بعد البسملة والحمد أما بعد فأنا العبد الضعيف القليل البضاعة والكثير البطالة الحاج مرتضى القزاني أريد أن أكتب مختصرًا جامعًا لشرائط الصلاة وأركانها الخ كان من رجال القرن الثاني عشر وتاريخ وفاته غير معلوم ولكن قيل إنه كان حيًا في سنة ١١٣٦ وقبره بين قريتي السيمت من توابع قصبته مماداش من ولاية قزان رحمه الله تعالى.

[منصور بن عبد الرحمٰن البرندقي]

الشيخ منصور بن عبد الرحمٰن أنس البرندقي قيل كان من تلامذة الشيخ مرتضى ومن جدود المفتي محمد جان المار ذكره ثم رحل إلى بخارى للتحصيل ولما رجع إلى وطنه وانتصب للتدريس ادعى التفوق على شيخه الشيخ مرتضى والتزم مخالفته في جميع المسائل فبئس الخصلتان لو صح الإسناد قيل أنشأ المدارس الكبار واجتمع لديه كثير من الطلبة قيل كان يقرأ في تلك البلاد أولاً في ابتداء الصرف الزنجاني وفي مفتتح النحو المصباح للمطرزي وشرحه الافتتاح ولما رجع صاحب الترجمة من بخارى أحدث أصولاً جديدة في التعليم فبدل الزنجاني بكتاب بدان وشرح عبد الله المار ذكرهما في الصرف وكتاب المصباح وشرحه بالعوامل الجرجانية ورسالتي القواعد وله بيان إعراب العوامل الجرجانية المذكورة بالفارسية يستعمل إلى الآن عند القدماء قيل أتمه في سنة ١١٣٩ ولكنه لم يذكر فيه اسمه بل عبر عن نفسه بعبيد الله البلغاري وتاريخ وفاته ومدفنه غير معلومين رحمه الله تعالى وبرندق قرية من توابع قصبته زوه في ولاية قزان.

[إيشمحمد بن طوق]

الشيخ إيشمحمد بن طوق محمد الآدائي وآداي قرية من توابع مالمژ التابع لولاية واتكا قيل كان صاحب شهرة عظيمة في عصره الذي هو ابتداء القرن الثاني عشر وكان شهرته بشيخ بابا وقبره في قرية آداي المذكورة وتاريخ وفاته غير معلوم.

[يونس بن ايواناي]

الشيخ يونس بن ايواناي الأوروي وأوري قرية من القرى التابعة لقزان كان مدرسًا بها قيل إن أول من رحل إلى بخارى للتحصيل بعد استيلاء الروس على قزان هو صاحب الترجمة الشيخ يونس وقد تزوج وقت رجوعه من بخارى ببنت واحد من خوانين قزاق الچنكزية (يظن أنه أبو الخير خان بن آچه خان) اسمها مهل بيكه وجاء بها إلى وطنه وتوفيت هناك ودفنت بمقبرة أوري قيل إن صاحب الترجمة كان ذا همة عالية وعلم غزير له فتوى مشهور في وجوب العشر على أهالي قزان وله شرح لسراجية بالفارسية اختارها ليسهل على أبناء جنسه[١] سماه شرح ملا يونس كان ولادته سنة ١٠٤٦ وتوفي في المرة الثانية من سفر الحج وتاريخ وفاته غير معلوم رحمه الله تعالى.

[عبد الكريم بن بالطاي]

الشيخ عبد الكريم بن بالطاي القارغالي قرأ أولاً على علماء بلاده في عصره ثم رحل إلى بخارى واستفاد هناك من علمائها وصحب الشيخ حبيب الله البخاري المشهور بايشان داملا وهو خليفة الشيخ الإمام محمد معصوم ابن الإمام الرباني مولانا الشيخ أحمد السرهندي قدس سرهما ثم أقام في قرية قارغالي التابعة لولاية أورنبورغ ودرس فيها وربى المريدين وتوفي في سنة ١١٧١ ودفن بمقبرتها رحمه الله تعالى.

[عبد الرحمٰن بن طويمحمد]

الشيخ عبد الرحمٰن بن طويمحمد[٢] البيكچوري الطايصوغاني ولد في سنة ١١٠٢ بقرية مورطش طمق التابعة لقصبة منزله بولاية أوفا صرف كثيرًا من عنفوان شبابه في تحصيل العلوم ولما بلغ مرتبة الكمال فيها على حسب استعداده واجتهاده وانتصب للتدريس في قرية طايصوغان التابعة لقصبة بوكلمه من ولاية صمار واستفاد منه عالم كثير حتى انتشرت طلبته بين قزان وأورنبورغ وكان عقله ودرايته متناسبًا لعلمه

---

(١) بل ليسهل على نفسه على ما قال ناظر المعارف الروسية أن التعليم بالحروف الروسية بناء على طلب المعلمين لكونه سهلاً لهم كما مر. منه عفي عنه.

(٢) ابن بيكمحمد بن جانبولاد بن يعقوب بن سيمن بن إيلاز بن عبد الله بك بين بيكچورا خان واسمه مشهور وأحواله مجهولة قيل كان في منبع نهر جايق بموضع يقال له قاراغاي وفي شجرتنا أنه كان بساحل نهر أي بموضع يقال له طيشقي يالان وچوباركول في جايق قراغان والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

ولهذا كان يفصل الدعاوى الواقعة بين المسلمين وفق الشريعة المحمدية وبعد ذلك صيته وكان ذا نباهة وفقاهة ورياسة وله قصيدة بليغة في التوسل والاستمداد والاستشفاع بالنبي ﷺ بالتركية وتاريخ وفاته غير معلوم قيل كان حيًّا في سنة ١١٧٦ ولم يعلم كم عاش بعد ذلك وقد ظهر من عقبه كثير من العلماء رحمه الله تعالى ويتصل نسب هذا الفقير بنسبه في جدي الحادي عشر[1] عبد الله بك الذي هو الجد السابع لصاحب الترجمة والله سبحانه أعلم بأحوال عباده وأنسابهم.

[عبد السلام بن الحسن القاريلي]

الشيخ عبد السلام بن الحسن القاريلي كان أصله من ولاية أوفا واستفاد من الشيخ مرتضى أفندي المار ذكره ومن تلميذه الشيخ رفيق بن الطيب القورصاوي ثم انتصب للتدريس والإفادة في قرية قاريلي من ولاية قزان كان من العلماء المعتمد عليهم الموثوق بعلومهم كثير الطلبة ولم يكن له ولد ذكر ولذلك لما شاخ ارتحل إلى قرية شغاي التابعة لقصبة منزلة عند ختنه الشيخ محمد شريف واشتغل هناك أيضًا بالدرس ثم تحول منها إلى قرية ملم وأقام عند ختنه الثاني الشيخ زين الدين الملمي في سنة ١١٩٠ رحمه الله تعالى.

[أمير بن نور بن محمد]

الشيخ أمير بن نور محمد كان من مشاهير العلماء الكائنين في ولاية أوفا وكان يفصل الدعاوى الكائنة بين المسلمين وفق الشريعة الغراء واشتغل أيضًا بالتدريس ولم يذكر تاريخ وفاته ولكن قيل إنه كان حيًا سنة ١١٩٣.

[إيشنياز بن شيرنياز]

الشيخ إيشنياز بن شيرنياز الخوارزمي الأصل القارغالي الوطن والمدفن جاء من وطنه إلى قرية قارغالي واستوطن بها واشتغل بالتدريس واجتمع لديه جمع من الطلبة واشتهر فوق درجته وفضله بناء على ما تقدم من أن قوم التتار يرجحون الأجانب على جنسهم وإن كانت قضية مغني الحي لا يطرب مستعملة وجارية بين كافة الأجناس إلا أن مضمونها ظاهر وباهر في قوم التتار قيل له رسالة مسماة بالعقائد البلغارية بالتركية

---

(١) فإن الفقير مراد الله بن بهادرشاه عبد الله بن عاداشاه بن إسحٰق بن توڭالباي بن ياني أورص بن مرزاقل بن باغلاي بن مرداش بن ممج بن مرقه بن عبد الله بك بن بيكچورا خان. منه عفي عنه.

وفتوى في سقوط العشاء ببلاد بلغار وقزان في أقصر ليالي السنة وفي فساد الصلاة[١] بلمس لحمتي أذنيه بإبهاميه عند رفع يديه في تكبيرة القنوت بوتر ومقالات في إمكانية صفات الحق جل وعلى وزيادة وجوده على ذاته سبحانه وغير ذلك من الفتاوى الشاذة المخالفة لأقوال المحققين والعقل توفي في سنة ١٢٠٥ بقرية قارغالي رحمه الله تعالى.

[وليد بن مقصود]

الشيخ وليد بن مقصود كان عالمًا ذا شهرة عظيمة في قرية قرمسقه لي التابعة لقصبة ايسترلي طمق بولاية أوفا وكان يفصل دعوى أهل الإسلام قبل تأسيس الجمعية الإسلامية ويأذن ببناء المسجد وينصب الأئمة وكان له منشور بذلك من طرف الحكومة أخذه في سنة ١١٧٩ وتوفي في سنة ١٢٠٧ أو بعدها وخلف أولادًا علماء رحمهم الله تعالى.

[محمد بن علي الداغستاني]

الشيخ محمد بن علي الداغستاني الشهير بقاضي آقاي لأنه كان قاضيًا بداغستان ثم نفى إلى الروسية لسبب ما فاختار الإقامة بعد أن قاسى شدائد كثيرة في الغربة بقرية (قوندراو) أو (قنوندراو نوغاي) بساحل نهر صقمار من ولاية أورنبورغ واشتغل بالتدريس والإفادة ونشر العلم والوعظ والنصيحة خصوصًا بالاتفاق والاتحاد وانتفع به خلق كثير وكان له يد طولى في العلوم العربية أخذ عن الشيخ أحمد الداغستاني عن الشيخ محمد بن موسى القدقي معرب العوامل الجرجانية عن الشيخ داود الداغستاني وقيل إن أصله كان من ولاية قزان ثم رحل إلى كابل للتحصيل ثم رجع إلى داغستان وألقى رحلته إقامته بها ثم نفي منها إلى الروسية وقيل كان أصله من كابل ثم جاء منها إلى داغستان ثم نفي منها إلى الروسية وهو أبعد الاحتمالات فإن تعلم تاجيك بخارى لسان الترك بحيث يدرس بها من جملة المحالات فضلاً عن أهل كابل ثم هاجر في

---

(١) أقول كنت أتعجب من سؤال بعض أهل قزان عن هذا أعني عن فساد الصلاة بلمسهما وربما فتشت عن بعض الكتب الجامع بين الغث والسمين رجاء أن أظفر بوجوده فعرفت الآن أن منشأه دماغ الشيخ ايشنياز الخوارزمي لا غير قال الفاضل المحترم رضاء الدين أفندي القاضي امتحنوا به الشيخ زين الله ايشان في حدود سنة ١٣٩٠ بقرية يكالمت قلت ولا عجب فإن القزاق يمتحنون السواح ببول الإبل والثور فمن لم يعرفه منهم يقولون له أنت جاهل لا تعرف بول الإبل والثور. منه عفي عنه.

آخر عمره أثناء فتنة پوغاچف أيام يكاترينا الثانية إلى أرض قزاق مع جميع أهل بيته وأتباعه وتوفي هناك سنة ١٢١٠ بموضع يقال له صاوقاين رحمه الله تعالى.

[فيض الله بن عثمان البلغاري]

الشيخ فيض الله بن عثمان البلغاري ذكره العلامة السيد مرتضى الزبيدي في معجم مشايخه وقال فيض الله بن عثمان البلغاري حنفي شاب صالح أكمل فنون المعقولات ببلاده على مشايخ بلده وصاحب الشيخ منصورًا أحد الدعاة مدة وورد إلى مدينة ملك الروم ثم منها إلى مصر حاجًا فاجتمع بي في شعبان سنة ١٢٠١ فسمع مني الأولية وشيئًا من الصحيح وتلقى عني بعض الأسانيد وحكى لي عن بلاده وعن صاحبه المذكور (الشيخ منصور) غرائب مما يذاكر بها في التاريخ وتأخر عن سفره مع الركب المصري ولازمني في أثناء ذلك يقرأ عليْ ثم توجه في شهر محرم مفتتح سنة ١٢٠٢ اثنتين (يعني بعد المائتين وألف) من طريق البحر وقطن جدة ودرس للأتراك في بعض مساجدها وكتب إليّ منها كتابًا وقد كتبت له إجازة حافلة بارك الله فيه اهـ بحروفه ثم لم أقف منه على أثر رحمه الله سبحانه.

[بيكچنطاي بن إبراهيم البرسكوي]

الشيخ بيكچنطاي بن إبراهيم البرسكوي كان من مشاهير العلماء في عصره واشتغل بخدمة التدريس ونشر العلم في قرية برسكه من توابع قزان مدة سنة ٢٨ وانتفع به خلق كثير ثم جلبه المفتي محمد جان المار ذكره قاضيًا (أعني عضوًا) في المحكمة الإسلامية في ابتداء افتتاحها وتوفي في ٢٦ شعبان سنة ١٢١٥ رحمه الله تعالى.

[أبو بكر بن إبراهيم القزاني]

الشيخ أبو بكر بن إبراهيم القزاني كان إمامًا بمدينة قزان وكان له نفوذ واعتبار بين أهاليها وحواليها وكان يفصل دعاوى أهل الإسلام ولما افتتحت محكمة الجمعية الإسلامية جلب إلى أوفا قاضيًا وعضوًا بها أول مرة بإرادة المفتي محمد جان وتوفي ببلدة قزان سنة ١٢٠٨ رحمه الله تعالى.

[عبد خالق بن أعظم التنكي]

الشيخ عبد خالق بن أعظم التنكي كان مدرسًا بقرية تابعة لقصبة ممادش في ولاية قزان يقال لها (تنكي صباسي) ثم انتخب قاضيًا لمحكمة الجمعية الإسلامية أول

مرة وهو الثالث من الأعضاء الثلاثة الذين انتخبوا أول مرة كان وفاته في سنة ١٢١٦ رحمه الله تعالى.

[وليد بن محمد الأمين القارغالي]

الشيخ وليد بن محمد الأمين القارغالي وأصله من قرية قايبيج التابعة لقصبة تتش بولاية قزان استفاد أولاً عند الشيخ محمد بن علي الداغستاني ثم رحل إلى بخارى وسافر منها إلى كابل مرتين وصحب هناك الشيخ فيضخان بن خضر خان الكابلي المتوفّى سنة ١٢١٧ وكان من خلفاء خواجه حسن الكابلي وهو خليفة خواجه صنعة الله الكابلي وهو خليفة الشيخ صبغة الله ابن الإمام محمد معصوم ابن الإمام الرباني قدس سرهم واستفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية وصار مأذونًا ومجازًا منه ثم رجع إلى وطنه واستوطن بقرية قارغالي ودرس وربى المريدين هناك واشتهر صيته ثم خرج من وطنه بقصد زيارة الحرمين المحترمين في سنة ١٢١٤ وحج في سنة ١٢١٦ وزار المدينة المنورة وتوفي هناك في سنة ١٢١٧ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

[بهادرشاه بن سيارقل]

الشيخ بهادرشاه بن سيارقل كان إمامًا بقرية قاچماقتي التابعة لقصبة بوري وله تفسير بالتركية من سورة الفتح إلى آخر القرآن وهذا القدر من القرآن يسمى عندهم هفتيك بمعنى سبع القرآن وهذا التفسير مشهور بتفسير كيناوي لتسمية تلك الناحية باسم كينه بالكاف الفارسية مطبوع في المطبعة الميرية بقزان في سنة ١٢٧٥ ديباجته عربية فصيحة جدًا تشهد بكمال صاحبها في العربية والفصاحة والبلاغة وكان تأليفه إياه في سنة ١٢١٩ ولم يعلم تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.

[وليد آخوند بن سعيد المنزلة باشي]

الشيخ وليد آخوند بن سعيد المنزلة باشي هاجر أبوه أو جده من منزله باشي إلى قرية قارغالي استفاد العلم عن الشيخ عبد السلام بن حسن القاريلي والشيخ عبد المنان ابن الشيخ عبد الرحمٰن الطايصوغاني ثم اختار قرية منزله باشي للإقامة والتدريس بطلب أهلها وهي قرية تابعة لقصبة منزله كائنة في منبع النهر المشهور بنهر منزلة وكان عالمًا محققًا مدققًا متفننًا ذا شهرة عظيمة وخرج له كثير من الطلبة المستعدين وصاروا من العلماء الكبار وله تقارير في هوامش كتب الفقه وقد أثبت الفاضل المرجاني في المستفاد مكتوبًا له بالفارسية كتبه لبعض أحبائه في تحقيق بعض العبارات المتعلقة بالرقص والسماع توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٢١ رحمه الله تعالى.

[سليمان بن مصطفى]

الشيخ سليمان بن مصطفى كان من مشاهير العلماء وصاحب الوقار والحمية وكان إمامًا في قرية قرشين شريف التابعة لولاية أوفا وكان أولاده أيضًا من العلماء الكبار وقد بلغوا مرتبة الكمال في حياته وقد ظهر من أحفاده وذرياته كثير من العلماء الكبار في نواحي تلك الديار ولم يذكر تاريخ وفاته وتوفي ولده الشيخ عبد القاهر في سنة ١٢٣١ وقبره وقبر والده وكثير من أولاده وأحفاده في مقبرة قرشين شريف رحمهم الله تعالى.

[عبد النصير أبو النصر بن إبراهيم القورصاوي]

الشيخ العلاّمة المحقق عبد النصير أبو النصر بن إبراهيم القورصاوي[1] ولادته في سنة ١١٩٠ في قرية قورصا التابعة لولاية قزان وكان تحصيله أولاً في قرية مچكرة التابعة لقصبة مالمژ في ولاية واتكا عند الشيخ محمد رحيم بن يوسف ثم رحل إلى بخارى واستفاد فيها من علماء عصره وأخذ الطريقة عن الشيخ نيازقلي التركماني وبعد بلوغه مرتبة الكمال رجع إلى وطنه وصار مدرسًا في قريته التي ولد بها فاجتمع لديه كثير من الطلبة المستعدين فدرس وأفاد وبلغ كثيرًا منهم مرتبة الكمال وأكب على مطالعة إحياء العلوم للإمام الغزالي ومصنفات سائر المتقدمين المحققين واطلع على حقيقة مذهب السلف على المباينة التي بينه وبين ما أحدثه الخلف فاتخذ مذهب السلف مذهبًا لنفسه ورفض ما أحدثه الخلف فصار كأن لم يغن في أمسه ولم يبال اللوام فيه ولا يخفى ما يتوجه من طرف الحساد والجهال والمقلدين الجامدين إلى من كان هذه وصفه وصنف كتبًا ورسائل في تقبيح ما أحدثه الخلف وبيان لزوم الملازمة على ما مضى عليه السلف فسلك بعض من سبقت في حقه العناية الإلهية طريق الإنصاف فصدقه واتبعه وهم وإن كانوا قليلين بحسب الكمية ولكنهم كثيرون بحسب الكيفية ومن لم يكن له حظ من تلك العناية سلك طريق الاعتساف والعناد وأصرّ على التقليد الأعمى والانجماد وفوق عليه سهام الملام ومزقوا عرضه الطاهر بأقبح كلام فألف لأجلهم كتاب الإرشاد للعباد ولقم فيه الأحجار على أفواه أهل العناد وألّف أيضًا شرح العقائد النسفية على مذهب السلف وكتاب اللوائح في عقائد أهل السنة الحقة وغيرها ثم سافر سنة ١٢٢٣ إلى بخارى مرة ثانية ولعله بنية إرشادهم ونصيحتهم

---

(١) هو عبد النصير بن إبراهيم البلغاري، أبو النصر القازاني الحنفي، له «شرح العقائد للنسفي» فرغ منها سنة ١٢٤٤ هـ. (كشف الظنون ٥/ ٦٣٢).

فأظهر لهم أنهم انحرفوا عن طريق السلف في الاعتقاد والعمل وتركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فيما قل وجل وأطفأوا أنوار العلوم التي كان العالم الإسلامي يقتبسونها منها في العصر الأول فلما قرع هذا الكلام سمع علمائها الذين كانوا يعتقدون أنفسهم في قمة الكمال وأنه لا يساويهم في الفضل أحد من الرجال قاموا وقعدوا وأرغوا وأزبدوا وصاحو أن فلاني كافر شد يعنون كفر فلان ورفعوا أمره إلى الأمير حيدر وحرضوه على قتله فدعاه الأمير وجمع العلماء المذكورين فحصلت المناظرة بينهم لديه وبعد اللتيا والتي حكموا بابتداعه بل بكفره ووجوب قتله إن لم يرجع عن مذهبه فلما رأى أن لا خلاص منه ولا مناص إلا بالتوبة والرجوع عن مذهبه أظهر التوبة في الظاهر عن مذهبه وفي الحقيقة تاب عما يجب منه التوبة وقرأ متن العقائد النسفية من أوله إلى آخره وقال إن معتقده هو هذا فأطلقوا سبيله وأمروا بإحراق كتبه الموجودة وأمروا مناديًا ينادي بصورة الحادثة وبأن من يوجد فيه شيء من كتبه المؤلفة ولم يأت به بدار القضاء والإمارة يكون دمه هدرًا ومع ذلك قيل إن الأمير حيدر كان يندم على عدم قتله وسمعت مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطي رحمه الله مرارًا يقول إن شيخه الشيخ نيازقلي التركماني كان يحميه[1] ويمنع الأمير عن التعرض له بسوء ويهدده بالفتوى بوجوب عزله وإنفاذ العزل فعلًا بخيله ورجله إن أصاب منه أدنى ضرر بشعرة منه والذين أفتوا بوجوب قتله من علماء بخارى ستة عشر نفرًا مع الأمير حيدر وقد رأيت له مكتوبًا طويلًا بالفارسية كتبه إلى أخيه الشيخ عبد الخالق القورصاوي من بخارى بعد هذه الحادثة يتظلم منهم ويتأسف على اجتماعهم على الباطل ثم خرج بعد ذلك من بخارى وعاد إلى وطنه ثانيًا مارًا من خوارزم وحاجي طرخان وصنف شرحًا آخر على العقائد النسفية زاد فيه أشياء على شرحه الأول الذي أحرقوه ببخارى وقد رأيت كلا الشرحين في بلاد قزان وكانا معروضين للبيع ولكن كنت في ذلك الوقت في عزم بيع ماء وجهي لصيانة حجتي من التلف فضلًا عن القدرة على اشترائهما وإن كانا رخيصين جدًا وله تآليف غير هذا وهي شرح على مختصر المنار وحاشية على شرحه الجديد للعقائد وكتاب النصائح ورسالة الصفات وهي موجودة عندي مختصرة جدًا وقد طبع إرشاده في بلدة قزان سنة ١٣٢١ ثم خرج مع طائفة من أصحابه من قزان في شعبان سنة ١٢٢٧ بنية الحج ولما دخل إستانبول توفي هناك في رمضان بمرض الطاعون ودفن بجوار جامع السلطان في إسكدار رحمه الله تعالى وقد كنت

---

(١) وكان المذكور على مذهبه ومعتقدًا بمعتقداته وهو اللائق بحاله وكان بعض علماء بخارى لا يقتدي به لأجل ذلك حين كان خطيبًا بالجامع الكبير ببخارى. منه عفي عنه.

سمعت من صديقي الشيخ أحمد ضياء الدين أفندي الطرخاني سببًا آخر في موته بعيدًا عن العقل والصدق وكان يقول نقلاً عن غيره إنه لما أحس بموته أنشد أبياتًا بالتركية وكان ينشد لي تلك الأبيات ولكن من سوء الحظ وعدم قيمة أمثال هذه الدرر الثمينة عندي لكوني مقيدًا بقيد التقليد والاتباع لعادات أهل الزمان في ذلك الوقت لم أوفق لاستنساخها فضاعت عني، والحاصل أنه رحمه الله كان من جملة العلماء الذين قيل في حقهم[1]، شعر:

هم الرجال وعيب أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ولكن من سوء الحظ قصر عمره وقل مدة تدريسه وإفادته فلو طال عمره ودام في التدريس والإفادة لنور تلك البلاد وأحيى طريق السلف فيها وتركها مغبوطة لسائر البلاد في العلوم والمعارف ومع قلة أيام تدريسه فقد خرج منه كثير من العلماء العظام والفضلاء الفخام وقد حذوا حذوه في إحياء طريقة السلف كان رحمه الله تعالى على ما قيل قوي الجأش فصيح الكلام صحيح الحجة قوالاً بالحق لا يأخذه في الله لومة لائم كان العلماء يهربون من ضيافة أو جمعية التي هو فيها لتيقنهم بإلزامه إياهم بالحجة وأختم كلامي في ترجمة حاله بإظهار أسفي على قصر عمره وتضييعه هذا العمر القصير بالسفر إلى بخارى ثانيًا ولكن المقدر لا بد أن يقع.

وقد اتهمه بعض فضلاء عصره في تلك البلاد بالقول بعدم جواز الجمع والأعياد في قرى تلك البلاد ومنعه عنها فيها وترك الجماعة في الصلوات أما الأول أعني إسناد القول بعدم جواز الجمع والأعياد ففرية[2] بلا مرية فإن قوله في فصل الجمعة من كتابه الإرشاد ينادي بخلاف ذلك بل لا يطمئن خاطر من لم ير قوله فيه في جواز أداء الجمعة في القرى فإن أحدًا ممن جاؤوا قبله وبعده لم يكشف القناع عن وجه المسألة المذكورة مثل كشفه فإن شئت الاطلاع فراجعه وأما الثاني أعني ترك الجماعة فيمكن أن يكون في موضع يخطىء إمامه في القراءة خطأ لا يجوز معه الصلاة وأمثال هؤلاء كثير في تلك البلاد خصوصًا قبل هذا التاريخ بسنين وهذا الفقير كثيرًا ما ابتلى بالاقتداء بهم ثم أعيد تلك الصلاة في وقت الفرصة فما ذنبه ذلك رحمه الله تعالى.

---

(١) ولكني لا أقول إنه لم يكن له نظير على وجه الأرض في عصره فإن هذا تقول محض وغلو في الكلام.

(٢) وكان هذا المعترض لم يحتط في الاعتراض ولم يحقق حاله بل اتبع ما تفوه به حساده في حقه. منه عفي عنه.

[أحمد جان بن أميرخان]

الشيخ أحمد جان بن أميرخان ولد في قرية صاصنا التابعة لقصبة مالمژ في سنة ١٢٠٢ وتلقى العلم عن والده الشيخ أمير خان وفرغ عن التحصيل ببلوغ مرتبة الكمال والتكميل في أقرب مدة وانتصب للتدريس والإفادة في قرية أوشما ودرس بها وأفاد وصنف ومن رسائله سنية البشارة في سنية الإشارة فتح الجليل في تسويم العمائم في جميع الأحوال (يعني إرسال عذبة العمامة وذنبه) ورسالة في سنية الجلوس على هيئة الحلقة ورسالة في سنية الابتداء الطعام بالملح ورسالة في ذم قراءة القرآن بالأجرة ورسالة في سنية الوقف على رأس جميع الآي وغيرها والفقير لم أر شيئًا منها ولكن قيل إن عربيته صحيحة وعبارته فصيحة وقد حصل سند الأحاديث عن والده الشيخ أميرخان وهو عن بعض علماء الداغستان وبعض علماء مصر أيضًا حين حج والإسناد نادر في تلك البلاد بل مفقود وتوفي شابًا في سنة ١٢٢٨ فلو طال عمره لبلغ مرتبة أبي النصر القورصاوي بل يزيد عليه وقد قيل إنه كان يحفظ أربعة آلاف حديث ولكن قصر عمره جدًا ولله در القائل، شعر:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

رحمه الله تعالى.

[عبد الرشيد بن عبد الكريم القارغالي]

الشيخ عبد الرشيد بن عبد الكريم القارغالي كان تحصيله في دمشق الشام قيل إنه كان يحفظ أحد الصحيحين ولكنه لم يبق منه شيء من أثر هذا الحفظ ولا عجب فيه فإنا نرى في زماننا كثيرًا من الفضلاء يحصلون العلوم الدينية في الحرمين الشريفين وفي مصر وبعد الرجوع إلى وطنهم لا يشتغلون بنشره بل يشتغلون بنشر السفسطة على عادة مدرسي تلك البلاد كان وفاته في سنة ١٢٣١ رحمه الله تعالى.

[نعمة الله بن عمر الأوتاري]

الشيخ نعمة الله بن عمر الأوتاري أصله من قرية أوتار التابعة لولاية قزان استفاد أولاً من الشيخ إبراهيم أفندي بن خوجاس الشرلموي ثم سافر إلى كابل واستفاد الطريقة هناك من الشيخ فيض خان الكابلي وحج ثم رجع إلى إستانبول وأقام بها واشتهر هناك وحصل له قبول بين أهلها حتى انسلك في سلك إرادته نقيب السادات بها السيد إسماعيل بن إبراهيم عصمت بك البغدادي وله رسالة باسم السلطان سليم

الثالث ابن مصطفى بالعربية تسمى بالرسالة المدنية ولم أقف عليها توفي في سنة ١٢٣٢ رحمه الله تعالى.

[محمد رحيم بن يوسف الآشطي]

الشيخ محمد رحيم بن يوسف الآشطي ثم المچكروي صار إمامًا بقرية آشط أولاً وبعد أن أقام بها إمامًا ثلاث سنين ندم هو والشيخ إبراهيم بن خوجاش القزاني الآتي ذكره على نقصانهما في العلم وبقائهما على ذلك فتركا أخيرًا منصبها وأهلهما وعيالهما ورحلا إلى الداغستان للتحصيل واستفادا هناك من علمائها العظام وفضلائها الفخام مدة عشر سنين فلما رجعا إلى بلادهما دعا صاحب الترجمة أغنياء قرية مچكرة ونصبوه إمامًا ومدرسًا في قريتهم المذكورة التابعة لقصبة مالمژ فدرس هناك وأفاد وقد خرج من مدرسته علماء عظام وفضلاء فخام وانتشروا في أطراف هاتيك البلاد ونفعوا العباد وكان وفاته في قرية مچكرة سنة ١٢٣٢ أو فيما بعدها رحمه الله تعالى.

[حبيب الله بن الحسين الأوروي النقشبندي]

الشيخ حبيب الله بن الحسين الأوروي النقشبندي المجددي ولادته في سنة ١١٧٦ أخذ مبادىء العلوم عن علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى واستفاد فيها من علمائها ولا سيما الملا عطاء الله بن الهادي ثم سافر إلى كابل وتلقن الطريقة النقشبندية المجددية عن الشيخ فيض خان الكابلي وصار مجازًا ومأذونًا منه فيها ثم رجع إلى وطنه وصار مدرسًا بقرية أوري واجتمع لديه كثير من الطلبة والمريدين فدرس وأفاد وربى المريدين وكان أكثر مريديه من طائفة ميشر ومن عاداتهم أنهم إن أحبوا شخصًا واعتقدوا فيه الفضل والعلم والصلاح أو شيئًا من المزايا يحبونه فوق الغاية بحيث يكادون يبذلون أرواحهم لأجله وحصل بينه وبين أغنياء القرية المذكورة المناسبة الصهرية ثم تبدلت تلك المناسبة منافرة وكذلك وقعت بينه وبين أخيه الشيخ فتح الله آخوند أيضًا منافرة شديدة وجرى بسبب ذلك بينهم أمور غير لائقة وفضلاً عن ذلك قيل إنه قام بطلب منصب الإفتاء فحصل بينه وبين المفتي محمد جان أيضًا نفرة فسعى المفتي المشار إليه في عزله عن الإمامة والتدريس وقدم عرائض متعددة في ذلك إلى نظارة الداخلية وغيرها ولكن لما كان نظار العصر المذكور وولاته وسائر مأموريه رجالاً أكفاء أصحاب الصداقة وأرباب اللياقة لم يظفر بمناه بل أخذ الملامة منهم انظر الجزء الرابع من الآثار للفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي سلمه

الله وخلاصة ما يفهم مما حرر في حقه أن أحواله السابقة التي كانت حصلت له في صحبة الشيخ فيضخان رحمه الله تعالى لم تبق في أواخر عمره بل عادت له صفاته البشرية سامحه الله تعالى ورحمه ووفاته في سنة ١٢٣٢ بعيد حادثة السيل التي حدثت في قرية أوري في العام المذكور حتى أخذ البيوت فضلاً عن غيرها وغرق فيه ٨٢ نفرًا رحمه الله تعالى.

[فخر الدين بن سجانقل الكيچوچاتي]

الشيخ فخر الدين بن سجانقل الكيچوچاتي ولادته في كيچوچات التابعة لقصبة بوكلمه من ولاية صمار ولما حصل مبادىء العلوم عند بعض علماء تلك البلاد رحل إلى بخارى لطلب العلم في سنة ١٢٢٢ واستفاد هناك من علمائها مدة ٥ سنوات ثم سافر منها إلى الحجاز وصحب بعض علماء الحرمين المحترمين واستفاد منهم ثم جاء إستانبول ولقي فيها السلطان محمود العدلي فأرسله قاضيًا إلى بلدة آنافا الكائنة بساحل البحر الأسود في جهة كرجستان ولما أقام في خدمة القضاء مدة بغاية الثبات والاستقامة توفي في سنة ١٢٣٤ وكان قرين الشيخ أحمد جان المار ذكره ومماثله في الذكاوة والاجتهاد والعلم فكان مماثلاً له في قصر العمر والموت في الشباب رحمه الله تعالى.

[فضل بن إبراهيم الأچكني الألمني]

الشيخ فضل بن إبراهيم الأچكني الألمني أصله من مضافات خان كرمان من عائلة تنكاچي[1] الشهيرة استفاد العلوم عند الشيخ عبد الوهاب بن شريف في قرية من القرى التابعة لقصبة بلباي من ولاية أوفا ثم صار مدرسًا في قرية المن ودرس هناك وأفاد واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتشر منه كثير من العلماء في تلك الأطراف وكان يجول مع طلبته فيما بين طرويسكي وقزليار وسيبريا وچيلابي ويقرئهم أثناء جولاته وينصب بعض طلبته مدرسًا في محل مناسب فكان مستحقًا لأن يقال مدرسًا سيارًا وسافر إلى بخارى برسم السفارة من طرف حكومة الروسية وأنشأ السياحة إلى طرف الداغستان وإستانبول وتشرف بحج بيت الله الحرام ودرس مدة في قصبة تاري ثم نصب واحدًا من طلبته يسمى إبراهيم بن جعفر مدرسًا بها ثم رجع إلى قرية ألمن وتوفي بها حدود سنة ١٢٣٧ وبالجملة إنه كان ممن خدم الملة والعلم والدين خدمة كثيرة تذكر وتشكر رحمه الله تعالى.

---

(١) فبالنسبة إلى أچكن التي هي قبيلة مخصوصة مجازية لكونه مقيمًا فيما بينهم. منه عفي عنه.

[عبيد الله بن جعفر الكيزلوي النقشبندي]

الشيخ عبيد الله بن جعفر الكيزلوي النقشبندي المجددي قرأ العلوم الظاهرة على بعض علماء وقته ثم انسلك في سلك إرادة الشيخ وليد القارغالي النقشبندي المار ذكره وصار مجازًا ومأذونًا منه واشتغل بتربية الطالبين وقد استفاد منه الكثيرون وتوفي في سنة ١٢٣٨ رحمه الله تعالى.

[عبد القادر بن سليمان القارشين]

الشيخ عبد القادر بن سليمان القارشين شريفي وقد مرّ ذكر الشيخ سليمان استفاد العلوم عند بعض علماء وطنه وبعد الفراغ من التحصيل صار مدرسًا بقرية قارشين شريف واجتمع لديه كثير من الطلبة فدرس وأفاد يقال إنه كان قوي الإفادة[1] ومفيدًا للطالبين جدًا فانتفع به عالم كثيرون توفي في سنة ١٢٣٨ رحمه الله تعالى.

[جعفر بن عبدي النقشبندي]

الشيخ جعفر بن عبدي النقشبندي المجددي الشهير بغرمونچي ايشان حصل العلوم أولاً عند بعض علماء وطنه ثم رحل إلى بخارى ومنها إلى كابل وانتسب إلى الشيخ فيضخان الكابلي وصحبه واستفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية ورجع مأذونًا منه إلى وطنه واشتغل بالتدريس وتربية المريدين ولكنه كان مشغولاً باستعمال الآلة الموسيقية المسماة بغرمون وكان صاحب لطيفة جدًا ولذلك افترق فيه الناس إلى فرقتين طاعنة فيه ومادحة إياه والحق أنه كان مدفوعًا إليه فهو معذور فيه وقد حكي أنه كان يتوب بعد زوال الحال المقتضي له ويستغفر الله ويبكي وقد حكي عنه لطائف كثيرة أضربنا عن ذكره صفحًا ومن أراد الاطلاع على بعضها فعليه بمطالعة المستفاد والآثار وكان وفاته في سنة ١٢٣٩ وقبره في مقبرة تيماشكة في الجهة اليمنى من نهبرة أورشاك ونهر آق ايدل وقد زرته قبل هذا سنة ٣٤ رحمه الله تعالى.

[أبو المنيخ بن أبي الفيض القارغالي]

الشيخ أبو المنيخ بن أبي الفيض القارغالي كان شاعرًا أديبًا كان ولادته ونشأته في قرية قارغالي بقرب أورنبورغ تشرف بحج بيت الله الحرام في صحبة سفير إلى

---

(١) ولكن قوله في مكتوبه الذي أرسله إلى ولديه عبد العلام وصبغة الله المقيمين إذ ذاك في مدرسة ملا سيف الدين الصباوي اسئلا عن أستاذكما أن يكتب حاشية على قول القهستاني ما له كلمتان أو ثلاث ينافي هذا الوصف والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

إستانبول يسمى محمد يوسف في سنة ١٢٣١ ثم خرج من وطنه بنية الحج ثانيًا في سنة ١٢٤٠ وتوفي في الطريق وقد ناهز عمره الأربعين وله ديوان شعر تركي مطبوع رأيته في صغرى وشعره فصيح سليس لذيذ من جملته قصيدة يذكر فيها تشرفه بالحج وزيارة قبر الحبيب الأكرم الأنور صلى الله عليه وما ناله في إستانبول من الحفاوة والإكرام في صحبة السفير المشار إليه وهي هذه قصيدة[1].

أيا مسكين منيخ شكر إنه قيل صبح ومسالر سن
مكرم خانهء باري تعالايه يوز أوردك سن
صفا مروه ميانده عباد الله ايله تكبير
ايدوبن هم دخي تهليل سعى ايدوب يوكردك سن
حبيب كبريائك هم مطهر روضه سي اوزره
آقزوب كوزلر كدن ياش قرايوزكني سوردك سن
كناهكي آكوب آغلاب آنك بابنده بيل باغلاب
سچوكا اعتراف ايلاب شفاعتني أو مدك سن
نه دولت بونلر أي مسكين دكل شكرانه سي ممكن
مكربر ايذكو أستاذك دعاسينه دوش اولدك سن
دخي بودار دنيانك صفا لريني چكدك سن
جهانك شاهلري ايردكي عزتلره ايردك سن
جهانده سلطنت داري اولان شهر استانبولده
ركابك اوزره چاوشلر يوكر دوبن يوردك سن
تأسف ايتمه ماضيه چكوب مستقبله حسرت
سراسر ربع مسكونك تماشا سني كوردك سن

(١) وقد كتبت إلى والدتي المحترمة فرح جهان ابنة ملا زين الدين هذه القصيدة بيدها وقلمها في حدود سنة ١٣٠٢ فيما كتبت إلى من المكاتب وغيرت المصراع الأول إلى أيامسكين عزيز فرزند شكر قيل صبح ايله شام سن رحمهما الله تعالى رحمة واسعة وهي محفوظة عندي وهي من بحر الهزج أوزانها مفاعيلن مفاعيلن ثماني مرات وهو مستعمل هكذا في التركي والفارسي دون العربي. منه عفي عنه.

كورن آرتق ايمز درهم دخي كورميه ن اولمز كم
كيم اتقى بولسه أول أكرم خدا عندنده بيلكل سن
كچونسك عمر نوحي ياد ايدلمش درلو عزتله
كچبچك بيك يبلى بر له مساوى أوله بيلسك سن
طلب ايله جناب كبريادن دائم الأوقات
سلامت كتمكك ايمانيله دنياي دوندن سن

اهـ. وفي ظني أنه كان له رحلة مبنية لماجريات سفر وتراجم أحواله والله سبحانه أعلم رحمه الله تعالى.

[سيف الدين بن أبي بكر الشنكاري]

الشيخ سيف الدين بن أبي بكر الشنكاري أصله من قرية شنكار التابعة لقصبة ممادش استفاد العلوم أولاً عند القاضي عبد الخالق بن أعظم التنكي المار ذكره والشيخ عبد الرحمٰن القارغالي والشيخ إبراهيم الخوجاشي ثم رحل إلى بخارى واستفاد من علمائها ثم رحل منها إلى كابل واستفاد أيضًا من بعض علمائها أيضًا أصول الفقه والمنطق والفلسفة القديمة وقرأ فيها بعض كتب الطب كقانونچه وشرح الموجز للنفيسي على بعض أطبائها وصحب الشيخ فيض خان الكابلي واستفاد منه الطريقة النقشبندية المجددية ومكتوبه الذي أرسله من كابل إلى والده يشهد بفضله وغاية عطشه للعالم الظاهري والباطني وعلو همته وإعراضه عن الدنيا في عنفوان شبابه الذي هو أوان الافتتان بها وبزخاريفها ولذائذها وهذا الفقير كلما طالع تراجم هؤلاء الكبراء يزيد محبتي لملتي وأتذكر كلام بعض طائفة ميسيونير إن هؤلاء يتحملون من المشاق في طلب العلم ما لا يقدر على تحمل بعضها قوم من الأقوام وهو صادق فيه ووجه الأرض الآن كبطن الكف في ظهور أحوالها ولا نرى فيها قومًا من الأقوام يرتكبون عشر عشير المشاق التي لا يزال قومنا يتحملونها إلى الآن ولكن الآن قد سهل وسائل السفر في أكثر الجهات وأما أولاً في عصرهم فقد كان السفر كقطعة من العذاب كما ورد ومع ذلك لم يمنعهم شيء من المسافرة إلى بخارى وكابل وقد كان لتجارتهم بمتاع العلوم الظاهرية والمعارف اليقينية الباطنية رواج تام في سوق معارف بلدة كابل شكر الله سعيهم ولما رجع صاحب الترجمة إلى وطنه بعد بلوغه مرتبة الكمال والتكميل صار مدرسًا بقرية صبا بولاية قزان واجتمع لديه كثير من الطلبة المستعدين وانتفع عالم كثيرون وقد كان من أكابر العلماء في تلك الديار ومن مشاهيرهم وكان وفاته في أماسيه فإنه خرج من وطنه بنية الحج في أواخر سنة ١٢٣٩

وعبر البحر الأسود من قريم إلى أناطولي ولما بلغ أماسيه توفي هناك في صفر سنة ١٢٤٠ رحمه الله تعالى.

[إبراهيم أفندي بن خوجاش القزاني]

الشيخ إبراهيم أفندي بن خوجاش القزاني الشهير بأفندي حضرت أصله من قرية صغيرة بساحل نهر زي تسمى شرلمه تابعة لقصبة بوكلمه حصل العلوم المتداولة عند بعض علماء بلاده وصار إمامًا في بعض القرى وبعد أن مضى من إمامته سنتان أو ثلاث تحرك عرق همته ولم ترضى نفسه الأبية أن تبقى على النقصان مع القدرة على الكمال لكونه من أكبر العيوب كما قال الشاعر، شعر:

ولم أرى في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

فترك منصبه وأهله وعياله وسافر إلى طرف داغستان باتفاق مع الشيخ محمد رحيم الآشطي المچكروي كما تقدم في ترجمته وألقيا عصا التسيار عند الشيخ علي أفندي الشرواني واستفادا منه العلوم مدة وساحا أيضًا في بلاد سيواس وديار بكر واستفادا من بعض علمائها أيضًا وقد تقدم أنهما بقيا في سفرهما هذا مدة عشر سنين ولما رجعا إلى بلادهما صار صاحب الترجمة إبراهيم أفندي إمامًا بقرية أوطار ثم بقرية كيشت ثم صار إمامًا ومدرسًا في الجامع الأول بمدينة قزان في سنة ١٢٠٨ وزيد على رتبته الأولى رتبة الآخوندية أعني رئاسة العلماء ومشيختهم ولما قدم الإمبراطور پاول بن پطر الثاني إلى مدينة قزان في سنة ١٢١٢ استقبله المشار إليه مع كافة العلماء وهم على هيئة العلماء متعممين وجاءته من طرف الإمبراطور المشار إليه في السنة ١٢١٣ الثانية ساعة ذهبية قيمتها خمسمائة روبله فكتب له الشيخ إبراهيم أفندي ورقة التشكر وكل ذلك مذكورة ومندرجة في جريدة الولاية الرسمية وقد يروى أن الإمبراطور المشار إليه حضر الجامع في الجمعة ووقف مدة صلاة الجمعة متفرجًا لرسم عبادات المسلمين.

والحاصل أنه كان من أكابر علماء مصره في عصره كان يدرس من أصول الفقه والحديث والتفسير تدريسًا جيدًا وكانت عربيته كاملة لكون تحصيله في داغستان التي هي معدنها خصوصًا في الوقت المذكور ويحكى مهارته في علم الحديث والتفسير ولا شك أن المراد بمثل هذا الكلام هو المهارة في فهم كتب هذين العلمين وإفهامها وحل مشكلاتها لا أنه كان له مهارة في تفسير القرآن من غير مراجعة إلى التفاسير حتى بتطبيق بعض الآيات المتعلقة بالفنون الجديدة والمعارف العصرية عليها فإن هذا ليس

شأنه والقرآن العظيم الشأن لم ينزل لذلك وإن جاز اشتماله عليها واستنباطها منه وأما الغرض الذي أنزل القرآن لأجله بالذات فلم يبق أدنى شيء منه خفيًا على المفسرين وأما غير ذلك فالقرآن بحر لا تنقضي عجائبه ولكن متى حصل ما هو الغرض من إنزاله فلا بأس بفوت ما سواه وأما من اكتفى منه بغير الغرض من إنزاله فقد ضيع رأس المال وصار مصداق قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: الآية ٧] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: الآية ٨٣] الآية نعم إذا علم الإنسان هذا أيضًا بعد اتقانه بالغرض المقصود بالذات فهو نور على نور ولكنه نادر بل مفقود، وأما ذكر المفسرين الإسرائيليات في تفاسيرهم فهو عيب لا يغتفر ولكنه خارج عن الغرض الأصلي فلا ينافيه.

وبالجملة إن صاحب الترجمة كان من أكابر العلماء العاملين الناصحين للأمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قوالاً بالحق فصيح الكلام حلو المنطق وقد غير كثيرًا من البدعة والعادات المنافية للإسلامية في الملبس والمأكل والمشرب وغيرها ولا شك أن لاستعداد الأهالي في ذلك الوقت وقابليتهم وانقيادهم للحق وكلام العلماء دخل في ذلك توفي ببلدة قزان في سنة ١٢٤١ رحمه الله تعالى.

[أمير خان بن قوچقار بن يعقوب]

الشيخ أمير خان بن قوچقار بن يعقوب وهو والد الشيخ أحمد جان المار ذكره أصله من قرية أوتاك التابعة لقصبة ايسترلي طمق وبعد أن حصل العلوم عن بعض علماء بلاده رحل للتحصيل إلى داغستان وإستانبول ومصر والحرمين الشريفين واستفاد من أفاضل علمائها وأخذ منهم سند الحديث الذي هو مفقود في تلك الديار وبقي في سفره هذا مدة ٣ سنوات ثم رجع إلى وطنه بصحبة شخص من أهل قرية صاصنا فزوجه المذكور ابنته فولد له منها الشيخ أحمد جان المار ذكره ثم ترك زوجه وولده المذكور هناك وحج ثانيًا ورجع فدرس في قرية چالپي التابعة لقصبة بوكلمة وقرية آداي التابعة لقصبة مالمژ وقرية أوشمي التابعة لقصبة مامادش ثم رحل إلى قرية جبراش التابعة لقصبة آلابوغا وتوفي هناك بعد أن أقام بها ١٢ سنة وكان وفاته في سنة ١٢٤٢ وكان من أكابر العلماء المستحق لإطلاق اسم العالم عليه حقيقة وكان أكثر درسه من العلوم العربية والتفسير والحديث وكان درسه على وجه التحقيق والكشف عن حقائق المسائل وقد انتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى.

[حميد بن إسلام اليورطشي]

الشيخ حميد بن إسلام اليورطشي النقشبندي المجددي أخذ العلم عن بعض علماء تلك الديار ثم انتسب في الطريقة إلى الشيخ وليد القارغالي المار ذكره وصار مجازًا ومأذونًا منه فيها وأقام بقرية يورطش واشتغل بالتدريس وتربية المريدين وانتفع به في الظاهر والباطن خلق كثير وله اشتهار بالاستقامة والتقوى وذكر حسن بين الناس توفي في سنة ١٢٤٢ في القرية المذكورة رحمه الله تعالى.

[عبد الرحمٰن بن محمد شريف الخان كرماني القارغالي]

الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد شريف الخان كرماني القارغالي أصله من قرية جاوباش التابعة لقصبة خان كرمان وهو أفضل علماء عصره في تلك البلاد وأعلمهم وأشهرهم وبعد أن أخذ العلوم المتداولة عن عدة من العلماء الكبار في تلك الديار وبلغ مرتبة الكمال صار مدرسًا في الجامع الأول في قرية قارغالي وشمر ذيله للتدريس والإفادة بكمال النشاط فاجتمع لديه كثير من الطلبة من أطراف شتى فاقتبسوا من أنوار علمه واقتطفوا من أزهار فضله وانتفع به خلق كثير وانتشر منه في الأطراف والجوانب كثير من العلماء الكبار وهذه عبارات بعض العلماء الكبار الذين تلمذوا له كتبها في وصفه كان رحمه الله تعالى ذكيًا كيسًا حافظًا للقرآن قوي الحفظ كامل الذهن سليم القوى صحيح البدن ذا غيرة ومروءة حتى كان يخاف منه الأكابر وكان عالمًا بجميع الفنون من الأصول والفروع بدقائقه وحقائقه وعاملاً بعلمه متقيًا غنيًا مستغنيًا عن الخلق مفتقرًا إلى الحق وكان رحمه الله تعالى موزون الحركات وموزون السكنات يهتم بأمور الدرس ولم يترك الدرس يومًا إلا لأمر عظيم وكان رحمه الله راشدًا مهديًا مرشدًا ناصحًا ينصح تلامذته ويدعوهم ويرشد إلى الحق وإلى صراط مستقيم اهـ توفي في سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى.

[حمزة المنجم بن محمد بن الحسن القزاني البيزه زوي]

حمزة المنجم بن محمد بن الحسن القزاني البيزه زوي كان ماهرًا في علم الحساب وعالمًا بسير الكواكب ومقدارها وله يد طولى في علم الرياضة بأقسامها والتقاويم التي تستعمل في تلك الديار سابقًا تنسب إليها سافر إلى بخارى وكابل واستفاد من علمائها وصحب الشيخ فيض خان الكابلي وكان له إلفة واختصاص بالأمير حيدر بن معصوم البخاري وحصل في سفره هذا ثروة ولما رجع إلى وطنه لم يشتغل بالتدريس بل بالكسب والتجارة توفي سنة ١٢٤٢ بقرية بيرمزه رحمه الله تعالى.

[برهان الدين بن محمد شريف الشغايي]

الشيخ برهان الدين بن محمد شريف الشغايي كان أبوه الشيخ محمد شريف بن سليمان مدرسًا بقرية شغاي التابعة لقصبة منزله فولد صاحب الترجمة فيها في حدود سنة ١١٧٩ ولعله استفاد العلوم من والده المذكور ولما توفي والده في سنة ١١٩٤ جلس في مكانه للتدريس وتوفي في سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى.

[سعيد بن أحمد الشرداني القزاني]

الشيخ سعيد بن أحمد الشرداني القزاني استفاد العلوم من علماء تلك البلاد مثل الشيخ عبد السلام بن الحسن القاريلي وإبراهيم بن عبد الله النقراتي البارشي والشيخ ايشنياز الخوارزمي ثم صار إمامًا ومدرسًا في بعض القرى التابعة لقزان ثم صار في حدود سنة ١٢٢٥ إمامًا ومدرسًا في الجامع الخامس بقزان يروى أنه كان له ملكة جيدة في العربية والفقه وتوفي في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٤٦ رحمه الله تعالى. وصار ولده الملا عبد الستار شريكًا له في الإمامة بعد رجوعه من بخارى إلا أنه لم يشتغل بالتدريس واشترك له أيضًا في التدريس ولده الثاني الملا عبد الغفار بعد رجوعه من بخارى ودرس بكمال النشاط وانتفع به خلق كثير توفي كلاهما في سنة ١٢٤٦ وبين وفاتيهما أسبوع واحد فقط وكان وفاة الملا عبد الستار أولاً والحاصل أنهما ووالدهما المذكور كلهم توفوا في سنة واحدة ووفاة والدهما كان مؤخرًا من وفاتهما رحمهم الله تعالى وبعد وفاتهما قام مقامهما أخوهما الملا أحمد بن سعيد وتوفي في سنة ١٢٨٤ ثم قام مقامه ولدا أخويه الملا عبد القهار بن الملا عبد الستار والملا عبد الله بن الملا عبد الغفار ثم الملا يوسف بن الملا عبد الستار وموجود الآن.

[عبد اللطيف بن أدهم اليولقي]

الشيخ عبد اللطيف بن أدهم اليولقي كان جدوده في قرية بوكال التابعة لولاية قزان وأول من قدم منهم إلى قرية يولق التابعة لقصبة أورسكي في ولاية أورنبورغ إمامًا بها جده أبو بكر والد أبيه أدهم وولد صاحب الترجمة هناك واستفاد من كبار العلماء المار ذكرهم وصحب مشاهير الأدباء والظرفاء وبلغ مرتبة الكمال والتكميل ثم انتصب للتدريس في القرية المذكور وشمر ذيله للإفادة واجتمع لديه جمع عظيم من الطلبة وكان يحضر مجلس درسه كثير من كبار الطلبة الذين استفادوا عند كبار العلماء لكونه قوي الإفادة وحسنها ومداومته على التدريس بكمال النشاط وانتفع به خلق كثير

وانتشر من مدرسته كثير من العلماء الكبار إلا أنه كان قصير العمر ولم تزد مدة تدريسه على عشر سنين وبموته انتقصت أنوار العلم في تلك الناحية فلو طال عمره لنور تلك الأقطار ولكن الكرام يكونون قليلة الأعمار توفي في سنة ١٢٤٧ بمرض الوباء رحمه الله تعالى.

[زين العابدين بن عبد الله اليولقي]

الشيخ زين العابدين بن عبد الله اليولقي النقشبندي المجددي أصله من خان كرمان سافر إلى بخارى وكابل وأخذ الطريقة النقشبندي المجددية عن الشيخ فيض خان الكابلي ثم رجع إلى وطنه واستوطن بقرية يولق المار ذكرها الآن واشتغل بتربية المريدين وكان مع الشيخ عبد اللطيف اليولقي على إلفة وصفاء تام توفي في سنة ١٢٤٧ التي توفي فيه الشيخ عبد اللطيف بمرض الوباء رحمه الله تعالى.

[ولي الدين بن الحسن المقري الشهير بالحاج البغدادي]

الشيخ ولي الدين بن الحسن المقري الشهير بالحاج البغدادي ولد في بغداد سنة ١١٦٩ واستفاد العلوم من علمائها وحفظ القرآن واتقن فن التجويد والقراءة علمًا وتطبيقًا للعمل ثم خرج من بغداد سنة ١٢٠٢ بقصد السياحة فساح في بلاد الهند والأفغان وبخارى ثم قدم إلى قرية قارغالي واختار الإقامة بها وصار إمامًا في جامعها ذي المنارتين وبعد سنتين حبسته الحكومة بتهمة الجاسوسية بسعاية بعض الحساد المخاذيل وبعد التفتيش والتحقيق ظهرت براءة ذمته مما اتهم به فاختير بين المقام على ما هو عليه من منصب الإمامة وبين الذهاب أين شاء فسافر إلى بخارى ثم منها إلى كابل ثانيًا فصحب هناك بعض الأعزة ثم رجع ثانيًا إلى قارغالي وقيد في سجل نفوسها وصار إمامًا في محله السابق رسمًا واشتغل بعد ذلك بتعليم القرآن وعلم القراءة بفراغ البال واطمئنان الخاطر إلى أن جاءه اليقين وقد انتفع به في القراءة خلق كثير يوصف بصحة الاعتقاد وسلامة القلب والصلاح والعفاف وحسن الأداء وحسن الصوت واللحن وبالجملة أنه كان شيخ المقرئين وأستاذ كثير من العلماء الكبار في تلك الديار توفي في ربيع الأول من في سنة ١٢٤٧ ودفن في مقبرة قارغالي وله هناك أعقاب رحمه الله تعالى.

[معاذ بن بيكمحمد القرامالي]

الشيخ معاذ بن بيكمحمد القرامالي العمري النقشبندي المجددي استفاد العلوم عند بعض علماء بلاده وأخذ الطريقة عن الشيخ وليد بن محمد الأمين القارغالي وصار

مأذونًا منه فيها ثم رحل إلى بخارى ثم منها إلى كابل وصحب هناك الشيخ فيض خان الكابلي وصار مجازًا منه أيضًا ولما رجع إلى وطنه أقام مدة في قصبة أورسكي إمامًا بها ثم تحول إلى قرية يكْاعمر وأقام بها مشتغلاً بالتدريس وتربية المريدين قيل إنه كان عالمًا متفننًا متقنًا متشرعًا توفي هناك في سنة ١٢٤٧ رحمه الله ثم تحول منها أهلها بسبب من الأسباب واستوطن بها الروس فقبره غير معلوم الآن رحمه الله تعالى.

[شمس الدين بن عبد الرشيد القشقاري]

الشيخ شمس الدين بن عبد الرشيد القشقاري التاش كيچوي أصله من قرية قشقار ولكن لما رجع من بخارى أقام بقرية تاش كيچو واشتغل بالتدريس فيها بكمال النشاط ثم توجه إلى الحج ولقي في مصر بإبراهيم باشا ابن محمد علي باشا وحصل بينهما الفقه ومعارفة فنصبه في بعض المكاتب الكبرى معلم اللسان الفارسية فتوفي هناك سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالى ولم يحج وبقي له هناك ولد اسمه علي.

[إسكندر بن علي البيرة كوي]

الشيخ إسكندر بن علي البيرة كوي كان مدرسًا بقرية بيره كه الشهيرة بمدرستها الكبيرة وكثرة الطلبة وهو وإن لم يكن في عداد العلماء الكبار المحققين إلا أنه كان حسن التقرير كثير الإفادة على ما قيل توفي في سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالى.

[دولتشاه بن عادلشاه بن عبد الله]

الشيخ دولتشاه بن عادلشاه بن عبد الله بن بغدان البغداني ثم الچبنلي النقشبندي المجددي أصله من قرية بغدان التابعة لقصبة بوري في ولاية أوفا وكان أبوه عادلشاه بن عبد الله إمامًا ومدرسًا بقرية ايسترلي باشي وتوفي هناك عن ثمانين سنة وكان وفاته في سنة ١٢٢٧ وقد ذكر الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي سلمه الله صورة بيان كيفية وقفه كتبه بعده وصورة وصيته وجعل صاحب الترجمة وصيه وكلتاهما تشهدان بفضل صاحبهما وكمال درايته وأما صاحب الترجمة الشيخ دولتشاه فإنه حصل العلوم الظاهرة عند بعض علماء بلاده كالشيخ عبد الرحمٰن بن محمد شريف القارغالي ثم رحل إلى بخارى[1] واستفاد الطريقة النقشبندية المجددية من الشيخ الخليفة نيازقلي التركماني ورجع إلى وطنه مأذونًا منه فيها وصار إمامًا ومدرسًا بقرية قشقار ثم في قرية

(١) وكانت رحلته إلى بخارى ثلاث مرات الأولى لتحصيل العلم والأخريان لاستفادة الطريقة منه عفي عنه.

صبا في ولاية قزان ثم هاجر منها إلى قرية چبنلي التابعة لولاية أورنبورغ ليتعيش هناك بالزراعة ويأكل من كدّ يده هربًا من زكوات الأغنياء وصدقاتهم واشتغل هناك بالإفادة وتربية المريدين وانتفع به خلق كثير وتوفي هناك سنة ١٢٤٨ رحمه الله تعالى وولده الشيخ أحمد شاه توفي بمدينة قرشي ببخارى الشهير بنسف وكان في مسند المشيخة وله هناك أعقاب وولده الملا عبد العلام كان إمامًا ومدرسًا ببلدة ايلاك التابعة لأورنبورغ.

[محمد الأمين بن سيف الله النلاساوي]

الشيخ محمد الأمين بن سيف الله النلاساوي استفاد العلم أولاً في بلاده ثم رحل إلى بخارى ولزم صحبة الشيخ أبي نصر عبد النصير القورصاوي المار ذكره واستفاد منه ومن غيره وكان في مسلكه ومشربه ولما رجع إلى وطن صار مدرسًا بقرية نلاسا التابعة لقزان ولما اشتغل فيها بالتدريس مدة خرج من وطنه بنية الحج ودخل مصر ولقي إبراهيم باشا واختص به ولما توفي الشيخ شمس الدين بن عبد الرشيد المار ذكره نصبه معلم اللغة الفارسية مكانه وتوفي هناك في سنة ١٢٤٩ رحمه الله تعالى كان من كبار علماء تلك الديار وقد حقق الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي سلمه الله تعالى أن له كتاب معدن المقاصد في الكلام ولقبه قوام الدين البلغاري وقد ذكر في ديباجة كتابه لقبه هذا فقط دون اسمه فليتنبه من اطلع عليه.

[عبد النصير بن سيف الملك الچقالي]

الشيخ عبد النصير بن سيف الملك الچقالي الآشطي كان من العلماء العاملين بعلمهم ذا تقوى وورع وصلاح وعفة وديانة وأمانة وزهد وفقاهة وقناعة كان مدرسًا بقرية آشط التابعة لقزان وقد انتفع به خلق كثير توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٤٩ قد حضر جنازته الملا فتح الله آخوند الآتي ذكره ولما دفن قال لم يبق له عديل يرجع إليه حين وقوع احتياجنا إلى الرواية الموثوق بها في الفقه وقال عالم آخر قد كان يقال إن في مقبرة آشط وليًا فقد دفن فيه الآن ولي اهـ فنعم الشهادتان المندوب إليهما من جهة الشارع[1] رحمهم الله تعالى.

---

(١) وهو ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًا فقال وجبت فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت؟ قال هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرًا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض ومثله عن عمر رضي الله عنه أيضًا وأخرجه مسلم أيضًا عن أنس=

[إبراهيم بن عبد الرشيد بن إبراهيم]

الشيخ إبراهيم بن عبد الرشيد بن إبراهيم بن عبد الرحيم التاروي كان جده إبراهيم بنى الجامع الحجزي بقصبة تاري مشتركًا بتاجر اسمه سيد بإذن من محكمة ولاية طوبل صادر في سنة ١٧٩٤ تحت رقم ٢٠٨٩٨ وكان صاحب الترجمة الشيخ إبراهيم إمامًا في ذلك الجامع ومولدًا له كان متدينًا تقيًا غنيًا ذا ثروة عظيمة مشتغلاً بالتجارة أيضًا وكان أثناء اشتغاله بالتجارة أيضًا يداوم على مجلس بعض الأفاضل في كل أسبوع مرتين ويقرأ عليه كتاب المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي وحج في سنة ١٢٥٠ مع ولده المسمى محمد وماتا وقت رجوعهما في بيروت ودفنا في مقبرته رحمهما الله تعالى وكان سنه أربعين وسن ولده محمد سبعة عشر سنة وبقي له ولدان أبو يزيد وعمر وأما الفاضل المحترم صديقنا القاضي عبد الرشيد أفندي الإبراهيمي المقيم الآن في بطربورغ مدير جريدتي الالفت التلميذ ومؤلف سائر الرسائل المفيدة

= رضي الله عنه وفيه وجبت ثلاث مرات في الموضعين وكذلك أنتم شهداء الله في الأرض وأخرج الحاكم مثله عن النضر بن أنس وفي آخره أن لله ملائكة تنطق على لسان بني آدم بما في المرء من الخير والشر وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه بهذا اللفظ وفي الباب أيضًا حديث الطبراني عن كعب بن عجرة وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنهما وقد قالوا في تقريره إن ثناءهم بالخير أو الشر يدل على كون أفعالهم خيرًا أو شرًا بموجب قوله أنتم شهداء الخ ووصفه بالولاية هو أيضًا من هذا القبيل وليس فيه ما يستعظم بعد قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا والله ولي المؤمنين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقد عرف النسفي الولاية بقوله ولن يكون وليًا إلا أن يكون محقًا في ديانته وديانته الإقرار برسالة رسوله اهـ وقال الصوفي الله يار:

ولي أول عارف بالله بولسه يمان اشدين قولي كوتاه بولسه

إلى أن قال بو تعريفلر كشيگه بولسه صادق. وليدر أول شريعتكه موافق اهـ ولم يقل أحد أن الولي يكون له قرون أو ذنب يجره أو براة من الله على أن إطلاق الولي على من ليس وليًا لا يضر قال بعض العارفين:

والمرء أن يعتقد شيئًا وليس كما يظنه لم يخب فالله يعطيه

والحاصل أن باب حسن الظن واسع وهو واجب وسوء الظن حرام خصوصًا بخيار خير الأمم ولكن انتشار كتب الوهابية وأضرابهم شوش أذهان بعض الأفاضل وفقنا الله وإياهم للمحبة خيار خير الأمم وتعظيمهم وأما حديث أم العلاء الذي أخرجه البخاري عنه في كتاب الجنائز من قوله فقلت رحمة الله عليك يا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ وما يدريك أن الله أكرمه فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال عليه السلام أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لا أرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي الحديث فهو نهي عن الحكم على الله بأنه فعل به كذا لا النهي عن أثناء والله سبحانه أعلم. منه عفي عنه.

سلمه الله تعالى هو نجل عمر هذا وهو منسوب إلى جده أو إلى جد جده إبراهيم رحمهم الله تعالى.

[عبد الرحيم بن عثمان الأوتزايماني]

الشيخ عبد الرحيم بن عثمان الأوتزايماني الشهير ولد في قرية أتوز ايمان التابعة لقصبة چيسطاي واستفاد مبادىء العلوم من بعض علماء بلاده ثم تزوج زوجتين وولد له ولد اسمه عبد النصير ثم سافر إلى بخارى وأخذهم معه وتردد بين بخارى وسمرقند وكابل مرارًا كثيرة ثم صار إمامًا في مسجد مغاك الشهير ببخارى ثم رجع إلى وطنه وتزوج زوجة ثالثة واشتغل بالتدريس في قرى متعددة من غير منشور وكان له مسلك مخصوص به لا يشاركه أحد وهو أنه كان يمنع العوام من أن يصلوا السنن الرواتب فضلاً عن النوافل بعلة أنهم أميون فلو شرعوا في السنن تفترض عليهم وتفسد لعدم القراءة فيلزمهم قضاؤها وهو أيضًا لا يجوز منهم لعدم القراءة وإن أداء الجمعة والعيد لا يجوز في بلاد قزان لعدم تحقق المصر الشرعي فيها وإن الصلاة مستقبلاً إلى طامة البيوت هناك لا يجوز لكون زجاجتها مركبة على أخشاب في صورة الصليب إلى غير ذلك من عنديات وكان جسورًا في الكلام غير مراع لخاطر أحد حقًا كان كلامه في الواقع أو باطلاً وله نوادر ولطائف كثيرة في ذلك وله تآليف منها شرح مراد العارفين وثبات العاجزين بالعربية وكشف اللغات وقد رأيت كشف اللغات هذا في المدينة المنورة في كتبخانة الخانقاه الأحمدية مجلدًا مع المكتوبات الشريفة قال فيه لا يخفى أنه قد سبق عني قبل هذا شرح ثبات العاجزين بالعربية وشرح مراد العارفين وتحفة الأحباب والرسالة الخمرية ونصائح الغرباء وقواعد القرآن بالتركية وحل جامع الرموز فهذا تأليف ثامن تقبل الله كلها وجعلها خالصًا لوجهه الكريم اهـ.

ورأيت له شرح ثبات العاجزين وحل جامع الرموز إلا أن عبارته ملحونة وعلى كل حال فقد كان من عشاق العلم ومشمرًا عن ساق الجد مع اتباعه في نشره وقد نقل في اعتنائه بتصحيح الكتب ما يعد مستحيلاً وكان ينكر الاشتغال بالمنطق والفلسفة والكلام يعني اشتغالاً مفضيًا إلى تفويت المرام ونقل إنكاره أيضًا على مشايخ الطريقة والظن به بل اليقين أنه كان ينكر على الناقصين منهم أو المتشبهين بهم فإنه كان يلازم مطالعة كتب الإمام الغزالي وتعرف الكلاباذي ومكتوبات الإمام الرباني رضي الله عنهم ومقتضاها الإنكار على الناقصين والمتشبهين المبطلين دون الكاملين المحقين وقد سمعت مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطي رحمه الله أنه كان مريدًا للشيخ فيض خان

الكابلي إلا أنه لم يجتهد اجتهاد سائر أصحابه قال دخل يومًا على شيخه المذكور وفي جيبه أوراق كتب فيها بعض الاعتراضات فقال له الشيخ إن عمرك يضيع في اعتراضات غير نافعة وقال إنه طلب من شيخه أن يدعو له بالغلبة في مناظراته كلها فكان كذلك والعهدة في ذلك عليه ومن أكبر عيبه أنه كان قائلاً بسقوط العشاء بقزان في أقصر ليالي السنة سامحه الله تعالى توفي في سنة ١٢٥١ في قرية تيماش تابعة لقصبة بوكلمه رحمه الله تعالى.

[مصطفى بن موسى القزاني]

الحافظ مصطفى بن موسى القزاني استفاد العلم من علماء بلاده ومن علماء بخارى وسافر إلى كابل وصحب الشيخ فيض خان الكابلي ثم صار مدرسًا في بعض القرى التابعة لقزان ثم في نفس بلدة قزان كان حافظ القرآن وتلا إياه قليل الكلام ملازم الصمت رقيق القلب غزير الدمعة وقد تشرف بالحج قيل إنه أول عالم حج من نفس بلدة قزان توفي في سنة ١٢٥١ ببلدة قزان رحمه الله تعالى.

[يونس بن إبراهيم]

الملا يونس بن إبراهيم كان مدرسًا في قرية قاقچرلي وبعد أن درس فيها أربعين سنة ٤٠ عرض له العمى فدرس بعد ذلك عشر ١٠ أخرى وتوفي في قصبة طرويسكي رحمه الله تعالى.

[إسحٰق بن سعيد الكناري]

الملا إسحٰق بن سعيد الكناري ثم الچيسطايي ثم القزاني حصل العلم في بلاده وفي بخارى ثم صار مدرسًا في قرية سردي ثم في قصبة چيسطاي ثم في بلدة قزان واشتغل هناك بالتدريس حتى أتاه اليقين وانتفع به كثير من الطلبة وكان معروفًا بالعلم والفضل في عصره توفي في سنة ١٢٥١ رحمه الله تعالى.

[شاه أحمد بن رفيق السماكي]

الملا شاه أحمد بن رفيق السماكي أصله من قرية صلاوچ التابعة لولاية واتكا ثم هاجر أبوه رفيق منها واستوطن في أطراف قصبة منزلة فولد صاحب الترجمة فيها واستفاد من علماء عصره مثل الشيخ وليد بن سعيد المنزله باشي وعبد الجليل ابن عبد الجليل الورشي ومحمد رحيم بن يوسف المچكروي وأبي النصر عبد النصير بن إبراهيم القورصاوي ثم رحل إلى بخارى واستفاد من علمائها ولما

رجع إلى وطنه بعد قضاء وطره من التحصيل صار مدرسًا بقرية تاقته آلاچق التابعة لقصبة منزلة وقام بعض الأغنياء بتربية مدرسته فاجتمع لديه كثير من الطلبة فقال إن سبب كثرة اجتماع الطلبة كون المدرسة في تربية الأغنياء وكون القرية في وسط قرى المسلمين وقال هذا ليس عندي من الخدمة وقصدي أن أنشر العلم بين الجهلاء فتحول إلى قرية سماك فاجتمع لديه هناك أيضًا جمع عظيم من عطاش العلوم فصرف أوقاته كله في التعليم والتدريس بكمال النشاط حتى أتاه اليقين وهو أستاذ المدرسين الكبار كلهم في تلك الناحية وكان وفاته بها سنة ١٢٥٣ رحمه الله تعالى وخلف ولدًا اسمه نور الدين وكان مثل والده في العلم والفضل وكان إمامًا ومدرسًا بقرية ايركنش التابعة لقصبة منزله وتوفي قبل هذا بسنتين أو ثلاث رحمه الله تعالى لصاحب الترجمة الملا شاه أحمد كتاب عمدة التدقيقات وزبدة التحقيقات في إثبات فرضية العشاء في تلك البلاد في أقصر ليال السنة وفي ناظورة المرجاني أشياء منه ولو بتغيير عبارته.

[تاج الدين بن يالچي قل الملمي]

الشيخ تاج الدين بن يالچي قل الملمي أخذ العلم عن بعض علماء بلاده ثم رحل إلى طرف داغستان واستفاد فيها عن بعض علمائها ثم رجع إلى وطنه وصار إمامًا بقرية ملم التابعة لقصبة منزلة وله شرح ثبات العاجزين المسمى بالرسالة العزيزية وتفسير القرآن من سورة الفتح إلى آخره بالتركية كلاهما مطبوعان وشرحه المذكور مملوء بالحكايات الواهية والخرافات الداهية وقيل إن له شرح القصيدة القافية وتعليم الصلاة وشروط الصلاة أيضًا وكان يحب السياحة ويمشي في أكثر الأوقات على رجليه وسمعت بعض الناس يقول إنه كان يصاحب الشيخ عبد الرحيم الاوتزايماني في أسفاره في تلك البلاد توفي في قرية ايمانلي باشي التابعة لقصبة منزله سنة ١٢٥٤ رحمه الله تعالى.

[تاج الدين بن عبد الرشيد الاشتراكي]

الملا تاج الدين بن عبد الرشيد الاشتراكي ثم الصصناوي بعد أن استفاد العلم من علماء عصره صار إمامًا ومدرسًا أولاً في قريته الأصلية يكااشتراك التابعة لقصبة بوكلمه ثم تحول منها إلى قرية صاصنا بولاية قزان مدرسًا بها وبعد أن درس فيها سنة ٢٩ توفي في سنة ١٢٥٦ رحمه الله تعالى وكان من العلماء المشهورين في عصره وقد انتشر من مدرسته كثير من العلماء وكتب بيده كتبًا كثيرة بحيث قلما يوجد في زماننا

هذا لمن يطالعها بالتمام وله بعض تحريرات بالعربية في بيان بعض المسائل ومكاتيب منظومة بالتركية نور الله ضريحه وروح روحه.

[إيشمحمد بن زاهد الكوباكي]

الملا إيشمحمد بن زاهد الكوباكي ولد في قرية كوباك التابعة لقصبة بلباي في ولاية أوفا ونشأ بها عاميًا أُميًا لا يقرأ ولا يكتب بل صرف عمره في التغني واستعمال بعض آلات الملاهي في مجالس السفهاء ولما بلغ عمره ٢٢ سنة غاب في يوم من الأيام ولم يعلم أحد أنه أين ذهب حتى زوجته فبقي في غيبوبة هذه مدة ٢٥ سنة وذلك أنه توجه نحو الحرمين المحترمين ماشيًا فحج وزار المدينة وصحب بعض المشايخ في أحد الحرمين وأقام بمصر سنة واستفاد من علمائها وأقام أيضًا في بعض البلاد المشهورة ثم رجع إلى مسقط رأسه قرية كوباك بعد مضي تلك المدة وقد أخلى جرابه من سفاهته الأولى وملأ بدلها جواهر العلوم ويواقيت المعارف ولآلىء الآداب والوقار والسكينة وجدد نكاح زوجته فاطمة بنت عمر التي تركها حين سافر وعاش بها إلى آخر عمره مدرسًا وناشرًا العلوم ومعلمًا أحكام القراءة خصوصًا ثم توفي في قريته المذكورة سنة ١٢٥٦ وقد بلغ عمره ١٠٠ سنة وقد خلف أولادًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا وانتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى.

[دولت باقي بن علي الأصغر التاروي]

الملا دولت باقي بن علي الأصغر التاروي أصله من قرية إيمانقل التابعة لولاية أورنبورغ كان أولاً في خدمة خيالة الروسية فتوجه لسبب من الأسباب إلى طرف بخارى واستفاد العلم هناك بكمال الجد والشوق ثم رجع إلى وطنه وصار إمامًا ومدرسًا في قصبة تارا التابعة لولاية طوبل في سيبريا وبعد مضي برهة من الزمان رحل إلى بخارى ثانيًا بقصد تحصيل علم الفلكيات فقط لعجزه عن معرفة محاق القمر وانفصاله عن شعاع الشمس وبالجملة عن سير القمر وإثبات غرته لتعلقه هناك بمنصب الإمامة وبعد أن حصل هناك مقصوده والعلوم العقلية والنقلية فوق مقصوده خرج راجعًا إلى مقره السابق قصبة تارا من طريق تاشكند ولما خرج من قصبة قرا أوتكل القريبة من قصبة تارا توفي هناك وكان ذلك بعد سنة ١٢٥٦ رحمه الله تعالى فسلم كتبه وأسبابه المتعلقة بالفلكيات وسائر ما معه إلى ورثته فاشترى بعض أعيان تارا بعض آلاته المتعلقة بالفلكيات المعمولة من الصفر المكتوب عليها وسع كرسيه السموات والأرض وأودعها متحف موزه خانة في بلدة طويل.

[عبد النصير بن ثابت الأچكني]

الملا عبد النصير بن ثابت الأچكني الألمني كان كثير الكتابة وسريعها ومعتنيًا بتصحيح ما كتبه من الكتب وتحشيتها قيل مكتوب على ظهر العناية حاشية الهداية التي كتبها بيده ما معناه بلغ مجموع ما كتبته من الكتب مع هذه الحاشية مائتين وثلاثة وعشرين مجلدًا شرعت في استنساخ الكتب حين بلغت خمسًا وعشرين سنة وقد بلغت الآن خمسًا وتسعين سنة ولم أستعمل المنظرة إلى الآن وقد كتبت من نور المسرجة والميقدة والآن وإن أحدث الشمع ولكن ليس عندي ثمن ما يكفي منه ليلة واحدة والآن قد هرمت ولعلني لا أستطيع الكتابة اهـ ومع ذلك اشتغل بالتدريس توفي في سنة ١٢٥٧ رحمه الله وقام مقامه ولده الملا عبد الأحد وكان من العلماء المشاهير وقد رأيت بعض تلامذته في بعض مدارس طرويسكي حين تحصيلي بها في سنة وظني أنهم إنما قدموا إليها بعد موته رحمه الله تعالى.

[محمد شريف بن إبراهيم البيركوي]

الشيخ محمد شريف بن إبراهيم البيركوي ثم الخوارزمي الشكوي النقشبندي المجددي ولد في قرية بيركة التابعة لقصبة بوكلمه واستفاد من علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى وأخذ الطريقة عن الخليفة نيازقلي التركماني وصحبه مدة واختص به ثم رجع إلى وطنه وصار إمامًا ومدرسًا في قريته ودرس فيها مدة وتزوج وولد فيها أولاد ثم رحل ثانيا إلى بخارى في حدود سنة ١٢٣٠ تاركًا أولاده في وطنه ثم منها إلى خوارزم إما برأيه أو بإشارة من شيخه وصار هناك إمامًا في مسجد صغير بموضع يقال له شكه في غربي أوركانج الجديد على مسافة ثلاثة أرباع فرسخ تقريبًا وكتم حاله عن الناس ثم ظهر كماله وكونه مأذونًا في الطريقة فدخل في سلك إرادته جمع من أهالي تلك الديار اشتهر فضله وكماله ثم تحول منه إلى الجهة الغربية قليلاً بأن اشترى خمسة أطناب من الأرض بقرب خان كولي وبنى بها الخانقاه والمسجد واشتغل هناك بالتدريس وتربية المريدين إلى أن أتاه اليقين في حدود سنة ١٢٥٨ تقريبًا رحمه الله تعالى وخلف هناك ثلاثة أولاد وبنتًا وكان ولده الأوسط الشيخ محمد ذاكر حين وفاته ابن ١١ سنة فاستفاد الطريقة من خليفة والده قطلغ خواجه القراقالپاغي بعد أن أخذ العلوم المتداولة من علماء تلك الديار ثم انتصب للإرشاد والتدريس مكان والده وجدد الخانقاه وبنى مدرسة مشتملة على مقدار ثلاثين حجرة ووسع أراضيه واشتغل بالتدريس والتعليم واشتهر صيته وكمالاته وكانت الطلاب الصادقين يقصدونه من بلاد شاسعة

خصوصًا من بلاد قزان فتوسعت معيشته وما كان يقبل شيئًا من الخان فإن قبل كان يفرقه على الطلبة والفقراء وكان مصاريف الطلبة والمريدين والواردين من محصوله وجيبه فعاش على هذا المنوال إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء في يوم العاشر من جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ ودفن يوم الخميس بعد الظهر بجمعية عظيمة حضر فيها الخان ومن دونه ودفن وراء قبر والده في شمالي الخانقاه وخلف ثلاثة أبناء وبنتين وأبناءه محمد سعيد ومحمد صالح ومحمد عزيز وجلس مكانه ولده الأوسط الشيخ محمد صالح مد الله ظله وهو موصوف بالعلم والحلم والسكينة والوقار وقد فوض والده كثيرًا من مريديه في حياته إليه وإما الشيخ محمد سعيد فالغالب عليه النسبة العلمية وأما الملا محمد عزيز فكذلك متصف بالعلم والحلم والدراية والذكاوة ومشغول بالتدريس وبرؤية أمور الخانقاه وتدبيرها ولكل واحد منهم أولاد وكذلك لأخوي الشيخ محمد ذاكر أعقاب وكان للشيخ محمد شريف خليفة هناك من أهل قزان يسمى بالخليفة ولدان رحل من بلاد قزان والظن الغالب أنه من طرف أوفا وترك في وطنه زوجته وولدًا يسمى أحمد ولما صار مأذونًا منه في الطريقة استوطن هناك في موضع يقال له باصو بساحل نهر جيحون أسفل من أوركانج قريب من قلعة مانغت فجلب هناك زوجته المذكورة وولده أحمد ولما توفي هو جلس ولده أحمد مكانه للإرشاد وزوج بنتيه من الشيخ محمد صالح ايشان والملا محمد عزيز المخدوم وتوفي هو أعني الشيخ أحمد قبل الشيخ محمد ذاكر بسنة وبقي له ولد يسمى محمد صادق وقد رأيت الفقير أولاد الشيخ محمد ذاكر ايشان سوى محمد سعيد ومحمد صادق هذا حين سفري إلى خوارزم سنة ١٣٢١ وحملوا على بدل حج والدهم الشيخ محمد ذاكر ايشان فأديته في العام المذكور تقبل الله عني عنهم وأوصل ثوابه إليه روح الله روحه ونور ضريحه وكان صديقي الشيخ محمد يوسف ايشان مد الله ظله يبلغني سلامه وإظهار شوقه إلى هذا اللاشيء لما رأى فيه تعريب الرشحات والمكتوبات الشريفة وكذلك أخبرني أنجاله المذكورون بذلك وأكرموني فوق الغاية حتى حملوا مراحي هناك إلى جذب روحانية والدهم إياي جزاهم الله سبحانه كلهم خير الجزاء.

وللشيخ محمد شريف المذكور رسالتان في وجوب العشاء في أقصر ليالي السنة ببلاد قزان ورسالة في المنع من إرسال عذبة العمامة وذنبها ورسالة في ذم اجتماع النساء من الولائم والضيافات والحاصل أنه رحمه الله كان عالمًا محققًا مدققًا عاملًا بالكتاب والسنة تقيًا ورعًا غير مداهن لأرباب الدنيا ولمن كانوا في صورة العلماء دون

سيرتهم وكان قائلاً بسنية الإشارة وبكون القول بخلافها جزافًا على ما نقل عن الشيخ حبيب الله ابن الشيخ محمد حارث الاسترلي باشي ولكنه عمل به أولاً وحسن الظن أنه عمل به فإنه كيف يجوز ترك شيء بعد اعتقاد سنيته فلو أقام رحمه الله تعالى في وطنه لنور تلك الأقطار والظاهر أن سبب هجرته نفرته من الكفرة ومعاملاتهم وتمايل أهالي تلك الديار إليهم في كثير من عاداتهم والله سبحانه أعلم.

تنبيه ذكر لي حفيده الشيخ محمد صالح نقلاً عن والده الشيخ محمد ذاكر أن والده الشيخ محمد شريف كان يقول إن جدنا الأبعد بيكچور راخان وكان هو من الصالحين ولكن ليس بيدهم شجرة ولا يعرفون من فوق جدهم إبراهيم البيركوي وقد قيل إنه من طائفة تبتر وبيكچور راخان ليس منهم فليحرر.

[عبد الحليم بن زين العابدين المورطشي]

الملا عبد الحليم بن زين العابدين المورطشي استفاد العلم عن الشيخ عبد السلام بن الحسن القاربلي وعبد الرحمٰن بن محمد شريف القارغالي ومحمد رحيم بن يوسف المچكوي وأبي النصر عبد النصير بن إبراهيم القورصاوي ثم صار مدرسًا بقرية شاكلچي ثم بقرية مورطش باشي التابعة لقصبة منزلة وكان من مشاهير مدرسي تلك الناحية في عصره وانتفع به خلق كثير وقد سمعت من خالي الملا صاحب الدين آخوند النوركايي مدحه بالعلم مرارًا كثيرًا وكان بخيلاً في مدح الرجال جدًا وكان عديم التكلف في معيشته توفي رحمه الله تعالى في سنة ١٢٥٨ رحمه الله تعالى وكان له ولد مجذوب اسمه ولي وقد رأيته مرارًا في صغري.

[هبة الله بن دين محمد الصلاوچي]

الملا هبة الله بن دين محمد الصلاوچي استفاد العلم من أكابر علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى واستفاد فيها من علمائها ثم رحل إلى كابل وأخذ الطريقة عن الشيخ فيض خان الكابلي وصار مأذونًا منه فيها وبعد أن رجع إلى وطنه صار مدرسًا بقرية صلاوچ واشتغل هناك بالتدريس وتربية المريدين وانتفع به خلق كثير وكان من مشاهير العلماء في عصره وتوفي هناك في سنة ١٢٥٨ رحمه الله تعالى.

[عبد الخالق بن إبراهيم القورصاوي]

الشيخ عبد الخالق بن إبراهيم القورصاوي أخوا الشيخ عبد النصير القورصاوي وكان أكبر منه أخذ مبادىء العلوم من علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى وأخذ فيها

الطريقة عن الخليفة نيازقلي التركماني واستفاد سائر العلوم عن أخيه أبي النصر عبد النصير وحج وأقام مدة في مصر وأخذ عن علمائها علوم القراءة والتفسير والحديث وأخذ القراءة أيضًا عن المولى أبي السعود مفتي ديار بكر وبعد أن رجع صار مدرسًا بقرية قورصا ودرس العلوم الدينية في مدارس أخيه عبد النصير وله كتاب في الحديث طبع في قزان يقال إنه صار مجازًا في الحديث عن شيوخ كثيرة وكان عالمًا عاملًا بالكتاب والسنة تقيًا ورعًا دينًا مستقيم الأحوال والأطوار يفهم مما كتبه بعض أصحابه في بيان ترجمة حاله أنه تشرف بالحج مرارًا وسافر إلى العراق وخراسان والله سبحانه أعلم توفي في قرية قورصا سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى وقد تقدم وفاة أخيه عبد النصير بأسكدار وتوفي أحد إخوته عبد الرشيد ببخارى وأخوه عبد الكريم في مصر رحمهم الله تعالى.

[فتح الله آخوند بن الحسين الأوروي]

الملا فتح الله آخوند بن الحسين الأوروي أخو الشيخ حبيب الله بن الحسين الأوروي المار ذكره وأحد العلماء الأعلام في تلك الديار ولد في سنة ١١٨١ واستفاد العلم عن الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد شريف القارغالي وفي بخارى الملا عطا وغيره ولما رجع إلى وطنه صار إمامًا ومدرسًا بقرية أوري واشتهر صيته واجتمع لديه جمع عظيم من الطلبة فدرس وأفاد وأفتى وألف ونصح ووعظ ونفع العباد وله رسائل عديدة منها الرسالة الفتحية في سقوط العشاء في بلاد قزان وبلغار في أقصر ليالي السنة والرسالة المهمة في حق الهلال وإثباته ورسالة في جواز اتصافه تعالى بالوحدة العددية ومجمع جمع فيه من كل باب رطبًا ويابسًا وهو وإن أخطأ في بعض المسائل إلا أنه أخطأ عن دليل لا عن تقليد فإن الإصابة كما إنها تكون عن دليل وتقليد كذلك الخطأ يكون عن دليل وتقليد وهو الأكثر الغالب وأعني بالتقليد تقليد المقلد كما هو ديدن كافة الناس الآن لا تقليد المجتهد فإنه لم يدع الاجتهاد قط لا صراحة ولا إشارة ومعنى الإصابة عن دليل على هذا أعني مع تقليد المجتهد هو أن ينظر إلى دليل إمامه ودليل غيره في كل مسألة ويدرك قوة دليل إمامه أو مساواته لدليل غيره وهو الطريق الأوسط الأقوم بين التقليد الأعمى الجامد وبين الاسترسال بالرأي والإعجاب به وحسن ظن الإنسان بنفسه أو بأحد ممن يميل إليه نفسه وهو الذي اخترته وأسأل الله سبحانه الدوام والثبات فيه إلى أن أموت وبالجملة إنه كان ممن يطلق عليهم لقب العلماء بالاستحقاق توفي في قرية أوري سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى.

[عبد الواحد بن عبد المنان]

الملا عبد الواحد بن عبد المنان بن آبلاي المنزلة باشي كان إمامًا ومدرسًا بقرية منزلة باشي وأحد العلماء المشهورين المشتغلين بالإفادة والتدريس توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى.

[زين الله بن أولمز قل القالقاني]

الملا زين الله بن أولمز قل القالقاني كان من أصحاب أبي النصر القورصاوي اشتغل بالإفادة والتدريس في قرية قالقان التابعة لقصبة ويرخنوي أورال إلى أن أتاه اليقين وكان وفاته سنة ١٢٥٩ رحمه الله تعالى.

[نعمة الله بن بيكتمر الاسترلي]

الشيخ نعمة الله بن بيكتمر الاسترلي باشي النقشبندي المجددي أصله من قرية صلاوج التابعة لقصبة مالمژ وتحول جده توقاي من هناك إلى قرية ايسترلي باشي التابعة لقصبة ايستر لي طمق في ولاية أوفا وولد صاحب الترجمة في القرية المذكورة واستفاد العلم من علماء عصره في تلك الديار ورحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وانتظم في سلك أصحاب الخليفة نيازقلي التركماني واختص بصحبته وانتفع به وصار مأذونًا منه في الطريقة النقشبندية المجددية وعاد إلى وطنه وقد ملأ طرفي حقيبته بجواهر العلوم الظاهرية والباطنية وانتصب للتدريس والإرشاد مشمرًا عن ساق الجد والاجتهاد وبنى المدارس الكبار فصارت قرية ايسترلي باشي محط رحال الرجال الكبار واجتمع لديه طلبة العلوم من جميع الأقطار وقصده طلاب الحق من جميع الديار فكان يبذل لكل منهم ما يناسبه ويربي كل من المريدين بما يلائمه وكان عالمًا بعلوم الشريعة عاملاً بها تقيًا نقيًا دينًا متواضعًا حسن الأخلاق وافر الإفادة كثير الإرشاد واسع الغناء كامل الدراية مرتاضًا ذا سكينة ووقار مهيبًا معتمدًا إليه لجميع الناس ملازمًا لدرس التفسير والحديث والتصوف مجتنبًا عن محدثات المتفلسفين والمتكلمين سالكًا مسلك السلف الصالحين وبالجملة لا يدرى له ثان في تلك الديار في الاشتهار بالعلم والصلاح والتقوى والإرشاد واعتقاد الكل فيه هذا الاعتقاد وبعد أن عاش سنين عديدة على هذا المنوال ونفع كثيرًا من عباد الله المتعال بلغه أمرًا رجعي فأجابه وكان وفاته في القرية المذكورة ايسترلي باشي سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى وروح روحه ونور ضريحه وقد خلف ولدين حارثًا وحراثًا وقد جلسا مكان والدهما في الإفادة والإرشاد على التعاقب وسلكا مسلكه في جميع شؤونه توفي ولده الأكبر الشيخ حارث سنة

١٢٨٧ والشيخ حراث سنة ١٢٨٨ رحمهما الله تعالى وبعض أحفاده[١] وخلفاء أولاده وخلفاء خلفائه يشتغلون الآن بالتدريس والإرشاد في مكانه ويستفيد فيه العلوم خلق كثير نسأل الله سبحانه أن يقيض من يحييه ويجدده ويعيده إلى ما كان عليه في عصره وما ذلك على الله بعزيز.

[عبد الخالق بن عبد الكريم]

الملا عبد الخالق بن عبد الكريم ولد في حدود سنة ١١٨٥ بقرية آغاردي التابعة لبلدة أوفا واستفاد مبادىء العلوم عند علماء تلك النواحي ثم رحل إلى قزان ثم إلى آق كرمان ثم إلى بلاد الدولة العلية وأقام بقصبة خادم ست سنين مستفيدًا من الملا محمد أمين قيل هو شارح الطريقة المحمدية المفتي أبي سعيد محمد بن مصطفى وله منه إجازة عربية العبارة ثم توجه منها إلى الحج فأقام في مكة المكرمة سنتين وفي المدينة المنورة سنة واحدة وفي مصر سنة وأخذ فيها الإجازة في القراءة عن الشيخ صالح الزجاجي (كذا) وفي القدس سنة وفي دمشق الشام ستة أشهر ثم رجع إلى وطنه وصار مدرسًا بقرية طورنا صنتاش طمق واشتغل هناك بالتدريس إلى أن توفي فيها سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى.

[عبد الغفور بن عبد المنان]

الملا عبد الغفور بن عبد المنان بن آبلاي الچيسطايي هو أخو الملا عبد الواحد المار ذكره أصله من قرية عبد الرحمٰن التابعة لقصبة بوكلمه استفاد العلم من الشيخ سيف الدين الشنكاري وأبي النصر القورصاوي ثم رحل إلى بخارى واستفاد من

---

(١) وأكبرهم المخدوم الملا عبد الله ثم الملا عبيد الله وهو القائم الآن بأمر الإرشاد ثم الملا محمد شاكر ثم الملا عبد القادر وهؤلاء أولاد الشيخ محمد حارث ومات من أولاده اثنان وهما الملا حبيب الله والملا عبد المجيد وقد بلغا من العلم مبلغًا عظيمًا رحمهما الله تعالى ولكل منهم أولاد نجباء أذكياء إذا رآهم الرائي ينشد هذا البيت بلا اختيار شعر:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وأما الشيخ محمد حراث فقد خلف ولدًا اسمه المخدوم لطف الله وقد خلف ولدًا اسمه عبد الرحيم وقد زرت استرلي باشي في شعبان هذا العام قبيل الشروع في طبع هذا الكتاب ونزلت ببيت الملا محمد شاكر أفندي ثم ببيت الملا عبد القادر ورأيت كلهم ورأيت منهم كلهم حتى من صغارهم لطفًا وإكرامًا واحترامًا زائدًا يليق لمثلهم الكرام وإن لم يلق لمثلي فتيقنت صدق مضمون قولهم الولد سر أبيه وإن المحبة تنتقل من الآباء إلى الأبناء وتحققت أصالة جوهرهم حفظهم الله سبحانه من جميع الآفات والعاهات وأدام عزهم ومجدهم. منه عفي عنه.

علمائها ولما رجع إلى وطنه صار مدرسًا في قرية طويكلدي التابعة لقصبة منزلة مدة ثم تحول إلى قرية شيطان يلغه التابعة لقصبة ممادش ثم تحول إلى قصبة چيسطاي وبنى هناك مدرسة فاجتمع لديه كثير من الطلبة فاشتغل بالتدريس والإفادة إلى أن توفي فيها سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى كانت إفادته جيدة مفيدة لطلاب وقد انتفع به خلق كثير يقال كان له مهارة جيدة بين أبناء جلدته في علم الحساب وقد استفاد منه خالي الملا صاحب الدين آخوند سنة واحدة قادمًا هناك من قزان بعد وفاة الملا إسحٰق المار ذكره ولما تعين الملا محمد كريم مكانه رجع إليها.

[محمد رحيم ابن أمير بن جعفر التارشناوي]

الشيخ محمد رحيم ابن أمير بن جعفر التارشناوي وتارشنا وقرية في ولاية قزان كان صاحب الترجمة يشتغل فيها بالإمامة والإرشاد وكان مجازًا من الشيخ نيازقلي التركماني البخاري يقال إنه كان مجاب الدعوة توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٦٠ رحمه الله تعالى.

[فخر الدين بن إبراهيم بن خوجاش القزاني]

الملا فخر الدين بن إبراهيم بن خوجاش القزاني ثم البخاري وقد مر ذكر والده الملا إبراهيم ولد صاحب الترجمة في قزان واستفاد من والده المذكور ثم رحل إلى بخارى وأخذ من علمائها ثم عاد إلى قزان وبعد أن أقام بها مدة رحل ثانيًا إلى بخارى واستوطن بها واشتغل بتعليم القراءة وقليلًا من العلوم العربية التي كان والده أتى بها من طرف داغستان وقد صحح بسببه كثير من الناس قراءتهم بحيث يجوز بها صلواتهم ويقال إن الأمير حيدرًا أخذ عنه القراءة وصححها عليه وبالجملة إنه كان مقربًا لديه سمعت مولانا الشيخ فخر الدين النورلاطي رحمه الله تعالى أنه ضرب على فم واحد من العلماء أمام الأمير المشار إليه وكان مولانا الشيخ فخر الدين المذكورة تلقن القراءة منه وكانت قراءته لا بأس بها إلا أنه كان يحدث السكتة بين الكلمتين حذرًا عن الإدماج على زعمه ولا سيما في سورة الفاتحة لما اشتهر بين العوام أن فيها أسماء الشيطان في سبع مواضع يحصل من ضم كلمة إلى أخرى أولها دلل وثانيها هرب الخ ولا أدري إن هذه البدعة هل كان أخذها عنه أو عن بعض الرسائل الغير المعتمدة والله سبحانه أعلم وله تعليقات على بعض مواضع القهستاني حاكم فيها بين شرح القهستاني وشرح الملا أبي المكارم لمختصر الوقاية سماها غواص البحرين وميزان الشرحين وقد طبعت في هامش القهستاني سنة ١٣٠٨ في قزان ما أدري كلها أو بعضها وكذلك له

تعليقات لحاشية ملا أحمد الجندي على شرح العقائد وعلى حاشية خواجه جمال على شرح التهذيب وعلى حاشية آخوند يوسف القراباغي وحاشية على التوضيح ومختصر الشاطبية وغيرها وهذه لم أره وتعليقاته على القهستاني لا بأس فيها منها ما يؤخذ وفيها ما يترك وبالجملة إن نفعها أكثر خصوصًا للمبتدئين وقد نقل الفاضل المرجاني عدة من مكاتيبه والفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي اثنين منها وكل منها طويل مفكك العبارات غير مرتبطها وعلى كل حال كان رحمه الله تعالى من العلماء الكبار وكان وفاته في بخارى ١٢٦٠ سنة وقد بلغ عمره تسعين سنة رحمه الله تعالى.

[عبيد الله بن إبراهيم البيركوي]

الملا عبيد الله بن إبراهيم البيركوي أخذ العلم عن أكابر علماء عصره وتلقن القراءة عن الشيخ ولي الدين البغدادي القارغالي ولما أراد الشيخ محمد شريف المار ذكره أن يهاجر عينه مدرسًا في مكانه وفوض مدرسته وتلامذته إليه فاشتغل بخدمة التدريس والإفادة إلى آخر عمره وقد انتفع به خلق كثير وكان وفاته في بيركة سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى وله رسالة عربية في ترتيب العوامل المائة وتقسيمها إلى الاسم والفعل والحرف ولما توفي قام مقامه في التدريس ولده الملا عبد العلي أحسن قيام وانتفع به الخاص والعام إلى أن توفي رحمه الله تعالى وله رسالة لطيفة في فرضية العشاء في أقصر ليالي السنة في قزان وبلغار سماها بيان الحق في مسألة العشاء حيث لم يغب الشفق ليست بالطويلة المملة ولا بالقصيرة المخلة مفيدة جدًا ورسالة في وجوب إدغام النون في اللام في كلمة الشهادة سماها الرسالة المفتاحية ألفها لرد بعض الجهلاء القائل بوجوب ترك الإدغام فيها أخذًا عن قول الجزري فأقطع بعشر كلمات أن لا الخ وكلتاهما عربيتان ورسالة في وجوب العشر عن العسل الذي يبقى في الخلايا قوتًا للنحل في أيام الشتاء سماها الجلية في وجوب العشر من عسل الحلية كلها بالعربية وكلها طبعت مجتمعة في قزان سنة ١٣١١ والآن قائم في مقامه بخدمة التدريس ولده وهو أيضًا متصف بالعلم والفضائل والآداب مثل آبائه الكرام سلمه الله تعالى.

[شاه أحمد بن يوسف]

الشيخ شاه أحمد بن يوسف بن قطلغ محمد التوكيلي النقشبندي وهو أخو المفتي سليم كراي بن يوسف التوكيلي إلا أنه نفى نسبه عنه باتفاق مع سائر الورثة بناء على الأمور الرسمية فأخذ المذكور حسب النظام في خدمة الخيالة الروسية وبعد أن

تخلص منها سافر إلى الحجاز وبقي في سفره هذا ست سنين وبعد أن عاد إلى وطنه انتسب إلى الشيخ وليد القارغالي النقشبندي في الطريقة وصحبه وانتفع به وصار مأذونًا منه فيها وبنى مسجدًا بقرية رادوت التابعة لأورنبورغ واشتغل هناك بنشر الطريقة والشيخ حبيب الله الزيملپچومي الخوالينى من خلفائه وكان صاحب الترجمة حليمًا تقيًا سخيًا ذا خلق حسن توفي في القرية المذكورة سنة ١٢٦١.

[نعمة الله بن مناسب البوبوي]

الملا نعمة الله بن مناسب البوبوي كان مدرسًا في قرية بوبي التابعة لقصبة سراپول في ولاية واتكا كان كثير الإفادة مستقيمًا في الشريعة مجتهدًا في نشر العلم ورفع الجهل توفي في سنة ١٢٦١ وقام مقامه ولده الملا عبد العلام وخدم العلم خدمة جيدة وتوفي في سنة ١٣١٩ رحمه الله تعالى وقام مقامه في خدمة العلم ونشره ولداه الأنجبان الملا عبيد الله أفندي القوزي والملا عبد الله أفندي سلمها الله تعالى.

[رحمة الله بن عبيد الله الكزلوي]

الشيخ رحمة الله بن عبيد الله الكزلوي وقد مر ذكر والده الشيخ عبيد الله بن جعفر الكزلوي وقد استفاد صاحب الترجمة العلم عن والده المذكور وعن الشيخ عبد الرحمٰن القارغالي وأخذ القراءة عن الشيخ ولي الدين البغدادي وكان جيد القراءة وكثير الطلبة وقوي الإفادة توفي في سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى وصار بموته مصداق ما قال الشاعر، شعر:

فآهًا على فوت امرء لم يكن له خليفة عهد وارث لكماله

عكس ما سبق.

[عصمة الله بن الملا عبد الرحمٰن]

الملا عصمة الله بن الملا عبد الرحمٰن طو يمحمد الشلچلي كان إمامًا ومدرسًا ومحتسبًا في قرية توبان شلچلي التابعة لقصبة بوكلمه وكان يفصل دعوى أهل الإسلام في تلك الأطراف وكان جيد الخط وفائقًا أقرانه في علم الفقه وربما كان ينظم شعرًا تركيًا وقد مر ذكر والده الشيخ عبد الرحمٰن الطايصوغاني توفي رحمه الله في سنة ١٢٦١.

[يعقوب بن يحيىٰ التيبيازي]

الملا يعقوب بن يحيىٰ التيبيازي القشقاري استفاد العلوم من علماء تلك الديار ومن علماء بخارى ثم صار مدرسًا في قرية برسكه ثم في قرية قشقار في ولاية قزان

وكان من العلماء الكبار الموصوفين بكثرة التلامذة توفي في سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى.

[علي باي بن يار محمد الچالپوي]

الملا علي باي بن يار محمد الچالپوي كان إمامًا ومدرسًا في قرية چالپي التابعة لقصبة بوكلمه أخذ العلم عن عدة من كبار علماء تلك الديار يقال إنه كان يدرس بالتحقيق والإفهام إلا أن تلامذته كانوا قليلين توفي في سنة ١٢٦١ رحمه الله تعالى.

[شرف الدين بن زيد الدين استرلي]

الملا شرف الدين بن زيد الدين استرلي طمقي كان إمامًا ومدرسًا في قصبة استرلي طمق التابعة لولاية أوفا استفاد العلم من علماء تلك الديار ثم رحل إلى بخارى وأخذ الطريقة عن الخليفة نيازقلي التركماني وصار مأذونًا بها منه وبعد أن رجع إلى وطنه اشتغل بالتدريس والإرشاد في القصبة المذكورة وقد انتفع به في الظاهر والباطن خلق كثير وخلفه في الطريقة خليفته الشيخ عبد الحكيم الچارداقلي توفي رحمه الله تعالى في سنة ١٢٦٢ وكذلك نجله خلفه الصدق الشيخ كمال الدين خلفه بعده في الإمامة والتدريس والإرشاد في مكانه واشتهر صيته واستفاد منه خلق كثير توفي سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى.

[ميان فيض بخش بن عبد القدوس المجددي]

ميان فيض بخش بن عبد القدوس المجددي قال المرجاني بعد ذكر نسبه من غير مبالاة على عادته قدم إلى قزان وأقام بها مدة واشتهر بايشان صاحب زاده على اصطلاحهم وتوفي في شوال سنة ١٢٦٢ بالوباء ودفن في المقبرة الجديدة بقزان ولم يكن من أهل العلم وإنما كان افتخاره بالنسب فقط الخ ولم يبين أنه من أين جاء إلى قزان ولأي شيء جاء رحمه الله تعالى.

[ذو القرنين بن خليل القاقتماقي]

الشيخ ذو القرنين بن خليل القاقتماقي كان من مشاهير شيوخ سيبريا أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ نجم الدين النسفي المجاور بالمدينة المنورة عن الشيخ فيض خان الكابلي على ما في إجازته عن شيخه وعن الشيخ عبد الخالق البلغاري ثم النسفي عن شيخه ولي محمد البلغاري عن شيخه محمد فيض خان الكابلي... وكذلك أخذت الطريقة عن شيخ الشيخ الخ هكذا في إجازته التي أعطاها لواحد من مريديه ولعل نجم

الدين هو لقب ولي محمد ومراده بشيخ الشيخ هو والله سبحانه أعلم توفي في سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى.

[نعمان ابن أمير بن عثمان التمني]

الملا نعمان ابن أمير بن عثمان التمني كان من أخص أصحاب الشيخ أبي النصر القورصاوي حتى إنه فوض جميع تلامذته ومدرسته إليه حين سافر إلى الحج توفي في قرية تمن في ولاية أوفا ولم يعلم تاريخ وفاته والظاهر أنه كان مدرسًا في القرية المذكورة رحمه الله تعالى.

[عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الطايصوغاني]

الملا عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الطايصوغاني كان إمامًا ومدرسًا بقرية طايصوغان وقد مر ذكر والده عبد الرحمٰن سابقًا وذكر أخيه عصمة الله قريبًا تلقى العلوم من أكابر علماء تلك الديار في عصره وتلقن الطريقة النقشبندية عن الشيخ وليد بن محمد الأمين القارغالي المار ذكره كان ذكيًا فطنًا فاضلاً وقورًا عالمًا بالعلوم الدينية وبصيرًا بالأمور الدنيوية توفي في حدود سنة ١٢٦٢ رحمه الله تعالى.

[حماد بن عيسى القارغالي]

الملا حماد بن عيسى القارغالي ولد في قرية توبن چبنلي وبقي من أبيه يتيمًا فنشأ في حجر أخيه مرادم بن عيسى واستفاد العلم من أكابر علماء تلك الديار ثم صار مدرسًا في قرية بولق ثم تحول منها إلى قرية قارغالي واشتغل فيها بالتدريس مدة إلى أن توفي فيها سنة ١٢٦٤ بالوباء يقال إنه كان يدرس على وجه التحقيق والتدقيق بحيث يفهم تلامذته درسه فيها جيدًا ولذا كانوا ذوي نشاط واجتهاد في التحصيل رحمه الله تعالى وخلفه مكانه ولده الملا عبد العليم وتوفي في سنة ١٣١٥ وقد لقيته مرارًا رحمه الله تعالى وولده مطيع الله أقام بمدرسة قشقار مدة وقدم هذا العام مكة المكرمة وتوجه بعد الحج إلى المدينة المنورة ويرجى منه الخير إن شاء الله تعالى.

[نعمة الله بن عبد الرحيم الأورنبورغي]

الملا نعمة الله بن عبد الرحيم الأورنبورغي أصله من ولاية پنزا واستفاد العلم والطريقة من الشيخ دولتشاه المار ذكره وتزوج ابنته عائشة وصار إمامًا وخطيبًا في بلدة أورنبورغ وتوفي بالوباء رحمه الله تعالى.

[سيد بن نور محمد]

الشيخ سيد بن نور محمد كان إمامًا ومدرسًا في قرية ملاقاي التابعة لقصبة أورسكي استفاد العلمين الظاهر والباطن من الشيخ نعمة الله الاسترلي باشي وأفنى عمره في التدريس والإفادة وتوفي سنة ١٢٦٤ رحمه الله تعالى وفي مقامه الآن نجله الأرشد الأمجد الملا عبد الله آخوند وله خلافة من شيخنا الشيخ محمد مظهر الدهلوي المدني المجددي قدس سره ولم نذكره في ذيل تعريب الرشحات لعدم علمنا به في ذلك الوقت ووقته معمور بالذكر والفكر والإفادة وتربية المريدين سلمه الله تعالى.

[عبد اللطيف بن سبحانقلي]

الشيخ عبد اللطيف بن سبحانقلي بن رمقل القورچي ولد في قرية قصقه يلغه التابعة لقضاء بلبه ي وأخذ عن بعض علماء بلاده ثم خرج من دياره بنية الحج وأقام بمصر سنتين وأحكم علم القراءة وبعد رجوعه إلى وطنه رحل إلى بخارى وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ نيازقلي وبعد أن عاد إلى وطنه مجازًا منه في الطريقة أقام بقرية قورچ التابعة لقضاء بلبه ي إمامًا ومدرسًا ومقرئًا ومرشدًا وانتفع به خلق كثير في الطريقة والقراءة وكانت شهرته في القراءة في تلك الديار أكثر من شهرة قفا نبك بين أربابها ومن جملة تلامذته في علم الظاهر الملا عين الكمال بن عبد الواحد القزاني والملا نصر الدين بن عبد الحكيم البورايي والملا نظام الدين الآتي ذكره ومن خلفائه في الطريقة الشيخ سليمان بن قالماش والشيخ عبد الفتاح بن عبد المجيد الصاري سازي والقائم مقام الشيخ عبد الفتاح الآن ولده الشيخ صنعة الله المقيم بقرية جماد باشي نرجو من فضله تعالى أن يكون في الاستقامة مثل مشايخه الكرام وقد حج مرتين ولقيته في مكة مرارًا وبت في بيته ليلة في سنة ١٣١٠ أثناء بعض سياحتي توفي صاحب الترجمة الشيخ عبد اللطيف سنة ١٢٦٤ رحم الله الجميع.

[بايمراد بن محرم القزاني]

الملا بايمراد بن محرم القزاني أصله من قرية الوغ منكر من أولاد بعض تجارها أخذ العلم في مبادىء أحواله عن عدة علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها ثم رجع إلى وطنه في حدود سنة ١٢٢٨ ودرس أولاً في قرية ممسة ثم تحول في عام ١٢٥٤ إلى قزان وصار مدرسًا في إحدى مدارس يكابسته واشتهر فضله وطار

صيته في الآفاق واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتفعوا به وتخرج عليه كثير من العلماء وكان ذا ثروة عظيمة يتعاطى التجارة حتى كان معمل نوع من البز الأزرق يسمى في اصطلاح أهل تلك البلاد تقان وبالجملة إنه كان أشهر علماء عصره في مصره توفي في ٨ شوال عام ١٢٦٥ رحمه الله تعالى.

[حبيب الله بن رحمانقلي القزاني]

الملا حبيب الله بن رحمانقلي القزاني أخذ العلوم عن والده وسائر علماء عصره المذكور وجود القراءة لدى الشيخ ولي الدين البغدادي ودرس مدة في قرية بيكي ثم ورد إلى قزان بعد وفاة أخيه الملا عبد النصير بن رحمانقلي عام ١٢٥٢ وصار إمامًا ومدرسًا وخطيبًا في مسجد يسمى زنكار مسجد واشتغل بالتدريس والإفادة إلى أن توفي عام ١٢٦٦ رحمه الله تعالى وخلفه في تلك الوظائف ولده الملا غياث الدين وكان ذا ذهن وقاد وطبع نقاد فصيحًا بليغًا شاعرًا إلا أنه لم يطل عمره بل توفي بعد سنين من موت أبيه وتوفي ولده الثاني الملا إسماعيل في مكة المكرمة سنة ١٣٠٧ بالوباء العام رحمهما الله تعالى.

[عبد الرحيم بن عاشور الحاجطرخاني]

الملا عبد الرحيم بن عاشور الحاجطرخاني المشهور بچباتالي ملا أصله من قرية مچالي التابعة لولاية پنزا أخذ العلم عن الملا عبد الرحمٰن بن محمد بن شريف الكرماني القارغالي ثم رحل إلى مصر القاهرة واستفاد فيها عن علمائها مدة ١٢ سنة وجود القراءة عند الشيخ مصطفى المقري وصار مأذونًا منه في القراءة ولما عاد إلى هذه الديار صار إمامًا ومدرسًا في إحدى محلات حاجي طرخان فأخذ عنه فيها القراءة خلق كثير وانتفعوا به فيها ولا سيما الشيخ عبد الله والشيخ عبد الوهاب من أئمة البلدة المذكورة فمن ذاك الوقت كان بلدة حاجي طرخان مصر هذه الديار في علم القراءة والآن يقوم بها فيها الحافظ عبد الرحيم ابن الشيخ عبد الله والملا عبد الرحمٰن بن عبد الوهاب المذكورين وتوفي صاحب الترجمة في سنة ١٢٦٤ رحمه الله تعالى.

[عبد الصالح بن عبد الله بن شريف]

عبد الصالح بن عبد الله بن شريف ابن كيوك الخ أخذ عن الملا عبد الناصر بن طورمناي وأخذ التصوف عن الشيخ رحمة الله ابن عبدوس وأقام بقرية چقر التابعة لقضاء بوري من ولاية أوفا يقال إنه كان يعيش بكد يمينه على خلاف عادات علماء

هذه الديار ويكتفي بكسبه ولا سيما باتخاذ نحل العسل ولهذا كان ذا ثروة عظيمة وقد بنى مدرسة بماله ونصب ولد شيخه مهر حيدر بن رحمة الله بن عبدوس مدرسًا بها وزوجه ابنته وكان تقيًا برًا صاحب أوراد كثيرة وولده الملا علي أفندي كان أيضًا من مشاهير العلماء ومجازًا في الطريقة عن شيخنا الشيخ محمد مظهر الدهلوي المدني المجددي قدس سره[1] والقائم الآن مقامه ولده المخدوم عارف الله المجاز عن الشيخ إبراهيم الغزنوي خليفة شيخنا المذكور وجدهم الأبعد مايقي بك يقال إنه كان من أمراء چنكزخان ولم أره في موضع والله سبحانه أعلم توفي صاحب الترجمة في رمضان عام ١٢٦٥ رحم الله الجميع.

[إبراهيم بن محمد يار]

الملا إبراهيم بن محمد يار بن يارمق أخذ عن الملا أميرخان بن قوچقار الأوتاكي وولده أحمد جان ابن أمير خان وغيرهما ثم صار إمامًا ومدرسًا في أحد محلات قرية چالپي التابعة لقضاء بوكلمه وكان من مشاهير العلماء الكرام في تلك الناحية انتفع به خلق كثير فيها توفي في جمادى عام ١٢٦٨ رحمه الله تعالى.

[عبد الواحد بن عبد الرحمٰن البواوي]

الملا عبد الواحد بن عبد الرحمٰن البواوي أخذ عن الملا باي مراد القزاني ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى وطنه وصار إمامًا ومدرسًا بقصبة بوا واشتغل هناك بالتعليم والتدريس وكان من مشاهير العلماء في عصره صالحًا دينًا تقيًا ورعًا زاهدًا مجتنبًا عن التكلف والرياء والسمعة وقد أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الرحمٰن النسفي وصار مأذونًا منه فيها توفي في جمادى الآخرة سنة ١٢٦٨ رحمه الله تعالى.

[فتح الله بن صفر علي المناوزي]

الملا فتح الله بن صفر علي المناوزي ثم القزاقلري أصله من قرية مناوز التابعة لقضاء بلباي أخذ عن الملا بن صالح الكيلي وغيره كان إمامًا ومدرسًا بقرية قزاقلر التابعة لولاية قزان كان جيد الإفادة وكثير الطلبة وقد تشرف بالحج وصحب علماء الحرمين والروم وصار مجازًا عن الشيخ عبد الله الأرزنجاني عن المكي في الطريقة

(١) وبقي اسمه من غير ذكر عند تعداد خلفاء شيخنا في هذه الديار في ذيل الرشحات نسيانًا. منه عفي عنه.

النقشبندية الخالدية وكذلك صار مأذونًا في القراءة المقرىء ولي الدين البغدادي توفي في ربيع الأول عام ١٢٦٩ بعد أن عاش ٨٠ سنة رحمه الله تعالى.

[نعمة الله بن عبيد الله الألمتي]

الشيخ نعمة الله بن عبيد الله الألمتي قد تقدمت ترجمة والده الشيخ عبيد الله بن جعفر أخذ العلوم عن محمد رحيم بن يوسف المچكاراوي وعبد الرحمٰن بن محمد شريف القارغالي وغيرهما وأخذ الطريقة عن والده الشيخ عبيد الله والقراءة عن الشيخ ولي الدين البغدادي وصار إمامًا ومدرسًا ومرشدًا بقرية المت التابعة لقصبة بوكلمه وأقام بها إلى أن توفي في ٢٢ جمادى الآخرة من عام ١٢٦٩ عن ٨٢ سنة رحمه الله تعالى.

[رمقل بن مقصود الاشتراكي]

الملا رمقل بن مقصود الاشتراكي أصله من قرية باي طوغان التابعة لقضاء بوغرصلان أخذ عن الملا سيف الدين بن أبي الشنكاري ثم الصباوي وعن فخر الدين بن سبحان قلي الكيچوچاتي وعن حسام الدين بن عبد المؤمن الألكايي ثم صار إمامًا بقرية اشتراك التابعة لقضاء بوكلمه وهو وإن لم يشتغل بالتدريس إلا أنه كان كثير المطالعة ومالكًا لكتب نادرة الوجود على ما ذكره سبطه الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي البكيچوچاتي سلمه الله تعالى توفي في ١٥ رمضان من عام ١٢٦٩ عن ٦٣ سنة رحمه الله تعالى.

[عبيد الله بن سبقل الحاجطرخاني]

الملا عبيد الله بن سبقل الحاجطرخاني أخذ عن الملا حسن بن السردوي وغيره ثم رحل إلى بلدة حاجي طرخان ثم منها إلى بخارى وأقام بها مدة مديدة وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى حاجي طرخان وتزوج ابنة الملا فتح الله بن أوراز محمد وصار إمامًا بمحلة مولتان سراي بها بدعوة أغنيائها وبنى بها مدارس واجتمع لديه خلق كثير من الطلبة وانتفعوا به ثم استرخى خلوص أهل المحلة به وفق القاعدة المشهورة إخلاص العوام كذكر الحمار ولا سيما طائفة نوغاي أهل حاجي طرخان ولعله بسبب ضرطة واحدة فعزل عن منصبه بسبب تقديمهم العرائض إلى محكمة الولاية ثم أعيد إلى منصبه ثانيًا بعد سنتين ولكنه تحول من تلك المحلة إلى محلة أخرى واشتغل هناك أيضًا بالتدريس والإفادة إلى أن توفي في أوائل ذي الحجة من عام ١٢٦٩ عن ٦٣ سنة وذكره باق بين أهالي حاجي طرخان الآن رحمه الله تعالى.

[عباس بن عبد الرشيد الياوشي]

الملا عباس بن عبد الرشيد الياوشي الكوشري أخذ عن الملا عبد الرحمٰن القارغالي والملا جعفر بن عابد الإرسلاني وكان إمامًا ومدرسًا بقرية كوشر التابعة لولاية قزان ينقل عنه نوادر كثيرة منها إنه لم يعبر من الجسور فوق العربة خوفًا من انكسارها ومنها أنه كان يسكن بيتًا على حدة لا يسكن فيه غيره وكان يقتني فيه الحمامات ولا يترك هرة تدخله ومنها أنه كان لا يلبس على رأسه قلنسوة خوفًا من ضغطها إياه ومنها أنه كان ينام أيام الصيف فوق حشيش مجزو ومنها أنه كان يأكل لحم الدجاج ويشرب الشاهي الأخضر دائمًا ولا يترك أحدًا يجيء بالماء الذي يفور للشاهي بل كان يجيء به بنفسه ومتى بنى الأغنياء جدرانًا حول داره كان يهدمه من طرف آخر ويوقده في النار وإذا قال له أحد لم تضيع هذه الأخشاب يا أفندي كان يقول له إنها لم تجيء من مكة ولا من المدينة ولما قال له المفتي عبد السلام إن الناس يشكون من ولدك ينبغي لك أن تمنعه عما يرتكبه قال له إذا صدقنا كلام الناس فإن لهم أيضًا قيلاً وقالاً في حق ولد اپسلم يعني المفتي عبد السلام نفسه وهذا المفتي لما كان من تلامذته كان لا يلتفت إليه أصلاً ورؤي يومًا شديد الريح في صميم الشتاء بحيث لا يمكن فيه فتح العين قاعدًا عند باب داره في الزقاق فقيل له لم تقعد في مثل هذا اليوم الشديد الريح في الزقاق فقال إن الريح التي في داخل البيت أشد من الريح هنا يعني بها تخاصم زوجتيه وتشاتمهما يقال إن ولده الملا عبد الباري إذا كتب له بطلب المصاريف حين إقامته ببخارى كان يكتب له بالإكثار من قراءة سورة الواقعة وبالجملة إنه كان من نوادر الزمان توفي في صفر عام ١٢٧٠ عن ٩٠ سنة وولده الملا عبد الباري المذكور كان إمامًا ومدرسًا وآخونا ببلدة قزليار ومن مشاهير علماء تلك الديار وقد توفي بها رحمهما الله تعالى وقام مقامه في وظائفه المذكورة ولده الملا عبد الوهاب آخون سلمه الله تعالى.

[محمد كريم بن إسحٰق المچتوي]

الملا محمد كريم بن إسحٰق المچتوي أصله من قرية تاشلي التابعة لقضاء بلباي أخذ عن الشيخ عبد اللطيف القورچي واختم[1] بن أحمر الصارلي وعبد الحليم بن زين العابدين المورطشي وشاه أحمد بن رفيق السماكي ثم صار إمامًا ومدرسًا بقرية الوغ ايمان ثم بقرية مچتي التابعتين لقضاء منزلة واجتمع لديه عالم كثير فيهما وقد صرف جميع أوقاته في التدريس والإفادة بحيث كان يبتدأ بالدرس وقت السحر وبعد

(١) أختم: كذا بالأصل، ولعله «أحمد».

أن أدى صلاة الفجر في المسجد إمامًا بالجماعة كان يدرس في مكانه من المسجد من عين العلم ومشكاة المصابيح وبعد الإشراق كان يرجع إلى بيته ويأكل ويشرب وينام قليلاً ثم يذهب إلى المدرسة ويدرس فيها إلى الظهر وكان يدرس بين العصر والمغرب من تفسير الجلالين وكان يدرس بعد العشاء من العلوم العربية والكلام وسائر العلوم الآلية الرسمية وهكذا كان دأبه دائمًا وكان يراعي السنن الزوائد على حد كان لا يتركها في السفر أيضًا فضلاً عن الرواتب توفي في عام ١٢٧٠ رحمه الله تعالى.

[محمد طيب بن زائد الأورالي]

الملا محمد طيب بن زائد الأورالي مولدًا المدني توطنًا ومدفنًا أصله من قبيلة طابون من طائفة باشقرد التابعين لقضاء ويرخنوي أورال أخذ عن الملا أبي النصر عبد النصير القورصاوي ثم سافر بنية الحج في سنة ١٢٣٥ مع خليل أفندي التونتاري وتزوج في إستانبول ابنة الحاج محمد يار بن عبد الله الأخوندي وصحب بمكة المكرمة الشيخ محمد جان البايجوري المكي وصار مأذونًا منه في الطريقة ثم اختار الإقامة بالمدينة المنورة وصحب هناك مولانا الشيخ أبي سعيد المجددي الدهلوي حين قدومه إلى الحرمين المحترمين للحج والزيارة ولما توفيت زوجته المذكورة تزوج إحدى معتقة السلطان محمود العدلي اللاتي يقال لهن الخوانم السرايلية وكان له مباحثات مع الملا منهاج الدين أفندي الآتي ذكره في بعض المسائل توفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٧٠ رحمه الله تعالى وأما رفيقه خليل أفندي المار ذكره فإنه أقام بالمدرسة المحمودية في المدينة المنورة ولا أستحضر الآن سنة وفاته إلا أنه بقي عن صاحب الترجمة حيًا سنين عديدة وشهرته بالتصوف لا بالعلم وكانوا يذكرونه كثيرًا حين أوائل قدومي إلى المدينة المنورة رحمه الله تعالى.

وكان معه في المدرسة المحمودية في العصر المذكور الملا محيي الدين أفندي القزاني وقد أدركت كثيرًا ممن رأوهما من طلبة المدرسة المحمودية وكانوا يمدحون الملا محيي الدين أفندي ويصفونه بكثر العلم والاطلاع والتحقيق ويقولون إنه كان يناظر الشيخ يوسف أفندي الخرپوتي مدرس المحمودية والظاهر أن وفاتهما كان في وقت واحد رحمه الله تعالى.

[عبد الستار بن عبد الله الطيمازي]

الشيخ عبد الستار بن عبد الله الطيمازي أصله من طائفة باشقرد المقيمين بشواطىء نهر أي أخذ عن الشيخ نعمة الله بن بيكتيمر الاسترلي باشي وصحب أيضًا

شيخه الشيخ نيازقلي التركماني ببخارى وصار مأذونًا منه في الطريقة وصار إمامًا ومدرسًا بقرية طيمازي التابعة لقضاء بلباي كان ملازمًا للطهارة والمسجد زاهدًا عفيفًا قنوعًا بقدر الكفاية وكان لا يقبل الصدقات الواجبة غير متكلف في معيشته وكان درسه من الفقه والحديث والأخلاق والتفسير والعربية توفي في سنة ١٢٧١ رحمه الله تعالى.

[سعيد بن حميد القزاني]

الملا سعيد بن حميد القزاني أصله من قرية برسكه التابعة لقزان أخذ عن الملا عبد الرحيم البرسكوي والملا فتح الله آخوند الأوروي وغيرهما ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وتزوج فيها وولد له فيها ولد يسمى محيي الدين ثم عاد إلى وطنه وأقام مدة بمدرسة تونتار ثم استوطن ببلدة قزليار ثم صار إمامًا في المسجد الأول بقزان سنة ١٢٥٢ وبعد ١٣ سنة استعفى عن منصبه وسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج وبعد أن عاد من سفره المذكور مات فجأة وكان ذلك في أوائل رجب عام ١٢٧٢ رحمه الله تعالى.

[عبد الغفور بن سيف الله الطوي كلدي]

الملا عبد الغفور بن سيف الله الطوي كلدي أصله من قرية ماقتامه باشي التابعة لقضاء بوكلمة أتاها بعض أجداده من ولاية سمبر وأبوه سيف الله بن عادلشاه كان إمامًا بقرية بالتاج التابعة لقضاء المذكور وولد صاحب الترجمة هناك أخذ عن الملا عبد الرحمٰن القارغالي والملا حسام الدين بن عبد المؤمن الألكابي ثم صار إمامًا ومدرسًا بقرية طوي كلدي التابعة لقضاء منزلة واشتغل هناك بالتعليم والتدريس واجتمع لديه كثير من الطلبة وقد قرأ منه جدي لأمي الملا زين الدين الألمتي وكذلك أولاده أخوالي الآتي ذكرهم في بداية أحوالهم إلا أنه لم يخرج منه عالم كبير شهير توفي في جمادى الآخرة عام ١٢٧٣ رحمه الله تعالى.

[الملا نظام الدين بن سراج الدين القورچي]

الملا نظام الدين بن سراج الدين القورچي ولد في قرية قورچ التابعة لقضاء بلباي سنة ١٢٣٩ أو التي بعدها وقرأ القرآن وعمره أربع سنين وبدأ بقراءة الصرف مع أخيه الأكبر منه برهان الدين لدى خاله عين الكمال بن عبد الواحد في مدرسة الملا شاه أحمد بن رفيق بقرية سيماك وعمره إذ ذاك تسع سنين ولكنه سبق أخاه المذكور في مدة يسيرة وبلغ إلى مرتبة قراءة الكافية في النحو في الشتاء الذي بدأ فيه بالصرف

وفي الشتاء الثاني جلس في حلقة درس الملا شاه أحمد المذكور لسماع شرح الكافية الملا جامي وكان الملا المشار إليه لا يلتفت إليه في بداية أمره لكونه صبيًا صغيرًا وكان يظن أن جلوسه لدرس شرح الجامي في الوقت المذكور قبل أوانه ولكن لما تحقق لديه استعداده وحقيقة حاله وفرط ذكائه حين امتحانه إياه بسؤال بعض المسائل المشكلة وسماعه منه الجواب الشافي صار يوجه إليه عناية وقال لخاله المار ذكره ينبغي أن يحفظه من إصابة العين مهما أمكن ولازم خاله المذكور إلى أن صار إمامًا ومدرسًا بقرية قاران فلما عاد هناك تحول معه هناك وبدأ بقراءة درس التوضيح منه إلا أنه لما لم يقنعه توقف الدرس بالضرورة وكان يحفظ الكتب التي يقرأها بكمال الفهم والاتقان ولا سيما التنقيح من أصول الفقه والتلخيص في البلاغة ولذلك استغنى عن الأستاذ ولما بلغ عمره ١٩ سنة خرج من قريته بنية السفر إلى بخارى وأقام بمدرسة الآخوند حسن الدين بن شمس الدين بقرية بالقلي كول قريبًا من سنة ١ ثم أنشأ منها سفر بخارى ورافقه في السفر المذكور واحد من طلبة قصبة استرلي طمق يسمى عارف بن سلامقلي السيراني وكان يماثله في الذكاء والاستعداد ويقاربه وبلغا بخارى وأقاما هناك مدة إلا أنهما لما كانا عاليي الاستعداد وصاحبي إدراك تام وصاحبي ذوق سليم أدركوا أن بخارى ليست معدن العلم الآن كما اشتهرت به وأن العلوم الدينية والمعارف اليقينية قد توجهت نحو الأفول مذ مدة مديدة وأن الذي يزعم تحصيل الحقائق فيها ليس إلا كالظمآن المغترب لامع السراب وأن تضييع الوقت العزيز فيها بزعم تحصيل الكمالات ليس من مقتضى عقل لذوي الألباب كما صرحوا بذلك في مكاتيبهم التي أرسلوها إلى آبائهم وأساتذتهم فهاك تعريب بعض ما كتبه صاحب الترجمة إلى أستاذه: لم نرزق إلى الآن غير نبذة من العلوم العقلية (صوابه وهمية) ومعلومكم أن العلم متشابه الأنحاء وطريق تحصيله مغبر الأرجاء وإن كان وقتنا ماضيًا في نظر تلك الديار إلا أن الحاصل ناقص هنا يتلف شطر العمر في تحصيل المال (يعني المصارف) فإنه لا مربي هنا ولا معين والغلاء سائد وقد طرأ القصور المعلم وإن قرأت ديباجة كل كتاب ولكنه لا حاصل فيها مع أنها ليست مما يتعلق بها التفنن فإن رجع أكثر طلاب بلغار إلى تلك الديار بعد اشتغالهم بالتحصيل بهذه الروية بالجد والجهد فكأنهم لم يحصلوا شيئًا فأما الذي دققه من ديباجة الرسائل وأبحاث الحمدلة والتصلية فلا يحتاج إليها في بلادنا (ولا في غيرها) وهو لم يحصل نفس المقصود فيرجع كأنه خائب من العلم وهذا حق لا ينبغي أن يرتاب فيه المحق وأما ما يتفوه به بعض أماثيل الزمان فهو عرضة لمثل (من لم يذق لم يدر) فقوة كل طائر على قدر

حوصلته اهـ ما يتعلق به الغرض ومن قوله فكأنهم لم يحصلوا الخ عبارته هو ومكتوبه إلى آخره على هذا المضمون.

وأما مكتوب رفيقه عارف بن سلامقلي فهي هذه أثبته بعبارته قال بعد الديباجة: وبعد أنا مشوش الحال لم نحصل بعد إلا شيئًا قليل من القيل والقال وفات أكثر عمرنا في التشويش والاضطراب...[1] ولم نستفد ممن هو منصوب للإفادة إلا أقل قليل وأكثر استفادتنا بسعينا ولم يبق في هذه البلدة من العلوم العقلية إلا اسمه فيغترون بها هو لامع السراب وليس لهم مقدمة واصلة إلى حد الجزم واليقين بل يبقون في كل مرتبة حائرة من غير ترجيح أحد الجانبين ولا يعلمون من الفقه إلا ما يتعلق بالدعوى من غير فرق بين صحيح وسقيم وأما العلوم الشرعية فلا اسم (لها) ولا رسم ولا طلل وما أنا إلا لذلك قد كنت قاصدًا وعازمًا في جميع حالاتي سفرًا وتغربًا من بلد إلى بلد في طلب الرجال والركبان (كذا) قلما يخلو عنهم الأقطار اهـ بعبارته ما يتعلق به الغرض هذا هو حال بخارى قبل أيامنا هذه ٦٥ عامًا فقس عليه أحوالها الحاضرة وإياك أن تسيء الظن بهما فإنهما ليسا بأهلين لسوء الظن، شعر:

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

والحاصل أنهما خرجا من بخارى في حدود سنة ١٢٦٤ قاصدين الحرمين الشريفين وبلاد الهند وقد أرسل صاحب الترجمة مكتوبًا إلى بعض أصدقائه ببخارى معلمًا إياهم بوصوله إلى بلدة هراة (انظر إلى القسم الثاني من مستفاد الأخبار ص وما بعده) ولا علم لأحد بأحوالهما بعد ذلك قال الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي سلمه الله بعد بيان أحوالهما نقلاً عن خال صاحب الترجمة عين الكمال المار ذكره أن وفاتهما كان ببغداد في حدود سنة ١٢٧٣ بناء على أخبار بعض السواح بذلك قال الفاضل المشار إليه رأيت له رسالة حسنة سماها القسطاس الأعدل يشبه أسلوب عبارتها أسلوب تصانيف الغزالي والقورصاوي ونقل عن الفاضل المرجاني أنه قال لو لم أصحب نظام الدين لكان سفري إلى بخارى عبثًا وقد مدحه الفاضل المرجاني في مستفاده بما هو أهل له من مثله رحمهم الله سبحانه وتعالى.

---

(١) بياض في الأصل.

[مقصود بن قربانعلي الكولباشي]

الملا مقصود بن قربانعلي الكولباشي أصله من قرية خيربي بقرب قزان وبعد أن دام في التحصيل إلى أن بلغ عمره أربعين سنة اشتغل بالتعليم في قرى كثيرة ثم استقر بقرية كولباش بقرب قزان وبها ارتحل من الدنيا في صفر عام ١٢٧٣ رحمه الله تعالى وحيث كان له أربع نسوة في وقت واحد كثر أولاده وانتشر أنسابه وإليه تنسب العائلة المقصودية الشهيرة في أطراف قزان وإليها ينسب الفاضل أحمد الهادي أفندي مؤسس جريدة يولدز الغراء بقزان وصاحب الرسائل الكثيرة بالتركية والعربية سلمه الله تعالى.

[عبد الله بن يحيىٰ بن محمود الجرتوشي]

الملا عبد الله بن يحيىٰ بن محمود الجرتوشي تولدًا المچكروي توطنًا أصله من قرية جرتوش من أعمال قضاء چيسطاي أخذ عن الملا محمد رحيم المچكروي والملا صالح بن سعيد الكيلي والملا سيف الدين السردوي ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وعاد إلى وطنه سنة ١٢٢٧ وصار شريكًا لأستاذه المذكور الملا محمد رحيم في الإمامة والخطابة والتدريس في حياته وتزوج ابنته وتفرد بالوظائف المذكورة بعد مماته وانتشر صيته في الآفاق واجتمع لديه كثير من الطلبة أرباب الاستعداد وانتفعوا به وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار في تلك الديار حتى اشتهر بين الناس أن خرج من مدرسته ألف نفر من العلماء الكبار ولا يستبعد وكان لا يداري الأغنياء استغفر الله بل لا يداهنهم ولذلك ابتلي بأذيتهم وجفائهم توفي في شعبان عام ١٢٧٥ وخلفه في وظائفه تلميذه وختنه الملا مخلص بن مقصود القارغالي وتوفي في سنة ١٣٠٦ رحمهما الله تعالى فخلفه فيها تلميذه الملا أحمد شريف ابن الملا القارغالي وهو بها الآن سلمه الله تعالى.

[حبيب الله بن رفيق النادري]

الملا حبيب الله بن رفيق النادري أخذ عن كثير من العلماء إلا أنه اختص بالملا أبي النصر عبد النصير القورصاوي ثم صار إمامًا ومدرسًا بقرية نادر التابعة لقضاء بوكلمة كان دينًا تقيًا عارفًا بآداب الصحبة متخلقًا بالأخلاق الحسنة جيد الإفادة ومجتهدًا في باب التعليم مجتنبًا عما أحدثوه من سفاسف الفلاسفة والمتكلمين وعاملاً بالكتاب والسنة توفي في ربيع الأول سنة ١٢٧٦ وخلف أولادًا كثيرة من الذكور والإناث منهم الملا حسن والملا محمد خلفاه في وظائفه ولكنهما لم يكونا مثله في العلم ومنهم الملا منكلي باي وأحمد وأبو الفتح وحسين وبناته خديجة كانت تحت

نكاح واحد من أهل قرة نادر ومنكلي صلو كانت تحت نكاح خالي الملا حسن الدين ابن الملا زين الدين الألمتي وله منها أولاد كثيرة وحفصة كانت تحت نكاح واحد من تجار قرية ماچي قرأ التابعة لقضاء بوكلمه ولها أيضًا أولاد كثيرة والحاصل لصاحب الترجمة أعقاب كثيرة من أولاده الذكور والإناث.

[عبد الجميل بن أوته قل الأوتاكي]

الملا عبد الجميل بن أوته قل الأوتاكي أخذ عن الشيخ محمد شريف بن إبراهيم البيركوي ثم الأوركانجي وكما أنه أخذ عنه حين تدريسه في بيركه كذلك رحل إليه بعد هجرته إلى أوركانج وأقام عنده أربع سنين وعاد إلى وطنه مجازًا في الطريقة واشتغل في قرية أوتاك بالإمامة والتدريس والإرشاد إلى أن توفي بها في شوال سنة ١٢٧٦ رحمه الله تعالى.

[نور محمد ابن الملا إبراهيم بن خوجاش القزاني]

الملا نور محمد ابن الملا إبراهيم بن خوجاش القزاني قد تقدم ترجمة والده الملا إبراهيم وهذا أعني صاحب الترجمة وإن كان قليل العلم إلا أنه لما كان والده المذكور أكبر علماء زمانه نال هو أيضًا رتبة الاحتساب في قزان بناء على قاعدة زيد أبوه عالم وصار معتبرًا بين الأكابر ولم يشتغل بالتدريس والإفادة بل كان جل اشتغاله بالتجارة توفي في ذي القعدة سنة ١٢٧٦ رحمه الله تعالى.

[محمد ظريف بن عبد الجميل الطرويسكي]

الملا محمد ظريف بن عبد الجميل الطرويسكي أصله من قرية آط يتار التابعة لقضاء چيلابي أخذ عن الملا عبد الناصر الالمتي ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وبعد أن عاد إلى وطنه صار إمامًا ومدرسًا بمسجد المحلة الوسطى من قصبة طرويسكي الذي بناه عبد الوهاب باي وقد تخرج عليه جماعة من أهل العلم توفي في رجب سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى وخلف أولادًا نجباء منهم الملا محمد أفندي الطرويسكي وهو الآن إمام ومدرس في المحلة الأولى من القصبة المذكورة وقد تخرج عليه أيضًا جماعة من أهل العلم وله ثروة كثيرة ومعيشة طيبة سلمه الله تعالى.

[سيف الدين بن سبحانقلي الكيچوچاتي]

الملا سيف الدين بن سبحانقلي الكيچوچاتي أخذ عن عدة من علماء تلك الديار في عصره وتخرج عليهم ثم صار إمامًا بقرية كيچوچاتي وهو وإن لم يشتغل بالتدريس

إلا أنه كان من العلماء الحقيقيين الساعين في تحصيل الكمالات والفضائل دائمًا توفي في رجب سنة ١٢٧٧ رحمه الله تعالى.

[فخر الدين بن مصطفى الأگرجي]

الملا فخر الدين بن مصطفى الأگرجي أصله من قرية اشناك التابعة لقضاء لايش أخذ عن الملا عبد الله بن يحيىٰ المچكروي ثم صار إمامًا ومدرسًا بقرية أگرجي التابعة لقضاء سراپول من ولاية واتكا واشتغل هناك بالتدريس والإفادة يذكر بالفضل والديانة والصلاح توفي في المدينة المنورة سنة ١٢٧٨ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى وخلف أولادًا منهم في وظائفه ولداه الملا أحمد والملا محمد وقد حصلا العلم ببخارى يقال إن عمرهما مضى بالشقاق والجدال بينهما حتى أنهما إذا اجتمعا في مجلس كان كل منهما يحول ظهره إلى صاحبه إلا إذا ذكر المشايخ بالسوء وشرع في غيبتهم فكانا يتفقان حالاً ويأكلان لحومهم بكمال التلذذ بحيث لا يكون لهم خبر عن مضي الوقت ولما توفي الملا محمد ابن الملا فخر الدين في سنة ١٣٢٢ طلب رئيس المحلة المذكورة للتدريس مدرسًا خصمًا ألد لأرباب الأصول الجديدة بحيث لا يتركهم يفتحون أفواههم لديه وبعد اللتيا خرج قرعة الانتخاب لصديقنا المحترم الملا عبد الرحيم أفندي ابن الخليفة محمد الاسترلي باشي بدلالة بعض المشايخ الساعين المشمرين عن ساق الجد في حفظ بيضة الأصول القديمة أعانهم الله.

[جعفر بن صالح القولاتقي]

الشيخ جعفر بن صالح القولاتقي أصله من قرية قولاتقا التابعة لولاية سراطاو (صره طاغ) أخذ عن بعض علماء تلك الديار ثم رحل إلى قزان وأخذ عن الملا محمد كريم ثم رحل إلى بخارى ودخل تاشكند وسمرقند وأخذ الطريقة ببخارى عن الشيخ عبد الخالق[1] الباللي كولي القزاني ثم البخاري وصار مجازًا منها فيها ثم سافر نحو الديار الحجازية ودخل الشام وبغداد ومصر ويقال إنه جاور في سفره هذا في المدينة المنورة ١٢ سنة والحاصل أنه بقي في سياحته هذه ١٨ سنة ثم رجع إلى وطنه ومسقط رأسه قرية قولاتقا في ١٢٥٠ وبعد اللتيا والتي بنى له خرمشاه باي الآقچوري مسجدًا مخصوصًا به وتزوج ابنة بعض الأغنياء فتخلص بذلك من بعض أحمال

(١) وهو خليفة الشيخ وليد بن محمد الأمين القارغالي وقد صحب شيخه الشيخ فيض خان الكابلي. منه عفي عنه.

المعيشة إلا أن علماء تلك الناحية كانوا له أعداء بالاتفاق وكانوا يرمونه بأنواع البهتان والافتراء ويؤذونه بما يستطيعونه من الأذية والجفاء والحاصل كما أنه أعرض عن الدنيا وعاداها كذلك الدنيا أعرضت عنه وعادته وعاش في الكد والمصائب وكان أكثر مريديه من طائفة باشقرد وقزاق وأهالي ولايتي نيژني وسمبر توفي في رجب سنة ١٢٧٩ رحمه الله تعالى ومن خلفائه فتح الله بن وليد الزادوري[1] ونجم الدين بن أحمد الحاجطرخاني وحسن الدين بن عمر الصوقصوي القزاني وعبد اللطيف بن يهودا وأخذ عن الشيخ فتح الله المذكور الشيخ جمال الدين الباغشي وعن الشيخ نجم الدين الشيخ عبد العليم الحاجطرخاني.

ومن جملة من صحب صاحب الترجمة بهاء الدين القزاني الشهير ببغوي ايشان الضال المضل وهو وإن صحب صاحب الترجمة إلا أنه لم يصر مجازًا منه فادعى الخلافة بعد وفاته وابتدع أشياء مخالفًا للشريعة والطريقة وبموجب قول القائل، شعر:

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل كاسدة يومًا لها سوق

تبعه بعض الناس وقبلوا مذهبه الباطل منهم مريد صاحب الترجمة الملا عبد اللطيف البدانكي وقد كان صاحب علم جيد والحاصل إن البهائي المذكور ابتدع مذهبًا جديدًا كالبابيين وقد كان له مجريات في حياته حتى أسكنوه في مكان المجانين وهلك هناك وقد بدأ الآن ولده في إحياء مذهبه الباطل ونسمع أن أصحابه يزيد يومًا فيومًا خذلهم الله وأهلكهم آمين.

[منهاج الدين القزاني المدني]

الشيخ منهاج الدين القزاني المدني لم يدر إلى الآن مولده ومنشأه وقومه وقبيلته من هذه الديار ومبلغ علمنا به أنه لما أخذ مبادىء العلوم في صباه عن علماء هذه الديار رحل إلى بخارى وأقام بها مدة وأخذ عن علمائها ثم سافر منها إلى بلاد الهند وأقام بها مدة وصحب علماءها وأخذ عنهم ثم سافر منها إلى الأقطار الحجازية واستوطن بالمدينة المنورة وحيث كان الناس إذ ذاك الوقت ناسًا والزمان زمانًا وأهل الفضل لهم سوق حامية عين من طرف الحكومة مدرسًا بمدرسة كيله ناظري فيها فدرس وأفاد والف وأجاد وكان له ذكر جار حين قدمت المدينة المنورة وكانوا

(١) توفي بين جدة وسويس حين عودته من الحج سنة ١٢٩٧ رحمه الله تعالى. منه عفي عنه.

يمدحونه بالفضل والعلم والذكاء وعلو الاستعداد ويقولون إنه كان ينوب للشيخ الغزي في الإفتاء[1] وقد أخبرني الشيخ شرف الدين أفندي القزاني المكي أن له مختصر الجامع الصغير للسيوطي وأن نسخة منه موجودة في خزانة الكتب الخديوية بالقاهرة المعزية وأظن أنها نسخته الأصلية وأظن أن معيشتها كانت طيبة أخبرني الشيخ نجم الدين أفندي أنه كان يتخذ اثنتين وثلاثًا من الجواري ولم يتزوج قط وقد أثبت الفاضل المحترم رضاء الدين أفندي سلمه الله بعض تحريراته في الجزء ١٣ من آثاره يعلم مشربه ومقداره في العلم بمراجعته، شعر:

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

توفي عام ١٢٧٩ أعني قبل قدومنا المدينة المنورة ١٦ عام رحمه الله تعالى وبعد وفاته نصب مكانه مدرسًا الشيخ فخر الدين أفندي القزاني كان أصله من طائفة ميشار إما من سراطا وأوپنزا أو طنبو كان سكن ببخارى بعد أخذه عن علماء بلاده ثم سافر منها إلى الحرمين واستوطن بالمدينة المنورة وبعد وفاة الشيخ منهاج الدين أفندي عين مدرسًا بمدرسة كيله ناظري مكانه فحسده بعض العويلم من الأكراد فسعى في عزله فنجح في مشروعه الممدوح فاختار صاحب الترجمة بعد ذلك البزازية وكان ناظر التكية مناف باي القزاني وهذا الفقير لما قدمت المدينة أول مرة نزلت عنده في التكية المذكورة وكنت في صحبته فوجدته صاحب فضل وعلم ووقار وصبر وديانة وتقى وبعد أن أقمت بالمدينة المنورة شهورًا توفي إلى رحمة الله تعالى وكان ذلك في سنة ١٢٩٦ وكانت زوجته چركاسية معتقة فتزوجها بعد ذلك أوزون محمد أفندي القزاني ولم تلد لواحد منهما رحمهم الله تعالى.

[تاج الدين أفندي القزاني]

ومن المجاورين بالمدينة المنورة الذين أدركتهم الشيخ تاج الدين أفندي القزاني وظني أن أصله كان من ما وراء قزان كان ذا فضل وعلم لا بأس به وكان تزوج امرأة من الأتراك وولد له منها ولدان أحدهما محمد والآخر أحمد وكان ولده محمد حافظًا للقرآن جيد القراءة حسن الصوت وكان يتعاطى التجارة فلما قعدت به سفينته ذهب إلى إستانبول وصار إمامًا بجامع أرطغرل بواسطة الشيخ ظافر وبلغني أنه عزل

(١) ولعله كان يكتب لأجله الأجوبة كما كان هذا الفقير يفعله لأجل شيخه الشيخ عبد الرحمٰن سراج أحيانًا ويقال لهذه الوظيفة تسويد الفتوى. منه عفي عنه.

عن الإمامة وأما ولده أحمد فهو مشغول بكتابة العرائض بالمدينة المنورة وقد تسلط على تكية قربانعلي باي القزاني البورنايي التي كان صاحب الترجمة يسكنها واستملكها حيث كان شراؤها على وجه الفراغ لكونها وقفًا في السابق وكان صاحب الترجمة إذا جاء حجرتنا وصادف طبخ الشوربا لا يشبع منها ثم كان يقول يا أفندي لعلك تتعجب وتقول إنه جائع ولست بجائع ولكني مشتاق إلى الشوربا وأهل بيتنا لا يطبخونها إذا قدر لك التزوج فإياك أن تتزوج من غير جنسك ولو كان حوريًا وربما كان يبكي حين يقول ذلك توفي قبل الثلاثمائة والألف أو بعدها خرج من بالي رحمه الله تعالى.

[موسى أفندي المدني]

ومنهم الشيخ موسى أفندي المدني أصله في قرية أبي التابعة لقضاء بوكلمه كان أخوه يعقوب بن عبيد الله مقيمًا بقصبة ايلاك فدعاه في صغره لديه ثم أرسله إلى بخارى فبعد أن أقام بها مدة توجه نحو الحجاز وبعد أداء الحج سكن في المدينة المنورة وصار ناظرًا بمدرسة كيله ناظري ودام في وظيفته المذكورة إلى أن توفي في حدود الثلاثمائة بعد الألف ولم يتزوج وكان يقتني الجوار ولم يكن علمه قويًا رحمه الله تعالى.

[أحمد ضياء الدين الطرخاني]

ومن أفاضل مجاوري أهل قزان بالمدينة المنورة صديقنا وحميمنا الشيخ أحمد ضياء الدين الطرخاني المدني ولد في قرية كچك طرخان التابعة لولاية سمبر في حدود سنة ١٢٦٨ وأقام بمدرسة الملا عبد الناصر بقصبة بوا ثم سافر منها إلى إستانبول وأقام بها مدة وأخذ عن علمائها ثم سافر منها إلى الأقطار الحجازية وبعد أداء الحج اختار المدينة المنورة وسكن المدرسة المحمودية وأخذ عن علماء تلك البلدة المباركة وصحب فضلائها وتنسم من نسيمها الطيبة وانكب على المطالعة خصوصًا العربية والأدبية والعلوم الدينية وكان له استعداد جيد وذكاء وفطنة وقد تقدمني إلى المجاورة بها بأربع سنين فلما قدمتها اختصت به اختصاصًا تامًا وداوم كذلك إلى أن توفي إلى رحمة الله وكان مائلاً إلى نظم الشعر بالطبع وقد أنشأ عدة من القصائد العربية والتركية وكانت أشعاره سليسة جيدة لا بأس بها إلا أنه كان لا يراعي القواعد العروضية في بعض الأحيان ولذا وقع في كثير من أشعاره كسور في الوزن وزحافات غير مقبولة بل غير جائزة ولا سيما المطبوعة منها فإن الخطايا الواقعة وقت الطبع زاد بلة في الطين

شاورته عام قدمت المدينة في اختيار من أتعلم منه العروض فأعطاني مختصر الأندلسي المكتوب بقلمه وفي هوامشه تعليقات ملتقطة من شروحه وقال طالع هذا تستغن عن زيد وبكر فطالعته أيامًا واستغنيت به عمن سواي وكانت مكاتيبنا لا تنقطع قط بعد الافتراق وإقامتي بمكة المكرمة ولم يكن تعيب ومؤاخذة قط فتلك المكاتبة هي التي صارت سببًا لمعرفة قليل عن فن الإنشاء والتحرير ومكاتيبه عندي كثيرة وكلها موجودة لم يضع منها ورقة فلولا الخروج عن الموضوع وارتكاب خلاف عادتي في تحرير هذا الأثر لأثبت هنا عدة منها ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

وكان أولاً منكرًا للطريق والمشايخ ولما خرجت من المدينة المنورة تبدلت أحواله وانقلب رأيه فأناب على يد شيخنا الشيخ محمد مظهر المجددي الدهلوي المدني قدس سره ودخل الطريقة إلا أنه توفي إلى رحمة الله بعيد ذلك وقد حصل له الجذب القوي فصحب خليفته سيدنا ومولانا السيد محمد صالح الزواوي المكي قدس سره فصرف لأجله غاية عنايته حتى بلغ إلى مرتبة الكمال والتكميل فيها واجتمع لديه كثير من طلبة هذه الديار المستعدين وطار صيته في الآفاق ولما كان عام ١٣٠٧ استخار سيدنا السيد المشار إليه قدس سره في تعيين من ينوب عنه في المدينة المنورة ويجلس مكان مشايخنا هناك وقت عودة إلى مكة المكرمة هل يجلس الشيخ إبراهيم الغزنوي الذي هو من قدماء ندماء شيخنا الشيخ محمد مظهر وأقدم وأفضل أصحابه أو يجلس صاحب الترجمة ودامت استخارته إلى شهر وهكذا كان عادته قدس سره في جميع الأمور فلما استخار لصاحب الترجمة استخارته الأخيرة رأى في المنام قبورًا فاستدل بها على قصر عمره فأناب الشيخ إبراهيم رحمه الله وعاد إلى مكة المكرمة في شعبان من العام المذكور وجاء صاحب الترجمة في العام المذكور أيضًا مع القافلة فدعاني سيدنا السيد المشار إليه وإياه ذات يوم إلى بيته وأضافنا ولا أحد غيرنا سوى ولد سيدنا السيد المشار إليه مولانا السيد عبد الله الزواوي أدام الله مجده وسرني بلقياه ولسيدنا المشار إليه في ذلك الوقت انبساط تام فقال لصاحب الترجمة أنت يا أحمد أفندي أقم هنا بمكة المكرمة عندنا نعطك محلاً جيدًا واسعًا وأما الفلان (يعني الفقير) فقد يريد أن يذهب إلى المدينة المنورة فليذهب هو هناك (فإن الفقير كنت أريد أن أقيم بالمدينة المنورة من مدة مديدة واستأذنه فيه).

فلما رجعنا من عرفات ووقع الوباء العام الشديد بين الناس أصيب صاحب الترجمة به وبعد أيام توفي به ودفن بالمعلى أمام قبة الشيخ إبراهيم الرشيدي، وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن عشر من ذي الحج في العام

المذكور[١] ولما أخبرت سيدنا السيد المشار إليه بموته وهو في الحرم الشريف قال نحن أيضًا من ورائه فأصيب يوم السبت قبل المغرب وتوفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة مع أذان الظهر ودفن في محل من المعلى يسمى بشعب النور رحمها الله تعالى وروح روحهما ونور ضريحهما، شعر:

بأركان هذا البيت إني لطائف وفي الكون أسرار وفيها لطائف
رعى الله أيامًا وناسًا عهدتهم جيادًا ولكن الدهور صيارف

فقد صدقت إشارة سيدنا السيد المشار إليه في حق صاحب الترجمة فأنا أنتظر صدق إشارته في حقي وموتي بالمدينة المنورة بحسن الخاتمة ودفني بالبقيع إن شاء الله تعالى.

[عماد الدين بن كمال الدين النوركائي]

ومن المجاورين بالمدينة المنورة الملا عماد الدين بن كمال الدين النوركائي المدني ولادته بقرية نوركاي أخذ عن علماء تلك الناحية ثم سافر إلى بخارى لسبب من الأسباب ثم سافر إلى الأقطار الحجازية ثم منها إلى إستانبول وبعد أن أقام بها سبع سنين جاء المدينة المنورة عام ١٢٩٥ الذي قدمت فيه مكة المكرمة أول مرة وسكن بالمدرسة المحمودية إلى أن توفي في شعبان من سنة ١٣٢٤ رحمه الله تعالى لم يتزوج قط وكان علمه لا بأس به إلا أن درايته ومعاملته بالناس لم تكن على نسبة علمه ولذا لم يوفق لجمع الطلبة والإفادة وكان يقرأ عند بعض البخاريين والداغستانيين وقليل من القزانيين والظن أنه توفي ما بين الستين والسبعين.

[محمد ذاكر أفندي ابن الملا نور محمد]

ومن المجاورين بمكة المكرمة الملا محمد ذاكر أفندي ابن الملا نور محمد التمتي المكي ولادته بقرية تمتي من ولاية قزان أخذ عن الملا إسماعيل القشقاري ثم سافر إلى مكة المكرمة وأقام بها عند عمه الشيخ بدر الدين أفندي إلى أن مات عمه المذكور ثم استقل بنظارة تكايا أهل قزان بمكة الكائنة تحت نظارة عمه المذكور وكان علمه لا بأس به وربما كان يقرأ عليه بعض المجاورين توفي في

(١) كان صاحب الترجمة تزوج ربيبة الشيخ أحمد أفندي اليوزغادي المدرس بمدرسة حسين آغا بالمدينة المنورة وقد ولد له منها أولاد إلا أنهم ماتوا فلم يبق له عقب وزوجته المذكورة الآن تحت نكاح عماد الدين أفندي المؤذن بمسجد قزان بالمدينة المنورة منه عفي عنه.

شهور سنة ١٢٩٥ في صفراء حين ذهابه إلى المدينة المنورة وأرسل شيخ الصفراء الشيخ محمد سعيد مخلفاته لديه إلى مكة المكرمة فسلمت إلى القاضي وأثبت موته لديه بشهادة هؤلاء الذين جاؤوا بمخلفاته وقد خلف بنتًا عمرها نحو ١٣ سنة فزوجوها من شرف الدين أفندي القزاني المكي وهي الآن تحت نكاحه وولد له منها أولاد كثيرة والباقي منهم الآن اثنان بنته أسماء وابنه علي وقد بلغا مذ مدة كان الله سبحانه لنا ولهم وحيث إن كتابنا هذا لا يساعد ذكر هؤلاء كلهم مرتبًا منتظمًا لضيق الوقت ذكرناهم هنا على سبيل الاستطراد فإن الشيء بالشيء يذكر وإلحاق النظير بالنظير مما لا يستنكر.

[عبد الجبار بن جعفر الپاراوي]

الشيخ عبد الجبار بن جعفر الپاراوي لم اطلع على تفاصيل أحواله إلا أنه أخذ الطريقة عن الشيخ نعمة الله بن عبيد الله الألمتي المار ذكره وصار مأذونًا منه فيها وأقام بقرية پاراو التابعة لقصبة اصپاس إمامًا ومرشدًا وعنه أخذ الطريقة الشيخ محمد بن بعيد الله الكزلوي توفي في ربيع الأول سنة ١٢٨١ رحمه الله تعالى.

[طاهر بن سبحانقلي المقرىء]

الملا طاهر بن سبحانقلي المقرىء الشهير الآدائي أصله من قرية پتراقص التابعة لقضاء قورمش من ولاية سمبر أخذ عن الملا محمد رحيم المچكروي وقرأ عليه القراءة بالتجويد ثم جودها لدى الملا ايشمحمد بن زاهد الكباكي المار ذكره ثم أكملها وأصلحها ثالثًا لدى المقرىء الشهير ولي الدين البغدادي المار ذكره وصار إمامًا بقرية آداي التابعة لقضاء مالمژ من ولاية واتكا واشتهر في عصره بتلك الناحية بجودة القراءة وحسن الألحان وكانت طلبة المدارس الكبار في تلك الأقطار يذهبون لديه لتجويد القراءة أوقات تعطيل الدروس أعني بها أيام الصيف ولذلك كثرت طلبته فيها منهم خالي وأستاذ الملا حسن الدين ابن الملا زين الدين الألمتي فإنه جود القراءة عنده تجويدًا جيدًا حين إقامته بمدرسة قشقار وصار مجازًا منه فيها وقد أخذت القراءة عنه بالتجويد في صباوتي فهو شيخي في القراءة بالواسطة ومدحه الفاضل المرجاني بما لا مزيد عليه في جودة القراءة وحسن الألحان والأداء توفي في رجب عام ١٢٨١ وقد بلغ من العمر التسعين وقيل جاوز المائة رحمه الله تعالى وخلفه في تعليم القراءة بتلك الناحية ختنه الملا عبد الحكيم المچكروي وختنه الثاني الملا حسن الدين الآدايي وقد رأيتهما في منزلهما في حدود سنة ١٢٨٨ ولم يعقب ولدًا ذكرًا بل كان جده الملا

حسن الدين يقيم في بيته وقد حكي له في ذلك الوقت نبذة مما قاضاه مع خالي المار ذكره آنفًا في مدرسة قشمار من الفقر والفاقة رحمهم الله تعالى.

[شمس الدين الصوفي ابن يار محمد الزكي]

القاري شمس الدين الصوفي ابن يار محمد الزكي ولد في قرية ايشمت (ايشمحمد) التابعة لولاية أورنبورغ واشتهر بالصوفي شمس الدين الزكي عرضه العمي في صغره أخذ عن بعض العلماء بتلك الناحية ثم رحل إلى قزان وأقام مدة بمدرسة الملا محمد كريم الآتي ذكره ثم عاد إلى قريته[1] وفتح بها مدرسة واجتمع لديه كثير من الطلبة ثم تحول إلى قرة استرلي باشي وأقام هناك ودرس بمدارسها الكبار بإذن من الشيخ محمد حارث ابن الشيخ نعمة الله وكان ذكيًا فطنًا ذكيًا تقيًا فصيحًا شاعرًا إلا أن أشعاره لم تجمع بل تلف أكثره وقد بقيت منه بقايا يتداوله الناس أكثرها تركية وربما توجد له مقطعات بالعربية وفي شعره جزالة وسلاسة ومن جملة أشعاره العربية هذين البيتين شعر:

خطابي لمن يصغي ولو كان غائبًا ... وليس لمن يأبى ولو كان حاضرا
انلزم نور الحق من هو كاره ... وما عندنا إصلاح من كان عاقرا

ومنها هذين البيتين أيضًا شعر:

أتفهم شيئًا ذكره استهجن الورى ... وإن كان ذات مستحسنًا وكمالا
وأمكن إمكان الوقوع حصوله ... ولكن رأينا علم ذاك محالا

قال الفاضل المحترم القاضي رضاء الدين أفندي سلمه الله أن له رسالة عربية عندي تسمى رسالة الفريضة جمع فيها فرائض الإسلام خرج حاجًا من وطنه في سنة ١٢٨٢ فلما بلغ طغانروغ (طايغان) توفي هناك في إحدى الجمادين من العالم المذكور عن ٤٠ سنة رحمه الله تعالى.

---

(١) سمعت من ثقة عن ثقة عن صاحب الترجمة أنه كان أولاً بليدًا لا يعرف درسه فخرج مع الطلبة في قزان إلى المنتزه فطرحوه في حفرة عميقة وذهبوا فبات هناك ليلة وفي اليوم الثاني استغاث بالخضر عليه السلام فجاءه شخص وقال مدّ يدك فمدهما فجره وأخرج فلما أحس أن يده ليس كيد سائر الناس تيقن أنه الخضر عليه السلام فطلب منه الدعاء بانفتاح إقفال قلبه حتى يفهم الدرس فقال له افتح فاك ففتح فتفل فيه فصار بعد ذلك لا يشكل عليه شيء اهـ ونحن لا نستبعد أمثال هذا فإنه كثيرة الذكر في الكتب. منه عفي عنه.

[عبد النصير بن عبد الرحيم الطاي صويغاني]

الملا عبد النصير بن عبد الرحيم الطاي صويغاني أصله من قرية باي أوغلانلر التابعة لولاية قزان أخذ عن الملا عبد الرحمٰن القارغالي والملا عابد بن عبد العزيز الكناري والملا فتح الله بن صفر على القزاقلري ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها ولما عاد إلى وطنه صار إمامًا ومدرسًا بقرية طاي صويغان واشتغل فيها بالتدريس والإفادة بكمال الجد والنشاط واجتمع لديه كثير من الطلبة وأخذوا عنه وانتفعوا به واشتهر في تلك الناحية اشتهارًا تامًا توفي في ١٢ صفر عام ١٢٨٢ رحمه الله تعالى وخلفه مكانه الملا أحمد زكي بن نعمان من تلامذة الملا صلاح الدين القزاني فدرس فيها وأفاد إلى أن توفي في عام وخلفه ولده فهو بها الآن.

[محمد كريم بن محمد رحيم بن عابد التكنشي]

الملا محمد كريم بن محمد رحيم بن عابد التكنشي ثم القزاني ثم القسطنطيني أخذ عن الملا عبد الله المچكروي المار ذكره ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى وطنه وصار إمامًا ومدرسًا في المسجد الثاني بقزان ودرس بكمال النشاط والذوق والشوق واجتمع لديه كثير من الطلبة وانتفع به خلق عظيم وكان من أكابر مشاهير علماء عصره في مصره والفاضل المرجاني وإن لم يسلم ما اشتهر بين الناس من فضله الباهر ولكن لا يقبل قول المعاصر في حق المعاصر حيث إن كثيرًا من علماء الوقت لم يعترف بفضل عبد الناصر وهذا الفقير لقيت كثيرًا من العلماء الكبار الذين تخرجوا عليه فإن لم يكن فضله مثل ما اشتهر بين الناس لما تخرج عليه هذا القدر من العلماء الكبار تشرف بالحج في سنة ١٢٦٩ ثم حج في سنة ١٢٧٧ مرة أخرى وبعد أن عاد إلى القسطنطينية غب أداء الحج تقيد في دفتر المهاجرين وبقي هناك ولم يرجع إلى وطنه وأقام مدة في بروسيا ثم في إستانبول وتوفي بها في ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢ وخلف هناك ثلاثة أولاد الميرزا صالح أفندي اشتغل بتجارة الفرو وصار كوركچي باشي حضرة شهرياري وتوفي في ١٢ شعبان سنة ١٣٢١ بإستانبول وناب منابه خلفه الصدق محمد علي أفندي سلمه الله والثاني من أولاد الملا محمد كريم أفندي عبد الرحمٰن باشا وهو الآن في إستانبول وولده الثالث عبد الله أفندي وهو يتعاطى التجارة في إستانبول عند خاله الحاج إسماعيل حقي أفندي القزاني الذي هو أحد من هاجروا مع الملا محمد كريم أفندي ومضوا في هجرتهم ولم يتزلزلوا سمعت كثيرًا من تلامذته أنه كان قائلاً بوجوب الهجرة وكان يحرض الناس

عليه رحمه الله تعالى ومن تلامذته الملا أحمد جان أفندي المچتوي وكان في وقته من أكابر مشاهير علماء عصره في تلك الناحية.

[صاحب الدين ابن الملا زين الدين النوركايي]

ومنهم خال هذا الفقير الآخون صاحب الدين ابن الملا زين الدين النوركايي أخذ أولاً عن سلف الملا محمد كريم أفندي الملا إسحٰق المار ذكره وبعد وفاته جاء قصبة چيسطاي وأقام بمدرسة الملا عبد الغفور أفندي ١ سنة وبعد استقرار صاحب الترجمة الملا محمد كريم أفندي في مدرسة المسجد الثاني بقزان عاد إليها وتخرج عليه وهما من قدماء تلامذته الكبار وبعد أن تم درسه صار مدرسًا وآخونًا بقرية تكرمن التابعة لقصبة منزله واشتغل بالتدريس واشتهر صيته وبعد أن درس بها ١٢ سنة وقع الفساد والعداوة بينه وبين مربي مدرسته التاجر شمس الدين وآل الأمر إلى الشكاية وتقديم العرائض للحكام وكان الحاكم وقتئذ شاه مراد كانطون فأثبت التاجر القباحة لخالي بقوة الحجة الصفراء والبيضاء فعزلوه عن منصبه وجرى له من طرفهم شرور ومحن غير ذلك فانزوى إلى ناحية من قريته الأصلي نوركاي واشتغل بأمر الزراعة إلى آخر عمره وكان وفاته في الكانون الأول من سنة ١٨٧٧ وكان قوي المحافظة جيد المطالعة جيد العربية ولكن الأسف كل الأسف ضاع علمه من غير إفادة وولده الأكبر الملا ضياء الدين أفندي مشتغل بأمر الزراعة في قرية نوركاي مع أن علمه أكثر وأجود من علم كثير من العلماء أصحاب المناشير وولده الثاني الملا صلاح الدين أفندي إمام بقرية طاولق التابعة لقصبة منزلة قرأ في مدرسة الفاضل المرجاني وأما والده الملا زين الدين النوركايي تولدًا والألمتي تعلقًا وتوطنًا فقد كان أيضًا من مشاهير العلماء الكبار في عصره أخذ عن علماء بلاده ثم أخذ للخدمة العسكرية الباشقردية وبعد عوده منها تزوج ثم ذهب إلى مدرسة الملا إسحٰق بن سعيد حين كان مدرسًا بقصبة چيسطاي وأقام بها تسع سنين وكانت جدتي رحمها الله تعالى ترسل إليه الملابس التي كانت تحصلها بكد يمينها وقد كتب جدي المذكور رحمه الله تعالى بيده كتبًا كثيرة وأكثر كتبه إن لم أقل كلها مكتوبة بقلمه وخطه لا بأس به يقرأ[1] منها الخادمي على الطريقة المحمدية مجلدين كبيرين وتفسير المدارك كذلك مجلدين ضخمين في قطعة كبيرة[2]

(١) وكتب في آخر حاشية السيالكوتي على الخيالي بأنه أتمها في ١٠ ذي القعدة من سنة ١٢٣٧ مصادفة سنة ١٨٣٢ م في مدرسة الملا إسحٰاق بن سعيد بقصبة چيسطاي. منه عفي عنه.

(٢) وكتب في آخر المجلد الأول منه ما معناه تمت كتابته في ١٤ رجب وفي ١٥ نويابره سنة=

ومجلده الثاني عندي بيدي الآن كتب في آخره كاتبه وصاحبه ملا زين الدين بن عبد الرشيد في سنة ١٨٣١ في أول ليلة من جدي وكثير غير ذلك من الكتب الكبار كان وفاته في ٩ مايس سنة ١٨٦٠ م مصادف سنة ١٢٧٦ هـ يوم الاثنين غرة ذي القعدة عن ٦٥ سنة بعد أن صار إمامًا بقرية المت سنة ٣٨ ودفن بمقبرة القرية المذكورة.

وكان عمر هذا الفقير حين وفاته ست سنين وكنت أذهب إليه في كل صباح وكان يحبني كثيرًا ويفرح بي متى رآني وكان يجلسني بين طرفي السمن والعسل ويقول كل من أيهما شئت فكنت أقول له إن السمن عندنا كثير آكل العسل فيقول كل ولكنه لم يبن مدرسة ولم يشتغل بالتدريس ولم أدر وجه ذلك مع اقتداره عليه رحمه الله تعالى وقد أقرأ بناته وعلمهن الكتابة ولا سيما والدة هذا الفقير.

[الملا حسن الدين]

ولما توفي قام مقامه في الإمام والخطابة ولده الثاني أستاذي الملا حسن الدين وكان بعد أخذه مبادىء العلوم عن بعض علماء تلك الناحية أقام في مدرسة الملا محمد كريم صاحب الترجمة مع أخيه الملا صاحب الدين آخون مدة ثم ذهب منها إلى مدرسة قشقار هاربًا عن أخيه المذكور وأقام هناك إلى أن أتم التحصيل وخرج إمامًا وكان مدة إقامته بها ١٧ سنة وكان من أقران الملا عبد الله النصوي والملا أحمدي القارغالي وأضرابهما وكان جيد العلم وسديد المطالعة وقد جود القرآن العظيم في قرية آداي عند مقرئي عصره في تلك البلاد الشيخ طاهر أفندي الآدبي الآتي ذكره تجويدًا جيدًا وكان متقنًا للفرائض ولما ولي الإمامة بنى مدرسة صغيرة وطفقت الطلبة يجتمعون فيها من كل جهة إلا أنه لم يكن لها مهرب وليس عنده أسباب المعيشة فضلاً عن الثروة وهو مضطر إلى السعي في تحصيلها لم يتقدم أمرها وكان يقرأ القراءة لعموم الطلبة بالتجويد بعد دخول مارت على ما هو عادة تلك البلاد زائدًا على تعليمه الأطفال في سائر الأوقات وبهذا السبب وفق هذا الفقير لتثقيف لسانه في القراءة بالتجويد والحمد لله على ذلك وقد قرأت عنده إلى شرح العقائد مدة ١٠ سنوات توفي رحمه الله في مارت من عام ١٨٩٢ م المصادف ثالث رمضان من سنة ١٣١٠ رحمه تعالى رحمة واسعة وجزاه عني خير الجزاء وأسكنه في فسيح جنانه.

= ١٨٣١ م وهذا المجلد بيد الملا صلاح الدين أفندي المار ذكره وكتب في آخر شرح الوقاية أنه أتمه في ٢٧ الكانون الأول من سنة ١٨٣٠ م. منه عفي عنه.

وقام مقامه ولده الأكبر ملا عبد الرحمٰن وولده الثاني ميرزا صالح يتعاطى التجارة في زايصان وولده الثالث مير عزيز جاور مكة المكرمة سنين عديدة بعدما أخذ مبادىء العلوم في بلاده وبلدة قزان وحفظ القرآن الكريم بالتجويد حفظًا جيدًا وولده الرابع مير سيد مقيم بقرية نوركاي وولده الخامس مير عرب مقيم بالمت عند الملا عبد الرحمٰن وهذا ساقني إليه الاستطراد وكأني بأناس يقولون ما معنى ذكر أمثال هذه الأشياء في التاريخ فأقول لست أنا بأول من ابتدعه انظروا إلى مستفاد الفاضل المرجاني كيف أطنب في ذكر من له أدنى تعلق به[1] وكذلك فعله غيره فكيف لا أذكر أنا جدي وأخوالي وأساتذتي وأحوالهم في هذا الكتاب بنوع مناسبة.

[محمد رحيم أفندي البلد انكاوي]

ومن جملة تلامذة صاحب الترجمة الملا محمد كريم أفندي الملا محمد رحيم أفندي البلد انكاوي كان فاضلاً دينًا تقيًا مستقيم الأطوار اشتغل طول عمره بالإفادة والتدريس توفي في سنة ١٣٠٦ رحمه الله تعالى.

[نور الدين الطرخاني]

ومنهم الشيخ الملا نور الدين الطرخاني كان عالمًا عاملاً وفاضلاً كاملاً صاحب الاستقامة والأخلاق الحسنة صرف أوقاته كله إلى الإفادة والتدريس والإرشاد توفي في سنة ١٣١٩ رحمه الله تعالى.

[عبد الجبار أفندي التلانچي]

ومنهم الملا عبد الجبار أفندي التلانچي طمقي وهو أيضًا من مشاهير العلماء العالمين المستقيمي الأطوار أفنى عمره بالتدريس والإفادة ولما شاخ وهرم وضعف عن القيام بالتدريس فوّض منصبه ومدرسته لولده الملا منصور أفندي ثم لولده الملا عبد الرحمٰن أفندي والآن يجتمع فيها ما يقرب من خمسمائة طالب وأغنياء تلك القرية أولاد الحاج محمد صادق الخلفي قائمون بلوازم المدرسة المذكورة وتربيتها حق القيام زاد الله غناهم وتوفيقهم وكثر أمثالهم.

[صلاح الدين ابن الملا إسحٰق القزاني]

الملا صلاح الدين ابن الملا إسحٰق القزاني وقد مر ترجمة والده الملا إسحٰق ولد صاحب الترجمة في قصبة چيسطاي في حدود سنة ١٢٣٥ وبعد أن أخذ مبادىء

---

(١) خصوصًا في ترجمة إسماعيل الآباتايي. منه عفي عنه.

العلوم في تلك الديار رحل في حدود سنة ١٢٥٨ إلى بخارى وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى وطنه في سنة ١٢٧٥ وبعد مهاجرة الملا محمد كريم أفندي انتخب إمامًا وخطيبًا ومدرسًا مكانه من طرف الأهالي وباشر إجراء وظيفته يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان سنة ١٢٧٨ وحج في سنة ١٢٨٨ وما بعدها وجاور بين الحجين المذكورين في المدينة المنورة وكانت البلدة الطيبة مملوءة بالعلماء المحققين والمفسرين والمحدثين ولا سيما محدث عصره ومسند أهل الحجاز الشيخ عبد الغني ابن مولانا الشيخ أبي سعيد المجددي الدهلوي ثم المدني ولعله استفاد منهم وكان شيخي وأستاذي الشيخ آخون جان المرغيناني ثم المدني المكي هناك في ذاك الوقت ولم أسمعه يذكر استفادته منه إلا أنه كرر مرارًا أنه قال حين سفره من المدينة لواحد من البخاريين مثله إني رددت على الشيخ عبد الغني قوله بسنية الإشارة في التشهد نقلاً عن صلاة المسعودي[1] فهذا يدل على أنه لم يستفد منه وهو حسن الظن فيه لأنه ختم الكتب في بخارى ودرس سنين في قزان فأي شيء يستفيد منه بل ينبغي أن يكون الأمر بالعكس وعلى كل حال فقد رجع إلى قزان سنة ١٢٩٠ وحمل معه من هناك كتبًا كثيرة ومرض بعد رجوعه وامتد مرضه واشتد إلى أن توفي يوم الخميس السادس من جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ رحمه الله تعالى وقد انتفع به خلق كثير وتخرج عليه كثير من العلماء ذوي الاشتهار.

[أحمد صفا أفندي ابن الملا عباس التاش بلكوي]

ومن جملة تلامذته أيضًا الملا أحمد صفا أفندي ابن الملا عباس التاش بلكوي وهي قرية تابعة لقضاء اسپاس من ولاية قزان كان من العلماء المتدينين المتشرعين وقد حج مرارًا كثيرة وجاور في المدينة المنورة سنة كاملة وأخذ الطريقة النقشبندية

(١) قال شيخنا المشار إليه طيب الله ثراه في رسالته إثبات سنية الإشارة تذييل بقي ههنا شيء يستند إليه بعض المانعين وهو ما نسب إلى صلاة المسعودي فهو من الجهال غير غريب لكنه ممن يدعي العلم أمر عجيب ننقله حتى يعلم أنه مما لا يقبله اللبيبي قال في فصل سنن الصلاة مسألة چون قراء تراباشهد رساند انكشت برارد يانه خواجه إمام زاهد فخر كتاب مشيخه رادوس ميكفت روايت بيرون آمدكه برقول إمام أعظم وإمام محمد رحمهما الله برنيار دبس دليل ميكندكه بقول إمام أبي يوسف رح برآوردن رواست الخ ثم رد إليه ردًا مفصلاً وسبب نقل كلام صاحب صلاة المسعودي هنا هو صنيع الملا صلاح الدين أفندي وخلاصة الرد أن النقل محرف فإن الإمام محمد صرح في كتاب المشيخة وهو الموطأ بسنيتها حيث قال بعد نقل الأحاديث الواردة فيها وبصنع رسول الله نصنع وهو قول أبي حنيفة وقولنا. منه عفي عنه.

المجددية عن شيخنا المرحوم الشيخ محمد مظهر المجددي وصار مجازًا منه فيها وهو الذي باشر أخذ المضبطة المار ذكرها مع واحد من المجاورين وأصابه لأجل ذلك ضغط وشدة من طرف الحكومة توفي في ربيع هذا العام أعني عام ١٣٢٥ رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

[تاج الدين بن بشير الصوقصوي]

وخلفه الملا تاج الدين بن بشير الصوقصوي ثم المنكاري ولم تطل مدته بل توفي في سنة ١٢٩٦ وكان درس قبل ذلك مدة مديدة في قرية الوغ منگر وكان من العلماء الكبار المستقيمي الأطوار رحمه الله تعالى.

[عبد العلام بن صالح الچرشوي]

وخلفه الملا عبد العلام بن صالح الچرشوي كان أولاً إمامًا ومدرسًا بقرية چرشي وجلب إلى قزان في سنة ١٢٩٧ بعد وفاة سلفه الملا تاج الدين واشتغل هناك بالإمامة والخطابة والتدريس والإفادة إلى أن توفي في سنة ١٣١٧ وكان من مشاهير العلماء وأكابرهم مثابرًا للدرس والإفادة وقد تخرج عليه جماعة من العلماء رحمه الله تعالى.

[قاسم أفندي]

وخلفه في وظائفه الملا قاسم أفندي وهو يشتغل الآن هناك بالتدريس والإفادة سالكًا مسلك أسلافه الكرام وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه.

[هبة الله بن سيد بطال القارغالي]

الشيخ هبة الله بن سيد بطال القارغالي كان إمامًا وخطيبًا ومدرسًا وشيخًا في واحد من مساجد قارغالي أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ دولتشاه المار ذكره وصار مجازًا منه فيها كان صالحًا دينًا تقيًا ورعًا مستقيم الأحوال كثير الاشتغال بما يقرب العبد من الله المتعال وله كتاب في المواعظ والنصائح بلغة أهالي تلك الديار يسمى مجمع اللطائف والآداب وفيه قصائد وأشعار تركية سلسة العبارات صحيحة المضامين مؤثرة المعاني مطبوعة في قزان توفي في سنة ١٢٨٢ رحمه الله تعالى.

[تاج الدين بن أحمد الآيداري]

الشيخ تاج الدين بن أحمد الآيداري تولدًا السمرقندي مدفنًا أصله من قرية آيدار التابعة لقصبة ضيا بولاية قزان أخذ عن علماء بلده ثم رحل إلى ما وراء النهر وأخذ

الطريقة النقشبندية المجددية عن الشيخ المرزا[١] رحيم بك الشهير بمحمد درويش العظيم آبادي ثم الشهرسبزي المشهور هناك بايشان شافع وصار مأذونًا منه فيها وقائم مقامه بعد وفاته ثم قدم إلى سمرقند وأقام بها إلى أن توفي في سنة ١٢٨٩ وكان صالحًا دينًا تقيًا ورعًا مستقيم الأحوال رحمه الله تعالى.

[جار الله بن بيك محمد الصاتشي]

الملا جار الله بن بيك محمد الصاتشي أخذ عن الملا إسحٰق بن سعيد القزاني والملا عبد الله المچكروي ثم صار إمامًا ومدرسًا في قرية الكاي ثم في قريته الأصلية صاتش ودرس بها مدة ٣٠ سنة إلى أن توفي في سنة ١٢٨٦ وكان من مشاهير العلماء رحمه الله تعالى.

[محمود بن محمد الداغستاني]

الشيخ محمود بن محمد الداغستاني الشرواني الحنفي النقشبندي المجددي أصله من قرية المالي التابعة لشماخي من ولاية شروان أخذ علم الظاهر عن علماء بلاده وأخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن الشيخ يونس عن الشيخ عبد الله المكي عن مولينا خالد وكان الشيخ خليل باشا يقول أخذها عن والد الشيخ يحيىٰ بك عن الشيخ عبد الله المكي كما ذكرنا ذلك في ذيل الرشحات وقد يذكر خلفاؤه في سلسلتهم غير ذلك والله سبحانه أعلم ثم اتهم بتهمة عند حكومة الروسية فنفي إلى ولاية پيرمي ثم خلي سبيله بعد ذلك فورد إلى قزان وأقام بها مدة ثم تحول إلى حاجي طرخان واستوطن بها وقد اشتهر فضله وانتشر صيته في تلك البلاد وانخرط في سلك إرادته كثير من كبار علماء تلك الديار كالشيخ محمد ذاكر الچيسطايي والشيخ عبد الوهاب الحاجطرخاني وغيرهما وانتفعوا به توفي رحمه الله تعالى في حاجي طرخان سنة ١٢٩٤ روح الله روحه ونور ضريحه.

[سعيد بن حميد القزاني]

الملا سعيد بن حميد القزاني تولدا القسطنطيني توطنًا الأناطولي مدفنًا أصله من قرية الوغ قوال بولاية قزان أخذ عن الآخون فتح الله المار ذكره وغيره ثم رحل في حدود سنة ١٢٥٠ إلى بخارى ثم سافر منها إلى القسطنطينية وأخذ فيها عن الخواجه مصطفى بن عمر الوديني وغيره وأخذ إجازة الدرس على أصولهم وانتظم في سلك

(١) خليفة الشيخ عبد الله الدهلوي وهو الذي دل مولانا خالد على صحبته. منه عفي عنه.

المدرسين وصار من أعضاء المجلس الخاص وبعد أن أقام بها مدة ٣٠ سنة مشتغلاً بالإفادة والتدريس توفي سنة ١٢٩٦ في قرية من قرى أناطولي رحمه الله تعالى وأعقابه باقية في إستانبول.

قال الفاضل المرجاني رأيته في قزان حين وروده إليها سنة لزيارة أبويه وأقاربه وأراني إذ ذاك بعض إجازاته كان صالحًا فاضلاً متدينًا اهـ.

[حسن بن حميد القورصاوي]

الملا حسن بن حميد القورصاوي أصله من قرية مسلم بناحية قصبة چيسطاي وتولده في القصبة المذكورة وكان آباؤه من التجار الأغنياء أخذ العلوم الظاهرة عن الملا عبد الله المچكروي وغيره ثم وصل إلى صحبة الشيخ عبد الخالق القورصاوي المار ذكره وتلقن منه الطريقة النقشبندية واختص به وتزوج ابنته عزيزة وقام بعده مقامه في الإمامة والخطابة والتدريس والإرشاد وكان على بيان الفاضل المرجاني من الديانة والاستقامة والورع والتقوى والصلاح على جانب عظيم متبعًا للسنة النبوية في جميع شؤونه كثير الصمت قليل الكلام غير مؤذ لأحد بوجه من الوجوه معمور الأوقات بالذكر والفكر والإفادة والإرشاد توفي في سنة ١٢٨٩ وولده الملا شاكر إمام في مسجد پچن بازاري بقزان سلمه الله تعالى.

[الملا عطاء الله بن محمد]

وخلفه في وظائفه المذكورة كلها خليفته الملا عطاء الله بن محمد كان قد أخذ العلوم عن عدة من كبار علماء تلك البلاد ثم استفاد الطريقة عن الشيخ حسن المار ذكره وخلفه بعد وفاته في جميع وظائفه وكان أيضًا مثل شيخه المذكور في جميع أطواره وقد رأيته بمكة حين حج وكان بشوشًا ملتفتًا توفي بعد اشتغاله بإجراء الوظائف المذكورة سنين في سنة ١٣١٢ رحمه الله تعالى.

[الملا عبد الرحمٰن أفندي]

وولده الملا عبد الرحمٰن أفندي كان إمامًا وخطيبًا ومدرسًا وشيخًا في الطريقة في بلدة ياركند الجديدة في حدود كاشغر وأقام هناك بإجراء تلك الوظائف عدة سنين واشتهر صيته هناك اشتهارًا تامًا وقد رأيته ببخارى حين تحصيله وفي مكة مرارًا حين حج وكان كلما حج ينزل من منزل الفقير وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه.

[علي بن سيف الله التونتاري]

الشيخ علي بن سيف الله التونتاري أخذ العلم عن الملا محمد رحيم وملا عبد الله المچكروبين وغيرهما ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وأخذ الطريقة عن الميان فضل عبد القادر المجددي وكان في صحبته وخدمته حضرًا وسفرًا حتى إنه سافر إلى كابل وقندهار وپشاور ولاهور ودهلي وسائر بلاد الهند في صحبته وخدمته مرارًا كثيرة وعاد إلى وطنه بعد أن ملأ طرفي حقبته من العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة في سنة ١٢٤٥ وصار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا ومرشدًا في قرية تونتار التابعة لقصبة مالمژ واشتهر فضله وانتشر صيته انتشارًا زائدًا وصار مقبولاً لدى الكل وقد انتفع به عالم كثير في الظاهر والباطن وكانت معيشته متسعة جدًا والحاصل كان صاحب الترجمة والشيخ نعمة الله المار ذكره كالسلاطين في عصرهما وقد رأيته في سنة ١٢٨٩ وتشرفت بتقبيل كريمتيه في بيته توفي في سنة ١٢٩١ رحمه الله تعالى وطيب ثراه وجعل الجنة منقلبه ومثواه.

[شمس الدين بن رحمة الله المزار آستي]

وقد شاركه في الإمامة والخطابة في حياته بأمره وسعيه تلميذه ومرباه وولده المعنوي وختنه الملا شمس الدين بن رحمة الله المزار آستي واستقل بتلك الوظائف وأمر الإرشاد بعد وفاته وكان مقبولاً لدى الكل قوي الإفادة وقد انتفع به خلق كثير إلا أنه لم تطل مدته بل توفي شابًا وذلك أنه حج في سنة ١٢٩٢ وحين عوده توفي بإستانبول في سنة ١٢٩٣ وخلف ولدًا واحدًا فقط وهو المخدوم محمد النجيب وهو قائم الآن مقام أبيه وجده بالاستحقاق ومالك ومتصرف أموال جده وأملاكه حيث لم يكن له ولد سوى والدته حفظ الله سبحانه من شر الحساد ومكر الأعداء وكفرة النعمة آمين.

[إسماعيل بن موسى المچكروي]

الفاضل العلاّمة الملا إسماعيل بن موسى المچكروي ثم القشقاري أخذ عن الملا عبد الله المچكروي ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وصار مدرسًا ببعض مدارسها ثم عاد إلى وطنه وصار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بقرية قشقار الشهيرة بأغنيائها ومدارسها الكبار واشتغل هناك بالتدريس في العلوم المتداولة هناك وفي بخارى سنين كثيرة وقد اشتهر صيته اشتهارًا زائدًا وتخرّج عليه كثير من مشاهير العلماء توفي في سنة ١٣٠٥ رحمه الله تعالى.

[عبد الرحمٰن أفندي]

وولده الفاضل الملا عبد الرحمٰن أفندي أخذ عنه وشاركه في الإمامة والخطابة والتدريس في سنة ١٢٨٦ وانفرد بها بعد وفاته فهو الآن مشغول بها هناك وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه وفي أثناء طبع هذا الكتاب ورد خبر وفاته في ١٦ رمضان من هذا العام رحمه الله تعالى وكثيرًا ما يعيبهم الفاضل المرجاني بأصلهم فلهم أن يقولوا، شعر:

يعيرني قوم بقومي ومحتدي كما عيب بالعضب الصقيل الحمائل
وما الفخر بالأجسام والمال والعلى ولكن بأنواع الكمال التفاضل

ويكفيهم فخرًا أن يفتخروا أحياء قريتي مچكره وقشقار بالعلم وجعلهما أكبر دار علم في تلك البلاد ومنبع العلماء الأمجاد رحمهم الله تعالى.

[شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني]

الفاضل العلامة المحقق الملا شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني[1] ثم القزاني أصل جدوده على ما بينه هو في المستفاد من قرية مرجان التابعة لولاة قزان وولادته في قرية يابنچي سنة ١٢٣٣[2] أخذ عن والده وعن بعض تلامذته ثم رحل إلى بخارى في سنة ١٢٥٤ وأخذ عن عدة من علمائه الكبار وأخذ في سمرقند عن القاضي أبي سعيد بن عبد الحي وغيره ثم عاد منها إلى وطنه في سنة ١٢٦٥ وصار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالجامع الأول في قزان سنة ١٢٦٦ واشتغل بالإفادة والتدريس ونشر العلم واجتمع لديه كثير من الطلبة المستعدين وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار كان مسلكه مغاير المسلك سائر العلماء تلك الديار وموافقًا في كثير من الأمور لمسلك أبي النصر عبد النصير القورصاوي[3] المار ذكره وذلك أن مسلك سائر العلماء قاطبة هو الذي بيناه سابقًا مفصلاً والفاضل المرجاني قد تنبه على نقصانه وكان منكرًا عليه كالقورصاوي وقائلاً بلزوم تبديله وتعديله بإخراج ما لا فائدة فيه عن جداول الدرس وإدخال ما له فائدة ولزوم بدله والمنع عن الاكتفاء بقراءة ديباجات الكتب وعن قراءتها بحواشيها وبيان لزوم قراءة كافة الكتب الدرسية من أولها

---

(١) الفاضل المرجاني: تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

(٢) في كشف الظنون ٥/٤١٨: ولد سنة ١٢٢٣ هـ.

(٣) أبو النصر عبد النصير القورصاوي: هو عبد النصير بن إبراهيم البلغاري، أبو النصر القازاني الحنفي، له: «شرح العقائد للنسفي» فرغ منها سنة ١٢٤٤ هـ. (كشف الظنون ٥/٦٣٢).

إلى آخرها بالتمام وغير ذلك من مخالفته الجمهور كالقول بعدم زيادة الصفات على الذات وذم الاشتغال بعلم الكلام والفلسفة وهذا عين مسلك القورصاوي ولذلك انتصب كثير من علماء زمنه لعداوته وسبب آخر لذلك عدم مداراته إياهم وعدم مبالاته بهم ولذلك تقلبت به الأحوال حتى انعزل عن منصبه في بعض الأوقات وسبب عدم مدارته أيضًا وقع الخلاف بينه وبين مربي مدرسته إبراهيم باي اليونسي وجرى بينهم ماجريات.

وبالجملة إن كان أعلم علماء تلك الديار في عصره وأنبلهم وأعلاهم مداركًا واقفًا على حقائق الأمور غير مقلد لسواه من علماء عصره ومن قبلهم من المقلدين بل كان تابعًا لرأيه وعقله إلا أنه كان مفرطًا في التعاظم فوق قدره وفي إطالة لسانه للعلماء المتقدمين كالفخر الرازي والعلامة التفتازاني وغيرهما غير مراع لآداب المحاورة الجارية بين الأدباء والمحررين ولذلك ابتلي بما ابتلي به من إطالة السفهاء لسانهم في حقه إلى الآن وكان كثيرًا ما يعترض فيما لا يعترض عليه.

ومن ذلك ما اعترض على النقشبنديين قدس الله أسرارهم هو بعد بيان انتسابه إلى طريقتهم بثلاثة وسائط بقوله اعلم أن المتأخرين من المشايخ النقشبندية يجرون سلسلة أخذهم إلى أبي بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله عنهما ويذكرون ذلك في إجازاتهم وهذا شيء لا يعرجه أئمة النقل وكذا لا يصححون لقاء الحسن البصري رحمة الله عليه لعلي رضي الله عنه اهـ هذا اعتراضه على النقشبندية وعلى سائر الطرق عامة.

ولنذكر هنا قول أبي النصر عبد النصير القورصاوي رحمه الله في هذا الباب قال بعد تعريفه ماهية التصوف وغايتها وأعظم أسبابها ملازمة الذكر على الوجه الذي يتلقى من مشايخ الحقيقة كما يسندونه إلى رسول الله ﷺ برواية الصديق وعلي بن أبي طالب وسلمان رضي الله عنهم ويذكرون الرجال في البين كلهم ثقات[1] عدول لازموا

(١) قال في آخر الرسالة القشيرية والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فلهم ظهور والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم أهل الوصال والناس وأهل الاستدلال وهم كما قال القائل، شعر:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
والناس في سدني الظلام ونحن في ضوء النهار

اهـ، والجهل بأنهم لا يأخذون طريقتهم بواسطة المحدثين مما لا ينبغي قط لمثل الفاضل=

الطاعات وجمعوا علوم الدراسة بعلوم الوراثة وبمثله يثبت صحة العمل ثم يشاهد آثاره على قدر استعداد الطالب بتقدير الله إن شاء الله وليس الخبر كالمعاينة اهـ وهذا كلام صدر عن ذوق وعن قلب نوراني متأثر بآثارهم رضي الله عنهم فما أصحه وما أحسنه فانظر إلى تفاوت ما بين المسلكين ولهذا أشرنا سابقًا إلى مخالفة مسلك صاحب الترجمة لمسلك القورصاوي في بعض الأمور وكذلك يظهر التفاوت في تعبيريهما عن المشايخ حيث يعبر المرجاني دائمًا بأبي البركات أحمد بن عبد الأحد السرهندي والقورصاوي لا يعبر عنه إلا بلقبه المشهور بين الناس الإمام الرباني وهذا هو آداب المحررين الأدباء حتى يعبر عن رؤساء الكفرة عرفًا بجلالة الإمبراطور فلان وفخامة الدولة الفلانية لزومًا فمن لم يفعل يؤدب وليس إطلاق الرباني مخالفًا للشرع كيف وقد قال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٩] وقال: ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٦] وقال: ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المَائدة: الآية ٦٣] فإذا كان في أمة سائر الأنبياء كيف يستبعد في أمة خير الأنبياء وأما ذكر الصحابة وكذلك المشايخ المتقدمين بأساميهم المجردة فلا ينهض له دليلاً فإن زماننا غير زمانهم فعلينا أن نراعي اصطلاح أهل زماننا لا أن نستعمل اصطلاح الزمان السابق مع إنه يطلق على نفسه أبا الحسن هارونًا وعلى ابنه برهان الدين أبا العباس محمدًا وقد عد مجددًا لألف شخصًا من اليمن لا يعرفه أحد فإن لم يكن الإمام الرباني قدس سره مجددًا مع ظهور وصف التجديد وبقاؤه فيه إلى الآن لا يكون أحد مجددًا مع أن كلامه يومىء إلى دعوى التجديد لنفسه وإن لم يصرح به وهو مما يشنع به عليه والتجديد لا بد من أن يظهر أثره في العالم يؤثر في أفراد بني آدم كأثر الإمام الرباني قدس سره وكذلك الإمام فخر الدين الرازي والعلامة التفتازاني ليسا أهلاً لما يشنع هو به عليهما وقد مدح الخواجه محمد پارسا الإمام فخر الدين الرازي في كتابه فصل الخطاب وأثنى عليه فيه بما هو أهله وناهيك به قدوة وقد طالعت أكثر المواضع من تفسيره فرأيته منزهًا لكلام الله تعالى عما لوثه به كثير من المفسرين من الإسرائيليات.

وقد عاب على الملا محمد كريم أخذه البدل مع أنه حج أولاً لنفسه وهو حج ببدل إبراهيم الآپاقي ولم يحج لنفسه.

= المحقق المرجاني ولكن لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة والأحمق من يستصوب خطأ من يحبه ويعتقد عصمته. منه عفي عنه.

وهذا الذي ذكرناه من الأوصاف ليس لبغضنا إياه بل لبيان الواقع وتنبيه بعض من أفرط فيه وأركبه على غير سرجه وإلا فأنا أحبه من صميم قلبي وأعظمه وأحترمه وأفضله على علماء عصره في تلك البلاد في العلم والتحقيق وكثرة الاطلاع على فنون كثيرة وطول الباع فيها وسداد الرائي وعلو المدارك ولكن مع ذلك لا أملك نفسي من قول الحق ولا أقول إن ملكته في الحديث كملكة من اشتغل به دائمًا تعلمًا وتعليمًا بل أقول إنه كان له إلمام به واطلاع عليه وكذلك أقول في شأن القورصاوي وكان رحمه الله تعالى مولعًا بإنشاد الأشعار والاستشهاد بها وتلفيق بعضها ببعض[1] في مؤلفاته وفي أظهر كتبه.

وأما مؤلفاتها فكثيرة شهيرة أحسنها ناظورة الحق ثم شرحه للعقائد النسفية وكلها مما يستفاد منه وهي كثيرة ذكرها عند بيان ترجمة أحواله من المستفاد توفي رحمه الله تعالى في ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٦[2] وكان جعل ولده الملا برهان الدين أفندي شريكًا لنفسه في حياته ثم انفرد بوظائفه بعد مماته مدة سنين ثم شاركه تلميذه وختنه الملا صفي الله أفندي فهما قائمان الآن بخدمة التدريس في مدرسته وقد سمعت في السنة الماضية إن تلميذه وختنه الثاني الملا عبد الله أفندي الآپاناپي شاركهما في التدريس فقط وفقهم الله سبحانه لإحياء آثاره ومسلكه والتشمير عن ساق الجد لنشر علوم الدين آمين.

---

(١) وربما كان يجمع بين بيتين من بحرين وحرفا رويهما متفقان يظن الناظر فيهما أنه ظنهما من بحر واحد كما في ظهر الخزانة، شعر:

وازددت اعتقادًا لنفسي فإنني ... بغيض لكل امرىء غير طائل
وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وأول البيتين من شعر الحماسة هكذا:

لقد زادني حبًا لنفسي أنني ... بغيض على كل امرىء غير طائل

ومما أخذه عن شعر غيره وأفسده قوله، شعر:

وما كان في بسط المعارف شيمتي ... ولا ولدتني كوفة وعراق
فقد تنطق الببغاء من غير فطرة ... وقد تسجع الورقاء في أطواق

وأصلهما السالم عن العيوب للفيروز الديلمي حيث قال، شعر:

ولو لم يكن نظم العقائد شيمتي ... ولا ولدتني يعرب وأياد
فقد تسجع الورقاء وهي حمامة ... وقد تنطق العيدان وهي جماد

وكذلك أبياته في حق منارة بلغار والحاصل حصل له الشوق في العربية بعد مضي وقت تحصيلها. منه عفي عنه.

(٢) لم يذكر في كشف الظنون سنة وفاته.

ومن الأئمة ومشاهير المدرسين الكبار في قزان بمحلات عديدة الملا غياث الدين ابن الملا حبيب الله والملا حماد بن خالد وابنه الملا ذاكر رحمهم الله كانوا مدرسين في المسجد الرابع المشهور بزنكار مسجد والمدرس فيه الآن الملا إبراهيم ابن الملا ذاكر والملا صابر ابن الملا حماد وكذلك الملا شاه أحمد بن بايزيد كان مدرسًا بالمسجد الثامن الشهير بتبناك مسجد بيكابسته والمدرس فيه الآن الملا عبد القيوم أفندي والملا صالح جان بن محمد جان البارودي.

ومنهم الملا حسين أفندي كان خلفًا لملا بايمراد المار ذكره والمدرس به الآن ولده الملا محمد ظريف أفندي والملا محمد صادق أفندي ابن الملا شاه أحمد المار ذكره آنفًا.

ومنهم الملا عبد الولي كان مدرسًا بمسجد زاوود والمدرس فيه الآن ولداه الملا حسام الدين والملا عبد الله جان.

ومنهم محمدي بن صالح كان مدرسًا بمسجد بهانشاه باي والمدرس فيه الآن ولداه الملا عارف الله أفندي والملا محمد عارف أفندي وحيث إن كتابنا هذا لا يسع التفصيل أضربنا عن تفصيلات أحوالهم وقد بينت في المستفاد والآثار فمن رامها فعليه بهما.

[سيف الله بن عالم بك الآجوي]

ومن علماء الأطراف الشتى الملا سيف الله بن عالم بك الآجوي كان من مشاهير العلماء الكبار المشتغلين بالدرس والإفادة دائمًا أخذ عن علماء بلاده وعلماء بخارى توفي في ٨ شوال سنة ١٣٠١ رحمه الله تعالى.

[فخر الدين بن يهود النورلاطي]

ومنهم الشيخ فخر الدين بن يهود النورلاطي أخذ عن علماء بلاده وعلماء بخارى وجود القرآن في بخارى عند الشيخ فخر الدين المقري المار ذكره كانت قراءته لا بأس بها إلا أنه كان يحدث السكتة بين الكلمتين تحرزًا عن الإدماج على زعمه ولا سيما في سورة الفاتحة زعمًا منه أن في سبعة مواضع منها أسامي الشيطان تحصل من وصل كلمة إلى كلمة أخرى كما قدمناه في ترجمة الشيخ فخر الدين المقري وكان يفخم الميم من قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٥] وأمثال ذلك من الاستفهام التعجبي ويسميه مابقرية كما هو مشهور بين الجهلاء وكل ذلك

غلط صريح ولحن جلي اشتغل أولاً بالتدريس في قرية نورلاط ثم عرض له العمى فتفرقت طلبته ولم يبق لديه إلا القليل فحفظ بعد ذلك القرآن العزيز حج في سنة ١٢٩٦ وما بعدها وجاور المدينة المنورة فيما بينهما واشتغلنا بقراءة التوضيح في ذلك الوقت عنده مع ثلاثة أنفار غيري وذلك لا يناسبه ولتكون مدارًا للمطالعة وكان مجازًا في الطريقة النقشبندية عن بعض مشايخ قرشي الذي أخذ عنه الشيخ شهاب الدين الاسني توفي رحمه الله في سنة ١٣٠٨.

وخلفه في وظائفه كلها ولده الملا صدر الدين وحسنت أحواله بعد ذلك ولكنه لم تطل مدته بل توفي في سنة ١٣١٩ وخلف ولدًا مراهقًا يسمى الميرزا أكرم وفوضت وظيفة الإمامة للمؤذن إلى أن يبلغ ولده أشده ولعله يستلمها قريبًا وفقه الله لما يحبه ويرضاه.

[محمد حسن بن شمس الدين الخان كرماني]

الملا محمد حسن بن شمس الدين الخان كرماني كان رحمه الله تعالى من العلماء العاملين تقيًا دينًا ورعًا محتاطًا في أموره أخذ عن علماء بلاده وعلماء بخارى ثم كان مدرسًا بخان كرمان رأيته فيها مرارًا ونلت التفاته وإكرامه مثل الآخون سليمان المار ذكره وما كان يعجبني مسلك أحد من مدرسي تلك الديار مثل ما يعجبني مسلكه وأطواره في الدرس توفي سنة ١٣١٠ في مصر راجعًا من الحج رحمه الله تعالى.

[عبد العزيز بن حبيب الله الأورسانايي]

الملا عبد العزيز بن حبيب الله الأورسانايي كان من العلماء الكبار المعمرين الكثير الإفادة أخذ عن الملا شاه أحمد السماكي وعن غيره أيضًا وصار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بقرية أورماناي الكائنة بساحل نهر آق التابعة لقصبة بوكلمه واجتمع لديه كثير من الطلبة وصرف أوقاته كله في الدرس والإفاضة وانتفع به خلق كثير وتوفي في ٢٨ رمضان سنة ١٣٠٨ رحمه الله تعالى.

[عبد الفتاح بن عبد القيوم بن عصمة الله]

الملا عبد الفتاح بن عبد القيوم بن عصمة الله بن عبد الرحمٰن الشلچلي كان من أكابر العلماء المشاهير أخذ عن علماء بلاده وتخرج عليهم ثم صار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في قرية شلچلي التابعة لقصبة بوكلمه واجتمع لديه كثير من الطلبة فدرس وأفاده وتخرج عليه كثير من العلماء الكبار توفي في ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٠٩ رحمه الله تعالى.

[محمد ذاكر بن عبد الوهاب الچيسطايي]

الشيخ محمد ذاكر بن عبد الوهاب الچيسطايي أخذ عن علماء تلك الديار واختص بالملا عبد الله المچكروي وتخرج عليه ثم صار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بقصبة چيسطاي بعد وفاة الملا عبد الغفور المار ذكره فدرس فيها وأفاد وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ محمود الداغستاني المار ذكره حين قدم قزان فضم إلى تدريسه وظيفة الإرشاد فانتفع به كثير من العباد واشتهر صيته في الأقطار فكان يقصده من كل ناحية العلماء الكبار ويقتبسون منه الأنوار إلى أن توفي في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣١٠ رحمه الله تعالى وطيب ولكن الأسف كل الأسف على أنه لم يخلف من الأولاد من يدير أمره إلا أن ختنه الملا نجيب أفندي ابن الملا حسين القزاني يشتغل في مدرسته بالتدريس والإفادة فمدرسته معمورة بالطلبة مثلما كانت في حال حياته ووفقه الله سبحانه وولده الملا إبراهيم أفندي لما يحبه ويرضاه وإحياء آثار والده وطرف الشياطين عن أطرافه وجوانبه.

[عبد الله بن عبد الغفور الچقمقي]

الملا عبد الله بن عبد الغفور الچقمقي أخذ عن علماء تلك الديار واختص بالملا شاه أحمد السماكي المار ذكره وأخذ عن الملا عبد الله المچكروي ثم صار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بقرية چقمق الكائنة بساحل نهر آق التابعة لقصبة منزلة وشمر عن ساق الجد للتدريس والإفادة واجتمع لديه عالم كثير من الطلبة وانتفعوا به وتخرجوا عليه وكان أخذ الطريقة عن مشايخ ايسترلي باشي ولكنه لم يصر مأذونًا منهم ثم رجع إلى الشيخ محمود الداغستاني وأجيز من خليفته الشيخ محمد ذاكر المار ذكره آنفًا فانضم إلى وظيفة تدريسه وظيفة الإرشاد أيضًا فكان معمور الوقت بالتدريس والإرشاد وكان لا يضيع أدنى وقته لغير ذلك إلى أن توفي في ١٤ رمضان سنة ١٣١٦ وعمره إما مائة سنة أو أنقص منها قليلاً أو أزيد رحمه الله تعالى وطيب ثراه وظني أنه كان قطب تلك الناحية والله سبحانه أعلم بأحوال عباده وفي تلك السنة توفي تلميذه وختنه وشريكه في الإمامة والخطابة والتدريس الملا واعظ أفندي ابن عبد العزيز الزاكي المولد وبين وفاتيهما أسبوع واحد فقط رحمه الله تعالى.

[محمد حسن ابن الملا عزة الله الخان كرماني]

الملا محمد حسن ابن الملا عزة الله الخان كرماني كان إمامًا وخطيبًا بمسجد خان كرمان وكذلك والده الملا عزة الله أفندي وأخوه الأصغر الملا محمد علي آخون وهو

وإن لم يكن ممن اشتغل بالتدريس إلا أنه كان من العلماء العالمين والفضلاء الكاملين دينًا تقيًا ورعًا صالحًا كثير الخوف من الله وكان كثير المطالعة وواسع الاطلاع حتى كان لا يترك المطالعة والمذاكرة وقت الأكل أيضًا وقد نلت منه الالتفات والإكرام والفوائد الكثيرة جزاه الله سبحانه عني خير الجزاء توفي في شعبان سنة ١٣٢٠ رحمه الله تعالى.

[أحمد بن خالد]

ومنهم الملا أحمد بن خالد كان أصله من قرية منكار التابعة لولاية قزان وبعد أن أخذ العلوم عن العلماء الكبار وبلغ مرتبة التدريس والإفادة صار إمامًا ومدرسًا في مسجد المحلة الأولى من بلدة طرويسكي الذي بناه عبد المؤمن باي وقد انتفع به وتخرج عليه الكثيرون توفي في عام ١٨٧٢ م وولده يوسف جان موجود الآن في تاشكند.

[الشيخ شهاب الدين الأسني]

ومنهم الشيخ شهاب الدين الأسني أخذ عن علماء بلاده ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عارف القرشي ثم رجع إلى وطنه وأقام بقرية أسن التابعة لقضاء بوري واشتغل هناك بالتدريس والإرشاد وانتفع به في كلا العلمين طائفة وتوفي في حدود سنة[1] وأشهر خلفائه الشيخ نور الدين الطرخاني أخذ عن الملا محمد كريم التكنشي القزاني وأخذ الطريقة عن صاحب الترجمة واشتغل بالإمامة والتدريس والإرشاد في قرية الوغ طرخان التابعة لولاية سمبر توفي ليلة الأربعاء الخامسة من جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ رحمهما الله تعالى.

[عبد الناصر البواوي]

ومنهم الملا عبد الناصر البواوي الشهير بين أقرانه ببخارى بقشاق بمعنى الفقير لكونه على غاية الفقر والفاقة حين إقامته ببخارى أخذ عن علماء هذه الديار ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها ولما عاد إلى وطنه صار إمامًا ومدرسًا بقصبة بوا التابعة لولاية سمبر وتخرج عليه كثير من الطلبة توفي عام ١٣٠٣ وخلفه الملا نور علي بن حسن وهو الآن من مشاهير علماء تلك الديار سلمه الله تعالى.

[محمد شريف آخون الطرويسكي]

ومنهم الملا محمد شريف آخون الطرويسكي صار إمامًا ومدرسًا في المحلة الوسطى من بلدة طرويسكي بعد وفاة الملا محمد ظريف المار ذكره وتخرج عليه

(١) كذا بالأصل، ولم يذكر تاريخ الوفاة.

جماعة من الطلبة توفي عام ١٨٩١ م رحمه الله تعالى وكان قد شاركه في وظائفه في أواخر عمره الفاضل الملا حاجي أحمد بن عبد الظاهر الرحمانقلي وهو موجود الآن مشتغل بالتدريس والإفادة وقد تخرج عليه كثر من الطلبة وهو أطال الله عمره وأدام بقاه أعلم علماء تلك الديار وأفضلهم على الإطلاق وبعد وفاة الملا محمد شريف خلفه في وظائفه ولده محمد صابر سلمه الله تعالى.

[الملا سليمان بن داود الأورنبورغي]

ومنهم الملا سليمان بن داود الأورنبورغي كان إمامًا ومدرسًا بمسجد كروان سراي ببلدة أورنبورغ وهو وإن لم يتخرج عليه كثير من الطلبة إلا أنه كان صاحب ذوق سليم وفتوة ومروءة وشهامة وسخاوة وأخلاق حميدة قد رأيت منه التفاتًا كثيرًا وإكرامًا زائدًا حين مجيئي إلى أورنبورغ في أوائل حالي حين لا يعبأ بي أحد مرارًا كثيرة جزاه الله على خير الجزاء وطيب منقلبه ومثواه توفي في أوائل عام ١٨٨٦ م رحمه الله تعالى وروح روحه ونور ضريحه وخلف ثلاثة أولاد أكبرهم الملا فيض الرحمٰن أفندي متقلب في منصب القضاء بالممالك العثمانية المحروسة وأوسطهم محرر في إدارة مجلة الدنيا والمعيشة سلمهما الله تعالى.

[شرف الدين ابن الملا مهدي]

ومنهم أستاذي الملا شرف الدين ابن الملا مهدي أصله من قرية دوسم التابعة لقضاء منزله قرأ على الملا إبراهيم الچالپوي المار ذكره إلى أن أخذ فاتحة الفراغ حسب عرف تلك البلاد ثم رحل إلى بخارى وأقام بها ١٢ عامًا وأخذ عن علمائها الكبار ثم رجع إلى بلدة طرويسكي فصادف عوده هناك تمام بناء المسجد الثالث الذي بناه عيسى باي الياوشي فاغتنموا عوده في مثل ذلك الوقت فنصبوه إمامًا به ومدرسًا مع كمال الممنونية فاشتغل هناك بالإمامة والتدريس والإفادة في أنواع العلوم ولا سيما علم القراءة وتجويد القرآن الكريم ولقد كان جيد القراءة ومتقنها وكان في غاية من التقوى والورع والاستقامة والنظافة وقد قرأت عليه مباحث من شرح العقائد النسفية وسلم العلوم والمقدمة الجزرية بالتمام في سنة ١٨٧٣ وما بعدها وكنا نقرأ منها كل يوم بيتين في مدة ساعة وأزيد توفي ببلد طرويسكي في ٢٠ صفر عام ١٣١٣ المصادف تاسع أيلول من عام ١٨٩٥ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وخلف ثلاثة أولاد وعدة بنات.

أكبر أولاده كمال الدين قرأ أولاً في مدرسته بطرويسكي ثم رحل إلى بخارى وأقام بها سنين وأخذ عن علمائها ولما عاد إلى طرويسكي ابتلي بمرض دماغي فمات به قبل التعلق بالدنيا في حدود سنة ١٣١٥ رحمه الله تعالى.

وثانيهم المخدوم الحاج جلال الدين قرأ أولاً في مدرسة والده ثم رحل إلى الحرمين المحترمين وأقام بهما مدة وأخذ عن علمائها ثم عاد إلى وطنه وتشرف بعد ذلك أيضًا بحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام مرارًا وهو مقيم الآن ببيت والده بطرويسكي مشتغلاً بمعاطاة بعض التجارة والزراعة على سبيل المزارعة ومعيشته جيدة بحمد الله تعالى وقد كلفوه بقبول وظيفة والده الإمامة بعد وفاته فلم يقبل وله في هذا الوقت خمسة بنين أنبتهم الله نباتًا حسنًا ووفقهم لما يحبه ويرضاه وجعلهم علماء عاملين وصلحاء كاملين وأغنياء شاكرين آمين.

وثالثهم المخدوم غياث الدين قرأ في مدرسة والده وفي مدرسة المحلة الأولى بعض العلوم ثم ترك الاشتغال بالتحصيل فهو مقيم الآن مع أخيه المذكور ويتعاطى بعض التجارة ولم يتزوج بعد وفقه الله لما يحبه ويرضاه وجعله مستغنيًا بفضله عمن سواه.

وأما بناته فقد كانت إحديهن تحت نكاح الملا حامد أفندي الذي كان إمامًا ومدرسًا ببلدة أورسكي ثم توفي بمنى من الوباء العام سنة ١٣٠٩ رحمه الله تعالى وهي مقيمة الآن بتلك البلدة مشتغلة بتعليم البنات واحديهن تحت نكاح الخليفة الحاج بهاء الدين أفندي وهو مقيم ببلدة طرويسكي وقد عرض له العمى مذ سنين قريبة وكان قد تشرف قبل ابتلائه بها بحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام مرارًا عديدة عوضه الله سبحانه عنهما ما هو خير له منهما في الدنيا والآخرة بموجب وعده الكريم واحديهن تحت نكاح الملا خليل أفندي الذي هو من أحسن تلامذة الملا جمال الدين الآتي ذكره وهو مقيم الآن ببلدة طرويسكي مشتغلاً بالتدريس في المحلة الأولى مؤقتًا بلا منشور.

[جمال الدين بن سبحان قلي]

ومنهم الملا جمال الدين بن سبحان قلي أخذ أولاً عن علماء تلك الديار ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها الكبار ثم صار مدرسًا هناك في إحدى مدارسها وبعد أن درس بها مدة ترك وظيفته وأولاده وعياله هناك وعاد إلى طرويسكي وأقام مدة في برية قزاق بسواحل نهري ايت وطوبل يدرس فبنى له بعض أغنياء طرويسكي مسجدًا ومدرسة في البلدة المذكورة ونصبه إمامًا ومدرسًا بها فاشتغل هناك بالإمامة والتدريس إلى أن توفي في حدود سنة ١٢٩١ رحمه الله تعالى وخلف ولدين ببخارى أحدهما الملا ذاكر أخذ عن علماء بخارى وصار في عداد كبار مدرسيها وقد توفي

هذا العام ١٣٢٥ وكذلك ولده الثاني رحمهما الله تعالى وقد شاركه في الإمامة أخوه الشقيق الشيخ محمد شريف أفندي الذي هو خليفة مولانا الشيخ محمد مظهر قدس سره وهو موجود الآن سلمه الله تعالى ولما توفي الملا جمال الدين أخذ أهل المحلة مكانه الملا خواجه جان مخدوم الصاتشي وقد كان أولاً مدرسًا ببخارى ثم عاد إلى هذه الديار وصار مدرسًا بقرية بكلان ودرس هناك مدة ثم أخذوه إلى بلدة طرويسكي مكان صاحب الترجمة ودرس هناك سنين إلى أن توفي سنة ١٣١٨ وقام مقامه في الإمامة والتدريس ولده الثاني الملا عبد الأحد أفندي سلمه الله تعالى.

[عبد الله السرطاوي البخاري]

ومنهم الملا عبد الله السرطاوي البخاري أصله من قرية صايمان التابعة لقضاء كوزنيتسكي من ولاية سراطاو أخذ عن علماء هذه الديار ثم رحل إلى بخارى وأخذ عن علمائها الكبار ثم صار مدرسًا في إحدى مدارسها وتقلب في منصب التدريس حسب أصول بخارى إلى أن صار مفتيًا بها توفي في حدود سنة ببخارى رحمه الله تعالى وقد قرأت عليه ديباجة شرح التهذيب حين إقامتي ببخارى سنة ١٢٩١ وقد كان دينًا ورعًا تقيًا نظيفًا ذا لهجة صادقة وصاحب الوقار والسكينة وولده الملا حسن مقيم الآن بمكة المكرمة مشتغل بحفظ القرآن والطريقة سلمه الله تعالى ووفقه لما يحبه ويرضاه وابنته تحت نكاح الملا زين البشر وهو مدرس الآن في إحدى مدارس بخارى سلمه الله تعالى.

[فخر الدين الأسايي وإسماعيل التكرمني]

ومنهم الملا فخر الدين الأسايي والملا إسماعيل التكرمني أخذا عن علماء هذه الديار ثم رحلا إلى بخارى وأخذا عن علمائها الكبار وصارا في عداد مدرسيها الكرام واشتغلا بالتدريس إلى أن توفيا قبل هذا بسنين قليلة رحمهما الله تعالى.

[الملا سراج الدين والملا رمضان]

ومنهم الملا سراج الدين والملا رمضان كانا من كبار المدرسين ببخارى ولا سيما الأول منهما فإنه ترقى إلى منصب الإفتاء توفيا عن قريب أيضًا رحمهما الله تعالى.

[محمد جان بن عبد الظاهر الرحمانقلي]

ومنهم أستاذي الملا محمد جان بن عبد الظاهر الرحمانقلي ولد ببلدة طرويسكي في شباط سنة ١٨٣٣ وقرأ في مدرسة الملا أحمد المار ذكره ثم رحل إلى بخارى

وأقام بها مدة وأخذ من علمائها الكبار ثم رجع إلى بلدته طوريسكي وأقام بها مدة ٨ سنوات في المحلة الأولى بلا منشور ثم صار شريكًا لأستاذي الملا شرف الدين المار ذكره الآن في الإمامة والتدريس عام ١٨٧٢ م واشتغل بالإمامة والتدريس والإفادة إلى أن توفي بها في نصف شعبان ليلة البراءة عام ١٣١٨ وقد بلغ من العمر ٦٨ عامًا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وقد قرأت عليه بعض المواضع من شرح العقائد والسلم حين إقامتي بطرويسكي وتوفي في حياته ولداه أحمد جان وصابر جان وقد بلغا مرتبة الكمال وكانا في غاية من الذكاوة والفطنة رحمهما الله تعالى وخلف حين وفاته ثلاثة بنين وبنتًا أما البنت فهي تحت نكاح الملا عبد الوهاب آخون ابن الملا عبد الباري آخون الياوشي القزلياري سلمه الله.

وأما أولاده فأكبرهم المخدوم الملا عبد الرحمٰن وأوسطهم المخدوم الملا ضياء الدين وهما الآن إمامان ومدرسان في مدرسة أستاذي الملا شرف الدين وقد أقاما ببخارى مدة بعد أخذهما مبادىء العلوم بطرويسكي وثالثهم المخدوم شاه أحمد وهو الآن مشتغل بالتحصيل وفقهم الله سبحانه لما يحبه ويرضاه آمين.

[أحمد اللطيف]

ومنه الشيخ أحمد اللطيف أخذ أولاً عن الملا عبد الله الچقمقي المار ذكره ثم رجل إلى بخارى وأخذ عن بعض علمائها وعن بعض مشايخها ثم عاد إلى وطنه وقد ملأ الطرفين من حقبته وصار إمامًا ومدرسًا بقرية طمطق التابعة لقضاء بوكلمة واشتغل بها سنين كثيرة بالتدريس والإرشاد واجتمع في مدرسته كثير من الطلبة واشتهر صيته في الآفاق وتخرج عليه كثير من العلماء وتوفي في ربيع الثاني من هذا العام أعني ١٣٢٥ رحمه الله تعالى وخلف أولادًا كثيرة وهم مشتغلون بالتدريس وفقهم الله لما يحبه ويرضاه آمين.

[خير الله بن عثمان العثماني]

ضياع عظيم وقع في هذه الأيام وهو فوت الآخون خير الله بن عثمان العثماني الأوفري كان أصله من قرية إبراهيم التابعة لولاية أوفا أخذ عن الشيخ كمال الدين الاسترلي طمقي ثم كمل درسه في مدرسة مچكره عند الملا مخلص ثم عاد إلى استرلي طمق ودرس في مدرستها أزيد من عشر سنين ونظمها تنظيمًا جيدًا ثم صار إمامًا ومدرسًا وآخونًا بمدينة أوفا وأسس بها مدارس كبارًا وأصلح الدروس وألّف كتبًا درسية مطابقة للزمان مفيدة جدًا واجتهد في هذا الباب اجتهادًا زائدًا واجتمع لديه كثير من الطلبة وتخرج عليه كثير من العلماء ثم صار في العام الماضي عضوًا للجمعية

الإسلامية مكان القاضي الفاضل رضاء الدين أفندي سلمه الله ففي يوم الخميس سابع شوال واليوم الأول من نويابر (التشرين الثاني) أجاب أمرا رجعي ونحن مشغولون بطبع هذا التاريخ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وروح روحه ونور ضريحه وظني به أنه لم يبق له شيء من الذنوب لأنه طالما تحملوا ذنوبه وكان آخر عهدي به في سلخ شعبان وقد أعطاني بدل واحد من بعض متعلقاته أسكنه الله بحبوحة الجنان آمين.

اعلم أني حين شرعت في تراجم علماء قزان نويت أن أكتب تراجم المشاهير منهم الذين لهم غاية الاشتهار ولهم بعض آثار ولكن لما شرعت في التحرير طغى القلم وخرجت عن دائرة ما نويته في التسطير ولا بأس في ذلك إلا أن وقتي في غاية الضيق ولم أكن مستعدًا لذلك من قبل فاشتبه عليّ الأمر ولم أدر أيًا منهم أكتب وأيًا منهم أترك وصرت كما قال الشاعر، شعر:

تفرقت الظباء على خراش فلا يدري خراش ما يصيد

وصرت أقدم المؤخر وأؤخر المقدم بسبب العجلة وربما لم أذكر تاريخ وفاة بعضهم لعدم علمي به فلما تحققت عجزي عن تحرير تراجم كلهم ولا سيما من لا علم لي بحالهم وتاريخ وفياتهم رأيت أو أوقف مركبي الطليح الضالع في هذا الموقف بالضرورة وأن أكتفي الآن بهذا القدر فالمرجو من مكارم أخلاق الكرام أن لا يجعلوني هدفًا لسهام ملامهم فيما قصرت في تراجم آبائهم وأقربائهم وأساتذهم أو تركتها بالكلية ع.

والعذر عند كرام الناس مقبول

واستنسبت أن أجعل تراجمهم مسكية الختام بذكر أحوال خاتمة المشايخ الكرام تذكرة السلف وحجة الخلف مرشد الطالبين وقدوة الواصلين وجمال العارفين وموصل السالكين عمدة أرباب التحقيق قبلة أصحاب التدقيق شيخ مشايخ تلك الديار مرجع أفاضل الرجال قبلة توجه الآمال.

[زين الله بن حبيب الله الشريفي]

مولانا الشيخ زين الله بن حبيب الله الشريفي الطرويسكي النقشبندي المجددي الخالدي مد الله ظلال إرشاده على مفارق الطالبين آمين ولد في قرية شريف من توابع قصبة طرويسكي في أوائل ذي الحجة من عام ١٢٤٨ المصادفة ٢٥ مارت عام ١٨٣٣ م وصادفت تسميته يوم عيد الأضحى فوضع له الاسم بعد صلاة العيد في ٥ أبريل (نيسان) وكان جده السابع الشيخ مراد قبول مشهورًا في تلك الناحية بالولاية

أخذ مبادىء العلوم في صغره في مدرسة الملا يعقوب بقية آخون ثم رحل لطلب العلم إلى بلدة طرويسكي فسكن بمدرسة الملا أحمد بن خالد المنكاري ثم الطرويسكي المار ذكره وكان حين تحصيله مشهورًا بفرط الذكاء وقوة الفطنة وحين إقامته بطرويسكي توجه سنة من السنين مع القافلة إلى بخارى ولكنه رجع من الطريق لعدم إمكان المضي إلى ما قصد لشدة منع الحكومة من الاختلاط ببخارى ووضعها المترصدين في الطرق والمعابر للأسباب المار ذكرها فأكمل تحصيله في المدرسة المذكورة وصار إمامًا ومدرسًا بقرية حق خواجه وهي قريبة من قريته الأصلية وحيث كان له استعداد تام لم يقنع بالعلم الظاهر بل أراد أن يكون محفوظًا بالعلم الباطن فأخذ الطريقة النقشبندية المجددية أولاً عن الشيخ عبد الحكيم الچارداقلي رحمه الله تعالى وتتصل نسبته إلى مولانا الشيخ محمد معصوم ابن الإمام الرباني قدس سرهما بسبعة وسائط ثم لما تشرف بالحج عام ١٢٨٧ أخذها عن الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستانبولي الخالدي رحمه الله تعالى وجلس فيها أربعين وحيث كان له استعداد تام للطريقة العلية حصلت له الفتوحات الإلهية في مدة قليلة فعاد إلى وطنه شيخًا كاملاً مكملاً ذا نسبة قوية فشرع في تربية المريدين بهذه النسبة الجديدة فاجتمع لديه خلق كثير من المريدين واشتهر صيته في الآفاق وانصرف وجوه الناس إليه على الإطلاق وتركوا غيره من المشايخ فتحركت عروق الحسد من خلفاء شيخه السابق حيث فاقهم جميعهم بل شيخهم مع تركه إياه وقد حصل لأكثر مريديه جذبة قوية وكثرت الصيحات والزعقات في حلق صحبته فاغتنموا هذه الحالة واتخذوه آلة وسببًا للطعن فيه وإلقائه في شبكة الحكومة وتنفير قلوب الناس عنه فشكوه إليها وقالوا إنه صاحب سحر وإنه يجذب الناس إلى نفسه به وإنه كذا أو إنه كذا والحكومة كما عرفت تلتمس أدنى سبب في ذلك الوقت لإهانة العلماء وتسفيرهم إلى الأماكن البعيدة فحبسوه ثم نفوه عن وطنه وسفروه عام ١٨٧٢ م إلى بلدة ميقولسكي[1] من ولاية وولغدا وليس فيها نسمة من المسلمين فأقام بها ثلاث سنين ثم أعادوه منها إلى بلدة كاستراما فأقام بها خمس سنين.

ثم حصلت له الرخصة من طرف الحكومة بالعود إلى وطنه بسعي بعض أهل الخير في ذلك فلما عاد إلى وطنه دعاه حبيب الله باي إلى بلدة طرويسكي للإمامة والتدريس والإرشاد فقبل دعوته ورجاه فتحول إلى البلد المذكور وجاءه فبنى له

(١) هكذا في كتابه بالميم والمشهور أنه بالنون فليحرر. منه عفي عنه.

مسجدًا ومدرسة بمحلة آمور من محلات طرويسكي فسماه مولانا الشيخ بالمعمورية فصارت كذلك لأنها صارت معمورة بالمسجد والمدارس الكبار والخانقاه والذكر وتحول الأهالي إليها من الأطراف والجوانب ببركة قدومه السعيد الشريف فوضع له القبول التام من طرف الله تعالى بين الناس بالاستحقاق فصارت طلبة العلوم وطلاب الطريقة والحقيقة يأتونه من كل فج عميق ولا يزالون يزيدون يومًا فيومًا ويتهافتون إليه تهافت الفراش إلى السراج فكان يزيد في بناء المدارس على مقدار مس الحاجة إليها تارة بماله نفسه وتارة كانت الأغنياء يبنونها بأموالهم من التتار وقزاق والمدرسة الحجرية التي تم بناءها في سنة ١٣٢٣ ليس لها نظير في تلك البلاد سوى المدرسة المحمدية بقزان والمدرسة الحسينية بأورنبورغ وكان أكثر نفقات بنائها من جيبه قيل صرف لبنائه من جيبه فقط ٨٠٠٠ روبلة وقد بنى أيضًا مسافر خانة للواردين وكذلك جعل بيته التحتاني خزانة الكتب ووضع فيه جميع كتبه ووقفها وجعلها تحت نظارة تلميذه وزوج حفيدته بنت ابنته الملا صلاح الدين أفندي ابن الملا حسن الدين الذي أصله من قرية نيقولسكي الواقعة بين أورنبورغ وأورسكي سلمه الله تعالى وجعل المسافرخانة تحت تصرف تلميذه الخليفة خريدارا ابن الخليفة محمديار الذي هو من قدماء تلامذته الذين جاؤوا بلدة طرويسكي معه وفوض إليه خدمة المسافرين الواردين.

والحاصل أن المسجد والمدارس والمسافرخانة وبيته وبيوت أولاده قد استوعبت نصف المحلة وعلى بابه في كل يوم من الصبح إلى العصر عصابة من الناس يزاحم بعضهم بعضًا يأتونه لطلب الشفاء بواسطته من الله تعالى ظاهرًا وباطنًا فإنه أدام الله بقاه كما أنه طبيب الأمراض الباطنة كذلك هو طبيب الأمراض الظاهرة ومائدته ممدودة طول النهار لهؤلاء الواردين يأكل منها الكبير والصغير والغني والفقير ولا وقت له للاستراحة إلا بعد الظهر ساعة يسيرة وكان مد ظله وقف نفسه لنفع عباد الله تعالى وله صيفية بقرب بلدة طرويسكي تستحق أن تطلق لها جنة الدنيا ولكنه لا يسكن فيها إلا قليلًا في فصل الصيف أنشدت له يومًا هذين البيتين للحافظ الشيرازي[1]، شعر:

دويار زيرك واز رطل گهن دومني ... فراغتي وكتاب وكوشهٔ چمني

من أين دولترا بملك خسرو ندهم ... كرچه درپيم افتد هردم انجمني

(١) حافظ الشيرازي: هو شمس الدين محمد الحافظ ابن كمال الدين ابن الشيخ غياث الدين الشيرازي الشاعر العارف، المتوفى سنة ٧٩١ هـ، له ديوان شعره فارسي مشهور (كشف الظنون ٦/ ١٧٣).

وقلت إن الخواجه حافظ الشيرازي لم ينل متمناه فلو نال لما خرج منه وحضرتكم مالكون لمثل هذه الصيفية ومع ذلك لا تنتفعون بها فقال كيف أترك هؤلاء المساكين محرومين وأخيب رجاءهم فيّ وأختار الراحة وهكذا تكون الإنسانية والمروءة والزهد وإيصال النفع والخير إلى الناس لا بمجرد الدعوى باللسان وقد ورد «خير الناس من ينفع الناس» وورد أيضًا «الناس عيال الله وأحبكم إلى الله أنفعكم لعياله». والذي يعاونه في معاينة المرضى وترتيب الأدوية لهم تلميذه الملا فخر الدين بن عماد الدين التورباصلي القوباوي الأوفوي فهو بمثابة الإجزاچي له.

وللشيخ مد ظله الآن أربعة بنين وأربع بنات غير الذين توفوا أما بناته فثلاث منهن متزوجة وأما أبناءه فأكبرهم المخدوم الملا عبد الرحمٰن أخذ العلوم الظاهرة والباطنة عن والده وصار مأذونًا ومجازًا منه فيهما وصار شريكًا في الإمامة والتدريس وتربية المريدين فهو يشتغل الآن بهذه الوظائف وله في التدريس أعوان سوى معلمي صبيان أهل المحلة منهم بل أفضلهم الملا بهمن أفندي ابن فرواج الدين البالخوجوي البوروي الأوفوي من تلامذة الملا نصر الدين البورايي ومن تلامذة مولانا الشيخ صاحب الترجمة مد ظله وأما غيرهم فلم أرهم ولكن أخبروني أن الخليفة عبد الله جان بن محمد جان الطاش كيچوي قرية من قرى ويرخو أورال قد توفي في ١٢ شوال عام ١٣٢٤ رأيت تأسفهم على موته بغاية التأسف يقولون إنه كان أحسن تلامذة مولانا الشيخ مد ظله وأعلمهم وأشدهم استقامة وقد قرأ عليه المخدوم الملا عبد الرحمٰن ولد مولانا الشيخ أدام الله بقاه ورحم الميت المذكور وقد تزوج المخدوم الملا عبد الرحمٰن هذا ابنة الملا حاجي أحمد آخوند الطرويسكي المار ذكره وله منها إلى الآن أربعة أولاد توفي منهم اثنان وبقي اثنان أحدهما ولد ذكر يسمى عبد الرؤوف والآخر ابنة صغيرة أنبتهما الله نباتًا حسنًا.

وثاني أبناء مولانا الشيخ مد ظله المخدوم عبد الله أفندي قرأ أولاً عنده ثم في مدرسة الفاضل الملا عالمجان أفندي بمدينة قزان ثم رحل إلى إستانبول فهو يقرأ الآن هناك في أحد مكاتبها الشهيرة المسماة بالمكتبة الملكية وقد تشرف هذان المخدومان بحج بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام.

وثالثهم المخدوم عبد القادر أفندي.

ورابعهم المخدوم عبد الصبور أفندي وهما الآن يقرآن في مدرسة والدهما أنبتهم الله نباتًا حسنًا وجعلهم علماء عاملين وفضلاء كاملين وموفقين للكمالات وخلفًا صدقًا

لوالدهم ووارثين لكمالاته وحافظين لمقاماته ومدارسه وجعلهم قرة عين له كما جعله إمامًا للمتقين ومقبولاً بين عباده الموفقين آمين بجاه النبي الأمين.

والحاصل أن صاحب الترجمة مد ظله يشبه الإمام الرباني ومولانا خالد قدس سرهما في الشهرة وانتشار صيت كمالاته في كافة الأقطار وتوجه كافة الخلائق إليه للاسترشاد من جميع الآفاق والأقطار على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ووضع القبول بين الناس وتسخير قلوبهم لشخص هو أعظم الكرامات من طرف الله تعالى يكرم بهذه الكرامة من يشاء من عباده لا دخل فيه لأحد والحاصل أن استيفاء مناقبه يقتضي مجلدًا ضخمًا فلنكتف الآن بهذا القدر فإن القطرة تنبىء عن الغدير والقليل يدل على الكثير أبقاه الله سبحانه وتعالى إلى أمد بعيد في عز منيع وقدر لا يزال يزيد وهذه القصيدة التركية أنشأتها في هذا العام حين زرته ورأيت منه مد ظله أنواع الإحسان والانعام أكبرها وأدومها سببيته لنشر هذا الأثر أدام الله مجده وعزه وهي هذه قصيدة:

عمارة ايلدي اوشبو مدارس عالي بنياني
كتب خانه مسافر خانه يعني جاي مهماني
رضاي باري ايچون صرف ايدوب بيكلر له دیناري
منور ايلدي نشر معارف ايله دنياني
ملاذ أهل عرفان ملجأ أرباب استبصار
جمال أهل تقوى مفخر طلاب رحماني
شريعت باغي بأغباني طريقت ملكي سلطاني
دقائق جسمينك جاني حقائق درينك كاني
مسمى شيخ زين الله أفندي نسبتي نقشي
مجددي وخالدي ايلاندر شهرة وشاني
فريد العصر در حقًا وحيد الدهر در صدقًا
علوم ظاهر وباطنده كچدي جمله اقراني
منور مطلع الأنوار مقرب منبع الأسرار
مؤيد شيخ كامل هم مكمل پير نوراني
مؤدب قبله ابرار مهذب قدوه اخيار
مجرب كاشف الأستار بو عصرك عين أعياني

مقام قربده چون بايزيد ثانيدر لكن
تلنده جاري أولمادي سكر حالنده سبحاني
سخاوت بأبيده خاتم طيي كچمس بلا شبهة
فقاهتده هم أزبر ايلمشدر فقه نعماني
ايدوب اسقادر خت نقشبندي آب شرعيله
باقگ كلزاره دونمشدر طريقتنك بيا باني
ايدرسز منزله ايصال مريد صادقي هردم
كشي طويمز طريق خفيه دن چكوب بپنهاني
طوريسكي اكر فخر ايلسه ارشاديله جمله
بلاد اوزره بخارى غبط ايتسه واردر امكاني
قپوسنده شفا جويان تزاحم ايتمه ده دائم
نوغي صارت وقزاق باشقرد ترك ميشرد اغستاني
نوله دركاهينه سو ايتسه مولى جمله عالمني
كه زيرا اسم قيومينه مظهر ايلمش آني
نصل انكار ايدر منكر بوقوله بيلسه گون مولى
بواسمه مظهر ايته شدر لباس وآب ايله ناني
عجبمي نائل مقصد اولو رسه جمله قصادي
بواسمه مظهر اولان اصفيايك او شبودر شاني
كللك اي طالب صادق خلوصيله بو دركاهه
ياپش دامن ارشاده فدا ايت مال ايله جاني
بودولت وارايكان حالا قاچرمه فرصتي الدن
ايش اوتسه نفع ايتمز كيمسه يه بيلكل پشيماني
صاقن ألداما سن منكرنك انكاري وحسادك
در وغى اهل فسقك افتراسي ايله بهتاني
عجبميدر اكر انكار ايدر منكر كما لا تن
چنانچه چشم خفاش كورميور خورشيد تاباني
بو انكاري ايله منكر سوايه هيچ ضرر ايتمز
قزانمز كندينه لكن بونكله غير خسراني

نه بيلسون شوق ذوقي شوقي ذوقي اولميان جاهل
مساويدر عوامك نزديده جوهر له سيلاني
خدايم ايلسون عمرك درازاي مرشد كامل
مشرف ايلسون ارشادك ايله جمله اخواني
إلى يوم القيامه باقي قالغاي ايدي آثارك
مخاديم كرامه يار اولوب توفيق رباني
بو عالي مدرسه معمور أوله دايم معارفله
رياض علم دين اولسون دوام ايتدكچه بنياني
آچلسون آنده أزهار فنون نافعه هردم
ظهور ايتسون بويردن هرطرف آداب ايماني
كلك أي طالب آداب إسلام بو مقام أوزره
غنيمت بيل بو دهرك صفحه سنده بوكبي جاني
عجب روض علوم الدين[1] درر تاريخ اتمامي
٧٥ ١٠٠٦ ١٤٦ ٩٥ / ١٢٢٢ ولكن بر عدد ضم ايتمك ايله أوله تبياني
جزاي خيريله بانيسني مولى مجاز ايتسون
قصور جنة الفردوس أعلى فيلسون أرزاني
رياض علم دين أولسه[1] بوديب تاريخني نظمك
١٠١١ ١٤٠ ٦٤ ٨١٠٢ / ١٢٢٥ بيان ايتدي فقير رمزي خدا عوني ايله آني
كه يعني بيك هم اوچيوزيل يكرمي بيش هجريده
طرويسكيده يوم ثانيسنده ايدي شعباني

هذا وإن كان أنشأ أمثال هذه الأبيات ركيكة الألفاظ حقيرة المعاني في حقه غير مناسب ولكن لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وهذه ما في وسعي ع.

إن الهدايا على مقدار مهديها لا على مقدار من أهدى إليها

ومن عادات الكرام استكثار القليل وبذل الجزيل وليكن هذا تمام المقصد الرابع وليشرع الآن إلى الخاتمة لنختم به الكتاب بعون الله الملك الوهاب.

---

(١) الأرقام تحت الكلمات تشير إلى ما يقابلها بحساب الجمل.

الخـــاتمـة

بـيـان خـواويـن خـان كـرمـان
وقـــريـــم وخـــواويـــن أوزبـــك
ببخارى وخوارزم وقزاق.

الخاتمة

في بيان خواوين خان كرمان وقريم وخواوين أوزبك ببخارى وخوارزم وقزاق نبين كلًّا منها في فرع على حدة لكون كل منها فرع الدوحة الجوجية

الفرع الأول في بيان خواوين خان كرمان

اعلم أن مأخذي في هذا الباب هو مستفاد الفاضل المرجاني ليس إلا فإن هؤلاء الخواوين ليسوا بمذكورين إلا في تواريخ الروسية ولم أجد من يترجم لي منها أحوالهم فبالضرورة اكتفيت بما ذكره الفاضل المرجاني فحقًا لي أن أنشد هنا قول الشاعر شعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن إقبال دولة التتار لما توجهت نحو الإدبار وإدبار حكومة الروسية بالعكس نحو الإقبال شرع أولاد خوانين التتار يهربون نحو الروسية من قريم وقزان وسراي وحاجي طرخان وينتظمون في سلك خدمته وعونته في إفناء دولتهم وجنسهم وملتهم وكانت حكومة الروس تغتنم ذلك وتفرح به وتكرمهم وتدر لهم الأمور وتعطي لهم بعض بلاد الروسية على وجه المعاش والعلوفة ويتصرفون كالملوك مثل بلدة كاشير وسيرپوخ وخوطون وميشچر كما مر كل ذلك أثناء البيان استطرادًا ولا سيما هذا الأخير وهو المسمى بخان كرمان المقصود بيانه هنا فإنه كان كمملكة مستقلة من ممالك التتار ولو من بعض الوجوه فإنه لكونه قريبًا من حدود مملكة قزان اغتنموا وجودهم فيها ليردوا بهم بأس أهل القزان ويستعينوا بهم وقت الحاجة مادة ومعنى كما وقفت على كل ذلك أثناء البيانات السابقة وأعطوهم نوع استقلال الإدارة الداخلية ولو كان نصب الخوانين منهم بيد الحكومة الروسية وهذا البلد كان أولاً يسمى بميشچر وبغراطيس أيضًا على قول الفاضل المرجاني وهو بساحل نهر أوقه تابع الآن لولاية رزان على ٥٤ درجة و٣٩ دقيقة من العرض الشمالي

وعلى رأس ١٠ درجات من طول پيطربورغ الشرقي ولما استوطن فيه المسلمون سمي عندهم بخان كرماني بمعنى قلعة الخان وسمي عند الروسية بقاسم اسكي بمعنى قلعة قاسم نسبة إلى قاسم خان أول من صار خانًا فيها وهو على قول الفاضل المرجاني ابن ألوغ محمد خان القزاني فإن أخاه محمود خان لما قتل أباه ألوغ محمد خان على ما تقدم بيانه وقصد قتله أيضًا هرب مع أخيه الأصغر يعقوب إلى بلاد چركس ثم منها إلى الروسية فأقطعه من معه قلعة ميشچر وأطرافه من الأراضي الواسعة والغابات الكثيفة فخدم الروسية بمن معه في مقابلة إحسانها هذا وقد تقدم بيان بعض خدماته في ترجمة السيد أحمد خان عليه الرحمة والغفران وفي ترجمة إبراهيم خان القزاني فراجع هناك قال الفاضل المرجاني أنه توفي بعيد تلك الوقعة ٨٧٤ سنة.

قلت: تقدم عن كارامزين أنه مات أثناء الوقعة المذكورة في حدود سنة ٨٧٣.

دانيال بن قاسم ولما مات قاسم خان تعين مكانه ولده دانيال وقد سبقت له أيضًا للروسية خدمات كثيرة وقد تقدم في ترجمة السيد أحمد خان أن سبب رجوعه من ساجل نهر أوغر من غير قتال سماعه بأن دانيال ونور دولت هجما على سراي خمن الفاضل المرجاني تاريخ وفاته حدود سنة ٨٨٨.

نور دولت بن حاچي گراي خان القريمي قد تقدم بيان وقائعه مع إخوانه في قريم وقدومه إلى الروسية وبعض خدماته له وكتابة مرتضى خان ابن السيد أحمد خان إليه كتابًا فتذكر قال الفاضل المرجاني أنه صار خانًا في خان كرمان بعد موت دانيال وقال توفي في سنة ولم يرقم له.

صاتلغان سلطان[1] بن نور دولت وهو رابع الحكام بها وقد تقدم إرسال إيوان إياه مع واحد من قواد الروس لمحاربة بعض أولاد السيد أحمد خان عند بيان أحوالهم.

جاناي سلطان بن نور دولت قال المرجاني كونه حاكمًا في خان كرمان في حدود سنة ٩١٤ معلوم الله يار سلطان هو على قول الفاضل المرجاني بن بختيار بن كچي محمد خان السرايي وقد عرفت الاختلاف في والده وأما على ما يفهم من بعض أقوال كارامزين أنه ابن السيد أحمد خان.

---

(١) لفظ السلطان يطلق على اصطلاح أهل قريم على أولاد الخوانين يقال لهم فلان سلطان وكان لفظ السلطان صار جزء العلم ونحن جرينا هنا على اصطلاحهم. منه عفي عنه.

شيخ علي خان ابن الله يار المذكور وهو الذي مر بيان وقائعه في قزان مرارًا وقد عرفت أنه صار خانًا في قزان ثلاث مرات وأنه كان في معية إيوان المدهش عند حروبه بأهل قزان واستيلائه عليها وبالجملة أن الروسية استفادت منه استفادة كلية وقد ذكر كارامزين تنظيمه لعسكر الروسية على أسلوب عساكر التتار بعد استيلائها على قزان والحاصل أن نظام عساكر الروس مأخوذ من نظام عساكر التتار بواسطة هؤلاء الخوانين الخونة والمشهور أن مسجد خان كرمان القديم بناه شيخ علي خان هذا وقيل بناه قاسم خان وإنما رممه شيخ علي خان وعلى كلا التقديرين فالموجود منه أولاً هو الطبقة السفلى وأما العليا فقد زاده بعض أعيان خان كرمان كان وفاته على قول الفاضل المرجاني سنة ٩٧٤ بخان كرمان.

صاين فولاد بن بيك بولاد ابن بهادر بن السيد أحمد خان صار خانًا بها بعد موت شيخ علي خان.

مصطفى علي بن عبد الله بن آق كباك بن مرتضى ابن السيد أحمد خان وهو العاشر من خوانين خان كرمان قال المرجاني توفي في حدود سنة ١٠٠٠.

أوراز محمد بن أوندن بن شغاي بن ياديك بن جاني بيك بن براق خان المار ذكره ومن بعده كانوا من خوانين قزاق تعين خانًا بخان كرمان في سنة ١٠٠٨ وتوفي في سنة ١٠١٩.

أرسلان علي خان بن علي خان بن كوچم خان السيبري المار ذكره تعين خانًا في خان كرمان سنة ١٠٢٣ وتوفي سنة ١٠٣٦ وقد يذكر في حقه ما لا ينبغي ذكره[١] والله سبحانه أعلم.

السيد برهان بن أرسلان علي خان المار ذكره آنفًا كان والده على ما زعم من السادات من عائلة منهم تسمى شاه قل قيل بقي من أبيه في سن ثلاث ووجهت إليه خانية خان كرمان في حدود سنة ١٠٢٩[٢] ثم جرى فيه ما ينقبض الإنسان من ذكره في حدود سنة ١٠٦٥ ومات في سنة ١٠٩٠.

---

(١) وهو ما كتبه بعضهم في هوامش بعض الكتاب كتب محمد كراي بن سلامت كراي إلى الكسي بن ميخايل أنك أمرت بتخريب المساجد وإحراق المصاحف ونصرت أرسلان الكرماني يعني حملته على التنصر. منه عفي عنه.

(٢) هكذا ذكر الفاضل المرجاني مع أنه صرح ببقاء أرسلان علي خان إلى سنة ١٠٣٦ فليحرر. منه عفي عنه.

فاطمة سلطان ابنة السيد آق محمد ابن السيد بولاك ابن السيد شاه قل زوجة آرسلان علي خان المذكور آنفًا حكمت بعد موت ابنه السيد برهان المذكور آنفًا وتوفيت سنة ١٠٩٤ وبموتها انقرضت الخانية في خان كرمان وفي أطرافها وجوانبها الآن عدة من قرى المسلمين فيها المساجد والمكاتيب وقد تقدم في الجدول أن عدد نفوس أهل الإسلام في ولاية رزان ٦٧٦٦ وأن المساجد بها ١٠ وهؤلاء هم المرداون بها وقد زاد الآن في نفس قصبة خان كرمان مسجد آخر وهم أرباب التجارة والمكاسب وفيهم الذكاوة والسخاوة والمروءة.

الفرع الثاني في خواوين قريم

قد تقدم منا بيان الاختلاف في جد خواوين قريم أنه ألوغ محمد أوكچي محمد وقد بينا خطأ القول بكونه ألوغ محمد وصوبنا القول بكونه كچك محمد وفقًا لما ذكره أبو الغازي خان حيث قال نازلاً: چنكز خان ولده جوجي خان ولده توقاي تيمور ولده أوزتيمور ولده ساريچه ولده كونجك أوغلان ولده تولك تيمور ولده جينه ولده حسن أوغلان وكان يقال له إيچكلي حسن ولده محمد خان ولده تاشتيمور ولده غياث الدين ولده حاجي گراي ولده منكلي گراي إلى آخره وقد اختاره الفاضل المرجاني عند تعداده خوانين قريم وكذلك قال في آخر بيان السلالة التوقتامشية أن خوانين قريم من أولاد تولك تيموراخي توقتامش خان اهـ. (صوابه أخي جد توقتامش خان كما لا يخفى) إلا أن في تاريخه سقط ساريچ بين أوزتيمور وكونجك ولعله من الطابع وكذلك ذكره السيد محمد رضا أفندي في السبع السيار[١] وحليم گراي أفندي[٢] في كلبن خانان إلا أنه سقط في تاريخهما محمد خان ووالده إيچكلي حسن ووقع بدل جينه جاناسي وسقط أيضًا في نسختهما ساريچه وكذلك ذكره الحاج عبد الغفار أفندي القريمي إلا أنه جعل حاجي گراي ولد دولت بردي بن تاشتيمور وجعل غياث الدين أخًا لدولت بيردي وسقط في نسخته محمد خان وذكر والده إيچكلي حسن والحاصل

---

(١) في كشف الظنون ٢/ ٩٧٦: كتاب «السبع السيار» لحافظ الدين محمد بن أحمد بن العجمي المتوفى سنة ٩٥٧ هـ. وهناك كتاب آخر باسم «السبع السيار» وهو رسالة للمولى مصطفى بن حسن الجناني المؤرخ المتوفى سنة ٩٩٩ هـ، في بحث علوم القيافة والفراسة والغالب والمغلوب والكف والكتف ومقادير الأصابع (كشف الظنون ٢/ ٩٧٦).

(٢) حليم كراي أفندي: هو حليمكراي بن شهباز كراي القريمي، الكاتب الشاعر، نزيل القسطنطينية سكن بقرية جتالجة ومات بها سنة ١٢٣٩ هـ، له: «ديوان شعره تركي»، «كلبن خانان» في تاريخ التتار تركي (كشف الظنون ٥/ ٣٣٣).

إذا قطعنا النظر عن بعض الاختلافات بالزيادات والنقصان والتبديل أمكن لنا أن ندعي الإجماع على كون جد خوانين قريم هو محمد خان بن إيچكلي حسن فجعل كچي محمد خان ابنًا لتيمور خان إبداع محمد خان ثالث ولم يقل به أحد بل هو أعني كچي محمد خان وابن إيچكلي حسن وجد خوانين قريم والحاصل أن كچي محمد هذا انسحب إلى ولاية قريم بعد وقعة إيدكو وقادر بردي وبقي طائفة إيدكو وأولاده روسخان في سراي وما والاها وصار ألوغ محمد خان بن تيمور خان خانًا بها أعني بسراي بعد اللتيا والتي ثم بعد مدة غلب عليه كچي محمد خان وطرده من سراي وصار خانًا بها وبقريم ثم استقل قريم أيام دولت بردي وحاجي گراي خان والظاهر أن ذلك كان بعد موت كچي محمد خان وتولية السيد أحمد خان في حدود سنة ٨٥٠ والله سبحانه أعلم.

والذي التزمنا ذكره هنا هو هذا القدر وسائر أحوالهم مبينة في السبع السيار وكلبن خانان إلا أنهما غير كافيان في بيان أحوالهم بل لا بد لمن أراد الاطلاع على حقيقتها من الأخذ عن تواريخ الروس خصوصًا تاريخ كارامزين ولعل بعض أرباب الهمة يصرف عنان همته نحو جمع تاريخ جامع فيها والله سبحانه الموفق.

الفرع الثالث في خواوين أوزبك ببخارى وخوارزم

وإنما جمعنا هذين الفرعين في فرع واحد باعتبار أصلهما فإن أصلهما واحد والمقصود هنا بيان ذلك الأصل فقط لا تفصيل أحوالهما فإنه خارج عن مقصودنا لأنه يستدعي مجلدًا ضخمًا وإنما تعلق قصدنا بذكر أصلهما لغلط أهل الآوروپا والذين يأخذون المعارف والأمور التاريخية عنهم وقد قال رفاعة بك في ترجمة جغرافيا ملطبرون الفرنساوي عند ذكر إقليم بخارى وأمة الأزبك الذين هم التتار المنصورون الذين أقاموا دولة ذات شوكة في بخارى فصار كرسي هذه الدولة يتعاقب عليه عدة خانات من سنة ١٤٩٣ إلى سنة ١٦٥٧ من الميلاد يظهر أنها كانت ساكنة في هذا الإقليم من القرن الثالث إلى الرابع من الميلاد اهـ.

وإذا نظرت إلى مادة أوزبكان من قاموس الأعلام لشمس الدين بك سامي[1] يظهر لك تقليده للإفرنج تقليدًا بحتًا وإذا نظرت إلى ذيل رحلة ماغمان الأميريكي إلى

(١) قاموس الأعلام: تركي في التاريخ والجغرافيا والأسماء الخاصة، للأديب الكاتب مير شمس الدين محمد سامي الأرنبودي الرومي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ، (كشف الظنون ٤/٢١٨).

خيوه لبعض العثمانيين ترى الخلط أكثر فإنه يتقارب إلى المقصد تارة فرسخًا ويتباعد عنه أخرى بريدًا فإنه قال وبعد انقطاع نسل عبد الله خان البخاري بقتل عبد المؤمن خان انتقل حكومة بخارى من نسل باتو خان إلى أولاد أژدر خان ثم انتقلت في سنة ١٢٠١ مرة ثانية إلى الأوزبكيين ولم يدر أن عبد الله خان والحاجطرخانيين يتحدون في جوجي خان لا في باتو وأن كلهم أوزبكيون وأن الذي كان في مسند الخانية ببخارى في سنة ١٢٠١ كان شاه مرادبي المنغتي ولم تنتقل حكومة بخارى من الحاجطرخانيين إليه بل كان انتقالها منهم إلى مؤسس الدولة المنغتية وأولهم رحيم خان بن حكيم بي في سنة ١١٧٠.

ثم ترقى في نشر المعلومات وقال: إن خوانين أوزبك كانوا وقتًا ما يعزلون حكام الروس مثل ميشل (ميخايل) الثاني ويوريا وديمتري وينصبونهم كما شاؤوا اهـ. يزيد بذلك ما مر في ترجمة أوزبك محمد خان عليه الرحمة فزعمه من الخوانين الأوزبكية الخوارزمية الذين هو في صدد بيانهم ولم يدر أن أوزبك محمد خان هو أصل تلك الطائفة والمنسوب إليه فلا يقال له خان أوزبكي كما لا يقال لنفس قريش قرشي ولنفس چنكز چنكزي فإن الشيء لا ينسب إلى نفسه والحاصل اطلاعي على أمثال هذه الخرافات اضطرني أن أذكر هنا أصلهم وسبب تسميتهم به وإن سبق بيانه في الجملة عند بيان تشكل دولة سراي وأثناء بيان أحوال أوزبك خان مع أنه خارج عن موضوع كتابي هذا.

فأقول: قد تقدم أن دولة سراي سميت بمملكة باتو وبركة نسبة إليهما وبمملكة أوزبك أيضًا نسبة إليه وحيث كان أوزبك خان متأخرًا عنهما وأشهر خوانين سراي وأكثرهم اختلاطًا بملوك مصر ومحاربة بملوك إيران كان اشتهار تلك المملكة بمملكة أوزبك أزيد وأكثر من اشتهارها بمملكة باتو وبركة بل نسخت هذه النسبة وتنوسيت بالكلية في عصره حتى قيل لكل من كان تحت تصرفه وحكمه أوزبكا كما نقلنا هذا في ترجمته عن أبي الغازي خان حيث قال ما معربه: وبعد ذلك يعني بعد دخول أوزبك خان في دين الإسلام وإدخاله سائر التتار فيه وتجديده دولة سراي قيل لكافة مملكة جوجي مملكة أوزبك وكذلك يقال إلى يوم القيامة اهـ، وهاتان العائلتان أعني عائلة خوانين أوزبك ببخارى وعائلة خوانين أوزبك بخوارزم من قوم أوزبك محمد خان المذكور ومن أبناء أعمام آبائه وجدوده فإن أول من أسس الدولة الأوزبكية بما وراء النهر بعد نزعها من يد التيمريين هو أبو الفتح محمد خان الشيباني المعروف أيضًا بشيبك خان ابن شاه بداق بن أبي الخير خان بن دولت شيخ ابن إبراهيم بن

فولاد بن ميكتيمور الملقب بكولوك بن باداقل بن جوجي بوغا بن بهادر بن شيبان (في الأصل چوپان) بن جوجي بن چنكز خان.

وأول من أسس الدولة الأوزبكية في خوارزم بطرد العجم منها[١] هو إيلبارس خان بن بركة سلطان ابن بادكار بن تيمور شيخ ابن حاجي تولي بن عرب بن فولاد المذكور في النسب السابق فهاتان العائلتان تلتقيان في فولاد المذكور وكذلك عبيد الله خان وعبد الله خان من مشاهير خوانين أوزبك ببخارى من هاتين العائلتين أيضًا فإن عبيد الله خان بن محمود بن أبي الخير خان المذكور في النسب الأول وعبد الله خان بن إسكندر خان بن جاني بك خان بن خواجه محمد بن أبي الخير خان المذكور على الظاهر المشهور وأما على قول أبي الغازي فجاني بيك خان بن بركة[٢] سلطان ابن يادكار المذكوران في النسب الثاني وعلى كل حال فهم أيضًا من إحدى هاتين العائلتين بلا اشتباه.

وأما العائلة الثالثة من خوانين أوزبك ببخارى المشهورة بالعائلة الحاجطرخانية فليسوا بذرية شخص يسمى اژدر خان كما زعم بل من ذرية توقايتيمور بن جوجي بن چنكزخان فإن أول من ملك منهم ما وراء النهر بعد طرو الضعف على دولة الشيبانية إمام قلي خان بن دين محمد بن جاني سلطان ابن يار محمد بن منغشلاق بن چواق بن محمد خان بن تيمور سلطان بن تيمر قتلغ خان بن تيمور بك أوغلان بن قتلغ تيمر خان بن تومغان بن آباي بن أوزتيمور بن توقاي تيمور بن جوجي بن چنكز خان.

وأما العائلة الرابعة من خوانين أوزبك بما وراء النهر وهي العائلة الحالية فهي من قبائل منغت وهي قبيلة مشهورة من قبائل أوزبك إلا أنها ليست من السلالة الچنكزية.

---

(١) وذلك أن العجم استولوا عليها أيام شاه إسماعيل الصفوي وانتزعوها من يد عمال محمد خان الشيباني وبعد مضي خمس أو ست سنين منه دعا أهل خوارزم إيلبارس خان المذكور من دشت قفچق بدلالة السيد حسام الدين القتال وطردوا العجم منها ونصبوه خانًا عليهم وكان ذلك في سنة ٩١١ والظاهر أن ذلك كان بعدها بسنتين أو ثلاث. منه عفي عنه.

(٢) وذلك أنه يقول إن خواجه محمد تزوج زوجة بركة ملاي خان زاده ابنة الميرزا قوجاش وكانت حبلى من بركة ومضى من حملها شهران إلا أنها كتمت حملها فولدت بعد سبعة أشهر ولدًا سموه بجاني بيك فظن خواجه محمد أنه ولده لأنه كان أبله ناقص العقل فجاني بيك في الحقيقة ولد بركة هذا كلامه والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال منه عفي عنه.

وأما العائلة القونكراتية التي ملكت مملكة خوارزم بعد انقراض الدولة الشيبانية وسائر الچنكزية فيها وامتدت حكومتهم إلى الآن فهي أيضًا من قوم أوزبك فإن قبيلة قونكرات التي هي أصل هذه العائلة قبيلة كبيرة شهيرة من قبائل أوزبك الكثيرة إلا أنها ليست من السلالة الچنكزية كسابقها.

والحاصل أن السلالة الچنكزية انقرضت من بخارى سنة ١١٧٠ ومن خوارزم في حدود سنة ١٢٢٠ وأما العائلة الأوزبكية المالكة فيهما فهي موجودة إلى الآن لم تنقطع بعد وإن كانت بحسب الاسم فقط وهذه خلاصة هذه المسألة التي طالما خبط فيها الإفرنج والمتفرنجون وتحيروا فيها مع أنها مذكورة بالتفصيل في تاريخ أبي الغازي خان وهو موجود بيد الإفرنج ومشهور فيما بينهم.

وأما وجه اختصاص هذه العوائل وأهالي تلك الممالك بالتسمية بأوزبك والاشتهار به دون خوانين أصل مملكة أوزبك أولى به هو أن الاشتهار باسم ولقب إنما يكون في الخارج لا في الداخل وحيث كانت أهالي مملكة أوزبك مشهورين في بخارى وما والاها من ممالك چيغطاي بأوزبك وكثر وقت خروج تلك العوائل استعمال هذا اللفظ بقولهم جاء أوزبك هجم أوزبك استولى أوزبك فعل أوزبك ترك أوزبك اشتهروا بذلك الاسم بالضرورة بخلاف أهالي ممالك سراي وقزان وقريم وخوانينهم فإنهم كانوا مشتهرين عند جيرانهم الروس وله وغيرهم باسمهم الأصلي تتار وداموا على هذا إلى الآن وكذلك أولاد چيغطاي لما استولوا على مملكة مغل اشتهروا عند جيرانهم أهل ما وراء النهر وفرغانة بمغل وهذا حال التعجب منه الفاضل المرجاني حيث قال أثناء بيان ظهور التتار ما معربه: والعجب أن هذا الاسم يعني اسم أوزبك وإن كان اسم خوانين هذه المملكة يعني مملكة سراي وقزان وقريم صار اسمًا لأتراك تركستان وما وراء النهر واستقر فيهم تبعًا لأولاد أبي الخير خان وزال عنهم اسم چيغطاي وزال عن قوم بلغار اسم أوزبك بالكلية وبقي فيهم اسم التتار وأطلق على أولاد جيغطاي وأهالي كاشغر اسم المغل اهـ.

والحاصل أن ذرية توقاي تيمر بن جوجي صاروا خوانين في سراي وقزان وقريم وبخارى وقزاق وذرية شيبان صاروا خوانين في سيبر وبخارى وخوارزم وقزاق وكانوا أعني أولاد توقاي تيمور وشيبان يعدون من خوانين آق أوردا وقد تقدم أن أوردا وباتو ابنى جوجي قدما على جدهما چنكز بعد موت أبيهما جوجي فنصب جدهما چنكز حفيده باتو خانًا لمملكة جوجي وأعطاه خركاهًا أزرق المسمى بأوردو وأعطى حفيده

أوردا خركاهًا أبيض ومنحه إمارة الجيش وقيادة العسكر ولكن لم ير بعد ذلك ذكر أوردا ولا ذكر أولاده في التواريخ وكذلك ذكر سائر أولاد جوجي غير بركة واختص أولاد توقاي تيمور وشيبان بخانية آق أوردو وإمارته وقدم ذكر وقائع أرض خان وأولاده وتوقتامش خان وأولاده مستوفى وأما شيبان وأولاده فقد قال أبو الغازي خان إن باتو خان لما رجع من سطو الروس أعطى أخاه الأكبر أوردا بن جوجي عشرة آلاف بيت وقال: أنت الذي دبرت أمرنا وكان لقبه ألچن[1] وأعطى أخاه الأصغر شيبان خمسة عشر ألف بيت ومملكة كورل (لهستان) وقبائل قوشچي ونايمان وقارلق وبويرك وقال له: ليكن مقرك بيني وبين أخي الأكبر ألچن وليكن مصيفك سواحل أرغز سلوق دا وأوروايلك إلى جبال أورال في شرقي نهر جايق ومشتاك أراقوم وقراقوم وسواحل سير (نهر سيحون) وأسافل نهري چووصاري فامتثل شيبان ما أمر به أخوه باتو خان في مصيفه ومشتاه إلى أن مات وخلف اثني عشر ولدًا أحدهم بهادر المار ذكره في بيان نسب خوانين بخارى وخوارزم الأوزبكيين وكذلك سلك أولاده وأحفاده مسلكه في ذلك وبالجملة كان مقرهم في شرقي سراي والشمال الشرقي منها أعني معظم برية قزاق وكان في سواحل نهر سيحون الشهير بنهر سير في ذلك الوقت مدائن كثيرة كصغناق وصبران المسماة أيضًا باسبيجاب التي خرج منها كثير من أعاظم العلماء وجند (بفتح الجيم) وبليدة تركستان وطراز ويقال لها أيضًا تراس وهي أيضًا كانت سابقًا مقر أكابر العلماء وأترار إلى غير ذلك من المدن الكثيرة الشهيرة إلا أن كثيرًا منها صارت خربة بسبب الحوادث والوقائع المتتابعة بعضها بعضًا كوقائع خوارزمشاه مع الخطائيين ووقائع چنكز خان بعده ووقائع توقتامش خان مع أرص خان ووقائعه مع تيمرلنك إلى غير ذلك من الوقائع وقد عين مستر شيللر الأمريكي خرابة صغناق وصبران فوق قضالي وأقمسجد من سواحل سيحون وقد رأيت الفقير خرابة بين آقمسجد وقصبة تركستان بساحل نهر سيحون من بعد حين ذهابي من طرويسكي إلى طاشكند قبل هذا التاريخ بسنة ٣٣ وهذا ذكرناه على سبيل الاستطراد.

فلنرجع الآن إلى ما كنا بصدد بيانه فنقول: لم يكن في ذرية شيبان من له شهرة في التواريخ يذكر بها إلى أبي الخير خان وأما هو فقد كان من مشاهير

(١) فهذا يدل على أن قبيلة ألچن من ذرية أوردا بن جوجي ولعل هذا هو الصواب ولذا لم يذكره أبو الغازي عند ذكره قبائل الأتراك. منه عفي عنه.

خوانين عصره في تلك الأقطار وأعظمهم وأشدهم بأسًا وقوة وشوكة بحيث كانت الحكام المتجاورون له يهابونه ويخافون بأسه وسطوته وقد قتل كثيرًا من ذرية جوجي توهمًا منه عدم انقيادهم له وإطاعتهم إياهم وقد قيل إنه هجم على خوارزم وانتزعها من أيدي عمال شاخرخ بن تيمرلنك وسنه في ذلك الوقت لم يجاوز العشرين وقد التجأ إليه السلطان أبي سعيد بن الميرزا محمد بن ميرانشاه وانتصر بمعونته على حاكم سمرقند الميرزا عبد الله ابن الميرزا إبراهيم بن شاهرخ وقتله وانتزع سمرقند من يده وصار سلطانًا بها وبخراسان وتزوج أبو الخير خان زوجة الميرزا عبد الله المذكور ابنة الميرزا الغ بك وكان ذلك في الجمادى الأولى على قول شرف الدين خان البتليسي وفي الجمادى الأخرى على قول صاحب روضة الصفا[1] في سنة ٨٥٥[2] بالاتفاق ولم يذكر في روضة الصفا تزوجه زوجة الميرزا عبد الله وقال أبو الغازي خان أنه تزوج[3] أخت الميرزا عبد اللطيف ابن الميرزا الغ بك فالتجأ إليه محمد جوكي ابن الميرزا عبد اللطيف واستمد به بتلك المناسبة على السلطان أبي سعيد فأمده بعساكر أوزبك الخ ووقعة الميرزا جوكي هذه مسطورة في روضة الصفا إلا أنه لم يذكر إمداد أبي الخير خان وقد التجأ إليه أيضًا الميرزا حسين بن بايقرا واستمد منه وبينما هو في إعداد العساكر لإمداده مات فجأة بعلة الفالج فوقع الاختلال في مملكته فهرب السلطان حسين بن بايقرا إلى جهة خوارزم وكان ذلك في سنة ٨٧٣.

وفيها توفي أيضًا السلطان أبو سعيد وأبو الخير خان هذا ليس هو أبو الخير الذي استسلم للروسية فإنه متأخر عن هذا بمائة عام وبعد وفاة أبي الخير خان جلس مكانه حيدر خان فاتفق سائر الخوانين من ذرية چنكز خان على حربه لما حصل لهم الأذى الكثير من أبي الخير خان وهجموا عليه وقتلوه ونهبوا جميع ما في معسكره ومسكنه وقتل معه عدة من سائر أولاد أبي الخير خان وأحفاده وهرب الباقون وممن دخل في الاتفاق على قتل حيدر خان بركة بن يادكار المذكور في عمود نسب خوانين

---

(١) روضة الصفا: هو كتاب «روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء» فارسي، لميرخواند المؤرخ محمد بن خاوند شاه ابن محمود، المتوفّى سنة ٩٠٣ هـ، (كشف الظنون ١/ ٩٢٦).

(٢) وما سوى ذلك فخطأ محض. منه عفي عنه.

(٣) ولعل تزوجه صحيح مع قطع النظر عن كونها زوجة الميرزا عبد الله ويؤيده ما قيل إن زوجة أبي الخير خان رابعة بيكم ابنة الميرزا الغ بك مدفونة في اتصال تربة الشيخ أحمد اليسوي قدس سره بقصبة تركستان. منه عفي عنه.

خوارزم الأوزبكية وقد كانوا قبل ذلك على مصافاة وموادة تامة فوقعت بعد ذلك العداوة بين العائلتين المذكورتين حيث أن محمد خان الشيباني قام بعد ذلك وقتل بركة المذكور غيلة فاستحكمت العداوة بعد ذلك بينهما.

وأما أبو الفتح محمد خان الشيباني فقد تقدم أنه ولد شاه بداق بن أبي الخير خان وأما والدته فقد قال في روضة الصفا في ترجمته أن أباه بوداق خان تزوج بأمه نوري بيكم في المحل الذي استمد فيه السلطان حسين بن بايقرا من جده أبي الخير خان وكان تولده في سنة ٩٠٥ وقال في ترجمة السلطان حسين بن بايقرا أنه لما نزل في شهروزير من بلاد خوارزم ضيفًا لمصطفى خان خطب منه پير بوداق أخو مصطفى خان أخته فزوجها منه ولم يسم هنا اسمه وكان ذلك في سنة ٨٦٤ وقال في ترجمة السلطان حسين أيضًا: قد سبق أن السلطان لما هرب من السلطان أبي سعيد زوج أخته بديع الجمال بيكم من پيربوداغ السلطان أحمد خان الذي كان ممتازًا من بين سائر خوانين دشت قفچق بمزيد الشوكة فولد له منها ولدان وبنت ثم مات پيربوداغ خان ولما توجهت بديع الجمال بيكم زيارة أخيها السلطان حسين تركت ولدها الأكبر محمود خان في مستقر سلطنة آبائه وأجداده وأخذت ولدها الأصغر بهادر سلطان وبنتها خان زاده خانم معها الخ فعلم من ذلك أن التي زوجها من پيربوداغ في وزير سنة ٨٦٤ هي بديع الجمال بيكم وأما التي تزوجها بوداق خان عند قدوم حسين بن بايقرا إلى أبي الخير خان أهي أخت السلطان حسين أو غيرها فإنه لم يذكر هناك أنها أخته كما ترى ولكن المفهوم من سياق كلامه أنها أخته وألا يكون ذكر السلطان حسين هناك عبثًا ثم إذا كانت هي أختها هل بوداق خان هذا هو پيربوداغ أو غيره فإنه ذكره هناك بعنوان بوداق فقط كما عرفت إلا أن التاريخان لا يتوافقان فإن قدومه إلى أبي الخير خان كان في حدود سنة ٨٧٢ وثانيًا قال: إنه ولد له ولدان أكبرهما محمود وأصغرهما بهادر ولم يذكر محمدًا فإن قلنا: إنه ذكر محمدًا بعنوان بهادر يدفعه جعله أصغر من محمود فإن أبا الغازي خان قال: إن محمدًا هذا أكبر ولدي شاه بداق ومحمود أصغرهما والظن الغالب أن أمر الزواج هذا واحد وهو الذي ذكره صاحب روضة الصفا في سنة ٨٦٤ والمتزوج هو شاه بداق لا بوداق فقط ولا پير بوداغ بل وقع هذان هكذا من قلم النساخ وإنما قال في المحل الذي استمد الخ ولم يقل في العام أو في التاريخ الذي استمد فيه من أبي الخير خان فإن المحل واحد لكون الوزير تابعًا لحكم أبي الخير خان في الوقت المذكور ويؤيده ذكره وقوع النزاع والقتال بين پير بوداغ وبين مصطفى خان بسبب هذا الزواج لطلب مصطفى خان إياها أعني أخت

السلطان حسين بن بايقرا منه قبل طلب پير بوداغ بإرسال رسول إلى أسترآباد ووعده له بالتزويج فلو كان له أخت أخرى لزوجه منه.

وأما تعبيره منه تارة بنوري بيكم وتارة ببديع الجمال بيكم فلعله تحريف من النساخ أو احدهما محمول على اللقب وأما تاريخ ولادة محمد خان الشيباني فغلط بلا مرية فلعله ٨٦٥ سنة وهو العام الثاني من تزوج شاه بداق والله سبحانه أعلم وهذا هو غاية صرف الجهد في التطبيق بين هذه الأقوال المتباينة فإن صادف هدف الصواب فيها وإلا فلا ضير.

وبالجملة أن محمد خان هذا كان صاحب شهامة وشجاعة وفصاحة وعلو همة وكان شاعرًا وكان تخلصه في الشعر على عادة شعراء الأتراك والفرس شاه بخت وكان شهيرًا به وشيبك خان وشيباني خان لقد تقلبت به الأحوال في دشت قفچق وحدود تركستان لطلب الملك وظهر في حقه معنى والحروب سجال وجرى له فيه محن وشدائد حتى هرب مرة إلى بخارى أيام سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان أبي سعيد ولازمه مدة في سمرقند بواسطة عبد العلي طرخان ثم عاد منها إلى تركستان ووفق لجلب رعايا آبائه وجدوده إلى نفسه وبعد موت السلطان أحمد خان ابن سلطان أبي سعيد خان طمحت به نفسه إلى ملك ما وراء النهر لما رأى من وقوع الاختلال والاغتشاش فيها ولعل هذا النزوع منه كان من جهة أمه أو أراد أن يأخذ انتقام توقتامش خان من أولاد تيمرلنك وعلى كل حال نهض قاصدًا ما وراء النهر واستولى على سمرقند من غير مدافعة شديدة وقتل سلطانها السلطان علي ابن السلطان محمود وتزوج بأمه زوجة السلطان محمود وقتل خواجه يحيىٰ ابن الخواجه عبيد الله الأحرار قدس سرهما لكون الأمر والحل والعقد كلها بيده ولكونه هو الذي حرض السلطان علي على المدافعة وقتل الخواجه أبا المكارم شارح مختصر الوقاية وذلك لدعوته الميرزا بابر من اندجان لمحاربة محمد خان الشيباني وتسببه لإراقة دماء نفوس كثيرة من الطرفين والحاصل أنه استولى على كافة ممالك ما وراء النهر وفرغانة والشاش وخوارزم وبدخشان وخراسان في مدة قليلة وطرد التيمريين منها.

قال في روضة الصفا إنه اتخذ سمرقند دار ملكه وفوض ولاية بخارى لأخيه محمود وفوض ممالك تركستان لأعمامه كوچكنچي خان وسونج سلطان حفيد ابنة[1]

(١) وهذا صريح في أن أبا الخير خان تزوج ابنة الميرزا الغ بك. منه عفي عنه.

الميرزا ألغ بك اهـ والحاصل أنه أخذ ثأر توقتامش خان وأهالي مملكة الدشت وسراي بعد ١٠٨ سنوات قتل رحمه الله تعالى على يد شاه إسماعيل الصفوي يوم الجمعة المصادف آخر شعبان أو أول رمضان بقرب مرو الشاهجان سنة ٩١٦ رحمه الله تعالى.

وبعد هذه الوقعة الهائلة كاد ملك ما وراء النهر يخرج من أيدي الشيبانيين بواسطة إمداد شاه إسماعيل الميرزا بابر إلا أن همة عبيد الله خان ابن محمود ابن شاه بداغ وشجاعته وشهامته صارت حاجزة قوية وحصنًا منيعًا عن إصابة غبار هذه المذلة والرذالة أذيال عزهم وسلطنتهم وشوكتهم حيث قتل النجم الثاني قائد جيش شاه إسماعيل غيره من كبراء تلك الطائفة الخبيثة وهرب الميرزا بابر وتعقب عسكر أوزبك فراري الرفضة إلى هرات فبعد ذلك استحكمت سلطنتهم بما وراء النهر وامتدت إلى الآن حسبما شرحناه وفصلناه سابقًا وبعد ذلك الأمر لله بل لله الأمر من قبل ومن بعد ولم يتجاسر الرفضة بعد ذلك أن يهجموا على ما وراء النهر وأن يقصدوه بل كان عبيد خان هو الذي كان يهجم على بلادهم دائمًا إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ٩٤١ بعد أن حكم ٣٠ سنة كاملة رحمه الله تعالى وكان عاقلاً مدبرًا شجيعًا شهمًا منصفًا دينًا عالمًا تقيًا صالحًا صاحب الخيرات والمبرات وكثير الغزوات وقد ذكر القهستاني والبرجندي اسمه وأوصافه في ديباجة شرحهما لمختصر الوقاية وله تفسير للقرآن يسمى بالفوائد الخاقانية وقد وقع بينه وبين السلطان سليمان القانوني عليه الرحمة مراسلات ومكاتبات واتفاقات على دفع الصفوية الرافضية من البين وكان قد حصل لو لم يكن من الطرف الآخر الخلف والفشل ولذلك قرب الشاه طهماسب القرابين وفرق الصدقات حين سمع وفاته وكذلك سلك خلفه عبد الله خان الشهير مسلكه في جميع ما ذكر.

والحاصل أن بلاد ما وراء النهر كانت في عصر هؤلاء الخوانين الأوزبكية آمنة مطمئنة ولا سيما أيام سلطنة هذين الضرغامين بخلاف أيام حكومة التيمرية وقبلها فإنه كثرت فيها الفتن جدًا وكافة مدارس بخارى الكبار والرباطات إنما بنيت في عصر هؤلاء الخوانين الأوزبكية وزادت معمورية تلك الديار جدًا إلا أن ذاك الهدوء والسكون والأمن والأمان أورث أهاليها البطالة والكسالة والرخاوة والجبانة بل والبلادة فوصلوا إلى هذه الحالة التي لا تحتاج إلى التعريف ولله در القائل.

شعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوا والعيش بعد أولئك الأيام

إنا لله وإنا إليه راجعون ونعم ما قال الشاعر وما أصدقه في حق أخلاف هؤلاء الليوث.

شعر:

في الناس قوم أضاعوا مجدًا ولهم ما في المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أذلهم وأزدلهم وقد يزين وضيع المنصب الأدب

ولنكتف من ذكر الخوانين الأوزبكيين بهذا القدر ولنجل أنظارنا في خوانين قزاق كيف نجدهم هل نجدهم أحسن منهم أو أخس فنقول:

الفرع الرابع في خواوين قزاق

اعلم أنا بينا في آخر المقدمة أصل طائفة قزاق بأنهم مجتمعون من قبائل التتار والأتراك الشتى مقيمون في تلك البرية من عهد يافث وأنها ملكهم الخاص بهم من عهده وأن هذا الاسم أعني اسم القزاق لم يطلق عليهم من جهة الأتنوغرافية وقد بينا هناك وجه إطلاقه عليهم بيانًا شافيًا لا يمكن الزيادة عليه وهم من غاية جهلهم بالتاريخ والأنساب يتشبثون لمعرفة أنسابهم وأوائلهم بأذيال أسباب ضعيفة حتى أن بعض طائفة خواجه المقيمين في بلاد قزاق يقولون لهم: إن طائفة قزاق بأسرهم من ذرية أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه[1] ولذلك يقال لقزاق آلاچ وهو محرف أنس إلى غير ذلك من الخرافات وقد عرفت في المقدمة أن أصل آلاچ قال آچ سماه بذلك أغوز خان ثم صار ذلك اسمًا لذرياته كقريش وتميم وربما يتكلف بتعريبه إلى خلج وهو تكلف بارد والمشهور عند القزاق آلتي آلاچ معناه ستة آلاچ وكان الآلاچ افترقوا إلى ستة بطون وأما القپچق فقد بينا أوائلهم وأواخرهم ومساكنهم ومواضعهم ووقائعهم في المقدمة مستوفى وأما كيرايت ونايمان وقونكرات ودوغلات وبرلاس وجويرات وغيرها من القبائل الكبار فقد ذكرت مع أصلها وفصلها ومعناها في شجرة الترك لأبي الغازي بهادر الخان الخوارزمي الچنكزي مفصلاً وهو مرجع المؤرخين الكبار ومأخذ التواريخ في هذا العصر وقبله وهو مطبوع في پيطربورغ وكذلك في قزان فمن أراد من القزاق أن يعرف قبائل القزاق وأصلها وفصلها ومحل انشعابها فعليه أن يقتني نسخة منها خصوصًا النسخة الأصلية التي طبعت في پيطربورغ.

---

(١) أنس بن مالك: أبو ثمامة أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا ولد بالمدينة سنة ١٠ قبل الهجرة، وتوفي بالبصرة سنة ٩٣ هـ، (الأعلام ٢/ ٢٤ ـ ٢٥).

وأما القبائل التي لم تذكر هناك مثل آرغون وجباس وطاما وطابن[١] فيمكن أن تكون من البطون المتشعبة من القبائل المذكورة هناك كعدي وهاشم وبني أمية فلا تذكر أصل القبائل كقريش بل تلك البطون فقط كما قال أبو الغازي خان في أوائل بيانه قبائل مغل كان يقال لأولاد قيان (قيات) ولأولاد نكوز (درلكن) ولما كثرت أولادهما سميت كل طائفة باسم قبيلة واشتهرت به فنسي اسم قيات ودرلكن وتركا مرة واحدة اهـ وقد سمعت أن بعض سذجهم وكلهم سذج يطلبون شجرة مبينة لأنساب قزاق من المطوفين في الحرمين المحترمين ولا يدرون المساكين أنهم لا يعرفون سوى شجرتي الذهب والفضة والحاصل كل من اقتنى نسخة من شجرة الترك فقد استغنى عن خرافات طائفة خواجه وعن مراجعة المطوفين فإن كل الصيد في جوف الفرى.

وأما خواوينهم فاعلم أن أكثر بلاد القزاق كانت بعد ظهور التتار وخروجهم كانت تحت تصرف أولاد جوجي ولهذا قيل لدولتهم دولة القفچق أيضًا لكون برية قزاق الشهيرة بدشت القفچق تحت تصرفهم كما بين في المقصد الثاني إلا أنه يفهم من بعض التواريخ كون سواحل نهر إيرتش والجهة الشمالية منه بيد أولاد أوكداي قاآن ولا سيما قيدو بن قاشين بن أوكداي ثم اختصت تلك الجهة بخوانين سيبريا من أولاد شيبان إلى أن انتزعها منهم الروسية وكذلك يرى في بعض التواريخ كتاريخ كارامزين كون الأراضي المتأخمة لتلك البلاد السيبرية بيد بعض خوانين نوغاي المصاهرين لكوچم خان مثل الميرزا إسماعيل والظاهر أن هؤلاء الخوانين النوغائية هم أيضًا من أولاد شيبان فإن إطلاق هذا الاسم عليهم إنما ابتدىء بعد طرو الضعف لدولة سراي ولا سيما بعد انقراضها كما قدمناه في آخر المقصد الثاني حتى أن السيد أحمد خان السرايي يرى في تاريخ كارامزين إطلاق خان نوغاي عليه وكذلك حفيده[٢] يادكار خان الذي هو آخر خوانين قزان أطلق عليه اسم نوغاي كما مر.

وكذلك بين كارامزين كون الأراضي الكائنة بين بوزاولق وآرال بيد خوانين النوغائية الشيبانية ولهذا تعجب الفاضل المرجاني اختصاص أهل قزان باسم نوغاي

---

(١) فمن توقف في صحة ما قلنا فلينظر إلى وجود قفچق وطابن فيما بين باشقرد وكونهم معدودين منهم فإن ذلك صريح في أن القبائل قبائل الترك والتتار ثم عرض لبعضهم اسم قزاق ولبعضهم اسم باشقرد لأسباب بيناها في موضعها. منه عفي عنه.

(٢) هذا على قول الفاضل المرجاني. منه عفي عنه.

وأتراك ما وراء النهر باسم أوزبك يعني مع أن الخوانين في كلتا المملكتين من أولاد شيبان بالنظر إلى آخر الأحوال.

وكذلك اختص جهة تركستان ويتي صوو حوالي آلماتي بحكومة آق أوردو من ابتداء الحكومة الجوجية إلى ضعف دولة سراي وإن كانت تابعة في الأوائل لكوك أوردو رسمًا وأما في الآخر فقد بقي أطراف بلدة تركستان وصبران وأترار وسواحل نهر سيحون (سير) وجهته الجنوبية والغربية بيد أبي الخير خان الأول المشهور ابن دولت شيخ ابن إبراهيم الشيباني إلى آخر النسب الذي ذكر عند بيان خوانين أوزبك بما وراء النهر ثم بيد أولاده مع التقلبات إلى أن استولى حفيده محمد خان بن شاه بداغ بن أبي الخير على ما وراء النهر ثم انتقلت منهم إلى غيرهم وحين حكم هؤلاء في تلك القطعة كان يحكم في جنوبهم الغربي أولاد عرب خان بن فولاد أخي إبراهيم المار ذكره وهو جد خوانين أوزبك بخوارزم كما مرو في شرقيهم وشمالهم الشرقي أعني في ولاية يتي صوو آلماتي وما والاها محمود خان بن يونس خان بن ويس خان بن شير علي أوغلان بن محمد خان بن خضر خواجه خان بن توغلق[1] تيمر خان المغلي وهؤلاء الذين بينا كلهم كانوا قبل انقراض دولة سراي وكانت حكومة سراي منحصرة في أطراف سراي وسواحل نهر إيدل اليمنى واليسرى.

وأما بعد انقراض دولة سراي فقد قال أبو الغازي خان ذكر الملوك من نسل توقايتيمر في صحراء قزاق چنكز خان ولده جوجي ولده توقايتيمر ابنه أوزتيمر[2] ابنه ساريچه ابنه كونجك ابنه توق قل خواجه ابنه باداقل ابنه أوروس خان ابنه قويرچق خان ابنه براق خان ابنه أبو سعيد ولقبه جاني بيك خان وكان له تسعة أولاد على هذا الترتيب إيرانچي. محمود. قاسمكه. وهو الذي حارب محمد خان الشيباني وصار

---

(١) ابن إيسان بوغا خان بن دوي چچن بن براق خان بن يسونتو بن موتوكن بن چغطاي بن چنگزخان وكان هؤلاء استولوا على كاشغر وياركند ومغلستان بعد مدة من فوت چغطاي خان ولهذا يقال لهم: خوانين مغل قيل إن أول من أسلم منهم توغلق تيمر وقصة إسلامه مذكورة في شجرة الترك مع أن براق خان كان قد أسلم وتخصيص كون محمود خان من خوانين قزاق لكونه معلومًا ومصرحًا به وإلا فالظاهر أن أجداده المذكورين أيضًا حكموا في تلك الناحية وتصرفوا فيها أيضًا كما تصرفوا في كاشغر ومغلستان. منه عفي عنه.

(٢) سقط هنا عن النسخ المطبوعة في پيطربورغ بين أوزتيمر وخواجه هذه الالفاظ ابنه ساريچه ابنه كونچك ابنه توق قل مع أنها مذكورة في تلك الصحيفة نفسها عند بيان خوانين قريم وهكذا نقلها الفاضل المرجاني عن شجرة الترك. منه عفي عنه.

باعثًا على استشهاده. ثم ايتيك. جانيش. قنبر. تنيش. أوسك. جاوك .اهـ ولم يذكر شيئًا من أحوالهم.

وقال الفاضل المرجاني إن أحمد خان وأبا سعيد جاني بيك خان ابني براق خان هربا مع اتباعهما من صولة أبي الخير خان الشيباني إلى مغلستان والتجآ إلى إيسان بوغا خان الچغطائي المغلي وبعد وفاة أبي الخير خان عادا إلى وطنهما في حدود سنة ٧٧٣ وملكوا أراضي قزاق[١] واستقروا في الجهة الشرقية منها على حالة البداوة الرحلة والنزول وتركوا الحكومة على أولادهم.

وأول من استقل منهم بالحكومة وصار ملكًا أعظم أحمد خان الشهير بكداي خان ثم ابنه برندق خان ملك بعد أبيه وكان يقيم بسرايچق وكان إيرانچي وقاسم ويادبك[٢] أبناء أبي سعيد جانبيك خان مطيعين ومنقادين له تقليدًا لرسم أبيهم جانبيك خان قال وفي حدود ٩١٥ سنة حاصر برندق خان قلعة صبران وكان الحاكم بها الأمير محمود أخو محمد خان الشيباني فسلمه[٣] أهل صبران إلى برندق خان فارتحل برندق عن صبران وحاصر أترار وكان بها محمد خان الشيباني فأعانه يعني محمدًا الشيباني محمود خان ابن يونس خان المغلي المار ذكره قريبًا فرجع عنها برندق خان بالضرورة بعد مصالحته محمدًا الشيباني وحاصر سيونچك[٤] خان أيضًا في سنة ٩١٨ بتاشكند وبعد وفاة أديك خان في سنة ٩١٩ واستولى أخوه قاسم على الملك وغلبه بقي بيد برندق خان من الخانية مجرد الاسم فقط وأخرج في الآخر من المملكة ومات غريبًا بسمرقند رحمه الله تعالى.

ثم قاسم خان ابن أبي سعيد جانبيك خان وبعد وقعة برندق خان انتقل الملك إلى أولاد أبي سعيد جانبيك خان إلى أن انتزعه عنهم الروس وكان قاسم خان هذا

---

(١) مع أن دولة سراي لم تنقرض في تلك المدة بل كانت أيام سلطنة السيد أحمد خان كما لا يخفى فمراده بقزاقستان الجهة الشرقية منها لا غير. منه عفي عنه.

(٢) هكذا في نسخة المستفاد وقد مر عن شجرة الترك جاوك بالجيم والواو وسيذكره الفاضل المرجاني بعد أسطر بعنوان أديك والله سبحانه أعلم أن أيًا منها خطأ وأيًا منها صحيح. منه عفي عنه.

(٣) هكذا يقول هنا وقال بعد أوراق عند بيان محمد خان الشيباني أنه هرب إلى أخيه محمد خان الشيباني فحاصرهما برندق خان إلى أترار. منه عفي عنه.

(٤) هكذا ذكر هنا والمشهور أنه سونج خان بن أبي الخير خان من زوجته ابنة الميرزا الغ بك كما مر نقلاً عن روضة الصفا. منه عفي عنه.

عالي الهمة وصاحب المروءة عاقلاً حسن التدبير سخيًا جوادًا عظيم الشوكة ملك كافة دشت القفچق (برية قزاق) حتى قيل إن أحدًا لم يضبط تلك البلاد بعد جوجي خان مثل ضبطه حتى أن محمد خان الشيباني كان عاجزًا عن مقابلته ومدافعته مع عظيم شوكته ودولته وقوته حتى أن سبب انهزامه من عسكر شاه إسماعيل الصفوي واستشهاده من أيديهم كان خوفه من قاسم خان وهجومه على ما وراء النهر توفي قاسم خان ٩٣٠ سنة بسرايچق ثم سرد الفاضل المرجاني أسامي من كان خوانين بعده على الترتيب كأنه أشار بذلك إلى قول الشاعر، شعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

أو إلى قول الشاعر، شعر:

هم الرجال وعيب أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

وعلى كل حال نحن نسردها أيضًا كسرده محيلاً العهدة عليه لعدم مأخذ سوى أثره بأيدينا.

قال ثم ابنه حق نظر خان. ثم أخوه مماش خان. ثم ابن عمه طاهر خان بن ياديك خان وقد طرأ الضعف على دولة القزاق في عصره بسبب غلبة طائفة منغت وهو وإن سافر إلى مغلستان واستمد بخوانينهم ولكنه لم يحصل له منه نتيجة ثم ابنه سلامش خان ثم عمه توغم خان بقي أتباعه في حدود سنة ٢٠,٠٠٠,٩٤٠ شخص فقط ثم أخوه بويداش خان سافر إلى مغلستان وجمع منها ٣٠٠٠ نفر فقط بغاية الجهد وقتل أثناء مقاتلته درويش خان[1] بن براق خان ثم عمه شغاي خان كان شجيعًا ومظفرًا توفي في حدود سنة ٩٨٨ ودفن في كمش كند ثم ابنه توكل خان انتصر على عسكر عبد الله خان الأوزبكي البخاري واستولى على سمرقند وأكثر بلاد ما وراء النهر وحاصر پير محمد خان الأوزبكي ببخارى بعد وفاة عبد الله خان وابنه عبد المؤمن خان ثم عاد إلى وطنه مجروحًا وتوفي فيها في حدود سنة ١٠٠٧ ثم أخوه إيشم خان قتل في حدود سنة ١٠٥٠ تورسون خان التاشكندي واستولى على ملكه.

(١) بقاء أولاد براق خان الصليبية إلى التاريخ المذكور من أعجب العجاب وقد مر بيان تاريخ قتله بيد ألوغ محمد خان ولكني كتبت كما رأيت محيلاً العهدة إليه كما شرطت مع التنبيه هنا في الهامش والناقد بصير. منه عفي عنه.

ثم ابنه جهانكير خان الأول استولى على كافة بلاد قزاق ثم ابنه توكي خان بلغ بلاد قزاق في عصره أقصى الغايات يعني من الشوكة والقوة وقسمها إلى ثلاثة أقسام وسمي كل قسم باسم يوز (يعني الوجه كما يقال في مصر الآن الوجه القبلي والوجه البحري وربما يقال لكل منها أوردو وقد حرفه الإفرنج إلى خوردو والمتفرنجون تابعون لهم بالطبع) ونصب في كل يوز منها حاكمًا نائبًا عنه نصب في ألوغ يوز التي هي الجهة الشرقية من بلاد قزاق تولابي وفي أورته يوز التي هي القطعة الوسطى منها قوزي بك وفي كچي يوز التي هي الجهة الغربية والمتأخمة لبلاد الروس إيتاك بك وتوفي في سنة ١١٠٩ وبعد وفاته تفرقت القزاق وانقسمت وصار في كل يوز منها خانًا مستقلاً يحكم أنفسه وصاروا بذلك بحيث يسع كل قسم منها فم النسر حتى ابتلعه واحدًا بعد واحد بحيث لم يبق منهم طائفة مستقلة يحكم أنفسها إلا أن قبيلة كيرايت من ألوغ يوز باقية بنوع استقلال تحت حماية حكومة الصين كما سنذكرها بعد إن شاء الله.

قال: ثم تولا خان كان موجودًا في حدود سنة ١١٨٠ ثم اختلطت المسألة بعد ذلك لعدم المأخذ والحاصل أن إعطاء المعلومات مترتبة منتظمة من غير أن يترك منها شيء من جملة المستحيلات فإن بلاد قزاق لم يبق بعد طاهر الخان المار ذكره إلى عصر توكي خان تحت تصرف خان واحد بلا شبهة بل انقسمت إلى أقسام شتى ومعرفة خوانين كل قسم منها وأحوالهم من الممتنعات لفقدان المرجع والمآخذ الذي عليه مدار البيان والأخبار فلا فائدة في التكلف في معرفة ذلك وإنما نبين بعد ذلك أحوال من اطلعنا على أحواله منهم.

[أبو الخيرخان]

وأشهرهم بعد ذلك هو أبو الخير خان الثاني التوقايتيمري لا الشيباني وهو ابن آيرش بن آچه[1] بن آيچواق بن بولاكاي بن أوسكر بن أبي سعيد جانبيك خان المار ذكره وهو أول من دخل تحت حماية الروس من خوانين قزاق وذلك أنه طلب أن يدخل تحت حماية الروس من القائد بوطورلين الروسي المقيم ببلدة أوقا بواسطة آلدار رئيس طائفة باشقرد في سنة ١٧٣٠ م مطابقة سنة ١١٤٢ هـ أو التي بعدها فأرسل الرئيس المذكور آلدار ورفيقه تايماس سفيرين إلى أبي الخير خان المذكور من طرف

(١) وفي المستفاد قدم آچه على آيرش. منه عفي عنه.

حكومة الروسية في السنة الثانية وقد انضم الميرزا قطلغ محمد التوكيلي ترجمانًا إلى الهيئة السفارة المذكورة فقدم أبو الخير خان في تلك السنين إلى قلعة أور وبايع الروسية وأكد تبعيته باليمين ممسكًا المصحف الشريف بيده[١] وبعد ذلك هجم مع عسكره على مملكة خوارزم وجلس على تختها وبعد مضي خمسة أيام منه سمع مجيء القائد طاهر خان بن رستم خان بجيش نادر شاه الشهير فترك التخت وهرب عملاً يقول: من نجى برأسه فقد ربح وكانت هذه الوقعة في حدود ١١٥٢ سنة توفي أبو الخير خان في سنة ١١٦١ هـ اهـ من الآثار.

وقد ذكر المستر شيللر في رحلته التركستانية الأسباب التي اضطرت أبا الخير خان إلى دخوله تحت حماية الروس وهي فقدان الأمن في بلاد قزاق بسبب الاختلال فيها بواسطة هجوم قالمق من جهة الغرب والجنوب وهجوم خانغاريا[٢] من جهة الشرق وبعض قبائل قزاق من جهة الشمال قال فلما ضيق عليه من هذه الجهات الثلاث اضطر إلى قبول حماية الروس بإرسال السفراء إلى پيطر الأول امپراطور الروس في سنة ١٧٣٠ م مع كونه منفورًا غاية النفرة عند كافة أهل الإسلام ولكنه لم يستفد منه شيئًا بل صار باعثًا على نفرة رعاياه منه وهجرتهم إلى جهة الشرق فلو أنه التزم حسن الإدارة وحسن التدبير مع شجاعته الجبلية وجلب بذلك محبة رعاياه لما كانت شبهة في استيلائه على كافة ممالك قزاق إلى حدود الصين وطرده الروسية من قطعة آسيا ولكن سوء تدبيره وسوء إدارته وأخلاقه صارت باعثة على ارتكاب هذا الأمر الشنيع المنفور لدى كافة المسلمين مع عدم استفادته منه شيئًا اهـ منتخبًا.

قلت: قدمنا مرارًا عدم كفاية الشجاعة وحدها وكون المدار كله على الرأي السديد والتدبير الصحيح وحسن الإدارة وعدم رأي الأتراك وتدبيرهم وإدارتهم في نسبة شجاعتهم وإلا لما وصلنا إلى هذا الحد ولكن الأمر بيد الله يفعل ما يشاء ينبغي أن يعلم أن أبا الخير خان هذا كان في الأصل من خوانين كچي يوز إلا أنه استولى على أورته يوز وألوغ يوز أيضًا في وقت ما وخلف ستة أولاد وهم نور علي. ويار علي. وأحمد. وآيچواق. وعادل. وچنكز.

---

(١) وطائفة ميسيونير الملاعين يقولون إن قزاق ليسوا بمسلمين فإن صح قولهم فلأي شيء أمسك المصحف. منه عفي عنه.

(٢) هكذا في الأصل المنقول عنه ولم أدر من مراده به والظاهر أنهم قرغز وعلى كل حال فهو أخو منغرية. منه عفي عنه.

[آبلاي خان]

ومن مشاهير خوانينهم آبلاي خان وهو مشهور في بلاد قزاق ولكني لم أطلع على أحواله وقد ذكر في الآثار أنه قبل تبعية الروسية في سنة ١٧٣٩ م مصادفة سنة ١١٥٢ هـ وتوفي في سنة ١٧٨١ م مطابقة سنة ١١٩٥ هـ فهو إذا معاصر لأبي الخير خان الثاني المار ذكره آنفًا ولعله بعض من كان يحاربه والله سبحانه أعلم.

[ولي خان بن آبلاي خان]

ولي خان بن آبلاي خان المذكور ملك بعد فوات أبيه وقدم إلى بلدة أوفا في سنة ١٧٨٢ م وسنة ١١٩٦ هـ وأجري فيها مراسم إجلاسه في مسند الخانية بتصديق يكاترينا الثانية إياها رسمًا بكمال الطنطنة والدبدبة وقد اجتمع في بلدة أوفا ما لا يحصى من أمراء قزاق ومأموري الروسية وقد قرأ ولي خان ألفاظ اليمين جهرًا بعد تلقينه الآخون إياها وقبل المصحف الشريف ووضعه على رأسه تعظيمًا وتكرمًا والذي يفهم من بعض المجاميع أن خانيته لم تطل بل توفي في شبابته اهـ من الآثار.

قلت: ولعل العائلة الوليخانية الموجودة الآن منسوبة إليه[1].

[نور علي خان]

نور علي خان بن أبي الخير خان الثاني المار ذكره آنفًا سلم من طرف طائفة قزاق إلى الروسية في حدود سنة ١٧٦٢ م وسنة ١١٧٥ هـ على جهة الرهن فأقام ببلدة أورنبورغ ثم ببلدة أوفا مدة ثم خلي سبيله ثم صار خانًا على بعض قبائل قزاق يعني في كچي بوز وهجم في تلك الأثناء على أوركانج وقتل القائد طاهر خان بن رستم خان نائب نادرشاه بها الذي كان أبوه أبو الخير هرب منه كما مر ثم جلب في سنة ١٢٠٤ هـ إلى بلدة أوفا ثانيًا وتوفي بها في سنة ١٢٠٥ هـ وقبره هناك في موضع يقال له أسكي أوفا بقرب معامل الآجور ثم بنى عليه في هذه الأيام بناء من حجر وحفر في حواليه خندق وذلك بهمة خان زاده أحمد سلطان بن جهانگير خان البوكايي.

ثم جلس بعده في مسند الخانية ولده إيشم خان. ثم أخو إيشم آيچواق خان. ثم جان نوره بن آيچواق خان ثم أخوه شير غازي بن آيچواق خان بعضهم وراء بعض ولكن كانت خانيتهم عبارة عن الاسم المجرد فقط وكانت الإدارة كلها بيد الروسية

(١) أو هي منسوبة إلى وليخان بن نور علي خان وأخو بوكاي خان الآتي ذكره، والظاهر هو هذا. منه عفي عنه.

(نعم الأمر لمن بجر) وكان وفاة إيشم خان في سنة ١٢١٢ وكان شير غازي خان حيًا في سنة ١٢٤٠ ولم يعلم تاريخ وفاته وذكر في موضع آخر من الآثار نقلاً عن بعض آثار جمعية الآثار القديمة أن الامپراطورة يكاترينا الثانية أمرت والي سمبر وأوفا الجنرال پاروتچيك إيوان وأرفو لومپچ اليقوبي بإرسال الفرمان إليه في سنة ١٧٨٢ ببناء المساجد في الحدود الكائنة بولايتي أوفا وطبول (يعني الفاصلة بين مملكتي الروس وقزاق في ذلك العصر) وكرر الأمر المذكور بإرسال الفرمان إلى والي سمبر وأوفا الجنرال پاروتچيك أكيم إيوانيچ آپوختين في مايس من سنة ١٧٨٣ فبنيت لذلك أربعة مساجد واحد في پتر پاول وواحد في طرويسكي وواحد في وير خنوي أوزالسكي وواحد في أورنبورغ[1] وكان سبب بناء مسجد ميناوناي (سوق المعاوضة) بأورنبورغ دنو مجيء نور علي خان الذي كان خانًا بكچي يوز اهـ والظاهر أن المراد بمجيئه هو مجيئه ثانيًا.

[بوكاي خان]

بوكاي خان بن نور علي خان المذكور جلس في مسند الخانية بكچي يوز في سنة ١٢٢٦ وصدقت خانيته من طرف الدولة الروسية وتوفي في سنة ١٢٣٨ وهو الذي ينسب إليه بوكاي إيلي إلى الآن يعني مملكة بوكاي.

ثم حاز اسم الخانية بعده أخوه ولي خان اهـ من الآثار.

وقد ذكر الفاضل المرجاني أسامي أشخاص شتى حيث قال بعد ذكره نور علي خان وأخيه إيشم خان ثم شماكه خان كان موجودًا في حدود سنة ١١٤٨ أبو المحمد خان بن فولاد خان بن توكي خان.

ثم آي خواجه خان بن أبي المحمد خان كان موجودًا في حدود سنة ١٢٠٤، وأما في كچي يوز فغائب نظر خان بن كرو سلطان ابن صردق سلطان ابن إيشم خان بن شغاي خان كان أولاً خانًا بأوركانج مدة ثم كان في بعض طوائف كچي يوز.

ثم ابنه بهادر خان كذلك في بعض طوائف كچي يوز.

ثم ابنه غائب خان نصبه نادر شاه خانًا بخوارزم وبقي هناك إلى سنة ١١٧١.

ثم ابنه أبو الغازي خان[2] في بعض قبائل كچي يوز.

---

(١) والظاهر أن هذه المساجد كانت في ميناوناي (سوق المعاوضة). منه عفي عنه.

(٢) وليس هذا أبو الغازي خان المشهور صاحب التاريخ. منه عفي عنه.

ثم ابنه أورن غازي خان ثم نور علي خان بن أبي الخير خان الخ.

[جهانگير خان]

جهانگير خان بن بوكاي خان بن نور علي خان بن أبي الخير خان كان حين وفاة أبيه بوكاي خان ابن ١٢ سنة فصار عمه شغاي خان بن نور علي خان مدبر أمره ولما بلغ عمره عشرين ٢٠ سنة في سنة ١٨٣٣ م مصادفة سنة ١٢٤٩ هـ في صفر فوض منصب الخانية من طرف دولة الروسية إلى عهدته ومنح إليه من طرف الدولة المشار إليها رتبة الجنرال مايور على عاداتهم قال الفاضل المرجاني في حقه كان دينًا صالحًا سخيًا محبًا للعلماء والفضلاء صاحب المروة فاعلًا للخيرات.

والحاصل أن شهرته باقية إلى الآن وأوصافه الجميلة مذكورة في الألسنة وقد صدر عنه في نشر العلم والمعارف بين قومه ما لم يصدر به عن غيره عشر وكانت زوجته فاطمة خانم بنت المفتي محمد جان بن الحسين المار ذكره وقاضيه القاضي آخون جابر بن حماد القزاني الاسپاسي الچاللوي وكان مختلطًا بالمفتي المذكور وبالشيخ الكبير نعمة الله أفندي الاسترلي باشي وقد اجتمع على بابه العلماء والفضلاء من الأطراف والجوانب بسبب سخاوته وتواضعه وحسن أخلاقه والتفاته إليهم وكانت زوجته المذكورة عاقلة دينة صالحة مدبرة ذات حمية ملية وغيرة دينية فباجتماع هذه الأسباب صدر عنه في نشر العلم والمعارف ما كان إسلافه عنه غافلون بالكلية وقد كان يعين الأئمة في المواضع المحتاجة إليهم بالمناشير وكأنه كان تبعًا لصهره المفتي محمد جان وبتلقينه إياه وكان يحمل عليهم مع خدمة الإمامة خدمات أخرى دينية وملية وهاكم تعريب نسخة من فرامينه في هذا الباب.

من طرف العالي الجاه والعالي الجناب جهانگير بن بوكاي منشور وفرمان أعطى لملا أوتوزباي بن تورمباي من قبيلة تانا[1] وطائفة بس صاري بموجب طلب أكابر الطائفة المذكورة للإمامة لهم بواسطة المضبطة المصدقة بعلائمهم متفقين على ذلك فقبلت طلبهم المذكور بعد أن جرى تجربته وامتحانه عند قاضي المملكة المقيم بحضوري الآخون القاضي طرخان جابر بن حماد وتحقيق لياقته بها وأعطيته فراماني الواضح مآله فعليك بعد الحصول على هذا الفرمان أن تشرع في إجراء الأمور المتعلقة بشريعتنا المحمدية وملتنا الأحمدية المفصلة فيما بعد كما ينبغي.

---

(١) هكذا في الأصل المنقول عنه والظاهر أنه تاما بالميم. منه عفي عنه.

أولاً: بناء المساجد والمدارس فيما بين تلك الطائفة المذكورة وأن تجتمعوا على هيئات القرى وتؤدوا الجمع والأعياد فيها وتعلموا الأطفال الصغار وتحملوهم على أداء الصلوات الخمس وصيام رمضان المفروضة على ذممهم بعد تعليمهم أحكامها.

وثانيًا: تعليم الجهال والعوام أحكام الإيمان والإسلام وتسمية المواليد بأسماء حسنة ذات معاني مستحسنة وإجراء ختانهم وأنكحتهم وأداء صلاة الجنازة على أمواتهم ودفنهم.

وثالثًا: إجراء[1] عقد النكاح في حضوركم بأن تأمروا العاقدين بالتكلم بألفاظ العقد والإقرار به في حضور الشاهدين العدلين بعد قبض أموال المهر في مجلس العقد وتشهدوا على ذلك.

ورابعًا: أن تمنعوا عن ملاقاة الزوجين في الخلوة على ما هو العادة القديمة.

وخامسًا: رعاية انقضاء عدة المتوفّى عنهن أزواجهن بكمال الدقة حتى لا يقع النكاح قبل انقضاء مدة العدة.

وسادسًا: تخيير المتوفّى عنهن أزواجهن بعد انقضاء عدتهن في النكاح وعدم إجبارهن عليه بأن تطلبوا والديهن وإخوتهن وتطلبوا منها الرضاء والإذن في النكاح.

وسابعًا: قسمة التركات برعاية أصحاب الفرائض والعصبات حسب علمكم وأن تستفتوا من أولي العلم فيما لم تعلموه.

وثامنًا: أن تنبهوا الأغنياء الذين بلغ أموالهم النصاب على أن تعطوا زكواتهم اللازمة على مصارفها وتحرضوهم على ذلك.

وتاسعًا: وعظ العوام كبارهم وصغارهم ونصحهم وتعليمهم النظام السلطاني والقواعد الملكية وترغيبهم في طاعة أولي الأمر.

وعاشرًا: لا يكون في طائفتكم من قومنا وقوم الروس لصوص وسراق وأنا أكتب إلى الأمراء والحكام المدبرين لأمور العامة ليعينوكم في إجراء الأمور المفوضة إليكم وأدائها كما ينبغي وأنتم كذلك مأمورون بإعلام معاملاتكم الجارية في كل سنة بواسطة الكتابة والتحرير وأنا الخان جهانگير بن بوكاي وضعت ختمي تصديقًا

---

(١) كل هذه الأوامر تجري طائفة القزاق على خلافها والأسف أن هذه البدع وخلاف الشريعة لم ترتفع إلى الآن. منه عفي عنه.

لمضمون هذا الفرمان وأنا القاضي آلاخون في حضور الخان طرخان جابر بن حماد وضعت ختمي بعد تجربتي هذا الإمام في ٢٥ برج دلو من سنة ١٨٤٢ م مصادفة سنة ١٢٥٧ هـ نمرة ٦٠ وقد طبع كتاب مختصر الوقاية والمحمدية أول مرة في قزان بتصحيح الميرزا محمد علي ابن الميرزا محمد كاظم بك الدربندي إياهما وكان طبع المختصر في سنة ١٢٦٠.

قال المصحح المشار إليه في ظهره والزمني طبعها وتصنيعها[١] بعد تنقيحها إلا وهو المخدوم المعظم والمطاع المكرم المحترم صاحب المروءة والسخاوة وجالب الفتوة والشهامة ظهير العلماء وذمير العرفاء غصن شجرة جگنزية وفرع أصل جرجية (كذا) أعني به العالي بالشأن والسني بالجاه والمكان جهانگير خان بن بوكاي خان لا زالت شمس إقباله لامعة ما دامت اعلام أعوامه رافعة أيام حياته قائمة فقبلت إشارته سمعًا وطاعة اهـ.

كان وفاته[٢] في شعبان سنة ١٢٦١ في موضع يقال له بورسا وحمل إلى خان أورداسي الذي هو كرسي سلطنته ودفن به كان عمره إذ ذاك ٤٢ سنة فتكون مدة حكومته ٢٢ سنة فلو عاش عمرًا طويلاً لعمر مملكته وأصلحها إصلاحًا جيدًا ولكن

---

(١) وكلما أرى أمثال هذه العبارات الركيكة وامتياز صاحبها بالسعادة يظهر لي صدق قول شيخي وأستاذي الشيخ آخون جان رحمه الله تعالى في حقي من أن فلان كان ينبغي أن يجيء إلى الدنيا قبل هذا بخمسين سنة وأتمنى ذلك ولكن إذا تفكرت في قول الشاعر.

شعر:

لا تطلبن بالك رفعه قلم البليغ بغير جد منزل
سكان السماء كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

وقول الشاعر أيضًا شعر:

خلت الفضائل بين الناس ترفعني بالابتداء فكانت أحرف القسم

وأرى أدباري وسعادة لكع بن لكع في عصري وأتفكر قول شاعر العجم.

شعر:

تقدمتني أناس كان شوطهم وراء خطوي إذا مشى على مهلي

ارجع عن تمنيي المذكور إلى قول شاعر آخر.

شعر:

بجد لا بجد كل جد وهل جد بلا جد بمجدي

وأطالعه على نحو حسب حالي. منه عفي عنه.

(٢) قال الفاضل المرجاني في سبب وفاته أنه افتصد ولما نام انفكت جبيرته وسال منه دم زائد ولم يكن له منه خير فتوفي من ذلك رحمه الله تعالى. منه عفي عنه.

ماذا ينفع لو وليت الأمر كله لله رحمه الله تعالى رحمة واسعة وروح روحه ونور ضريحه وجعل الجنة مثواه آمين وبموته انقرضت الخانية من آل چنكز وجوجي بل على الإطلاق من هذه الجهة أعني كچي يوز والذي جاء بعده وإن أطلق عليهم اسم الخان وعدوا من الخوانين رسمًا إلا أنه لم يكن في أيديهم شيء منها سوى الاسم المجرد وكان مقر سلطنته وسلطنة آبائه من مدة مجهولة بموضع يقال له إلى الآن خان أورداسي وهو بين سراي وسرايچق وخلف من زوجته المار ذكرها أعني فاطمة خانم بنت المفتي محمد جان أربعة أولاد ذكور وبنتين أولاده.

الأول: صاحب گراي حاز عنوان الخانية في رجب سنة ١٢٦٣ وتوفي في سنة ١٢٦٥ بعد سنتين من خانيته والظاهر أنه لم يتزوج ولم يبق له نسب.

والثاني: إبراهيم حاز عنوان الخانية في أوائل سنة ١٢٦٩ وأقام ببلدة أورنبورغ وتوفي شابًا ولم يعقب.

والثالث: أحمد قرأ في بعض مكاتب الروس پيطربورغ وحاز بعض رتب روسية وتشرف بالحج مع أخيه عبيد الله الآتي ذكره بإعانة دولة الروسية وله أولاد.

والرابع: عبيد الله قرأ في مكاتب الروس وخدم الروسية وأحرز رتبة الجنرال والآن مقيم پيطربورغ مستعف عن الخدمة.

بنتاه: خديجة خانم توفيت في عصمة الميرزا سيد گراي بن شاهين گراي التوكلي وله منها بنتان ولهما أولاد كثيرة.

زليخة توفيت في عصمة الميرزا سيد سلطان ابن جانتورة من أمراء قزاق وولد له منها ولد يسمى الميرزا سليم گراي وله أولاد فعلم من ذلك أن أعقاب جهانگير خان عليه الرحمة انتشرت من ولده الأمير أحمد وبنتيه خديجة وزليخة اهـ من الآثار والمستفاد.

[كينه صاري خان]

ومن خوانينهم المتأخرين المشهورين كينه صاري خان بن قاسم بن آبلاي[1] خان كان خانًا في طرف تركستان ويتي صوو ما والاها وكان له وقائع ومحاربات مع طائفة قرغز الساكنين في آلاطاغ فاسر أخوه نوروز باي في بعض تلك الوقائع من طرف قرغز فقتلوه وقتلوا أيضًا كينه صاري معه فإنه وإن أمكنه الهرب والتخلص من

(١) هكذا رأيت وسمعت ولا أدري هل هو كذلك في نفس الأمر أم بينهما وسائط. منه عفي عنه.

الأسر والموت ولكنه لم يهرب ورأى الهرب بترك أخيه أسيرًا عارًا وشنارًا فقتل وقد كان لنوروز باي هذا وقائع مع جان قبول بن تولكان الجباسي ثم الدوستياري حيث جاء إلى قراه لجمع زكوات المواشي وهو غائب فتعرضوا على نسائهم فلما سمعه جان قبول رجع وهجم عليهم مع أتباعه وهزمهم بعد أن قتل منهم تسعين نفرًا وقد كانوا يذكرون ذلك في أشعارهم[1] هم الملية خصوصًا وقت ندبهم جان قبول المذكور وإنشاء المراثي له بعد موته ولا أدري أن كينه صاري خان هل وقع له حرب مع الروسية أم لا[2] وأما أولاده صديق توره وطايچق توره وجعفر توره فقد حاربوها.

أما طايچق توره فقد استشهد وقت استيلاء الروس إلى بليدة تركستان في سنة ١٨٦٣.

وأما جعفر توره فقد وقع أسيرًا بيد الروسية حين محاربتهم في طرف آقمولا وهو وقتئذٍ ابن عشرين سنة وجرى له وقائع من طرفهم حتى نفوه إلى سيبريا ثم خلوا سبيله فرجع إلى بلاده بعد عشرين سنة من مفارقتها وقد رأيته في وطنه بأطراف قصبة چمكند مرارًا.

وأما صديق توره فقد حارب الروسية في تركستان ثم في چمكند ثم في تاشكند ثم في سمرقند مع حاكمها عبد الملك توره بن مظفر خان البخاري ثم انصرفا منها إلى خوارزم وحارب فيها الروس أيضًا ثم لما استولى عليها الروس ذهب منها إلى

---

(١) حتى قال بطل قرغز قاري بوز وقعته التي قتل فيه هذا الرجز القزاقي رجز:

كچي يوزكا صيا آلماي تاسداب قاچتنك يرنكدي
تولكان أوغلى جانقا بيل توقسان كسنكدي أولتوروب
بيتًا وصويب تيرنكدي

الخ...

وهذا جان قبول توفي في بلدة أوريل حين توجهه إلى مكة المكرمة سنة ١٨٧٣ وكنت بقيت في بيته معلمًا لأحفاده غفر الله له ورحمه. منه عفي عنه.

(٢) وجواب نوروز باي على قاري بوز بطل قرغز هذا بقوله:

يا قسى ايتاسك قاريبوز قونوستى أورس آلغان صولك
كينه كم كوچكان يرينان باورى صووب سول ياقده
قراچي بولغان ايلنان الخ

يدل على أنه كان له وقائع مع الروس كما لا يخفى وهذا وقول قاريبوز كچي يوزكه صيا آلماي تاستاب قاچتك إيلنكدي صريح في أنه كان أولاً في كچي يوز وحدود الروسية ثم تحول إلى جهة الشرق والويوز. منه عفي عنه.

كاشغر من فوق بدخشان وكان هناك في خدمة يعقوب خان عليه الرحمة ولما توفي المشار إليه واستولى الصين على كاشغر رجع إلى وطنه الأصلي والآن مقيم هناك اسمع أنه لم يقبل وظيفة من الروس ولم يتيسر لي رؤيته فإنه رجع بعد سفري من تلك البلاد.

وأما أخوهم الأصغر أحمد توره فقد رأيته مرارًا في وطنه ولم يقع له محاربة الروسية لأنه كان صغيرًا وقرأ في مكاتب الروس وتعلم اللغة والكتابة الروسيتين وصار ترجمانًا في محكمة قصبة چمكند وكان ذا خلق حسن متواضعًا محبًا لأهل الفضل واشترى مني جميع كتبي حين سافرت من تلك البلاد إلى الحجاز ثم رأيته في قزان سنة ١٣٠٠ حين رجوعه من پيطربورغ وقد سافر هناك مدعوًا عند جلوس الامپراطور ألكساندر الثالث وأخبرني بتزويج إحدى بناته من بني توره بن اسفنديار توره وكان المذكور أقام عندي مدة حين كنت معلمًا هناك في مسجد واحد من المشايخ وقرأ علي بعض الدروس وبعد عوده من سفر پيطربورغ لم يلبث إلا قليلاً حتى توفي إلى رحمة الله غفر الله له وجعل الجنة مثواه ولم استحضر سنة وفاته وهذا غاية ما استحضره الآن من أحوال خوانين قزاق.

وبعد انقراض الخوانين أعطت الحكومة الروسية لأولادهم وأحفادهم وذرياتهم منصبًا سمته پراويتل بمعنى الحاكم ودام ذلك مدة من الزمان ثم ألغته وبعد ذلك صارت تعطي من قرأ منهم في المكاتب الروسية وظائف مناسبة لحال كل منهم في معرفة قوانين الروسية مع ملاحظة ديانتهم وصلابتهم فيها وعدمهما ولا تزال جارية على هذا الأصل وتجتهد في نشر كتابة الروسية ولغتها ومعارفها وأخلاقها وعاداتها ولا تقصر في ذلك ولا تفوت الفرصة فيه حسب الإمكان وتتشبث في ذلك بأذيال أنواع الحيل والدسائس والوسائل وتريد تنصرهم معاذ الله عن آخرهم في أقرب الأوقات وقد مر منا مرارًا أن الروس يدعون كون بعض قبائل الترك على النصرانية قبل ظهور أنوار الإسلام وأن قصدهم بتلك الدعوى جر قبائل قزاق إلى النصرانية محتجين بأنهم كانوا أولاً عليها ثم تركوها ولا يبالي عن التصريح به في موارده ويستدلون على ذلك بوجود بعض عادات وأخلاق فيهم مخالفة للشريعة.

وقد مر في المقدمة أنهم أسلموا في بداية نشر الإسلام بطوعهم واختيارهم تارة عشرة آلاف خركاه وتارة ثلاثون الفًا نقلاً عن ابن الأثير وقال في الصحيفة ١٧٦ من المجلد ٨ وفيها يعني في سنة ٣٤٩ أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه اهـ ومن يكون هؤلاء سوى قبائل الترك الساكنين في تلك البرية بالخركاه الذين عرض لهم لقب

قزاق قريبًا من هذا العصر كما مر إلا أن الروس لا تلتفت إلى أمثال ذلك لسكره من صهباء التعصب وتصر في دعواها وأحكموا دعواهم المذكورة بانفصال القزاق عن المحكمة الشرعية المحمدية الأورنبورغية المار ذكرها في حدود سنة ١٨٦٨ وقولهم: إنا نكتفي بالزنك معناه العرف والعادة يعنون إنا نحكم فيما بيننا بالعرف والعادة دون الشريعة فسمت الروسية دينهم بعد ذلك بزانكسكي وبير تعني دين العرف والعادة وسمتهم أهل الزنك مع أنهم أعني الروسية هم الذين أغووا طائفة قزاق بالانفصال عن المحكمة المذكورة بقولهم لا ينبغي لكم اتباع نوغاي (تتار) بل اللازم عليكم أن تستقلوا بأنفسكم وهو اللائق بشرفكم وفي اتباعكم إياهم عار عليكم ومذلة فاغترت طواغيت قزاق بذلك لاتصافهم بالحمية الجاهلية وجهلهم بدسائس الروسية فوقعوا فيما وقعوا بعضهم بلا شعور وبعضهم بالشعور وهم كبارهم ورؤساؤهم حيث أخذوا في مقابلة ذلك رتبًا ونياشين وثمنًا قليلاً فبعد ذلك منعتهم عن اتخاذ المعلمين من التتار منعًا باتًا حتى صارت تكتب في ورقة إذنهم بالتجارة في بعض النواحي اشتراط عدم الخروج فيما بين قزاق بالتجارة وذلك بعد أن صار بعض معلمي التتار فيهم يقتني عنده بعض أموال التجارة ليتخلص بها عن تبعة المسؤولية والمجازاة وهذا المنع باق إلى الآن إلا أن القزاق لم يلتفتوا إليه قط بل لا يزالون يتخذون لهم المعلمين من التتار بحيث لا يخلوا قرية من قراهم من معلم تتاري ولكن يا للأسف على أنه لا تحصل النتيجة المطلوبة من اتخاذهم معلمين وذلك لقصور في الطرفين أما قصور القزاق فلاستخدامهم المعلمين في الخدمة البيتية ولا سيما في خدمة الضيوف وأما قصور المسلمين فلعدم اجتهادهم وسعيهم وغيرتهم في التعليم ونشر العلم وهم أعني قبائل قزاق وأن ترفعوا عن حضيض جهالتهم السابقة ترفعًا جيدًا وكثرت فيما بينهم العلماء والمشايخ من جنسهم ولكن يا للأسف على أنه لا تحصل لهم الرغبة في العلم والتعليم ونشر العلم وذلك لقلة حرمة العلم والعلماء فيهم وعدم تعظيمهم واحترامهم إياهم حتى أن الحكومة أمرتهم باتخاذ إمام صاحب منشور في كل وولوص (الناحية المشتملة على ألف بيت على الأقل) إلا أن هذا الإمام لا اعتبار لديهم قط ولا يلتفتون إليه أصلاً ولا يبنون له مكتبًا ولا يقومون بتربيته مع أن فيهم من له قدرة على التدريس من الدروس الكبار ولهذا سمعت الآن معلمًا ثقة قال يقول: أولاد القزاق أي فائدة في تعلم القراءة الإسلامية فإن كانت فيه فائدة ما لما صرت أنت إلى هذه الحالة وحب الرياسة غالب فيهم غاية الغلبة حتى أن جلهم بل كلهم يلتزمون إضلال ملتهم وأغواءهم لأجل حيازة الرياسة.

وقد حكى لي كثير من ثقتهم أن الحكومة أعطت لكل رئيس منهم صندوقًا مختومًا يقال إن فيها صلبًا للنشر على القزاق في الوقت المناسب لذلك وحكى لي واحد من معلمي التتار فيهم أن إسماعيل وولوص (الرئيس) في بش توبة قال له: إن لديه صندوقًا من الصلب مأمور بتفريقها بين القزاق إلا أنه لا يفعل ذلك بمقتضى ديانته ولذلك أعني لغلبة حب الرياسة فيهم ينكبون في القراءة بالروسية وبموجب قاعدة تقليد المغلوب الغالب في جميع شؤونه لاعتقاد الكمال فيه صاروا يقلدونهم في جميع شؤونهم حتى في ترك الديانة وفساد الاعتقاد وفشا فيهم ذلك كما فشا في نوابغ التتار حتى يوجد فيهم من ينكر الحشر والنشر بل وجود خالق العالم وأعانهم على ذلك دخولهم في مكاتب الروس التي لا تقرأ فيها الديانة الإسلامية قط قبل معرفة العقائد الإسلامية والديانة المحمدية مع وجود مكاتب روسية تقرأ فيها العلوم الإسلامية أيضًا وذلك هربًا منها لاعتقادهم عدم الفائدة فيها وكونها مضيعة للأوقات نعوذ بالله من اعتقاد السوء الجار إلى الهلاك والبوار.

وقد حكى لي الآن ثقة أن إينسبكتور بالغامبايف القزاقي بناحية قوستاناي التابعة لولاية تورغاي قال: ينبغي أن تكون أئمة النواحي عالمين بكتابة الروسية ولغتها علمًا جيدًا ونحن مأمورون بتفتيش ذلك فمن كان علمه بهما أكثر ننصبه إمامًا وإن كان في علم الدين أجهل من الحمار وقد أعلن ديانته للعالم أجمع في الجمعية المنعقدة الآن في پيطربورغ تحت رياسة ناظر المعارف كما مر بيان الماجريات فيها قريبًا وهذا هو دأب رؤسائهم ومعاملاتهم فكيف بالفكرة ولما لامه بعض الفضلاء في أورنبورغ بسبب ما قاله في تلك الجمعية قال: ماذا أقول غير هذا فإني آكل منهم فإن قلت ما لا يلائمهم لمنعوا عني هذا الخبز.

والحاصل أن الكبراء والرؤساء هم الذين يمنعون الضعفاء من كل خير في كل عصر وفي كل ملة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٣] الآية، وقال تعالى حكاية عن الضعفاء: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: الآية ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات على أن الحق سبحانه يبتليهم بأنواع العذاب في الدنيا كما قال تعالى: ﴿يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٣] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٣] وقد ابتلى من طائفة قزاق إبراهيم القفچقي الذي كان اينسبكتورا في تورغاي وبيكمحمد بن قارپق القفچقي الذي كان رئيسًا

(وولوص) مقويًا لدسائس الروس حيث رماهما الله تعالى في آخر عمرهما بالجنون فربطوا أيديهما وأرجلهما بالحبال وربطوهما في الجدار فصار يضربان بأنفسهما على الأرض والجدار إلى أن ماتا بهذه الكيفية المدهشة الشنيعة بأقبح موت ومن لم يصدق فليسأل من أهلهما فإنهم موجودون الآن ولعذاب الآخرة أشد وأشق وأخزى وأكبر ومع مشاهدة هذه الأحوال بل الأهوال لا يعتبر الضلال الجهال وسيبتليهم الله بأشد النكال.

وأما أراضيهم فلم تبق منها في أيديهم إلا القليل فإن الحكومة أعطت أحسن أراضيهم عوام الروس وفلاحيهم فتحولوا إليها وأنشأوا فيها مدنًا كثيرة وقرى غير متناهية كسواحل نهري أورال وإيلاك في جهة أورنبورغ وسواحل نهر توغزاق وايت وطوبل وكثير من الغدران الكبيرة في جهة طرويسكي وسواحل نهر آريس وبادام وغيرهما في جهة تركستان وتاشكند وغير ذلك مما يطول تعيينها وتعدادها في جهة طوقمق وپيش كند وأوليا آتا وآلماتي أعني الناحية التي تسمى يتي صوو مهد الترك ومنشأوهم وكذلك أطراف آق مولاوسيمي پولاط وأومسكي ولا تزال تقطع أراضيهم وتنزعها عن أيديهم وتنشىء فيها قرى روسية وتضيق عليهم إلى الآن ليكثر اختلاطهم بالروس ويتركوا حالتهم الأولى من الرحلة والنزول ويقيمون في موضع واحد حتى يسهل إجراء ما نوي إجراؤه في حقهم ويتركوا أخلاقهم وعاداتهم ويتخلقوا بأخلاق الروس ويتعودوا بعاداتهم وأكثر البلاد التي بنيت في تلك النواحي لا تأذن الحكومة ببناء المساجد فيها لتتار قزان وإن بلغت نفوسهم الحد الذي يساعد نظامها لبناء المسجد إذا بلغته إلا بكلفة ومشقة كثيرة وذلك خوفًا من استحكام إسلامية طائفة قزاق باختلاطهم بهم وتعلمهم في مدارسهم وقد عرفت منع خروج التتار إلى أراضيهم ولو بالتجارة في بعض النواحي وعرفت أيضًا منع القراءة بلغة من سواهم في النظام الجديد.

وخلاصة الكلام أن الروس معتقدة بإدخال طائفة قزاق إلى النصرانية ولو بعد حين وأنها ناوية بإجراء الإكراه والاضطهاد الذي كانت أجرته أولاً في أراضي قزان وباشقرد فلولا حرب ياپونيا وغلبتها الروسية لكانت الأحوال في تلك البلاد وخيمة جدًا كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: الآية ٤٠] الآية وليس هذا افتراء وبهتانًا للروسية ولا ظنًا وتخمينًا ووهمًا فقط بل كثير من كبراء الروس مقرون بذلك حيث يقولون لنا عليكم بالدعاء لياپونيا أيها الكينازيان فإنه لولا حرب ياپونيا وغلبتها

الروسية لتفرقعت تلك الأدوات الجهنمية على رؤوسكم فإن الحكومة قد فرقت الأسلحة على كافة القضايا والنواحي ولم يبق إلا تفريقها على عوام الروسية وفلاحيها وتسليطهم عليكم بالأمر بالهجوم هذا هو كلام كبراء الروس وعقلائهم ومنصفيهم وليس هو كلامًا مخترعًا من عند أنفسنا كما أن كل ما كتبته في بيان دسائسهم مأخوذ من كتبهم ورسائلهم كما بينا في مواضعه فلا ذنب إذًا في كتابتها أترى أن هؤلاء الكبراء العقلاء منهم يكذبون ويفترون على حكومتهم وينفرون المسلمين منها حاشا وكلا وهذا الذي كتبنا في بيان معاملاتهم ونواياهم في شأن قزاق هو الظاهر المكشوف الذي لا مجال لإنكاره يعرفه كل أحد وأما الخفايا من نواياهم فهي أطم وأعظم ولكنها لا تخفى من جميع الوجوه بل يظهر منها شيء أحيانًا من حيث لا يشعرون به ولذلك أخذت القزاق أيضًا في الهجرة إلى البلاد الإسلامية ومن القزاق قبائل كثيرة في ممالك بخارى وخوارزم وآفغان والصين مما يلي الروسية ومعايش هؤلاء على غاية من الراحة من جهة دينهم ودنياهم ولا سيما القبائل التابعة للصين وأكثرهم كيرايت فإن حكومة الصين قد تركتهم وأنفسهم يفعلون ما يشاؤون فلهم حكام وولاة وقضاة وأئمة ومفتيون ومدرسون من أنفسهم ومن تتار قزان يبنون مساجدهم ومدارسهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا وينصبون الأئمة والقضاة والمفتيين والمدرسين من أي جنس وصنف شاؤوا سواء كانوا قزانيين وبخاريين ويقرؤون أولادهم كيف شاؤوا وأي فن شاؤوا لا تتداخل فيها حكومة الصين بوجه من الوجوه بل لا تأخذ منهم المؤونات الميرية وإنما تكتفي منهم بمجرد اسم التبعية فهم مستقلون بحكم أنفسهم في الحقيقة وهذه القطعة وأطراف غولجه وكاشغر هي مهاجر قزاق إن أرادوا الهجرة ولا بد منها إن دامت هذه الأحوال ولم تتغير إلى طرف الخير بل هي مهاجر القزانيين أيضًا.

وقد كان لهذه القبائل شيخ كبير عظيم الشأن المسمى بالشيخ عبد المؤمن إيشان وكان له نفوذ تام في تلك الناحية أكثر من نفوذ الأمراء والسلاطين في رعاياهم وكان يجري فيها أحكام الشريعة كما تجري في بلاد الإسلام بل أكثر وكان على مرتبة عظيمة ومكان عال من الاستقامة والكشوف والأحوال وقد توفي في آغسطوس عام ١٣٢٠ فقام مقامه في الإرشاد وإجراء أحكام الإسلام أحد أحفاده المسمى بمحمد علي وفقه الله سبحانه لإجراء أحكام الشريعة وأجراها فيها وفي كافة أقطار الدنيا إلى يوم القيامة بموجب وعده الكريم بحرمة حبيبه الأكرم ﷺ.

والحاصل أن طائفة قزاق ترقوا في هذه السنين الأخيرة ترقيًا ظاهرًا من جهة العلم والمعارف والديانة وقد كثر فيهم المكاتب والمدارس والمساجد بالنسبة إلى

السنين الأولى وكثر فيهم العلماء والمشايخ وانتشر شعائر الدين من إقامة الصلوات الخمس بالجماعات وإقامة الجمع والأعياد واتحاد المعلمين لإقراء أولادهم علوم الدين على وجه لا يخلو قرية من قراهم من معلم في فصل الصيف وهؤلاء المعلمون يتعيشون بما حصل لهم منهم ويحصلون العلم في فصل الشتاء في المدارس الكبار وسخاوتهم وإكرامهم الضيوف باقية إلى الآن كما قدمنا في المقدمة وقد تأيد ما أثبتناه هناك بما حرره جريدة الوقت الغراء نقلاً عن اللواء الغراء نقلاً عن كتاب مادام لوين المحررة الشهيرة وهاكم تعريب بعض جملها: إن الأخلاق الحسنة في المسلمين الباقية لهم ميراثًا من أسلافهم موجبة للحيرة اضطررت مرة أن أسيح في البراري من غير زاد فلم أسلم فيها درويشًا من الدراويش إلا رد على سلامي وأضافني بحيث كان يذبح لي غنمًا بمجرد دخولي في بيته فإذًا كيف يليق أن يطلق لأمثال هؤلاء وحوشًا وبرابر[1] وفي الحقيقة هؤلاء أكثر مرحمة وأوفر مدنية من أرباب المليون من الإفرنج الذين لا يبذلون حبة لمن في أطرافهم من الفقراء والدراويش لا يبقى أحد جائعًا فيما بين المسلمين وأما أرباب المليون منا فهم جائعون بأنفسهم أمام عيوننا إلى آخر ما ذكرته وجه تأييده أن هذه الحالات موجودة فيما بين طائفة قزاق بأحسن الوجوه فإنهم لا يكتفون بإضافة المسافر فقط إذا كان من أهل الفضل أو من أهل الحرمين بل يعطونه شاة أو فرسًا أو جملاً أو غيرها على مقدار فضل المسافر عنده وعلى مقدار ثروة المضيف.

والذين يحصلون في مكاتب الروسية منهم كثيرون وأكثرهم في غاية من الاستقامة والديانة والحمية والغيرة الدينية مثل الجناب المحترم القراطائي وجهانشاه توره سيدالين وغيرهما وقد كثر فيهم أصحاب الأفكار الجديدة مثل الحافظ الحاج الملا عبد الرحمٰن أفندي ابن الملا مرتضى الآرغوني التورغايي سلمه الله تعالى وكثر أمثاله آمين.

وليكن هذا آخر ما قصدته من التلفيق والتلقيح وقد فرغت من إصلاحه يوم الأحد العاشر من شوال عام ١٣٢٥ المصادف ٤ يناير (التشرين الثاني) عام ١٩٠٧ وقت الضحى في بلدة من بلاد الروسية وكان شروعي فيه عام ١٣١٠ هـ مصادف عام ١٨٩٢ م والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تم طبع الكتاب بعون الله الملك الوهاب في ٢١ جمادى الأخيرة عام ١٣٢٥

والحمد لله رب العالمين

---

(١) وقد كتبت في المقدمة أن لا وجه في عد طائفة قزاق من الوحوش وممن لا مدنية لهم فراجع هناك والحمد لله على أن صدق قولي بقول محررة شهيرة من جنسهم. منه عفي عنه.

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الأحداث التاريخية مرتّبة حسب التسلسل الزمني
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية
٣ ـ فهرس تراجم الأعلام
٤ ـ فهرس الأعلام المُتَرجَم لهم في الحواشي
٥ ـ فهرس القوافي
٦ ـ فهرس أجزاء وأنصاف الأبيات
٧ ـ فهرس المحتويات

١ ـ فهرس الأحداث التاريخية مرتَّبة حسب التسلسل الزمني

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
بناء سور الصين العظيم	٨٣٦ قبل الهجرة	١/ ٧٧
وفاة جين شهوانغتي	٨٠٠ قبل الهجرة	١/ ٨٠
وفاة تومن خان	٨٢٦ قبل الهجرة	١/ ٨١
انقسام حكومة اللون	٤٣ م	١/ ٨٣
انقراض حكومة هون الشمالية	٩٣ م	١/ ٨٣
انقراض حكومة هون الجنوبية	٢٢١ م	١/ ٨٤
انقراض حكومة سيان بي	٣٩٠ م	١/ ٨٥
انقراض حكومة الهياطلة	٥٥٧ م	١/ ٨٦
الوقعة الأولى بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٣
الوقعة الثانية بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٤
الوقعة الثالثة بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٤
الوقعة الرابعة بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٥
الوقعة الخامسة بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٦
الوقعة السادسة بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٨
الوقعة السابعة بين الترك والفرس	ـ	١/ ٩٨
الوقعة الثامنة بين الترك والفرس	ـ	١/ ١٠٠
الوقعة التاسعة بين الترك والفرس	ـ	١/ ١٠٠
الوقعة الأولى بين كشتاسب وأرجاسب	ـ	١/ ١٠٤
الوقعة الثانية بين كشتاسب وأرجاسب	ـ	١/ ١٠٥
الوقعة الثالثة بين كشتاسب وأرجاسب	ـ	١/ ١٠٥
الوقعة الأولى بين الهياطلة وفيروز ملك الفرس	ـ	١/ ١١٤

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
الوقعة الثانية بين فيروز وخوشنواز	–	١/ ١١٥
فتح آتيلا بلاد ألمانيا	٤٥١ م	١/ ١٦٧
وفاة آتيلا (الخاقان الأكبر)	٤٥٣ م	١/ ١٦٨
محاصرة بيان خان القسطنطينية	٦٢٦ م	١/ ١٧٩
غلبة قيصر الروم هرقل الفرس	٦٢٦ م	١/ ١٨٢
دخول المسلمين بلاد الخزر	١٠٣ هـ	١/ ١٨٥
غزو الجراح بن عبد الله الحكمي اللان	١٠٦ هـ	١/ ١٨٦
غزو مسلمة بن عبد الملك الخزر	١٠٩ هـ	١/ ١٨٧
دخول الجراح الحكمي أرمينية	١١١ هـ	١/ ١٨٧
وقعة أردبيل	١١٢ هـ	١/ ١٨٧
إغارة مسلمة بن عبد الملك على بلاد الخزر	١١٣ هـ	١/ ١٨٧
خروج الخزر إلى بلاد الإسلام	١٤٥ هـ	١/ ١٨٨
إغارة استرخان الخزري على أرمينية	١٤٧ هـ	١/ ١٨٨
وفاة إسحٰق بن كنداج	٢٧٨ هـ	١/ ١٩١
دخول القفچق ولاية بريصلاول	١٠٥٥ م ـ ٤٤٧ هـ	١/ ٢١٦
إغارة القفچق على الروس	١٠٦١ م	١/ ٢١٧
إغارة القفچق على الروس	١٠٦٤ م	
استيلاء الروس على جيرنيغوف	١٠٧٧ م	١/ ٢١٧
هجوم القفچق على الروس	١٠٩٢ م	١/ ٢١٧
عقد المصالحة بين الحكام الروس	١١٠٠ م	١/ ٢٢٠
وقعة لونب	١١٠٨ م ـ ٥٠١ هـ	١/ ٢٢٠
هجوم الروس على بلاد القفچق	١١٠٩ م	١/ ٢٢١
موت ولاديمير مانوماخ	١١٢٥ م	١/ ٢٢٢
طرد كيناز الروسية القومان إلى ما وراء نهر وولغا	١١٣٧ م	١/ ٢٢٢
اتفاق حكام الروس على حرب القفچق	١١٦٨ هـ	١/ ٢٢٣
اتفاق آخر للروس على حرق القفچق	١١٨٤ م ـ ٥٨٠ هـ	١/ ٢٢٤
هجوم القفچق على القسطنطينية	١٢٠٢ م ـ ٥٩٩ هـ	١/ ٢٢٦
هجوم القفچق على الكيف	١٢٠٤ م ـ ٦٠٠ هـ	١/ ٢٢٧
وصول التتار إلى أرض القفچق	٦٢٠ هـ	١/ ٢٢٨

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
توجّه باتوخان إلى بحر أوزاق	٦٣٦ هـ	١/ ٢٢٨
هجوم الروس على البرطاس	١١٠٦ م ـ ٥٠٠ هـ	١/ ٢٥٣
هجوم البرطاس على الروس	١١٠٧ م ـ ٥٠١ هـ	١/ ٢٥٣
هجوم الروس وقبجق على بلغار	٣٥٨ هـ	١/ ٣٠٣
إغارة الروس على بلغار	١١٦٠ م ـ ٥٥٦ هـ	١/ ٣٠٤
غزو آندري الروس بلغار	١١٧١ م ـ ٥٦٧ هـ	١/ ٣٠٤
إغارة البلغار على قلعتي مورم ورزان الروسية	٥٧٩ هـ	١/ ٣٠٤
غزو وصيوولود بلغار	١١٨٦ م ـ ٥٨٢ هـ	١/ ٣٠٥
ورود جيش جنكزخان إلى بلغار	٦٢٠ هـ	١/ ٣٠٧
إحراق باتوخان كرسي سلطنة بلغار	١٢٣٧ م ـ ٦٥٣ هـ	١/ ٣٠٨
إغارة الروس على بلغار	١٣٦١ م ـ ٧٦٣ هـ	١/ ٣٠٩
إغارة عساكر الروس على بلغار	١٤٣٠ م ـ ٨٣٤ هـ	١/ ٣١٢
ولادة جنكزخان	٥٤٩ هـ	١/ ٣٤٧
رسل جنكزخان إلى خوارزمشاه	٦١٢ هـ	١/ ٣٥٣
وفاة جنكزخان	٦٢٤ هـ	١/ ٣٦٠
وفاة أوكداي قاآن	٦٤٣ هـ	١/ ٣٦٠
وفاة هولاكو	٦٦٣ هـ	١/ ٣٦٢
استيلاء جوجي خان على خوارزم	٦١٧ هـ	١/ ٣٦٣
وفاة جوجي خان	٦٢٤ هـ	١/ ٣٦٣
غزو باتوخان بلاد الدشت	٦٣٣ هـ	١/ ٣٦٦
غزو باتوخان بلغار	١٢٣٧ م ـ ٦٣٥ هـ	١/ ٣٦٦
غزو باتوخان الروس	٦٣٥ هـ	١/ ٣٦٦
إحراق باتوخان موسكوا	٦٣٥ هـ	١/ ٣٦٨
استيلاء باتوخان على مورم وغاروخوف	٦٣٨ هـ	١/ ٣٧١
إحراق التتار بلدة جيرنيغوف	١٢٣٩ م ـ ٦٣٧ هـ	١/ ٣٧١
استيلاء التتار على كيف	١٢٤٠ م ـ ٦٣٨ هـ	١/ ٣٧٢
بناء بلدة سراي	٦٤٠ هـ	١/ ٣٧٦
وفاة بردي بك خان	٧٧٨ هـ	١/ ٣٨١
وفاة باتوخان	٦٥٣ هـ	١/ ٣٩٥
جلوس بركة خان على سرير السلطنة	٦٥٢ هـ	١/ ٣٩٧

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
الحرب الثانية بركة خان وهولاكو	٦٦٣ هـ	١/ ٤٠٨
حرب قبلاي خان وآرتق بوكا	٦٥٨ هـ	١/ ٤١١
وقعة عين جالوت	٦٥٨ هـ	١/ ٤١١
الحرب الأولى بين بركة خان وهولاكو	٦٦٠ هـ	١/ ٤١٣
معركة تيمرقبو	٦٦٠ هـ	١/ ٤١٥
مكاتبة الملك الظاهر بركة خان	٦٦٠ هـ	١/ ٤٢٢
موت هولاكو	٦٦٣ هـ	١/ ٤٤٠
خلافة أبغا بن هولاكو على السلطنة	٦٦٣ هـ	١/ ٤٤٢
حرب أبغا بن هولاكو وبركة خان	٦٦٣ هـ	١/ ٤٤٢
وفاة بركة خان بن جوجي خان	٦٦٥ هـ	١/ ٤٤٢
خلافة منكوتيمر بن طغان على كرسي مملكة التتار	٦٦٥ هـ	١/ ٤٤٣
حرب أبغا بن هولاكو ومنكوتيمر بن طغان	٦٦٥ هـ	١/ ٤٤٤
قصد منكوتيمر القسطنطينية	٦٦٨ هـ	١/ ٤٤٦
زحف منكوتيمر إلى القسطنطينية	٦٧٠ هـ	١/ ٤٤٩
كسر منكوتيمر جيش أبغا	٦٦٩ هـ	١/ ٤٥٠
وفاة الظاهر بيبرس	٦٧٦ هـ	١/ ٤٥٤
وفاة منكوتيمر بن طغان	٦٧٩ هـ	١/ ٤٥٥
خلافة تدان منكو بعد منكوتيمر	٦٧٩ هـ	١/ ٤٥٥
وقعة حمص بين أبغا والملك المنصور قلاوون	٦٨٠ هـ	١/ ٤٥٥
خلافة تلابغا بن منكوتيمر	٦٨٦ هـ	١/ ٤٦١
غزو تلابغا بلاد الكرل	٦٨٦ هـ	١/ ٤٦٢
مقتل تلابغا بن منكوتيمر	٦٩٠ هـ	١/ ٤٦٣
خلافة طقطاي بن منكوتيمر بن طغان	٦٩٠ هـ	١/ ٤٦٥
قتل طقطاي الأمراء الذين اتفقوا مع تلابغا	٦٩٢ هـ	١/ ٤٦٦
وفاة الملك المنصور قلاوون	٦٨٩ هـ	١/ ٤٦٧
قتل ججك خاتون	٦٩٣ هـ	١/ ٤٦٩
الوقعة الأولى بين الملك طقطاي والأمير نوغاي	٦٩٧ هـ	١/ ٤٦٩
مقتل أقطاجي ابن بنت نوغاي	٦٩٨ هـ	١/ ٤٧٠

الحـدث	التاريخ	الجزء والصفحة
وصول طقطاي إلى سوداق	٦٩٨ هـ	١/ ٤٧٠
مقتل الأمير أباجي وأخويه أولاد الأمير قرمشي	٦٩٨ هـ	١/ ٤٧١
الوقعة الثانية بين الملك طقطاي والأمير نوغاي	٦٩٩ هـ	١/ ٤٧١
وقعة كوكانلك	٦٩٩ هـ	١/ ٤٧٢
قتل جكا بن نوغاي أخاه تكا	٦٩٩ هـ	١/ ٤٧٣
مقتل جكا بن نوغاي	٧٠١ هـ	١/ ٤٧٤
مقتل طراي بن نوغاي	٧٠١ هـ	١/ ٤٧٦
مقتل طراي بغا بن منكوتيمر	٧٠١ هـ	١/ ٤٧٧
وقوع الجدب والقحط ببلاد طقطاي	٧٠٢ هـ	١/ ٤٧٧
موت الملك محمود غازان خان	٧٠٣ هـ	١/ ٤٧٩
وفاة أيل باصار بن طقطاي	٧٠٩ هـ	١/ ٤٨٢
وفاة الأمير برلك أخو الملك طقطاي	٧٠٩ هـ	١/ ٤٨٢
وفاة طقطاي بن منكوتيمر	٧١٢ هـ	١/ ٤٨٣
خلافة محمد أوزبك بن طغرلجا بن منكوتيمر	٧١٢ هـ	١/ ٤٨٥
وصول الرس من بلاد التتار	٧١٤ هـ	١/ ٤٩٤
وصول رسل الملك أوزبك إلى الأبواب السلطانية	٧١٣ هـ	١/ ٤٩٤
عودة رسل السلطان من عند الملك أوزبك	٧١٥ هـ	١/ ٤٩٦
موت خربنده السلطان محمد ملك العراقين	٧١٦ هـ	١/ ٤٩٧
عودة رسل السلطان من عند أوزبك خان	٧١٧ هـ	١/ ٤٩٨
وصول رسل أوزبك إلى الإسكندرية	٧١٧ هـ	١/ ٤٩٨
زواج الملك الناصر كريمة من أولاد جنكزخان	٧٢٠ هـ	١/ ٥٠٠
الحرب بين أوزبك خان وأبي سعيد خان	٧١٨ هـ	١/ ٥٠٦
مقتل الملك ييسور	٧٢٠ هـ	١/ ٥٠٨
عزل أوزبك نائبه قطلقتيمر	٧٢١ هـ	١/ ٥٠٩
ردّ أوزبك نائبه قطلقتيمر	٧٢٤ هـ	١/ ٥٠٩
وفاة أبي سعيد خاه	٧٣٦ هـ	١/ ٥٠٩

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
إرسال أوزبك جيشًا إلى أذربيجان وأران	٧٣٥ هـ	١/ ٥٠٩
تولّي الملك آرباخان بعد أبي سعيد خان	٧٣٦ هـ	١/ ٥١٠
وقعة جويان	٧٢٨ هـ	١/ ٥١٠
عودة رسل الملك الناصر من عند السلطان أوزبك	٧٢٤ هـ	١/ ٥١٣
زواج الأمير سيف الدين منكلي بغا من الخاتون طلنباي	٧٢٩ هـ	١/ ٥١٤
وقعة شفقال خان	١٣٢٧ م	١/ ٥١٧
موت إيوان الكيناز موسكوا	١٣٤٠ م ـ ٧٤٠ هـ	١/ ٥٢٠
وفاة دلنبية قريبة الملك أوزبك	٧٤٣ هـ	١/ ٥٢٣
وفاة الملك المعظّم محمد أوزبك خان	٧٤٢ هـ	١/ ٥٢٤
وفاة السلطان الغازي عثمان	٧٢٧ هـ	١/ ٥٢٤
تسلطن السلطان الغازي أورخان	٧٢٧ هـ	١/ ٥٢٤
خلافة محمود جاني بك خان بن أوزبك خان	٧٤٢ هـ	١/ ٥٢٥
وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون	٧٤١ هـ	١/ ٥٢٧
استيلاء جان بك على أذربيجان	٧٤٨ هـ	١/ ٥٢٨
وفاة محمود جان بك بن أوزبك	٧٥٨ هـ	١/ ٥٣٢
خلافة محمد بردي بك بن جان بك	٧٥٨ هـ	١/ ٥٣٢
وفاة بردي بكر بن جان بك	٧٦٢ هـ	١/ ٥٣٣
حرب الميرزا ماماي مع الروسية	١٣٧٧ م ـ ٧٧٩ هـ	١/ ٥٣٦
وقعة نهر ووزا	١٣٧٨ م ـ ٧٨٠ هـ	١/ ٥٣٧
حرب كوليكوا المشهورة	١٣٨٠ م ـ ٧٨٢ هـ	١/ ٥٣٨
وفاة الميرزا ماماي	٧٨٢ هـ	١/ ٥٤٢
استلام توقتاميش خان مسند الخانية	٧٧٨ هـ	١/ ٥٤١ ـ ٥٤٧
محاربة توقتاميش خان مع تيمر ملك خان	٧٨٠ هـ	١/ ٥٤٨
دخول توقتاميش خان موسكوا	١٣٨٢ م ـ ٧٨٣ هـ	١/ ٥٥٠
إغارة بك قوت على ولاية واتكا	١٣٩٢ م ـ ٧٩٤ هـ	١/ ٥٥٣
موت ديميتري دونسكي	١٣٨٩ م ـ ٧٩١ هـ	١/ ٥٥٣
إغارة تيمرلنك على سجستان وزابلستان	٧٨٥ هـ	١/ ٥٥٥
إغارة تيمرلنك على مازنداران وإستراباد	٧٨٦ هـ	١/ ٥٥٥

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
استيلاء تيمرلنك على القلعة السلطانية في تبريز	٧٨٧ هـ	١/ ٥٥٥
وصول رسل توقتاميش إلى مصر	٧٨٦ هـ	١/ ٥٥٧
تسلطن الظاهر برقوق	٧٨٤ هـ	١/ ٥٥٨
وصول رسل توقتاميش	٧٨٧ هـ	١/ ٥٥٩
حرب توقتاميش وتيمرلنك	٧٨٩ هـ	١/ ٥٥٩
المحاربة الثانية بين تيمرلنك وتوقتاميش	٧٨٩ هـ	١/ ٥٦١
المحاربة الثالثة بين تيمرلنك وتوقتاميش	٧٩٠ هـ	١/ ٥٦٤
وقعة ساغرجي	٧٩٠ هـ	١/ ٥٦٤
المحاربة الرابعة بين تيمرلنك وتوقتاميش	٧٩٢ هـ	١/ ٥٦٧
تخريب تيمرلنك دشت القفچق وسراي	٧٩٣ هـ	١/ ٥٦٧
وصول رسل توقتاميش إلى الظاهر برقوق	٧٩٦ هـ	١/ ٥٧٩
الوقعة الخامسة بين تيمرلنك وتوقتاميش	٥٩٧ هـ	١/ ٥٨٠
توجّه تيمرلنك إلى العراق وأصفهان	٧٩٤ هـ	١/ ٥٨٠
قضاء تيمرلنك على بني المظفر	٧٩٥ هـ	١/ ٥٨٠
دخول تيمرلنك بغداد	٧٩٦ هـ	١/ ٥٨٠
توجّه تيمرلنك إلى أذربيجان	٧٩٨ هـ	١/ ٥٩٠
مقتل توقتاميش خان	٧٩٨ هـ	١/ ٥٩٢
مقتل توقتاميش خان (رواية أخرى)	١٤٠٥ م ـ ٨٠٨ هـ	١/ ٥٩٧
وفاة تيمر قتلغ خان	٨٠٢ هـ	١/ ٦٠٥
وفاة شاد بك خان	٨١١ هـ	١/ ٦٠٥
هجوم الأمير أيدكو على الروسية ومحاصرته موسكوا	١٤٠٩ م ـ ٨١٢ هـ	١/ ٦٠٥
انتزاع جلال الدين بن توقتاميش خان الملك من تيمرخان	٨١٤ هـ	١/ ٦١٠
وفاة جلال الدين توقتاميش خان	١٤١١ م ـ ٨١٤ هـ	١/ ٦١٢
جلوس كريم بردي خان مكان جلال الدين خان	١٤١٢ م ـ ٨١٥ هـ	١/ ٦١٢
قتل كريم بردي خان وأخيه جبار بردي خان	٨٢٧ هـ	١/ ٦١٢
خروج قادر بردي خان وقتله	٨٢٢ هـ	١/ ٦١٤
قتل الأمير أيدكو	٨٢٢ هـ	١/ ٦١٤

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
محاربة براق خان مع الميرزا ألغ بك	٨٢٨ هـ	١/ ٦٢٧
مقتل براق خان	٨٣٢ هـ	١/ ٦٣٣
هجوم ألوغ محمد خان على بلاد خوارزم	٨٣٤ هـ	١/ ٦٣٤
هجوم الأمير حيدر على مملكة ليتوا	١٤٣٠ م ـ ٨٣٤ هـ	١/ ٦٣٥
هجوم فيودر بن داويد على بلغار	٨٣٤ هـ	١/ ٦٣٥
موت الكينازواسيلي الثاني	١٤٢٥ م	١/ ٦٣٥
انفصال ألوغ محمد خان من خانية سراي وخروجه منها	١٤٣٧ م ـ ٨٤١ هـ	١/ ٦٣٦
هجوم الأمير زاده مصطفى على الروسية وقتله	١٤٤٥ م ـ ٨٤٩ هـ	١/ ٦٣٩
سلطنة أحمد خان بن كجي أحمد خان	ـ	١/ ٦٤٢
هجوم السيد أحمد خان على الروسية	١٤٦٨ م ـ ٨٧٣ هـ	١/ ٦٤٥
وقعة قلعة ألكسين	١٤٦٨ م ـ ٨٧٣ هـ	١/ ٦٤٥
وفاة حاجي كراي خان القريمي	١٤٦٧ م ـ ٨٧١ هـ	١/ ٦٤٦
مسير أحمد خان إلى الروسية	١٤٨٠ م ـ ٨٨٥ هـ	١/ ٦٥٢
وقعة أوغر	١٤٨٠ م ـ ٨٨٥ هـ	١/ ٦٥٢
مقتل السيد أحمد خان	١٤٨١ م ـ ٨٨٦ هـ	١/ ٦٥٥
تخريب منكلي كراي بلدة سراي	٩٠٧ هـ	١/ ٦٦٢
قصد الشيخ أحمد خان بلاد قرم	١٤٩٠ م ـ ٨٩٦ هـ	١/ ٦٧٢
إرسال منكلي كراي سفيرًا إلى موسكوا	١٥٠٨ م ـ ٩١٣ هـ	١/ ٦٧٢
تسلطن الشيخ حيدر خان ابن الشيخ أحمد خان	٩٣٣ هـ	١/ ٦٧٣
خلع الشيخ حيدر خان	٩٤٨ هـ	١/ ٦٧٣
تسلطن آق كباك خان بن مرتضى خان	٩٤٨ هـ	١/ ٦٧٣
قتل يمغورجي خان آق كباك خان	٩٤٩ هـ	١/ ٦٧٣
ورود موسكوا ولد خان حاجي طرخان	٩٤٩ هـ	١/ ٦٧٣
إرسال إيوان فرقة من العسكر إلى حاجي طرخان	١٥٥٤ م ـ ٩٦٢ هـ	١/ ٦٧٥
إرسال إيوان عسكرًا لمحاربة درويش خان	١٥٥٧ م ـ ٩٦٥ هـ	١/ ٦٧٦
استيلاء الروس على بلدة قزان	٩٥٩ هـ	٢/ ٦
تسلطن ألوغ محمد خان على قزان	٨٤١ هـ	٢/ ٧

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
تخريب الروس مدينة قزان	١٣٩٩ م ـ ٨٠٢ هـ	٢/٨
هجوم ألوغ محمد خان على موسكوا	٨٤٢ هـ	٢/٩
قصد ألوغ محمد خان بلاد الروس مرة ثانية	١٤٤٥ م ـ ٨٤٩ هـ	٢/٩
استيلاء ألوغ محمد خان على نيزني نووغورد	٨٤٩ هـ	٢/٩
قصد ألوغ محمد خان بلاد الروس مرة ثالثة	٨٥٠ هـ	٢/١٠
أسر ألوغ محمد خان الكيناز واسيلي	٨٥٠ هـ	٢/١٠
قتل ألوغ محمد خان	١٤٤٦ م ـ ٨٥٠ هـ	٢/١٣
جلوس محمود بن ألوغ محمد خان على الخانية	٨٥٠ هـ	٢/١٣
إغارة محمود بن ألوغ محمد خان على أوستوغ	٨٥٠ هـ	٢/١٤
وفاة محمود بن ألوغ محمد خان	٨٦٨ هـ	٢/١٤
جلوس خنين خان بن محمود على الخانية	٨٦٨ هـ	٢/١٤
أخذ إبراهيم خان بن محمود الخانية	٨٧٢ هـ	٢/١٤
قصد قاسم خان مملكة قزان ومحاربته إبراهيم خان القزاني	١٤٦٧ م ـ ٨٧٢ هـ	٢/١٥
قصد الكيناز إيوان بلدة قزان	١٤٦٩ م ـ ٨٧٣ هـ	٢/١٦
قصد إبراهيم خان بلاد الروسية	١٤٧٨ م ـ ٨٨٣ هـ	٢/١٩
استيلاء إبراهيم خان على ولاية واتكا	٨٨٣ هـ	٢/١٩
وفاة إبراهيم خان	٨٨٣ هـ	٢/٢٠
جلوس إلهام خان بن إبراهيم خان على الخانية	٨٨٣ هـ	٢/٢٠
هجوم الروس على قزان وأسر إلهام خان	١٤٨٧ م ـ ٨٩٣ هـ	٢/٢٠
سلطنة محمد أمين خان	١٤٨٧ م ـ ٨٩٣ هـ	٢/٢٣
طرد محمد أمين خان من قزان	١٤٩٦ م ـ ٩٠٢ هـ	٢/٢٤
سلطنة مأموق خان على قزان	١٤٩٦ م ـ ٩٠٢ هـ	٢/٢٤
تملك عبد اللطيف خان بن إبراهيم خان على قزان	٩٠٢ هـ	٢/٢٥
إرسال إيوان إلى قزان عسكرًا	٩٠٦ هـ	٢/٢٥
عزل عبد اللطيف خان	١٥٠٢ م ـ ٩٠٨ هـ	٢/٢٥
نصب محمد أمين خان مرة ثانية	١٥٠٢ م ـ ٩٠٨ هـ	٢/٢٥

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
مسير محمد أمين خان على الروسية	١٥٠٥ م ـ ٩١١ هـ	٢/ ٢٦
موت الكينان إيوان	١٥٠٥ م ـ ٩١١ هـ	٢/ ٢٨
قصدوا سيلي الرابع مملكة قزان	١٥٠٦ م ـ ٩١٢ هـ	٢/ ٢٩
إرسال منكلي كراي سفراء إلى موسكوا	١٥٠٨ م ـ ٩١٤ هـ	٢/ ٣١
ورود نور سلطان بكه إلى موسكوا وقزان	١٥١٠ م ـ ٩١٦ هـ	٢/ ٣٢
إعلان منكلي كراي الحرب على الروسية	١٥١٢ م ـ ٩١٨ هـ	٢/ ٣٣
وفاة منكلي كراي خان	٩١٩	٢/ ٣٣
جلوس محمد كراي بن منكلي كراي مكان أبيه	٩١٩ هـ	٢/ ٣٣
مرض محمد أمين خان وتعيين أخيه عبد اللطيف خان لولاية العهد	١٥١٦ م ـ ٩٢٢ هـ	٢/ ٣٥
دخول عساكر قرم بلدة تولا وولاية رزان	١٥١٧ م	٢/ ٣٥
وفاة عبد اللطيف خان	١٥١٨ م ـ ٩٢٤ هـ	٢/ ٣٦
وفاة محمد أمين خان	١٥١٩ م ـ ٩٢٥ هـ	٢/ ٣٦
نصب واسيلي شيخ علي خان خانًا في قزان	١٥١٩ م ـ ٩٢٥ هـ	٢/ ٣٧
وفاة السلطان سليم خان	٩٢٦ هـ	٢/ ٣٨
هجوم محمد كراي على الروسية	٩٢٦ هـ	٢/ ٣٨
خانية صاحب كراي خان بن منكلي كراي خان بقزان وطرده منها شيخ علي خان	١٥٢١ م ـ ٩٢٨ هـ	٢/ ٣٩
هجوم محمد كراي خان وصاحب كراي خان على الروسية	٩٢٨ هـ	٢/ ٤٠
هجوم محمد كراي خان إلى حاجي طرخان	١٥٢٢ م ـ ٩٢٩ هـ	٢/ ٤١
قتل محمد كراي خان بحاجي طرخان	١٥٢٢ م ـ ٩٢٩ هـ	٢/ ٤٢
تملّك سعادات كراي خان بقرم	١٥٢٢ م ـ ٩٢٩ هـ	٢/ ٤٢
قصد الروسية بلاد قزان	١٥٢٢ م ـ ٩٢٩ هـ	٢/ ٤٢
إرسال واسيلي العسكر إلى قزان	١٥٢٣ م ـ ٩٣٠ هـ	٢/ ٤٢
قصد الروسية بلاد قزان	١٥٢٣ م ـ ٩٣٠ و٩٣١ هـ	٢/ ٤٣
إرسال واسيلي العساكر إلى قزان	١٥٣٠ م ـ ٩٣٦ هـ	٢/ ٤٧
انفصال صفا كراي خان عن خانية قزان	٩٣٧ هـ	٢/ ٤٨
جلوس جان علي أو إينال أخي شاه علي على خانية قزان	٩٣٧ هـ	٢/ ٤٨

الحـدث	التاريخ	الجزء والصفحة
حبس شيخ علي خان	٩٣٧ هـ	٢/ ٥٠
هجوم صفا كراي خان بعساكر قرم على الروسية	١٥٣٣ م ـ ٩٤٠ هـ	٢/ ٥٠
هجوم عساكر قرم على ولاية رزان	١٥٣٣ م ـ ٩٤٠ هـ	٢/ ٥٠
موت الكيناز واسيلي	١٥٣٣ م ـ ٩٤٠ هـ	٢/ ٥٢
تملك إيوان غروزني الروسية	١٥٣٣ م ـ ٩٤٠ هـ	٢/ ٥٢
قتل جان علي خان	١٥٣٥ م ـ ٩٤٢ هـ	٢/ ٥٣
جلوس صفا كراي على الخانية ثانية	١٥٣٥ م ـ ٩٤٢ هـ	٢/ ٥٣
مسير عسكر الروس إلى قزان	١٥٣٥ م ـ ٩٤٢ هـ	٢/ ٥٤
هجوم صفا كراي خان على أطراف مورم	١٥٣٧ م ـ ٩٤٣ هـ	٢/ ٥٥
مسير عسكر قرم وقزان إلى الروسية	١٥٤١ م ـ ٩٤٨ هـ	٢/ ٥٥
حصار صاحب كراي خان قلعة رازايسكي	٩٤٨ هـ	٢/ ٥٥
مسير الروس إلى قزان وإفسادها في أطرافها	١٥٤٦ م ـ ٩٥٣ هـ	٢/ ٥٩
إقصاء صفا كراي خان عن الخانية	١٥٤٦ م ـ ٩٥٣ هـ	٢/ ٥٩
خانية شيخ علي خان ثانيًا	١٥٤٦ م ـ ٩٥٣ هـ	٢/ ٥٩
هروب شيخ علي خان وعودة صفا كراي خان	٩٥٣ هـ	٢/ ٦٠
مسير الكيناز إيوان المدهش إلى حرب قزان	١٥٤٧ م ـ ٩٥٣ هـ	٢/ ٦١
وفاة صفا كراي خان	١٥٤٩ م ـ ٩٥٦ هـ	٢/ ٦٢
جلوس أوده ميش كراي خان بن صفا كراي خان على الخانية	١٥٤٩ م ـ ٩٥٦ هـ	٢/ ٦٢
هجوم عسكر الروس على قزان	١٥٥٠ م ـ ٩٥٧ هـ	٢/ ٦٣
إرسال إيوان المدهش العسكر إلى قزان	١٥٥١ م ـ ٩٥٨ هـ	٢/ ٦٥
خروج سيون بكه مع ولدها أوده ميش كراي من قزان وخانية شيخ علي ثالثًا	٩٥٨ هـ	٢/ ٦٩
انفصال شيخ علي من خانية قزان	١٥٥١ م ـ ٩٥٨ هـ	٢/ ٧٤
دخول إيوان المدهش قزان وتدميرها	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٧٤
استيلاء الروس على قلعتي أوستروغ وآرجه	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٨٤
بناء الروس البرج العظيم بقرب سور قزان	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٨٦
معركة باب آرجه	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٨٧
وقعة إشعال اللغم	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٨٧

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
آخر وقائع قزان وسقوطه في يد إيوان	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٨٩
دخول إيوان بلدة قزان	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٩٦
خطاب إيوان عسكره بعد استيلائهم على قزان	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٩٦
إعلان إيوان العفو العامّ	١٥٥٢ م ـ ٩٥٩ هـ	٢/ ٩٧
استيلاء الروس على برذعة	٣٣٢ هـ	٢/ ١٠٨
وفاة روريك ملك الروسية	٨٧٩ م ـ ٢٦٦ هـ	٢/ ١١٦
تملك أوليغ على الروسية	٨٧٩ م ـ ٢٦٦ هـ	٢/ ١١٦
وفاة أوليغ	٩١٢ م ـ ٣٠٠ هـ	٢/ ١١٦
تملك إيغور بن روريك على الروسية	٩١٢ م	٢/ ١١٧
قصد إيغور القسطنطينية	٩٤٨ م	٢/ ١١٧
قصد إيغور القسطنطينية ثانيًا	٩٥٠ م	٢/ ١١٧
وفاة إيغور بن روريك	٩٤٥ م ـ ٣٣٤ هـ	٢/ ١١٧
تملك اسواتسلاو الأول ابن إيغور على الروسية	٩٤٥ م ـ ٣٣٤ هـ	٢/ ١١٧
قتل اسواتسلاو الأول ابن إيغور	٩٧٢ م ـ ٣٦٢ هـ	٢/ ١١٨
تملك ياروبولك بن اسواتسلاو	٩٧٢ م ـ ٣٦٢ هـ	٢/ ١١٨
قتل ياروبولك	٩٨٠ م ـ ٣٧٠ هـ	٢/ ١١٨
تملك ولاديمير الأول ابن استواتسلاو	٩٨٠ م	٢/ ١١٨
تنصّر ولاديمير الأول ابن استواتسلاو	٩٨٨ م ـ ٣٧٨ هـ	٢/ ١٢١
موت ولاديمير الأول ابن استواتسلاو	١٠١٤ م ـ ٤٠٥ هـ	٢/ ١٢٣
تملك أسواتوبولك الأول	١٠١٤ م ـ ٤٠٥ هـ	٢/ ١٢٣
فرار أسواتوبولك الأول وموته	١٠١٩ م	٢/ ١٢٣
تملك يارصلاو ابن ولاديمير الأول	١٠١٩ م	٢/ ١٢٣
موت مستيسلاو ابن ولاديمير الأول	١٠٣٦ م	٢/ ١٢٣
موت يارصلاو ابن ولاديمير الأول	١٠٥٤ م ـ ٤٤٦ هـ	٢/ ١٢٤
تملك إيزاصلاو الأول	١٠٥٤ م ـ ٤٤٦ هـ	٢/ ١٢٤
خلع إيزاصلاو وقتله	١٠٧٨ م ـ ٤٧١ هـ	٢/ ١٢٤
تملك صيوولود الأول ابن يارصلاو	١٠٧٨ م ـ ٤٧١ هـ	٢/ ١٢٤
تملك اسواتوبولك الثاني ابن إيزاصلاو	١٠٩٣ م	٢/ ١٢٤
تملك ولاديمير الثاني المشهور بمانوماخ	١١١٣ م	٢/ ١٢٤

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
موت ولاديمير الثاني مانوماخ	١١٢٥ م ـ ٥١٩ هـ	٢/ ١٢٥
تملك وسيتسلاو الأول ولاديمير مانوماج	١١٢٥ م	٢/ ١٢٥
تملك ياروبولك الثاني ابن ولاديمير	١١٣٢ م	٢/ ١٢٥
تملك وصيوولد الثاني ابن أوليغ	١١٣٩ م	٢/ ١٢٥
موت وصيوولد الثاني	١١٤٦ م	٢/ ١٢٥
تملك إيغور الثاني ابن أوليغ	١١٤٦ م	٢/ ١٢٥
تملك إيزاصلاو الثاني ابن مسيتسلاو	١١٤٦ م	٢/ ١٢٥
موت إيزاصلاو الثاني	١١٥٤ م	٢/ ١٢٥
تملك روصيتسلاو بن مسيتسلاو	١١٥٤ م	٢/ ١٢٥
تملك غيورغي دولغاروكي	١١٥٥ م	٢/ ١٢٥
موت غيورغي دولغاروكي	١١٥٧ م	٢/ ١٢٦
تملك إيزاسلاو الثالث	١١٥٧ م	٢/ ١٢٦
خلع إيزاسلاو الثالث	١١٥٩ م	٢/ ١٢٦
تملك روصيتسلاو بن مسيتسلاو ثانيًا	١١٥٩ م	٢/ ١٢٦
موت روصيتسلاو بن مسيتسلاو	١١٦٧ م ـ ٥٦٢ هـ	٢/ ١٢٦
تملك مسيتسلاو الثاني الواليني	١١٦٧ م	٢/ ١٢٦
تملك غليب بن غيورغي	١١٦٩ م	٢/ ١٢٦
قتل آندري بوغولوبسكي	١١٧٣ م	٢/ ١٢٧
موت مسيتسلاو الواليني	١١٧٠ م	٢/ ١٢٧
موت غليب بن غيورغي	١١٧٠ م	٢/ ١٢٧
تملك ولاديمير الثالث	١١٧٠ م	٢/ ١٢٧
موت ولاديمير الثالث	١١٧١ م	٢/ ١٢٧
تملك رومان الأول	١١٧١ م	٢/ ١٢٧
تملك وصيوولود الثالث	١١٧٧ م	٢/ ١٢٧
تملك روريك الثاني	١١٩٠ م	٢/ ١٢٧
تملك رومان الثاني غاليتسكي	١١٩٣ م	٢/ ١٢٧
تملك مسيتسلاو الثالث	١٢١٢ م	٢/ ١٢٧
تملك ولاديمير الرابع	١٢٣٠ م	٢/ ١٢٧
تملك ميخايل الأول	١٢٢٩ م	٢/ ١٨٢
تملك غيورغي بن وصيوولود	١٢٣٣ م	٢/ ١٢٨

الحـدث	التاريخ	الجزء والصفحة
تملك يارصلاو الثاني ابن وصيوولود	١٢٤٦ م	١٢٨/٢
تملك اسواتسلاو الثالث	١٢٤٧ م	١٢٨/٢
تملك آندري الثاني ابن يارصلاو الثاني	١٢٤٩ م	١٢٨/٢
تملك ألكساندر الأول النيفي	١٢٤٩	١٢٨/٢
تملك يارصلاو الثالث ابن يارصلاو الثاني	١٢٦٣ م	١٢٨/٢
تملك واسيلي الأول ابن يارصلاو الثاني	١٢٧٢ م	١٢٨/٢
تملك ديميتري الأول ابن ألكساندر	١٢٧٦ م	١٢٨/٢
تملك آندري الثالث ابن ألكساندر	١٢٩٤ م	١٢٨/٢
تملك ميخايل الثاني التويري	١٣٠٤ م	١٢٨/٢
تملك غيورغي بن دانيل	١٣١٩ م	١٢٨/٢
تملك ديميتري الثاني ابن ميخايل	١٣٢٠ م	١٢٨/٢
تملك ألكساندر التويري الثاني	١٣٢٥ م	١٢٨/٢
تملك إيوان الأول الشهير بقاليته ابن دانيل	١٣٢٨ م	١٢٩/٢
تملك سيمون غوردي بن إيوان	١٣٤٠ م	١٢٩/٢
تملك إيوان الثاني ابن إيوان الأول	١٣٥٣ م	١٢٩/٢
تملك ديميتري الثالث ابن قنسطانتين	١٣٥٩ م	١٢٩/٢
تملك ديميتري الرابع ابن إيوان الثاني المشهور بدونسكي	١٣٦٢ م	١٢٩/٢
تملك واسيلي الثالث ابن ديميتري دونسكي	١٣٨٩ م	١٢٩/٢
تملك واسيلي الثالث ابن واسيلي الثاني المشهور بتيمني	١٤٢٥ م	١٢٩/٢
تملك إيوان الثالث الشهير بإيوان الكبير ابن واسيلي الثالث	١٤٦٢ م	١٢٩/٢
تملك واسيلي الرابع ابن إيوان الثالث	١٥٠٥ م	١٣٠/٢
تملك إيوان الرابع ابن واسيلي الرابع الملقب بالمدهش	١٥٣٣ م	١٣٠/٢
ثورة جرامشة سواحل ولغا على الروسية	١٥٧٣ م ـ ٩٨١ هـ	١٣٩/٢
استيلاء الروس على سيبيريا	١٥٨١ م ـ ٩٨٩ هـ	١٤٠/٢
المعاهدة بين الروس وبين خان سيبيريا	١٥٦٩ م ـ ٩٧٧ م	١٤٣/٢
ظهور يرمق بن تيماقي	١٥٧٧ م ـ ٩٨٥ هـ	١٤٣/٢
فتح يرمق بلاد سيبر	١٥٨٢ م	١٤٦/٢

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
موت إيوان المدهش	١٥٨٤ م	٢/ ١٤٦
تملك فيودر بن إيوان المدهش	١٥٨٤ م	٢/ ١٤٦
موت فيودر بن إيوان	١٥٩٨ م ـ ١٠٠٨ هـ	٢/ ١٤٧
تملك بوريس غودونف	١٥٩٨ م ـ ١٠٠٨ هـ	٢/ ١٤٧
موت بوريس غودونف	١٦٠٥ م	٢/ ١٤٧
تملك ديميتري الخامس الكذاب	١٦٠٥ م	٢/ ١٤٧
قتل ديميتري الخامس الكذاب	١٦٠٦ م	٢/ ١٤٧
تملك واسيلي الخامس ابن إيوان شويسكي	١٦٠٦ م	٢/ ١٤٧
تملك سكزموند الثالث الليتواني	١٦١٠ م	٢/ ١٤٧
طرد سكزموند من موسكوا	١٦١٣ م ـ ١٠٢٢ هـ	٢/ ١٤٨
تملك ميخايل الثالث ابن فيودر رومانف	١٦١٣ م ـ ١٠٢٢ هـ	٢/ ١٤٨
استيلاء الروس على شرقي نهر قاما وبلاد باشقرد	ـ	٢/ ١٤٨
موت ميخايل الثالث	١٦٤٥ م	٢/ ١٥٠
تملك ألكسي الأول ابن ميخايل الثالث	١٦٤٥ م	٢/ ١٥٠
موت ألكسي الأول	١٦٧٦ م	٢/ ١٥١
تملك فيودر الثالث ابن ألكسي	١٦٧٦ م	٢/ ١٥١
موت فيودر الثالث	١٦٨٢ م	٢/ ١٥١
تملك صوفيا بنت فيدور الثالث نيابة عن أخيها بيطر	١٦٨٢ م	٢/ ١٥١
تملك بيطر الأول ابن فيدور الثالث	١٦٨٩ م ـ ١١٠٠ هـ	٢/ ١٥١
موت بيطر الأول	١٧٢٥ م	٢/ ١٥٢
تملك يكاترينا الأولى	١٧٢٥ م	٢/ ١٥٣
تملك بيطر الثاني ابن ألكسي بن بيطر الأول	١٧٢٧ م	٢/ ١٥٣
موت بيطر الثاني	١٧٣٠ م	٢/ ١٥٣
تملك آنه ابنة إيوان	١٧٣٠ م	٢/ ١٥٣
إغارة الباشقرد على مساكن قزاق	١٧٣٩ م	٢/ ١٥٤
موت آنه ابنة إيوان	١٧٤٠ م	٢/ ١٥٥
تملك إيليزابيت ابنة بيطر الأول	١٧٤١ م	٢/ ١٥٥
موت إيليزابيت ابنة بيطر الأول	١٧٦١ م	٢/ ١٥٧
تملك بيطر الثالث ابن فيودر	١٧٦١ م	٢/ ١٥٧

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
قتل بيطر الثالث	١٧٦١ م	٢/ ١٥٧
تملك يكاترينا الثانية	١٧٦١ م	٢/ ١٥٧
إعلان العفو عن الباشقرد	١٧٦٣ م	٢/ ١٥٨
موت يكاترينا الثانية	١٧٩٦ م	٢/ ١٥٨
تملك باول ابن يكاترينا الثانية	١٧٩٦ م	٢/ ١٥٨
موت باول ابن يكاترينا الثانية	١٨٠١ م	٢/ ١٥٩
تملك ألكساندر ابن باول	١٨٠١ م	٢/ ١٥٩
موت ألكساندر الأول ابن باول	١٨٢٥ م	٢/ ١٦٠
تملك نيقولاي الأول ابن باول	١٨٢٥ م	٢/ ١٦٠
موت نيقولاي الأول ابن باول	١٨٥٥ م ـ ١٢٧٢ هـ	٢/ ١٦٣
تملك ألكساندر الثاني ابن نيقولاي الأول	١٨٥٥ م ـ ١٢٧٢ هـ	٢/ ١٦٣
ظهور لوقا بن قناش الكناشي	١٧٤٠ م ـ ١١٥٣ هـ	٢/ ١٧٠
بناء الجامع الأول في بلدة قزان	١١٨٣ هـ	٢/ ١٧٢
بناء محكمة الجمعية الإسلامية	١٧٨٨ م	٢/ ١٧٤
وفاة المفتي الأول محمد جان	١٨٢٤ م ـ ١٢٣٩ هـ	٢/ ١٨١
تعيين المفتي الثاني عبد السلام بن عبد الرحيم	١٨٢٥ م	٢/ ١٨٢
وفاة المفتي الثاني عبد السلام بن عبد الرحيم	١٨٤٠ م	٢/ ١٨٢
تعيين المفتي الثالث عبد الواحد بن سليمان	١٨٤٠ م	٢/ ١٨٢
وفاة المفتي الثالث عبد الواحد بن سليمان	١٨٦٢ م ـ ١٢٧٩ هـ	٢/ ١٨٢
تعيين المفتي الرابع ميرزا سليم كراي التوكيلي	١٨٦٥ م ـ ١٢٨٢ هـ	٢/ ١٨٣
صدور القرار بإلزام المسلمين تعلّم الروسية	١٨٧٠ م ـ ١٢٨٦ هـ	٢/ ٢٠٨
معارضة علماء ولاية قزان إخال تعليم اللغة الروسية في مدارسهم	١٨٧٣ م	٢/ ٢١١
مقتل الإمبراطور ألكساندر الثاني	١٨٨٠ م ـ ١٢٩٩ هـ	٢/ ٢١٩
تملك ألكساندر الثالث ابن ألكساندر الثاني	١٨٨٠ م ـ ١٢٩٩ هـ	٢/ ٢١٩
وفاة المفتي سليم كراي التوكيلي	١٨٨٥ م ـ ١٣٠٣ هـ	٢/ ٢٢٤
تعيين المفتي محمد يارسلطانوف	١٨٨٦ م	٢/ ٢٢٨

الحـــدث	التاريخ	الجزء والصفحة
فرمان النظارة الداخلية إلى الجمعية الأوربنوغية	١٨٨٨ م ـ ١٣٠٩ هـ	٢/ ٢٣١
وقعة بول إيلي	١٩٠٣ م ـ ١٣٢١ هـ	٢/ ٢٤٩
وقعة ملا هادي أفندي الحاجطرخاني	١٩٠٣ م ـ ١٣٢١ هـ	٢/ ٢٥٠
قضية الملا محمد جان الكاوجياكي	١٨٩٢ م	٢/ ٢٥١
قضية الملا حافظ البلبائي	ـ	٢/ ٢٥٢
وقعة قرى جواش	ـ	٢/ ٢٥٣
حادثة قصية الجيسطاي	١٣١٠ هـ	٢/ ٢٥٧
حادثة سولاي	١٨٨٤ م	٢/ ٢٥٨
حادثة خان أورداسي	١٩٠٣ م ـ ١٣٢٠ هـ	٢/ ٢٦١
إعلان إمبراطور روسيا حرية الأديان والقلم واللسان	١٩٠٥ م	٢/ ٢٨٩
فتح مجلس النواب والمبعوثين في روسيا	١٩٠٦ م	٢/ ٢٨٩
اجتماع سورق مكاريا لمسلمي روسيا	١٩٠٥ م ـ ١٣٢٣ هـ	٢/ ٣١٤
اجتماع بيطربورغ لمسلمي روسيا	١٩٠٦ م ـ ١٣٢٣ هـ	٢/ ٣١٤
اجتماع سوق مكاريا لمسلمي روسيا (الثالث)	١٩٠٦ م ـ ١٣٢٤ م	٢/ ٣١٥
صدور نظام تعليم جديد من طرف ناظر المعارف	١٩٠٦ م	٢/ ٣١٦

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

باب الألف

آخر مَن يملكون من أمتي بنو قنطوراء: ١/ ٤٢.

اتركوا الترك ما تركوكم: ١/ ١٨٢، ١٨٤.

اتركوا الترك ما تركوكم فإن مَن يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء: ١/ ٣٩.

أحبوا العرب لثلاث فإني عربي: ١/ ٧٣.

إذا أراد الله شيئًا هيّأ له الأسباب: ١/ ٦٥٥.

إذا بلغت الملاحم بعث الله جيشًا من الموالي أكرم العرب فرسانًا وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين: ١/ ٢٣٢.

إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديًا ينادي...: ١/ ٤٢.

اطلبوا العلم ولو بالصين: ٢/ ٢٧٣.

أعطيت قريش ما لم يعط الناس: ١/ ٧٣.

اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقاؤك فيها: ٢/ ٢٧٦.

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا: ٢/ ٢٧٦.

أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعطوا الله...: ١/ ٧٠.

إنْ أحسنت أمتي فلها نصف يوم: ١/ ٧٠.

إنْ صلحت أمتي فلها نصف يوم: ١/ ٧٠.

إن بني قنطوراء أول مَن يسلب ملكهم: ١/ ٣٩ ـ ٤٠.

إنّ الجهاد في السدّ الأعظم أفضل من عبادة جميع العباد: ١/ ١٨٤.

إنّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة: ١/ ٣٢٥.

إنّ هذا الأمر في قريش ما استقاموا: ١/ ٧٠.

إنها جزيرة عظيمة بين الروم والعجم وإن عدّوها طائفة صغار العيون هداهم الله تعالى: ١/ ١٨٤.

أول ما يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء: ١/ ٧٢.

باب الباء

بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء: ٢/ ٢٤٣.

بدأ الدين غريبًا وسيعود كما بدأ: ٢/ ٢٤٣.

بُعِثتُ لأُتمِّم مكارم الأخلاق: ٢/ ٣١٢.

بل هو بني للعجم ويكون فتحه على أيدي بني أمية...: ١/ ١٨٤.

باب التاء

تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدّهم له كراهية: ١/ ٦٩٤.

تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا: ١/ ١٩٠.

تعلّم كتابة يهود فإني ما آمنهم على كتابي: ٢/ ٢٨٠.

باب الحاء

حبّك الشيء يعمي ويصمّ: ٢/ ٢٥٥.

الحكمة ضالّة المؤمن أخذها أين وجدها: ٢/ ٢٧٣.

الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها: ٢/ ٢٧٣.

باب الخاء

خير الناس مَن ينفع الناس: ٢/ ٤١٨.

باب العين

علّمني رسول الله ﷺ التشهّد كفّي بين كفّيه كما يعلّمني السورة من القرآن: ١/ ٧١٥.

باب الفاء

فضّل الله قريشًا بسبع خصال: ١/ ٧٣.

باب الكاف

كانت الأنبياء قبلي يُبعَثون إلى قومهم خاصة وبُعِثْتُ إلى الناس عامّة: ١/ ٥٩.

باب اللام

لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على مَن عاداهم إلى يوم القيامة لا يضرّهم مَن خذلهم حتى يأتي أمر الله: ١/ ٢٣٢.

لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حوزًا وكرمان من الأعاجم...: ١/ ١٨٥.

لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حُمر الوجوه ذلف الأُنوف كأن وجوههم المجان المطرقة...: ١/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥.

لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى: ١/ ٤٢.

لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بتقوى الله: ١/ ٧٣.

لن تستوفي النفس الخبيثة أجَلها حتى تسيء إلى مَن أحسن إليها: ١/ ١١٥.

باب الميم

مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالمحاربة: ١/ ٣٥٠.

مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة: ١/ ٣٤٩.

باب النون

الناس عيال الله وأحبّكم إلى الله أنفعكم لعياله: ٢/ ٤١٨.

باب الهاء

هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش: ١/ ٧٠.

باب الواو

والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن...: ١/ ٤٢.

باب الياء

ينزل أُناس من أمتي بغائط يسمّونه البصرة عند نهر يقال له دجلة...: ١/ ٤٠.

يوشك بنو قنطوراء أن يُخرِجوا أهل العراق من عراقهم...: ١/ ٤٠.

٣ ـ فهرس تراجم الأعلام

باب الألف

آبلاي خان: ٢/ ٤٤٥.

آتيلا (الخاقان الكبير): ١/ ١٦٦.

الآخون = صاحب الدين بن الملا زين الدين النوركايي.

الآدائي = طاهر بن سبحانقلي المقرىء.

آغوز خان بن قراخان: ١/ ٣٣٩.

آلنجة خان بن كيوك خان: ١/ ٣٣٨.

آي خان بن آغوز خان: ١/ ٣٤٤.

إبراهيم أفندي ابن حق محمد أفندي الدشتي: ١/ ٧١٥.

إبراهيم أفندي ابن خوجاش القزاني: ٢/ ٣٥٢.

إبراهيم خان بن محمود خان القزاني: ٢/ ١٤.

إبراهيم بن خضر البلغاري (برهان الدين): ١/ ٣٢٦.

إبراهيم بن ذاكر: ٢/ ٤٠٧.

إبراهيم بن سليمان السرائي (منهاج الدين): ١/ ٧١٠.

إبراهيم بن عبد الرشيد بن إبراهيم بن عبد الرحيم التاروي: ٢/ ٣٥٩.

إبراهيم بن محمد يار بن يارمق: ٢/ ٣٧٧.

إبراهيم بن يوسف البلغاري (برهان الدين): ١/ ٣٢٧.

أحمد جان ابن أمير خان: ٢/ ٣٤٦.

أحمد البرغري (الخواجة): ١/ ٣٢٣.

أحمد بن جلال الدين خان: ١/ ٦٤٢.

أحمد بن خالد (الملا): ٢/ ٤١٠.

أحمد خان بن كجي أحمد خان: ١/ ٦٤٢.

أحمد بن شمس الدين السرائي: ١/ ٧٠٤.

أحمد صفا أفندي ابن الملا عباس التاش بلكوي: ٢/ ٣٩٨.

أحمد ضياء الدين الطرخاني المدني: ٢/ ٣٨٩.

أحمد بن عبد الله القريمي: ١/ ٧٠٥.

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي: ١/ ٣٣٠.

أحمد اللطيف (الشيخ): ٢/ ٤١٤.

أحمد بن محمد السيرامي (علاء الدين): ١/ ٧٢١.

أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم (شهاب الدين) = ابن عربشاه.

أحمد بن محمد بن عبد المؤمن، ركن الدين القريمي المرتعش: ١/ ٧٠٦.
أحمد بن أبي يزيد بن محمد شهاب الدين بن زكي الدين العجمي = مولانا زاده.
أحمود خان ابن السيد أحمد خان: ١/ ٦٦١.
أرجاسب التركي: ١/ ١٠٣.
أرسلان علي خان بن علي خان: ٢/ ٤٢٧.
إسحٰق بن إسماعيل بن إبراهيم (القاضي نجم الدين القريمي): ١/ ٧٠٨.
إسحٰق بن سعيد الكناري الجيساطي القزاني (الملا): ٢/ ٣٦١.
إسحٰق بن كنداج الخزري: ١/ ١٩٠.
إسكندر بن علي البيرة كوي: ٢/ ٣٥٧.
إسماعيل التكرمني: ٢/ ٤١٣.
إسماعيل بن موسى المجكروي: ٢/ ٤٠٢.
أفندي حضرت = إبراهيم أفندي ابن خوجاش القزاني.
ألوغ محمد خان: ١/ ٦١٨.
ألوغ محمد خان بن تيمرخان: ٢/ ٧.
أملنجة بن توتك: ١/ ٣٣٨.
أمير خان بن قوجقار بن يعقوب: ٢/ ٣٥٣.
أمير بن نور محمد: ٢/ ٣٣٩.
أناخريست التتاري = أنخرسيس الفيلسوف.
أنخرسيس الفيلسوف: ١/ ٣١٨.
أوراز محمد بن أوندن بن شغاي: ٢/ ٤٢٧.
أوزبك خان بن طغرلجا = محمد أوزبك خان بن طغرلجا.
أوكداي قاآن بن جنكز خان: ١/ ٣٦٠.
إيشمحمد بن زاهد الكوباكي: ٢/ ٣٦٣.
إيشمحمد بن طوق محمد الآدائي: ٢/ ٣٣٧.
إيشنياز بن شيرنياز الخوارزمي القارغالي: ٢/ ٣٣٩.

باب الباء

باتوخان بن جوجي خان: ١/ ٣٦٤.
الباخرزي (سيف الدين): ١/ ٤٠٢.
باشرقرد ناصر الدين الناصري: ١/ ٣٢٨.
بايمراد بن محرم القازاني: ٢/ ٣٧٥.
براق خان بن قويرجق خان: ١/ ٦٢٥.
البردعي (محيي الدين) = محيي الدين البردعي.
بركة خان بن جوجي بن جنكزخان: ١/ ٣٩٧.
برهان بن أرسلان علي خان: ٢/ ٤٢٧.
برهان الدين بن محمد شريف الشغايي: ٢/ ٣٥٥.
البزازي (حافظ الدين) = محمد بن محمد الكردري البزازي.
ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواثي، شرف الدين أبو عبد الله): ١/ ٧٢٠.
أبو بكر بن إبراهيم القزاني: ٢/ ٣٤١.
بهادر شاه بن سيارقل: ٢/ ٣٤٢.
بوكاي خان بن نور علي خان: ٢/ ٤٤٦.
بومين قاغان: ١/ ٨٨.
بومين قاغان (ديزابول): ١/ ١٢٩.
بيكجنطاي بن إبراهيم البرسكوي: ٢/ ٣٤١.

باب التاء

تاج الدين بن أحمد الآيداري: ٢/ ٣٩٩.
تاج الدين أفندي القزاني: ٢/ ٣٨٨.
تاج الدين بن بشير الصوقصوي: ٢/ ٣٩٩.

تاج الدين بن عبد الرشيد الاشتراكي الصصناوي: ٢/ ٣٦٢.
تاج الدين بن يالجي قل الملمي: ٢/ ٣٦٢.
تتار خان بن آلنجة خان: ١/ ٣٣٩.
تدان منكوخان بن طغان بن باتو بن جوجي بن جنكزخان: ١/ ٤٥٩.
التفتازاني (سعد الدين): ١/ ٧٢.
تلابغا بن منكوتيمر بن طغان بن باتو بن جوجي بن جنكزخان: ١/ ٤٦٢.
توتك بن الترك: ١/ ٣٣٨.
توقتاميش خان بهادر (الملك المعظم ناصر الدين أبو المجد): ١/ ٥٤٣.
تولي خان بن جنكزخان: ١/ ٣٦١.
تومن خان: ١/ ٨٠.
تيكز خان: ١/ ٣٤٤.
تيمر خان بن تيمر قتلغ خان: ١/ ٦٠٩.

باب الجيم

جار الله بن بيك محمد الصاتشي: ٢/ ٤٠٠.
جاك جوك = تومن خان.
جاناي سلطان بن نور دولت: ٢/ ٤٢٦.
جاني بك خان ابن أوزبك خان: ١/ ٥٢٤.
جباتالي ملا = عبد الرحيم بن عاشور الحاجطرخاني.
جعفر بن صالح القولا تقي: ٢/ ٣٨٦.
جعفر بن عبدي النقشبندي المجددي (غرمونجي إيشان): ٢/ ٣٤٩.
جغطاي بن جنكز خان: ١/ ٣٦١.
جلال الدين بن توقتاميش خان: ١/ ٦١٠.
جمال الدين بن سبحان قلي: ٢/ ٤١٢.
جنكز خان بن يسوكي بهادر خان: ١/ ٣٤٧.
جهانكير خان بن بوكاي خان: ٢/ ٤٤٧.
جوجي خان بن جنكز خان: ١/ ٣٦٢.

باب الحاء

الحاج البغدادي = وليّ الدين بن الحسن المقري.
الحافظ مرتضى = مرتضى بن قطلغش السيمتي.
حامد بن إدريس البلغاري (أبو العلاء): ١/ ٣٢٤.
حامد البلغاري (أبو العلاء): ١/ ٣٢٤.
حبيب الله بن الحسين الأوروي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٤٧.
حبيب الله بن رحمانقلي القزاني: ٢/ ٣٧٦.
حبيب الله بن رفيق النادري: ٢/ ٣٨٤.
حسام الدين بن عبد الوالي: ٢/ ٤٠٧.
حسن بن حميد القورصاوي: ٢/ ٤٠١.
حسن الدين بن صاحب الدين النوركايي: ٢/ ٣٩٦.
حسن بن عمر البلغاري (الخواجة صلاح الدين): ١/ ٣٢٩.
حسين أفندي (الملا): ٢/ ٤٠٧.
حق محمد أفندي الدشتي: ١/ ٧١٥.
حماد بن خالد: ٢/ ٤٠٧.
حماد بن عيسى القارغالي: ٢/ ٣٧٤.
حمزة المنجم بن محمد بن الحسن القزاني البيزة زوي: ٢/ ٣٥٤.
حميد بن إسلام اليورطشي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٥٤.

باب الخاء

الخجندي (كمال الدين): ١/ ٧٢٢.
أبو الخير خان الثاني: ٢/ ٤٤٣.
خير الله بن عثمان العثماني: ٢/ ٤١٤.

باب الدال

دانيال بن قاسم خان: ٢/ ٤٢٦.
الدشتي = إبراهيم أفندي ابن حق محمد أفندي الدشتي.
الدشتي = حق محمد أفندي الدشتي.
دولت باقي بن علي الأصغر التاروي: ٢/ ٣٦٣.
دولتشاه بن عادلشاه بن عبد الله بن بغدان البغداني: ٢/ ٣٥٧.
ديزابول (بومين قاغان): ١/ ١٢٩.
ديصابول = ديزابول.

باب الذال

ذاكر بن حماد بن خالد: ٢/ ٤٠٧.
ذو القرنين بن خليل القاقتماقي: ٢/ ٣٧٣.
ذيب باتوي بن أملنجة: ١/ ٣٣٨.

باب الراء

الرازي (قطب الدين محمد بن محمد) = قطب الدين الرازي.
رحمة الله بن عبيد الله الكزلوي: ٢/ ٣٧٢.
رضي الدين القزاني: ٢/ ٣٣٥.
رمضان (الملا): ٢/ ٤١٣.
رمقل بن مقصود الاشتراكي: ٢/ ٣٧٨.

باب الزاي

الزاهدي = نجم الدين الزاهدي.
زرادشت الزنديق: ١/ ١٠٤.
زين الله بن أولمزقل القالقاني: ٢/ ٣٦٨.
زين الله بن حبيب الله الشريفي الطرويسكي النقشبندي المجددي الخالدي: ٢/ ٤١٥.
زين العابدين بن عبد الله اليولقي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٥٦.

باب السين

سراج الدين (الملا): ٢/ ٤١٣.
السرائي = أحمد بن شمس الدين السرائي.
السرائي (أبو أحمد محمد بن عبد الله) = محمد بن عبد الله بن أحمد السرائي.
السرائي (أرشد الدين) = محمود بن قطلوشاه.
السرائي (أبو الثناء) = محمود بن عبد الله.
السرائي (منهاج الدين) = إبراهيم بن سليمان السرائي.
السرائي التبريزي (جمال الدين) = يوسف بن حسن بن محمود السرائي التبريزي.
سعد الدين التفتازاني = التفتازاني.
سعيد بن أحمد الشرواني القزاني: ٢/ ٣٥٥.
سعيد بن حميد القزاني: ٢/ ٣٨١.
سعيد بن حميد القزاني: ٢/ ٤٠٠.
سعيد بن المطهر بن سعيد (أبو المعالي سيف الدين الباخرزي) = الباخرزي (سيف الدين).
سليمان بن داود الأورنبورغي: ٢/ ٤١١.
سليمان بن داود السقسيني: ١/ ٣٢٤.
سليمان بن مصطفى: ٢/ ٣٤٣.
سنجر الباشقردي (علم الدين): ١/ ٣٢٨.
سيجبور خاقان = ديزابول.
سيد بن نور محمد: ٢/ ٣٧٥.
السيرامي (أحمد بن محمد = أحمد بن محمد السيرامي (علاء الدين).
سيف الله بن عالم بك الآجوي: ٢/ ٤٠٧.
سيف الدين الباخرزي = الباخرزي.
سيف الدين بن أبي بكر الشنكاري: ٢/ ٣٥١.

سيف الدين بن سبحانقلي الكيجوجاتي: ٢/ ٣٨٥.

باب السين

شاه أحمد بن بايزيد: ٢/ ٤٠٧.

شاه أحمد بن رفيق السماكي (الملا): ٢/ ٣٦١.

شاه أحمد بن يوسف بن قطلغ التوكيلي النقشبندي: ٢/ ٣٧١.

شرف الدين بن زين الدين استرلي طمقي: ٢/ ٣٧٣.

شرف الدين بن كمال القريمي: ١/ ٧٠٩.

شرف الدين بن مهدي: ٢/ ٤١١.

شمس الدين بن رحمة الله المزار آستي: ٢/ ٤٠٢.

شمس الدين بن عبد الرشيد القشقاري التاش كيجوي: ٢/ ٣٥٧.

شمس الدين بن يار محمد التركي (الصوفي): ٢/ ٣٩٣.

شهاب الدين الأسني: ٢/ ٤١٠.

شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني: ٢/ ٤٠٣.

الشيخ أحمد خان ابن السيد أحمد خان: ١/ ٦٦١.

شيخ بابا = إيشمحمد بن طوق محمد الآدائي.

شيخ علي خان بن الله يار: ٢/ ٤٢٧.

باب الصاد

صابر بن حماد: ٢/ ٤٠٧.

صاتلغان سلطان بن نور دولت: ٢/ ٤٢٦.

صاحب الدين ابن الملا زين الدين النوركايي: ٢/ ٣٩٥.

صالح جان بن محمد جان البارودي: ٢/ ٤٠٧.

صاين فولاد بن بيك بولاد: ٢/ ٤٢٧.

صدر الدين بن علاء الدين البلغاري (الشيخ أبو محمد): ١/ ٣٢٧.

صرتق خان بن باتوخان: ١/ ٣٩٥.

صلاح الدين ابن الملا إسحٰق القزاني: ٢/ ٣٩٧.

باب الضاد

ضياء الدين بن سعد الله بن محمد بن عثمان القريمي: ١/ ٧٠٩.

باب الطاء

طاهر بن سبحانقلي المقرىء: ٢/ ٣٩٢.

طقطاي بن منكوتيمر بن طغان: ١/ ٤٦٥.

طولون خان: ١/ ٨٥.

باب العين

عارف الله بن محمدي بن صالح: ٢/ ٤٠٧.

عباس بن عبد الرشيد الياوشي: ٢/ ٣٧٩.

عبد الله بن إبراهيم أفندي (عفيف الدين أفندي): ١/ ٧١٨.

عبد الله جان بن عبد الوالي: ٢/ ٤٠٧.

عبد الله السرطاوي النجاري: ٢/ ٤١٣.

عبد الله بن عبد الغفور الجقمقي: ٢/ ٤٠٩.

عبد الله بن يحيىٰ بن محمود الجرثوشي: ٢/ ٣٨٤.

عبد الجبار أفندي التلانجي طمقي: ٢/ ٣٩٧.

عبد الجبار بن جعفر الباراوي: ٢/ ٣٩٢.

عبد الجميل بن أوته قل الأوتاكي: ٢/ ٣٨٥.

عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الطايصوغاني: ٢/ ٣٧٤.

عبد الحليم بن زين العابدين المورطشي: ٢/ ٣٦٦.
عبد الخالق بن إبراهيم القورصاوي: ٢/ ٣٦٦.
عبد الخالق بن أعظم التنكي: ٢/ ٣٤١.
عبد الخالق بن عبد الكريم (الملا): ٢/ ٣٦٩.
عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن موسى المجكروي: ٢/ ٤٠٣.
عبد الرحمٰن أفندي (الملا): ٢/ ٤٠١.
عبد الرحمٰن بن طويمحمد البيكجوري الطايصوغاني: ٢/ ٣٣٨.
عبد الرحمٰن بن محمد شريف الخان كرماني القارغالي: ٢/ ٣٥٤.
عبد الرحيم بن عاشور الحاجطرخاني: ٢/ ٣٧٦.
عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن بن نصر الموصلي (نجم الدين) = ابن النجام.
عبد الرحيم بن عثمان الأوتزايماني: ٢/ ٣٦٠.
عبد الرشيد بن عبد الكريم القارغالي: ٢/ ٣٤٦.
عبد الستار بن عبد الله الطيمازي: ٢/ ٣٨٠.
عبد السلام بن الحسن القاريلي: ٢/ ٣٣٩.
عبد السلام بن عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن (المفتي الثاني): ٢/ ١٨٢.
عبد الصالح بن عبد الله بن شريف بن كيوك: ٢/ ٣٧٦.
عبد العزيز بن حبيب الله الأورسانايي: ٢/ ٤٠٨.
عبد العلام بن صالح الجرشوي: ٢/ ٣٩٩.
عبد الغفور بن سيف الله الطوي كلدي: ٢/ ٣٨١.
عبد الغفور بن عبد المنان بن آبلاي الجيسطايي: ٢/ ٣٦٩.
عبد الفتاح بن عبد القيوم بن عصمة الله بن عبد الرحمٰن الشلجلي: ٢/ ٤٠٨.
عبد القادر بن سليمان القارشين شريفي: ٢/ ٣٤٩.
عبد القيوم أفندي: ٢/ ٤٠٧.
عبد الكريم بن بالطاي القارغالي: ٢/ ٣٣٨.
عبد اللطيف بن أدهم اليولقي: ٢/ ٣٥٥.
عبد اللطيف بن سبحانقلي بن رمقل القورجي: ٢/ ٣٧٥.
عبد الناصر البواوي (قشاق): ٢/ ٤١٠.
عبد النصير بن إبراهيم القورصاوي (أبو النصر): ٢/ ٣٤٣.
عبد النصير بن ثابت الأجكني الألمني: ٢/ ٣٦٤.
عبد النصير بن سيف الملك الجقالي الآشطي: ٢/ ٣٥٨.
عبد النصير بن عبد الرحيم الطاي صويغاني: ٢/ ٣٩٤.
عبد الواحد بن سليمان (المفتي الثالث): ٢/ ١٨٢.
عبد الواحد بن عبد الرحمٰن البواوي: ٢/ ٣٧٧.
عبد الواحد بن عبد المنان بن آبلاي المنزلة باشي: ٢/ ٣٦٨.
عبد الوالي (الملا): ٢/ ٤٠٧.
عبيد الله بن إبراهيم البيركوي: ٢/ ٣٧١.
عبيد الله بن جعفر الكيزلوي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٤٩.
عبيد الله بن سبقل الحاجطرخاني: ٢/ ٣٧٨.
ابن عربشاه (أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، شهاب الدين): ١/ ٧٢٣.

عصمة الله بن الملا عبد الرحمٰن طويمحمد الشلجلي: ٢/ ٣٧٢.
عطاء الله بن محمد (الملا): ٢/ ٤٠١.
علاء الدين النعمان الخوارزمي = نعمان الدين الخوارزمي.
علي باي بن يار محمد الجالبوي: ٢/ ٣٧٣.
علي بن سيف الله التونتاري: ٢/ ٤٠٢.
عماد الدين بن كمال الدين النوركائي: ٢/ ٣٩١.

باب الغين

غرمونجي إيشان = جعفر بن عبدي النقشبندي المجددي.
غياث الدين بن حبيب الله: ٢/ ٤٠٧.

باب الفاء

فاطمة سلطان ابنة آق محمد: ٢/ ٤٢٨.
فتح الله آخوند بن الحسين الأوروي: ٢/ ٣٦٧.
فتح الله بن صفر علي المناوزي: ٢/ ٣٧٧.
فخر الدين بن إبراهيم بن خوجاش القزاني النجاري: ٢/ ٣٧٠.
فخر الدين الأسابي: ٢/ ٤١٣.
فخر الدين بن سجانقل الكيجوجاتي: ٢/ ٣٤٨.
فخر الدين بن مصطفى الأكرجي: ٢/ ٣٨٦.
فخر الدين بن يهود النورلاطي: ٢/ ٤٠٧.
فضل بن إبراهيم الأجكني الألمني: ٢/ ٣٤٨.
فيض الله بن عثمان البلغاري: ٢/ ٣٤١.

باب القاف

قاسم أفندي (الملا): ٢/ ٣٩٩.
قاسم خان بن ألوغ محمد خان القزاني: ٢/ ٤٢٦.
قاضي آقي = محمد بن علي الداغستاني.
القريمي = أحمد بن عبد الله القريمي.
القريمي (شرف الدين) = شرف الدين بن كمال القريمي.
القريمي (ضياء الدين) = ضياء الدين بن سعد الله بن محمد بن عثمان القريمي.
القريمي (نجم الدين) = إسحٰق بن إسماعيل بن إبراهيم.
القريمي المرتعش = أحمد بن محمد بن عبد المؤمن، ركن الدين.
قشاق = عبد الناصر البواوي.
قطب الدين الرازي (محمد بن محمد): ١/ ٧٢٠.
قوام الدين البلغاري = محمد الأمين بن سيف الله النلاساوي.

باب الكاف

كجي محمد خان: ١/ ٦٤٢.
الكلستاني (أبو الثناء) = محمد بن عبد الله أبو الثناء الكلستاني.
كمال الدين الخجندي: ١/ ٧٢٢.
كون خان بن آغوزخان: ١/ ٣٤٤.
كينه صاري خان بن قاسم بن آبلاي خان: ٢/ ٤٥٠.
كيوك خان بن ذيب باتوي: ١/ ٣٣٨.
كيوك قاآن بن أركداي قاآن: ١/ ٣٦٠.

باب الميم

محمد الأمين بن سيف الله النلاساوي: ٢/ ٣٥٨.
محمد أوزبك بن طغرلجا بن منكوتيمر (الملك المظفر غياث الدين): ١/ ٤٨٥.

محمد البلغاري (الشيخ): ١/ ٣٢٧.
محمد جان (المفتي الأول): ٢/ ١٨١.
محمد جان بن عبد الظاهر الرحمانقلي: ٢/ ٤١٣.
محمد حسن بن شمس الدين الخان كرماني: ٢/ ٤٠٨.
محمد حسن بن عزّة الله الخان كرماني: ٢/ ٤٠٩.
محمد خان بن إيجكلي حسن: ١/ ٦١٨.
محمد ذاكر أفندي ابن الملا نور محمد التمتي المكي: ٢/ ٣٩١.
محمد ذاكر بن عبد الوهاب الجيسطايي: ٢/ ٤٠٩.
محمد رحيم أفندي البلد أنكاوي: ٢/ ٣٩٧.
محمد رحيم ابن أمير ابن جعفر التارشناوي: ٢/ ٣٧٠.
محمد رحيم بن يوسف الآشطي: ٢/ ٣٤٧.
محمد شريف آخون الطرويسكي: ٢/ ٤١٠.
محمد شريف بن إبراهيم البيركوي الخوارزمي الشكوي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٦٤.
محمد صادق أفندي ابن الملا شاه أحمد: ٢/ ٤٠٧.
محمد طيب بن زائد الأورالي: ٢/ ٣٨٠.
محمد ظريف أفندي: ٢/ ٤٠٧.
محمد ظريف بن عبد الجميل الطرويسكي: ٢/ ٣٨٥.
محمد عارف بن محمدي بن صالح: ٢/ ٤٠٧.
محمد بن عبد الله بن أحمد السرائي (أبو أحمد): ١/ ٧١٣.
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (شرف الدين أبو عبد الله) = ابن بطوطة.
محمد بن عبد الرحمٰن الأندلسي (أبو حامد): ١/ ٣٣١.
محمد بن عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (أبو عبد الله): ١/ ٣٣١.
محمد بن علي الداغستاني (قاضي آقي): ٢/ ٣٤٠.
محمد كريم بن إسحٰق المجتوي: ٢/ ٣٧٩.
محمد كريم بن محمد رحيم بن عابد التكنشي القزاني القسطنطيني: ٢/ ٣٩٤.
محمد بن محمد الكردري البزازي (حافظ الدين): ١/ ٧١١.
محمد يارسلطانوف (المفتي): ٢/ ٢٢٨.
محمد يار بن محمد شريف السلطاني = محمد يار سلطانوف.
محمدي بن صلح: ٢/ ٤٠٧.
محمود جاني بك خان ابن أوزبك خان (السلطان جلال الدين أبو المظفر): ١/ ٥٢٥.
محمود بن عبد الله (أبو الثناء السرائي الكلستاني): ١/ ٧١١.
محمود بن قطلوشاه (أرشد الدين السرائي): ١/ ٧١١.
محمود بن محمد الداغستاني الشرواني الحنفي النقشبندي المجددي: ٢/ ٤٠٠.
محيي الدين البردعي (محمد بن محمد بن محمد): ١/ ٧٢١.
مختار بن محمود بن محمد الغزميني = نجم الدين الزاهدي.
مرتضى خان ابن السيد أحمد خان: ١/ ٦٥٨.

مرتضى بن قطلفش السيمتي: ٢/ ٣٣٧.
المرتعش = أحمد بن محمد بن عبد المؤمن القريمي.
المرجاني (شهاب الدين) = شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني.
مصطفى علي بن عبد الله بن آق كباك: ٢/ ٤٢٧.
مصطفى بن موسى القزاني: ٢/ ٣٦١.
معاذ بن بيكمحمد القرامالي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٥٦.
مغل خان بن آلنجة خان: ١/ ٣٣٩.
مقصود بن قربانعلي الكولباشي: ٢/ ٣٨٤.
منصور بن عبد الرحمٰن البرندقي: ٢/ ٣٣٧.
منكلي خان: ١/ ٣٤٤.
منكوتيمر بن طغان بن باتو بن جوجي: ١/ ٤٤٤.
منهاج الدين القزاني المدني: ٢/ ٣٨٧.
أبو المنيخ بن أبي الفيض القارغالي: ٢/ ٣٤٩.
موتاخان: ١/ ٨١.
موسى أفندي المدني: ٢/ ٣٨٩.
موقان خان = ديزابول.
مولانا زاده (أحمد بن أبي يزيد بن محمد شهاب الدين بن زكي الدين العجمي): ١/ ٧٠٤.
ميان فيض بخش بن عبد القدوس المجددي: ٢/ ٣٧٣.
ميرزا سليم كراي التوكيلي (المفتي الرابع): ٢/ ١٨٣.

باب النون

ناصر الدين الناصري = باشقرد.
ابن النجام (نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمٰن بن نصر الموصلي): ١/ ٧٢١.
نجم الدين الزاهدي (مختار بن محمود بن محمد الغزميني): ١/ ٧٠٢.
نظام الدين بن سراج الدين القورجي: ٢/ ٣٨١.
نعمان ابن أمير ابن عثمان التمني: ٢/ ٣٧٤.
النعمان بن دولت شاه بن علي الخوارزمي = نعمان الدين الخوارزمي.
نعمان الدين الخوارزمي: ١/ ٧٠٠.
نعمة الله بن بيكتمر الأسترالي باشي النقشبندي المجددي: ٢/ ٣٦٨.
نعمة الله بن عبد الرحيم الأورنبورغي: ٢/ ٣٧٤.
نعمة الله بن عبيد الله الألمتي: ٢/ ٣٧٨.
نعمة الله بن عمر الأوتاري: ٢/ ٣٤٦.
نعمة الله بن مناسب البوبوي: ٢/ ٣٧٢.
نور دولت بن حاجي كراي خان القريمي: ٢/ ٤٢٦.
نور الدين الطرخاني: ٢/ ٣٩٧.
نور علي خان بن أبي الخير خان: ٢/ ٤٤٥.
نور محمد ابن الملا إبراهيم بن خوجاش القزاني: ٢/ ٣٨٥.

باب الهاء

هبة الله بن سيد بطال القارغالي: ٢/ ٣٩٩.
هبة الله بن دين محمد الصلاوجي: ٢/ ٣٦٦.

باب الواو

ولي خان بن آبلاي خان: ٢/ ٤٤٥.
ولي الدين بن الحسن المقري (الحاج البغدادي): ٢/ ٣٥٦.

وليد آخوند بن سعيد المنزلة باشي: ٢/ ٣٤٢.
وليد بن محمد الأمين القارغالي: ٢/ ٣٤٢.
وليد بن مقصود: ٢/ ٣٤٠.

باب الياء

يعقوب بن نعمان (قاضي بلغا): ١/ ٣١٧.
يعقوب بن يحيىٰ التيبيازي القشقاري: ٢/ ٣٧٢.
يولدز خان: ١/ ٣٤٤.
يوسف بن حسن بن محمود السرائي التبريزي (جمال الدين): ١/ ٧١٥.
يونس بن إبراهيم (الملا): ٢/ ٣٦١.
يونس بن إيواناي الأوروي: ٢/ ٣٣٨.

٤ ـ فهرس الأعلام
المُتَرجَم لهم في الحواشي

باب الألف

إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي: ٢/ ٢٧٨.

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صولتكين البغدادي (أبو إسحٰق) = الصولي (أبو إسحٰق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صولتكين).

إبراهيم بن محمد بن دقماق = ابن دقماق.

الأبشيهي (بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور المصري): ١/ ٢٤٨.

ابن الأثير الجزري (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد): ١/ ٣٢، ٢/ ١١٧.

أحمد بن أويس بن حسن الجلايري (السلطان): ١/ ٦٨٦.

أحمد جودت باشا بن إسماعيل بن علي = جودت باشا.

أحمد بن عبد الله القريمي = القريمي.

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (شهاب الدين) = النويري (شهاب الدين).

أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم (شمس الدين) = صدر الشريعة (شمس الدين).

أحمد بن عربشاه الدمشقي: ١/ ٥١.

أحمد بن علي بن أحمد (شهاب الدين أبو العباس) = القلقشندي.

أحمد بن علي بن عبد القادر (تقي الدين) = المقريزي.

أحمد بن علي بن محمد بن محمد (شهاب الدين أبو الفضل) = ابن حجر العسقلاني.

أحمد بن عمر الخيوقي (نجم الدين) = الكبري.

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد: ١/ ٢٤، ١٩٨.

أحمد بن لطف الله = منجم باشي.

أحمد بن محمد بن إبراهيم (شمس الدين أبو العباس) = ابن خلكان.

أحمد بن محمد بن إبراهيم الدمشقي (شهاب الدين أبو محمد) = أحمد بن عربشاه الدمشقي.

أحمد بن محمد بن الأحرز (جلال الدين) = الخجندي (جلال الدين).

أحمد بن محمد بن أحمد (علاء الدولة) = السمناني.

أحمد بن محمد بن إسحٰق = ابن الفقيه الهمداني.
أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي (أبو جعفر) = الطحاوي.
أحمد بن محمد بن شهبة (تقي الدين أبو بكر) = ابن شهبة.
أحمد بن محمد بن عبد الغفار القزويني = الغفاري.
أحمد بن محمود الأدرنوي (شمس الدين) = قاضي زاده الرومي.
أحمد بن محمود بن عمر (تاج الدين) = الخجندي (تاج الدين).
أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله العمري (شهاب الدين) = ابن فضل الله العمري.
أحمد اليسوي = اليسوي.
أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي = القراماني.
إدريس بن علي البدليسي = البدليسي.
الأردبيلي (صفي الدين علي بن عيسى): ١/ ٦٩٣.
إسماعيل بن عمر القرشي بن كثير (عماد الدين أبو الفداء) = ابن كثير الدمشقي.
ابن بنت الأعز (تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر): ١/ ٤٢٤.
أنس بن مالك: ١/ ٢٦٥، ٢/ ٤٣٨.
أوحد الدين الكرماني: ١/ ٦٩٣.
ابن إياس (محمد): ١/ ٥٤٢.
الإيجي (عضد الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الغفار البكري): ١/ ٦٩٢.

باب الباء

الباخرزي (سيف الدين سعيد بن المطهر بن سعيد): ١/ ٣٩٨، ٦٩١.
الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد): ٢/ ٢٧٨.
البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم): ١/ ٦٥، ٢/ ٢٩٩.
البدر التستري = التستري (بدر الدين).
البدليسي (إدريس بن علي البدليسي): ١/ ٥٤٥.
البدليسي (أبو الفضل محمد بن إدريس بن علي): ١/ ٥٤٥.
البرجندي (عبد العلي بن محمد بن حسين): ١/ ٣٠٢، ٢/ ٣٠٣.
البردعي (محيي الدين محمد بن محمد بن محمد): ١/ ٥٢٨، ٧٢١.
البرزالي (علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف): ١/ ٣٢٨.
البرزالي (علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف): ١/ ٧٠٠.
البرزنجي (محمد بن عبد الرسول ابن قلندر): ١/ ٥٥.
البزازي (حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب): ١/ ٦٩٦.
البزازي (حافظ الدين محمد بن محمد بن يوسف الكردري): ١/ ٤٠٥.
البزدوي (صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين): ٢/ ٢٩٨.
البزدوي (فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم): ٢/ ٢٩٨.
ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي): ١/ ٢٣٧، ٦٦٩.
البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن مصعب): ١/ ١٩٣.
البلخي (بهاء الدين) = بهاء الدين البلخي.

بهاء الدين البلخي (سلطان العلماء محمد بن الحسين بن أحمد): ١/ ٣٥١.
بهمانيار بن مرزبان العجمي: ١/ ٦٨.
البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد): ١/ ٢٦٥.
بيبرس الدوادار المنصوري: ١/ ٤٢٧.
بيدل (الميرزا) = الميرزا بيدل.
البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي): ١/ ١٢٤، ٦٩٠.
ابن البيع النيسابوري = الحاكم النيسابوري.

باب التاء

تاج الدين ابن بنت الأعز = ابن بنت الأعز (تاج الدين).
التبريزي (ولي الدين) = ولي الدين التبريزي.
الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): ١/ ٦٩، ٢/ ٢٩٩.
التستري (بدر الدين محمد بن أسعد): ١/ ٧٠٩.
ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي): ١/ ٢٢٩.
التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله): ١/ ٤٠٥، ٦٩٦.

باب الثاء

ثمامة بن أشرس النميري: ١/ ٥٤.

باب الجيم

الجامي (نور الدين عبد الرحمٰن بن نظام الدين أحمد الغلامي): ١/ ٣٥٠، ٢/ ٣٠٣.
الجرجاني (الشريف) = الشريف الجرجاني.
جرير بن عطية الخطفي (الشاعر): ١/ ٥٩٨.
أبو جعفر المنصور (الخليفة): ١/ ١٨٨.
الجغميني (محمود بن محمد الخوارزمي): ١/ ٦٩٤.
جلال الدين الرومي (محمد بن محمد بن الحسين): ١/ ٦٥، ١/ ٣٥١.
جلال الدين السيوطي = السيوطي (جلال الدين).
ابن جماعة (بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله): ١/ ٥٠٥.
ابن جماعة (عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم): ١/ ٧١٠.
الجنابي (مصطفى بن حسين بن علي البرسوي الرومي): ١/ ٢٣٧، ٢/ ١٣.
الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر): ١/ ٢٨٠.
جودت باشا (أحمد جودت باشا بن إسماعيل بن علي): ٢/ ١٠٢.

باب الحاء

حافظ الشيرازي (شمس الدين محمد بن كمال الدين بن غياث الدين الشيرازي): ٢/ ٤١٧.
الحاكم الشهيد (أبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد): ٢/ ٢٩٨.
الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه): ١/ ٥٥.
ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد): ١/ ٥٥٨.
حذيفة بن اليمان العبسي: ١/ ١٨٤.

الحسن بن إسحٰق بن شرف شاه الطوسي = الفردوسي.
الحسن بن محمد بن عبد الله (شرف الدين) = الطيبي.
الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي (فخر الدين أبو المحاسن) = قاضيخان.
الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (أبو علي) = ابن سينا.
الحكيم الترمذي (أبو عبد الله محمد بن علي بن حسن بن بشير): ٢/ ٢٩٩.
الحلواني (شمس الأئمة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح): ١/ ٣٠٠، ٢/ ٢٩٧.
حليم كراي بن شهباز كراي القريمي: ٢/ ٤٢٨.
أبو حنيفة (الإمام النعمان بن ثابت بن طاوس): ٢/ ٢٩٧.
ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل): ١/ ٢٨١.

باب الخاء

الخجندي (تاج الدين): ١/ ٦٩٦.
الخجندي (تاج الدين أحمد بن محمود بن عمر): ١/ ٤٠٥.
الخجندي (جلال الدين): ١/ ٦٩٧.
الخجندي (جلال الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن الأحرز): ١/ ٤٠٥.
ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه): ١/ ١٩٢.
خسرو الدهلوي (أبو الحسن محمد بن محمود أوجين الحسيني): ١/ ٦٥.
الخطيب التبريزي = وليّ الدين التبريزي.
ابن الخطيب الشافعي = فخر الدين الرازي.
خطيب الفخرية = ولي الدين التبريزي.
الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر): ٢/ ١٤٢.
الخلخالي (شمس الدين محمد بن المظفر الخطيبي): ١/ ٧٠٩.
ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد): ١/ ٣٢، ٦٧٠.
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم): ١/ ٥٩٨.
خليل بن أيبك بن عبد الله (صلاح الدين أبو الصفاء) = الصفدي.

باب الدال

دعبل بن علي الخزاعي: ١/ ١٩٨.
ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن دقماق): ١/ ٤٨٣.
ابن دقمق = ابن دقماق.

باب الذال

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان): ١/ ٣٢.

باب الراء

الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين): ١/ ٣٥١.
رشيد الدين الوطواط (محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري): ١/ ٦٤.
الرومي (جلال الدين) = جلال الدين الرومي.
ابن الرومي الشاعر (أبو الحسن علي بن العباس بن جريج): ١/ ٥٦.

باب الزاي

الزاهدي (الغزميني): ١/ ٧٠٢.

الزاهدي الغزميني (نجم الدين أبو الرجاء مختار بن محمود بن محمد): ١/ ٢٩٩، ٤٠٣.

الزبيدي (أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق): ١/ ٣١٧.

زرادشت: ١/ ١٠٤.

زكريا القزويني (عماد الدين أبو يحيىٰ زكريا بن محمد بن محمود القاضي): ١/ ٢٤.

زكريا بن محمد بن محمود القاضي القزويني (عماد الدين أبو يحيىٰ) = زكريا القزويني.

الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد): ١/ ٦٣.

ابن الزملكاني (كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي بن عبد الواحد): ١/ ٣٢٨.

باب السين

سحبان بن زفر بن إياس الوائلي: ٢/ ٢٧٨.

سحبان وائل = سحبان بن زفر بن إياس الوائلي.

السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد): ١/ ٧٠٨.

السرخسي (شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل): ٢/ ٢٩٧.

سعد الدين التفتازاني = التفتازاني (سعد الدين).

سعدي الشيرازي (شرف الدين مصلح بن عبد الله): ١/ ٣٣٣، ٢/ ٣١١.

سعيد بن المطهر بن سعيد (سيف الدين) = الباخرزي.

السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي): ١/ ٦٤، ٧٠٣.

سلطان العلماء = بهاء الدين البلخي.

سليم الأول ابن بايزيد خان الثاني (السلطان): ٢/ ١٠٣.

سليمان القانوني (السلطان): ٢/ ٤٣.

السمناني (علاء الدولة أحمد بن محمد بن أحمد): ١/ ٦٩٣.

سيف الدين الباخرزي = الباخرزي (سيف الدين).

ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن): ١/ ٦٨، ٢/ ٢٧٨.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد): ١/ ٧١٠.

باب الشين

الشافعي (الإمام محمد بن إدريس بن العباس): ٢/ ٢٧٤.

ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن الحسن بن شداد الحلبي): ١/ ٤١٢.

الشريف الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني): ٢/ ٣٠٢.

شمس الأئمة الحلواني = الحلواني.

شمس الدين الدمشقي (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الدمشقي): ١/ ٢٧٤.

شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني = الفاضل المرجاني.

ابن شهبة (تقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن شهبة): ١/ ٤٨٤.

شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري): ١/ ٢٣٣.

باب الصاد

صاحب الصحاح = البخاري (الإمام).
صدر الشريعة الأكبر = صدر الشريعة (شمس الدين أحمد بن عبيد الله).
صدر الشريعة (شمس الدين أحمد بن عبيد الله بن مسعود بن عمر): ٢/ ٣٠٢.
صدر الشريعة (عبيد الله بن مسعود بن عمر): ٢/ ٣٠٢.
صدر الشريعة الثاني = صدر الشريعة (عبيد بن مسعود بن عمر).
الصدر الشهيد (حسام الدين أبو محمد عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازه): ٢/ ٢٩٨.
الصفدي (صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله): ١/ ٤٩٥.
الصلاح الصفدي = الصفدي (صلاح الدين).
صلاح الدين الصفدي = الصفدي (صلاح الدين).
صلة بن زفر العبسي: ١/ ١٨٤.
الصولي (أبو إسحٰق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صولتكين): ١/ ٦٣.
الصولي (أبو بكر محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن عباس): ١/ ٥٥.

باب الطاء

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد): ١/ ٣١.
الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي): ٢/ ٣٠٥.
الطوسي (نصير الدين محمد بن محمد بن الحسين): ١/ ٤٤١، ٦٩١.
الطيبي (شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله): ١/ ٦٩٢.

باب الظاء

ظهير الدين المرغيناني = المرغيناني.

باب العين

ابن عابدين (علاء الدين محمد بن محمد أمين عابدين): ١/ ٣٠١.
ابن عابدين (محمد أمين عابدين بن عمر عابدين): ١/ ٣٠٠.
عبد الله بن أحمد بن محمود (حافظ الدين أبو البركات) = النسفي.
عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان (محيي الدين) = محيي الدين بن عبد الظاهر.
عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن مصعب (الحافظ أبو عبيد البكري) = البكري.
عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي (ناصر الدين أبو سعيد) = البيضاوي.
عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الغفار البكري (عضد الدين) = الإيجي (عضد الدين).
عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد (جلال الدين السيوطي) = السيوطي.
عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد (ولي الدين ابن خلدون) = ابن خلدون.
عبد الرحمٰن بن نظام الدين أحمد الغلامي (نور الدين) = الجامي.
عبد الرزاق بن أحمد بن محمد (كمال الدين) = ابن الفوطي.
ابن عبد الظاهر (محيي الدين) = محيي الدين بن عبد الظاهر.

عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح (شمس الأئمة أبو محمد) = الحلواني.
عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم (عز الدين أبو عمر الحموي) = ابن جماعة.
عبد العلي بن محمد بن حسين = البرجندي.
عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني): ١/ ٦٤.
عبد النصير بن إبراهيم البلغاري (أبو النصر): ٢/ ٣٤٣، ٤٠٣.
عبد الوهاب بن خلف بن بدر (تاج الدين) = ابن بنت الأعز.
ابن العبري = الملطي (أبو الفرج).
عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (أبو القاسم) = ابن خرداذبه.
ابن عربشاه (أحمد): ١/ ٦٩٦.
ابن عربشاه الدمشقي = أحمد بن عربشاه الدمشقي.
عضد الدين الإيجي = الإيجي (عضد الدين).
علاء الدولة السمناني = السمناني (علاء الدولة أحمد بن محمد بن أحمد).
علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي (أبو الحسن المسعودي) = المسعودي.
علي بن العباس بن جريج (أبو الحسن) = ابن الرومي الشاعر.
علي بن عبد الله اليزدي (شرف الدين) = اليزدي.
علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق (ظهر الدين) = المرغيناني.
علي بن محمد بن عبد الكريم (فخر الإسلام أبو الحسن) = البزدوي.
علي بن محمد السمرقندي (علاء الدين) = القوشجي.
علي بن محمد بن علي الجرجاني (أبو الحسن) = الشريف الجرجاني.
علي بن محمد بن محمد (عز الدين أبو الحسن) = ابن الأثير الجزري.
عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازه (حسام الدين أبو محمد) = الصدر الشهيد.
عمر بن محمد (نجم الدين أبو حفص) = النسفي.
عمر بن المظفر بن عمر (زين الدين) = ابن الوردي.
العيني (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى): ١/ ٢٣٢، ٧٠١.

باب الغين

غريغوريوس بن حكيما = الملطي (أبو الفرج).
الغزميني (الزاهدي) = الزاهدي الغزميني.
الغزميني الزاهدي: ١/ ٧٠٢.
الغفاري (أحمد بن محمد بن عبد الغفار القزويني): ١/ ٥٤٩.

باب الفاء

الفارابي (أبو نصر محمد بن محمود بن أوزلغ): ١/ ٦٧، ٢/ ٢٩٩.
الفاضل الكاتب جلبي (مصطفى بن عبد الله بن محمد القسطنطيني الرومي): ١٤٩.
الفاضل المرجاني (شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني): ١/ ٢٤، ٦٦٩.
الفاكهي (أبو عبد الله محمد بن إسحٰق بن عباس): ١/ ٣٢٨.
فخر الدين الرازي = الرازي (فخر الدين).

أبو الفداء الأيوبي (الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن المظفر): ١/ ٢٠١، ٢٣٩.
ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي): ١/ ٥٩٢.
فرج بن الظاهر برقوق: ١/ ٦٨٣.
أبو الفرج الملطي = الملطي (أبو الفرج).
الفردوسي (أبو القاسم الحسن بن إسحٰق بن شرف شاه الطوسي): ١/ ٣٣.
الفرزدق (همام بن غالب بن ناجية): ١/ ٥٩٨.
ابن فضل الله العمري (بدر الدين) = المقر البدري ابن فضل الله العمري.
ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله): ١/ ٢٣١، ٦٨٧.
فضل الله بن محبّ الله بن محمد (تقي الدين) = المحبي (تقي الدين).
ابن فضلان = أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد.
ابن الفقيه الهمداني (أحمد بن محمد بن إسحٰق): ١/ ٢٠٧.
ابن الفوطي (كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد): ١/ ٣٩٨.

باب القاف

قاسم أمين: ٢/ ٣٠٩.
القاسم بن محمد بن يوسف (علم الدين أبو محمد) = البرزالي.
قاضيخان (فخر الدين أبو المحاسن الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي): ٢/ ٣٠١.
قاضي زاده الرومي (شمس الدين أحمد بن محمود الأدرنوي): ٢/ ٣٠٢.
القرامانى: (أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي): ١/ ٤٤١.
القريمي (أحمد بن عبد الله): ١/ ٦٩٧.
قطب الدين الشيرازي (محمود بن مسعود بن مصلح): ١/ ٦٩١.
القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد): ١/ ٣٩٨، ٦٨٢.
القوشجي (علاء الدين علي بن محمد السمرقندي): ٢/ ٣٠٣.

باب الكاف

الكاتب جلبي = الفاضل الكاتب جلبي.
الكاشاني: ١/ ٦٩٣.
الكبري (نجم الدين أحمد بن عمر الخيوقي): ١/ ٦٩٠.
ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي): ١/ ٣٢.
الكردري (حافظ الدين شمس الأئمة أبو الوجد محمد بن محمد بن عبد الستار العمادي): ٢/ ٣٠١.
الكرماني (أوحد الدين) = أوحد الدين الكرماني.
الكلستاني (بدر الدين محمود بن عبد الله الحسني): ١/ ٧١١.
الكمال بن الهمام (كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد): ١/ ٣٠٠.

باب اللام

أبو الليث السمرقندي (نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب): ٢/ ٢٩٩.

باب الميم

الماتريدي (أبو منصور محمد بن محمود بن محمود): ١/ ٧٠٨.
المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد): ١/ ٥٤، ٦٩٥.

المحبي (تقي الدين فضل الله بن محبّ الله بن محمد): ١/ ٥٩١.

المحبي (محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الله بن محمد): ١/ ٥٩١.

محمد بن إبراهيم بن سعد الله (بدر الدين أبو عبد الله) = ابن جماعة.

محمد بن أحمد الخطائي = مولانا زاده.

محمد بن أحمد بن عثمان (شمس الدين أبو عبد الله الذهبي) = الذهبي.

محمد بن إدريس بن العباس = الشافعي (الإمام).

محمد بن إدريس بن علي (أبو الفضل) = البدليسي (أبو الفضل).

محمد بن أسعد (بدر الدين) = التستري.

محمد أمين عابدين بن عمر عابدين = ابن عابدين.

محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الله بن محمد = المحبّي (محمد أمين بن فضل الله بن محبّ الله بن محمد).

محمد بن إياس: ١/ ٥٤٢.

محمد بن جرير بن يزيد (أبو جعفر الطبري) = الطبري.

محمد بن الحسين بن أحمد (سلطان العلماء بهاء الدين) = بهاء الدين البلخي.

محمد بن خاوند شاه بن محمود = ميرخواند.

محمد بن سالم بن نصر الله (جمال الدين) = ابن واصل الحموي.

محمد بن سعيد بن حماد (شرف الدين أبو عبد الله) = البوصيري.

محمد بن أبي طالب الأنصاري (شمس الدين أبو عبد الله) = شيخ الربوة.

محمد بن الطيب بن محمد (أبو بكر) = الباقلاني.

محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ولي الدين) = ولي الدين التبريزي.

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (شمس الدين أبو عبد الله) = ابن بطوطة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (أبو عبد الله) = الحاكم النيسابوري.

محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد (شمس الدين أبو الخير) = السخاوي.

محمد بن عبد الرحيم بن علي (ناصر الدين) = ابن الفرات.

محمد بن عبد الرسول ابن قلندر = البرزنجي.

محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد (كمال الدين) = الكمال بن الهمام.

محمد بن علي بن حسن بن بشير (أبو عبد الله) = الحكيم الترمذي.

محمد بن علي بن الحسن بن شداد الحلبي (عز الدين) = ابن شداد.

محمد بن علي بن حوقل (أبو القاسم) = ابن حوقل.

محمد بن علي بن عبد الواحد (كمال الدين أبو المعالي) = ابن الزملكاني.

محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين الرازي) = فخر الدين الرازي.

محمد بن عيسى بن سورة (أبو عيسى) = الترمذي.

محمد بن فضل الله العمري (بدر الدين) = المقر البدري ابن فضل الله العمري.

محمد بن قلاوون (السلطان): ١/ ٦٧٧.

محمد بن محمد أمين عابدين (علاء الدين) = ابن عابدين (علاء الدين).

محمد بن محمد بن الحسين (صدر الإسلام أبو أمين) = البزدوي.

محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البكري = جلال الدين الرومي.

محمد بن محمد بن الحسين الطوسي (نصير الدين) = الطوسي.

محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري = رشيد الدين الوطواط.

محمد بن محمد بن عبد الستار العمادي (حافظ الدين شمس الأئمة) = الكردري.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (أبو الفيض) = الزبيدي.

محمد بن محمد بن محمد بن علي (كمال الدين أبو القاسم) = النويري (كمال الدين).

محمد بن محمد بن يوسف الكردري (حافظ الدين) = البزازي.

محمد بن محمود بن أوزلغ (أبو نصر) = الفارابي.

محمد بن محمود بن محمود (أبو منصور) = الماتريدي.

محمد بن المظفر الخطيبي (شمس الدين) = الخلخالي.

محمد بن يحيىٰ بن أبي بكر الصولي = الصولي (أبو بكر محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن عباس).

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الدمشقي = شمس الدين الدمشقي.

محمد بن أحمد بن موسى (بدر الدين أبو محمد) = العيني.

محمود بن عبد الله الحسني (بدر الدين) = الكلستاني.

محمود بن عمر بن محمد (جار الله أبو القاسم) = الزمخشري.

محمود بن محمد الخوارزمي = الجغميني.

محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي = قطب الدين الشيرازي.

محيي الدين البردعي = البردعي (محيي الدين).

محيي الدين بن عبد الظاهر (أبو محمد عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان): ١/ ٤١٩.

مختار بن محمود بن محمد (نجم الدين أبو الرجاء) = الزاهدي الغزميني.

مختار بن محمود بن محمد الغزميني (نجم الدين) = الزاهدي.

مرتضى الزبيدي = الزبيدي (أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق).

المرجاني = الفاضل المرجاني.

المرغيناني (ظهير الدين علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق): ١/ ٣٠٠.

مزدك الزنديق: ١/ ١١٨.

مسعود بن عمر بن عبد الله (سعد الدين) = التفتازاني.

المسعودي (علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي، أبو الحسن): ١/ ٣١، ٢/ ١١٢.

مصطفى بن حسين بن علي البرسوي الرومي = الخبابي.

مصطفى بن عبد الله بن محمد القسطنطيني الرومي = الفاضل الكاتب جلبي.

مصلح بن عبد الله (شرف الدين) = سعدي الشيرازي.
المطرزي (ناصر الدين أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد): ١/ ٦٤.
المطرزي (ناصر الدين أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي الخوارزمي): ١/ ٧٠٣.
مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري (علاء الدين): ١/ ٤٧٩.
المقر البدر ابن فضل الله العمري (بدر الدين محمد بن فضل الله): ١/ ٥٥٨.
المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر): ١/ ٤٠٠.
الملطي (أبو الفرج غريغوريوس بن حكيما): ١/ ٣٥٥.
منجم باشي (أحمد بن لطف الله): ١/ ٢٧٤، ٢/ ١٣.
منصور الدوانيقي = أبو جعفر المنصور (الخليفة).
مولانا زاده (محمد بن أحمد الخطائي): ١/ ٧٠٤.
موهوب بن أحمد بن الخضر (أبو منصور) = الجواليقي.
الميراخوند = ميرخواند محمد بن خاوند شاه ابن محمود.
ميرخواند (محمد بن خاوند شاه ابن محمود): ١/ ٥٨٢.
الميرزا بيدل (عبد القادر بن ميرزا عبد الله الفتني الهندي): ١/ ٦٥.

باب النون

ناصر بن أبي المكارم عبد السيد (ناصر الدين أبو الفتح) = المطرزي.
نجم الدين الكبري = الكبري (نجم الدين).
نجم الدين الزاهدي = الزاهدي (نجم الدين).
النسفي (حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود): ٢/ ٣٠١.
النسفي (نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد): ٢/ ٢٩٩.
نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب = أبو الليث السمرقندي.
نصير الدين الطوسي = الطوسي (نصير الدين).
النعمان بن ثابت بن طاوس = أبو حنيفة (الإمام).
النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد): ١/ ٢٣٠.
النويري (كمال الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي): ١/ ٢٣٠.

باب الهاء

هارون الرشيد: ١/ ١٨٨، ٦٩٥.
ابن الهمام = الكمال ابن الهمام.
همام بن غالب بن ناجية = الفرزدق.

باب الواو

ابن واصل الحموي (جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله): ١/ ٤١٤.
ابن الوردي (زين الدين عمر بن المظفر بن عمر): ١/ ٤٤٨.
الوطواط = رشيد الدين الوطواط.
ولي الدين التبريزي (أبو عبد الله الخطيب التبريزي): ١/ ٦٩٢.

باب الياء

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي): ١/ ١٩٧، ٢/ ١٠٧.

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) = ياقوت الحموي.
يحيىٰ بن أكثم بن محمد: ١/ ٦٩٥.
اليزدي (شرف الدين علي بن عبد الله): ١/ ٥٤٥.
يزيد بن مزيد الشيباني: ١/ ٥٤.
اليسوي (أحمد): ١/ ٦٥.
يوسف بن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن) = ابن تغري بردي.
يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي (سراج الدين أبو يعقوب) = السكاكي.
يوسف بن تنكري بيردي التركي (جمال الدين أبو المحاسن) = ابن تغري بردي.

٥ ـ فهرس القوافي

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		قافية الألف المقصورة	
الندى	فوضع	ـ	٢/ ٧
جرى	لكن	ـ	١/ ٥٧٥
بالخرى	ثم لما	ـ	١/ ١٣٦
والذرى	لا تنكر	أبو البختري	١/ ١٩١
أشقى	وأفسدت	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
		قافية الهمزة	
		الهمزة المضمومة	
الأعداءُ	ومليحة	ـ	١/ ٢٩١
		قافية الباء	
		الباء المفتوحة	
وثبا	إن العدو	ـ	١/ ٣١١
كسبا	ولست	ـ	١/ ٤١
كسبا	ولست	ـ	١/ ٣٢٠
غلبا	دع	ـ	٢/ ٦٦
		الباء المضمومة	
الأدبُ	سوء	ـ	١/ ٧٢٠
الأدبُ	سوء	ـ	٢/ ٤٣٨

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
أربُ	في الناس	ـ	١/ ٧٢٠
أربُ	في الناس	ـ	٢/ ٤٣٨
الشنبُ	يا بارق	ـ	١/ ٣٨٣
الشنبُ	يا بارقًا	ـ	٢/ ٢٢
	الباء المكسورة		
أبِ	وما	ـ	١/ ٣٢٠
المصائبِ	فقدنا	ـ	١/ ٧٢٤
الصوائبِ	بلى	ـ	١/ ٧٢٤
الذبابِ	يخطران	ـ	٢/ ٣١٠
العقاربِ	ولا	ـ	٢/ ١٧٩
الضربِ	جيش	محمود بن شهاب الدين	١/ ٢٥٩
العربي	الحمد لله	محمود بن شهاب الدين	١/ ٢٥٩
الغربِ	رأى	ـ	٢/ ٣٢٧
ومغربِ	سارت	ـ	١/ ٢٨٥
ومغربِ	سارت	ـ	١/ ٣٨٣
المواكبِ	وكنار	ـ	١/ ٧٢٤
الصلبِ	بدولة	ابن سناء الملك	١/ ٢٥٩
مجلوبِ	حسن	ـ	١/ ٤٨
	قافية التاء		
	التاء المفتوحة		
عفاريتا	قوم	ـ	١/ ٥٦، ٢٣٣، ٢٥٩
صيتا	وفتية	ـ	١/ ٥٦، ٢٥٩
	التاء المكسورة		
دعاتِها	أغربت	ـ	١/ ٢٦١
الجوهرياتِ	لله	ـ	٢/ ٢٧٩
	قافية الثاء		
	الثاء الساكنة		
وثالثْ	فلو كان	ـ	١/ ٥٧٩
	الثاء المضمومة		
وثالثُ	فلو كان	ـ	١/ ٦٥٥

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		قافية الجيم	
		الجيم المفتوحة	
ديباجا	وأفرج	ـ	١/ ٦٠٠
ماجا	أرقب	ـ	١/ ٦٠٠
		الجيم المضمومة	
المخرجُ	ولرب	ـ	٢/ ٢٣٦
تفرجُ	ضاقت	ـ	٢/ ٢٣٦
		قافية الحاء	
		الحاء المكسورة	
أبطحِ	ملكنا	ـ	٣٨٣
		قافية الدال	
		الدال المفتوحة	
تمردا	إذا أنت	ـ	٢/ ٧
		الدال المضمومة	
فوائدُ	بذا	ـ	٢/ ١٤٩
سادُوا	لا يصلح	ـ	٢/ ٣١١
جمادُ	فقد	ـ	٢/ ٤٠٦
اجتهادُه	إذا لم	ـ	١/ ٣٥٤
أيادُ	ولو	ـ	٢/ ٤٠٦
الكبدُ	تجد	ـ	١/ ٢٢
والوتدُ	ولا	ـ	١/ ٢٦٠
تجدُ	طالع	ـ	١/ ٢٢
أحدُ	هذا	ـ	١/ ٢٦٠
وتسعدُ	وإذا	ـ	٢/ ٢٩٧
ولدُوا	يفاخرون	ـ	١/ ٣٢٠
يصيدُ	تفرقت	ـ	٢/ ٤١٥
		الدال المكسورة	
تنادي	وأسمعت	ـ	١/ ٢٦١

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
المتشدِّدِ	أرى	ـ	٢/ ٣٤٦
أرشدِ	وما أنا	ـ	١/ ٦٥٨، ٢/ ٤٢٥
أرشدِ	وما أنا	دريد بن الصمة	١/ ٣٣٨
بعدي	فإن	ـ	٢/ ١٣١
جندي	وكنت	ـ	٢/ ١٣١
حديدِ	ففي	ـ	١/ ٣٤٧
شديدِ	سرور	ـ	١/ ٣٤٧
	قافية الراء		
	الراء الساكنة		
والوترْ	وصرت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٧
والضررْ	ففرج	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٧
خزرْ	ألا وهم	دعبل الخزاعي	١/ ١٩٨
والخزرْ	قتل	دعبل الخزاعي	١/ ١٩٨
والبشرْ	وللبرق	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
البصرْ	وقد	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
حضرْ	وأيقنت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
مضرْ	وليس	دعبل الخزاعي	١/ ١٩٨
خطرْ	ذكرتك	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
انفطرْ	وفارقت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
المطرْ	وقد	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
والفكرْ	وأهلكني	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
قمرْ	وقد	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
الصورْ	بليلة	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
	الراء المفتوحة		
دارا	فانظر	ـ	١/ ٢٢
أدوارا	إن شئت	ـ	١/ ٢٢
عبرَهْ	فأجلى	ـ	٢/ ١٤٥
فأكثرا	لي صديق	ـ	١/ ١٣٦
يحسرا	أخلق	أبو البختري	١/ ١٩٠
يضجرا	ما زيد	أبو البختري	١/ ١٩٠

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
ببلنجرا	شرف	أبو البختري	١/ ١٩١
آخرا	ما قلّد	أبو البختري	١/ ١٩٠
فأقصرا	إذا ما	ـ	١/ ٢٧
عنصرا	وأرومة	أبو البختري	١/ ١٩٠
حاضرا	خطابي	شمس الدين الصوفي	٢/ ٣٩٣
الفرا	إن تثن	أبو البختري	١/ ١٩٠
أسفرا	وأيقنت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
عاقرا	أنلزم	شمس الدين الصوفي	٢/ ٣٩٣
كرّهْ	وما زال	ـ	٢/ ١٤٥
مرّهْ	رمت	ـ	٢/ ١٤٥
ومؤمرا	قد ألبس	أبو البختري	١/ ١٩١
أحمرا	ذكرتك	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
أزهرا	من معدن	أبو البختري	١/ ١٩٠
	الراء المضمومة		
كبارُ	ودهر	ـ	١/ ١٤٣
بحارُ	إذا ثبتوا	ابن الرومي	١/ ٥٦
استعارُ	وإن	ابن الرومي	١/ ٥٦
عرعارُ	متكنفي	ـ	١/ ٥٩٩
تخبرُ	وذكرت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
أغبرُ	ولقد	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
تؤثرُ	وذكرت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
القدرُ	إنا	ـ	١/ ٢٦١
الكدرُ	وسالمتك	ـ	١/ ٣١١
تنشرُ	وبسنجق	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
ينشرُ	النفس	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
أبصرُ	والله	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
تهصرُ	وذكرت	رضي الدين القزاني	٢/ ٣٣٦
أمرُ	عسى	ـ	٢/ ٢٧٩
سامرُ	كأن لم	ـ	٢/ ٩٤
مقمرُ	تريا	ـ	١/ ٤٧

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
القهرُ	ومن	–	١/ ٢٧
يخورُ	نخور	–	٢/ ٢٤٣
تدورُ	أليس	–	٢/ ٢٤٣
النسورُ	خذوا	–	٢/ ٢٤٢
تصورُ	يا صاحبي	–	١/ ٤٧
الدهورُ	فيا	–	٢/ ٢٤٢
نستجيرُ	أسادتنا	–	٢/ ٢٤٢
الغزيرُ	مضى	–	٢/ ٢٤٢
ولا يطيرُ	ويمضعنا	–	٢/ ٢٤٢
والبعيرُ	فباق	–	٢/ ٢٤٢
الصغيرُ	ونحن	–	٢/ ٢٤٢
	الراء المكسورة		
الآثارِ	إنّ آثارنا	–	٢/ ٣٨٨
الأحجارِ	وابعثه	الزمخشري	١/ ٥٠٢
سارِ	ليلي	–	٢/ ٤٠٤
بالأبصارِ	وإذا	–	٢/ ٣٨٣
أنصاري	فلو كان	–	١/ ٥٧٩
نارِ	ومكلف	–	١/ ٣٤
بالنارِ	المستجير	-	٣٤
الدينارِ	فإذا	الزمخشري	١/ ٥٠٢
النهارِ	والناس	–	٢/ ٤٠٤
الخبرِ	فكان	–	٢/ ٩٤
قبرِ	وإن لنا	أبو جمانة الباهلي	١/ ١٨٣
الفطرِ	أقلب	–	١/ ٢٦٤
القطرِ	فذاك	أبو جمانة الباهلي	١/ ١٨٢
الذكرِ	وأحبه	–	١/ ٢٢
الدهرِ	إذا علم	–	١/ ٢٢
	قافية السين		
	السين المضمومة		
العيسُ	وبلدة	جران العود	١/ ٢٧١

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		قافية السين المكسورة	
باسِ	لا تترك	ـ	١/ ٩٧
الجلاسِ	يدرن	ـ	٢/ ٣١٠
بآيسِ	ملكت	ـ	١/ ٦٦٥
		قافية الصاد	
		الصاد المضمومة	
رصاصُ	ورصاص	ـ	١/ ٣٤، ١٧٠
		الصاد المكسورة	
العصِي	ألم تر	ـ	١/ ٢٩١
النقصِ	إذا أنت	ـ	١/ ٢٩١
		قافية الضاد	
		الضاد المضمومة	
رافضُ	إن كان	الشافعي	٢/ ٢٧٤
		قافية الظاء	
		الظاء المكسورة	
حافظِ	معتى	عصام الدين السمرقندي	١/ ٧١٢
بالحافظِ	فحافظها	عصام الدين السمرقندي	١/ ٧١٢
		قافية العين	
		العين المضمومة	
الضفادعُ	إذا غاب	ـ	٢/ ١٤٩
مواضعُ	فلو كان	ـ	٢/ ٢٣١
المجامعُ	أولئك	ـ	١/ ٦٩
يتضوعُ	أعد	ـ	١/ ٦٩٧
		العين المكسورة	
القطعي	معرضًا	ـ	٢/ ٣١١

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		قافية الفاء	
		الفاء الساكنة	
الخلفْ	تالله	ـ	٢/ ٣١٠
		الفاء المضمومة	
لطائفُ	بأركان	ـ	٢/ ٣٩١
صيارفُ	رعى	ـ	٢/ ٣٩١
نتصفُ	وبينا	ـ	٢/ ٩٩
		قافية القاف	
		القاف المفتوحة	
أرقا	فلما	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
شرقا	وأخليت	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
رفقا	ولم يغن	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
خلقا	قتلت	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
أملقا	أتاني	ياقوت الحموي	١/ ٣٥٤
		القاف المكسورة	
وعراقِ	وما	ـ	٢/ ٤٠٦
أطواقِ	فقد	ـ	٢/ ٤٠٦
الشرقِ	ألا	ـ	٢/ ٣٢٧
سوقِ	لكل	ـ	٢/ ٣٨٧
		قافية الكاف	
		الكاف المفتوحة	
بركَهْ	قد كنت	عصام الدين بن عبد الملك	١/ ٦٠٠
بركَهْ	بركة	عصام الدين بن عبد الملك	١/ ٦٠٠
سلكَهْ	مولاي	ـ	١/ ٦٠٠
الهلكَهْ	مستتبعًا	ـ	١/ ٦٠٠
		الكاف المكسورة	
بما لكِ	سيوردني	ـ	١/ ٧٢٤

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		قافية اللام	
		اللام المفتوحة	
محالا	وأمكن	شمس الدين الصوفي	٢/ ٣٩٣
وكمالا	أتفهم	شمس الدين الصوفي	٢/ ٣٩٣
باهلَه	ولا ينفع	–	١/ ٤١
		اللام المضمومة	
الحمائلُ	يعيرني	–	٢/ ٤٠٣
الآمالُ	سعد	التفتازاني	١/ ٥٢٦
رجلُ	هم	–	٢/ ٣٤٥، ٤٤٢
نسلُوا	يفاخرون	–	١/ ٤١
التفاضلُ	وما الفخر	–	٢/ ٤٠٣
كاملُ	وإذا	المتنبي	٢/ ٤٠٦
أجملُ	فإن	–	١/ ٢٦١
مسؤولُ	إلى متى	عفيف الدين أفندي	١/ ٧١٨
المعولُ	أليس	–	١/ ٢٦١
محلولُ	في كل	عفيف الدين أفندي	١/ ٧١٨
الحيلُ	قد	–	٢/ ٢٤٣
		اللام المكسورة	
طائلِ	لقد	–	٢/ ٤٠٦
طائلِ	وازددت	–	٢/ ٤٠٦
لكمالِه	فآهًا	–	٢/ ٣٧٢
جهالِ	وإذا	–	١/ ٢٧
البوالي	ولا تفخر	–	١/ ٤١
الجبلِ	يا ناطح	–	٢/ ٢٥٦
مماثلِ	يرضى	–	٢/ ٣١٠
مزحلِ	ويركب	–	١/ ٤٧٣
الفاضلِ	وما	–	١/ ٧٢٤
والباطلِ	من جلب	–	٢/ ٢٦٠
البغلِ	وضره	–	٢/ ٣١٠

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
بفضلِهِ	ومن	ـ	٢/ ٣١٠
يعقلِ	إذا أنت	ـ	١/ ٤٧٣
فقلِ	إني	ـ	١/ ٢٧، ٦٣٩
ترللي	فإن	ـ	٢/ ٣٢٧
الأولِ	بيض	ـ	٢/ ٣٦٩
	قافية الميم		
	الميم المفتوحة		
هضما	تبارك	ـ	٢/ ٢٣١
كظما	فما لك	ـ	٢/ ٢٣١
قيَمهْ	هذا	ـ	٢/ ٣١١
	الميم المضمومة		
وختامُ	فسبحان	ـ	١/ ٦٦٨
رجامُ	وناد	ـ	١/ ٦٦٨
فسجامُ	يا سادتي	ـ	١/ ٣١٦
زحامُ	بأبوابهم	ـ	١/ ٦٦٨
الإقدامُ	لا حظ	ـ	١/ ٣١٦
وعرامُ	لديهم	ـ	١/ ٦٦٨
وغرامُ	إن كنت	ـ	١/ ٣١٦
كرامُ	أساطين	ـ	١/ ٦٦٨
والإكرامُ	يا دار	ـ	١/ ٣١٦
الإعظامُ	يا دار	ـ	١/ ٣١٦
ورعامُ	ترد	ـ	١/ ٦٦٨
رغامُ	ألمّ	ـ	١/ ٦٦٨
مقامُ	سل	ـ	١/ ٦٦٨
مقامُ	والدار	ـ	١/ ٣١٦
ومقامُ	وسيقوا	ـ	١/ ٦٦٨
أحلامُ	ثم انقضت	ـ	٢/ ٩٥
الإسلامُ	فلبعدهم	ـ	١/ ٣١٦
ظلامُ	يا دار	ـ	١/ ٣١٦

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
كلامُ	تجبك	–	١/ ٦٦٨
غمامُ	فمتى	–	١/ ٣١٦
وبنامُ	مشاهير	–	١/ ٦٦٨
سهامُ	بأن	–	١/ ٦٦٨
لهامُ	فهل	–	١/ ٦٦٨
وهامُ	وأمسوا	–	١/ ٦٦٨
وهامُ	وصف	–	١/ ٦٦٨
الأيامُ	قف	–	١/ ٣١٦
قيامُ	وحلوا	–	١/ ٦٦٨
المكرمُ	ومَن ذا	–	١/ ٧٠٦
أعظمُ	إذا كنت	–	١/ ٧٢٤
عظيمُ	لا تنه	–	٢/ ٣٣٠
حكيمُ	فابدأ	–	٢/ ٣٣٠
التعليمُ	فهناك	–	٢/ ٣٣٠
	الميم المكسورة		
التمامِ	ولم أر	–	٢/ ٣٥٢
الأيامِ	ذم	–	٢/ ٤٣٧، ٤٤٢
بالرتمِ	إنّ الرياح	–	٢/ ٢٢
للمتقدمِ	ولكن	–	١/ ٢٥
التندمِ	فلو قبل	–	١/ ٢٥
الحزمِ	كأنهم	البوصيري	١/ ٢٦٥
	قافية النون		
	النون الساكنة		
بمنْ	حولي	–	١/ ٢١٠
	النون المفتوحة		
وبرجانا	وعدنا	أبو نخيل التميمي	١/ ٢٤٩
فرسانا	بدينا	أبو نخيل التميمي	١/ ٢٤٩
فتمكنا	أتاني	–	٢/ ٣٠٩
لقينا	وقل	–	٢/ ١٤٦

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
		النون المضمومة	
الذبانُ	وإذا	ـ	١/ ٧٧
الذبانُ	وإذا	ـ	١/ ٢٥٣
وصلبانُ	حيث	الرندي	٢/ ١٠٠
ومرجانُ	وطفلة	الرندي	٢/ ١٠١
وتيجانُ	أين	الرندي	٢/ ١٠٠
وأبدانُ	يا رب	الرندي	٢/ ١٠٠
عبدانُ	بالأمس	الرندي	٢/ ١٠٠
وبلدانُ	أصابها	الرندي	٢/ ١٠٠
عيدانُ	حتى	الرندي	٢/ ١٠٠
غمدانُ	وينتضي	الرندي	٢/ ١٠٠
عمرانُ	على ديار	الرندي	٢/ ١٠٠
حيرانُ	يقودها	الرندي	٢/ ١٠١
أحزانُ	ولو	الرندي	٢/ ١٠٠
وأحزانُ	فجائع	الرندي	٢/ ١٠٠
ساسانُ	وأين	الرندي	٢/ ١٠٠
إنسانُ	لكل	الرندي	٢/ ٩٩
شانُ	وهذه	الرندي	٢/ ٩٩
وخرصانُ	يمزق	الرندي	٢/ ١٠٠
وقحطانُ	وأين	الرندي	٢/ ١٠٠
أوطانُ	وماشيًا	الرندي	٢/ ١٠٠
يقظانُ	يا	الرندي	٢/ ١٠٠
كانوا	أتى	الرندي	٢/ ١٠٠
كانوا	ثم	ـ	١/ ٢٦٠
أركانُ	كانت	الرندي	٢/ ١٠٠
أزمانُ	هي	الرندي	٢/ ٩٩
وإيمانُ	لمثل	الرندي	٢/ ١٠١
وإيمانُ	لمثل	ـ	٢/ ٢٤٣
سليمانُ	كأنما	الرندي	٢/ ١٠٠
وسنانُ	وصار	الرندي	٢/ ١٠٠

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
إخوانُ	ماذا	ـ	٢/ ٢٤٣
وأعوانُ	أما	ـ	٢/ ٢٤٣
ألوانُ	فلو	الرندي	٢/ ١٠٠
سلوانُ	وللحوادث	الرندي	٢/ ١٠٠
إيوانُ	دار	الرندي	٢/ ١٠٠
نسيانُ	تلك	الرندي	٢/ ١٠٠
وطغيانُ	آهًا	الرندي	٢/ ١٠٠
هميانُ	تبكي	الرندي	٢/ ١٠٠
النون المكسورة			
ثاني	وأي	المرجاني	٢/ ١٢٢
الثاني	الرأي	ـ	١/ ٦٥٢
الثاني	الرأي	المتنبي	٢/ ١٠٢
الثاني	ففحصنا	المرجاني	٢/ ١٢٢
مرجاني	وكل	المرجاني	٢/ ١٢٢
بعرفانِ	سئلنا	المرجاني	٢/ ١٢٢
حرامانِ	فأفتينا	المرجاني	٢/ ١٢٢
إخواني	فإن كان	ـ	١/ ٦٥٥
ونسوانِ	وما	المرجاني	٢/ ١٢٢
إيوانِ	يا ويح	ـ	٢/ ٩٥
دينِ	ما أحسن	ـ	٢/ ٣١٢
والدينِ	كهف	التفتازاني	١/ ٥٢٧
بالنعلينِ	قيمته	ـ	٢/ ٣١١
قافية الهاء			
الهاء المفتوحة			
إليها	إنّ الهدايا	ـ	٢/ ٤٢١
أهليها	سل الديار	ـ	١/ ٣٦٧
الهاء المكسورة			
اللهِ	يا ويلهن	ـ	٢/ ٣١٠
يعطيهِ	والمرء	ـ	٢/ ٣٥٩

القافية	المطلع	الشاعر	الجزء والصفحة
السفيهِ	يمشين	–	٢/ ٣١٠
عليهِ	رب	–	٢/ ١٥٩
	قافية الياء		
	الياء الساكنة		
سرايْ	كنت	–	١/ ٦٦٥
كرايْ	قيل	–	١/ ٦٦٥
	الياء المفتوحة		
المساويا	وعين	–	٢/ ٢٠

٦ ـ فهرس أجزاء وأنصاف الأبيات

جزء أو نصف البيت	الجزء والصفحة
باب الألف	
أنا الغريق فما خوفي من البلل	٢/ ٢٥٩
إن التشبه بالكرام فلاح	١/ ٢٦٩
إن هذا الكعك من ذاك العجين	٢/ ٢٢٩
باب الشين	
شبه النعامة لا طير ولا جمل	١/ ١٥٧
باب الفاء	
فلا بد من مُثنٍ عليك وقادح	١/ ٧٠٧
فما دمت لا أنصح وإن متّ فانع لي	٢/ ٢٨٨
باب الكاف	
كل مَن يمشي على الدرب وصل	٢/ ٢٧٩
باب الميم	
مصائب قوم عند قوم فوائد	٢/ ٢٦٣
باب النون	
نجوت وأرهنهم مالكًا	٢/ ٢٢٤
نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا	٢/ ٢٨٨
نعم الجدود ولكن بئس ما نسلوا	١/ ٢٦٠

جزء أو نصف البيت	الجزء والصفحة
باب الواو	
والأُذن تعشق قبل العين أحيانًا	١/ ٦٨٤
الوصف يحرّك من الشوق أغصانًا وأفنانًا	١/ ٦٨٤
والعذر عند كرام الناس مقبول	٢/ ٤١٥
ولكل شيء آفة من جنسه	١/ ١٥٧
باب الياء	
يرى غمرات الموت ثم يزوره	٢/ ٩٣

٧ ـ فهرس المحتويات

المقصد الثالث في بيان أحوال قزان
وما جرى على خواونينها وأهلها من حوادث الزمان

[أول مَن بنى قزان] ٥
[ألوغ محمد خان] ٧
ذكر هجوم محمد خان على موسكوا ورجوعه عنها بغنائم كثيرة ٩
قصد محمد خان الكبير بلاد الروس مرة ثانية ٩
ذكر ثالث سفر ألوغ محمد خان إلى بلاد الروسية وأسره كينازها واسيلي تومنه ١٠
ذكر موت ألوغ محمد خان عليه الرحمة والغفران وجلوس ولده محمود خان ١٣
ذكر إغارة عسكر قزان على الشمالي الغربي من بلاد الروسية ١٤
ذكر خانية إبراهيم خان بن محمود خان القزاني ١٤
ذكر قصد قاسم خان مملكة قزان ومحاربته ربيبه إبراهيم خان القزاني لأجل الخانية بإمداد الروسية إياه بعساكر كثيرة ١٥
ذكر قصد الكيناز إيوان بلدة قزان مرة ثالثة ١٦
ذكر قصد إبراهيم خان بلاد الروسية ومحاربته إياهم ١٩
ذكر وفاة إبراهيم خان وجلوس أكبر أولاده إلهام خان مكانه ٢٠
ذكر هجوم الروسية إلى قزان وأسر إلهام خان ٢٠
ذكر كتابة إيواق الخائن الشقي إلى إيوان برجاء تخليص إلهام خان من الأسر والهوان ٢١
ذكر سلطنة محمد أمين خان الملقّب بأيجم بن إبراهيم خان ٢٣
ذكر طرد محمد أمين خان من قزان وجلب مأموق خان من نسل شيبان ٢٤
ذكر تملك عبد اللطيف خان بن إبراهيم خان ٢٥
ذكر عزل عبد اللطيف خان وإخراجه من قزان ونصب محمد أمين خان مرة ثانية .. ٢٥
ذكر مسير محمد أمين على الروسية ومحاربته إياهم بعد مضي سنتين من جلوسه الأخير ٢٦

ذكر قصد الروسية الانتقام من محمد أمين خان بعد جلوس واسيلي الرابع مكان أبيه إيوان الثالث وتجديده المعاهدة بمنكلي گراي ٢٨
ذكر قصد واسيلي مملكة قزان للانتقام ورجوع عساكره منها لا بخفي حنين كما يقال بل بأقبح انهزام ٢٩
ذكر مراسلة منكلي گراي خان مع الكيناز واسيلي وطلبه منه إرسال عبد اللطيف خان إليه وإباؤه عنه ٣١
ذكر ورود نور سلطان بكه زوجة منكلي گراي خان بنت الميرزا تيمر لرؤية ولديها محمد أمين خان وعبد اللطيف خان إلى موسكوا وقزان ٣٢
ذكر وفاة منكلي گراي خان وجلوس ولده محمد گراي خان مكانه ومعاملته مع الروسية ٣٣
ذكر مرض محمد أمين خان وتعيين أخيه عبد اللطيف خان لولاية العهد ٣٥
ذكر وفاة عبد اللطيف خان ولي عهد محمد أمين خان ٣٦
ذكر وفاة محمد أمين خان ٣٦
ذكر نقض واسيلي عهده مع محمد كراي خان ونصبه شيخ علي خان خانًا في قزان ٣٧
ذكر خانية صاحب گراي خان بن منكلي گراي خان القرمي بقزان وطرده منها شيخ علي خان ٣٩
ذكر هجوم الضرغامين محمد گراي خان القرمي وصاحب گراي خان القزاني على الروسية ٤٠
ذكر قصد الروسية بلاد قزان ورجوعهم عنه بخفي حنين ٤٢
ذكر قصد الروسية بلاد قزان بالحرب في سنة ١٥٢٣ م وسنة ٩٣١ هـ ورجوعهم عنها أيضًا خائبين وانفصال صاحب گراي خان من قزان وخانية ابن أخيه صفا گراي خان بن محمود گراي خان بن منكلي گراي ٤٣
ذكر حركة أهل قزان وقيامهم على الروسية وسوق الكيناز واسيلي عساكره عليهم ورجوعهم أيضًا بلا نيل المرام ٤٦
ذكر انفصال صفا گراي خان عن خانية قزان وجلوس جان علي أو إينال أخي شاه علي خان بن الله يار حفيد أحمد خان مكانه ٤٨
ذكر حبس شيخ علي خان ٥٠
ذكر هجوم صفا گراي خان بعساكر قرم على الروسية وإيصاله الإضرار الكلي إليها انتقامًا منها ٥٠
ذكر قتل جان علي خان وخانية صفا گراي خان ثانيًا ٥٣
ذكر مسير عسكر الروس إلى قزان وانكسار الفرقة الأولى منهما وانتصار الثانية انتصارًا ما ٥٤
ثم ذكر كارامزين بعد ذلك ماجريات قرم من الاختلاف الواقع بين صاحب گراي خان وإسلام گراي خان واستقلالية صاحب گراي بقتل إسلام گراي ٥٥

ذكر مسير عسكر قرم وقزان إلى الروسية ومحاربتها إياها ٥٧
ذكر مسير الروس إلى قزان وإفسادها في أطرافها وإفضاء ذلك إلى انفصال صفا گراي خان وخانية شيخ علي خان ثانيًا ثم انفصاله عنها قريبًا وعود صفا گراي خان إليها ثالثًا ٥٩
ذكر مسير الكيناز إيوان المدهش إلى حرب قزان بنفسه أول مرة وعوده عنه خائبًا ٦١
ذكر وفاة صفا گراي خان رحمه الله تعالى وبقاء قزان شاغرة بلا رئيس ومسير إيوان إليها مصممًا أخذها واستئصالها ورجوعه عنها أيضًا خائبًا ٦٢
ذكر إرسال أهل قزان الميرزا يوسف سفيرًا إلى إيوان يطلبون منه المهادنة وعدم تمامية ذلك وإرساله إلى قزان عساكره بقصد الاستيلاء عليها وخروج سيون بكه مع ولدها أوده ميش گراي من قزان وخانية شيخ علي ثالثًا ٦٥
ذكر مقدمة استيلاء الروس على قزان ٧٠
ذكر تدارك إيوان لقصد استئصال قزان ونيله بغيته المذكورة بمساعدة الزمان ودخول قزان تحت خبر كان ٧٤
ذكر تشتيت الروس فرقة الأمير يپانچي وكسرهم جناح المسلمين بذلك ٨٢
ذكر سد طريق ماء قزان وتعجيزهم بتلك الحيلة ٨٣
ذكر استيلاء الروس على قلعتي أوستروغ وآرچه ٨٤
قطع إمداد چرامشة السواحل عن أهل قزان ٨٥
ذكر بناء الروس البرج العظيم بقرب سور قزان ليضرب من فوقه بلدة قزان ٨٦
وقوع معركة شديدة بين الفريقين على باب آرچه ٨٧
ذكر وقعة إشعال اللغم ووقعة أخرى على باب قزان ٨٧
آخر وقائع قزان وسقوطه ووقوعه في يد إيوان ٨٩
أحوال بلدة قزان حين دخلها الروس ٩٤
ذكر ما جرى بعد ذلك من الأحوال بل الأهوال ٩٥
ذكر دخول إيوان بلدة قزان ٩٦
خطاب إيوان عسكره بعد استيلائهم على قزان ٩٦
إعلان إيوان العفو العام والصلح والأمن والأمان ٩٧
أمر إيوان بدفن الموتى ودخوله البلد ثانيًا وتعيينه موضعًا لبناء الكنيسة ٩٨

المقصد الرابع في بيان الأحوال الجارية في تلك البلاد بعد دخولها تحت حكم الروسية ونفوذهم وسلطنتهم إلى يومنا هذا

الفصل السادس في الروسية ١١٣
استيلاء الروس على سيبريا ١٤٠
[ظهور يرمق بن تيماقي] ١٤٣

استيلاء الروس على شرقي نهر قاما وبلاد باشقرد وما جرى فيها بعد استيلائها من الأحوال والأهوال ١٤٨
[النصرانية والإسلام والمجوسية] ١٦٥
[تنصير الأجانب] ١٦٨
[ظهور لوقا بن قناش] ١٧٠
[حكاية الشيخ فخر الدين النورلاطي] ١٧٣
[بناء محكمة الجمعية الإسلامية] ١٧٤
[الباعث على إحداث يكاترينا هذه المحكمة] ١٧٩
[المفتي الأول محمد جان] ١٨١
[المفتي الثاني عبد السلام بن عبد الرحيم] ١٨٢
[المفتي الثالث عبد الواحد بن سليمان] ١٨٢
[المفتي الرابع ميرزا سليم گراي التوكيلي] ١٨٣
روح الإسلام وتعصب المسلمين له ١٨٩
[الرسائل التي أُلِّفَت ضد دين الإسلام] ١٩٧
[وفاة المفتي سليم كراي التوكيلي] ٢٢٤
[مكاتبة إيلمينسكي مع پابيدانوسف] ٢٢٥
[المفتي محمد يارسلطانوف] ٢٢٨
[فرمان النظارة الداخلية إلى الجمعية الأورنبورغية] ٢٣١
[العريضة إلى علماء مكة المكرّمة] ٢٤٢
[مضبطة علماء مكة المرسلة إلى إستانبول] ٢٤٤
[وقعة بول إيلي] ٢٤٩
[وقعة ملا هادي أفندي] ٢٥٠
[قضية الملا محمد جان الكاوجياكي] ٢٥١
[قضية الملا حافظ البلبائي] ٢٥٢
[وقعة قرى چواش] ٢٥٣
[التضييق والتشديد في طبع الكتب] ٢٥٤
حادثة سولاي ٢٥٨
[تكليف المسلمين بأخذ الرسوم عند الامتحان] ٢٥٩
الحوادث التي حدثت أثناء تحرير النفوس الأخير ٢٦٠
[حادثة خان أورداسي] ٢٦١
[منع التتار من استملاك أراضي التركستان] ٢٦٢
[المنع عن سفر الحج] ٢٦٣
مصائب قوم عند قوم فوائد ٢٦٣

بيان أحوال هؤلاء التتار في التحصيل والتعليم والتعلم قديمًا وحديثًا على وجه الإجمال ٢٩٢
[بيان أحوال التتار من جهة معايشهم وعوائدهم] ٣٢٨
[مـذهبهم] ٣٣١
[عدد المسلمين في الروسية] ٣٣١
[علماء تلك الديار] ٣٣٤
[رضي الدين القزاني] ٣٣٥
[مرتضى بن قطلغش السيمتي] ٣٣٧
[منصور بن عبد الرحمٰن البرندقي] ٣٣٧
[إيشمحمد بن طوق] ٣٣٧
[يونس بن ايواناي] ٣٣٨
[عبد الكريم بن بالطاي] ٣٣٨
[عبد الرحمٰن بن طويمحمد] ٣٣٨
[عبد السلام بن الحسن القاريلي] ٣٣٩
[أمير بن نور بن محمد] ٣٣٩
[إيشنياز بن شيرنياز] ٣٣٩
[وليد بن مقصود] ٣٤٠
[محمد بن علي الداغستاني] ٣٤٠
[فيض الله بن عثمان البلغاري] ٣٤١
[بيكچنطاي بن إبراهيم البرسكوي] ٣٤١
[أبو بكر بن إبراهيم القزاني] ٣٤١
[عبد خالق بن أعظم التنكي] ٣٤١
[وليد بن محمد الأمين القارغالي] ٣٤٢
[بهادرشاه بن سيارقل] ٣٤٢
[وليد آخوند بن سعيد المنزلة باشي] ٣٤٢
[سليمان بن مصطفى] ٣٤٣
[عبد النصير أبو النصر بن إبراهيم القورصاوي] ٣٤٣
[أحمد جان بن أميرخان] ٣٤٦
[عبد الرشيد بن عبد الكريم القارغالي] ٣٤٦
[نعمة الله بن عمر الأوتاري] ٣٤٦
[محمد رحيم بن يوسف الآشطي] ٣٤٧
[حبيب الله بن الحسين الأوروي النقشبندي] ٣٤٧
[فخر الدين بن سجانقل الكيچوچاتي] ٣٤٨
[فضل بن إبراهيم الأچكني الألمني] ٣٤٨

[عبيد الله بن جعفر الكيزلوي النقشبندي] ٣٤٩
[عبد القادر بن سليمان القارشين] ٣٤٩
[جعفر بن عبدي النقشبندي] ٣٤٩
[أبو المنيخ بن أبي الفيض القارغالي] ٣٤٩
[سيف الدين بن أبي بكر الشنكاري] ٣٥١
[إبراهيم أفندي بن خوجاش القزاني] ٣٥٢
[أمير خان بن قوچقار بن يعقوب] ٣٥٣
[حميد بن إسلام اليورطشي] ٣٥٤
[عبد الرحمٰن بن محمد شريف الخان كرماني القارغالي] ٣٥٤
[حمزة المنجم بن محمد بن الحسن القزاني البيزه زوي] ٣٥٤
[برهان الدين بن محمد شريف الشغايي] ٣٥٥
[سعيد بن أحمد الشرداني القزاني] ٣٥٥
[عبد اللطيف بن أدهم اليولقي] ٣٥٥
[زين العابدين بن عبد الله اليولقي] ٣٥٦
[ولي الدين بن الحسن المقري الشهير بالحاج البغدادي] ٣٥٦
[معاذ بن بيكمحمد القرامالي] ٣٥٦
[شمس الدين بن عبد الرشيد القشقاري] ٣٥٧
[إسكندر بن علي البيرة كوي] ٣٥٧
[دولتشاه بن عادلشاه بن عبد الله] ٣٥٧
[محمد الأمين بن سيف الله النلاساوي] ٣٥٨
[عبد النصير بن سيف الملك الچقالي] ٣٥٨
[إبراهيم بن عبد الرشيد بن إبراهيم] ٣٥٩
[عبد الرحيم بن عثمان الأوتزايماني] ٣٦٠
[مصطفى بن موسى القزاني] ٣٦١
[يونس بن إبراهيم] ٣٦١
[إسحٰق بن سعيد الكناري] ٣٦١
[شاه أحمد بن رفيق السماكي] ٣٦١
[تاج الدين بن يالچي قل الملمي] ٣٦٢
[تاج الدين بن عبد الرشيد الاشتراكي] ٣٦٢
[إيشمحمد بن زاهد الكوباكي] ٣٦٣
[دولت باقي بن علي الأصغر التاروي] ٣٦٣
[عبد النصير بن ثابت الأچكني] ٣٦٤
[محمد شريف بن إبراهيم البيركوي] ٣٦٤
[عبد الحليم بن زين العابدين المورطشي] ٣٦٦

[هبة الله بن دين محمد الصلاوچي] ٣٦٦
[عبد الخالق بن إبراهيم القورصاوي] ٣٦٦
[فتح الله آخوند بن الحسين الأوروي] ٣٦٧
[عبد الواحد بن عبد المنان] ٣٦٨
[زين الله بن أولمز قل القالقاني] ٣٦٨
[نعمة الله بن بيكتمر الاسترلي] ٣٦٨
[عبد الخالق بن عبد الكريم] ٣٦٩
[عبد الغفور بن عبد المنان] ٣٦٩
[محمد رحيم ابن أمير بن جعفر التارشناوي] ٣٧٠
[فخر الدين بن إبراهيم بن خوجاش القزاني] ٣٧٠
[عبيد الله بن إبراهيم البيركوي] ٣٧١
[شاه أحمد بن يوسف] ٣٧١
[نعمة الله بن مناسب البوبوي] ٣٧٢
[رحمة الله بن عبيد الله الكزلوي] ٣٧٢
[عصمة الله بن الملا عبد الرحمٰن] ٣٧٢
[يعقوب بن يحيىٰ التيبيازي] ٣٧٢
[علي باي بن يار محمد الچالپوي] ٣٧٣
[شرف الدين بن زيد الدين استرلي] ٣٧٣
[ميان فيض بخش بن عبد القدوس المجددي] ٣٧٣
[ذو القرنين بن خليل القاقتماقي] ٣٧٣
[نعمان ابن أمير بن عثمان التمني] ٣٧٤
[عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الطايصوغاني] ٣٧٤
[حماد بن عيسى القارغالي] ٣٧٤
[نعمة الله بن عبد الرحيم الأورنبورغي] ٣٧٤
[سيد بن نور محمد] ٣٧٥
[عبد اللطيف بن سبحانقلي] ٣٧٥
[بايمراد بن محرم القزاني] ٣٧٥
[حبيب الله بن رحمانقلي القزاني] ٣٧٦
[عبد الرحيم بن عاشور الحاجطرخاني] ٣٧٦
[عبد الصالح بن عبد الله بن شريف] ٣٧٦
[إبراهيم بن محمد يار] ٣٧٧
[عبد الواحد بن عبد الرحمٰن البواوي] ٣٧٧
[فتح الله بن صفر علي المناوزي] ٣٧٧
[نعمة الله بن عبيد الله الألمتي] ٣٧٨

[رمقل بن مقصود الاشتراكي] ٣٧٨
[عبيد الله بن سبقل الحاجطرخاني] ٣٧٨
[عباس بن عبد الرشيد الياوشي] ٣٧٩
[محمد كريم بن إسحٰق المچتوي] ٣٧٩
[محمد طيب بن زائد الأورالي] ٣٨٠
[عبد الستار بن عبد الله الطيمازي] ٣٨٠
[سعيد بن حميد القزاني] ٣٨١
[عبد الغفور بن سيف الله الطوي كلدي] ٣٨١
[الملا نظام الدين بن سراج الدين القورچي] ٣٨١
[مقصود بن قربانعلي الكولباشي] ٣٨٤
[عبد الله بن يحيىٰ بن محمود الجرتوشي] ٣٨٤
[حبيب الله بن رفيق النادري] ٣٨٤
[عبد الجميل بن أوته قل الأوتاكي] ٣٨٥
[نور محمد ابن الملا إبراهيم بن خوجاش القزاني] ٣٨٥
[محمد ظريف بن عبد الجميل الطرويسكي] ٣٨٥
[سيف الدين بن سبحانقلي الكيچوچاتي] ٣٨٥
[فخر الدين بن مصطفى الأگرجي] ٣٨٦
[جعفر بن صالح القولاتقي] ٣٨٦
[منهاج الدين القزاني المدني] ٣٨٧
[تاج الدين أفندي القزاني] ٣٨٨
[موسى أفندي المدني] ٣٨٩
[أحمد ضياء الدين الطرخاني] ٣٨٩
[عماد الدين بن كمال الدين النوركائي] ٣٩١
[محمد ذاكر أفندي ابن الملا نور محمد] ٣٩١
[عبد الجبار بن جعفر الپاراوي] ٣٩٢
[طاهر بن سبحانقلي المقرىء] ٣٩٢
[شمس الدين الصوفي ابن يار محمد الزكي] ٣٩٣
[عبد النصير بن عبد الرحيم الطاي صويغاني] ٣٩٤
[محمد كريم بن محمد رحيم بن عابد التكنشي] ٣٩٤
[صاحب الدين ابن الملا زين الدين النوركايي] ٣٩٥
[الملا حسن الدين] ٣٩٦
[محمد رحيم أفندي البلد انكاوي] ٣٩٧
[نور الدين الطرخاني] ٣٩٧
[عبد الجبار أفندي التلانچي] ٣٩٧

[صلاح الدين ابن الملا إسحٰق القزاني] ٣٩٧
[أحمد صفا أفندي ابن الملا عباس التاش بلكوي] ٣٩٨
[تاج الدين بن بشير الصوقصوي] ٣٩٩
[عبد العلام بن صالح الچرشوي] ٣٩٩
[قاسم أفندي] ٣٩٩
[هبة الله بن سيد بطال القارغالي] ٣٩٩
[تاج الدين بن أحمد الآيداري] ٣٩٩
[جار الله بن بيك محمد الصاتشي] ٤٠٠
[محمود بن محمد الداغستاني] ٤٠٠
[سعيد بن حميد القزاني] ٤٠٠
[حسن بن حميد القورصاوي] ٤٠١
[الملا عطاء الله بن محمد] ٤٠١
[الملا عبد الرحمٰن أفندي] ٤٠١
[علي بن سيف الله التونتاري] ٤٠٢
[شمس الدين بن رحمة الله المزار آستي] ٤٠٢
[إسماعيل بن موسى المچكروي] ٤٠٢
[عبد الرحمٰن أفندي] ٤٠٣
[شهاب الدين بن بهاء الدين بن سبحان بن عبد الكريم المرجاني] ٤٠٣
[سيف الله بن عالم بك الآجوي] ٤٠٧
[فخر الدين بن يهود النورلاطي] ٤٠٧
[محمد حسن بن شمس الدين الخان كرماني] ٤٠٨
[عبد العزيز بن حبيب الله الأورسانايي] ٤٠٨
[عبد الفتاح بن عبد القيوم بن عصمة الله] ٤٠٨
[محمد ذاكر بن عبد الوهاب الچيسطايي] ٤٠٩
[عبد الله بن عبد الغفور الچقمقي] ٤٠٩
[محمد حسن ابن الملا عزة الله الخان كرماني] ٤٠٩
[أحمد بن خالد] ٤١٠
[الشيخ شهاب الدين الأسني] ٤١٠
[عبد الناصر البواوي] ٤١٠
[محمد شريف آخون الطرويسكي] ٤١٠
[الملا سليمان بن داود الأورنبورغي] ٤١١
[شرف الدين ابن الملا مهدي] ٤١١
[جمال الدين بن سبحان قلي] ٤١٢
[عبد الله السرطاوي البخاري] ٤١٣

[فخر الدين الأسايي وإسماعيل التكرمني] ٤١٣
[الملا سراج الدين والملا رمضان] ٤١٣
[محمد جان بن عبد الظاهر الرحمانقلي] ٤١٣
[أحمد اللطيف] ٤١٤
[خير الله بن عثمان العثماني] ٤١٤
[زين الله بن حبيب الله الشريفي] ٤١٥

الخاتمة في بيان خواوين خان كرمان وقريم وخواوين أوزبك ببخارى وخوارزم وقزاق نبين كلًا منها في فرع على حدة لكون كل منها فرع الدوحة الجوجية

الفرع الأول في بيان خواوين خان كرمان ٤٢٥
الفرع الثاني في خواوين قريم ٤٢٨
الفرع الثالث في خواوين أوزبك ببخارى وخوارزم ٤٢٩
الفرع الرابع في خواوين قزاق ٤٣٨
[أبو الخيرخان] ٤٤٣
[آبلاي خان] ٤٤٥
[ولي خان بن آبلاي خان] ٤٤٥
[نور علي خان] ٤٤٥
[بوكاي خان] ٤٤٦
[جهانگير خان] ٤٤٧
[كينه صاري خان] ٤٥٠

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الأحداث التاريخية مرتّبة حسب التسلسل الزمني ٤٦١
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية ٤٧٨
٣ ـ فهرس تراجم الأعلام ٤٨٠
٤ ـ فهرس الأعلام المُتَرجَم لهم في الهامش ٤٩٠
٥ ـ فهرس القوافي ٥٠٢
٦ ـ فهرس أجزاء وأنصاف الأبيات ٥١٦
٧ ـ فهرس المحتويات ٥١٩